دائرة معارف القرن العشرين

محمد فريد وجدي

المجلد التاسع

دار المعرفة
بيروت - لبنان

دائرة معارف القرن الرابع عشر العشرين

قاموس عام مطول للغة العربية والعلوم النقلية والعقلية والكونية بجميع أصولها وفروعها
ففيه النحو والصرف والبلاغة والمسائل الدينية وتاريخ الفرق والمذاهب والتفسير
والحديث والاصول والتاريخ العام والخاص وتراجم مشهوري الشرق
والغرب والجغرافية الطبيعية والسياسية والكيمياء والفلك والفلسفة
والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والروحية والطب والعلاج وقانون
الصحة والفوائد المنزلية وخواص العقاقير والاقرباذين والاحصاءات
وسائر ما يهم الانسان في جميع المطالب

﴿ تأليف ﴾

محمد فريد وجدي

المجلد التاسع

الطبعة الثالثة
سنة ١٩٧١

حاز هذا الكتاب رضاء وزارة المعارف العمومية والجامعة
الأزهرية ومجالس المديريات فقررته لجميع معاهدها الدراسية

دار المعرفة
للطباعة والنشر

وهو داء يأتي من وراء طريق الكوفة من قبل السماوة ثم يقطع طريق الكوفة الى طريق البصرة حتى يصب في البحر في بلاد بني سعد من يبرين

ومسقط مدينة من نواحي عمان في آخر حدودها مما يلي اليمن على ساحل البحر ومسقط رستاق بساحل بحر الخزر دون الباب والابواب جبل مسلمون (اي الناس الساكنون به) لهم قوة وشوكة بين باب الابواب والكز احدثه كسرى أنو شروان

نقول ان مدينة مسقط التي هي الآن قصبة بلاد عمان يبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نفس

﴿مَسَكَ﴾ يمسك أخذ به وتعلق واعتصم . (مسّك به) اعتصم به ومثله (أمسك به) و (تمسّك وتماسك واستمسك) بمعنى اعتصم . و (فيه مَسكة من خير) أي بقية

﴿المِسك﴾ مادة تستخرج من افراز كيس خاص يحمله حيوان يسمى بالظبي المسكي . وهو حيوان من ذوات الثدي من الحيوانات المجترة العادمة القرن له ظلفان وله أربع معدات وقناة معوية طويلة . قامته كقامة الظبي ويكاد يكون عادم الذنب وهو مغطى بوبر كثيف أسمر من طرفه السائب بلون القرفة وابيض من قاعدته شديد التجعد صلب غليظ سهل التفتت أشبه بأبر القنفذ منه بالشعر . هذا الحيوان لا يخرج الا ليلا ويعيش وحيداً في جبال تبيت وبلاد التتار والسواحل الواسعة بين سيبيريا والصين شكله ظريف وهو خفيف في الجرى

أنواعه قليلة ومعظمها يعيش في البلاد الحارة أشهر أنواعه هو الذى وصفناه هنا وهو يتميز بشريطين ابيضين محدودين بالسواد ومنفصلين احدهما عن الآخر بشريط أسود وذلك على طول العنق والذى يميزه جيداً هو الكيس الذى يحمله الذكر البالغ يتولد تحت جلد الخثلة أمام القلفة وهو الذى يفرز المسك ويكون مخزنا حافظا له

هذا الكيس محفور بقلم يمتد فيه القضيب وفيه قناة قاذفة للافراز فتحتها أمام القلفة وذلك الكيس هو المفرز للمسك ويكون صغيراً في الحيوانات المسنة وكبيراً زمن الازدواج فكأنه مرتبط بعمل التناسل وهو غشاء رقيق جاف محاط بمنسوج

خلوى مملوء بعروق وفيه من الباطن غضون أشبه بصمامات يتكون منها حواجز غير تامة وهو ملتصق من الخارج بجزء من جلد الحيوان بل ربما أحاط به كله . وزن كل كيس خال من الجلد من ٥ الى ٨ دراهم وفيه تفرطح واستطالة واستدارة وقطره من ٥ الى ٦ سنتيمترات ودائرته من ١٤ الى ١٥ سنتيمترا

أنواع هذه الاكياس فى المتجر اثنان أحدهما أكياس مسك تونكين وهو الصينى والاجود وانما نسب الى تونكين لان الاوروبيين يتناولونه من هذه المملكة وأما الانجليز فيأخذونه من الصينيين بواسطة الهنود والوجه الظاهر لهذه الاكياس ملتصق بجلد رقيق من الحيوان مغطى بشعر أشقر . وهذه الاكياس مملوءة وفيها استدارة وليس فيها ثقوب سوس

وثانيهما مسك كبردان ويظهر أنها تأتى من التبيت ولذلك يسمى مسكها التبيتى ويكون أقل اعتباراً من السابق وهى غالبا مستطيلة مستدقة الطرفين مغطاة بجلد ثخين شعره هبيض ففى ولبست عظيمة الامتلاء وتكون أحيانا مثقبة من أكل السوس وقد يوجد فى كل نوع منهما ما يشبه الآخر والصفة المميزة للنوع هى الرائحة التى تظهر جيداً اذا دخل دبوس فى الكيس

ويوجد فى المتجر نوع يسمونه مسك بنغالة وتسب اليها لأنه يمر بها فى طريقه الى اوروبا أكياسه مستديرة وعليها شعر أشقر كالذى على أكياس مسك تونكين وانما تكون رائحة هذا المسك ضعيفة تشبه رائحة مسك كبردان ولا تكون مثقبة ويظهر انها مصنوعة باليد وذلك هو ما تسميه العرب بالمندى ويقولون عنه انه دم يؤخذ من الحيوان بالذبح ويضرب مع كبده وبعره ويجفف وهذا كما لا يخفى خطأ عظيم

المسك حبوب متجمعة غير منتظمة لونها اسمر محمر أى قاتم تشبه فى المنظر الدم المتجمد المجفف ورائحته خاصة به قوية الانتشار وطعمه كريه فيه مرار وملمسه لطيف تطى ورطوبته قابلة وقابلة للتجفيف ويكون متوسط السائلية فى الحيوان الحى وأكثر صلابة فى الحيوان الميت مقدار ما يحتوى عليه الكيس من المسك من درهمين الى ستة دراهم على

حسب سن الحيوان

حلل الكياويون المسك فوجدوه مركباً من دهن طيار وراتينج وجسم دهنى شمعى

وقد قارن بعضهم بين مسك تونكين ومسك كبردان فرأوا ان مائة غرام من الاول مكونة من ٨٫٣٣ من كربونات النوشادر و ٧٫٥ من شحم نقى و٠٫٨٣ من راتينج و٥٠ من جلاتين أى مادة هلامية و ٢٥٫٨٠ من مادة زلالية أوغشية حيوانية و٢٫٥٠ من ملح الطعام و٠٫٨٣ من البوتاسا و٣٫٣٣ من كربونات الكلس و ١١٫٦٨ من أجزاء مفقودة ولم يوجد فيه شىء من دهن طيار

وأما الثانى فمركب من ٥ من روح النوشادر و٥ من شحم غروى و٥٠ من مادة هلامية و٣٦ من أغشية حيوانية و٢ من كربونات الكلس و١ من أجزاء مفقودة ولم يوجد فيه زلال ولا دهن طيار

المسك شديد الالتهاب يحترق بشعلة بيضاء ويبقى فحما اسفنجيا خفيفا جداً والماء المغلى والكحول يذيبان جزءاً منه والاثير الكبريتى يكاد يذيبه كله . ورائحته تضعف شيئا فشيئا بتعريضه للهواء بدون أن يفقد من وزنه شيئا محسوساً اذا كان جافا فلذا يجب حفظه فى أوان من زجاج جيدة السد بسداد زجاجية

وذكر العرب ان أجود المسك مارعى حيوانه السنبل وانه يغش بالزراوند ونشارة العود بالقرفة والقرنفل والزراوند والسنبل ودم الاخوين والجاوى ونحوها تسحق مع مثلها من عصارة طحال الماعز المجففة ودم الحمام ودهن البيض ويخدم الكل بماء الورد المسك ويطيب بالمسك الطيب ويعلق فى الكتف مدة وقد يزاد على ذلك ماء التفاح

قالوا وربما كان غشه بمجرد الدم المجفف أو خرء بعض الطيور أو الميعة أو برادة الحديد أو نحو ذلك وكثيراً مايندى بالبول . وتسهل معرفة هذا الغش بضعف رائحة هذا المسك ولونه وعدم توافق أجزائه وعدم ذوبانه كله على النار

(خواصه الدوائية) اذا استعمل المسك بمقدار من قمحة الى أربعة قمحات فانه يوقظ الجهاز العضبى ويزيد في القوى

بسرعة فى المجموع الحيوانى فان كانت المعدة حينئذ متهيجة شعر بعد ازدراده بثقل وحرارة فى القسم المعدى وجشاء وجفاف فى المرىء . فاذا أدمن على استعمال مقادير منه من ٤ قمحات الى ٦ فى كل ساعة حتى بلغ المقدار فى اليوم ٢٤ قمحة أو درهما أو أكثر نفذت قواعده الفعالة فى البنية وأثرت فى منسوجاتها وأحدثت تنبها عاما . فقد يعرض رعاف وازدياد فى التنفس الجلدى وتظهر ظواهر عصبية تدل على ان المسك أثر على المراكز العصبية كالصداع والدوار والسبات بل النوم غير الاعتيادى والهبوط والاضطراب والحركات التشنجية وارتجاف الاعضاء الصدرية والبطنية فيعلم من ذلك ان التأثير العصبى تغير عن حاله بعد استعمال هذا الجوهر وتكدر سيره فى الجسم

توجد رائحة المسك فى البول وفى المواد الثفلية والتنفس الجلدى وعرق المستعملين له . وتكثر تلك الرائحة فى افرازات بعض المرضى بحيث ان اليد التى تمس نبضهم تبقى حافظة زمنا طويلا لرائحة المسك . واذا فتحت جثة من استعمله وجدت تجاويف صدورهم وبطونهم مملوءة من عطريته النافذة أيضاً فى جميع منسوجاتهم بل وفى الجوهر المخى . فاذا لم يشاهد شىء من ذلك كان المسك رديئا

أهم ماق المسك من الخواص تأثيره تأثيراً خالصاً فى الجهاز المخى الشوكى فأرادوا أن يستفيدوا من ذلك التأثير فائدة فى الامراض التى لايكون هذا الجهاز فيها سليما حتى ترسل مراكزه لجميع أجزاء الجسم تأثيراً غير منتظم يعرض فى الاعضاء الدورية والتنفسية والهضمية حركات مرضية وتكدرات محزنة

وزعم الطبيب (كولان) انه أعظم الجواهر المعروفة مضادة للتشنج ومدحه فى النقرس المنتقل والثابت . فيمكن ان يقال بوجه عام انه يصح استعماله فى علاج الامراض العصبية الثقيلة التى تضاعف الامراض الآخر وتصاحبها على انها نتيجة أو عرض لها أو أصل متميز عنها . ولهذا استعمله بعضهم مع النجاح فى بعض الالتهابات الرئوية المصاحبة للهذيان . ومدحوه ايضا فى الحمى التيفوسية المضاعفة بعوارض عصبية غير منتظمة كالهذيان واهتزاز الاطراف والحركات التشنجية والضجر واختلاط القوى

الحساسة ونحو ذلك وتلك أعراض ناشئة من المراكز العصبية فالمسك يسكنها و يعيد التأثير العصبي للحالة الموافقه لقوانين البنية الحيوانيـة وبذلك يحسن حال المريض ولكن ذلك بشرط سلامة القناة الهضمية . لأنها ان لم تكن سليمة سبب تهييجا فى معدتهم وأعراضا أخرى مؤلمة وقلقا فى اقسم المعدى. أما من كان جسمهم متكدراً أو معدوما فيقبلون تلك الادوية ولا يتضررون منها عاجلا ولكن ادمان استعمالها قد يسبب فيهم اضطرابا واختراما فى الوظائف وذلك علامة على الشدة التى طبعها ذلك الجوهر فى آفات الجهاز المخي الشوكى

ثم شوهـد ان المسك قد يحرض انفعالا ربما كان نافعا لكن حصول مثل ذلك غير يقينى فلا تعلم جيـداً الاحوال التى يكون المسك نافعا فيها

وذكروا أنه دواء قوى الفعـل فى الفواق وخفقانات القلب وارتجاف المرىء والمعدة والامعـاء فالمسك بخاصته المنبهة يزيد فى تلك العوارض ولكنه اذا كان له فعل خاص على الجهـاز المخى الشوكى فيمكن أن يذهب أحيانا الاستعداد المرضى الذى فى تلك المراكز ويعيد تأثيرها فى الاعضاء الى حالته الاعتيادية وربما كانت الفوائد الحاصلة منه فى عـلاج الآفات العصبية آتية من تلك القوة التى تكون فى تلك الحالة مسكنة وربما نسب لها وصف هذا الجوهر بأنه مضاد للتشنج أو للآفات العصبية

وقد ذكروا مشـاهدات من الالتهابات البلوراوية والرئوية المصاحبة للهذيان أعطى فيها المسك بمقدار من ٤ قمحات الى خمسة فى كل ساعتين أو أربع ساعات نحو انحطاط الداء وبعد الفصد عدة مرات فنتج منه نوم مريح وتعريق لطيف وانقطاع فجائى للعوارض الشديدة الفعل . لكن ينبغى أن يعلم أنه لايوجـد حينئذ مع التهـاب المنسوج الرئوى أو البلوراوى حالة مرضية فى المخ وغيره من المراكز العصبية ولا يصير المسك نافعـا الابارجاعه الجهاز الشوكى لحالته الاعتيادية وأوصوا به فى الصرع وذكروا مشاهدات تقوى هذا الرأى . لكن أسبـاب هـذا الداء مختلفة والدواء الواحد لايمكن أن يقاومها كلهـا . على انه قد يوجد فى هذا الداء آفات تتجدد أدوارا وهى التى

تحرض التشنجات فيستطيع المسك أن يمنع ظهورها . ثم انه يوجد فى هذا الداء آفات دائمة لايعلم هل مجلسها فى المخ أو على مسير الجبيلات العصبيـة أو فى القلب . وذلك لأن نوبات الصرع يحفظ دوامها التهاب مخى جزئى أو درن فى اللب المخى أو فى جبيـل عصبى أو تيبس أو تنوع مرضى آخر فى جزء من هذا اللب أومن هذه الجبيلات أوضخامة فى البطـين الايسر أو اتسـاع فى الفوهة الشريانيـة التى ذلك البطـين أو نحو ذلك . والمسك لايقدر على ردشىء من تلك الآفات

وقد منع بعضهم استعماله اذا كانت بنيـة المريض ممتلئـة أى دموية حيث يتوجه الدم فيها بقوة نحو الرأس فيجب قبل استعماله استفراغ الاوعية لتحفظ من العوارض التى قد تحرضها قواعده المنبهة فى الجسم الممتلىء دما وشدة فاعلية

وذكروا انه دواء قوى الفـاعليـة فى الخوريا أى الرعشة مع انه يوجـد فى هذا الداء قوتان تؤثران فى الاطراف فالارادة المخيـة تبقى حافظة لسلطتها فى العضلات فاذا أمرت بشىء انقادت لها هـذه الاعضاء فتحصـل فيها الحركات الارادية وهنـاك قوة أخرى متولدة من التهيج المتعب للب النخـاعى الذى للمخ وسيما النخاع الشوكى فهذه تحرض انقباضات عضلية وهناك عضـلات يلزم بقاؤها فى سكون لكنها تدخل فى الفعل دخولا فى غير محله فحركاتها تكدرو تخرم جميع الحركات التى يريد المريض فعلها فاذا أراد المريض ارسـال كوب لفمـه مثـلا عسر على ذراعـه أن تبتـدىء فى الانثناء بل تنجذب الى الاسفـل أو الى الاعلى أو الجانب بالعضلات التى تنقبض لمعارضة اختيار المريض فخط تلك الذراع عدة انثناءات فيندفع الكوب فى الاتجاهات المتعـارضة جداً قبل أن يصل الى محله المقصود

وكذا هذا الشخص المصاب بالخوريا أو الرعشة اذا أراد أن يمشى فحينما يوجه ساقه الى امام تنقبض عضلات منـه قهراً فتجذب هذه الساق الى الجانب أو تحفظها مثنية على الفخذ فلا يتقدم الرجـل الى الامام لثقل الجسم فيسقط ذلك الجسم على الارض . ويعسر أن تدرك المنفعة التى تحصل من المسك فى هـذه

العوارض أو فى الآفة التى أنتجتها لأنه لا يمكنه أن يعيد تحت سلطة الارادة العضلات لحلها الذى فارقته الا بعد أن يتسلط على السبب الذى حرض انقباضاتها أيقدر المسك على أن يعيد للنخاع حالته الاعتيادية ويعطى للتأثير العصبى سيره الاعتيادى ؟

وذكروا نفعه فى الخوف من الماء فى داء الكلب ولكن ليست المادة المعدية الكلبية هى التى يفسدها المسك كما زعموا وانما تعارض قوته العوارض التى ينتهى الحال بأن تحرضها هذه المادة المعدية فى الجسم الحاوى لها . وبالجملة لم يثبت له عظيم فاعلية فى ذلك

وذكروا نفع استعماله فى الهستريا وان بعض العصبيات التى سقط رحمهن اذا شممن رائحته يرجع فيهن هذا العضو الى محله الطبيعى

وذكروا أيضا ان بعض النساء اذا شممن رائحته يحصل لهن تقلص فى الرحم وتلك حالة مهمة تجعل استعماله صعبا لهن لانه لايعلم من قبل هل تقع المرأة من استعماله فى التقلص ام لا

والخلاصة انه قد ثبت بالمشاهدات فاعليته فى الهستريا كما نفع عند القدماء فى معظم الامراض العصبية كالخدر والفالج واللقوة والرعشة والبلادة والوحشة والخفقان وانه يقوى الحواس ويمنع ضرر الادوية والسموم والمسهلات اذا دخل فيها ويوصل كل دواء الى مايراد منه

وقد يجمع المسك مع نترات البوتاس لتلطيف فعله المنبه بخلافه مع الكافور فانه لزيادة فعله كما هو مع الافيون أو الراتينجيات او البلاسم أو العنبر اوالادهان الضارة او اكسيد الخارصين اوغير ذلك من مضادات التشنج

ويجمع مع الكبريت الذهبى للانتيمون ليزول منه معظم رائحته بدون أن يتخلل تركيبه وأما القرمز المعدنى فيغيره فقط الى رائحة البصل . وجمعه مع روح النوشادر لايقاف الغنغرينا وجعل هذا الجوهر قاعدة لمركبات دوائية وقتية كثيرة كالجلاب المكى لفوليير والمسحوق التونكينى وهو مخلوط من ١٦ قمحة من المسك مع ١٢ من الزنجفر وتلك الكمية تستعمل كلها فى الصين لعلاج داء الكلب وكأقراص وحبوب مسكية نوشادرية مضادة للتشنج ومقوية للقوة

التناسلية . ويستعمل أيضا لتعطير بعض الاشربة الروحية

(مقدار استعماله) مقداره من ٤ قمحات الى نصف درهم حبوبا أومعلقا في جرعة بمساعدة جسم لعابي والمخلوط المسكي يصنع بأخذ غرام من كل من المسك والصمغ العربي والسكر و٤٨ من ماء الورد والاستعمال من أوقية الى أوقيتين في كل ساعتين أو ثلاث ساعات

وقد تنوع الجرع فمن ذلك تصنع جرعة بأخذ أوقية ونصف من مقطر زهر الزيزفون وماء زهر البرتقان ، وأوقية من شراب بلسم طلو و٢٤ قمحة من مسحوق الصمغ و٦ قمحات من المسك ويعمل ذلك حسب الصناعة جرعة تستعمل بالملاعق الصغيرة

والحبوب المضادة للهستريا تصنع بأخذ غرام من كل من المسك وخلاصة الفاليريانا و١٢ قمحة من خلاصة الافيون وتصنع ١٦ حبة (ملخص من المادة الطبية)

﴿ الامساك ﴾ ويقال له القبض يعتري بعض الناس فيمتنعون عن التبرز ٢٤ ساعة أو يومين أو ثلاثة وأكثر وهو ليس بمرض ولكنه عرض ثقيل جداً يسبب أعراضا كثيرة كالكرب والألم في الرأس والثقل فيه والدوار وقلة الشهية وغير ذلك وهو يكثر بين العصبيين وبين الذين يعيشون معيشة جلوسية والذين يكثرون من أكل اللحوم أو الاطعمة المنبهة أو الذين يقتصرون على حمية شديدة أو يشربون أشربة روحية بكثرة أو من يهمل التبرز في وقت الحاجة اليه ويكثر في الحوامل أيضا

(علاجه) يقوم علاجه أولا بجعل وقت معين للتبرز والقيام لقضاء الحاجة في تلك الساعة وان لم يكن هناك ميل للتبرز وذلك لتنبيه وظيفة الامعاء

ومن علاجه ايضاً أن يأخذ حقنة باردة والماء البارد مفيد أكثر من الفاتر لأنه مقو ينبه الامعاء الى حركتها الطبيعية بخلاف الفاتر أو الساخن فانهما يكسبانها خمولا وضعفا . واذا لم يكف وحده يضاف اليه ملعقة من زيت الزيتون أو الغلسرين أو قليل من الملح أو الصابون أو السكر

ومما جرب في الامساك دلك البطن باليد وهو أن يستلقي المصاب على ظهره

قبل خروجه من السرير ويضع على كفه قليلا من الفازلين ليسهل انزلاق كفه على بطنه ثم يأخذ فى دلك بطنه فيتجه من الجهة اليمنى تحت الخاصرة فى خط مستقيم يقطع البطن تحت السرة بقيراطين وهو الموضع الذى يتمدد فيه القولون الذى يحمل الفضلات فيمر بيده ضاغطا على ذلك الخط حتى ينتهى الى الجهة اليسرى ثم ينزل بميل نحو الدائة على خط مستقيم متتبعا سير بقية المعى الغليظ ويكرر هذا العمل مرارا عديدة ثم يدلك بطنه دلكا مستديرا حول السرة ثم يعمد الى الطريقة الاولى ثم يعود الى الثانية وهكذا نحو ربع ساعة ثم ينهض من السرير الى محل الخلاء فيفيده هذا الدلك فى انزال الفضلات وتنبيه وظيفة الامعاء . ولو دأب عليها المصابون بالقبض لوصلوا الى شفاء مابهم من كسل الامعاء وخمولها على شرط ترتيب أوقات التبرز وعدم امساكه متى حدث شعور بالضرورة اليه

فان استعصى الامساك على هذه الوسائل يعتمد المصاب الى وسائل أخرى وذلك بأن يكثر من أكل الخضر والفواكه فيأكل التفاح والكمثرى والخوخ والتين والعنب والبطيخ والشمام والاجاص (البرقوق) وغيرها صباحا وظهرا وعشيا وان يكثر من المشى والتنزه فى الهواء الطلق وأن يقلل من أكل القوابض كالرمان والمجبنيات واللحم والافاويه

واللبن الحليب يفعل فعل بعض الملينات أو المسهلات فيؤخذ كوب منه محلى بقليل من العسل الابيض قبل النوم

ومن الملينات الجيدة فى ازالة القبض الراوند فهو يباع على حالة مسحوق أو اقراص صغيرة فيؤخذ نصف غرام قبل النوم من مسحوق أو حبة من حبوبه فان لم تفد فحبة ونصف أو حبتان فتكون مليناً حسنا فى اليوم التالى مع تقوية المعدة وعدم احداث قبض بعد اللين

ومن العلاجات الحسنة له الصبر والمانيزيا . وفى الصبر عيب وهو أن يجعل احتقانا فى الاوعية الدموية التى حول المقعدة فيسبب البواسير فليجتنبه المصابون بها وكذا النساء المعرضات لامراض حيضية أو لانزفة دموية

ومن الملينات نقيع عرق السوس مسحوقه وهو يباع فى مخازن الادوية فى حقات من الصفيح

من الناس من يبادرون عند كل قبض الى أخذ مسهل وهو خطأ عظيم فان المسهلات تحدث انقلابا عظيما فى أعضاء الهضم وافرازاً كبيراً فى الغدد المعوية لا يعمد اليه الطبيب الا عند الضرورة القصوى فلا يجوز لأحد الناس أن يعتمد على هذه الوسيلة الا بأمر الطبيب الحاذق الحريص على صحة الشخص . والملينات أفضل منها فهى تحدث اللين بدون أن تصيب الوظائف التبرزية بصدمة قوية بل تعمل فعل الاغذية فى البنية فتنبه وظائف التبرز بلطف

ويحسن بنا هنا أن نأتى على مقارنة فعل المسهلات بالملينات ليتبين القارىء فضل الثانية على الاولى فلا يعتمد الا عليها

(تركيب الجواهر الملينة وفعلها ومقارنتها بالمسهلات) للجواهر الملينة مركبات من لعاب وسكر وزيت ثابت وحوامض نباتية . وأما الجواهر المسهلة فهى قواعد مرة وخلاصية وملونة بأملاح

الجواهر الملينة طبيعتها غذائية ومواردها الكماوية كثيرا ماتتسلط عليها القوى الهضمية فتغير طبيعتها وتحولها الى كيموس والجواهر المسهلة ليست قابلة للانهضام ولا يمكن استخدامها فى تركيب القواعد المصلحة للجسم

الملينات ترخى منسوج الامعاء فاذا حصل عقب استعمالها استفراغات ثفلية فذلك لكونها صارت جسما ثقيلا متعبا فتسعى هذه الاعضاء فى التخلص منها سريعا أى بدفع جميع ماتحتوى عليه فى باطنها . ولكن المسهلات تحدث فى الطرق الهضمية تهيجا يثير الحركة الثفلية فى الامعاء والاستفراغات التى تتبع استعمال مسهل يتركب معظمها من أثفال مخاطية ومصلية وصفراوية وهو الذى حرضها

الملينات تفعل على جميع المنسوجات الحية انطباعا مرخيا أو معدلا ولا يتبع استعمالها بكدر أصلا فى التأثير العصبى ولا ينتج أصلا جملة العوارض التى تكون تابعة لافراط الاسهال . وأما الجواهر المسهلة فلها على أعصاب المجموع العقدى وعلى النخاع الشوكى فعل لا ينبغى انكاره فاذا استعملت بمقدار كبير فانها تعطى للتأثير العصبى صفة أخرى وتحدث اعتقالات فى الفخذين والساقين . ثم ان

امتصاص جزئياتها يثير دورة الدم ويرفع درجة الحرارة الحيوانية وغير ذلك

الملينات تستعمل فى الامراض الناتجة من التهيجات والالتهابات وأما الجواهر المسهلة فكثيرا ما تزيد فى قوة هذه الآفات فاذا استعملت الملينات فى الامراض الحادة فانها كما هو واضح تلطف الاحتراق الحى وتقلل شدة العوارض المرضية . وأما المسهلات فاذا استعملت فى هذه الاعراض فانها تزيد فى الحى وتقوى جميع الاعراض وقد استفيدت منافع جليلة من المسهلات فى الاحتقانات الدموية التى تكون فى المخ وفى أعضاء الصدر ونحو ذلك وأما الملينات فاستعمالها فى هذه أقل أن يكون غير نافع والمسهلات تكون قوية الفعل فى الاذيمات الخلوية وأما استعمال الملينات فى ذلك فتعين غالبا على زيادة هذه الاحوال المرضية

﴿ مسّاه ﴾ قال له مساك الله بالخير و (أمسى) دخل فى المساء و (المسَاء) ما بين الظهر الى المغرب

﴿ مشَجه ﴾ يمشُجه خلطه . و (مشِيج ومَشيج) اى مختلط جمعه أمشاج

﴿ المشمش ﴾ يسمى باللسان النباتى (ارمينيا كاولجاديس) وأصله من بلاد الارمن ثم نقل الى رومية وأنواعه كثيرة

(الاقاليم والارض) تنضج ثماره فى شمال فرانسا والارض التى توافق شجر الخوخ توافقه

(تكاثره) يطعم على شجر البرقوق وشجر اللوز وشجر المشمش المتحصلة من البزر

فشجر البرقوق هو الاكثر الاستعمالا وتنتخب منه الاصناف القوية لأجل تطعيمها وشجر اللوز أقل استعمالا من شجر البرقوق لأن المطعم عليه ينفصل منه بسهولة وشجر المشمش جيد لذلك وتطعم هذه الاشجار بالازرار أو التطعيم الاكليلى أو بالتطعيم بالشق

ويزرع هذا الشجر اما فى بستان الفاكهة واما فى بساتين الخضر فيزرع فى بستان الفاكهة فى الهواء المطلق ويعطى له الشكل الهرمى ويزرع فى بساتين الخضر كما يزرع شجر الخوخ فتحصل منه محصولات وافرة

ولاجل ان يعيش الشجر زمنا طويلا

وتتحصل منه محصولات وافرة على الدوام لا ينبغى أن يترك ونفسه بل يلزم تقليمه فى كل شتاء وبدون ذلك يشغطى نحو قاعدته بفروع عديدة سرعة غير لازمة تجذب نحوها العصارة الليمفاوية فتميت معظم فروع هيكل الشجرة والفروع الثمرية فبعد زمن يسير يكون عدد الفروع اليابسة كعدد الفروع الرطبة تقريبا فاذا قرطت قمم الفروع مرتين فى زمن الانبات امتنع بذلك نمو الفروع غير اللازمة التى هى مضرة من وجهين أولهما انها تمتص أغلب العصارة الليمفاوية وثانيهما انه ينشأ عن ازالتها مرض الصمغ الذى هو مميت لشجر المشمش فى الغالب

(تقوية شجر المشمش) هذا الشجر ينتهى بعد مضى ١٦ او ١٨ سنة بأن يصير سقيا فتتجرد فروعه من الفريعات الثمرية وتجف وتنمو الفروع الشرهة السفلى غير اللازمة ثم قطعها كل سنة ينشأ عنه هذا السقم فتى حصل ذلك ينبغى أن يقوى هذا الشجر ولأجل ذلك يكفى أن تقلم فروع هيكل الشجرة نحو قاعدتها فوق النقطة التى بنمو فيها فرع شره فبهذه الفروع الحديثة الشرهة يتكون منها هيكل جديد ويأتى تكرار هذا العمل مرارا متعاقبة اذا اقتضت الحاجة ذلك

(أمراضه) المرض الذى يخشى منه على هذا الشجر كثيرا هو الصمغ ويعالج بالطرق التى أسلفنا ذكرها

(اجتناء ثمارها وحفظها) يجنى المشمش كما يجنى الخوخ ولا يتأتى حفظه رطبا وانما يجفف كالبرقوق بعد نزع عجمه منه فاذا عطن المجفف منه فى الماء ثم طبخ مع السكر حسبما تقتضيه الصناعة تحصلت منه مربى لذيذة الطعم (من كتاب الزراعة لأحمد بك ندى)

(خواصه الغذائية والطبية) المشمش من الفواكه المغذية المولدة للدم ولكن فيه ثقل فيجتنب الاكثار منه

وقد ذكر له أطباء العرب خواص طبية جليلة فقالوا انه ينفع من الحكة واللهب والعطش وهيجان الحارين والحميات المحرقة والبخار المتغير ويفتح السدد ويلين الصلابات ويعدل أمزجة المحرورين بشرط أن يتبع بما يخرجه من البدن بسرعة كالسكنجبين وربوب الفاكهة ومن اتبعه بالماء والعسل وتقيأه أخرج ما فى المعدة من الاحتراقات حتى الكهربائية

والزنجارية وقطع الحمى

وهو يضر المبرودين (يعنى العصبيين) ويضر المشايخ ومن غلب عليه البلغم ويضر المعدة لفساده وحمضه ويولد الرياح الغليظة. ومن فصد بعد أكله شاهد بياض الدم وبذلك يوجب البرص اذا أدمن عليه ولا يجوز فوق طعام ولا على ريق الا بقصد القيء. ويصلحه الانيسون والمصطكى بالعسل فى المبرودين والا فبالسكر. ومما قيل تبين ان الخوخ أجود منه بكثير ويابسه أجود من طريه

ولبه المر حار يابس فى الثانية والحلو حار رطب فى الاولى ودهن كل يفتح السدد وينعم البشرة ويزيل الصلابات والخشونات والآثار والمر يفتت الحصى شربا ويفتح الصمم قطورا. ويسكن مع الافيون كل ضارب لوقته ويقوى فعل المسهلات وليس له بمفرده قوة فى ذلك وأجزاء شجرته باردة يابسة فى الثانية اذا طبخت وشربت أدرت واسقطت الديدان وتحل الاورام نطولا وورقه يقطع الاسهال

من خواصه التركيب فى اللوز والخوخ وكل فى الآخر

وقد ينقع المشمش ثم يضرب ويصفى من نواه ويفرش على ألواح قد دهنت بالسيرج فى الشمس وقد رقق كاللبن فيجف وهو المعروف بقمر الدين

﴿مشط﴾ الشعر يمشُطه سرحه ومثله (مشَّطه) . و(امتشط) مطاوع و (المشط) آلة التمشيط

﴿المُشاقة﴾ ما سقط من الشعر والكتان والحرير عند المشط و (امتشقه) اختطفه واختلسه . و (قدّ ممشوق) أى طويل مع رقة

﴿الماشية﴾ الابل والغنم والبقر جمعها مواش و(المشاؤن) من الفلاسفة هم أتباع أرسطو لأنه كان يحدثهم فى الفلسفة وهو ماش ذهابا وايابا امامهم

﴿المصر﴾ الحاجز بين الشيئين والمدينة جمعه أمصار . و(المصير) المعى جمعه مُصْران وجمع المصران مصارين

﴿مصر﴾ من أشهر أقطار الدنيا وأقدمها ذكراً فى التاريخ وأبعدها عهداً بالمدنية والعلم. موضعها من الكرة الارضية فى الشمال الشرقى من افريقا وهى عبارة عن واد ضيق محصور بين سلسلتى جبال يختلف ارتفاعها بين ٨٠ و ٣٥٠ مترا

وهما سلسلة جبال العرب جهة الشرق وسلسلة جبال ليبيا جهة الغرب ، وخلف هاتين السلسلتين صحراوان تمتد احداهما شرقا الى البحر الاحمر وتسمى صحراء العرب والثانية تتصل بالصحراء الكبرى وتسمى صحراء ليبيا

يحد مصر شمالا البحر الابيض وشرقا بلاد الشام والعرب والبحر الاحمر وجنوبا بلاد النوبة وغربا طرابلس الغرب والصحراء

مساحة مصر (٦٠٠٠٠٠) كيلو متر أى (١٥٠) مليون فدان بما فيها الصحارى . ومن غير الصحارى تبلغ مساحتها (٢٦٠٠٠) كيلو متر أى (٦١٥٨٠٧٧) فدانا . منزرع منها (٥٦٥٠٠٠٠) فدان والباقى أرض قابلة للزراعة ولم تزرع

اما عدد اهلها فيبلغ الآن نحو ١٦مليونا وكان سنة ١٨٠٠ (٢٤٦٠٢٠٠) وفى سنة (١٨٢١) حين أحصاه محمد على باشا (٤٤٧٦٩٤٠) وفى احصاء سنة (١٨٨٢) فى عصر توفيق باشا بلغ (٦٨١٣٩١٩) وفى سنة (١٨٩٧) بلغ (٩٧٣٤٤٠٥) وبلغ فى سنة (١٩٠٧) (١١١٤٣٠٠٠) وقد صار فى سنة (١٩١٧) (١٢٥٦٦٠٠٠) واليك جدولا أصدرته مصلحة الاحصاء عن الاحصاء الاخير لسنة (١٩١٧) فيه تفصيل الاهالى فى المديريات والمحافظات مع مقارنتها بعدد أهلها فى سنة (١٩٠٧)

الزيادة	الاحصاء		الاقسام الادارية	
فى المئة	سنة١٩١٧	سنة١٩٠٧		
٢١،٥	٧٨٥٠٠٠	٦٤٦٠٠٠	مصر	
٢٣،٦	٤٣٥٠٠٠	٣٥٢٠٠٠	الاسكندرية	
٤٧،٥	٩٠٠٠٠	٦١٠٠٠	القنال	المحافظات
٨٨،٨	٣٤٠٠٠	١٨٠٠٠	السويس	
—	٣٠٠٠٠	٥١٠٠٠	دمياط	
٢١،٩	١٣٧٥٠٠٠	١١٢٨٠٠٠	مجموع سكان المحافظات	

الزيادة في المئة	الاحصاء سنة١٩١٧	سنة١٩٠٧		الاقسام الادارية
١٤،١	٨٨٤٠٠٠	٧٧٥٠٠٠	البحيرة	
٧،٦	٩٤٧٠٠٠	٨٨٠٠٠٠	الشرقية	
١٣،٣	٩٧٧٠٠٠	٨٦١٠٠٠	الدقهلية	الوجه البحرى
١١،٠	١٦٤٩٠٠٠	١٤٨٥٠٠٠	الغربية	
٢١،١	٥٢٧٠٠٠	٤٣٥٠٠٠	القليوبية	
١٠،١	١٠٦٨٠٠٠	٩٧٠٠٠٠	المنوفية	
١٠،٩	٦٠٥٢٠٠٠	٥٤٠٦٠٠٠	مجموع سكان الوجه البحرى	
١٠،٩	٩٦٩٠٠٠	٨٧٧٠٠٠	اسيوط	
٧،٧	٢٥١٠٠٠	٢٣٣٠٠٠	اصوان	
٢٠،٧	٤٤٩٠٠٠	٣٧٢٠٠٠	بنى سويف	
١٤،٧	٥٠٧٠٠٠	٤٤٢٠٠٠	الفيوم	
٧،٧	٨٥٤٠٠٩	٧٩٣٠٠٠	جرجا	الوجه القبلى
١١،٨	٥٢٣٠٠٠	٤٦٨٠٠٠	الجيزة	
٧،٥	٨٢٩٠٠٠	٧٧١٠٠٠	قنا	
١٦،٠	٧٥٧٠٠٠	٦٥٣ ٠٠	المنيا	
١١،٥	٥١٣٩٠٠٠	٤٦٠٩٠٠٠	مجموع سكان الوجه القبلى	
١١،٧	١٢٥٦٦٠٠٠	١١١٤٣٠٠٠	المجموع العام (مؤقتا)	

(التاريخ القديم للأمة المصرية) ينقسم التاريخ القديم لهذه الامة الى ثلاثة أدوار: دور الجاهلية ، دور الملكية المصرية ، ودور الحكم اليونانى فى مصر

فأما الدور الاولى فأوله مجهول وينتهى الى سنة (٦٠٠٤) قبل الميلاد . وأما الدور الثانى فيبدأ من سنة (٥٠٠٤) ق م الى سنة (٣٤٨٠) قبل الميلاد وأما الدور الثالث فيبدأ من تلك السنة الى سنة (٣٠) ق م

ثم يلى هذا تاريخها الحديث وهو يبتدىء من سنة (٣٠) حيث استولى عليها المسلمون الى اليوم

(الدور الاول) تاريخ الامة المصرية فى عهد الجاهلية غامض لايعرف عنه شيء كبير وغاية ماعرف ان هذه الامة كانت منقسمة الى قبائل على كل منها رئيس مستقل ثم توحدت هذه القبائل وأوجدت مملكتين احداها فى الوجه البحرى والاخرى فى الوجه القبلى

فى هذا الدور كان للكهنة نفوذ قوى فرتبوا للامة ديانتها ووضعوا لها أسماء آلهتها وكان مقرهم مدينة طيبة وتسمى بالقبطلية أبيدوس هى الآن الخرابة المدفونة الخربة قبلى جرجا بينها وبين البلينا ساعتان

يبدأ التمدن المصرى من سنة (٥٠٠٤) ق م حيث بدأ المصريون يلبسون جلود الحيوانات ويستعملون النحاس والفخار ويتخذون السيوف والمدى والاوانى وينسجون التيل ويصنعون الآجر (الطوب) ويشيدون المبانى ويستخرجون الذهب والفضة ويبنون السفن ويتجرون عليها

(الدور الثانى) يبدأ من سنة (٥٠٠٤) الى ٣٣٢) ق م وهو دور الاسر المالكة او دور الفراعنة . بلغ عدد هذه الاسر (٣١) اسرة ملكت البلاد من اول سنة (٥٠٠٤ الى سنة ٣٣٢) ق م هى ثلاث طبقات

(١) الطبقة الاولى تشمل العشر الاسر الاولى ومدة حكمها ١٩٤٠ سنة

(٢) والطبقة الثانية تشمل السبع الاسر التالية ومدة ملكها ١٣٦١ سنة

(٣) والطبقة الثالثة تشمل الاربع عشرة أسرة الاخيرة ومدتها ١٣٢١ سنة

(الطبقة الاولى) من سنة (٥٠٠٤) الى سنة (٣٠٦٤) أولها الاسرة الاولى من سنة (٥٠٠٤) الى (٤٧٥١) زعيمها الملك (مينا) او (مينيس) تزوج أبوه بأميرة من الوجه البحرى فصار مينا حاكما بالوراثة على الوجهين فأول ماوجه اليه همه اضعاف سلطة الكهنة وتقوية شوكة الملكية وبنى هيكلا للمعبود (بتاح) بقرب الجيزة وحول مجرى النيل من سفح الجبل

الغربى الى بجراه الحالى وبنى مدينة منف أومنفيس وهى الآن ميت رهينة والبدرشين ثم بنى جسراً لوقاية مدينته من النيل يعرف الآن بجسر قشيشة

مات وخلفه ابنه (تيتا) فأسس فى منفيس القصور واشتغل بعلم الطب وعمل مجموعاً للوصفات الطبية توجد الآن بمكتبة برلين

(الاسرة الثالثة) من سنة (٤٤٤٩ الى ٤٣٣٥) ق م كانت فى منف تقدم على عهدها فن النقش والبناء وجر الاثقال بنى فى مدتها الهرم المدرج بسقارة قرب البدرشين بناه الملك (نوسر) الذى تولى سنة (٤٣٨٥) ق م وبنى فى مدتها الهرم الكاذب بميدون أمام محطة الرقة الآن ببنى سويف بناه (سنفرو) آخر ملوك هذه الاسرة وهو أول من بنى السفن الحربية ومن اشهر أعمال هذه الاسرة أبو الهول الباقى للآن بقرب أهرام الجيزة

(الاسرة الرابعة) من سنة (٤٢٣٥ الى سنة ٣٩٥١) بمنف بنى فى عهدها الاهرام الثلاثة الموجودة بالجيزة فبنى الاكبر (خوفو) فى ثلاثين سنة وبنى الثانى (خافرع) ابنه . أما الهرم الثالث فبنى جزءاً منه الملك (من كاورع) وتوجد جثته الآن بدار الآثار بلندن وأتمت بناءه الملكة (نيتوخريس) من الاسرة السادسة

(الاسرة الخامسة) أصلها من جزيرة اسوان (الفنتين) من سنة (٣٩٥١) الى (٣٧٠٣) ق م فى عهدها بنيت اهرام أبو صير بالجيزة. من ملوك هذه الاسرة الملك (رع أُسُران) صاحب المقبرة الشهيرة بجهة سقارة ثم الملك أوناس وله هرم بالجنوب الغربى للهرم المدرج بسقارة

(الاسرة السادسة المنفية) من (٣٧٠٣ الى ٣٥٠٠) ق . م أشهر ملوكها مرى — رع الذى حارب النوبة وليبيا واستولى على طور سيناء وجعل لمصر شهرة عظيمة . وخلفه ابنه (مرترع) الاول فغزا النوبة واحضر منها أسلابا كثيرة ثم الملك (نفر — كا — رع) الذى حكم مصر مائة سنة ، حافظت فيها على رونقها ومجدها بوقام بعده (مرترع) الثانى وقد وقعت ثورة بعد سنة من حكمه قتل فيها . ثم خلفته زوجته (نيتوكريس)

قال هيرودوت : « ان نيتوكريس لما تولت ، دبرت مكيدة لقاتلي زوجها فعملت سردابا يوصل بين حجرة،أعدت فيها وليمة فاخرة ، وبين النيل ، ثم دعت قاتلي زوجها وبينهم فى تلك الحجرة ، اذ فتحت طريق السرداب من النيل فدخل ماؤه الى الحجرة وأغرق من فيها». وهى التى أتمت بناء الهرم الثالث بالجيزة . وقد أعدت لنفسها مدفنا بأعلى الحجرة التى دفن فيها الملك(منقرع) قبلها بخمسمائة سنة

(الاسرتان السابعة والثامنة المنفيتان والاسرتان التاسعة والعاشرة الاهناسيتان من سنة ٣٥٠٠ الى ٣٠٦٤) ق م لا يعلم شىء يذكر عن هذه الاسر

قال لبسيوس المؤرخ عن الطبقة الاولى: « انه فى زمنها كثر على الآثار اسم (اوزيريس) والتوسل اليه ، وأتقنت صناعة التصوير وامتازت الصور باعتدال القامة واستدارة الوجه واشراقه . وكان القوم فى ذلك العهد يُعْنون بالكتب فجعلوا لها دوراً ومراقبين،واهتموا بعمل التقاويم السنوية فبينوا فيها وقت شروق الكواكب وغروبها ولاسيما الشعرى اليمانية التى كان ظهورها علامة على زمن الفيضان ورأس السنة »

الطبقة الثانية من سنة (٣٠٦٤ — ١٧٠٣) ق م

(الاسرة الحادية عشرة الطيبية)

من سنة (٣٠٦٤ - ٢٨٥١) ق م

من أشهر ملوكها (منوحُتِيبْ الثالث) الذى له صورة فى جزيرة الكنوز وهو منتصر على أمم أجنبية يقاتلها . وله وقائع منقوشة باتقان فى وادى الحامات بمديرية قنا ، كان هذا الملك يخص بالعبادة الاله خِمْ معبود مدينة قفط

وفى دار الآثار المصرية لهذه الاسرة أسلحة وآلات للصاعة وجدت بجهة ذراع ابى النجا

(الاسرة الثانية عشرة الطيبية) من سنة (٢٨٥١ الى ٢٦٠٠) ق م

دخلت هذه الاسرة فى دور جديد من الوحدة بعد أن كانت مقسمة بين أمرائها . فلم يكن لملك مصر غير السلطة الاسمية . فلما حكمت هذه الاسرة كسرت شوكة الامراء وكان أول من ملك منها (آمن — ام — هَتْ) الاول الذى انتصر على قبائل واداى — الذين

كانوا العدو الالد للمصريين وأسر قبيلة المتاثيو بصحراء ليبيا وأعاد لمصر مجدها وكان لهذا الملك هرم فى اللشت ، وكتاب تداولته المدارس القديمة لعظيم فائدته

(الملك اوسرتسن الاول) هو صاحب المسلة القائمة الآن بعين شمس البالغ ارتفاعها ٢٨ر٣٠ متراً ، والمكتوب على كل من جوانبها الاربعة بالقلم الهيرو غليفى الالقاب الآتية : « ان هوروس الشمس ، حياة المولودين ، ملك الوجهين القبلى والبحرى خبر كارع ، سيد التاج المزدوج ، حياة المولودين ، ابن الشمس ، اوسرتسن ، صديق أرواح أون ، الخالد ، الاله هوروس ، الذهبى ، المولود من الاله الكريم خبر ـ كارع ، هو الذى صنع هذا الاثر فى أول السنة الثلاثين لحكمه الخالد الى الابد » . وكان بجانبيها مسلة أخرى سقطت فى أواخر القرن الثالث عشر وقد كان أمام المسلتين هيكل الشمس المشرقة المسمى (توم) ووجدت للملك المذكور مسلة ثالثة ووجدت قرية ابجيج بالفيوم أقامها تعظيما لمعبودات ذلك الاقليم : ويعد هذا الملك من المؤسسين الاول لمعبد الكرنك بطيبة ، وله هرم فى اللشت

(أوسرتسن الثانى) كانت مصر فى عهده محافظة على مجدها . من آثاره هرم اللاهون (بالفيوم) المقامة بجواره مقبرة التماسيح . وللملك المذكور مقبرة بالمنيا بناها له خنوم ـ هتب بجوارها الآن بلدة بنى حسن ، وعليها نقوش تدل على احكام الوراثة فى ذلك العصر ، وعلى أن (خنوم ـ هتب) كان قريب الملك وواليا على المنيا ، وعلى انه أصلح هذا القسم وأحيا اسم والده نهيرى الذى كان واليا قبله ، وعلى انه شيد المعابد وأقام بها التماثيل ورتب لها مايلزم للقرابين وعين لها كاهنا أقطعه الملك أراضى كثيرة فرتب للاموات الصدقات فى جميع الاعياد المشهورة ، وعلى قبر (خنوم هتب) المذكور رسوم دالة على كيفية الفلاحة وأعمال العسكرية وألحان الموسيقى وتربية المواشى ، وبعض قواعد الاحكام وتدبير المنزل ، وفيها صور طقوس دينية تاريخية وملاحظات على الملاحة وعلم الحيوانات

(اوسرتسن الثالث) كان هذا الملك صاحب عزم وحزم نال بهما شهرة

عظيمة فعبده الناس بعد وفاته . من أعماله أنه أرسل جيشاً لمقاتلة النوبيين قصد توسيع مملكته . وشيد فى وادى حلفا ، بالقرب من الشلال الاول . قلاعا واستحكامات وأقام حجرين كحد فاصل بين مصر والنوبة مكتوبا على أحدهما : «هذا حد مصر الجنوبى وضع فى السنة الثالثة من حكم الملك أوسرتسن الثالث المخلد الذكر . لا يجوز لاى اسود كان أن يتجاوز هذا الحد أثناء سفره الا اذا كان فى سفينة تقل حيوانات من بقر وغنم وحمير من قبل بنى الاسود.» ولهذا الملك هرم فى دهشور بجنوب سقارة وقد عرف الناس قدره فعدوه حامياً لمصر ورجلا مقدساً . وبعد مضى خمسة عشر قرناً من تاريخ موته أى فى عصر الاسرة الثامنة عشرة شيدله توتمس الثالث معبداً فى سمنة كتب عليه أدعية كان المصريون يتغنون بها فى ذلك الزمن

(آمنْ – آم – هَتْ الثالث) . هو ابن الملك السالف شيد العمارات الفخمة فى الفيوم . ولما رأى ان النيل يفيض بكثرة فى بعض أيام السنة ويتناقص فى البعض الآخر اهتم بخزن مائه وقت الفيضان ، فى أرض منبسطة بالفيوم ، أحاطها بجسر سماه (ميرى) أى بحيرة وقد أطلق اليونان عليها اسم (موريس) . وكانت تلك البحيرة اذا طفحت وقت الفيضان يتصرف ماؤها الزائد فى البحيرة الطبيعية المعروفة ببركة قارون : وقال هيرودوت : «ان فى داخل مسطح البحيرة كانت مشيدة (مدينة كروكودوبوليس او ارسينو (مدينة الفيوم) وكان فى وسط البحيرة هرمان عظيمان يعلوهما تمثالان أحدهما تمثال الملك والثانى تمثال زوجته المسماة سبك نفورا» . زعم بعضهم ان القاعدتين العظيمتين الموجودتين بجهة بِيَهْمو (بالفيوم) ربما كانتا قاعدتى الهرمين المذكورين وزعم غيرهم انهما آثار موردة لشحن وتفريغ المراكب المارة بالبحيرة حيث هناك سلالم بتمثالين . وقد وجد رسم هذه البركة فى صحيفة بردية محفوظة بالمتحف المصرى . ومن أعمال هذا الملك المدينة الشهيرة التى لغرابتها ظنتها المؤرخون القدماء قصراً واحداً وسموه (لابيرانته) وهى لفظة مصرية أصلها (لابور – اهونت) اى معبد فم البحيرة

وكان يجتمع فى قسم منها كبار المملكة وحكامها بأمر الملوك ، ويتداولون فى شؤن المملكة . وقد أقام ذلك الملك بجوار هذه المدينة هرم (هوارة المقطم) ، وله آثار فى وادى الحامات يؤخذ منها انه استخرج المعادن وأخصها الفيروزج من طورسيناء

(الملكة سبك - نفرو) زوجة الملك السالف واخت الملك (آمن - آم - هت الرابع) ، وتولت الملك بعد أخيها

مما تقدم يعلم ان مصر فى عهد حكم هذه الاسرة كانت سائرة فى طريق الرقى فانتظم فيضان النيل ، وأزهرت المدارس

(الاسرة الثالثة عشرة الطيبية) من سنة (٢٦٠٠ الى ٢٣٩٨) ق م

يطلق على معظم ملوك هذه الاسرة لقب (سَبَكْ هُتَبْ) و(نُفِرْ هُتَبْ) وجدت أسماء ملوكها مرتبة فى جدولين على ورقة تورينو ، وعدتهم سبعة وثمانون ملكا

حافظت مصر فى عهد هذه الاسرة على مدنيتها ، كما دلت على ذلك الآثار التى وجدت فى جزيرة (ارجو) بجوار دنقلة وفى جهة (صان)

وقال مريت باشا عن هذه الاسرة :
«ان آثارها توجد جهة الكاب (جنوبى اسنا) وجهة اسيوط »

(الاسرة الرابعة عشرة السخوية) من سنة (٢٣٩٨ الى ٢٣١٤) ق م

لم يعرف شيء عن كثير من ملوكها أما آثارها ففى مديرية اسيوط . قال ماسبرو: «ان انقراض هذه الاسرة نشأ من فتنة ضد آخر ملك لها »

(الاسرة الخامسة عشرة) طيبينوعربية من سنة (٢٣١٤ الى ٢٠٠٥) ق.م

ينقسم ملوك هذه الاسرة الى قسمين : وطنيين تاريخهم مجهول حكموا الوجه القبلى وجعلوا عاصمتهم طيبة . وأجانب وهم العرب المعروفون بالهكسوس حكموا الوجه القبلى واتخذوا مدينة (اواريس) قاعدة لهم ثم جعلوا عاصمتهم مدينة صان

أغار العرب على هذه البلاد وانتشروا فى أنحائها وأخذوا يحرقون المعابد والقرى وينهبونها ، وعلى ذلك هاجر الامراء الوطنيون الى الوجه القبلى ، وحكموا هنالك

فى مدينة طيبة ، وأصبح الوجه البحرى فى قبضة العرب فبنوا لهم ملكا اسمه (سلاطيس) واتخذوا (منف) مقراً لهم ثم قام بعد سلاطيس خمسة ملوك خافوا من الامراء الوطنيين فاتخذوا مدينة اواريس قاعدة لهم . وقد كان المصريون يمقتون العرب ويصمرون لهم العداء

(الاسرة السادسة عشرة) العربية من سنة (١٠٠٠ الى ١٧٥٠) ق م

أثار ملوك هذه الاسرة حربا عوانا على المصريين فأخذوا منهم الجزء الشمالى للوجه القبلى وأعقب ذلك وفود كثيرين من السوريين والعرب الى مصر

جلبت هذه الاسرة الخيل الى مصر ومن ملوكها (رع — كا ن) وهو المعروف عند العرب (بالريان بن الوليد) قال بعض المؤرخين : « انه فى مدة هذا الملك وفد على مصر جماعة الاسمعيليين الذين شروا يوسف الصديق من اخوته وباعوه الى فوطيفار رئيس شرطة مصر فأتى بيوسف الى منزله فبهر حسن يوسف زوجة فوطيفار فراودته عن نفسها فأبى، فتسببت فى سجنه ، وكان السجن يومئذ فى الجهة الشمالية لسقارة بالقرب من هرم (بى) وتعرف للآن « بسجن يوسف »

ويقول بعض المؤرخين ان مجىء بنى اسرائيل من أرض كنعان الى مصر كان بعد طرد العرب منها ، أى فى مدة الاسرة الثامنة عشرة الوطنية ، حيث أقام يوسف بمدينة منف وتسلط على سائر البلاد فى أيام الملك توتميس الذى تولى بعد طرد العرب

وقد انقرضت هذه الاسرة العربية بسبب الحرب التى أثارتها المناقشات الدينية بين ملوكها وبين الوطنيين من أمراء الوجه القبلى وجلس (تا — آ) الاول على سرير الملك، وأسس في الصعيد الاسرة السابعة عشرة

الاسرة السابعة عشرة — طيبية وعربية — من سنة (١٧٥٠ الى ١٧٠٣) ق م.

كانت مصر فى عهد هذه الاسرة تحت حكم حكومتين : وطنية قاعدتها طيبة ، وعربية قاعدتها اواريس . ولما تولى الملك (تا — آ) شهر الحرب على العرب ، وبمساعدة الامراء له طردهم تدريجا ، وقام خلفاؤه بعده فجدوا فى حربهم طلبا لاستقلال مصر فلم يبق لهم

الا معسكرهم الحصين فى اواريس. واخيرا تغلب عليهم الملك (احمس) الاول وطردهم نهائيا ، فلم يبق الا النفر اليسير منهم . ولم تزل ذريتهم (البشامرة) تقطن شواطىء المنزلة محترفة صيد السمك وقنص الطيور وهكذا انتهت الطبقة الثانية على أحسن حال

(الطبقة الثالثة) من سنة (١٧٠٣ـ ١٤٦٢) ق م

(الاسرة الثامنة عشرة الطيبية من سنة ١٧٠٣ ـ ١٤٦٢) ق.م

ظهرت هذه الاسرة بمظهر القوة فانفردت بالسلطة ، فانسعت مصر وزادت ثروتها وسميت امبراطورية وأول براطرتها آح ميس (احميس) ، ويسمى أيضا اوازيس وهو الذى قام بجيشه وحاصر قلعة اواريس براً وبحراً (كما ذكرنا) ففتحها وطرد العرب مقتفيا اثرهم الى نهر الفرات بأرض الجزيرة (ما بين النهرين) ، فخلص مصر منهم بعد ان ملكوها خمسمائة سنة . ثم اصلح هذا الامبراطور المعابد المتداعية للسقوط ، واستخدم أسرى العرب فى نقل الاحجار من (طرة) وأصلح معبد بتاح) بمنف ومعبد (آمون) بالكرنك وهدم قلعة اواريس ، وهجر مدينة صان وقد وجدت جثته بكنز بالدير البحرى.

(تحوتمس) او(توتميس) الاول اى ابن توت . تغلب على بلاد النوبة واتيوبيا ـ وكانت تلك البلاد تصدر لمصر الحيوانات والحبوب والجلود والعاج والاخشاب والمعادن ولا سيما الذهب ثم غزا توتميس العرب بفلسطين وأرض كنعان ووصل الى نهر الفرات : ولهذا الملك عمارات كثيرة ومسلة توجد فى معبد آمون بالكرنك

(الملكة هاتاسو) هى ابنة توتميس الاول . أقيمت وصية على أخيها القاصر توتميس الثالث فتولت الحكم وشرعت فى تشييد الهياكل وتعيين القرابين والصدقات لها . وكانت تحكم بلاد الشام والنوبة . بنت مراكب حربية وأرسلتها الى البحر الاحمر للاستيلاء على بلاد بونت (اليمن والصومال) . فسلم أهلها بدون قتال . ثم أسست معبد الدير البحرى فى مدينة طيبة . وكتبت على جدرانه قصة غزوتها لبلاد البونت ، ومن أعمالها أيضا أنها أنشأت معامل لصنع الزجاج وأقامت مسلتين بمعبد الكرنك ، ولم تزل

واحدة منها الى الآن مكتوبا عليها: «ان الملكة هاتاسو اقامتها لتخليد ذكر والدها توتميس الاول» ولما بلغ اخوها سن الرشد أشركته معها في الحكم وماتت بعد أن حكمت معه مدة ٢١ سنة

(توتميس الثالث) هو من أعظم ملوك مصر امتنع في بدء حكمه اهل الشام عن دفع الجزية ، وخرج عليه أغلب سكان آسيا فهزمهم شر هزيمة وفتح الشام ووصل الى (نينوى) ببلاد الجزيرة وقهر بلاد النوبة ونقش انتصاراته على جدران هيكل الكرنك وعلى حجر محفوظ بالمتحف المصري وفيه صورته أيضا وبنى اسطولا عظيما كانت له السيادة على الجزء الشرقي من البحر الابيض . وفتح بمساعدة هذا الاسطول جزيرة قبرص والاناضول (آسيا الصغرى) فاتسع نطاق التجارة وعاش المصريون في عهده عيشا رغداً وأقام مسلتين في عين شمس احضرتهما الملكة كليوبطرة سنة ٤٤ ق . م الى الاسكندرية فسميتا باسمها

مات توتميس الثالث سنة ٤٤ من حكمه بعد أن نشر العلوم والمعارف وأنشأ معامل الزجاج والفخار وقد كان عصره من أعظم العصور لمصر ، وجثته محفوظة بالمتحف المصري

(آمن - حُتِبْ) او امنوفيس الثالث لما صعد على سرير الملك كانت مملكته تمتد من أعالي الفرات الى الشلال الرابع ، واشتهر في الاقطار وأسماه اليونان (ممنون) . وفي عصره اشتدت الفتن في الشام فأطفأها بحسن التدبير والسياسة وكان ماهراً في صيد الاسود، يعرف ذلك من النقوش المرسومة في هيكل الاقصر وفي صخور بالقرب من جزيرة فيلي أو فيليا . ولهذا الملك آثار عظيمة منها هيكل للمعبود (مُوت) زوجة آمون، وأنشأ أيضا على شاطىء النيل الايسر تجاه الاقصر معبدا كان هذا المعبد من أعظم الآثار المصرية ولم يبق منه الآن الا التمثالان الكبيران الموضوعان على يمين ويسار الداخل الى المعبد ، يمثل كل منهما صورة الملك ، ويعرفان (بشامة وطامة) . ويعرف التمثال الموجود في الجهة البحرية عند الافرنج باسم (ممنون)

(آمن - حُتِبْ) او (آمنوفيس) الرابع

كان هذا الامبراطور قبل توليه

الملك عابداً للشمس وكاهنا لها ، فلما تولى حمل الناس عن عبادتها ، ورفض غيرها من سائر المعبودات ، وسمى نفسه (خوت ـ ان ـ آتن) اى نور قرص الشمس ، وصار يمحو أسماء أجداده المذكورة مع اسم المعبود (آمون) لبغضه له . وقد سرى اليه هذا المعتقد من أمه (تاهى) التى كانت تقدس الشمس ، وأمر هذا الملك بتخطيط مدينة جديدة بمحل تل العارنة قرب المنيا على الشاطىء الشرقى للنيل . وجعلها قاعدة للحكومة بدلا من مدينة طيبة التى فيها المعبود آمون ، ونقل الى مدينته الجديدة تمثال قرص الشمس فى معبد بناه لها وصارت الديانة الشمسية شعاراً له ولمشايعيه ، ومع ذلك كان محافظا على بلاده جريا على عادة اجداده . ومن آثاره هيكل ومسلة بطيبة مات عن غير وارث فتولى بعده خمسة ملوك ، قامت فى مدتهم فتن عظيمة فى أنحاء البلاد بسبب تغيير الديانة وتعداد أحزابها ، وأخيراً قام الاهالى ودكوا هيكل الشمس وخربوا المدينة الجديدة وأحرقوا جثة الملك . فضعف المصريون لكثرة المنازعات بينهم ، وعلى ذلك طمعت فيهم الامم الاخرى وخرج من طاعتهم اهل آسيا وسورية وانضموا الى الحيتاس

(الاسرة التاسعة عشرة الطيبية) من سنة (١٤٦٢ـ١٢٨٨) ق . م .

اجتهد ملوك هذه الاسرة فى اخضاع امارات آسيا ، حتى انه لما تولى (سيتى الاول) ابو الملك رمسيس الاول خف الى الاعمال التافهة ، وعزز جانب المملكة المصرية ، مقتديا بجده توتميس الثالث ، فهجم على سكان آسيا الغربية ، وتوجه بجيشه الى فلسطين و حارب الخيتاس فتغلب عليهم ولكنهم استمروا على العناد حتى ارتبط معهم بمعاهدة . وشيد جزءا كبيرا من معبد الكرنك اسمه «ايوان الالة العمود» كما شيد هيكلا فى العرابة المدفونة ، وهو الذى رسم لاول مرة في التاريخ الخرائط الجغرافية المعروفة ، ووصل نهر النيل بالبحر الاحمر ، بواسطة ترعة حفرها من تل بسطة (الزقازيق) متجهة نحو الشرق فى وادى الطميلات (رأس الوادى) الى ان تصب فى البحيرات المرة ، وفتح طريقا للقوافل من قرية رداسية (باقليم اسنا) الى معبد الذهب الموجود

بجبل اتوكى ، ولهذا الملك قبر فى بيبان الملوك ، امامجثته فمحفوظة بالمتحف المصرى

(رمسيس الاكبر) وهو (رمسيس الثانى) يسميه اليونان سيزوستريس (١٤٠٠ - ١٣٣٩ ق م)

كان اكبر ملوك مصر سطوة وجاها واعظمهم قوة وبأسا . وضمه ابوه وهو فى سن الطفولة على حجره فأدى له الشعب التحية والاكرام . وكان أبوه يستصحبه فى الحفلات الرسمية يعلو هامته تاج صغير من الذهب . ولما قصد صحراء ليبيا فى احدى غزواته استصحبه وهو فى العاشرة من عمره

تولى رمسيس الاكبر فتمرد عليه سكان شمال سورية فهزمهم فى أرض الآموريين ونقش حوادث انتصاراته فى مسلة منصوبة على شاطىء «نهر الكلب» شمال (بيروت) وقد عصاه ايضا قبائل الخيتاس وكان وكرْكيش التى يخترقها نهر الفرات ، زحفوا عليه حتى وصلوا الى وادى الاُرُنط (نهر العاصى) المار بمدينة حماة وانطاكية ، فبرز رمسيس لمحاربتهم بالقرب من قادش واذ ضل وجيوشه الطريق شعر بالخطر الذى احدق به فعقد مجلسا من قواده ومالبثوا أن هجم عليهم الاعداء فلاذ معظم جيشه بالفرار وبقى رمسيس منفردا ، فأنقض بعربته عليهم - بعد ان تضرع الى المعبود آمون - وخاض غمار القتال على مرأى من أتباعه ، فأحاط به الفان وخمسمائة عربة فى كل منها ثلاثة محاربين ، فهزمهم شر هزيمة (كذا) فاضطربت قلوبهم وخرج رمسيس من وقعة قادش او وقعة الخيتاس رافعا راية الغلبة . ثم جمع جيوشه ووبخهم

وبعد قتال وحروب دموية دامت ١٦ سنة بين رمسيس والخيتاس ، سألوه الصلح وعقدوا بينهم معاهدة . ثم سار رمسيس بجيشه الى بلاد اتيوبيا وفتحها وحمل منها شيأ كثيرا من الذهب والعاج وريش النعام . وبنى اسطولا كان له السيطرة على البحر الابيض والبحر الاحمر وبحر الهند وجزائره ، حتى ان اهالى افريقية كانوا يؤدون الجزية لمصر من الذهب وخشب الآبنوس ومن الفيل ومن فرس البحر وجلده والحيوانات النادرة الوجود ، كذلك بلاد العرب فانها كانت تؤدى لها الذهب

والفضة والحديد والنحاس والمر والبخور ومثلها بلاد الهند فانها كانت تبعث اليها بالحجارة الكريمة والمواد المعدنية والاقمشة الثمينة وبعد ذلك شرع رمسيس فى اقامة المبانى والآثار بكل مدينة . فبنى هيكل الرمسيوم بطيبة وهيكل أبُسُمبل (بالقرب من مدينة كروسكو) ومعبد الكرنك والاقصر وابيدوس ومنف وتل بسطة . ونصب مسلتى الأقصر . ونشر العلوم والفنون والزراعة حتى بلغت مصر فى الحضارة شأواً بعيدا . وقد جعل بعد ذلك اقامته فى مدينة تانيس (صان) . وسخر بنى اسرائيل فى بناء مدينتى رمسيس (رعمسيس) وبيتوم (هيروبوليس) بأرض جاسان . وأمر بأن تقاس أراضى مصر فقيست بالسهم والقيراط والفدان . وكان له جدول فيه أسماء المشهورين من أجداده . ومجموعة بَردية كتاريخ للممالك التى فتحها وبلغت اثنتى عشرة مملكة وقد نظم (بنتاؤر) الشاعر المصرى الشهير قصيدة منقوشة على معبد الكرنك وعلى غيره من المعابد الشهيرة امتدحه بها لتشجيعه العلوم ومحبته لابيه . وكان رمسيس بطلا مهيبا تقيا ورعا مات بعد ان حكم ٦٧ سنة ودفن فى بيبان الملوك وخلفه (مَنَفْطا) وهو الثالث عشر بين أبنائه . وقد وجدت جثة رمسيس الاكبر بكنز الدير البحرى بعد أن أعتدت عليها أيدى اللصوص فسلبتها تاجها وصولجانها وبعد أن ظلت محجوبة نحو ثلاثة آلاف ومائتى سنة . وهى الآن بالمتحف المصرى

(مر - إن - بتاح) ومعناه محبوب بتاح ؛ ويسمى ايضا (منفطا الاول) وهو لقب جده (سيتى الاول)

تولى منفطا وله من العمر ستون سنة وفى أيامه أغار الليبيون على مصر من جهة الغرب ، والخيتاس من جهة الشرق قاصدين فتح الوجه البحرى ، فأقام منفطا الاستحكامات على ضفة فرع رشيد . وأرسل طائفة من جيشه الى مواقع العدو . وبينما هو كذلك اذ رأى فى المنام معبوده (بتاح) يقلده سيفا ويأمره بأن يبرز الى ميدان القتال بنفسه فامتثل وكسر الاعداء فى حرب حى وطيسها . وقصة هذه الوقعة ترى منقوشة على معبد الكرنك . ولهذا الملك عمارات وآثار بطيبة ومنف . وله مقبرة ببيبان الملوك . وقد عثر على

جثته المستر لورت سنة ١٨٩٩ م . فى قبر أمنوتب الثانى بطيبة، قال بعض المؤرخين ان خروج بنى اسرائيل من مصر على يد موسى عليه السلام كان فى حكم (منفطا الاول) وقال غيرهم بل كان ذلك فى حكم ابنه (سيتى الثانى)

سيتى الثانى : ـ هو ابن منفطا الاول وكان ناذراً نفسه لثالوث طيبة « آمون، وزوجته موت ، وابنهما خنسو » فبنى محرابا فى معبد الكرنك وقبرا فى بيبان الملوك وفى آخر أيامه نازعه الملك رجل اسمه « سيتاه او امنميس » فاختل الامن وسادت القلاقل ومات سيتى بعد أن حكم سنتين ، وقد عثر على جثته فى قبر امنهوتب الثانى بطيبة فانفرد الولاة كل بولايته ، ومن ثم كثر وفود الاجانب على مصر

الاسرة العشرون الطيبية من سنة (١٢٨٨ ــ ١١١٠) ق . م

عدد ملوكها اثناعشر ملكا، أطلق كل منهم على نفسه اسم رمسيس . وأول هؤلاء الملوك رمسيس الثالث وهو من اعظم ملوك مصر حفلة تتويجه ترى منقوشة على اسوار مدينة (آبو) بطيبة . ولما تولى وطد دعائم الامن فى البلاد وبعد ثلاث سنين هاج الليبيون فأخضعهم . ثم سار أهل سورية باتحادهم مع بعض القرصان (لصوص البحر) اذ ذاك من شواطىء آسيا الصغرى وشواطىء كريت وهجموا على الوجه البحرى . فقابلهم رمسيس الثالث بأسطوله العظيم وكسرهم على شواطىء سورية وأغرق سفنهم وأسر كثيرا منهم. وهذه الوقعة ترى منقوشة فى الرواق الاول من معبد (آبو) . ثم بنى رمسيس سورا بالقرب من السويس لحماية مصر . وأمر بزيادة القرابين لآمون ، وبعث بالسفن الى بلاد بونت لجلب البضائع ، وأرسل تجريدات الى سيناء فأخضعها وحصلت مصر فى مدته على شىء من الراحة فاشتغلت بالتجارة والزراعة والصناعة ومات رمسيس الثالث بعد أن حكم ٣٢ سنة ودفن ببيبان الملوك ، وتابوته وجثته محفوظة بالمتحف المصرى

رمسيس الرابع : ـ هو ابن رمسيس الثالث وكان عهده عهد سلام فزار معظم مدن مصر وكان مغرما بالعمارات فشجع المهندسين وقربهم منه والنقوش الموجودة فى وادى الحمامات تدل على ذلك كله

تدل على انه كان يستخرج من هناك حجر الجرانيت «الصوان» والرخام السماقى وله قبر بيبيان الملوك منقوشة فيه أدعية وابتهالات للمعبودات . ومات رمسيس الرابع بعد ان حكم احدى عشرة سنة وقد وجدت جثته فى قبر امنهوتب الثانى بطيبة وهى محفوظة بالمتحف المصرى

ومن أشهر خلفائه رمسيس السادس فانه كان فلكيا ماهراً ، وكانت له المؤلفات النفيسة فى علم الزراعة ، وقد وجدت جثته بالدير البحرى . اما باقى ملوك هذه الاسرة فلم يشتغلوا بالحروب ، وتركوا السياسة للكهنة . وانغمسوا جميعا فى الترف والبذخ . فضعفت لذلك شوكتهم وزالت هيبتهم . وقد أنشأ « هر — هيرو » رئيس كهنة آمون حزبا مضادا لحزب الرمسيسيين فتفرقت كلمة المصريين وانتهى «هر — هيرو» هذا بأن انتزع السلطة من رمسيس الرابع عشر وجعلها فى قبضة الكهنة

(الاسرة الحادية والعشرون) الطيبية والتانيسية من سنة (١١١٠ ــ ٨٩٠) ق.م : رأس (هر ــ هيرو) حكومة طيبة ولما كان ذلك بغير حق شرعى ساءت الاحوال وفقدت مصر كثيراً من مستعمراتها . ومما زاد الحال اضطرابا ان قبض (هر — هيرو) على من بقى من الرمسيسيين — وعددهم أربعة أمراء — ونفاهم الى الواحات . ولما مات هر — هيرو تولى ابنه الكاهن بيانخى ، الذى لضعف عزيمته كثرت الفتن واختل الأمن حتى نبشت القبور. وخلف بيانخى ابنه الكاهن بنيوتم او بنيوزم وفى أيامه هجم على مصر نمرود (ملك آشور) بجيش جرار وانتزعها منه وأدخلها تحت حكمه سنة ٩٨٠ ق.م. ولما مات نمرود ودفن بالعرابة المدفونة وخلفه ابنه الملك (ششنق) فى حكم مصر وآشور

وأما ملوك تانيس فقد قال عنهم العلامة ماسبرو : « انه لما أراد هر ــ هيرو حصر الملك فى أسرته عارضه سكان الوجه البحرى وأقاموا سيمنتو ــ ميامون ملكا عليهم فاتخذ مدينة تانيس قاعدة لحكومته ونفى بعضا من الكهنة الى اتيوبيا ولكن الاتيوبيين لضعفه وضعف خلفائه الاربعة خرجوا عن طاعة مصر واستقلوا تحت حكم كاهن قبطى من نسل (هر ــ هيرو)

ثم التجأ ملوك تانيس الى الدولة الآشورية وصاهروا ملوكها ، فانتقصوا عليهم البلاد الموالية لهم ونشأ عن ذلك ضعف المصريين وتملك الآشوريين

(الاسرة الثانية والعشرون البسطية):
(أشورية) (٩٥٠ــ٨١٠ق م) ــ :

قاعدتها مدينة بسطة المعروفة بتل بسطة جنوبي الزقازيق . وأول ملوكها « ششنق » ولد هــذا الدجــل في مصر ولذلك احترم معبوداتهم غزا أرض فلسطين وقصد اورشليم بألف ومئة عربة وستين الف فارس ، وقاتل رحبعام بن سليمان عليه السلام ونهب الاموال الفضية الملكية وسلب الترس السليمانيــة الذهبية ، وقد رسمت هذه الحادثة على السور القبلي من معبد الكرنك كما رسمت عليه صورة ملك يهوذا موثق اليدين ، ثم شاد ايوانا قبلي هيــكل رمسيس الثالث يسمى « ايوان البيلطسة » . ومات بعــد ان قطع دابر نابشى القبود وبعد ان حكم ٢١ سنة . ثم خلفه (اورسوركون أو اسرخان) فحارب مملكة يهودا ، ولما التقى علكها في «وادى صفد » وقع الرعب في قلبه فمات وخلفه ابنه (تاكلوت) الذى لم يقف له التاريخ على أثر . وقد كانت ضعفه وضعف الملوك الآشوريين باعثا الى استيلاء جماعة من التانيسيين المصريين على المملكة

الاسرة الثالثة والعشرون التانيسية
من سنة (٨١٠ ــ ٧٢١ق.م)

أول ملوكها (بتسوباستيس) حكم الوجه البحري وأخذ في تقوية المملكة ونزع طيبة من الاتيوبيين ودام حكمه أربعين سنة وقام بعده أربعة ملوك وكانت أيام هذه الاسرة أيام مشاغبات وتحزبات فانقسمت مصر الى ولايات صغيرة ، أما مستعمراتها فانها استقلت بالحكم .

الاسرة الرابعة والعشرون الصاوية
من سنة (٧٢١ــ٧١٥ ق.م)

أول ملوكها (تفنخت) كان حاكما على مدينة منوفى . ولما تولى المملكة كانت مصر منقسمة الى عشرين مملكة فأخضع كل هذه الممالك ثم قام بجيوشه الى الصعيد فوصل الى قسم ارمنت وحاصر قسم أهناس الذى كان تحت حكم الاتيوبيين ولما بلغ ذلك (بيانخى) ملك اتيوبيا حضر بنفسه وهزم تفنخت وضم مصر الى ملكه وأناب عنه تفنخت في حكمها . ولما

توفى تفنخت خلفه ابنه بوخوريس أو باكوريس وكان قانونياً متضلعا ذا رأى صائب . فنزع السلطة من يد الامراء وخلع عن مصر نير الاتيوبيين . أما بيانخى فمات على أثر وصوله الى اتيوبيا وقام بعده (كاشتا) الذى لم يكن من أسرة ملكية . ثم خلفه ابنه (سباقون أو شبقة) واذ وقف على ما أتاه باكوريس بن تفنخت قصد مصر لمحاربته . ولما رأى سباقون ان أمراء مصر يمقتون باكوريس لنزعة السلطة منهم تعاون بهم عليه كما تعاون بهم بيانخى على تفنخت من قبل . ولما وقع باكوريس فى قبضة سباقون طرحه فى النار . وهكذا عادت مصر الى حكم ايتيوبيا وتشتتت الاسرة الصاوية المصرية فى الدلتا تترقب خروج الاتيوبيين من مصر

الاسرة الخامسة والعشرين الصاوية ـ اتيوبية سنة (٧١٥ـ٦٨٠ق م) ـ:

ان السبب فى احتلال الاتيوبيين لمصر هو اختلاف كلمة أمراء مصر فى الاسرة السابقة واشتعال نار الفتن الداخلية ، فقضى الله ان يتولى أمر مصر ملك جبار يدير شؤونها فأتاح لها سباقون الاتيوبى (الذى أتينا على ذكره فى الاسرة السابقة) فلقب نفسه بالالقاب الفرعونية وأبقى كل أمير على ولايتـه ثم قوى جسور النيل وطهر الترع وعمر مدينة بسطة وأصلح معابد طيبة وحكم بالعدل وأبدل عقوبة القتل بالاشغال الشاقة فتمتعت مصر بالسكينة على يده وحدث أن مملكة آشور كانت فى ذاك الوقت مستظهرة على الفنيقيين وعلى بنى اسرائيل والفلسطينيين فرأى هؤلاء من الصواب أن يتحالفوا مع (سباقون) لينقذهم من شر الآشوريين ، فبعث (هوشع) ملك بنى اسرائيل بهدايا الى سباقون وطلب منه التحالف على (سلمناصر) ملك آشور فأجابه سباقون الى طلبه . ولما علم سلمناصر بذلك ، أسر هوشع أولا وحاصر مدينة السامرة ، ثم مات وتولى بعده (سرجون) فاقتدى بسلفه وفتح السامرة ثم زحف بجيوشه على فلسطين فلما رأى سباقون أن سرجون غدر بحلفائه انضم بجيوشه الى احدهم ـ (مانون) ملك غزة

فقابلتهم جيوش الآشوريين وأسرت

حانون وهرب سباقون الى مصر مهزوماً فعصاه سكان الوجه البحرى وطردوه الى طيبة وبذلك استقلت مدينـة صا الحجر وبسطة واهناس ثم مات سباقون وترك حكم الصعيد واتيوبيا لابنه (سبيخون) وكان النزاع قائماً بين الاسرتين الصاوية والتانيسية طمعاً فى الاستيلاء على الوجه البحرى . فلما تولى سبيخون انتقم من الاسرتين اللتين ناصبتا والده العداء وانفرد بملك مصر ، ومالبث أن قتله (طهراقة أو ترهاقة) الاتيوبى وانتزع منه الملك وساعد أمراء سورية وفلسطين ضد الآشوريين، فأغار (آشور أخى الدين) ملك آشور على مصر من ناحية فرع الطيبة (هو أحد فروع النيل ويسمى الان بحر البقر) وهزم طهراقة والاتيوبيين ونهب مدينة منف وطيبة سنة ٦٧٢ ق م. ثم اشتغل باصلاح مصر ورد الى أمرائها ـ وعددهم عشرون ـ امتيازاتهم وضرب عليهم الجزية وأقام (نخاو الاول) أمير صا الحجر (أو أمير منف) رئيساً عليهم وكان نخاو هذا ذا نشاط وغيرة . ثم رجع (آشور أخى الدين) الى نينوى عاصمة بلاده . وبعد مدة أغار طهراقة على مصر فبلغ (آشور اخى الدين) أمره وكان قد تنازل لابنه (آشور بانيبال) فسار هـذا لمحـاربة الاتيوبيين وتغلب عليهم وأرجع الحكم ثانية الى أمراء مصر . ولما عاد الى وطنـه أعاد طهراقة الكرة على مصر واسترد طيبة ومنف وأبطل منهما عبادة العجل ابيس . ولما علم بذلك ملك آشور عاد الى مصر وهزم الاتيوبيين أمام طيبة ونهب المدينة وأخذ الآشوريون مسلتين نصبوهمـا فى نينوى . واستمرت مصر تابعة لملكة آشور وباضمحلالها استولى (تنوات ميامون) ملك أتيوبيا وربيب (ابن زوجة) طهراقة على الوجه القبلى بواسطة طائفة من الاتيوبيين كانوا أسسوا لهم حزباً قوياً فى طيبـة أما أمراء الوجـه البحرى فعارضوه وحاربوه . فأشار عليهم رئيسهم (بكرور) بأن يؤدوا له الطاعة

(الفترة مابين الاسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين) مدتها ١٥ سنة وفيها ضعفت مصر وشق على أهلها تحمل حكم ملوك اتيوبيا ، فقام حكام مدن الوجه البحرى وطردوا الاتيوبيين وملكوا عليهم (بسامتيك)

ابن نخاو الاول . ولقد أورد هيرودوت هذه الحادثة فى قصة غريبة فقال : « ان كاهنا أنبأ أمراء الوجه البحرى الاثنى عشر بأنه سيأتى يوم يشرب فيه أحدهم الشراب فى قدح حديدى تقربا من المعبود بتاح، وبذا يصير ملكا على مصر . وحدث أنه بينما كان أولئك الامراء مجتمعين للتنادم على الشراب تقربا لذلك المعبود وبينهم احدى عشرة كأسا من الذهب ، فأخذ كل منهم كأسا وبقى بسامتيك بدون كأس فنزع مغفره الحديدى عن رأسه وشرب فيه . فتذكر رفقاؤه نبوءة الكاهن فأكرهوا بسامتيك على ان يختلى فى أجمة شمالى الدلتا . واتفق أن رست بتلك الجهة سفن تحمل رجالا أشداء من ملاحى اليونان لينهبوا الشواطىء فتحالف معهم بسامتيك على أن ينصروه وانضم اليهم حزبه أيضا فتغلب بسامتيك »

الاسرة السادسة والعشرون الصاوية

من سنة (٦٦٥ الى ٥٢٧ ق م)

لما انفرد (بسامتيك الاول) بالحكم افتتح لمصر ثانية باب المجد وعاد اليها رونقها القديم ، وبعد أن أتم فتح الوجه البحرى حتى مدينة موننفيس الشهيرة الآن بمنوف وفتح الوجه القبلى الى الشلال الاول . ولما كان بسامتيك غريبا عن الاسرة الملكية فلم يكن لذريته حق الوراثة قانوناً ، غير ان تزوجه بأميرة من السلالة الملكية جعل لذريته ذلك الحق ، فتزوج (تانبت تب) بنت الملكة (أمن ريتس) حاكمة الوجه القبلى وبذلك صار ملكا شرعيا . وكان معظم أبطال المصريين فى مبدأ حكمه قد هلكوا فاعترى مصر الخراب من حروب الاتيوبيين والآشوريين ومن ثم شرع بسامتيك فى اصلاح الترع والطرق واعادة الامن الى نصابه وتعمير المعابد . فأتقنت صناعة النقش والرسم وجمعت التماثيل بين التناسب والاعتدال ، ثم عمد بسامتيك فشيد حصوناً وقلاعا فى مضايق طرق الشام وضواحى بحيرة المنزلة خوفا من هجوم الآشوريين على بلاده ، وحصن الشلال الاول ، وجعل جزيرة أسوان معسكراً لصد هجمات الاتيوبيين ثم حصن النقطة المشيدة عليها الاسكندرية اليوم اتقاء غزو الليبيين . ولما تم كل ذلك انتقل من حالة الدفاع الى حالة

الهجوم فغزا النوبة ثم أرض كنعان .
قال هيرودوت: «إنه بعد هذه الفتوحات دهمت مصر مصيبة كبرى وهى وفود الاجانب من يهود ويونان عليها ، فأكرم بسامتيك مثواهم وأقطعهم ـ ولا سيما اليونان وبعض من سكان الاناضول (الكاريون) ـ أرضا بالقرب من تل بسطة ليسكنوها . فأدخل اليونان اولادهم فى المدارس المصرية فنبغ منهم الفلاسفة سولون وفيثاغورس وافلاطون، فنقلوا الى بلادهم هذه العلوم وكان بسامتيك فى عناية بشأن هؤلاء الاجانب ناظرا الى الفائدة التجارية التى تعود على بلاده منهم ولكن هؤلاء الاجانب سعوا فى تكدير راحة البلاد وسلب اموال الاهالى ففروا منهم وقد جاء إنعام بسامتيك على اليونان بالرتب والوسامات ضغثا على ابالة فاستاء منه المصريون لذلك وازدادوا استياء عند ماضم الى حرسه الخاص فريقا من أولئك الاجانب ، ومن ثم عزم بعض الاهالى على هجر البلاد . واخلائها لبسامتيك واصفيائه الاجانب . فاجتمع منهم نحو المائتين والاربعين الفا وكلهم شاكى السلاح وجعلوا وجهتهم بلاد اتيوبيا ، ولم يعلم بسامتيك بخبرهم الا بعد خروجهم من مصر ، فسار فى أثرهم واستعطفهم بعبودات بلادهم فلم يلتو على مصالحتهم . أما ملك أتيوبيا فقابلهم بكل حفاوتهم واتخذهم جنودا له . ومن هؤلاء تكونت أمة عظيمة بين النيل الابيض والازرق. لما رأى بسامتيك بلاده مجردة من جنودها البواسل عض أصبع الندم وأخذ فى تدريب غيرهم ولكنه لما رأى ان ارجاع مصر الى سطوتها القديمة بعيدا اشتد قلقه ومات سنة ٦١١ ق م فدفن فى صا الحجر وخلفه ابنه نخاو

الملك نخاو الثانى (نخو) من سنة (٦١١ الى ٥٩٥) ق . م ـ : سمى باسم جده وتولى طاعنا فى السن فسلك بهمة ونشاط مسلك مشهورى الفراعنة التحوتميسيين والسيتيين حتى أعاد لمصر مجدها ، فأتم نظام الجيش الوطنى الذى دربه والده في آخر أيامه ، ورتب قواده وبنى سفنا حربية وأبدل السفن القديمة بسفن جديدة تسير بالمجاذيف (الاغربة) رغبة فى الاستيلاء على سواحل البحرين الاحمر والابيض . ثم هم بمشروع عظيم وهو ايصال البحر الاحمر بالبحر الابيض

وذلك بقطع برزخ السويس . وكان قد سبقه الى هذا المشروع سيتى الاول ــ ، فأماد نخاو حفر الترعة من مدينة بسطة الى بركة التمساح والبحيرات المرة . قال هيرودوت : « ان مئة وعشرين الف نفس هلكت فى حفر هذه الترعة فتشاءم نخاو ولم يتم حفرها لا سيما بعد ما أخبره الكهنة بأن حظ الانتفاع بها يكون لدولة أجنبية . ثم أمر نخاو بعض رجاله بأن يطوفوا حول افريقية فساروا من البحر الاحمر الى المحيط الهندى ثم الى بحر الظلمات « المحيط الاطلسى » بعد أن ساروا حول « رأس الرجاء الصالح » حتى بلغوا بوغاز « أعمدة هرقول » المعروف ببوغاز جبل «طارق» أو « زقاق سبتة » ومروا منه الى البحر الابيض فوصلوا الى مصر فى ثلاث سنين ، وقالوا انهم فى بعض المواقع رأوا الشمس فى الجهة الشمالية مما يثبت انهم مروا بخط الاستواء وفى هذه الاثناء انحطت قوة الآشوريين بسبب حروبهم مع الميديين فانتهز نخاو تلك الفرصة وصعد الى كركميش عن طريق الفرات بجيش جرار ، ولما اجتاز مدينة (أشدود) الى مضيق (كرمل) صدته

عساكر « يوشيا » ملك يهوذا . فهزمها ثم عرج على قادش فكركميش حتى وصل الى الفرات مدخلا تلك البلاد فى حوزته . ولما نزل بجوار مدينة حماة بلغه ان اليهود تظاهروا ثانيا بالعصيان وجعلوا (يهوآحاز) بن يوشيا ملكا عليهم فاستدعاه اليه وعزله وولى (الياقيم) أخاه بدله وسماه (يهوياقيم) وحكم على شعب يهوذا بغرامة قدرها مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب وبعد أن استولى على سورية وفلسطين رجع الى مصر ومعه (يهو آحاز) المعزول . أما مملكة بابل فانها فى ذلك الوقت استظهرت على مملكة آشور وخربت نينوى سنة (٦٣٤)ق.م. ومن ثم سقطت آشور ولم تقم لها قائمة بعده وهم (نبوخذنصر) أو(بختنصر) ملك بابل(٦٠٩ــ٥٦١ق م) باسترجاع سورية وفلسطين من نخاو ، فتقاتلا عند نهر الفرات بالقرب من كركميش سنة ٦٠٥ ق.م فانهزم نخاو ، (ولكن نبوخذ نصر) فاضطر أن يعقد معاهدة معه لفتنة ثارت ببابل . أما يهوياقيم ملك يهوذا فانه لم يفلت من شر بختنصر اذ قبض عليه وقيده بسلاسل من نحاس وسحبه الى

بابل ، وبعد ذلك بسنتين مات نخاو الثانى وخلفه ابنه يسامتيك الثانى

الملك بسامتيك الثانى ـ : لما توفى قامت عليه اتيوبيا فأخضعها سنة ٥٩١ ق . م . ومات ولم يعلم من سيرته شىء وخلفه ابنه (يوه آب رع) أو أبرياس . وفى عصره استنجد به (صدقيّا) ملك يهوذا على (نبوخذنصر) ملك بابل ، وكان إرَمْيا النبى ينذر صِدْقيا وأسلافه بالكف عن فعل الشر لئلا يؤول أمر مملكتهم الى الدمار فلم يصغ أحد اليه وخرج صدقيا عن طاعة البابليين وامتنع عن أداء الجزية فغضب (نبوخذنصر) لذلك وسار بنفسه الى أورشليم وقتل صدقيا وفقأ عينيه وسلب أمتعة الهيكل وأحرقه سنة (٥٨٦ ق.م.) وسبى من بقى من اليهود الى بابل (السبى البابلى) غير ان بعض اليهود التجأ الى مصر فقبلهم أبرياس وانتشروا فى مجدل (شرق الدلتا) ومنف والصعيد فأراد (نبوخذنصر) أن ينتقم من ملك مصر لاخذه بناصر اليهود فأغار (نبوخذنصر) على مصر وقتل ملكها وأقام حاكما عليها من قبله ثم ساق أمامه اليهود الذين استوطنوها

ولما استنجد أهالى سواحل ليبيا بالملك ابرياس على قبائل اليونان سكان القيروان رأى من الصواب ألا يرسل الى أهل هذه القبائل جنوداً يونانيين من جنسهم فأرسل اليهم جيشا من الوطنيين ، ولما اشتبكت الحرب بين الفريقين جهة (ايراته) انهزمت فرقة الجيش المصرى ، فقامت مصر على الملك لمخاطرته بجنودها الوطنيين دون جنوده اليونانيين وانتشر العصيان حتى عمّ جميع البلاد ، فبعث اليهم الملك رجلا اسمه أحمس ليسكن هياجهم ، فأخذ يشير عليها بالهدوء والسكينة وبينما هو كذلك اذ أقبل عليه أحد الجنود وألبسه مغفراً وصاح الجند بأعلى صوت . « قد رضيناك ملكا علينا » فقبل ذلك أحمس وسار معهم لمحاربة الملك ابرياس الذى لم يكن فى صفه غير الجنود الاجانب البالغ عددهم ثلاثون الفا ، فالتقى الفريقان عند مدينة صا الحجر وانهزم الملك وجنوده ووقع أسيراً فى قبضة أحمس ، فقتله الجنود خنقا

الملك أحمس الثانى (أموزيس) ـ : لما جلس على عرش مصر تزوج بحفيدة

الملك بسامتيك وحافظ على سطوة مصر فى فينيقيا وأتم فتح جزيرة قبرص فى البحر الابيض ، وكان ذكى الفؤاد حسن السياسة فهابته الامم. ولما كان يخاف على مملكته من بطش الفرس (العجم) حسن علاقته مع ملكهم (كورش) وصفا له الجو خمسا وعشرين سنة فارتقت الزراعة ونمت التجارة وسعدت مصر فى أيامه . ومن مآثره انه حتم على كل مصرى ان يثبت اسمه فى آخر كل سنة بمحكمة الجهة القاطن بها وان يبين صناعته وأسباب معيشته ، وعاقب من خالف ذلك او كان متشرداً عائشا من النصب والاحتيال ولما كانت زوجته مقيمة بطيبة رمم ما بها من الآثار ثم بنى فى صا الحجر مداخل لمعبد (نيث) ونصب امامها تماثيل لابى الهول ومسلتين كبيرتين

وقد حذا هذا الملك حذو سلفه فى الترحيب باليونان حيث أسكنهم مدينة نقراطيس (حى نبيرة الحالية غربى ايتاى البارود) وأباح لهم اشهار ديانتهم فنموا وكثروا وراجت تجارتهم غير انهم لم يقابلوا الاحسان بمثله اذ كانوا ينقلون أخبار مصر الى الخارج مما تسبب عنه طمع الامم فيها لاسيما الفرس الذين كانوا يتحينون الفرص لشن الغارة عليها واتفق ان مات كورش ملك الفرس وخلفه ابنه قمبيز فطلب أن يتزوج بابنة أحمس ظنا منه أن أباها يرفض طلبه فيحاربه. غير أن أحمس ادرك هذه المكيدة وأرسل اليه ابنة ابرياس سلفه بدل ابنته فناداها قمبيز يوما باعتبارها ابنة أحمس فأنكرت عليه ذلك ، فحقد قمبيز على أحمس وعول على أن يغزو مصر طمعا فى كثرة خيراتها وفيض نيلها ، ولم يثنه عن عزمه الا خوفه من ضياع جيشه فى الصحراء المتسعة اذ كان لا يعرف طريقا غيرها يوصله الى مصر . غير أن يونانيا يدعى (فانيس) ــ كان بين جنود مصر الاجانب دله على أقرب الطرق وباشارة هذا الخائن عقد قمبيز معاهدة مع قبائل سورية التى كانت على تلك الطريق لتنقل الى جيشه الماء على ظهور نوقها. وعلى ذلك سار الجيش الفارسى، وما بلغ مدينة الطينة حتى علم بوفاة أحمس وتولية ابنه بسامتيك الثالث

الملك بسامتيك الثالث ــ : دارت رحى القتال بين قمبيز الفارسى وهذا

الملك ، وبعد اندحار المصريين دفاعا طال أمده كانت الغلبة لقمبيز بسبب كثرة جيوشه وانتشار جواسيسه الاجانب المنتظمين فى الجيش المصرى ثم تقدم قمبيز الى منف وحاصرها واستولى عليها قسراً وقتل كثيرا من الاعيان وأسر بسامتيك وأرسله الى فارس فمات هناك وبذلك دخلت مصر تحت حكم الفرس للمرة الاولى

الاسرة السابعة والعشرون – الفارسية الاولى من سنة (٥٢٧ – ٤٠٦) ق .م. اول ملوكها قمبيز (٥٢٧ – ٥٢٢ ق.م.) سلك فى مبدأ أمره مسلك العقلاء فأبقى لمصر عبادتها واحترم امتيازات امرائها وقرب ابناء الديانة المصرية منه وتعلم الحكمة المصرية من الكاهن (أوزاموس) وعزم على أن يجعل مصر حصنا يستعين به على فتح افريقية ولما كان فتح قمبيز لمصر قد افزع الامم المجاورة أتاه الليبيون ودفعوا الجزية وكذلك القورينيون سكان قورينة وهى برقة الآن . قال هيرودوت : «أراد قمبيز أن يغزو ثلاث أمم مختلفة فى آن واحد، وهم القرطاجيون سكان مدينة قرطاجة والآمونيون سكان واحات آمون أى (واحات سيوه) بالصحراء والكوشيون وهم الاتيوبيون فجهز لغزو القرطاجيين سفنا يقودها الفينيقيون . واذ كان بين هؤلاء والقرطاجيين صلة قرابة فشلت هذه الغزوة . وأرسل الى هذه الواحات خمسين الف جندى لفتحها وهدم هيكل المشترى فضلوا الطريق ونفد منهم الزاد وهبت عليهم ريح السموم فأغرقتهم فى بحر الرمال وبذلك لم يتجاوزوا حدود مصر ولما رأى قمبيز ما آل اليه أمر الاتيوبيين من رفعة المكانة بسبب كثرة الذهب ببلادهم ، طمع فيهم وأرسل اليهم رواداً من وادى الكنوز باسوان يحسنون لغة اتيوبيا ويحملون الهدايا لملكها فعرف الاتيوبيون انهم جواسيس قمبيز ولكنهم رحبوا بهم وأعجب ملكهم بهدية الشراب (من نبيذ التمر) التى كانت بين تلك الهدايا وأراد ان يتحف قمبيز بهدية عظيمة فأحضر قوساً وأوترها بحضور رُسُل قمبيز وقال لهم : «ان ملك اتيوبيا ينصح ملك الفرس ان يحضر بنفسه لمحاربته اذا استطاع هو أو أحد رعيته ان يوتر قوسا بمثل هذه »

ومابلغت هذه العبارة آذان قمبيز حتى طاش عقله وهجم بجيشه على غير انتظام قاصداً (نباتا) عن طريق الصحراء باعتبارها أقرب طريق الى اتيوبيا فانحرف عن شواطىء النيل وتوغل بعساكره الكثيرة فى صحراء كروسكو ، ولما قطع ربع الطريق وصل الى سهول رملية فنفد زاده وأكل الجيش الحيوانات التى كانت تحمل مامعه من الاثقال ، ثم أكل بعضهم بعضها بالاقتراع . واذ خاف قمبيز على نفسه من الهلاك رجع بجيشه القهقرى ولما وصل الى طيبة أراد ان يستعيض خسائره الجسيمة فسلك مسلك القسوة والجور وسلب امتعة الهياكل وذخائرها واذ صادف دخوله منف يوم احتفال الاهالى بعيد العجل ابيس ، توهم انهم فرحون بهزيمته فقتل الكهنة وبعض الامراء وطعن العجل ابيس وخرب مدينة عين شمس ونهب النفائس المدفونة فى القبور . وقد اسهب المؤرخون فى وصف عتوه وقبح اعماله حتى قالوا انه كان فى بلاده (فارس) يلهو بقتل الاعجام ويذبحهم كالاغنام وان عتهه وتوحشه اديا به الى قتل اخته وزوجته

قال هيرودوت : «بينما كان قمبيز يركب جواده فى المكان الذى طعن فيه العجل أبيس قاصداً بلاد الفرس ليخلع عن عرشها من اغتصب ملكه بها اذ انساب سيفه من غمده فجرحه فى فخذه جرحا مات على أثره »

الملك دارا الاول — عندما جلس على سرير ملك فارس نظم أمورها ووسع ممتلكاتها وضرب نقوداً من الذهب استعملت فى مصر بدل النقود المصرية التى كانت على أشكال الحلقات والجعارين وغيرها ، وفرض على مصر جزية من الغلال تكفى لمؤونة جيش الاحتلال البالغ قدره اثنى عشر الفاً قال د.روجيه: «أن دارا أحسن معاملة القبط لينزع من صدورهم ما كن فيها من فظائع قمبيز ، فاحترم ديانتهم وكهنتهم غير انه اساء صنعا بعدم خلعه (أرياندش) الفارسى من منصب نيابة مصر — وكان قمبيز قد أسندها اليه اذ قد أفسد اريانديس أعمال دارا مما هاج المصريين ودعا دارا الى عزله وقتله ولم يكفه ذلك بل حضر هو نفسه الى مصر وهدأ خواطر أهلها وتوجه الى منف ليظهر أسفه لموت العجل أبيس وهكذا اخمد

نار الفتنة»

وقال هيرودوت: قبل ان يبارح دارا مصر زار معبد (بتاح) واراد ان يضع تمثالا بجوار تمثال رمسيس الاكبر فمنعه الكهنة قائلين: ان ما اتيته من فتح وغزو لا يذكر بجانب ما اتاه رمسيس الاكبر لان رمسيس فتح بلاد السكيتة (التركستان الصينية والروسية الآن) التي لم تفتحها انت فامتثل لقول الكهنة واحترم رأيهم». ثم مهد دارا طرق التجارة فوصل البحر الاحمر بالبحر الابيض بواسطة الترعة التي لم يتم حفرها نخاو الثاني، وفتح أيضاً طريق قفط الموصل الى البحر الاحمر وطريق أسيوط الممتد الى قرية العرابة المدفونة فأسوان وحصن الواحات الكبرى وأصلح معبد آمون غير ان المصريين مع كل ما كان عليه دارا من حسن السياسة كانوا يترقبون فرصة لرد استقلالهم. لما اراد يونانيو ساردس هي (سارت الآن) أن يتخلصوا من سلطة الفرس وساعدهم سكان اتينا على ذلك، غضب دارا وتوجه الى بلاده وأرسل حملة الى اثينا تحت قيادة (هبّاس) فعبروا بحر الارخبيل، فقابلهم الأثينيون بقيادة رملتياس) وانتصروا عليهم عند سهل (مرتونون) سنة ٤٩٠ ق.م

اما مصر فطردت جيش الاحتلال الفارسي وولت خببش ملكا عليها سنة (٤٧٦) ق م وقد كان خببش هذا من ذرية بسامتيك ـ: بدأ حكمه بتحصين مصر والوجه البحري بالقلاع خوفا من هجوم الفرس. وفي هذه الاو ثمات دارا سنة (٤٨١) ق.م. وخلفه في فارس ابنه (شيارش اوزكسيس) الذي هجم على مصر وقهرها ونهب معابدها

وفي حكم الملك ارتخشياش الفارسي (٤٦٥ ـ ٤٢٥) ق.م. استقل المصريون أيضا ونصبوا ايناروس بن بسامتيك الثالث ملكا عليهم، ولما لم يقو بجيشه الصغير على مقاومة الفرس تحالف مع الأثينيين عليهم، ولكن ارتخشيارش اجتهد في اضرام نار الشقاق بين الطرفين فرشا الأثينيين لينقطعوا عن مساعدة مصر وقد نجح فيما سعى اليه. ومن ثم هجم الفرس على مصر وأسروا ايناروس وأرسلوه الى فارس وقتل هنالك وأقيم ابنه (تانيراس) مكانه ولما مات ارتخشيارش قام بعده

(شيارش الثانى فسوغديانوس فدارا الثانى) ، وفى هذه الاثنـاء ضعفت شوكة الفرس فاستدعي المصريون (امبرتيوس) الذى كان أمير الدلتا ونصير اينـاروس وجعلوه ملكا عليهم فاستظهر فى الحرب على الفرس وطرد جنودهم المحتلة وبموت دارا الثانى انقرضت من مصر أسرة الفرس الاولى وكانت مدتها ١٢١ سنة واستقلت مصر استقلالها الاخير الذى دام ٦٦ سنة

الاسرة الثامنة والعشرون الصاوية (٤٠٦-٣٩٩ ق.م.)

لما ارتقى (امبرتيوس) عرش مصر ثارت بها الفتن بسبب توليته لأنه لم يكن من السلالة الملكية ، فسعى فى اخمادها وتوطيـد سطوته ، فلما اعترف له جماعة الثائرين بالسيادة أطلق على نفسه الالقاب الفرعونية وأصلح فى سنى حكمه السبع كل ما دمرته ايدى الفرس من المعابد وأحيا نا الصنائع الاهلية ، ثم ادركته الوفاة فحالت دون نفاذ بقيـة مشروعاته الجليلة

الاسرة التاسعة والعشرون المنديسية منديس هى الآن تمى الامديد الموجودة بقرب المنصورة (٣٩٩ ـ ٢٧٨) ق.م. عدد ملوكها اربعة ومدتها ٢١٠ سنة . أولهم الملك نفريتس الاول ولم يعلم التاريخ سبب ارتقائه العرش ولكنه يعلم انه كان باذلا همته فى تقوية مملـكته ووقايتها من الفرس مقتديا فى ذلك بالملوك الصاويين ، فعقد المعاهـدات مع خصوم فارس ، غير ان الفارسيين لم يهجموا على مصر فى مدته لاشتغالهم بحروب أخرى . مات نفريتس وخلفه الملك (اخوريس) فتعاهد مع أهل جزيرة قبرص وأثينا والقيروان وحصن بلاده من غارة الفرس الذين هجموا على مصر فردهم خائبين ، وسعى فى اصلاح ماخربته أيديهم كما دلت على ذلك النقوش المرسومة على هيكل طيبة ، ومات اخوريس سنة ٨٣٢ ق.م فخلفه الملك (بساموتيس) الذى لم يقف له على أثر غير صورته المنقوشة فى الكرنك ومعبده الصغير فى طيبة . وخلفه الملك نفريتس الثانى ابن الملك اخوريس ولم يحكم الا اربعة شهور عزله الجيش بعدها ومن آثاره تمثال أبى الهول المحفوظ بتتحف باريس

الاسرة الثلاثون السمنودية من سنة (٣٧٨ ـ ٣٤٠ق.م) ـ :

عدد ملوكها ثلاثة : أولهم (نخت ـ هو رهيب المشهور بنقطانب الاول ـ كانت أيامه كلها قلاقل واضطرابات لاهتمام الفرس اذ ذاك باسترجاع مصر ، ولما هجم الفرس البالغ عددهم مائتا الف على مصر وهزموا خفر السواحل قام نقطانب بجيشه وكسرهم وخلص مصر من أيديهم وهكذا رفرف الامن على الربوع المصرية ، فبنى نقطانب هيكل (ايزيس) جهة بهبيت وبوابة فى معبد خُنسو بالكرنك ثم مات وتابوته محفوظ بمتحف لندن) وخلفه الملك تاخو الذى فكر فى أن يصد عن مصر هجمات الفرس قبل وصولهم اليها . فأبرم معاهدة مع اهل اسبارطة (باليونان) تقضى عليهم بأن يكونوا يداً واحدة فى مقاتلة الفرس اذا هاجموا فينيقية . وكان جيش تاخو مؤلفا من ١٨ الف وطنى و ١٠ آلاف اجنبى ومائتى سفينة بحرية ، غير أن الجنود الوطنيين كانوا متحيزين ضد ملكهم لميله الى الجيش الاجنبى فما بارح الملك مصر حتى تمرد عليه الجنود الوطنيون وعزلوه وأقاموا قائدهم (نقطانيبوس) ملكا عليهم باسم نقطانب الثانى (٣٥٧ ـ ٣٤٠ ق . م) فاستمر هذا فى تجهيز المعدات الحربية واقامة المتاريس والاستحكامات لمقاتلة الفرس الذين تولى عليهم (أوخوس) ابن ارتخشيارش واتحد نقطانب مع أهل صور وصيدا واذ حارب الفرس الصوريين أرسل اليهم نقطانب اربعة آلاف مقاتل لمساعدتهم فانهزم الصوريون وحرق أرخوس مدينة صور وتقوى على مصر ونزل بجوار قلعة الطينة والتقى بجيش نقطانب الثانى ، ولما كان ثلثا هذا الجيش من الاجانب انهزم نقطانب الثانى أمام الفرس وجمع امواله وهرب الى بلاد اتيوبيا سنة ٣٤٠ ق.م. ومن ذلك الحين غربت شمس المملكة الفرعونية وانقطعت سلسلة ملوك المصريين ومال دعام عزهم وطويت صحيفتهم الناصعة فى سجلات التاريخ

الاسرة الحادية والثلاثون الفارسية الثانية ـ (٣٤٠ـ٣٣٢ ق.م) ـ :

بعد أن تخلصت مصر من حكم الفرس ستا وستين سنة تغلبوا عليها ثانية وأسس

اوخوس هـذه الاسرة وعدد ملوكها ثلاثة : أولهم أوخوس وتولى باسم (ارتخشيارش) أو أزدشير الثالث فاتبع طريق القسـوة فى فارس وفى مصر فمات مسموما ، وخلفه الملك (ارسيس) ثم (كودومانوس) باسم دارا الثالث الذى فى عهـده ضعفت دولة الفرس لاختلاط ملوكها باليونان كما ضعف قبلهم المتأخرون من ملوك القبـط وفى هذه الاثناء أخذت مقدونيا (شمال اليونان) فى الظهور تحت حكم ملكها فيلبش اوفيليب ولمامات فيليب هذا خلفه ابنه (الاسكندر الاكبر) فى السنة التى تولى فيها دارا الثالث وهى سنة ٣٣٦ ق .م. فوسع مملكة أبيـه ثم بدد شمـل فارس واستولى على مصر سنة ٣٣٢ ق.م. ومن ذلك الحين دخلت مصر تحت حـكم المقدونيين كما سترى وقد عثر على حجر نقشت عليـه حرب الفرس مع المقدونيين فى مصر ، وغضب المعبود خنـوم على مصر ، وتنبؤه بزوال حكومة القبط والاقتصار على تخليد ذكرى ملوكهم على مر السنين . وكانت مصر اذ ذاك أصابها الدمار لما كان عليه الفرس من طغيان وبغى حيث سلبوا أموالها وكنوزها العلمية والفنية وعمروا بها بلادهم التى كانت غريقة فى بحور الجهالة والهمجية

(الدور الثالث)

حكم مقدونيا (الاسرة المقدونيـة البطالسة)(٣٣٢ـ٣٠ ق م)

الاسرة المقدونية من سنة) ٣٣٢ـ ٣٠)ق م

أول ملوكها الاسكندر الاكبر عامل المصريين بالرفق واللين وأطلق لهم حرية العبادة ورفع عنهم المغارم التى كانوا يؤدونها للفرس واحترم المعبودات آمون وبتاح والعجل أبيس وقدم لها الهدايا والقرابين ، وفى سنه ٣٣٢ ق م بنى مدينة الاسكندرية فى المكان المسمى (راكوتى) وأباح للاجانب من يونان وسوريين وغيرهم ان يستوطنوا بها ، وأسند ولاية مصر الى أمير وطنى اسمه (اقليومنوس) ثم سار بجيشه الى آسيا وقهر دارا الثالث ملك فارس بقرب مدينة (اربل) عند الموصل سنة ٣٣١ ق .م. وبعد ذلك غزا الهند ورجع الى مدينة بابل بموكب عظيم وقضى بها سنة أقام فى خلالها المواسم والمآدب احتفاء

بانتصارته ، ولما بلغ من العمر ٣٣ سنة أصيب بحمى مات على أثرها سنة ٣٢٣ق.م وكان له أخ من أبيه اسمه (فيلبس اريدس) وابن من بنت دارا الثالث اسمه (هرقولوس) فاجتمع رؤساء الجند وولوا أخاه اريدس سنة ٣٢٠ق.م. فوزع الايالات على طوائف أمراء الجند وقلد (بطليموس لاغوس) النيابة على مصر . ولما مات اريدس خلفه هرقولوس باسم الاسكندر الثانى سنة ٣١٧ ق.م. وحكم ست سنوات وبموته انقرضت الاسرة المقدونية وتقسمت مملكة الاسكندر بين قواده فاستقل بطليموس بحكم مصر وكون الاسرة المشهورة بدولة البطالسة

دولة البطالسة (٣٠٥–٣٠ق.م.)

انفصلت هذه الاسرة عن مملكة مقدونيا انفصالا تاما وجعلت عاصمتها مدينة الاسكندرية عدد ملوكها ١٤ وآخرهم الملكة كليوبترة

الملك بطليموس الاول سوتير (٣٢٣ – ٢٨٥ ق.م) — :

كان واليا على مصر مدة ١٧ سنة ولما استتب له الملك سنة ٣٠٥ ق.م. تفرغ لتنظيم شئون مصر وبنى الهياكل ، وأسس المدرسة والمكتبة الشهيرة « بدار الحكمة » بالاسكندرية وفى أيام بطليموس انتشرت التجارة وكثر وفود الاجانب على مصر لاسيما اليونان اذ كانوا من جنس الاسرة المالكة — وأصبحت اللغة اليونانية لغة البلاط الملكى ، أما اللغة القبطية فظلت لغة الامة كما ظلت الاوامر الملكية تكتب بها متبوعة باليونانية . وقد أرسل بطليموس قائده (نيكاتور) لفتح سورية وأسر كثيرين من اليهود وضم الى مصر برقة وجزيرة قبرص (بالبحر الابيض) وفينيقية — ثم تنازل لابنه بطليموس الثانى وتوفى سنة ٢٨٣ق.م.

الملك بطليموس الثانى (فيلادلفوس) (٢٨٣ – ٢٤٧) ق.م — : نهج منهج أبيه فى رفع شأن العلوم والفنون فجمع الكتب المفيدة وأرسل البعثات لاستكشاف شواطىء البحر الاحمر والمحيط الهندى وتأسيس المراكز التجارية هناك وجدد ترعة سيتى الاول التى أصلحها نخاو الثانى وأتمها دارا الثالث . ثم أمر بترجمة التوراة من العبرانية الى اليونانية (هى الترجمة السبعينية) وأوعز الى مانيثون

بوضع تاريخ لمصر، وشيد منارة بالاسكندرية في محل طابية برج ازفر لتهتدي بها السفن، وبنى هيكل أنس الوجود القريب من خزان أسوان ثم مات وخلفه ابنه بطليموس الثالث

بطليموس الثالث (ايفرجيتس) (٢٤٧ ـ ٢٢١ ق.م.) أشهر الحرب على سلوقيوس ملك سورية وانتصر عليه ثم غزا البلاد التي في غرب الفرات وأخضع الجزيرة والعراق وتوغل في فارس حتى وصل الى همذان وبلخ واسترد معبودات المصريين التي كان قد أخذها قمبيز في غارته على مصر ، ثم عجل بالعودة الى الاسكندرية لفتنة قامت بها فأخمدها ومن ثم نحا نحو أبيه فوسع في دائرة العلوم والفنون وسلم ادارة المكتبة الى العلامة (ابراتوستين) وأسس معبد (ادفو) ذا الابراج الشاهقة ، وفي أيامه سقط صنم جزيرة رودس ثم مات بطليموس الثالث وخلفه ابنه بطليموس الرابع

الملك بطليموس الرابع (فيلوباتير) (٢٢١ـ٢٠٥) ق.م كان صبيا مشتغلا عن الرعية بانهماكه في الملاذ والملاهي ، وكان وزيره (سوسيبوس) ينقل اليه أخباراً كاذبة ليحفظ مكانته عنده . وحدث أن انطونيوس الثالث ملك سورية أغار على مدينة سيلوقية التي يخترقها نهر الاورونط التي كانت من أملاك مصر ، فألح الناس على بطليموس بأن يذهب بنفسه لمقاتلة ملك سورية فسار اليه ومعه سبعون الف جندي بين قبط ويونان فالتقى الفريقان بين العريش وغزة فانهزم ملك سورية وولى مدبرا الى (رفح) ودخل بطليموس يافا وسار الى أرشليم وسأل كاهن اليهود ان يريه « قدس الاقداس » وأواني الهيكل فأبى فحقد بطليموس على اليهود وما عاد الى الاسكندرية حتى أمر باستئصال شأفتهم ثم وسع معبد ادفو ورمم دير المدينة ثم انهمك في اللهو فمات وخلفه ابنه بطليموس الخامس

الملك بطليموس الخامس المسمى ابيفان أي الماجد (٢٠٥ ـ ١٨١) ق.م تولى الملك وهو في الخامسة من عمره وفي عهده أثار العامة فتنة ضد وصيه (أغاسقليس) الذي كان أحد وزراء أبيه وكانت تلك الفتنة سببا في سقوط اغاسقليس المذكور عن الوصاية ومن ثم عهد بها الى (ابنتومين) . ولما بلغ

أيبفان سن الرشد تزوج بكليوبطرة بنت انطيوخوس الثالث ملك سورية وقد ارتكب من المظالم ما حمل الاهالى على المناداة بخلعه غير انه تدارك الأمر بأن بعث الى رومية سنة ١٩١ ق . م بألف رطل من الذهب ضمن هدايا أخرى ، فأيده مجلس شيوخها (السناتو) ولكنه مات مسموما فخلفه ابنه بطليموس السادس

الملك بطليموس السادس (فيلوماتير) (١٨١ - ١٦٤) ق.م تولى الملك قاصراً فقامت أمة كليوبطرة بنت انطيوخوس بالامر بحزم وعزم غير ان أخاها (سلوقيوس) ملك سوريا قام بغزو مصر دون أن يراعى حرمة اخته وابنها القاصر الا ان المنية لم تمهله فمات وخلفه انطيوخوس الرابع الذى اتبع طريق سلوقيوس وهجم على مصر ووصل الى منف سنة ١٧٣ ق.م فخافت كليوبطرة بطشه ومن ثم أرسلت الجمهورية الرومانية قائدا اسمه (بوبيليوس) تغلب على عسكر سورية وأخرجهم من مصر ، ولما كان انطيوخوس الرابع ملك سورية قاسيا على اليهود باورشليم فر من وجهه اونياس بن حنانيا رئيس كهنة اليهود والتجأ الى بطليموس وطلب منه التصريح ببناء هيكل لليهود بمصر على مثال هيكل بيت المقدس. وكان عدد اليهود بمصر يومئذ يقرب من المائة الف نسمة . فأذن له بتشييد الهيكل الذى اشتهر بعد ذلك باسم اونياس

الملك بطليموس السابع المسمى أورباتير أى المجد أباه (١٤٦ - ١١٨ق م) قامت عليه الرعية بسبب ظلمه وقوته فالتجأ الى جزيرة قبرص ولم يرجع الى الملك الا بمساعدة الرومان ولما مات خلفه اخوه أخوه بطليموس الثامن

الملك بطليموس الثامن المسمى لاتيروس (١١٨ — ١١٧) : اتخذ له جيشاً أجنبيا وسام الرعية خسفا فمقتته ، ولما استفحل شره ثارت عليه رعيته فهرب الى قبرص ثم أعيد ثانية (٨٨-٨١) ق م حيث اشتغل بتشجيع العلوم الادبية التى تلقاها على المعلم ارستارخس الشهير وفى أيامه سافرت البعثة العلمية المصرية لاكتشاف بحر الهند برياسة القائد هورشيش القوزيقى الذى كان يحسن الارصاد الفلكية فتبين مواقع الارض وتخطيطها وطاف حول افريقية . ثم مات

بطليموس الثامن وخلفه العاشر لموت التاسع (سنة ٨٨ق.م)

الملك بطليموس التاسع المسمى فسكون (١٠٧—٨٨) ق.م

كانت امه تبغضه وتحب اخاه الاسكندر فقام بينها وبين بطليموس نزاع شديد وقعت نتائجه على رؤس المصريين حيث قامت الفتن الداخلية وكثرت الاحزاب مما أدى الى خلع بطليموس وتولية أخيه الاسكندر وما تولى هذا حتى طغى وكرهته أمه فقتلها وغضبت عليه الرعية فهرب من وجهها هاجر مصر وعلى ذلك استدعى بطليموس ثانية وكانت طباعه قد تهذبت فبقي ملكا حتى مات

الملك بطليموس العاشر (ديونيروس) (٨١ — ٨٠ ق.م.) تولى بمعاونة السناتو الرومانى، ولما رأى الجنود المصريون أن الرومان يتدخلون فى شؤون مصر بدون حق وان بطليموس راض عن ذلك، عقدوا النية على قتله فقتل ذبحا بعد تسعة عشر يوما من حكمه وبذلك انقرض نسل لاغوس

الملك بطليموس الحادى عشر «أوليتس» (٨٠ ـ ٥١) ق.م لما تولى أوليتس احتج ورثة لاغوس على توليته لدى الجمهورية الرومانيـة فقاوم أوليتس هـذا الاحتجاج بهدايا أرسلها مع وفد الى بعض أمراء هـذه الجمهورية. ولما انعقد المجلس الرومانى للنظر فى الامر قام المستشار «رولس» وطلب من المجلس ان يضم مصر الى الدولة الرومانية فعارضـه الخطيب (شيشرون) وقال: «ان موقع مصر الجغرافى يقضى ببقائها مستقلة» فوافقه المجلس. وحدث بعـد ذلك ان ثار المصريون على أوليتس فهرب الى قبرص ومنها الى رومية وظل بها حتى سنة ٥٥ ق م حيث أقيم «بومبيوس» قنصلا على الرومان وأمر قائده «بينوس» بأن يعيد أوليتس الى مصر ويرد اليـه تاجها، فقـام بينوس بجيش يقوده معه «مرقس انطونيوس» صديق أوليتس ولما وصلوا الى الاسـكندرية قاتلهم «ارخيلاوس» زوج بنت أوليتس فقتلوه واجلسوا أوليتس على سرير الملك، ولما اسـتقر له الامر انتقم من معارضـيه وصـادرهم فى أموالهم وسـلمها لبنوس ومرقس اللذين تركاه وقفلا عائدين الى رومية مثقلين بالذهب بعد أن ابقيا مـع

اوليتس من يحميه وقد مات ممكنا الرومان من شؤون مصر فخلفه ابنه بطليموس الثانى عشر

الملك بطليموس الثانى عشر (٥١ ـ ٤٧) ق . م

كان قاصرا وكانت اخته كليوبطرة المشهورة فى التاريخ تبلغ من العمر ١٧ سنة وقد اوصى أبوهما قبل وفاته بأن تشارك كليوبطرة أخاها القاصر فى الملك لتدفق دلائل الذكاء من عينيها وكان لها ولع بالسياسة واستعداد للسيادة والحكم . فأقيم عليها ثلاثة أوصياء كانوا يمقتونها لموالاتها للرومانيين. ولما وقعت العداوة بين (يوليوس قيصر) و (بومبيوس) اللذين كانت بيدهما رياسة الدولة الرومانية . أرسل بومبيوس اكبر اولاده مع قائد من حزبه اسمه (كونليوس سيبوس) الى مصر يطلب من كليوبطرة اعانته على خصمه فأمدته بستين سفينة حربية وخمسمائة جندى ، ولما كان ذلك على غير رغائب أوصيائها حرضوا الاهالى عليها حتى فرت الى سورية ولم تجد نجدتها لبومبيوس نفعا فجاء الى مصر فارا من وجه يوليوس . فقبض عليه بطليموس وكان قد بلغ أشده وأمر بقتله أمام مدينة الفرما . ولما حضر يوليوس قيصر الى الاسكندرية وعلم بمقتل خصمه حزن عليه وحنق عليه بطليموس وردكليوبطرة الى مصر لتحكمها بالاشتراك مع أخيها

أما المصريون فكانوا ناقمين على الاسرة المالكة وعلى تدخل الرومان فى شؤون البلاد فأشاروا على الامير (اخلاس) قائد الجيوش المصرية بأن يزحف على الاسكندرية ويطرد قيصر منها . فاتفق الوزير « بوطين » الطواشى مع اخلاس وهجما على الاسكندرية ومعهما ٣٢ الف جندى ، فارتبك قيصر وفضل احراق سفنه الحربية على وقوعها فى أيديهم . وبينما كان على شفا الهزيمة اذ جاءه جنود من سورية يقودها «ميتريدات» عاونوه على قهر الاسكندرية فغرق بطليموس فى النيل وعلى أثر ذلك طلب أهالى الاسكندرية الصلح فأجابهم قيصر الى طلبهم وعين لهم بطليموس الثالث عشر ملكا بالاشتراك مع أخته كليوبطرة وأخيرا رجع الى رومية

الملك بطليموس الثالث عشر (٤٧ ـ ٤٣) ق.م تزوج بأخته كليوبطرة

فأصبحت صاحبة الكلمة والسلطة التامة في مصر ثم توجهت مع زوجها الى رومية لتوثيق عرى المودة بينها وبين يوليوس قيصر فقابلها الرومانيون بالاجلال والترحيب وأقامت بقصر على نهر التيبر ولما قويت شوكة يوليوس قيصر أراد حزب الجمهورية أن يتخلص منه بقتله ، فأ عز بذلك الى (بروتوس) الذي جرد خنجراً طعن به قيصر في المحفل العام في ١٥ مارس سنة ٤٤ ق.م وقال قيصر وهو يموت : «لقد طعنت أباك ياهذا» قيل وقد كان بروتوس بن قيصر من السفاح غير انه في وقت اعتدائه عليه لم يكن يعلم هذا السر ، وبعد موت قيصر أصبحت كليوبطرة فاقدة النصير ، لاسيا بعد أن فقدت زوجها الذي قيل انها دست له السم لتتوصل الى تمليك اصغر اولادها بطليموس الرابع عشر وهو على دعوى المؤرخين ابن يوليوس قيصر (٤٠ـ٣٠) ق.م وفي مدة حكم بطليموس الرابع عشر كان مرقس أنطنيوس الذي قاد الجيش المساعد لبطليموس الزامر كامن رئيساً لمجلس رومية مع شريكه (اكتافيوس) ، فلما رأى انطنيوس كليوبطرة أذهله جمالها فعشقها وأهمل بسببها شؤون منصبه منصلا الاقامة معها ولما هدده مجلس رومية بخلعه من منصب الرياسة خرج من مصر مكرها ، فتوجه الى ايطاليا ومنها الى سورية لغزو الفرس وقد طلبت كليوبطرة منه أن يعطيها جزيرة قبرص وبلاد العرب لتوسيع ملكها وترويج تجارة الاسكندرية التي كسدت اذ ذاك . وبينما هو في الطريق عرج على مصر ليقوم بطلبات كليوبطرة ، وقد حاول اضعاف الجمهورية لرومانية ، وأعطى لقب ملك لولديه من عشيقته ، فحكم عليه المجلس بالعزل وأشهر الحرب على مصر . فتأهبت كليوبطرة وتبعها انطنيوس الى ساحة القتال في مدينة (أكتيوم) التي هي (ازيو) على ساحل موريا في اليونان ، وكان ذلك في ٢ سبتمبر سنة ٣١ ق . م . وبينما الحرب تدور رحاها اذ انفصل ستون سفينة عن باقي العمارة البحرية ، فولت كليوبطرة هاربة من القتال تمخر البحر على احدى السفن ــ قال بعض الكتاب : « ولا يعلم ان كان هرب كليوبطرة لفزعها من الحرب أو لاتفاق وقع بينها وبين اكتافيوس رئيس

الجمهورية» ـ وولى انطنيوس وراءها غير ان اكتافيوس اقتفى أثرها فسلمته كليوبطرة مدينة الفرما التى هى مفتاح مصر وأرادت بهذه الخيانة ان تخطب وده عازمة على تقريبه منها باقصاء عشيقها عنها عند اللزوم، ولما وصل انطنيوس الى الاسكندرية قابلته كليوبطرة بفتور، وباشارة من تلك الخائنة انفصل الجيش عن انطنيوس وانضم الى اكتافيوس ولكنها عادت فشعرت بسوء فعلتها فتوارت فى مدفن كانت قد شيدته لتدفن فيه وأشاعت انها تريد الانتحار، فلما علم أنطنيوس بذلك طعن نفسه بخنجر، ثم بلغه وهو فى النزع ان كليوبطرة لم تزل على قيد الحياة فأمر أن يحملوه بها فأنزلوه فى جهة من المدفن حيث مات شر ميتة وأما كليوبطرة فكانت تتظاهر والخنجر فى يدها بطلب الموت قاصدة أن تفتن اوكتافيوس كما فتنت عمه يوليوس قيصر وغيره فخاب ظنها، ولما خافت الاسر قتلت نفسها شر قتلة. وقيل انها وضعت ثعبانا فى سلة ومكنته من ثدييها فقتلها، واما اكتافيوس، فقد قتل ابنها بطليموس قيصرون، ولما عاد الى رومية عمل لكليوبطرة تمثالا وبجانبه ثعبان ينهشها وبموتها انتهى حكم مقدونيا (البطالسة) لمصر سنة ٣٠ ق م وأصبحت هذه البلاد ايالة تابعة لحكومة رومية الى سنة ٦٤٠ م

قال المؤرخون: ومع ان مصر تأخرت فى أيام هذه الدولة ورجعت القهقرى الا أنها كانت كثيرة المفاخرة والمآثر. فان البطالسة أطلقوا الحرية لجميع اهل البلاد وجعلوهم متساوين امام الشريعة، وأتموا كما ذكرنا عمارات كثيرة فى بلاد النوبة وجزيرة البربى التى هى أنس الوجود وبنوا مدينة أرمنت وحسنوا طيبة وأقاموا فيها هيكل دير المدينة وقد شيدت كليوبطرة هيكل دندرة ومدينة ادفو القديمة. ولم تضعف دولة البطالسة الا بعد تعاهدها مع رومية حيث أخذت فى الاضمحلال والفناء

لخصنا المذلكة المتقدمة من مختصر تاريخ الامة القبطية تأليف الفاضل سليم افندى سليمان فانتا ألفيناه أجمع ملخص لما يهم معرفته من تاريخ قدماء المصريين. وكان اعتمادنا عليه تنويها بفضل مؤلفه)

(دور الدولة الرومانية) يبتدىء هذا

الدور من سنة (٣٠) ق.م الى سنة (٦٤٠) بعد الميلاد فكانت مصر تابعة لحكومة رومية الى سنة (٣٩٤) فلما انقسمت هذه المملكة الى قسمين شرقية عاصمتها القسطنطينية وغربية عاصمتها رومية وقعت مصر فى حصة المملكة الشرقية من السنة المذكورة انظر (رومان)

فكان النظام المتبع فى حكومة مصر أن ترسل اليها الحكومة الرومانية بالحكام من رومية اولا الى سنة (٣٩٥) ثم من القسطنطينية بعد ذلك الى سنة (٦٤٠) وفى تفصيل سيرة هؤلاء الحكام تطويل وغاية مايقال ان مصر شهدت فى ذلك العهد من المظالم مالم تره فى أى عصر من عصورها ولاسيما فيما يختص بالاضطهادات لاجل الدين فان المصريين أخذوا بالديانة المسيحية فى منتصف القرن الاول للميلاد بدعوة مرقس صاحب الانجيل فانه وفد الى مصر فى منتصف القرن الأول ونشر التعاليم المسيحية فقبلها المصريون. وأول كنيسة شيدت فى هذه البلاد كانت فى الاسكندرية سنة (٦٧)

فلم يرق هذا الدين فى أعين الرومانيين فى أوروبا فعارضوه ومنعوا انتشاره وأخذوا متبعيه بالقسوة المفرطة فصاروا يحرقونهم أو يعذبونهم حتى يموتوا تعذيبا وأوعزوا الى نوابهم فى مصر ان يجروا على هذه الطريقة فجروا عليها فى معاملة القبط فأزهقوا منهم أرواحا لاتحصى وظل الحال على هذا المنوال الى أن تولى الامبراطور الرومانى ديقلاديانوس من سنة ٢٨٢ الى ٣٠٣م فعزم على ابادة المسيحيين فأعمل فيهم السيف فى اوربا وأمر نائبه على مصر ان يحذو حذوه فى هذه البلاد ثم حضر هو نفسه الى هذه البلاد واعمل فى أهلها الحديد والنار حتى قتل منهم مايزيد عن الثمان مئة الف نسمة وهى من الاضطهادات الكبرى التى قلت أمثالها فى تاريخ البشر

ولم يكن الحكم الرومانى من الوجهة المدنية على أسلوب يحبب أهل هذه البلاد فيهم فقد كان الظلم سنة تلك الحكومة حتى ضج الناس ولم يجدوا لهم محيصا غير الاستسلام فصبروا امكرهين الى سنة (٦٤٠) حتى أتاهم العرب مخلصين

(دور المسلمين فى تاريخ مصر)

يبتدىء هـذا الدور من سنة (٦٤٠) الى ماشاء الله ويحسن بنا اعطاء تفصيلات عن هذا الدور لابد منها لان هذا الدور أساس حياة مصر الحالية ومن أصوله تستمد أصول المصريين الحيوية

لما امتـد ملك المسلمين فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب الى الشام ألح عمرو بن العـاص على الخليفة ان يأذن له فى فتح مصر وأراه سهولة ذلك وان المصريين ينتظرون من يغزو بلادهم ليثوروا معه على ظالميهم الرومانيين الى غير ذلك من الاقناعات حتى قبل منه ذلك وعهد اليه به فى سنة ١٨هـ. وجهزه بجيش صغير فسار حتى بلغ الفـرما وكانت بلدة بالقرب من قطيه على بعد يوم منها وكانت محصنة فافتتحها بعدما قاتل الرومانيين بها نحو من شهر وانما كان دفاعهم فيها شديدا لانها باب مصر . ثم سار عمرو حتى بلغ بلبيس وكانت محصنة أيضا فافتتحها بعد قتال عنيف وكان بهـا ابنـة المقوقس القبطى وهو نائب الرومان على مصر السفلى فأرسلها الى والدها لم يمسسها سوء فوقع ذلك لدى المقوقس أحسن وقع

ثم طلب عمرو من أمير المؤمنين المدد فسير اليه أربعة آلاف رجل فسـار بهم حتى نزل على حصن قوى على شاطىء النيل بضفتـه الشرقية يقـال له بابل أو بابليون بشيده الفرس قديما وكان هـذا الحصن أمام مدينـة منفيس على الضفـة الغربية وكان بها المقوقس فأخذ عمرو فى مقاتلة الرومان يصبحهم ويمسيهم فلما أبطأ عليه الفتح كتب الى عمر بن الخطاب يستمده فأمده بأربعة آلاف آخرين وجعل على كل الف واحدا من مشهورى القواد وكتب اليه : «انى قد أمددتك بأربعة آلاف على كل الف منهم رجل بمقام الف وهم الزبير ابن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد واعلم ان معك اثنى عشر الفا ولاتغلب اثنى عشر الفا من قلة »

وكان الرومان قد خنـدقوا عليهم وألقوا بالخنادق حسك الحديد أى شوك الحديد وهو مايعبر عنه الآن بالحدايد الشائكة . فلما امتنع الحصن على المسلمين وضع الزبير بن العوام سلما الى جانب الحصن وصعد عليه وتبعه كثير من المسلمين فلم يشعر الرومان الا وقد دهمهم العرب فأخذوا فى الحرب وتمكن الزبير

واصحابه من فتح باب الحصن فخاف المقوقس على نفسه فهرب هو وأكابر القبط من منفيس ولحقوا بجزيرة فى وسط النيل وأمروا بقطع الجسر الذى يوصل بينها وبين الحصن وكان مصنوعا بسفن متلاصقة بعضها بجانب بعض

وأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص يحسن له أمر الصلح ويخوفه من جيوش الرومانيين فقبل القائد العربى أن يصالح على أحد هذين الشرطين وهما : اما الاسلام واما الجزية . فقبل المقوقس الجزية على ان يدفع كل قبطى فى مصر من شريف ووضيع دينارين عن نفسه وليس على من لم يبلغ الحلم ولا الشيخ الهرم ولا على النساء شىء وان لهم أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم فى شىء منها وأحصى من تستحق عليه الجزية يومئذ فبلغوا أكثر من ستة ملايين . فلما بلغ ملك الرومان ما فعله المقوقس أرسل اليه يقبح رأيه ويأمره بقتال العرب مستعينا بالقبط وبمن معه فى مصر من جنود الرومان وكان يبلغ عددهم مئة الف

فلم ير المقوقس ان يخرج مما دخل فيه وترك الرومان العرب حتى تفىء الى أمر الله واعتزل هو وقومه القتال

اما هراقل امبراطور الرومان فأرسل الى مصر جيوشا كثيفة التقت مع العرب مرارا فكان العرب ينتصرون فى كل مرة حتى أوصلوهم الى الاسكندرية فتحصنوا بها وكانت حصونها لا ترام وكان القبط يمدون المسلمين بما يحتاجون اليه من الاطعمة والعلوفة . وكان الرومانيون تأتيهم الامداد من بلادهم بطريق البحر حتى هم هيراقل بالمسير بنفسه الى مصر فمات وهو يستعد لذلك سنة (٢٠) هجرية فانكسرت شدة الرومانيين بالاسكندرية ورجع منهم عدد عظيم . بقى عمرو ينازل من بقى منهم حتى افتتحها يوم الجمعة من شهر المحرم سنة (٢٠) هجرية الموافقة ٢٢ ديسمبر سنة (٦٤٠) ميلادية بعد أن حاصرها أربعة عشر شهرا

ثم ان عمرا أخذ يتعقب من هرب من فلول الجيش الرومانى الى داخل البلاد فلما بلغ الرومانيين ان حامية الاسكندرية من المسلمين قليلة عادوا فاحتلوا الاسكندرية وحصنوها فعاد اليها عمرو بن العاص فافتتحها ثانية وأقام بها وكتب بذلك الى أمير المؤمنين فرد عليه

بأن لا يجاوزها وقبح رأيه فى تتبع من هرب

ثم عاد عمرو الى المكان الذى كان نزله المسلمون أولا عند محاصرتهم لحصن بابليون وكان عمرو ترك به فسطاطه منصوبا فبنى المسلمون حوله بيوتا واختطوا خططا صارت فيما بعد مدينة أطلق عليها اسم الفسطاط وهي مصر القديمة وبنى بها مسجده المشهور للآن وهو الذى تصلى به آخر جمعة من رمضان رسميا تذكاراً لفتح المسلمين لمصر

من أعمال عمرو بن العاص النافعة حفره خليجا يوصل النيل بالبحر الاحمر لسهولة المواصلة مع بلاد العرب ونقل الغلال الى تلك البلاد وبه تمكن من نقل الحبوب الى بلاد العرب زمن القحط وكان ذلك الخليج يسمى بخليج أمير المؤمنين. وأبطل عادة القاء عذراء فى النيل تقربا اليه باعتبار ألوهيته وقد ثبت ان هذا اختلاق

ثم أرسل عمرو جيشا لفتح برقة فصالحه أهلها

ولما توفى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتولى الخلافة عثمان بن عفان عزل عمرو ابن العاص عن مصر وولاها عبد الله ابن ابى سرح فسار سيرة حسنة محمودة وغزا وثلاث غزوات ذات شأن : غزا افريقية وقتل ملكها ، وغزا الاساورة حتى بلغ دنقلة ، وغزا الصوارى . وبلغ خراج مصر فى مدته أربعة عشر الف الف دينار أى ١٤ مليون دينار فلما لقى عثمان عمرو ابن العاص قال له قد علمت ان اللقحة درت بعدك. فقال عمرو نعم، ولكن بعد أن أعجفتم صغارها

والذى جباه عبد الله بن ابى سرح هو الجزية من عدد النفوس غير الخراج والاموال الديوانية . مات عبد الله بن أبى سرح سنة (٣٥) بعد أن استخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى فكانت ولايته احدى عشرة سنة ونحو نصف سنة

فلما تولى الخلافة أمير المؤمنين على بن ابى طالب ولى مصر سعد بن عبادة الانصارى فأقام قليلا ثم مات

فعقبه محمد بن ابى بكر فوصل الى مصر فى نصف رمضان سنة (٣٧) فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فبلغ ذلك معاوية فبعث عمرو ابن العاص فى جيش الى مصر فحدث قتال عنيف بينه وبين محمد بن ابى بكر وانتهى

القتال بغلبة عمر فهرب محمد فظفر به معاوية ابن جديع فقتله ثم جعله فى جيفة حمار وأحرقه بالنار سنة ٣٨ فكانت ولايته خمسة أشهر

ثم تولى عامر بن عقبة الجهنى من قبل معاوية وصرف عنها سنة ٤٧ فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر

ثم تولى مسلمة بن مخلد الانصارى من قبل معاوية وتوفى فى ولايته سنة ٦٢ فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر

ثم تولى سعيد بن يزيد بن علقمة الاسدى من قبل يزيد بن معاوية وعزل سنة ٦٤ فكانت ولايته سنة واحد عشر شهراً

ثم تولى عبد الرحمن بن عقبة بن جحدر من قبل عبد الله بن الزبير فأقام تسعة أشهر

ثم تولى عبد العزيز بن مروان من قبل أبيه الخليفة مروان بن الحكم سنة ٦٥ فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً

ثم تولى عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه عبد الملك سنة ٨٠ وهو ابن سبع وعشرين سنة وكانت ولايته اربع سنين وعشرة أيام

ثم تولى قرة بن شريك العبسى من قبل الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ فكانت ولايته ست سنين الا أياما

ثم تولى عبد الملك بن رفاعة من قبل سليمان بن عبد الملك سنة (٩٦) الى غاية صفر سنة ٩٩ فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولى أيوب بن شرحبيل بن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ ومات سنة ١٠١ فكانت ولايته سنتين ونصف سنة

ثم تولى بشر بن صفوان الكلبى من قبل يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١ وفى ولايته استولى الرومان على تنيس ١٠٢

ثم تولى حنظلة بن صفوان وهو أخو شريك المذكور باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وعزل سنة ١٠٥ فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولى محمد بن عبد الملك بن مروان من قبل أخيه هشام سنة ١٠٥ فوقع وباء بمصر فهرب منها ولم يلها الا نحواً من شهر

ثم تولى الحر بن يوسف بن يحيى ابن الحكم من قبل عبد الملك واستقال

سنة ١٠٨ فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولى الحفص بن الوليد الحضرمى من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد أسبوعين

ثم تولى عبد الملك بن رفاعة ثانية فقدم مصر ثانية ١٠٩ ومات فى نصف المحرم فكانت ولايته خمس عشرة ليلة

ثم تولى الوليد بن رفاعة باستخلاف من أخيه فأقره هشام بن عبد الملك فتوفى وهو وال فى جمادى الآخرة سنة ١١٧ فكانت ولايته تسع سنين وخمسة أشهر

ثم تولى عبد الرحمن بن خالد باستخلاف من الوليد فأقام سبعة أشهر

ثم تولى حنظلة بن صفوان ثانية من قبل هشام بن عبد الملك سنة ١١٩ فحصل بينه وبين القبط محاورة فبلغ ذلك هشام فصرفه عنها وولاه أفريقية وخرج فى ربيع الآخر سنة ١٢٤ فكانت جملة ولايته خمس سنين وسهرين

ثم تولى حفص بن الوليد الحضرمى ثانية من قبل هشام سنة ١٢٤ ولما مات هشام واستخلف بعده أخوه الوليد بن يزيد أقر حفصا . ثم صرف عن الولاية سنة ١٢٥ فكانت مدة ولايته سنة وشهرين

ثم تولى عيسى بن عطاء من قبل الوليد بن يزيد الى أن عزله مروان الاخير ابن مروان الاول سنة ١٢٦ فكانت مدة ولايته خمسة أشهر

ثم تولى حسان بن عتاهية من قبل مروان المذكور فى المحرم وعزله فى سنته

ثم تولى حفص بن الوليد ثالثة على كره فأقام رجب وشعبان ثم عزل فى المحرم سنة ١٢٨

ثم تولى حوثرة بن سهل بن عجلان الباهلى من قبل مروان المذكور فى المحرم سنة ١٢٨ فاجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الأمان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فأخذ فى طلب من كان سببا للفتنة فجمعوا اليه فضرب أعناقهم، ثم صرف من ولايته فى جمادى الاولى سنة ١٣١ وبعثه مروان الى العراق فقتل فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وستة أشهر

ثم تولى المغيرة بن عبد الله بن المغيرة من قبل مروان سنة ١٣١ وتوفى سنة ١٣٢ فكانت جملة ولايته عشرة أشهر

ثم تولى عبد الملك بن مروان من قبل أبيه مروان الخليفة فكان آخر نواب خلفاء بنى أمية وذلك فى سنة (١٣١)

(من تولى مصر من قبل الدولة العباسية) جاءت الدولة العباسية فكان أول نوابها بمصر صالح بن على بن عبد الله ابن عباس من قبل أمير المؤمنين أبى العباس السفاح . قدم فى المحرم سنة ١٣٢ فقتل كثيراً من شيعة بنى أمية وجهز طائفة منهم الى العراق فقتلوا ثم ورد كتاب من السفاح الى صالح المذكور بامارة فلسطين واستخلافه على مصر من يشاء

ثم تولى أبو عون بن عبد الملك الجرجانى فى مستهل شعبان سنة ١٣٣ هوقع وباء بمصر فهرب أبو عون من مصر واستخلف عكرمة بن عمرو وخرج الى دمياط سنة ١٣٥ ثم ورد كتاب من السفاح بولاية صالح بن على ثانية على مصر فى ربيع الاول سنة ١٣٦ ومات السفاح فى ذى الحجة واستخلف أمير المؤمنين عبد الله المنصور فأقر صالحا على ولايته

ثم صرف عنها فكانت جملة ولايته خمس سنوات

ثم تولى ابو عون ثانية من قبل المنصور فى ربيع الاول سنة (١٤١) ثم صرف عنها فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وستة أشهر

ثم تولى موسى بن كعب بن عيينة من قبل المنصور فى ربيع الآخر سنة (١٤١) فكانت ولايته ستة أشهر

ثم تولى محمد بن الاشعث الخزاعى من قبل المنصور فى ذى الحجة سنة (١٤١) ثم صرف عنها فكانت ولايته ستة أشهر

ثم تولى حميد بن قحطبة من قبل المنصور فدخل فى عشرين الفاً من الجند فى شهر رمضان سنة (١٤٣) ثم صرف فى ذى القعدة سنة (١٤٦) فكانت ولايته ثلاث سنوات وسبعة أشهر

ثم تولى يزيد بن حاتم المهلب من قبل المنصور فى نصف القعدة سنة (١٤٦) وصرف عنها فى ربيع الآخر سنة (١٥٢) فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر

ثم تولى عبد الله بن عبد الرحمن من قبل المنصور فى ربيع الآخر وهو أول من خضب بالسواد وصرف عنها فى رمضان سنة (١٥٤) فكانت ولايته

سنتين وشهرين

ثم تولى محمد بن عبد الرحمن بن معاوية باستخلاف من أخيه عبد الله فأقره المنصور ومات فى نصف شوال فكانت ولايته ثمانية أشهر ونصف شهر

ثم تولى موسى بن على بن رباح باستخلاف من محمد بن عبد الرحمن ولما مات المنصور وبويع لولده محمد المهدى أقر موسى المذكور الى ذى الحجة سنة (١٦١) فكانت ولايته ست سنين وشهرين

ثم تولى عيسى بن لقمان بن محمد الجمحى من قبل المهدى فى ذى الحجة سنة (١٦١) وصرف عنها فى جمادى الاولى سنة (١٦٢) وصرف عنها فى رمضان من السنة المذكورة فكانت ولايته أربعة شهور

ثم تولى منصور بن يزيد الزعبى وهو خال المهدى من قبل المهدى فى رمضان سنة (١٦٢) وصرف في نصف القعدة فكان مقامه شهرين وثلاثة أيام

ثم تولى يحيى أبو داود من خراسان من قبل المهدى فى ذى الحجة سنة (١٦٢) وكان أبوه تركياً من أشد الناس وأعظمهم هيبة واقدمهم على الحرب فمنع من اقفال الدروب بالليل ومن اقفال الحوانيت ومنع حراس الحمامات ان يجلسوا فيها وقال من ضاع له شىء فعلى اداؤه فكان الرجل يضع ثيابه فى الحمام ويقول ياأبا داوود احرسها فاذا ضاعت يأتيه فيمهله يوماً ثم يأتى بها ممن أخذها فكانت الامور على هذا المنوال واستمر الى المحرم سنة (١٦٤) فكانت ولايته قريباً من سنتين

ثم تولي ابراهيم بن صالح بن على ابن عبد الله بن عباس من قبل المهدى فى المحرم سنة (١٦٥) وفى ولايته خرج دحية ابن مصعب بن مروان بالصعيد ودعا لنفسه بالخلافة فتراخى ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد فسخط عليه المهدى وعزله عزلا قبيحاً فى ذى الحجة سنة (١٤٨) فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولى موسى بن مصعب من قبل المهدى فى ذى الحجة سنة (١٦٧) فتوجه بعسكره الى بلاد الحوف لقتالهم فلما التقوا انهزم أهل مصر بأجمعهم وقتلوه من غير أن يتكلم وكان قتله في شوال سنة

١٦٨ فكانت ولايته عشرة اشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث يقرأ فى خطبته انا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها. فقال الليث اللهم لا تمقتنا

ثم تولى عصامة بن عمر باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع اخته بكار فحارب يوسف بن نصر وهو على جيش دحية فتطاعنا فوضع يوسف الرمح فى خاصرة بكار ووضع بكار الرمح فى خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمين واستمر الى سلخ المحرم سنة ١٦٩

ثم تولى على بن سنان بن على من قبل الهادى سنة ١٩٦ ولما مات الهادى واستخلف هرون الرشيد أقر على بن يوسف المذكور فأظهر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الملاهى والخمور والكنائس المحدثة بمصر فبذلت النصارى فى عدم هدمها ما يزيد على خمسين الف دينار فلم يقبل وكان كثير الصدقات عزل فى ربيع الاول سنة ١٧١

ثم تولى عيسى بن موسى العباسى من قبل الرشيد فأذن للنصارى فى بناء الكنائس التى هدمها على بن سنان فبنيت بمشورة العلامتين الليث بن سعد وعبد الله بن ابى لهيعة ثم صرف عن مصر سنة ١٧٢ فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة اشهر ونصف شهر

ثم تولى مسلمة بن يحيى البجلى من خراسان من قبل الرشيد ثم صرف عنها فى شعبان سنة ١٧٣ فكانت ولايته احد عشر شهرا

ثم تولى محمد بن زهير الازدى من قبل الرشيد فى شعبان المذكور فثار عليه الجند ولم يستقم له حال فصرف عنها فى غاية ذى الحجة سنة ١٧٣ فكانت ولايته خمسة أشهر

ثم تولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبى وقدم هو وابراهيم لاخراج الجند الذين قاموا على محمد الازدى فدخلا مصر فى المحرم سنة ١٧٣ فأخرجا العسكر القديم الى الغرب واستقام الحال وسكنت الفتنة

ثم صرف داود المذكور عن ولايته فى المحرم سنة ١٧٥ فكانت ولايته سنة ونصف سنة

ثم تولى موسى بن عيسى العباسى من قبل الرشيد فى شهر صفر سنة ١٧٥

وصرف فى شهر صفر سنة ١٧٦ فكانت ولايته سنة واحدة

ثم تولى ابراهيم بن صالح ثانية من قبل الرشيد فى غرة ربيع الاول سنة١٧٦ وتوفى فى ولايته فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما

وقام بعده بالامر ابنه صالح مع صاحب شرطته خالد بن يزيد

ثم تولى عبد الله بن المسيب من قبل الرشيد سنة ١٧٦ فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فقاتلهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فجهز جيشا عظيما وبعثه الى الحوف فتلقوه بالطاعة وأذعنوا له وقاموا بالخراج كله

ثم صرف عبد الله المذكور فى رجب سنة ١٧٨ فكانت ولايته سنتين وسبعة اشهر

ثم تولى هرثمة بن اعين من قبل الرشيد فى شهر رمضان سنة ١٧٨ فأشار عليه الرشيد بالمسير الى افريقية فكان مقامه شهرين ونصف شهر

ثم تولى عبد الله بن صالح العباسى من قبل الرشيد فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب وصرف سلخ سنة ١٧٨ فكانت مدته شهرا واحدا ونصفا

ثم تولى عبد الله بن المهدى من قبل اخيه الرشيد فى المحرم سنة ١٧٩ فاستخلف ابن المسيب وصرف فى رمضان فكانت ولايته تسعة أشهر

ثم تولى عيسى بن موسى ثالث مرة من قبل الرشيد فأرسل ابنه يحيى خليفة عنه فى رمضان سنة ١٧٩ وصرف فى جمادى الآخرة سنة ١٨٠ فكانت ولايته تسعة اشهر

ثم تولى عبد الله بن المهدى ثانية من قبل أخيه الرشيد فقدم داود بن حباسة خليفة عنه في جمادى الآخرة سنة ١٨٠ وصرف فى رمضان سنة ١٨١ فكانت ولايته سنة واحدة وثلاثة اشهر

ثم تولى اسماعيل بن صالح العباسى من قبل الرشيد فى سابع رمضان المذكور فاستخلف عون بن وهب الخزاعى فى جمادى الآخرة سنة ١٨٢ فكانت ولايته تسعة اشهر

ثم تولى اسماعيل بن عيسى العباسى

سنة ١٨٢ وصرف في رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة شهور

ثم تولى الليث بن فضل من أهل بيروت من قبل الرشيد في سابع رمضان من السنة المذكورة وقدم مصر في شوال فجاءه المال والهدايا والتحف واستخلف أخاه الفضل وتوجه بالمال والهدايا الى الرشيد

ثم عاد وتوجه ثانية بالمال واستخلف هاشم بن عبدالله وكما أتم سنة وخرج من حسابها توجه بالمال الى الرشيد ومعه الحساب

ثم صرف عن مصر في جمادى الآخرة سنة ١٨٧ فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر

ثم تولى احمد بن اسماعيل العباسى من قبل الرشيد في جمادى الآخرة سنة ١٨٧ ثم صرف في رمضان سنة ١٨٩ فكانت ولايته سنتين وشهراً ونصف شهر

ثم تولى عبد الله بن محمد بن ابراهيم العباسى من قبل الرشيد في شوال وصرف في شعبان سنة ١٩٠ فكانت ولايته عشرة اشهر

ثم تولى الحسين بن جميل من قبل الرشيد في رمضان سنة ١٩٠ وصرف في ربيع الآخرة سنة ١٩٢ فكانت مدة ولايته سبعة أشهر. ثم تولي دلهم الكلبى من قبل الرشيد في ربيع الآخر سنة ١٩٢ وصرف في صفر سنة ١٩٣ فكانت ولايته عشرة أشهر

ثم تولى الحسن التحتاخ من قبل الرشيد في ربيع الاول سنة ١٩٣ فمات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند ووقعت فتنة عظيمة فجهز الحسن مال مصر فوثب أهل الرملة لاخذه فبلغ الحسن فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام وكان سيره في ربيع الاول سنة ١٩٢ فكانت مدة ولايته سنة واحدة

ثم تولى الحاتم بن هوّ من قبل الامين في ربيع الثانى سنة ١٩٤ وصرف في جمادى الآخرة سنة ١٩٥ فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة اشهر

ثم تولى حاتم الاشعث الطائى من قبل الامين وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمأمون قام السرى بن الحكم

عصبيا للمأمون ودعا الناس الى خلع الامين فأجابوه وبايعوا للمأمون لثمان بقين من جمادى الاولى سنة ١٩٦ واخرجوا حاتما الاشعث فكانت ولايته سنة واحدة

ثم تولى عبادة بن محمد حسان ابن ابى نصر من قبل المأمون فى رجب سنة ١٩٦ فبلغ الامين ماكان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس رئيس الحوف بولاية مصر وكتب الى جماعة تعاونه ببيعة الامين وخلع المأمون ولما قتل الامين صرف عبادة فى شهر صفر سنة ١٩٨ فكانت ولايته سنة وسبعة اشهر

ثم تولى المطلب بن عبد الله الخزاعى من قبل المأمون فى ربيع الآخرة سنة ١٩٨ ثم صرف فى شوال فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر

ثم تولى العباس بن موسى العباسى من قبل المأمون فى ذى القعدة سنة ١٩٨ وعزل سنة ١٩٩

ثم تولى المطلب ثانيا من قبل المأمون فى المحرم سنة ٢٠٠ وعزل فى شعبان من السنة المذكورة

ثم تولى السرى بن الحكم من اهل بلخ من قبل المأمون فى مستهل رمضان سنة ٢٠٠ وتوفى السرى المذكور سنة ٢٠٤ وهى السنة التى مات بها الشافعى رضى الله عنه

ثم تولى محمد بن السرى المذكور من قبل المأمون وتوفى فى شعبان سنة ٢٠٦ فكانت ولايته اربعة عشر شهراً

ثم تولى عبد الله بن اسرى باجماع من الجند وعزله عبيد الله بن طاهر من قبل المأمون فى ربيع الآخر سنة ٢١١

ثم تولى عيسى بن يزيد الجلودى باستخلاف عبدا لله بن طاهر الى سابع عشر القعدة ٢١٣

ثم تولى الامير ابو اسحق بن هرون الرشيد وهو المعتصم فأقر موسى على الصلاة فقط وجعل صالح بن شيراز على الخراج فظلم الناس فحاربوه وقتلوا اصحابه فى صفر سنة ٢١٤

ثم تولى عمر بن لوليد التميمى باستخلاف ابى اسحق بن هرون الرشيد فخرج لقتال الحوف في ربيع الآخرة

سنة (٢١٤) فكانت ولايته شهرين

ثم تولى عيسى الجلودى ثانية باستخلاف أبى اسحق بن هرون الرشيد فحارب أهل الحوف بالمطرية ثم انهزم فأقبل أبو اسحق فى أربعة آلاف من أتراكه فقاتل أهل الحوف وقتل أكابرهم وخرج الى الشام غرة المحرم سنة (٢١٥) فى أتراكه ومعه الاسارى. ثم تولى عبدويه بن جبلة من قبل ابى اسحق فاستمر الى غاية سنة (٢١٥) وتوجه الى برقة

ثم تولى عيسى بن منصور الرافعى من قبل ابى اسحق المذكور فى أول سنة (٢١٦) فاختلف عليه عرب مصر وقبطها فى جمادى الاولى من السنة المذكورة وخلعوا الطاعة فقاتلهم وقتل منهم جماعة فكانت حروبا عظيمة الى ان قدم عبيد الله المأمون الى مصر سنة (٢١٧) فسخط على عيسى وحل لواءه ونسب هذه الفتنة اليه ثم ان المأمون جهز الجيوش لاهل الفساد وسبى منهم من سبى وقتل منهم من قتل

ثم ولى الخليفة المعتز بالله باك التركى أميراً على مصر فأناب عنه أحمد بن طولون فولاه امارة مصر بالنيابة عنه وذلك سنة (٢٥٤) فاستقل بها وكان مؤسسا للدول الطولونية من سنة (٢٥٤) الى (٢٩٢) ھ

أصل ابن طولون من التركستان وكانت أسرته تسكن بجوار بحيرة لوب ببخارى الصغرى فأسر أبوه فى احدى الوقائع الحربية وجىء به الى أبى أسد السامى وكان من عمال المأمون يدفع له اتاوة سنوية من المماليك والخيل . فكان طولون فى جملة من أرسلهم ابن أسد من المماليك الى المأمون سنة (٢٠٠) فأعجب به المأمون وألحقه بحاشيته ومازال يرقيه حتى جعله رئيس حرسه ولقبه بأمير الستر فبقى طولون نحواً من عشرين سنة فى هذا المنصب على عهد المأمون والمعتصم وفى هذه الاثناء رزق بابنه أحمد بن طولون فرباه تربية عالية فشب تقيا حسن الاخلاق لين العريكة . ولما توفى والده سنة (٢٢٩) ولاه الخليفة امارة الستر بدلا عنه ولكنه كان مغرما بالعلم يتردد الى طرسوس لتلقى الدروس بها ثم استأذن أمير المؤمنين ان ينقطع فى طرسوس لتلقى العلم بها فأذن له فى ذلك مع بقاء ألقابه ومرتباته لحين عودته فأتقن أحمد بن

طولون هنالك علم الحديث وغيره وعاد الى بغداد وقد أخذ من المعارف بقسط وافر فرأى ان الاتراك قد عزلوا المستعين وبايعوا المعتز وآل أمر الاول الى التغريب بواسط فوكلوا به أحمد بن طولون . فلما أراد المعتز قتل المستعين خوفا من عودته الى الخلافة أمر أحمد بن طولون وهو الموكل به ان يقتله فأبى فسير اليه المعتز من قتله فلما علم أحمد بن طولون بذلك عظم لديه هذا الامر فجهزه ودفنه فرفعت هذه الحادثة من قدر أحمد بن طولون في نظر الناس ولما تعين باك التركى واليا على مصر أرسل أحمد بن طولون اليها بالنيابة عنه

دخل ابن طولون مصر وكان على خراجها أحمد بن المدبر فتلقاه باحتفاء عظيم وأرسل اليه بهدية فلم يقبلها أحمد بن طولون فتخوف ابن المدبر من ذلك وأخذ يسعى في خلعه . أما أحمد فلم يبال به وأخذ في تعزيز حصون مصر واستحكاماتها واعداد الجنود من أهلها فكتب الامير أماجور التركى والى الشام الى الخليفة يخوفه من ابن طولون ويذكر له أنه قد صار له فيها دولة وكتب له مدير الخوارج ابن المدبر بمثل ذلك ايضا . فأرسل اليه الخليفة بترك مصر والانتقال الى سامرا واستخلاف من شاء فهم بتلبية الامر ولكنه أدرك انها حيلة لاصطياده فجهز أحمد بن محمد الواسطى كاتب سره وأرسله بالنيابة عنه الى سامرا وزوده بالهدايا الفاخرة الى الوزير فملك أهواءه وسعى له عند الخليفة حتى ألغى أمره السابق وأقره على مصر كما كان وصرح له بنقل أسرته اليها

وفى سنة (٢٥٧) قتل باك التركى فخلفه برقون التركى وهو حمو أحمد بن طولون فأقره على مصر جميعها وأحال اليه جباية خراجها أيضا فصار هو المتصرف المطلق بها

وفى سنة (٢٦٢) أرسل الموفق الى احمد بن طولون يطلب منه حمل خراج مصر اليه مع انه كان من نصيب المفوض (لان الخليفة المعتمد قسم الاعمال بينهما فكانت مصر من نصيب المفوض) وفى الوقت نفسه ارسل الخليفة المعتمد الى ابن طولون يطلب حمل المال اليه ويحذره من الموفق فعزم ابن طولون على تسليم المال للموفق فسلمه لنحرير خادمه وأخذ ما كان معه من الكتب . فوجد فيها

كتبا باسم بعض قواده يستميلهم اليه ويعدهم ويمنيهم فقبض عليهم احمد بن طولون وقتلهم

فلما وصل المال الى الموفق استقله فأرسل لاحمد بن طولون يوبخه فرد عليه احمد جوابا غليظا . فلما وصل الجواب الى الموفق حنق حنقا عظيما وعزم على عزله فعرض ولايتهـا على كل جدير بها فأبوا لاحسان ابن طولون وأياديه لديهم فعرضها على اماجور والى الشام فأباها بتاتاً . فلما رأى ذلك أرسـل قائده موسى بن بغـا لاخراج احمد بن طولون من مصر بالقوة فلما وصل الى الرقة اختلفت جنوده عليه لقلة المال فاضطر للرجوع

وفى سنة (٢٦٤) توفى أماجور أمير الشام وتولى أبنه مكانه فطمع ابن طولون فى ضمها الى ملكه فسار اليه فخضع له ابن اماجور بلا حرب فأقرة عليهـا واتبعها بملكه . ولما ذهب احمد بن طولون للشام مرة ثانية لقمع فتنة ثارت بها عهد بادارة البـلاد لابنه عباس فأغراه بعض الناس بشق عصا الطاعة على أبيـه فلما علم أبوه بذلك وقصده خاف عباس فأخذ الاموال التى فى خزائن مصر وسار الى برقة وأخذ يستميل اليـه اهل المغرب فلم تصادف دعوته قبولا وأخذ احمـد بن طولون يكاتبه ويلاطفه فلم يقبل ومازال متشرداً فى طرابلس الى سنة (٢٦٧) حتى اتبعـه عصابة قوية فسار بها الى الاسـكندرية فخلع أبيـه . فأرسل أبوه وزيره احمـد الواسطى فحاربه وانتصر عليه وأمسكه حيا وجاء به الى والده فى منتصف سـنة (٢٦٨) فاعتقله وقتل كل من كان سبباً فى غوايته

وفى سنة (٢١٩) اضطر ابن طولون للذهاب الى الشـام لقمع فتنة ثارت بهـا فأخذ معه ابنه عباسا واستخلف على مصر ولده خمارويه وبينما هو يحـارب بانطاكية أصيب بمرض عضال فحمل الى مصر على الهودج فتوفى سنة (٢٧٠)

فقام بالامر بعده خمارويه بن احمـد من سنة (٢٧٠ الى ٢٨٢) فلما بويع له حضر أخاه وطلب أن يبايعه فأبى فأعاده الى معتقله ثم قتله بايعاز القائد أبى عبدالله ثم خاف ابو عبد الله هـذا من امكان ندم خمارويه على ما فعل فيعود الى الانتقام منـه فكاتب الموفق وأخذ يصف بذخ خمارويه ويطمعه فى أخـذ الشام من يده

لما توفى أحمد بن طولون طلب اسحق ابن كنداج عامل الجزيرة وابن أبي الساج عامل الكوفة من الموفق أن يأذن لهما فى استخلاص الشام من يد خمارويه فأذن لهما فسارا اليها وفتحاها فأغضب ذلك خمارويه فسار فى جيشه وجعل القيادة لسعيد قائده فبلغ المعتضد ذلك فسار من دمشق نحو الرملة فأتاه خبر خمارويه وكثرة من معه من الجنود فهم بالعود فلم يمكنه أصحاب خمارويه فدارت رحى الحرب وحملت ميسرة المعتضد على ميمنة خمارويه فانهزمت فارتاع لذلك خمارويه وكان حدثا لاعهد له بالقتال فصد الى المرب هو ومن معه من الاحداث ونزل المعتضد خيام خمارويه وهو لايشك فى النصر فخرج اليه سعيد القائد ببقية الجيش فتوهم المعتضد أن خمارويه قد عاد فحدثت موقعة عظيمة قتل فيها من جنود بغداد عدد لايحصى وبعد الوقعة تفقد سعيد خمارويه فلم يجده ثم علم انه هرب الى مصر وكان معه أخوه أبو العشائر فأقامه العسكر مقام أخيه فوزع بينهم الغنائم. فلما بلغ هذا النصر خمارويه خجل من هربه ولكنه فرح بما حدث على يد قائده ووزع الاموال والصدقات واحتفل بهذا الحادث احتفالا عظيما

وفى سنة (٢٧٥) خلع ابن أبى الساج عامل الجزيرة طاعة خمارويه فسار اليه وقاتله وهزمه وولى مكانه اسحق بن كنداج

وفى سنة (٢٧٩) توفى الخليفة المعتمد وتولى المعتضد فأرسل خمارويه يتحبب اليه وأرسل له هدايا فاخرة وعرض عليه أن يزوج ابنته قطر الندى لابن الخليفة على. فقبل الخليفة أن يكون الزواج لهو وحصل الزفاف على أحسن مايكون سنة (٢٨٢) وفى هذه السنة قتل خمارويه قتله خدمه خوفا من تحقيق كان شرع فيه لما بلغه وجود علاقات غرامية بين بعض نسائه وبعض قواده

ثم تولى بعده جيش بن خمارويه من سنة (٢٨٢ الى ٢٨٣) هو وكان يلقب بأبى العساكر فلم يلبث أن ثار عليه الجنود طالبين خلعه وتولية عمه فلاطفهم كاتبه على بن أحمد حتى رجعوا فقتل جيش عمين له وثار الجند عليه فرمى اليهم بالرأسين فهاجوا وماجوا واقتحموا قصره وقتلوه شر قتلة وكانت ولايته تسعة أشهر

تولى بعده هرون بن خمارويه من سنة (٢٨٣ الى ٢٩٢) فأخذ الناس يثورون عليه بايعاز طغج بن جف حاكم الشام التابع له

وفى سنة (٢٨٥) قصد المعتضد بالله استرجاع بلاد الشام من هرون فارتاع لهذا الخبر وصالحه على ان يتنازل له عن قنسرين والعواصم كلها بلا حرب فقبل الخليفة المعتضد ذلك

وفى سنة (٢٩٢) أرسل الخليفة المكتفى بالله قائده محمد بن سليمان بالجيوش لاستخلاص مصر من يد هرون ابن خمارويه فافتتحها وبلغ الفسطاط ووقع الفشل فى جيوش هرون فقاتل بعضهم بعضا فلما اشتد بينهم القتال سار هرون بنفسه لاطفاء الثائرة فأصيب بطعنة من أحد المغاربة فسقط ميتا فى ١٨ صفر سنة (٢٩٢)

تولى بعده شيبان بن احمد بن طولون وهو عم هرون فلم يهنأ بالحكم لان الامة أبت قبوله ملكا عليها وخابرت محمد بن سليمان قائد الخليفة المكتفى أن يعطيهم الامان فأمنهم وملك الفسطاط واعتقل بنى طولون وشردهم فى البلاد

وعادت مصر كما كانت تابعة الخلافة العباسية

فتولى مصر عيسى النوشرى من قبل الخليفة المكتفى بالله من سنة (٢٩٢ الى ٢٩٥)

ثم خلفه محمد بن الخليج فلم يلبث الا قليلا حتى اقتضت الاحوال اعادة النوشرى اليها فتولاها حتى مات سنة (٢٩٧)

فولاها المقتدر تكين الخزرى أبا المنصور فبقى فيها الى سنة (٣٠٢)

فتولاها زكاء الرومى أبو حسن الاعور وبقى فيها خمس سنوات الى سنة (٣٠٧)

فأعيد تكين ثانية فبقى فيها الى ان توفى سنة (٣٢١) وكان له ولد يدعى محمدا فاستولى على الحكومة بدون اذن امير المؤمنين . فأراد هذا ان يعاقبه على جرأته فولى على مصر محمد بن طغج الاخشيد وكان هذا حاكما فى دمشق وأصله من أولاد ملوك فرغانة كان المعتصم بن هرون الرشيد قد استقدم من فرغانة جماعة وصفوا له بالشجاعة والتقدم فى الحروب فبالغ فى اكرامهم وأقطعهم قطائع فى مدينة سر من رأى . وكان من هؤلاء

جف جد محمد بن طغج فأقام بسر من رأى ثم توفى فى بغداد سنة (٢٤١) وخرج أولاده الى البلاد فى طلب المعاش واتصل طغج بن جف بلؤلؤ غلام ابن طولون فاستخدم فى حكومة مصر ثم انحاز طغج الى أصحاب اسحق بن كنداج فأعجب به وأخذه من اسحق وقدمه على جميع من معه وولاه دمشق ولم يزل كذلك حتى قتل خارويه فسار طغج الى الخليفة المكتفى بالله فخلع عليه وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن فلم يتزلف اليه طغج فأغرى به الخليفة المكتفى فقبض عليه وحبسه وابنه أبا بكر . توفى طغج بالسجن وبقى ابنه محبوساً مدة ثم أطلق وخلع عليه ولم يزل بالعباس بن الحسن الوزير حتى أخذ بثأر أبيه منه وهرب الى الشام وأقام متغربا بالبادية سنة

ثم اتصل بأبى منصور تكين الخزرى ولم يزل بصحبته الى سنة (٣١٦) ثم فارقه وسار الى الرملة فوردت كتب المقتدر اليه بولاية الرملة فأقام بها الى سنة (٣١٨) فوردت كتب المقتدر اليه بولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الى أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر فى رمضان سنة (٣٢١) لكنه لم يذهب الى مصر لان الخليفة جعل بدله احمد كيغلغ بعد توليته بشهر

وفى سنة (٣٢٢) عزل الخليفة القاهر بالله وتولاها الراضى بالله فعزل ابن كيغلغ عن مصر وولى مكانه محمد بن طغج فقدم لتسلم الولاية فامتنع ابن كيغلغ عن تسليمه فقاتله محمد بن طغج وانتصر عليه وهرب احمد بن كيغلغ بمن معه من ذويه ولحق ببرقة ثم سار منها الى القيروان والتجأ الى أبى القاسم القائم بأمر الله الخليفة الفاطمى وحرضه على المسير الى مصر فجهز الفاطمى جيشا عرمرماً لفتحها فبلغ ذلك واليها محمد بن طغج فحصن الحدود الغربية لمصر وجعل فيها حامية قوية ولكن جيوش القائم بأمر الله الفاطمى وصلت الى تلك الحدود وانتصرت على حاميتها واستولت على الاسكندرية وتقدمت الى الفسطاط واحتلت قسما كبيرا من الصعيد ثم رأى القائم بأمر الله ان جنوده ربما لايقوون على فتح العاصمة فأجل ذلك الى وقت آخر منتظراً قرب انحلال الخلافة العباسية

وفى الواقع كانت الخلافة العباسية

قد بطلت سطوتها ، وذهبت قوتها فطمع أصحاب الولايات كل فى ولايته وكان من بينهم محمد بن طغج طمع فى مصر فأعلن استقلاله سنة (٣٢٤) فاضطر الخليفة الى تثبيته لعجزه عن مقاومته وأضاف اليه سورية

وفى سنة (٣٢٧) أنعم عليه بلقب الاخشيد وكان ذلك لقب ملوك فرغانة وهو من أولادهم ومعنى هذه اللفظة ملك الملوك

وفى سنة (٣٢٨) قلد الراضى بالله بن رائق أمير الامراء ببغداد أعمال حران والرها وما جاورها وجند قنسرين والعواصم فسار اليها وطمحت عينه الى ملك الشام وكان عليها بدر بن عبدالله عاملا من قبل الاخشيد . فحاربه وهرب بدر الى مصر ثم تقدم ابن رائق قاصدا مصر حتى اذا بلغ العريش لقيته جنود الاخشيد فانتصرت عليه انتصاراً باهراً ولم يكد يرجع الا فى فلول من أصحابه فأراد محمد بن طغج أن يتمم انتصاره على خصمه فأرسل خلفه أخاه أبا نصر بن جف ليتعقبه فلبث له ابن رائق فى دمشق وهزمه شر هزيمة وقتله ثم حدث بين الزعيمين صلح بأن تكون لاحدهما مصر وللآخر سورية وذلك سنة (٣٢٩)

وفى سنة (٣٣٠) اتصل بطغج بن جف الاخشيد ان محمد بن رائق قتل فانتهز هذه الفرصة لاسترداد الشام فسار اليها واستولى على دمشق وما جاورها

وفى سنة (٣٣٣) أغار سيف الدولة ابن حمدان على حلب وملكها وتقدم الى حمص فأرسل اليه الاخشيد جيشا تحت قيادة قائده كافور فانتصر عليه سيف الدولة وملك حمص وحاصر دمشق فامتنع عليه أهلها وكان الاخشيد قد خرج من مصر الى الشام لمقاتلة سيف الدولة فالتقى الجمعان فى قنسرين فحصلت بينهما معارك شديدة فلم ينهزم واحد منهما فقفل سيف الدولة راجعا الى الجزيرة والاخشيد الى دمشق. ثم عاد سيف الدولة الى حلب وملكها

وفى سنة (٣٣٤) توفى الاخشيد محمد ابن طغج فى دمشق وسنه ٦٠ سنة فكانت مدة حكمه ١١ سنة و٣ أشهر ويومين ودفن بالقدس الشريف

تولى بعده أبنه ابو القاسم انوجور وكان صغيراً فقام كافور قائد الاخشيد

وكان اسود خصيا بتدبير الدولة . وعلم سيف الدولة بموت الاخشيد فاغتنم هذه الفرصة وقدم دمشق واستولى عليها فلما بلغ ذلك كافور أسرع الى سيف الدولة بجيش عظيم فلقى سيف الدولة بالرملة قادماً من دمشق لملاقاته فاقتتل الجيشان وبعد معارك دموية أنهزم سيف الدولة الى الرقة واسترد كافور منه دمشق

وفى سنة (٣٤٩) توفى انوجور محمد الاخشيد بعد ان حكم ١٤ سنة وعشرة أيام كان الحا[illegible] فيها فى الحقيقة وزيره كافور

تولى بعده أخوه على الملقب بأبى الحسن الاخشيد وقام كافور بتدبير الدولة فى أيامه كما كان في أيام أخيه

ثم توفى على بن الاخشيد سنة (٣٥٥) بعد أن حكم خمس سنوات وشهرين ويومين

واستقل كافور بمصر وكتب له أمير المؤمنين المطيع بعهده على مصر والشام والحرمين وكناه العالى بالله . فلم يقبل كافور الكنية ولقب نفسه الاخشيدى واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفرات . كان كافور جوادا ممدوحا سيوسا كثير الخشية لله والخوف منه . وكان يدارى المعز لدين الله الخليفة الفاطمى بالمغرب ويهاديه

ثم توفى كافور سنة (٣٥٧) بعد أن حكم سنتين وأربعة أشهر

فقام بالامر بعده أحمد أبو الفوارس ابن على بن الاخشيد وكانت سنه ١١ سنة فقام بتدبير امره الحسن بن عمه عبد الله بن طغج . وكانت الدولة الفاطمية التى أقامت بالمغرب تتحين الفرص للسقوط على مصر فلما ضعف أمر هذه الدولة رأى المعز لدين الله الخليفة الفاطمى أن الفرصة سانحة لضرب ضربة قاضية يحتاز بها مصر فأرسل اليه جيشا كثيفاً تحت قيادة قائده جوهر الصقلى فاستولى عليها سنة (٣٥٩) ومازال يقاتل الاخشيدية حتى أجلاهم عن مصر سنة (٣٦٢) وزال حكم الدولة الاخشيدية وتلتها الدولة الفاطمية

فاختط جوهر القاهرة ليجعلها مقر الخلافة الفاطمية وبنى الجامع الازهر وحضر المعز لدين الله الى القاهرة سنة (٣٦١) واتخذها عاصمة ملكه

ولما توفى سنة (٣٦٥) كما تقدم خلفه

ابنه العزيز الى سنة (٣٨٦) وكان أهل مكة خطبوا للمعز أبيه فلما مات امتنعوا عن الخطبة فبعث جيوشه الى الحجاز فحاصرت مكة والمدينة وضيقت عليهما حتى خضعتا

وفي سنة (٣٨٦) خلفه ابنه الحاكم بأمر الله بن العزيز فأصيب كما يقال ببرص في عقله وأتى من الاعمال الجنونية ما لم يرو مثله التاريخ وظهر مذهب الدرازية فجاهر باتباعه فاحتقره الناس وكرهوه من أفعاله الغريبة المخالفة للاصول الاسلامية كاضطهاده لليهود والنصارى بالزامهم بحمل علامة تميزهم عن المسلمين وذلك بأن يحمل اليهودي اذا دخل الحمام جرساً والنصراني صليبا من الخشب طوله ذراع في مثله ووزنه خمسة ارطال وأن يكون مكشوفا ليراه الناس ومنعهم من ركوب الخيل وأباح لهم ركوب البغال والحمير على سروج من الخشب والسيور السود وأن لا يستخدموا مسلما وأن لا يشتروا عبداً ولا أمة فأسلم منهم عدد عديد هربا من هذه البدع

ثم أمر مرة بترك صلاة التراويح وقتل كل من جاهر بها ثم عاد فأباحها ثم أمر بهدم كنيسة القيامة ثم عاد فأمر ببنائها على نفقته الخاصة وفتح عدة مدارس ورتب فيها العلماء ثم قتلهم وأخربها وأمر الناس باغلاق محلات تجاراتهم نهارا وفتحها ليلا ثم أبطل هذا الامر وأمر النساء بعدم الخروج من بيوتهن وأمر بعدم أكل الملوخية . ثم ادعى الالوهية وفتح له سجلا يكتب فيه الذي يؤمن به اسمه فكان عدد من كتبوا أسماءهم سبعة عشر الفا

وفي سنة (٤١١) خرج يطوف ليلا في جبل المقطم كعادته فلم يعد فخرج اهل الدولة للبحث عنه فوجدوا حماره مقطوع الايدي ثم وجدوا ثيابه مزرورة ومطعونة عدة طعنات بالسكاكين فأيقنوا بقتله قيل ان أخته ست الملك اوعزت الى أحد قواده ابن دراس بقتله فأرسل رجلين فقتلاه ثم أمرت رجالها بقتل ذلك القائد فقتلوه

ولكن أصحابه الذين كانوا يتابعونه في مذهبه أنكروا ولا يزالون ينكرون موته ويقولون انه اختفى في بستانه داخل سرداب وانه سوف يخرج في آخر الزمان وفي وادي التيم وفي جبل لبنان وغيرهما من بلاد الشام قوم يقال لهم الدروز لا يزالون

يعتقدون خروجه فى آخر الزمان ليملأ الارض عدلا بعد أن ملئت ظلما (انظر دروز) ولعل هذا مكذوب عليهم

ثم تولى ابنه الظاهر لاعزاز دين الله من سنة (٤١١) الى (٤٢٧) وكانت سنه لا تجاوز السبع السنين فقامت عمته ست الملك بتدبير المملكة الى ان توفيت بعد أربع سنين وكان يخطب باسمه فى مصر والشام وافريقية وكان حسن السيرة عادلا الا أنه كان منهمكا على اللذات

خلفه ابنه المستنصر بالله من سنة (٤٢٧) الى (٤٨٧)

فى سنة (٤٣٤) ظهر بمصر رجل كان يشبه الحاكم بأمر الله فادعى انه هو فتبعه خلق كثير ممن يعتقدون برجوعه فقاتلهم رجال المستنصر حتى أبادوهم

وفى سنة (٤٤٤) عمل محضر ببغداد .ضمن القدح فى نسب الفاطميين وانهم كاذبون فى دعواهم الانتساب الى على عليه السلام . ولكن هذا لم يمنع على بن محمد من اقامة الخطبة للمستنصر بتلك البلاد

وكانت والدة المستنصر قد استولت على السلطة بمصر فضعف أمر الدولة وانقسم جيشها الذى كان يتألف من العبيد والترك الى حزبين فاجتمع الاتراك تحت قيادة ناصر الدولة بن حمدان وقاتلوا العبيد قتالا عنيفا وهزموهم واستولوا على الحكم وقبض على والدة المستنصر وعزم على قطع الخطبة له والدعوة للعباسيين فعلم القائد التركى الدكز بقصده فقتله سنة (٤٦٥) وبقي الامر مضطربا بمصر الى سنة (٤٦٧) فاضطر المستنصر لاستدعاء بدر الجمالى وكان متولياً سواحل الشام وطلب اليه ارغام الشاغبين على الطاعة فقتل الدكز والوزير ابن كنيدة وغيرهما فعادت مصر الى أحسن ما كانت عليه من الخفض والنماء وبقيت مصر بعد ذلك عشرين سنة لم يحدث فيها ما يوجب الذكر

وفى سنة (٤٧٧) توفى قائد الجيوش بمصر بدر الجمالى وتولى الوزارة بعده ابنه شاهين شاه وتلقب بالأفضل

ثم توفى المستنصر سنة (٤٨٧) وكانت مدة خلافته ستين سنة

خلفه ابنه المستعلى بالله وكان المستنصر قد عهد بالخلافة من بعده لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع ابنه الثانى احمد ولقبه

بالمستعلى فهرب نزار الى الاسكندرية وتبعه أهلها وخطبوا له ولعنوا الافضل وسار الافضل اليهم بالاسكندرية فهزموه ثم أعاد الكرة وتغلب عليهم وأخذ المستعلى أخاه وبنى عليه حائطا فمات على أشنع حالة .
وتوفى المستعلى سنة (٤٩٥)

* خلفه ابنه الآمر بأحكام الله وكان عمره لا يجاوز الست السنين فقام بتدبير الملك أمير الجيوش الافضل وفى عهده خرجت الشام من حكمهم الى الصليبيين بعد حروب كثيرة ولم يبق لهم فيها الا عسقلان

وفى سنة (٥١١)خرج بدوان ملك الصليبيين لفتح مصر فبلغ تنيس فأدركه مرض فعاد بعسكره الى أورشليم وعكف الافضل على اصلاح البلاد وأقام مرصدا بجوار المقطم، فلما ثقلت وطأته على الآمر بأحكام الله أمر بقتله فقتل سنة (٥١٥) فولى بدله عبد الله بن البطايحى ولقبه المأمون فصار أشد عليه من الافضل فقتله سنة (٥١٩) وصلبه

كان الامر بأحكام الله سيء السيرة مولعا باللهو لا يسمع بامرأة جميلة الا أحضرها وفى سنة (٥٢٤) خرج الى متنزه له فكمن له عشرة من الباطنية فقتلوه وعمره أربع وثلاثون سنة

وكان له شعر منه قوله:

أصبحت لا أرجو ولا أتقى
سوى إلهى وله الفضل
جـدى نبى وأمامى أبى
ومذهبى التوحيد والعدل

تولى بعده الحافظ لدين الله من سنة (٥٢٤) الى (٥٤٩) وكان كثير اللهو واللعب وكان نصير بن عباس الوزير من أخص ندمائه فتقول الناس فى علاقاتهما أقوالا كثيرة، فاستدعى الوزير عباس ابنه نصيرا وأطلعه على ما يقوله الناس وأغراه بقتل الحافظ ليمحو منه مايتحدث به الناس فقتله سنة (٥٤٩) ولأجل أن يخفى الوزير جريمته عزى قتله لأخوى الظافر جبريل ويوسف وقتلهما ظلما

ثم أتى بابن الحافظ وهو أبو القاسم عيسى ولم يكن له الا خمس سنين فأجلسه على سرير الملك وبايعه الناس بالخلافة ولقب الفائز بالله

فانفرد الوزير عباس بادارة الملك فلم يرق ذلك فى أعين نساء القصر فكتبن الى طلايع بن زريك وكان واليا على منية

خصيب وأعمالها (مديرية المنيا) وأرسلن اليه بشعورهن طى الكتاب يستغثن به من عباس ومظالمه ويطلبن اليه القدوم الى القاهرة ليسلمن الامور اليه فسار طلايع بن زريك فى جنوده قاصدا القاهرة فهرب الوزير العباس بأمواله وأهله الى الشام فلقيه الافرنج فقتلوه وغنموا مامعه

أما زريك فتولى الوزارة فى القاهرة وتلقب بالملك الصالح

وفى سنة (٥٥٠) توفى الخليفة الفائز بالله وكانت البلاد قد وصلت فى أيامه الى منتهى الضعف حتى انها كانت تدفع للصليبيين شبه جزية ليمتنعوا عن غزو مصر

ثم ان الوزير طلايع بن زريك هم باختيار أحد كبار الفاطميين للخلافة فنهاه أصحابه قائلين لايكن عباس أحزم منك اذ كان يولى الصغار ليخلو له الجو ، فاختار طلايع ابا محمد عبد الله بن يوسف ابن الحافظ وهو حينئذ غلام ولقبه العاضد لدين الله وزوجه ابنته . واستبد الوزير بالامر وشتت شمل الاعيان فى البلاد ليأمن شرهم فأغاظ ذلك كبار رجال الدولة وسواهم وكان من الناقمين عليه عمة العاضد فأغرت به بعض الرجال فوقفوا فى دهليز القصر وأخذوا يطعنونه بالسكاكين حتى جرحوه جراحا بالغة فحمل الى قصره وأرسل الى العاضد يعاتبه على ماحدث ويلقى عليه تبعته مع ماله من اليد فى توليته الخلافة . فأرسل اليه العاضد يؤكد له بأنه لم يكن الآمر بما حصل وليس له به علم وأظهر له شديد الاسف على ما كان . فأرسل اليه الوزير يقول ان كنت بريئا مما جرى فأرسل الىّ عمتك لانتقم منها . فأرسلها اليه فقتلها ثم مات هو أيضا بعد أيام وذلك سنة (٥٦٦) وكان شجاعا جوادا كريما فاضلا ، شديد المغالاة فى التشيع . صنف كتابا سماه الاعتماد فى الرد على أهل العناد وهو يتضمن امامة على بن أبى طالب والكلام على الاحاديث الواردة فى ذلك

وله شعر كثير منه قوله يؤيد مذهبه :

يا أمة سلكت ضلالا بينا
حتى استوى اقرارها وجحودها
ملتم الى ان المعاصى لم يكن
الا بتقدير الاله وجودها

لوضح ذا كان الاله بزعمكم

منع الشريعة ان تقام حدودها

حاشا وكلا ان يكون إلهنا

ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

مات الوزير طلايع بن زريك الملقب بالملك الصالح فعهد بالوزارة من بعده لابنه زريك وتلقب بالملك العادل

وكانّ الملك الصالح قد عين أحد رجاله واسمه شاور أعمال الصعيد فأحسن السيرة وأخذ بالحزم فى الامور حتى اجتمعت القلوب على حبه فلما رأى الملك الصالح ذلك عزم على عزله ولكنه خاف من عاقبة الاقدام على هذا الامر فتركه على عمله .فلما تولى الوزارة ابنه الملك العادل اغراه بعضهم بعزله فعزله فلما وصل اليه الرسول بكتابه قبض عليه وسار بجنوده الى القاهرة فهرب الملك العادل ولكن تمكن شاور من القبض عليه وقتله سنة (٥٠٦)

ودخل شاور القاهرة فاستوزره الخليفة العاضد ولقبه بأمير الجيوش

وكان صاحب الباب شخص يقال له ضرغام طمع فى الوزارة ونازع شاور فيها وساعده بعض مريديه فثار على خصمه فى شهر رمضان من السنة المذكورة واضطره لترك القاهرة والهرب الى الشام ملتجئا الى السلطان نور الدين محمود بن زنكى واستوزر العاضد ضرغاما ولقبه الملك المنصور

أما شاور فانه أخذ يحسن للسلطان نور الدين فتح مصر ويكشف له عن وجوه ضعفها ، ولكن السلطان كان يخشى بأس الافرنج فى طريقه الى تلك البلاد فيقدم رجلا ويؤخر أخرى. وما زال به شاور حتى رضى بأن يرسل الى مصر جيشا تحت قيادة قائده أسد الدين شيركوه .وكان مع هذا القائد يوسف بن أخيه نجم الدين (هو يوسف صلاح الدين رأس الدولة الايوبية) ولكنه كان صغير السن فسار هذا الجيش حتى وصل الى مدينة بلبيس. فلما علم الوزير ضرغام بقدوم جيش الشام أرسل أخاه ناصر الدين بالجيوش المصرية فانهزم وعاد الى القاهرة واستمد أسد الدين شيركوه فى زحفه حتى بلغ القاهرة فخرج الوزير ضرغام من باب زويلة هاربا فتبعه الناس بالسب والشتم حتى قرب من مسجد السيدة نفيسة فأمسكوه هناك واحتزوا رأسه وبموته عادت الوزارة الى

شاور . وأقام أسد الدين شيركوه بعسكره خارج القاهرة

فلما استتب الامر لشاور ولم يف بوعده للسلطان نور الدين وارسل يطلب الى شيركوه العودة الى الشام فامتنع من اجابة طلبه وأخذ يذكره بإيمانه لنور الدين كى يؤثر ذلك فيه . فلما رأى شيركوه هذه الخيانة زحف على مديرية الشرقية فامتلكها كلها . وعمد شاور الى الاتحاد مع الافرنج على دفعه عن مصر فلبى الافرنج هذه الدعوة بكل ارتياح لتحقيق مطامعهم القديمة فى امتلاك مصر وحاصر الجميع شيركو فلم يستطيعوا أن ينالوا منه شيأ وكان السلطان نور الدين فى هذه الاثناء يقاتل الافرنج بالشام وينتصر عليهم فاضطر الافرنج المقاتلون بمصر ان يرجعوا عن شيركوه وترك هو ايضاً ورجع لمولاه فوجده منتصراً على الافرنج فانضم اليه وافتتح معه عدة حصون

ثم ان شيركوه اخذ يحث السلطان نور الدين على فتح مصر وما زال به حتى عينه لذلك سنة (٥٦٢) فلما علم شاور بقدومه استمد الافرنج فأمدوه اما شيركوه فما زال ينتصر على كل من يقف فى وجهه حتى وصل الى اطفيح ومنها عبر النيل الى البر الغربى واستولى على الجيزة وكثير من بلاد الصعيد

ولما وصلت امداد الافرنج الى مصر اتحدت مع جنود شاور وقصدوا جميعاً الجيزة فعاد شيركوه من الصعيد ولقيهم جميعاً وهزمهم . ثم تقدم الى مصر السفلى منتصرا حتى بلغ الاسكندرية وملكها وولاها يوسف صلاح الدين

ولكن الافرنج جاؤا بامداد كثيرة وقطعوا عليه خط الرجعة فاضطر شيركوه لمصالحتهم فسلم البلاد الي شاور وعاد الى الشام

فازدادت مطامع الافرنج بمصر فطلبوا من شاور ان يكون لهم قنصل بمصر وأن يكون مفاتيح أبواب القاهرة بأيديهم وأن يحمل اليهم جزية سنوية فقبل شاور ذلك ولكن الافرنج كانوا قد استقدموا جيشا جرارا لامتلاك مصر نهائيا . فقدم ذلك الجيش ودخل مديرية الشرقية وحاصر بلبيس وافتتحها وذبح جميع من فيها . وعزم جيش الافرنج على التقدم لفتح القاهرة . فكتب شاور يستنجد بالسلطان نور الدين فأنجده بشيركوه فجاء

مصر ثالث مرة

ولكن شاور خاف من قدوم شيركوه فاتحد مع الافرنج على أن ينسحبوا فى مقابل دفع مليون جنيه فانسحبوا فقابلهم شيركوه وهو قادم من الشام فى بلبيس فقاتلهم حتى شردهم ودخل القاهرة وقابل الخليفة العاضد فأسر اليه قتل شاور فأمر شيركوه ابن أخيه صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك بقتل شاور فترصداه بطريق الامام الشافعى فقتلاه. فولى العاضد الوزارة لشيركوه ولقبه بالملك المنصور

لم يكد شيركوه يتم هذه الاعمال حتى توفى سنة (٥٦٤) فولى العاضد الوزارة لابن أخيه يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر فأبت الجيوش الشامية اعتباره وزيرا لصغر سنه فأرضاهم بالعطايا الجزيلة

ثم ظهر لصلاح الدين خصم اسمه مؤتمن الخلافة جوهر الخصى حدثته نفسه بخلع صلاح الدين فاتفق مع جماعة من الاعيان والجنود المصرية وأرسلوا للافرنج يستقدمونهم وجعلوا الكتب فى نعل حتى لا تضبط بالطريق وسار الرسول حتى وصل الى قرب بلبيس فاشتبه فى أمره أحد رجال صلاح الدين ففتشه فلم يجد معه غير ذلك النعل الجديد فشقه فوجد فيه تلك الكتب فأرسلها هى والرسول الى صلاح الدين فعلم من مقابلة خطوطها بمن كتبها ووقف على جلية الامر فأغضى عن مؤتمن الخلافة مدة ثم أرصد له من قتله

وكان ممن ساعد مؤتمن الدولة كثير من زعماء الشيعة منهم العوريس وقاضى القضاة وعمارة اليمنى الشاعر الزبيدى وكان متولى كبرها (أى انه كان أكبر زعماء هذه الفتنة) فأراد صلاح الدين أن يفتك بهم ولكنه ترقب الفرص الى أن أتاه أخوه طوران شاه وحكى له ان عمارة مدحه بقصيدة يغريه فيها بالمضى الى اليمن ويحمله على الاستبداد به وعرض فى تلك القصيدة بالمقام النبوى تعريضا يؤاخذ عليه وهو قوله:

فاخلق لنفسك ملكا لا تضاف به
الى سواك وأور النار فى العلم
هذا ابن تومرت قد كانت ولايته
كما يقول الورى لحما على وضم
وكان أول هذا الدين من رجل
سعى الى أن دعوه سيد الامم

فجمعهم صلاح الدين وشنقهم فى يوم واحد واستعمل صلاح الدين على القصر

خصيانه أبيض يقال له قراقوش

غضبت الجنود المصرية وأكثرهم من السودان لقتل مؤتمن الدولة الخصى واجتمعوا خمسين الفا وقاتلوا جنود صلاح الدين بين القصرين وكادوا ينتصرون عليهم لولا شجاعة طوران شاه أخى صلاح الدين فانهزموا شر هزيمة ثم طلبوا الامان

ولما استتب الامر لصلاح الدين كتب اليه السلطان نور الدين بقطع الخطبة للفاطميين وجعلها باسم العباسيين فكتب اليه صلاح الدين يرجوه ارجاء هذا الامر الى حين . فكتب اليه نور الدين بوجوب الاسراع فى ذلك فلم تسعه مخالفته وكان قد قدم الى مصر عالم فارسى اسمه الامير العالم الخبشانى فلما رأى احجامهم وعدم تجاسرهم خوفا من الفتنة قال لهم أنا أبتدىء بقطعها وأخطب للمستضىء العباسى. فلما كانت الجمعة الاولى من المحرم سنة (٥٦٧) صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للخليفة المستضىء فلم ينكر عليه أحد فأمر صلاح الدين فى الجمعة الثانية جميع الخطباء أن يخطبوا باسم الخليفة العباسى . وكان الخليفة الفاطمى مريضا فلم يعلم بما حصل أحد وبقى جاهلا هذا الامر الى أن توفى فى تلك السنة وبه انقرضت الدولة الفاطمية سنة (٥٦٤)

لما توفى الخليفة الفاطمى العاضد استولى صلاح الدين على قصره وصادر جميع ما به من الذخائر والاعلاق وأرسل نور الدين يبشر الخليفة العباسى بما حصل فأرسل الى نور الدين سيفين علامة الملك على الشام ومصر وأرسل الى صلاح الدين خلعة ومعها الشعار العباسى الاسود فصارت مصر من ذلك الوقت تحت سلطة نور الدين محمود بن زنكى وصلاح الدين نائب عنه فيها

وكان فى مصر أحزاب الفاطميين فلم يقووا على احداث أى شغب لتغيير الحكم الجديد

وأحس نور الدين ان صلاح الدين يريد استخلاص مصر لنفسه والاستقلال بها فأمره بالشخوص الى الكرك لينجده على الفرنج فأظهر صلاح الدين الامتثال ثم عاد فجأة موهما انه حدث مايقتضى عودته وبلغه أن نور الدين يقصد اخراجه من مصر بالقوة أو القبض عليه فيها فجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم : « بلغنا ان نور الدين يقصدنا فما الرأى ؟ » فقال

عمر بن أخيه . « نقاتله ونقصده » فأنكر عليه أبوه هذا القول وقال له : «أنا أبوكم ولو رأيت نور الدين لنزلت وقبلت الارض بين يديه والرأى عندى أن نكتب الى نور الدين كتابا نقول فيه بلغنى انك تريد الحركة الى هذه البلاد فأى حاجة الى هذا يرسل المولى نجابا يضع فى رقبتى منديلا ويأخذنى اليك وما هنا من يمنع»

ثم أخذ ابو صلاح الدين ابنه فى خلوة وقال له:« لو قصدنا نور الدين أنا كنت أول من يمنعه ولكن اذا أظهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل به الكفاية عند الله » فاتبع الولد نصيحة ابيه وكسر من حدته

فلما وصل كتاب صلاح الدين الى نور الدين سكن من غضبه وهدأ من غيظه وترك قصد مصر واهتم بالصليبيين كما كان

ولكن صلاح الدين كان لايزال متخوفا من بطش نور الدين فاتفق مع أولاده وأهل دولته على الحصول على مملكة أخرى حتى اذا تمكن نور الدين من طردهم من مصر التجأوا اليها. فاستولوا على اليمن لهذا القصد

ثم عاد الجفاء بين نور الدين وصلاح الدين حتى عزم نور الدين نهائيا على فتح مصر ومعاقبة صلاح الدين فأدركه الموت قبل أن ينفذ عزمه سنة (٥٦٩)

قام بعد نور الدين ابنه الملك الصالح وعمره احدى عشرة سنة فأظهر صلاح الدين الطاعة له. ولكن قواده اختلفوا عليه لصغر سنه وذهب كل منهم بما فى يده . واتفق أن شمس الدين بن الداية والى حلب أرسل يستدعى الملك الصالح اليه ليقيم بحلب فلبى الدعوة وأخذ معه كمشتكين فعظم أمره (أمر كمشتكين) وقبض على شمس الدين وغيره وحبسهم واستبد بالامر فخافه ابن المقدم الذى كان واليا على دمشق فاتفق مع غيره من الولاة وكاتبوا صلاح الدين ليتسلم الملك فسار اليهم صلاح الدين فاستقبلوه أحسن استقبال ونزل بدار أبيه ولكن القلعة أظهرت عليه العصيان فاستمالها بالمال . ثم ترك صلاح الدين دمشق بعد أن استخلف عليها أخاه سيف الاسلام طغتكين وسار الى حمص فملكها ثم حماة فأخضعها ، ثم قصد حلبا سنة(٥٧٠)وبها الملك الصالح بن نور الدين فجمع

رعيتـه من أهل حلب وقال لهم : « قد عرفتم احسان أبى اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وأنا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدى اليه يأخذ بلدى ولا يراقب الله ولا الخلق » وزاد على هذا كثيرا وبكى فبكى الحاضرون وعاهدوه على مكافحة صلاح الدين فكانوا يخرجون ويقاتلونه عند جبل جوشن ولا يستطيع القرب من المدينة

ثم تولى الملك الصالح كاتب ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين وكان صلاح الدين طلب حصار حلب وقصد حمص رد الفرنج عنها ثم سار الى بعلبك فملكها . فلبى سيف الدين غازى دعوة ابن عمه الملك الصالح وأمده بجيش تحت قيادة أخيه عز الدين مسعود بن مودود ابن زنكى فوصل هـذا الجيش الى حلب وانضم اليه جنود الملك الصالح وقصدوا صلاح الدين فأرسل هو يبذل للملك الصالح حمص وحماة على أن تبقى له دمشق ويكون فيها نائبا عن الملك الصالح فلم يجيبوه الى ما طلب وساروا الى قتاله فقابلهم عند قرون حماة فكسرهم وغنم أموالهم وتعقبهم حتى حصرهم فى حلب

فقطع صلاح الدين الخطبة باسم الملك الصالح بن نور الدين وأزال اسمه عن السكة واستبد بالسلطة فطلب اليه الملك الصالح أن يصالحه على أن يكون له ما بيده من الشام ويترك ما بقى فصالحه على ذلك ورحل عن حلب . ولما وصل الى حماة وصلت اليه بها خلع الخليفة مع رسوله

وفى سنة (٥٧١) حاصر حلبا ثم طلب اليه أهلها الصلح فصالحهم وترك للملك الصالح قلعة عزاز وسبب ذلك ان الملك الصالح أخرج الى صلاح الدين أختا له صغيرة فلاطفها صلاح الدين وقال لها : ماذا تريدين ؟ فقالت له قلعة عزاز . وكانوا قد لقنوها ذلك فسلمها اليهم ورحل عنهم الى مصر بعد أن دوخ الشام واستخلف عليه توران شاه

وكان صلاح الدين قد سلم أمور مصر عند ذهابه الى الشام لوزيره الامير بهاء الدين الاسدى الملقب بقراقوش وهو خصى فارسى وأمره باحداث المبانى اللازمة لتقوية البلاد وعمارتها فأنفذ الوزير اشارته على أحسن ما يكون ونظم الرى فأتت الارض بمحاصيل عظيمة

وأمر صلاح الدين بعد عودته وزيره بيناء قلعة الجبل وترميم سور القاهرة ففعل ولاتزال تلك القلعة موجودة الى اليوم

واتهم الاهالى الوزير بهاء الدين بالظلم والاستبداد بالرأى ولقبوه بقراقوش أى الطير الاسود وهو العقاب . وينسب اليه العامة احكام تناقض المعقول يبعد صدورها منه لألشىء غير أن مثل صلاح الدين لايعتمد الا على الرجال الاكفاء وخصوصا حين غيبته عن البلاد فلولم يعلم أن بهاء الدين هذا مل مركزه لما تركله البلاد وهى على مقربة من عهد الانقلاب

فلما عاد صلاح الدين الى مصر غزا الفرنج انطاكية فسطا عليهم صلاح الدين فى فلسطين فخرج من مصر سنة (٥٧٣) وسار الى عسقلان فنهبها وتفرق عسكره يغيرون ويغنمون من الفرنج وأحرقوا الرملة وأخربوا عمل اللد فاشتد رهب الناس منهم

فلما بلغ ذلك ملك ارشليم خرج لصلاح الدين فقاتله وهزمه وغنم مامعه وعاد المصريون الى بلادهم مكسورين

وفى سنة (٥٧٥) سار صلاح الدين الى الشام وفتح حصنا كان الفرنج قد بنوه عند مخاضة الاحزان فدكه وعاد الى مصر

وفى سنة (٥٨٧) سار صلاح الدين من مصر لقتال الفرنج والسبب فى ذلك أن الصالح بن نور الدين كان قد توفى واستخلف عز الدين ملك الموصل فنقض هذا المعاهدة التى كانت بين صلاح الدين والملك الصالح واستنجد الافرنج على الاستيلاء على بلاد صلاح الدين بالشام فأسرع صلاح الدين الى سورية فجاء حلبا وحصرها فسلمت اليه ثم استولى على الرها والرقة ونصيبين وسروج والخابور وسنجار وحران وحاصر الموصل ثم تركها واستولى على آمد بعد قتال عنيف ثم عاد الى دمشق فطار صيت صلاح الدين وصار له الحكم المطلق على مصر والشام والجزيرة واليمن فكان لايوجد فى هذه البلاد الشاسعة من يخالفه الا الصليبيين وهم محصورون فى وسط ملكه

وقد كان الفرنج مهادنين لصلاح الدين فتجارأ (رانود وشاتيلون) والى الكرك وهو فرنجى على خرق شروط المدنة وهجم سنة (٥٨٣) على قافلة

للمسلمين وغنمها وأسر رجالها

فأوصل اليه صلاح الدين يطلب اليه أن يرد أسرى المسلمين ويعطيهم ماأخذه منهم احتراما لشروط الهدنة فأبى فأعلن صلاح الدين انتقاض الهدنة وعزم على اخراج الفرنج من سورية فأغار على الكرك وأرسل ابنه للاغارة على عكا فغنما غنائم شتى . ثم تقدم صلاح الدين وحاصر طبرية وفتحها فزحف اليه الفرنج فخرج اليهم صلاح الدين من طبرية والتقى الجمعان فى حطين فأحيط بجيش الفرنج وقتل أكثر فرسانه وأسر الملك جوفروا ملك اورشليم ورانود صاحب الكرك وغيرهما من الامراء

فلما انتهت الوقعة جلس صلاح الدين في خيمته والى جانبه جوفروا ملك الفرنج فأعطاه السلطان ماء مثلوجا فشرب ثم ناول جوفروا الكوب لرانود فشرب هو أيضا . فقال صلاح الدين للترجمان قل للملك : « انت الذى سقيت هذا أما انا فما سقيته » يريد بذلك ان جوفروا آمن ولكن رانود غير آمن . وكان السلطان شديد الحنق على رانود هذا لانه هو الذى خرق الهدنة فقام وضرب عنقه بنفسه فاضطرب الملك جوفروا عند ذلك وخشى على نفسه فهدأ صلاح الدين روعه

ثم سار صلاح الدين الى عكا فصالحه فرنجها على الخروج منها مع أخذ ما يقدرون عليه من أموالهم وتركوا الباقى وكان شيئا كثيرا جدا

وفى مدة اقامة السلطان بعكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها ونهبوها فأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها

ثم أرسل السلطان عسكراً الى نابلس فأتى السامرة وبها قبر زكريا عليه السلام فأخذه من النصارى وسلمه للمسلمين

ثم سار الى تبنين فحاصرها وضايقها فأطلق أهلها الاسرى المسلمون الذين كانوا عندهم فلم يرض السلطان ان يتركهم على ذلك بل ضايقهم حتى طلبوا الامان فأمنهم وسار الى صيدا وعرج فى طريقه على صرفند فأخذها بلا قتال . وكان صاحب صيدا عند سماعه بمجىء صلاح الدين اخلاها فدخلها صلاح الدين

وسار منها الى بيروت فقاتله اهلها قتالا عنيفا وبينما يقاتلون اذ ضج الناس ضجة عظيمة وتساءلوا عن الخبر فقيل ان المسلمين اقتحموا المدينة من جهة اخرى فاتضح لهم ان الخبر مكذوب ولكن لم يمكن تسكين ثائرة الناس فاضطر المحاربون لطلب الامان فأمنهم السلطان ثم أرسل سرية من رجاله الى جبيل من أعمال لبنان فتسلمتها

ولما هزم صلاح الدين الافرنج بطبرية ارسل يبشر اخاه الملك العادل بمصر ويأمره بالمسير الى بلاد الافرنج من جهة مصر فأسرع الى ذلك ونازل حصن مجدل وحصره وغنم ما فيه وسار منه الى مدينة يافا فملكها عنوة ونهبها وقتل رجالها وأسر نساءها وأتى بها من انواع القسوة ما لم يسمع بمثله

وكان صلاح الدين يهتم جدا بفتح عسقلان وبيت المقدس لأنه اذا أخذها لم يبق للفرنج ملجأ فسار قاصدا عسقلان فحاصرها وقاتلها حتى استولى عليها . ثم بعث سرية من جيشه الى غزة وبيت جبريل والتبرون فأخذوها بغير قتال

ثم جمع جنوده وقصد بيت المقدس فوصله فى ١٥ رجب سنة (٥٨٣) وكان الفرنج قد اخذوا اهبتهم لقتاله فجمعوا رجالاتهم المعدودين وفرسانهم المقدمين وحصنوا بيت المقدس تحصينا عظيما فلما قدم صلاح الدين طوقها وأخذ يقذفها بالمجانيق حتى اشتد على أهلها الكرب فطلبوا الامان فلم يقبل صلاح الدين وقال للرسول لأأفعل بكم الا كما فعلتم بأهل هذا البلد حين ملكتموه

فلما رجع الرسول خرج الى صلاح الدين أحد عظمائهم . وقال له اعلم أننا فى المدينة خلق كثيرون فان لم تقبل ان تؤمننا عمدنا الى نسائنا وأولادنا فقتلناهم وأحرقنا جميع ما لنا ثم أخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرها من المواضع ثم نقتل من عندنا من أسرى المسلمين وعددهم خمسة آلاف اسير ثم نخرج اليكم مقاتلين مستميتين فلا يقتل الواحد منا حتى يقتل امثاله منكم فنعيش أعزاء أو نموت كراما

ففكر صلاح الدين فى الامر واستشار اصحابه فأشاروا عليه باعطائهم الامان فأمنهم وعاد بيت المقدس الى المسلمين كما كان

فلما حدث هذا الحادث الجلل هاج الاوروبيون فى اوروبا واخذ رجال الدين يشعلون فى صدورهم نيران الحمية فأرسلت اوروبا الى الشام جيشا عرمرما لاستنقاذ بيت المقدس من صلاح الدين تحت قيادة ملك الانجليز ريشارد قلب الاسد وفيليب ملك فرنسا وفردريك ملك المانيا فسار بعضهم براً وبعضهم بحراً الى ان نزلوا على عكا سنة(٥١٥) وحاصروها برا وبحرا الا ان صلاح الدين تمكن من انجادها بعد قتال فتح لجيشه طريقا اليها ودامت الحرب سجالا حول عكا ثم صادفوا السلطان نفسه وحملوا على قلب جيشه فأزالوه واخذوا يقتلون جنوده الاان بلغوا الى خيمة السلطان فقاتلهم حرس السلطان حتى قتلوا منهم نحو عشرة آلاف نسمة وانهزم بعض جنود صلاح الدين فوصل بعضهم الى طبرية وبعضهم الى دمشق

ومرض السلطان بالقولنج فرحل عن عكا الى الخروبة بأمر الاطباء فتمكن الفرنج من حصار عكا ثانية . ولما انقضى الشتاء عاد صلاح الدين من الخروبة وعادت نار الحرب تتأجج حول عكا واشتد الحال على المحصورين وكان قد أصاب السلطان مرض أعجزه عن الحرب فطلب اهل عكا الامان فاجيبوا اليه وتسلم الافرنج عكا بعد حصارها نحو سنتين

بعد ان استقر الفرنج بعكا ساروا قاصدين يافا وصادفهم ٢٠٠ الف مقاتل من جنود الشام فدارت بين الجيشين رحا الحرب فانهزم جنود صلاح الدين هزيمة شنعاء واستولى الفرنج على يافا ثم عزموا على قصد بيت المقدس فقابلهم صلاح الدين فردهم عنه فعقد الفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر تكون فى خلالها أبواب بيت المقدس مفتوحة للزائرين من النصارى يدخلونه بالسلاح

فعزم صلاح الدين على غزو آسيا الصغرى وأخذ ما فيها للمسلمين ولملك الروم وفتح القسطنطينية والتطرق من هنالك الى الفرنج فى بلادهم. ولكنه أصيب بحمى شديدة قضت عليه سنة(٥٨٩)هـ ودفن فى قلعة دمشق وخلف سبعة عشر ذكراً وبنتا واحدة

من صفاته انه كان حسن الخلق صبورا على ما يكره كثير التغافل عن

ذنوب أصحابه يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه . وكان طاهر المجلس لا يذكر أحد فى مجلسه إلا بالخير

لما توفى صلاح الدين كان معه بدمشق ابنه الافضل نور الدين فأخذ لنفسه دمشق والساحل وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وشوش وجميع الاعمال الى الداروم

وكان بمصر ابنه العزيز عثمان فاستولى عليها . وكان بحلب ابنه الظاهر غازى فاستولى عليها وعلى أعمالها وأطاعه صاحب حماة . وكان الملك العادل أخو صلاح الدين بالكرك فامتنع فيه ولم يبايع لاحد من ولد أخيه فارسل اليه الملك الافضل وهدده بالقتال ان لم يحضر لدمشق ويبايع له فمل

فانقسمت الدولة الايوبية الى ثلاث دول : مصر وهى للعزيز، ودمشق وهى للافضل، وحلب وهى للظاهر

تولى مصر العزيز بن يوسف صلاح الدين من سنة (٥٨٥ الى ٥٩٥) وكان معه بمصر موالى أبيه وهم لا يحبون الافضل فاغروا العزيز بانتزاع دمشق من يده فسار الى دمشق وحاصر أخاه فأرسل هذا الى عمه العادل وأخيه الظاهر صاحب حلب وابن عمه المنصور صاحب حماة فساروا الى دمشق وأصلحوا بين الاخوين

وفى سنة (٥٩١) عاودت الملك العزيز فكرة فتح دمشق فسار اليها فشغب عليه بعض جنوده فاضطر للرجوع وكان الملك الافضل قد كتب لعمه العادل يستنجده فلما رجع العزيز الى مصر تبعه الملك الافضل والملك العادل فنزلوا على بلبيس فطلب الملك مناجزة حاميتها فمنعه عمه . وقصد الافضل المسير الى مصر والاستيلاء عليها فمنعه عمه العادل أيضا وقال له (مصر لك متى شئت) وكاتب الملك العزيز سرا أن يرسل القاضى الفاضل ليصلح بين الاخوين فأصلح بينهما وأقام الملك العادل عند العزيز بمصر وعاد الافضل الى دمشق

وفى سنة (٥٩٢) اتفق العزيز والعادل على قصد دمشق وأخذها من الافضل وتسليمها للعادل فتم ذلك وسار الافضل الى قلعة صرخد

فى سنة (٥٩٣) أخذ الملك العادل يافا من الفرنج وأخذ الفرنج بيروت من

المسلمين

وفي سنة (٥٩٥) توفي الملك العزيز صاحب مصر بعد أن ملك ست سنين الا شهرا

تولى بعده ابنه ناصر الدين محمد ولقب الملك المنصور ولكونه كان صغيراً لايجاوز سنه الثمان السنين استدعى رجال الدولة عمه الملك الافضل من الشام ليتولى الوصاية عليه. فأرسلوا اليه بقلعة صرخد فجاء مختفيا خوفا من عمه الملك العادل الذي كان بدمشق

فلما استقر الافضل بمصر حسن له أخوه الملك الظاهر صاحب حلب ان يقاتل عمه الملك العادل وينتزع دمشق فخرج الافضل قاصداً تلك المدينة وأنجده أخوه الظاهر ثم حدث بينهما شقاق أدى الى تركهما دمشق لصاحبها . فلما رأى العادل ذلك زحف على ابن أخيه بمصر سنة (٥٩٦) وهزمه ففر الى الظاهر فتبعه اليها فطلب الافضل الصلح على شرط أن يعطى ميافارقين وحانى وسميساط فأجابه العادل الى ذلك ولم يف له به ودخل العادل القاهرة وسافر الافضل الى صرخد

تولى مصر الملك العادل أخو صلاح الدين من سنة (٥٩١) الى (٦١٥) ه على انه وصي على الملك المنصور محمد بن العزيز ابن صلاح الدين ولكنه خلعه بعد مدة يسيرة وأعلن ملكيته

فاتفق الملك الافضل والملك الظاهر ابنا صلاح الدين على مقاتلة عمهما وأخذ مابيده فبدآ بحصار دمشق وكان عليها الملك المعظم بن العادل فاخذاها وحدث بينهما اختلاف أدى الى تفرقهما فزحف عليهما الملك العادل فاخضعهما لحكمه وبذلك توحد ملك صلاح الدين بعد أن كان قد تقسم

وفي سنة (٥٩٩)ه قاتل الملك العادل الفرنج في حصن الأكراد وطرابلس وغيرها فهزمهم وقتل منهم كثيرا

وفي سنة (٦٠٠) ه وصل كثير من الفرنج بحراً الى عكا قاصدين بيت المقدس فنهبوا كثيراً من بلاد المسلمين فخرج لهم الملك العادل من دمشق ونازلهم ثم تقررت هدنة بين الفريقين كان من شروطها أخذ الفرنج يافا والناصرة وغيرها ونصف اللد والرملة . ولما رجع الملك العادل الى مصر أغار الفرنج على

حماة وأخذوا منها غنائم كثيرة

وفى سنة (٦٠٣) سار الملك العادل من مصر الى الشام فنازل عكا فصالحه أهلها ثم وصل الى دمشق وكان الفرنج قد أكثروا الاغارة على حمص فاستمان صاحبها أسد الدين شيركوه بالملك الظاهر فأنجده حتى وصل العادل وأخذ فى مكافحة الافرنج الى الشتاء فلبث فى دمشق

وفى سنة (٦١٤) وصلت امداد الفرنج الى عكا فقصد الملك العادل الرملة ومنها الى لد وقصده الفرنج من عكا فسار هو الى نابلس فسبقه الفرنج اليها فنزل على بيسان فتقدم الفرنج اليه وكانت جنوده قليلة فلم ير أن يقاتلهم لكيلا تكون هزيمة. وتقدم الفرنج الى بيسان فأخذوا كل مافيها ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس ثم رجعوا الى عكا بعد أن غنموا شيئا كثيرا ثم جاؤا الى صور وقصدوا الشقيف ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا الى عكا ثم نازلوا قلعة الطور على رأس جبل بالقرب من عكا ثم رجعوا عنها

أقام الفرنج بعكا الى سنة (٦١٥) وساروا بحراً الى دمياط وأرسوا بسواحلها والنيل بينهم وبينها وكان على النيل برج حصين يمر منه الى سور دمياط سلاسل من حديد تمنع السفن من البحر الملح أن تصعد الى النيل. فلما نزل الفرنج الى ذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سوراً بينهم وبين الخندق وشرعوا فى حصار دمياط. وبعث الملك العادل الى ابنه الكامل بمصر أن يخرج فى جنوده ويقف أمامهم فخرج ونزل بالعادلية قريبا من دمياط . وألح الفرنج على منازلة ذلك البرج أربعة أشهر حتى ملكوه ووجدوا سبيلا الى دخول النيل ليتمكنوا من النزول على دمياط . فبنى الكامل بدل السلاسل جسراً عظيما يمانع الداخلين الى النيل فقاتلوا عليه قتالا شديدا حتى قطعوه فأمر الكامل بمراكب مملوءة حجارة وخرقوها وأغرقوها وراء الجسر لتمنع المراكب من الدخول الى النيل فحول الافرنج مجرى النيل وأصعدوا مراكبهم اليه

اشتد خوف العادل من نزول الافرنج الى دمياط فرحل من مرج الصفر قاصداً مصر فأدركه أجله سنة (٦١٥)هـ وكان قد قسم البلاد فى حياته بين أولاده

فكانت مصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك وما وليها للمعظم عيسى، وخلاط وماوليها وبلاد الجزيرة غير الرها ونصيبين وميافارقين للاشرف موسى ، والرها وميافارقين لشهاب الدين غازى وقلعة جعبر للخضر ارسلان شاه

فلما توفى العادل استقل كل منهم بعمله فتجزأت دولة صلاح الدين مرة ثانية وكان هذا التفتت سببا لضعفها وزوالها

توفى الكامل بن العادل من سنة (٦١٥) الى (٦٣٥) ه وكان الفرنج محاصرين لدمياط والحال فى غاية الخطورة وفى تلك الاثناء ثار الامير عماد الدين بن المشطوب الكردى طالبا عزل الكامل وتولية الفائز. فترك الكامل جنوده ونزل الى اشمون طناح فلما لم يجده جنده تركوا معسكرهم وتبعوه فانتهز الفرنج هذه الفرصة فنزلوا الى دمياط وضيقوا عليها الحصار حتى فتحوا المدينة فنهبوها. وفى هذه الاثناء وصل الملك المعظم عيسى نجدة لاخيه فطردا الامير عماد الدين ابن المشطوب الى الشام فاتصل بالملك الاشرف صاحب الجزيرة وصار من جنده

أما الفرنج فبعد أن ملكوا دمياط بثوا سراياهم الى ما جاورها من البلاد وشرعوا فى تحصينها وسمع الفرنج فى بلادهم بفتح دمياط فأخذوا يفدون اليها من كل فج . فنزل الملك الصالح أمام طلخا ليمنع الفرنج من التقدم الى داخلية البلاد وأقام معسكراً فى محلة المنزلة وأمر بتحصين المعسكر ببناء الدور والفنادق والحمامات والاسواق وصارت هذه المدينة تدعى بعد ذلك الحين بالمنصورة اشارة الى انتصاره على الفرنج هناك . وكتب الى أخيه الملك المعظم بدمشق والملك الاشرف بالجزيرة يستنجدهما ويحثهما على الحضور بنفسيهما . وكان الملك الاشرف مشغولا عن نجدته بما أصاب بلاده من اختلاف الكلمة ولما استقامت له الامور سار هو وأخوه صاحب دمشق سنة (٦١٨) ه الى مصر وكان الفرنج قد زحفوا من دمياط الى أن نزلوا أمام الملك الكامل وبينهما بحر اشمون وشنوا الحرب عليه . فقصد الملك المعظم دمياط رأسا ليقطع خط الرجعة على الفرنج وزحف الكامل والاشرف الى الفرنج واشتد بينهم القتال فعرض الكامل عليهم أن

يسلمهم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وجبلة وصيدا واللاذقية وجميع مافتحه صلاح الدين الا الكرك على أن يتركوا دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلاث مئة الف دينار عوضا عن تخريب أسوار بيت المقدس ليعمروه بها . فعادوا الى القتال وقطع المسلمون النيل فركب الماء أكثر الارض التي عليها الفرنج ولم يبق لهم جهة يمرون منها الاجهة ضيقة ونصب الكامل على النيل جسورا عبر المصريون عليها فلكوا الطريق الذى يسلكه الفرنج ان أرادوا العبور الى دمياط فانحصر الفرنج فى تلك البقعة وندموا على عدم قبولهم شروط الصلح ولما يئسوا من النجاة أحرقوا خيامهم وأثقالهم وزحفوا الى المصريين فحالت الاوحال دون مايرغبون وقلت أقواتهم فراسلوا الكامل يطلبون الامان ليسلموه دمياط بلا عوض . وأقبل الملك المعظم الذى قطع الخط على الفرنج فاشتدت قوة المصريين فتم الصلح بين الفريقين على تسليم دمياط والرضاء من الغنيمة بالاياب وكان ذلك فى سنة (٦١٨) ه

وفى سنة (٦٢١) وصل الى الشام فريدريك الثانى ملك ألمانيا ونزل عكا واستولى على كثير من مدن المسلمين المجاورة لبيت المقدس ولم يقدر الكامل على دفعه فراسله وهو بغزة فى الصلح واستقرت القاعدة بينهم عن أن يسلموا الى فريدريك بيت المقدس ومواضع أخرى على أن تستمر أسواره خرابا فاستعظم المسلمون ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم مالم يمكن وصفه

وكان الملك المعظم بن الملك العادل قدمات سنة (٦٢٤) وتولى بعده ابنه الملك الناصر فزحف عليه الكامل وأخذ منه دمشق وعوضه عنها الكرك والبلقاء والصلت والاغوار والشوبك وأعطاها لاخيه الملك الاشرف

أحس الملك الكامل سنة (٦٣٥) بزكام فدخل الحمام وسكب على نفسه ماء شديد الحرارة فحدثت له حمى مات منها السنة المذكورة . وكان عاقلا فاضلا حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة محبا للفضائل وأهلها

خلفه ابنه العادل من سنة (٦٣٥) الى سنة (٦٣٧) ه فقام بالملك سنتين

ثم حضر جماعة من المماليك بعد أن قبضوا عليه وأرسلوا الى الصالح أيوب بن الكامل فسار هو والناصر داود الى مصر وزينت له البلاد وفرح الناس بقدومه

تولى الملك الصالح من سنة (٦٣٧) الى (٦٤٨) فأول عمل عمله ان قبض على ايبك الاسمر وعلى غيره من الامراء والمماليك الذين قبضوا على أخيه العادل وأودعهم السجون وشرع فى بناء قلعة الجزيرة بمصر واتخذها مسكناً لنفسه

فى سنة (٦٣٨) قدم الخوارزميون هاربين أمام جنكيز خان ملك التتار الى سورية الشرقية فأرسل اليهم الملك الصالح رسلا ليساعدهم على قتال الفرنج وأمراء سورية الذين يوالونهم فأجاب الخوارزميون واخترقوا سورية الى أن بلغوا غزة فحاربوا الفرنج عند اسوارها وانجدهم الملك الصالح من جهة مصر فانهزم الفرنج فتبعوهم حتى استولوا على غزة وبيت المقدس باسم الملك الصالح ووصلت الاسرى والرؤوس الى مصر ودقت فيها طبول البشائر عدة أيام وذلك سنة (٦٤٢) ثم سارت جنود الكامل والخوارزميون الى دمشق ففتحوها وعرضوا على صاحبها بعلبك وبصرى والسواد . ولم يف الملك الصالح للخوارزمية ماوعدهم به فانقلبوا عليه وساعدوا صاحب دمشق الذى انتزعوها منه وهو الصالح اسماعيل وانضم اليهم صاحب الكرك فحاصروا جميعا دمشق. فاتفق الملك الصالح صاحب مصر والملك المنصور صاحب حمص وأهل حلب على قتال الخوارزمية وهم محاصرون لدمشق فحدث بين الفريقين قتال شديد انتهى بهزيمة الخوارزميين وقتل رئيسهم حسام الدين

وفى سنة (٦٤٧) وصل الملك لويز التاسع ملك فرنسا الى دمياط فى جيش عظيم لامتلاكها . فأمدها الملك الصالح بجيش بقيادة فخر الدين بن الشيخ ليكون أمام الفرنج بظاهر دمياط . فلما وصل الفرنج عبر فخر الدين من البر الغربى الى البر الشرقى ووصل الفرنج الى البر الغربى وقاتلوا حامية دمياط وهزموهم فهربوا وهرب الاهالى معهم وتركوا المدينة فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا على مابها وعظم ذلك على الملك الصالح وأمر بشنق حامية دمياط المهزومة فشنقت

عن آخرها ووصل الملك الصالح الى المنصورة ونزل بها فاشتد عليه المرض فمات سنة (٦٤٧) ﻫ

كان هـذا الملك عالى الهمة طاهر اللسان كثير الصمت جمع من المماليك مالم يجمعه غيره حتى كان أكثر عسكره مماليكه وجمع منهم جماعة حول دهليزه سماهم البحرية

تولى بعده ابنه الملك المعظم توران شاه من سنة (٦٤٧) الى سنة (٦٤٧) ولم يكن حاضراً لما توفى ابوه بل كان على حصن كيفا وكان للملك الصالح جارية عظلية تدعى شجرة الدرذات رأى وسياسة فكتمت وفاته وقالت لجمهور الامراء والاعيان : «ان السلطان يأمركم أن تبايعوا بعده ابنه الملك المعظم غياث الدين توران شاه وقد عين الامير فخر الدين أتابكا لادارة الاحكام» فقبل جميع الامراء هذا الامر بالطاعة ثم أرسلت هذه الاوامر الى القاهرة (لانه توفى فى ساحة القتال بالمنصورة) فبايع جميع من فيها وكانت تبعث الرسائل مختومة بختم الملك الصالح فكان الجميع يظنون انها خطه . ثم أرسل فخر الدين قاصدا لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا وشاع موت السلطان ولكن لم يجسر أحد أن يتفوه بذلك

وتقدم الفرنج من دمياط للمنصورة وكان الامير فخر الدين المذكور فى الحمام بالمنصورة فركب مسرعا فصادفه جماعة من الفرنج فقتلوه ثم حمل المصريون والمماليك البحرية على الفرنج فردوهم عن الزحف . ووصل الملك المعظم توران شاه الى المنصورة واشتد القتال بين المصريين والفرنج براً وبحراً فدارت الدائرة على الاخيرين وغنم المسلمون منهم ٣٢ مركبا وكان المسلمون قد قطعوا خط رجعتهم الى دمياط فانهزموا فتبعهم المصريون وقتلوا منهم عدداً كبيراً يبلغ الثلاثين الفا وانحاز لويز ملك فرنسا وجماعة من قواده الى بلد هناك وطلبوا الامان فأمنهم الملك المعظم توران شاه وأحضروا الى المنصورة واعتقل الملك لويز فى دار فخر الدين ووكل به الطواشى صبيح المعظمى ولم يزل معتقلا حتى فداه الفرنسيون بتسليم دمياط للمسلمين

وكان الملك المعظم توران شاه قد أحضر معه من كيفا بعض مماليكه فتسلطوا على مماليك أبيه وأغروا الملك

المعظم بقتلهم لاستبدادهم عليه قال الملك المعظم لتنفيذ أغراضهم فاجتمعوا على قتاله وهجموا عليه بالسيوف وكان أول من ضربه ركن الدين بيبرس الذى تولى السلطنة المصرية فى دولة المماليك فهرب الملك المعظم منهم والتجأ الى برج من خشب كان هناك فأضرموا فيه النار فلما وصلت اليه رمى بنفسه الى الخليج فجاءوا اليه ورموه بالسهام وهو فى الماء فمات غريقا جريحا

فلما قتل وقعت الفتنة بين الامراء وتنازعوا الملك فاستدركت شجرة الدر مملوكة الملك الصالح وحظيته الامر وطلبت الملك لنفسها فبايعها الجميع على ان يكون عز الدين ايبك الصالحى قائدا عاما للجنود وخطب باسم شجرة الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وسميت والدة خليل نسبة الى ابن كان لها اسمه خليل توفى صغيرا

أول عمل باشرته عقد الصلح مع الفرنسيين على اطلاق سراح ملكهم لويز فى مقابل نزولهم عن دمياط وذلك فى ٣ صفر سنة (٦٤٨)

ولما استقر الامر لشجرة الدر بمصر أرسل الامراء المصريون الى الامراء الذين بدمشق فى الخطبة لها فلم يجيبوا اليه بل كاتبوا الملك الناصر يوسف صاحب حلب فسار اليهم وملك دمشق وأطاعته سورية كلها

فلما رأى المصريون ان الشام خرجت من يدهم لاستخفاف الناس بهم من تمليك امرأة قيادهم هموا باسقاطها فرأى عز الدين ايبك ان يتزوجها ويجلس على سرير الملك مكانها ففعل وتلقب بالملك المعز ولكن لم يصف له الامر فان الامراء قرروا أن يسند الامر الى واحد من ذرية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاختاروا الملك الاشرف موسى بن أيوب صاحب اليمن

تولى الملك الاشرف بن يوسف سنة (٦٤٨) فتوجس الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب من ذلك شراً فسار قاصدا مصر وصحبه كثير من أمراء الايوبيين فلما التقى العسكران بقرب العباسية انهزم المصريون ولكن حدث ان جماعة من مماليك الملك الناصر انحازوا الى المعز ايبك قائد المصريين فكر بهم على الشاميين فهزمهم. وأسر ايبك جماعة

من أمراء الايوبيين فقتل بعضهم وحبس البعض الآخر

وبقيت حالة الحرب بين المصريين والشوام حتى أرسل الخليفة العباسى فأصلح بينهم سنة (٦٥٠) على ان يكون للمصريين نهر الاردن وللملك الناصر دمشق وحلب وماوراء ذلك

وكان المعز ايبك قائد الجنود وزوج شجرة الدور يطمح الى خلع الاشرف وتبوأ الملك . وكان اقطاى الجامدار من أمراء المماليك يدافعه عن ذلك فأرصد له المعز ايبك ثلاثة من المماليك البحرية فقتلوه فأغضب ذلك مماليك اقطاى فساروا ثم لحقوا بصاحب دمشق

فخلع المعز ايبك الملك الاشرف ومنع الخطبة له فكان آخر أمراء بنى أيوب بمصر وخطب للمعز ايبك . ولما وصل المماليك الناقمون على المعز ايبك الى دمشق حسنوا لصاحبها ان يزحف على مصر فسار وامتلك غزة وبرز ايبك وجنوده الى العباسية واسترابه من المماليك العزيزية الذين كانوا انضموا فى الواقعة السابقة بينه وبين الملك الناصر يوسف صاحب دمشق فعاد هؤلاء وانضموا الى صاحبها

وترددت الرسل بين المعز وبين الناصر صاحب دمشق فاتفقوا على أن تكون الحدود بين مصر والشام والعريش

ثم أراد المعز ايبك سنة (٦٥٥) ان يتزوج بنت لؤلؤ صاحب الموصل فغارت الملكة شجرة الدر وقتلته فى الحمام

فتولى بعده على بن المعز ولقب بالمنصور فانتقم لابيه وقتل شجرة الدر

وفى سنة (٦٥٥) اتصل بالملك الصالح صاحب دمشق ان المماليك الذين كانوا مقيمين عنده بعد مقتل اقطاى الجامدار يريدون الفتك به فاستوحش منهم وأجلاهم عن دمشق فساروا الى غزة وانتموا الى الملك المغيث صاحب الكرك وأرسل صاحب دمشق عسكراً فى أثرهم فانهزموا الى البلقاء ملتجئين الى صاحب الكرك فحسنوا له فتح مصر فزحف عليها بجنوده والمماليك معه حتى التقى بجيش المصريين بالعباسية فانهزم صاحب الكرك ومن معه وكان فى جملة المماليك الذين حسنوا له فتح مصر بيبرس البندقدارى الذى صار بعد ذلك ملكا على مصر . فعاد أولئك المماليك الى الكرك فلم يزل صاحب مملكة دمشق مرتابا

منهم ومن صاحب الكرك فبعث اليهم عسكره من دمشق فظفروا به واستفحل أمرهم بالكرك . فسار الناصر اليهم بنفسه سنة (٥٦٧) ومعه صاحب حماة فحاصرا الكرك فأرسل صاحبها الى الناصر يطلب اليه الصلح فشرط عليه ان يحبس المماليك فأجابه الى شرطه واتصل الخبر الى بيبرس أميرهم فهرب فى جماعة منهم ولحق بالناصر صاحب الشام

وفى هذه الاثناء قدمت عساكر التتار الى الشام وملكوها وهرب الناصر الى مصر أولا ثم الى بلاد العرب ثم حسن له أصحابه ان يقصد هولاكو ملك التتار فأقبل عليه ووعده برده الى ملكه وأبقاه عنده

فزحف صاحب مصر وهو يومئذ الملك المظفر قطز على الشام لمقاتلة التتار فانهزموا وقتل قائدهم النائب عن هولاكو فأحضر هولاكو الناصر ولامه على ما كان منه من تسهيله عليه أمر الشام فاعتذر الناصر له فلم يقبل عذره ورماه بسهم فقتله ثم قتل الظاهر والصالح بن الاشرف صاحب حمص فانقرض بذلك ملك بنى أيوب من الشام كما انقرض ملكهم من مصر وذلك سنة (٦٥٩) وحلت محلهم دولة المماليك البحرية

وقد قدمنا ان سبب اتصالهم بالملك أن الملك الصالح بن الكامل بن العادل الايوبى كان قد استكثر من المماليك وبنى لهم قلعة بين شعبتى النيل ازاء المقياس وسماهم لهذا السبب بالبحرية . فكانوا عصبة سلطانه ، ومادة قوته ، وخاصة قصره وكان من كبرائهم عز الدين ايبك الجاشنكير ورديفه فارس الدين أقطاى الجامدار وركن الدين بيبرس البندقدارى ، ولما توفى الملك الصالح سنة (٦٤٧) وهو يحارب الفرنسيين بالمنصورة تحايلت حظيته شجرة الدر على تولية ابنه توران شاه فقتله المماليك كما مر ثم اجتمع أمرهم على تولية شجرة الدر فتزوجها رئيس المماليك عز الدين ايبك وخلعها وتملك بدلها من سنة (٦٤٨) الى (٦٥٥) ولم يصف له الامر فان كبير الايوبيين بالشام الناصر يوسف بن العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين يوسف ابن أيوب وهو يومئذ صاحب حلب وحمص وما يليها طلب الامر لنفسه فبايعه أهل الشام وأغروه بأخذ مصر فسار

اليها . فلما بلغ المماليك الخبر أرادوا أن يحتالوا بتولية أحد بني أيوب ليكفوا ألسنة الناس عنهم ويكون لهم الحكم في الحقيقة فبايعوا الموسى الذي كان أبوه يوسف أطسز بن المسعود بن الكامل وهو يومئذ ابن ست سنين ولقبوه الاشرف وعينوا المعز ايبك رئيس المماليك الذي كان تولى الملك وصياً عليه فلم تمنع هذه الحيلة الملك الناصر من التقدم الى مصر فبلغها هو وأكثر أمراء الايوبيين سنة (٦٤٨) فجمع المعز ايبك جنوده وخرج للقائهم فالتقوا بالعباسية فانهزم المصريون أولا ثم كروا فهزموا أهل الشام ورجع ايبك الى مصر منصوراً فأظهر فارس اقطاى من الشجاعة مالا مثيل له وكان زعيما لحزب من المماليك الصالحيين وكانوا يطلبون له المشاركة في الملك مع الملك الاشرف وماذالوا حتى نالوا مطلوبهم فلم يرق ذلك في عين عز الدين ايبك فأضمر له السوء فاستدعاه اليه يوماً سنة (٦٥٢) للمشاورة وكان قد أكمن له ثلاثة من مواليه فوثبوا عليه عند مروره بهم وبادروه بالسيوف وقتلوه فثار حزبه وقصدوا القلعة وطلبوا زعيمهم فألقى اليهم عز الدين ايبك رأسه فارتابوا في الامر وأجمع امراؤهم ركن الدين بيبرس البندقدارى وسيف الدين قلاوون الصالحى وسيف الدين سنقر الاشقر على المهاجرة الى الشام فيمن ينضم اليهم من المماليك البحرية واختفى من تخلف منهم وصادر عز الدين ايبك أموالهم وذخائرهم . فلما تخلص منهم قبض على الملك الاشرف وخلعه وسجنه وأمر بأن يخطب باسمه وكانت امرأته شجرة الدر لاتلد فاتخذ له السرارى فولدت له احداهن ولداً أسماه نور الدين عليا ثم عزم على مصاهرة بدر الدين لؤلؤ ملك الموصل فثارت زوجته شجرة الدر وأغرت جماعة من خصيانها على قتله في الحمام سنة (٦٥٥)

تولى بعده ابنه نور الدين على باجتماع كلمة أمراء المماليك على مبايعته فأمر بقتل شجرة الدر امرأة أبيه . وفي هذه الاثناء أخذ التتار بغداد وقتلوا الخليفة وتقدموا الى الشام فاستصغر أمراء المماليك سلطانهم نور الدين على لعدم ممارسته الحروب وتحققوا انه لصغر سنه غير كفء لمحاربة التتار فخلعوه سنة (٦٥٧) بعد أن حكم

سنتين فقط وولوا سيف الدين قطز المعزى من مماليك المعز ايبك

المظفر سيف الدين قطز تولى من سنة (٦٥٣) الى سنة (٦٥٨) وكان معروفا بالشدة والصرامة والاقدام فتلقب بالمظفر فقبض على نور الدين وقتله وكان التتار بعد استيلائهم على بغداد قد تقدموا بقيادة هولاكو خان بن تولى خان وعبر والفرات ووصلوا الى الشام فأهلكوا فيها الحرث والنسل وبهم انقرض بنو أيوب من الشام كما انقرضوا من مصر ولما ضاق الحال بأهل الشام كتبوا الى السلطان المصرى سيف الدين قطز يستنجدونه وفى هذه الاثناء وصل الى قطز أيضا رسالة من هولاكو يدعوه الى الخضوع فلم يكن من قطز الا أن ضرب أعناق رسل هولاكو ونهض على رأس جيشه الى الشام لمقاتلة التتار وتقدم كتبغا قائد التتار لقتاله فالتقيا بالغور على عين جالوت فاقتتلا قتالا عنيفا انهزم بعده التتار هزيمة شنيعة وقتل قائدهم وتتبعهم المصريون فأفنوهم وهرب من بقى منهم الى المشرق

وأرسل السلطان قطز بيبرس البندقدارى وراءهم لطردهم عن البلاد كلها فأظهر بيبرس من المقدرة والشجاعة ماجعل السلطان يتنازل له عن حلب ثم لم يف السلطان بما وعد فأضمر له بيبرس الشر ثم اتفق مع بعض الامراء على قتله فقتلوه سنة (٦٥٨)

تولى بعده بيبرس من سنة (٦٥٨) الى (٦٧٦) هـ فلقبوه بالظاهر فأزال ماكان أحدثه سلفه من المكوس. ولما علم علم الدين سنقر بقتل قطز أعلن استقلاله بالشام فأرسل اليه الملك الظاهر أستاذه علاء الدين البندقدارى فهزمه وأمسكه وأحضره الى مصر فاعتقله الظاهر

وفى سنة (٦٦٠) قدم الى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص اسمه احمد شهدوا انه ابن الظاهر محمد ابن الخليفة الناصر العباسى فيكون عم المستعصم آخر خلفاء بنى العباس الذى قتله التتار سنة (٦٥٦) فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلساً حضر فيه أكابر الرجال والعلماء وأثبت القاضى نسب احمد المذكور فبايعه الملك والناس بالخلافة ولقب المستنصر بالله فأصبحت القاهرة من ذلك الحين مقر الخلافة العباسية الا أنه لم يكن لهم من الامر شىء فقد كانوا ممثلين للخلافة

الصورية ليس الا وكانوا يلقبون بالأئمة

ثم أراد الملك الظاهر بيبرس أن يسترجع بغداد للخلفاء العباسيين من يد التتار فأنفق أموالاً طائلة في اعداد المعدات الحربية ثم نهض الى بغداد ومعه الخليفة المستنصر بالله فلما وصلوا دمشق عاد بيبرس الى مصر وتقدم المستنصر بالله قاصداً بغداد وقبل أن يصل اليها وصل اليه التتار فقاتلوه وقتلوه هو وأكثر جيشه ولم تكن خلافته غير نحو خمسة أشهر

وكان بحلب رجل من العباسيين هو احمد ابو العباس بن على هاجر اليها مختفيا من بغداد فاستقدمه الملك الظاهر الى مصر وبويع له بالخلافة ولقب الحاكم بأمر الله

وكان الفرنج لا يزالون مالكين لكثير من بلاد فلسطين فعزم بيبرس على اخراجهم منها وتجهز للسير لقتالهم ونهض سنة (٦٦٣) هـ من مصر ونازل قيصرية وفتحها وهدمها ثم سار الى أرسوف ففتحها وعاد الى مصر . ثم عاد الى الشام ثانية ففتح جيشه العليقات وحلبا وعرقا ونزل هو على صفد وضيق عليها الخناق ثم فتحها بالامان وقتل أهلها عن آخرهم

ثم وجه جيشه الى الارمن فوصل الى بلاد سيس فانتصر على صاحبها وغنم منها مغانم شتى وعاد الظاهر الى مصر

وفى سنة (٦٦٨) عاد الظاهر الى الشام وأغار على عكا فرأى انها لا تنال فتوجه الى دمشق ثم حماه وجهز عسكراً الى بلاد طائفة الاسماعيلية فأخذوا مصياف وعاد الى دمشق ومنها الى مصر

وفى سنة (٦٦٩) رجع الملك الظاهر الى الشام فنازل حصن الاكراد وكان للفرنج وملكه ثم تسلم قلعة العليقة وبلادها من الاسماعيلية . ثم جهز أسطولا لغزو قبرص فتحطم وأسر الفرنج من كان فيه من المصريين فلم يثن ذلك همة بيبرس بل أمر بانشاء أسطول آخر للأخذ بالثار ولكنه مات قبل أن يتم ما عزم عليه سنة (٦٧٦) وكان بدمشق ودفن فيها قرب الجامع الاموى وكتم مملوكه بدر الدين بيلى المعروف بالخازندار موته وارتحل بالجيش ومعهم المحفة مظهراً أن الملك فيها وأنه مريض ولما وصل بدر

الدين الى القاهرة أعلن موته وبايع لابنه بركة خان . وكانت مدة بيبرس نحو ١٧ سنة

تولى بعده ابنه السعيد بركة خان من سنة (٦٧٦) الى (٦٧٨) فقام بتدبير ملكه مملوك أبيه بيلى باى فسعدت البلاد فى أيامه الا ان مدته لم تطل فات وكان السعيد يكره الامراء ويتهمهم بأنهم قتلوا بيلى باى ثم اختار لوظيفة الاتابكية أى الوزارة آقسنقر فلم يلبث معه الا يسيراً حتى أمر بخنقه فلم يجسر أحد من أمراء المماليك أن يتولوا هذا المنصب وأضمروا للسعيد الشر

وفى سنة (٦٧٧) سار الملك السعيد من مصر الى الشام فلما وصل الي دمشق أرسل بعض جيشه بقيادة الامير سيف الدين قلاوون للاغارة على سيس ببلاد الارمن فشنوا الغارة عليهم وعادوا منها بالغنائم ، واجمعوا على الثورة ضد الملك السعيد وخلعه ومروا على دمشق ولم يدخلوها فأرسل اليهم الملك السعيد يستعطفهم ودخل عليهم مع والدته فلم يأبهوا به وتابعوا مسيرهم الى مصر فسبقهم اليها الملك ودخل القلعة وتحصن بها فأخذ من معه يتركونه وينضمون للثائرين فأدرك سوء مصيره فأطاعهم على الانخلاع على أن يعطى الكرك بالشام فاعطيها فذهب اليها

ثم اتفق أكابر المماليك على اقامة أخيه سلامش ملكا فبايعوه ولقبوه الملك العادل وكان عمره اذ ذاك سبع سنين وشهورا واختاروه بهذه السن ليكون الامر لهم واقاموا الامير سيف الدين قلاوون الالفى وصيا عليه . ثم اجمع الامراء على خلعه وأرسلوه الى الكرك منفياً

توفى بعده سيف الدين قلاوون من سنة (٦٧٨) الى سنة (٦٨٩) وتلقب المنصور فلما علم بذلك سنقر الاشقر الذى كان قلاوون ارسله واليا على الشام أيام كان وصيا أعلن الاستقلال وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر فجهز له الملك المنصور قلاوون جيشا بقيادة علم الدين سنقر الحلبى فبرز اليه سنقر الاشقر فانهزم وهرب الي الرحبة وكاتب اباقا ابن هولاكا التتارى يطمعه فى ملك الشام وسار فاستولى على صهيون وبرزنة والشقر وبكاس وعطار وشيزر وقامية

فسار قلاوون من مصر حتى وصل الى غزة قاصداً دفع التتار عن البلاد وكانوا قد وصلوا الى حلب فعاثوا فيها فسادا ثم عادوا الى بلادهم فعاد قلاوون الى مصر

وفي سنة (٦٨٠) سار قلاوون الى الشام لاصلاح أحوالها فبلغه ان اباقاخان ابن هولاكو سلطان التتار يقصد الاغارة على الشام فلبث حتى وافاه جيش التتار بقيادة منكوتمر بن هولاكو فالتقى الفريقان في ظاهر حمص وحصل قتال عنيف انتصر فيه المصريون انتصارا باهرا فانهزم منكوتمر وكان أباقاخان أخوه يحاصر الرحبة فتبعه في الهزيمة

وفي سنة (٦٨١) توفي أباقاخان بن هولاكو وتولى الملك بعده تكدار بن هولاكو فأسلم وتسمى أحمد وأرسل الى الملك قلاوون يعلمه بذلك

وفي سنة (٦٨٤) استولى على حصن المرقب بالشام وكان للفرنج

وفي سنة (٦٨٦) جهز جيشا مع نائب سلطنته بالشام حسام الدين طرنطاى وأمرهم بالمسير الى قلعة صهيون وكان صاحبها حينئذ سنقر الاشقر كما مر فاضطر سنقر لتسليمها شارطا الامان وسار حسام الدين طرنطاى الى اللاذقية وكان بها برج للفرنج فحصره وتسلمه بالامان وهدمه ولما وصل سنقر الاشقر الى مصر أمنه السلطان وعفا عنه

وفي سنة (٦٨٨) خرج الملك المنصور قلاوون الى الشام ونازل طرابلس وكانت بيد الفرنج ففتحها ولم ينج من أهلها الا النزر اليسير

ثم عاد الملك المنصور الى مصر وأخذ يتجهز لفتح عكا ولكن المنية أدركته فمات سنة (٦٨٩) بعد أن ملك احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر

تولى بعده ابنه الاشرف صلاح الدين خليل ففوض نيابة السلطنة الى بدر الدين بيدرا وأراد تتميم مقصد أبيه من فتح عكا فشخص الى الشام ونازل حصن الاكراد وفتحه ثم سار الى عكا وحاصرها ثم افتتحها عنوة وفتك بمن كان فيها من الفرنج وغنم غنائم لا تحصى. فاضطر الفرنج بسقوط عكا أن يخلو صيدا وبيروت وصور بلا قتال وذلك سنة (٦٩٠)

ثم توجه الملك الاشرف سنة (٦٩١) الى قلعة الروم وهى حصن حصين على

جانب الفرات ففتحها وغنم غنائم عظيمة واستناب عنه بالشام عز الدين ايبك الحموى وعزل علم الدين ايبك الشجاعى وكذلك عزل قراسنقر نائب السلطنة بحلب واستصحبه وولى مكانه سيف الدين بيلى باى . وعند وصوله الى مصر قبض على سنقر الاشقر وآخرين من أمراء المماليك ولم يعلم عنهم بعد ذلك شيء

وفى سنة (٦٩٣) ركب للصيد فى نفر يسير من أصحابه فقصده بعض أمراء المماليك وبينهم بيدرا ولاجين وقرا سنقر فابتدره بيدرا بطعنة فى كتفه ثم أردفها لاجين بأخرى فوقع الملك قتيلا وتركوه ملقى على الارض فحمله أيدمر الفخرى الى القاهرة واليه ينسب الخان المشهور بالقاهرة بخان الخليل أو الخان الخليلى وكان فى مكانه قبل بنائه مدافن الخلفاء الفاطميين فبناه على أنقاضها

تولى مكانه بيدار وتلقب بالملك القاهر ولكنه لم يستقر فى الملك غير يوم واحد فان مماليك الملك الاشرف قاتلوه ومن معه فتغلبوا عليهم فانهزم بيدرا وتفرق عنه أصحابه فأدركه خصومه وقتلوه ورفعوا رأسه على رمح واستتر لاجين وقراسنقر

فاتفق أمراء السلطنة على تولية محمد ابن قلاوون أخى الملك الاشرف فولوه ولقبوه بالملك الناصر وسنه لاتزيد عن ٩ سنين وعينوا الامير زين الدين كتبغا وصيا عليه. أما لاجين وقراسنقر فأقطعهما كتبغا الاقطاعات العظيمة ليكونوا عونا له عند طلبه الملك . فانه سنة (٦٩٤) اعتقل الملك الناصر بقلعة الجبل وأعلن خلعه وتولية نفسه

جلس كتبغا على سرير الملك ولقب نفسه الملك العادل وجعل لاجين نائبا وفى عهده حدث قحط عظيم حتى أكل الناس الميتة والقطاط

وفى سنة (٦٩٦) خرج الملك العادل من دمشق متوجها الى مصر فلما وصل الى نهر العوجا باغته نائبه لاجين محاربا فكرّ كتبغا راجعا الى دمشق ولم يجد من يأخذ بناصره فاضطر لخلع نفسه وطلب الى خصمه لاجين أن يعطيه ملكا يأوى اليه فأعطاه صرخد

تولى بعده لاجين من سنة (٦٩٦) الى (٦٩٨) ولكن بعد أن أخذ عليه

المماليك شروطا منها أن لا يستبد برأى دونهم وأن لا يسلط مماليكه عليهم فأجابهم الى ذلك ولقب بالملك المنصور وأرسل الى دمشق سيف الدين قبجق المنصورى

وفى سنة (٦٩٧) أغار اغارة على بلاد سيس الارمنية وعاد بغنائم شتى ثم أمر لاجين بعمل غارة ثانية فخاف ملك الارمن فأرسل اليه يطلب الصلح فشرط عليه أن يكون الحد الفاصل بين ملك مصر وملك الارمن نهر جيحون وأن يكون للمصريين كل مادونه من المدن والقرى والحصون فأجابهم ملك الارمن الى ذلك فكان من ذلك ما لا يحصى من الثروة

وفى سنة (٦٩٨) وثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه وهو يلعب الشطرنج

بعد مقتل لاجين اتفق الامراء على احضار الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك واسناد السلطنة اليه ثانية فأحسن السياسة وأجاد التدبير

فى سنة (٦٩٩) خرج قازان بن ارغون ملك التتار بجيش كثيف فعبر الفرات ووصل الى حلب ثم سار الى حماة ونزل الى وادى مجمع المروج بين حمص وحماة وبلغ الملك الناصر ذلك فنهض له ولقيه فى شرق حمص فحدث قتال شديد انهزم فيه المصريون شر هزيمة وتبعهم التتار حتى غزة والقدس وبلاد الكرك وأخذوا منهم غنائم كثيرة

ثم أعاد الملك الناصر تنظيم جيشه وزحف به على التتار فأجلاهم عن الشام بعد أن هزمهم هزيمة شنيعة

وفى سنة (٧٠٢) حدث زلزال هائل بمصر والشام فأخرب بلادا كثيرة وخرجت المياه من عيونها فى باطن الارض فأغرقت خلقا كثيرا

فى زمن هذا الملك استبد سلار نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير بالامر حتى لم يبق للملك الناصر غير الاسم فأظهر انه ينوى الحج فلما انتهى الى الكرك أمر الامراء الذين حضروا معه بالانصراف وكشف لهم انه جعل قصد الحج وسيلة للمقام بالكرك

فاتفق الامراء على تعيين بيبرس الجاشنكير من سنة (٧٠٨ الى ٧٠٩) فاستمر سلار نائباً للسلطنة فلقب بيبرس بالملك المظفر ركن الدين . ولكن لم يكن أمراء المماليك مخلصين له فأخذوا

يستميلون الناس سراً الى الملك الناصر قلاوون المخلوع حتى كثرت أحزابهم فلما تحققوا من انفسهم القوة ساروا الى الكرك وأعلموا الملك الناصر بما عليه الناس من طاعته ومحبته فلما تأكد الملك من صدقهم سار الى دمشق واستولى عليها ثم بدأ بتجهيز الجيش للمسير الى مصر وأخراج بيبرس منها ثم سار حتى وصل الى غزة فاضطر بيبرس أن يخلع نفسه وطلب الامان وان يعطى الكرك او حماة او صهيون فـأبا الملك لاعطائه صهيون ولكن بيبرس عاوده الطمع فهرب الى الوجه القبلى طامعا فى الاستيلاء عليه فأرسل الناصر من أسره واعتقله وكانت مدة السلطان بيبرس احد عشر شهراً

عاد الملك الناصر محمد قلاوون وتولى السلطنة من سنة (٧٠٩) الى (٧٤١) وكانت هذه المرة الثالثة فلم يحدث فى ايامه فتن ولا حروب فصرف جل اهتمامه لتحسين حال الزراع والصناع فراجت التجارة فى مدته واغتنى الناس

وكثرت المحصولات حتى بيع اردب القمح بخمسة دراهم واردب الشعير بثلاثة دراهم واستمرت الحال على ذلك الى ان توفى بعد أن صفا له الجو ٣٣ سنة

تولى بعده ابنه المنصور ابوبكر بن محمد من سنة (٧٤١) الى (٧٤٢) وتلقب بالملك المنصور وقام قوصون وزير أبيه بتدبير مملكته . ولكن لم يكن الملك المنصور أهلا للملك فنزع الى لذاته وشهواته وصار يمشى فى طرق المدينة متنكراً مخالطاً للسوقة فخلعه قوصون بعد أن ملك سبعة وخمسين يوما

تولى بعده الاشرف علاء الدين كجك ابن محمد قلاوون وهو اخو المتقدم ولاه قوصون واستبد عليه فلما بلغ أمراء المماليك بالشام استبداد قوصون بايعوا احمد بن الملك الناصر اخا ابا بكر وكجك وكان مقيما بالكرك لان اباه كان قد ولاه عليها فكاتبه طشتمر نائب حمص وخضر نائب حلب وحرضاه على طلب الملك ، وبلغ الخبر قوصون فأرسل قطلوبغا الفخرى بالجنود لمحاصرة الكرك وكتب الى طنبغا الصالحى نائب دمشق للمسير فى عساكره للقبض على طشتمر وخضر وكان قطلوبغا فى نفسه شىء من قوصون لاستبداده فلما خرج بالجنود من مصر

بعث يبعته الى أحمد بن الملك الناصر بالكرك وسار الى الشام يستدعى الناس لمبايعة أحمدالمذكورفاستولي قطلوبغا على الشام كله بدعوة أحمد وبعث الى الامراء بمصر فأجابوه وهاجوا الامة لخذلان قوصون فهجموا على داره واقتحموا القلعة وقبضوا اعليه وحبسوه بالاسكندرية فمات في الحبس وخلفه الاشرف علاء الدين كجك ابن محمد

تولى بعده الناصر شهاب الدين أحمد ابن محمد من سنة (٧٤٢ الى ٧٤٣) ه اذ قدم من الكرك ومعه طشتمر نائب حمص وأحضر نائب جلب وقطلوبغا الفخرى فاستولى على الملك ولقب الملك الناصر وولى طشتمر نيابة السلطنة وبعث قطلوبغا الفخرى الى دمشق وقبض على أخضر والى حلب وولى عليها مكانه ايدغمش وبلغ الخبر الي قطلوبغا الفخرى قبل وصوله الى دمشق فعدل الى حلب وقبض على ايدغمش وبعث به الى مصر فاعتقله السلطان واعتقل معه طشتمر نائب السلطنة لارتيابه فيه فاستوحش الامراء من السلطان وارتاب هو فى اخلاصهم فرحل الى الكرك بعد ثلاثة أشهر من بيعته وأخذ معه طشتمر وأيدغمش معتقلين وبعث اليه أمراء المماليك بالرجوع فامتنع وقال «هذه مملكتى (أى الكرك) أنزل من بلادها حيث شئت» ثم عمد الى طشتمر وأيدعمش فقتلهما فعين المماليك مكانه أخاه اسماعيل

تولى اسماعيل بن محمد ولقب الملك الصالح من سنة (٧٤٣ الى ٧٤٦) ه فولى نيابة السلطنة لآق سنقر السلاوى وأرسل الجنود الى الكرك للقبض على أخيه فيها وهو الملك الناصر المخلوع فحدثت وقائع كثيرة — فيها الملك الناصر

استبد الملك الصالح بالملك وقبض على نائبه آق سنقر واعتقله بالاسكندرية وقتله وولى مكانه انجاح الملك. ثم توفى سنة (٧٤٦) ه

تولى بعده الكامل زين الدين شعبان بن محمد من سنة (٧٤٦ الى ٧٤٧) وهو أخو المتقدم ولقب بالملك الكامل فجعل نيابة السلطان لارغون السلاوى وأرسل انجاح الملك ليكون نائبا بصفد ثم استرده من طريقه وبعثه معتقلا الى دمشق حتى توفى فى معتقله ثم أطلق الملك الكامل يده بالسيف فى أمراء المماليك

خوفا من أن يتألبوا عليـه ، ولكن ذلك دعاهم الى التآمر عليه فانتقض عليه طنبغا اليحياوى نائبـه بدمشق وقام على رأس جيش لمحاربته فساق الملك الكامل الجنود الى الشام واعتقل حاجى وحسينا أخويه بالقلعة وثار الامراء بمصر وركبوا الى قبة النصر فركب السلطان اليهم فى مواليه واقتتلوا فقتل ارغون العلاوى نائبه فرجع السلطان الى القلعة منهزما ودخل من باب السر مختفيا وقصد محبس أخويه ليقتلهما فحال الخدم بينه وبينهما وأغلقوا الابواب ودخل الامراء القلعة من بعده فأخرجوا حاجى أخا السلطان من معتقله وبايعوه وقبضوا على الكامل واعتقلوه ثم قتلوه فى اليوم التالى وكان ملكه سنـة وشهرا

تولى المظفر زين الدين حاجى بن محمد من سنة (٧٤٧) الى (٧٤٨) هـ وهو السادس من أبناء محمد بن قلاوون الذين تولوا الملك من بعده. فعهد المظفر بنيابة الملك الى أرغون شاه والحجازى وولى طشتمر الاحمدى النيابة بحلب والصلاحى النيابة بحمص ولم يكن المظفر أقل استبدادا من أخيه الكامل فقبض على نائبه الحجازى والناصرى وقتلهما وأرسل ارغون شاه نائبه الى صفد لينوب عنه بها فاستوحش منه الامراء وانتقض عليه اليحياوى نائب دمشق وتبعه نواب الشام فى الخلاف وبلغ الخبر الى مصر فتواعد الامراء بها للوثوب على المظفر ونما الخبر اليه فاستدعاهم من الغد وقبض عليهم وقتل بعضهم واعتقل الآخرين وبعث بعضهم الى الشام فقتلوا بالطريق وكان عددهم خمسة عشر فولى من غده بدلهم . وكان المظفر قد أرسل بعض خاصته لدمشق ليستطلع أمر اليحياوى فحمل الناس على قتله فقتلوه فاستقام الامر للمظفر ثم تجددت الثورة بمصر وخرج الامراء الى قبة النصر فركب المظفر فى مواليه لمقاتلهم . ولما ورط نفسـه فى الزحف اليهم أسلمه غدرا من كان معه الى الامراء المخالفين له فقتلوه على تربة أمه خارج القلعة وكان ملكه سنة وثلاثة أشهر

* * *

تولى بعـده الناصر حسن بن محمد من سنة (٧٤٨ الى ٧٥٢) هـ كان سابع

الاخوة أولاد محمد بن قلاوون. لقب الملك الناصر وقام بيقاروس القاسمى بأمر دولته ثم شرع فى العسف فعزل أمراء واستعمل غيرهم وقتل ونفى كثيرين منهم وقبض أخيرا على نائبه بيقاروس واعتقله واستعمل بدله الامير طاز. فأغرى طاز هذا بقية الامراء على خلع الناصر ففعلوا

تولى بعده الصالح صلاح الدين بن محمد من سنة (٧٥٢ الى ٧٥٥) هـ وهو ثامن الاخوة من أولاد قلاوون فثارت بينه وبين الامراء فتن أدت الى القتال فانتصر عليهم. وفى أيامه كثر فساد العربان فى الصعيد فجرد عليهم الامير شيخو فقاتلهم وأبادهم وأمر أن تكون عمائم اليهود والنصارى دون عشرة أذرع وأن يمنعوا من تولى الامور بالدواوين وان لايدخل واحد منهم الحمام الا بصليب فى رقبته وأن لا يدخل نساؤهم مع نساء المسلمين وان تكون ازر النصارى زرقاء واليهود صفراء. فكان نتيجة هذا الجنون ان كرهه الامراء فدخلوا عليه وخلعوه

وأعادوا الناصر حسن بن محمد ثانية من سنة (٧٥٥ الى ٧٦٢) هـ فعزل وولى الامراء واستبد شيخو بالدولة وكان سرغتمش رديفه فى الولاية الى ان وثب يوما بعض الموالى على شيخو فى مجلس السلطان وضربه بالسيف ثلاثا فأصاب رأسه ووجهه وذراعيه فأمر السلطان بقتل المملوك الذى ضربه. ثم مات شيخو وهو أول من سمى بالامير الكبير واستقل رديفه سرغتمش بتدبير مهام الملك الى ان نقم عليه الملك فقبض عليه وعلى جمهور من الامراء واعتقلهم بالاسكندرية واستبد برأيه فى الملك وكان يأنس بالعلماء والقضاة ويجمعهم فى داره ويفاوضهم فى المسائل العلمية ويحسن اليهم

وكان للسلطان مملوك اسمه يلبغا رقاه الى ان جعله قائدا لالف فحدث انه استوحش منه فخاف يلبغا على نفسه فالتزم معسكره لايخرج منه فركب اليه الملك الناصر ليلة لاغتياله وكان الخبر وصل الى يلبغا فخرج من معسكره وكمن له مع جنوده فى بعض الجهات فلما قرب منهم خرجوا اليه فهرب السلطان ومن معه الى القلعة ولم يجد لجنوده خيولا لان الخيول كانت بالربيع فلبس الملك لبس العرب هو وايدمر الدويدار ونزل من القلعة فى آخر الليل قاصدين الشام فعثر

بهما بعض المماليك فاحضروهما الى الامير يلبغا فكان ذلك آخر عهد الناس به

وتولى بعده محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون فلقبه يلبغا بالمنصور وقام بكفالته واستبد بالرأى فامتعض نائب دمشق المسمي استدمر من ذلك فاستقل بدمشق

فلما علم يلبغا ذلك قصده على رأس جيش ومعه الملك المنصور وحاصره فنزل هو وأصحابه على الامان فقبض عليهم واعتقلهم بالاسكندرية وولى الامير الماردانى نائبا بدمشق وقطلوبغا الاحمدى نائبا بحلب

ثم ارتاب يلبغا فى اخلاص الملك المنصور فعزله واعتقله وولى مكانه الملك الاشرف شعبان بن حسن من سنة (٧٦٤) الى (٧٧٨) وكان عمره عشر سنين فلقبه الملك الاشرف وتولى الوصاية عليه

حدث انه فى سنة (٧٦٧) قصد ملك قبرص الاسكندرية بأساطيله ونزل اليها وسبى كثيرا من أهلها ونهبها بعدان هزم حاميتها ثم عاد من غده موقراً بالغنائم فقصد يلبغا والملك الاشرف الاسكندرية على رأس جيش فبلغهم وهم فى الطريق ان القبرسيين أقلعوا عن المدينة فلم يثنهم ذلك بل قصدوا الاسكندرية وشاهدوا ما حل بها من الويل فعزم يلبغا ان ينتقم من ملك قبرص فأمر ببناء مئة سفينة فلما أوشك هذا الاسطول على التمام ببيروت حدثت عوائق منعته من اتمام مرامه

طال استبداد يلبغا بالناس والامراء الى ان صار يجدع الانوف ويصلم الآذان حتى انه فعل ذلك بأخى استدمر كبير خواصه فاستوحش منه وفاتح الامراء فى الثورة على يلبغا فى البحيرة فوافقه الجميع فسرح يلبغا الى البحيرة وأخذوا هم يتشاورون فى غيبته على الايقاع به فبلغه ذلك فحضر الى القاهره وخلع الملك الاشرف ونصب أخاه (انوك) ولقبه الملك المنصور واستعدهو لمحاربة السلطان الاشرف لانه كان غائبا عن القاهرة فلما قرب منهم اخذ جنود يلبغا يرمونه بالسهام ثم أدركته الجنود وانفض أصحاب يلبغا عليه فولى منهزما الى داره فقبض عليه الملك الاشرف واعتقله ثم حدث انه كان مقبلا على الملك ليضرع اليه

فقابله بعضهم بالطريق فقطع رأسه

فقام بتدبير الملك استدمر الناصرى ورديفه نبيقا الاحدى وغيرهما من الامراء وأظهروا الاستخفاف بالسلطان والرعية ونادوا بخلع السلطان فركب فى مماليكه وجنوده وبعض العامة فهزم الخارجين عليه وقبض على استدمر فشفع فيه الامراء فأطلقه وأبقاه فى وظيفته

ثم انتقضوا عليه ثانية فقاتلهم وتغلب عليهم وقتل كثيرين منهم واعتقل بعضهم واستدعى سنكلى بغا من حلب وجعله اتابكا واستقدم الامير عنيا الماردانى من دمشق وولاه النيابة

وفى سنة (٧٧٤) توفى سنكلى الاتابك فولى السلطان مكانه الجائى اليوسفى وكان أميراً للسلاح عنده فبطر النعمة وخرج على مولاه فأمر بقتله فهرب ثم مات غريقا . واستدعى السلطان ايدمر العزى وكان نائبا بطرابلس فولاه الاتابكية مكان الجائى المذكور ورفع رتبته واستقر السلطان الاشرف فى دولته مستبداً بالامر

ثم أراد الملك الاشرف قضاء فريضة الحج فخرج اليه سنة (٧٧٨) فلما انتهى الى عقبة ايلة انتقض عليه بعض مماليك يلبغا الذين كان قد ردهم الى خدمة الدولة فاضطر السلطان الى الرجوع لمصر من طريق البحر وكان عند سفره استخلف بها ابنه عليا بكفالة قرطاى الطائرى فسولت لقرطاى نفسه الانتقاض واتفق مع بعض الامراء على ذلك فأتى بالامير على بن الاشرف وبايعه واستدعى الامراء القائمين بالقاهرة فبايعوه وأخذ كفالة السلطان وجعل ايبك البدرى رديفا له وأما السلطان فبلغه وقعة القاهرة وهو بالطريق فأسرع بالرجوع اليها وانتهى بمن معه الى قبة النصر ليلا فغشى أصحابه النعاس فناموا وانفرد السلطان عنهم واختفى وبلغ أهل الثورة أمرهم فوثبوا عليهم وقتلوهم . وجاءت امرأة الى ايبك فدلته على السلطان فى بيت جارتها فأخرجه واستدل منه على الخزينة ثم قتله خنقا وكانت مدة حكمه اربع عشرة سنة

تولى بعده الملك المنصور على بن شعبان من سنة(٧٧٨) الى(٧٨٣) ه وقام بأمر دولته قرطاى الطازى ورديفه ايبك البدرى . وكان قرطاى كثير

الانهماك على لذاته وشهواته فاستبد فيه بأمور الدولة وأغرى السلطان على اسناد نيابة المملكة اليه فلم يناصبه قرطاى فى ذلك وغاية ما فعله انه طلب الامان لنفسه من أيبك فأمنه ثم قبض عليه بعد قليل وسيره الى صفد واستبد ايبك بالدولة

ثم انتقض طشتمر بالشام ووافقه كثيرون من الامراء فندب ايبك الجيش للسير الى الشام وجعل فى مقدمته ابنه احمد وأخاه قطلوفجا ثم خرج الساقة مع السلطان والامراء والجنود فثار الامراء الذين كانوا بالمقدمة على أخيه فرجع اليه منهزما فاضطر ايبك للرجوع الى القاهرة مع السلطان وجنوده فخرج ساعة وصوله جماعة من الامراء فسرح اليهم العساكر مع أخيه فأوقعوا به وقبضوا عليه فسرح ايبك اليهم من بقى معه من الامراء ثم هرب واختفى ولم يلبث أن ظهر فقبض عليه واعتقل بالاسكندرية

وأقام الامراء بيبغا الناصرى مكانه فلم يعضوا له الطاعة الواجبة وبقى أمرهم مضطربا فاستدعوا طشتمر من الشام وسلموه زمام الدولة ثم انتقضوا عليه واستدعوه الى القلعة وقبضوا عليه واعتقلوه بالاسكندرية

فقام بالامر من بعده الامير برقوق وبركة ثم وقع الخلاف بينهما وتغلب الاول على الثانى وبعث به الى الاسكندرية فحبس بها ثم قتل . واستبد برقوق بالدولة وصار صاحب النقض والابرام ولم يكن للسلطان سوى الامر

تولى بعد المنصور الملك الصالح حاجى من سنة (٧٨٣) الى (٧٨٤) وجعل برقوقا نائبا للسلطنة وكان الملك الصالح صغير السن فقام برقوق بكفالته فولى كثيرون من اصحاب يلبغا الذين كانوا أنصاره لأنه منهم فطمعوا فى الاستبداد وظفروا بلذة الملك ومالت نفوسهم الى أن يستقل أميرهم بالدولة . وكان برقوق حسن السيرة جميل الاثر فى البلاد فأنس به الناس وأحبوه وبلغ الامراء هذا الامر فامتعضوا وأخذوا يتناجون فى حيلة ليوقعوا به فنمى اليه خبرهم فقبض عليهم فقتل واعتقل بعضا ونفى البعض الآخر

ثم تفاوض اصحاب برقوق فى أمر نصبه ملكا عليهم فجمع فى رمضان سنة

(٨٧٤) الخاصة من الجنود والعلماء والاعيان فأجمعوا على بيعة برقوق وعزل السلطان الصالح وبعث برقوق أميرين من الامراء فأدخلا السلطان الى بيته وتناولا السيف من يده وأحضراه الى برقوق فلبس شعار السلطنة وخلعة الخلافة وجلس على سرير الملك وأتاه الناس يبايعونه وكان الملك الصالح آخر ملوك دولة المماليك البحرية وخلفتهم دولة المماليك الجراكسة الآتي ذكرها

أول دولة المماليك الجراكسة الملك الظاهر برقوق وانما دعيت كذلك نسبة الى اصل ملوكها فانهم من الامة الجركسية

اما برقوق هذا فكان مملوكا اشتراه يلبغا ايام كان نائب السلطنة بمصر فرباه وعلمه الفقه والعلوم الاسلامية المعروفة حتى انه كان يلقبه يلبغا بالشيخ وتعلم ايضا آداب الملك واتقن الرماية وما زال في خدمة يلبغا الى أن قضى الله عليه فتشتت مماليكه وقبض على بعضهم وسجنوا فسجن برقوق هذا في الكرك هو وأمير آخر خمس سنين ثم أطلقا فدخلا في خدمة منجك حاكم الشام اذ ذاك فاستدعى الملك الأشرف برقوقا وأضافه الى حاشية ولده الامير علي فلم يزل برقوق معه حتى صار في دولته نائب السلطنة. ولما توفي السلطان علي عين برقوق أخاه السلطان حاجي ملكا ثم طمع في الجلوس على سرير الملك كما رأيت فتم له ما أراد وخلع السلطان الصالح حاجي واستبد بالامر دونه في ١٩ رمضان سنة (٧٨٤) كما مر ولقب بالملك الظاهر

لما استتب الامر للملك الظاهر برقوق قبض على بيبغا الناصري واعتقله ثم أفرج عنه فسار الى حلب وأغرى بعض الامراء على الانتقاض علي السلطان وبلغ ذلك السلطان فاعتقل أولئك البعض من الامراء فاجتمع بعض الامراء الى بيبغا الناصري المذكور بقصد الثورة سنة (٧٩١) واتصل الخبر بطرابلس وكان بها جماعة من الامراء يرومون الفتنة فعمدوا الى الايوان السلطاني وقبضوا على نائب السلطنة وحبسوه. وفعل مثل ذلك أهل حمص وغيرها وبلغ الخبر الى السلطان الملك الظاهر برقوق فأرسل الجنود لقتال هؤلاء الثائرين. فلما وفد هذا الجيش الى دمشق أرسل سفراء الى بيبغا الناصري

ليعيده الى الطاعة فاعتقل السفراء ولم يجب وسار للقاء جيش السلطان فلما حدث القتال دارت الدائرة على جيوش الملك الظاهر دخل الناصري دمشق واستولى عليها وعاثت عساكره في نواحيها واستعد السلطان برقوق للمدافعة

أما الناصري فبعد هذا الانتصار عمد الى الزحف على مصر حتى وصل الى بلبيس ثم تقدم الى بركة الحج وبرز السلطان في مماليكه ووقف أمام القلعة بقية يومه وبعض الجنود والعامة يهرعون الى الناصري حتى ان بعض الامراء طلبوا منه الامان خوفا من بطشه فرأى السلطان ان مركزه قد تحرج فعمد الى ملاطفة بيبغا فكتب اليه بالصلح فأشار عليه ان يوارى شخصه مخافة ان يصيبه احدا بسوء فتوارى وباكر الناصري واصحابه القلعة واستدعوا السلطان حاجى بن الاشرف وهو الذى خلعه برقوق واستولى على سرير الملك بعده فأعادوه الى ملكه ولقبوه بالملك المنصور واستدعوا الامراء المعتقلين بالاسكندرية فحضروا وركب الناصري وأصحابه للقائهم وأشرك الناصري الجوباني في تدبير المملكة

ثم طلب الامراء الملك برقوقا فما زالوا يبحثون عنه حتى استدلوا عليه وتشاوروا في أمره فكان منطاش وغيره يطلبون قتله وأبى بيبغا الناصري والجوباني الا الوفاء له فأرسلوه الى الكرك وأعتقلوه بها ووكل به بيبغا الناصري أحد خواصه وأوصاه بخدمته ومنعه ممن يريده بسوء

اما الامراء الثائرون فجعلوا الجوباني اتابك السلطان المنصور وبيبغا الناصري رأس النوبة الكبرى (أى مدير الدولة) ثم بعثوا بذلار نائبا على دمشق وكشبغا نائبا على حلب وقبضوا على جماعة من الامراء الذين كان هواهم مع برقوق منهم سودون والطرنطاى نائب دمشق وغيرهم فحبسوا بالاسكندرية والشام ثم تتبعوا مماليك السلطان برقوق فحبسوا اكثرهم واجلوا بقيتهم الى الشام

كان منطاش يريد بدخوله مع الناصري ومتابعة هواه في الثورة على السلطان أن يناله قسط كبير من الامر والثروة فلما لم يشركوه في الامر أخذ يوقظ الفتنة النائمة ووافقه عليها كثير من أمراء المماليك وبلغ الخبر بيبغا الناصري والجوباني فعزما على نفي منطاش

الى الشام فمارض وأقام فى بيتـه أياما ليحكم التدبير فأرسل بعض رجال الثورة الى الجوبانى فترصدوا له فى بيته وقتلوه وركب منطاش الى الرميلة واجتمع اليه من تابع اهواءه فى الثورة وبرز يبيغا الناصرى له وأمر الامراء بالحملة على اصحاب منطاش فوقفوا ولم يجيبوه الى ذلك فأحجم الناصرى عن الحملة فى ذلك النهار

وفى الغد تزايدت جموع منطاش فهاجمه الناصرى فانهزم وانفض أصحابه عنه فهرب لايدرى لموجها فاستقل منطاش بتدبير الدولة ونصب فى وظائفها من شاء من اصحابه . ثم كتب الى نائب الكرك بأن يقتل السلطان برقوق وكان الناصرى قدأوصاه انيمنعه ممن يريده بسوء فلم يقبل وشعر برقوق انمنطاش يريداغتياله فأرسل غلمانه الذين معه لقتال حامية الكرك فهزموهم وقتلوا قائدهم واستولى السلطان برقوق على قلعة الكرك وبايعه أهلها وفشا الخبر بالنواحى فتسارع اليه مماليكه من كل جهة. وبلغت اخباره الى منطاش فأوعز الى ابن باكيش نائب غزة ان يصير فى جنوده اليه وردد برقوق فى لقائه ثم عزم على الشخوص الى دمشق فسار اليها ومعه الف رجل أو يزيدون فأرسل جنتمر نائب دمشق اليه جيشا لمدافعته فانهزم ذلك الجيش واستمر السلطان برقوق فى زحفه على دمشق ثم احس بأن ابن باكيش وجنوده يتبعونه فكر اليهم ليلا وصبحهم على غفلة منهم فانهزموا واستولى السلطان على ما معهم واستفحل أمره فقصد دمشق ونزل بميدانها فأغلق اهلها ابوابها فأقام محاصرا لها الى المحرم من سنة (٧٩٢)

أما منطاش فانه رأى أن لا مناص من مقابلة السلطان برقوق بكل قوته فخرج من مصر على رأس جيش ومعه الملك المنصور والخليفة والقضاة والعلماء فى أواخر سنة (٧٩١) وكان برقوق اذا ذاك محاصراً دمشق فترك حصارها ونزل بقرب شقحب وحدث بين الفريقين هنالك وقعة هائلة انتهت بفوز السلطان برقوق واستحوازه على الملك المنصور والقضاة والخليفة والعلماء ولحق منطاش بدمشق موهما نائبها بأنه قد انتصر على السلطان برقوق وان الملك المنصور قادم على أثره . ثم ماهى الا ايام حتى وافاه

السلطان برقوق فقاتله وهزمه وأثخن فى جنوده ثم عاد الى شقحب وحمل الملك المنصور على التنازل عن الملك وحمل الخليفة والعلماء على اعادة الملك اليه وسار بهم الى مصر فدخلها فى ٤ صفر سنة (٧٩٢) فأفرج عن الامراء المعتقلين بالاسكندرية والتفت الى منطاش فأخذ يرسل اليه بالامراء لقاتلته وكانت الحروب بينهم سجالا حتى انتهى الامر باضمحلال أمره فهرب الى حى من العرب يقال لهم آل فضل وتزوج منهم وأقام بينهم فصاروا يدافعون عنه . ثم وفد على السلطان برقوق احد امراء آل فضل ووعد بتسليم منطاش اليه فوعده السلطان ومناه فرجع ذلك الامير وقبض على منطاش وسلمه الى نائب حلب وبعث السلطان أميراً من مصر فاحتز رأسه وطاف به فى ممالك الشام وجاء به الى القاهرة سنة (٧٩٥) فعلق على باب القاهرة ثم دفعه الى أهله فدفنوه وانتهت به الفتن والثورات

وفى سنة (٧٩٦) فر أحمد بن أويس صاحب بغداد أمام تيمورلنك التترى الذى كان ملك أكثر البلاد الشمالية وأثخن فيها وحاصر بغداد فهرب صاحبها المذكور وجاء الى السلطان برقوق مستنجدا به على طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجابه السلطان الى طلبه وجهزه بجنوده الى الشام وكان تيمورلنك بعد أن استولى على بغداد زحف على تكريت وحاصرها ٤٠ يوما وملك ديار بكر والرها . فكتب السلطان الظاهر برقوق الى جليان نائب حلب أن يخرج الى الفرات بجيشه ليترصد تيمورلنك ثم أرسل اليه بمدد من دمشق مع كشيغا الاتابك وغيره وكان تيمورلنك قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهرا ثم ملكها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الكرد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها وبقى السلطان الى شعبان من السنة المذكورة متربصا لخصمه وبدا لتيمورلنك أن يقصد بلاد الهند فقصدها فعاد الملك الظاهر برقوق الى مصر

وفى سنة (٨٠١)ه أرسل تيمورلنك للملك الظاهر برقوق يطلب اليه أن يخطب باسمه على منابر مصر فأجابه السلطان اجابة تدل على الازدراء والاستخفاف وتريه انه عازم على قتاله وابتدأ الظاهر من يومه بجمع الجنود لمحاربته ولكن

ادركته منيته قبل ان ينفذ ماعزم عليه سنة (٨٠١) ه

تولى بعده ابنه الناصر فرج من سنة (٨٠١) الى (٨٠٩) وكان عمره عشر سنين فظن الناس ان الاحوال تضطرب في أيامه ولكن لم يحرك احد ساكنا

وفي سنة (٨٣٠) أغار تيمورلنك على بلاد الشام ونازل حلبا وافتتحها ومثل بأهلها تمثيلا شنيعا فخاف اهل الشام وقدموا طاعتهم اليه . اما اهل بعلبك فامتنعوا عليه فسار اليهم وضيق عليهم الحصار فطلب اهلها الامان فلم يؤمنهم بل اوغل فيهم وقتلا وتمثيلا

فاتصل الخبر بالملك الناصر فخرج بجيشه لملاقاة تيمورلنك الذى كان بجوار بداريا اذ ذاك . فحدثت عدة مناوشات بينهما ثم حدث خلاف في جيش السلطان فعاد فريق منهم الى مصر . ودخل بعض خواص السلطان فخوفه من احتمال وقوعه أسيراً في يد تيمورلنك ومما يتوقع من سوء معاملته له فداخله الذعر فرجع قاصداً مصر من ليلته فلما علم تيمورلنك بهرب خصمه أحاط بدمشق وملكها وقتل أعيانها وسبى نساءها وأحرقها هي والجامع الاموى وكان فيه جم غفير من الملتجئين اليه من النساء والاطفال والشيوخ فهلكوا جميعا حرقا . ثم خرب جميع المساجد والمعابد والقلاع وارتكب جنده من الفظائع مالا يوصف كعادتهم

ثم سار تيمورلنك عن دمشق الى ماردين وبغداد فملكهما وحارب بايزيد السلطان العثمانى وقهره سنة (١٤٠٢) ميلادية

وفي هذه السنة أرسل تيمورلنك الى السلطان فرج بمصر هدايا نفيسة واعتذر اليه عما فعله بسورية من الفظائع

وفي سنة (٨٠٨) ه وقعت فتن بين الامراء بمصر فخاف السلطان فرج على نفسه واختفى ولم يعلم أحد أين ذهب بعد أن ملك ست سنين وأشهراً

فبايع أهل الحل والعقد أخاه عبد العزيز بن برقوق ولقبوه الملك المنصور ثم ظهر الملك الناصر من مخبأه فأمسك أخاه المنصور عبد العزيز وحبسه ثم قتله فكانت مدة ولايته ٤٧ يوماً

فعاد الملك الناصر فرج ثانية . وفي سنة (٨٠٨) ظهر أمير عربى اسمه يعبر ابن مهنى فوثب على دمشق وامتلكها

بعزل نائب السلطان بها وشكا الناس من جوره فقصده الملك الناصر فأزاله عنها وجدد بناء الجامع الاموى

وفى سنة (٨١٥) اتفق الامير شيخ ونوروز نائب الشام وغيرهما من الامراء على العصيان بالشام فخرج اليهم السلطان فلما وصل الى غزة فر بعض عسكره الى الامير شيخ ونوروز فقصدهما السلطان بمن معه فتوجها الى القاهرة عن طريق بعلبك ووادى التيم فجد فى طلبهما حتى أدركهما بالناصرة فاقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزم السلطان وهرب الى دمشق فحاصراه بها ثم طلب الامان فأمناه . فلما نزل من القلعة قبضا عليه وسجناه وادعى عليه احدهم بقتل اخيه ظلما فحكموا عليه بالقتل فقتلوه وألقوه عريانا على مزبلة ثلاثة أيام وأضيفت السلطنة الى الخليفة بمصر المستعين بالله ابى الفضل العباس بن محمد العباسى وصار خليفة وسلطانا مدة ستة اشهر

وكان الامير شيخ المحمودى الذى ثار على الناصر يعمل على ان ينال السلطنة فلما ولى الخليفة السلطنة ولى هو النيابة عنه بمصر ونوروز النيابة عنه بالشام ثم تطلع الامير شيخ المذكور لانتزاع السلطنة من يد الخليفة وتذرع لنيل غرضه بقومه فثاروا على الخليفة وعزلوه من الخلافة والسلطنة معاً وولوا السلطنة للامير شيخ المذكور وولوا الخلافة الفضل داود العباسى

تولى الملك الامير شيخ المحمودى الظاهرى اصله من مماليك الملك الظاهر برقوق أعتقه وقدمه فى المراتب الى أن صار مقدم الف فى دولة الملك الناصر فرج ثم نائب السلطنة بطرابلس ثم بالشام أيضا وأسره تيمورلنك فى حلب ثم نجا من الاسر وكانت له أمور مع الملك الناصر فسجنه مدة . ثم انضم الى نوروز نائب الشام فى عصيانه ولما قتل الناصر وولي الخليفة العباسى كان الامير شيخ قائداً للجنود بمصر فخلع الخدمة كما تقدم وجلس مكانه فى سرير الملك سنة (٨١٥) وتلقب بالملك المؤيد

من صفاته انه كان عاقلا حسن السياسة فسعدت البلاد فى أيامه ولم يكدرها الا عصيان نوروز نائب الشام عليه لأنه لما رأى استبداده بالمملكة وخيانته العهود التى كانت بينهما بقى يخطب

باسم الخليفة العباسى على منابر دمشق واستمر واضعاً يده على البلاد الشامية الى غزة والى الفرات الى سنة (٨١٧) التى فيها سار الملك المؤيد بالجنود من مصر الى الشام ومعه الخليفة المتضد بالله داود والقضاة الاربعة فوجد نوروز قد حصن دمشق فحاصره المؤيد فسلم نوروز نفسه فقطع رأسه وأرسله الى القاهرة فعلق على باب زويلة ثم دفن

أقام الملك المؤيد بعد ذلك بدمشق أياماً لتنظيمها ثم عاد الى مصر واستمر سلطانا على مصر والشام الى أن مات سنة (٨٢٤) وهو البانى لمسجد المؤيد المشهور بالقاهرة بقرب باب زويلة

لما توفى الملك المؤيد شيخ اجتمع الامراء وبايعوا لابنه أحمد بن شيخ وكان طفلا لم يتجاوز الثانية فعارض الخليفة فى توليته ولكنه اضطر للاذعان فبايع له ولقبه الملك المظفر. وقام الامير تتر بتدبير الدولة حتى يبلغ رشده ثم طمع فى الملك فخلع المظفر وجلس على السرير مكانه سنة (٧٢٤)

استتب الامر للامير تتر وخطب باسمه على منابر مصر والشام وتلقب بالملك الظاهر ولكنه لم يهنأ بالملك طويلا فتوفى سنة توليته

تولى بعده الملك الصالح بن تتر من سنة (٨٢٤) الى (٨٢٥) هو ابن المتقدم وكان عمره احدى عشرة سنة فقام بتدبير دولته جانى بك الصوفى فصار صاحب السلطة التامة فاستوحش لذلك أمراء المماليك فثار عليه برس باى فقيده وأرسله الى السجن بالاسكندرية وقويت شوكة برس باى وتعصب له جماعة من الامراء فخلعوا الملك الصالح محمد بن تتر ونادوا ببرس باى ملكا فكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما

تولى بعده برس باى وتلقب بالملك الاشرف من سنة (٨٢٥) الى (٨٥١) وكان عاقلا حسن السياسة فأزال المظالم التى أحدثها سلفه وسعدت البلاد فى أيامه واغتنى الفقراء. من أعماله التى تدل على وفور عقله منعه الناس من تقبيل الارض بين يديه كعادة الملوك الذين سبقوه وابداله ذلك بتقبيل اليد فقط

أرسل فى سنة (٨٢٩) جيشاً الى قبرس لقتالها ولاتنس ان القبرسيين

سقطوا على الاسكندرية فى عهد الاشرف شعبان فأحدثوا فيها من المنكرات مالا يوصف ثم رحلوا عنها فبلغ جيشه الى الماغوصة ثم الى الملاحة وحدث قتال شديد بين الجيشين فانهزم ملك قبرس فأسر عساكر السلطان نحو ٧٠٠ أسير وملك حصن لامسون وقتل أخو الملك وأسر الملك نفسه فأحضروه الى مصر بعد أن نهبوا قصره واحرقوه واحرقوا معه دورا أخرى كثيرة وغنموا شيئا كثيرا . ولما بلغوا بملك قبرص الي القاهرة اصطفت جنود مصر صفين امام باب القلعة وادخلوا الملك بينهما مقيدا راكبا بغلا فسجن . ثم اتفق الملك مع السلطان أن يفدى نفسه بمئتى الف دينار يدفع له نصفها معجلا والنصف الآخر عند عودته الى قبرص وان يدفع له جزية سنوية ٣٠ الف دينار فقبل السلطان ذلك

في هذه السنة أي (٨٢٩) أكملت عمارة المدرسة الاشرفية عند سوق الوراقين بالقاهرة

وفى سنة (٨٣٣) حدث فى مصر طاعون شديد اجتاح منها خلقا كثيرا حتى مات في يوم واحد نحو ٢٤ الف نسمة وضج الناس وصار بعضهم يودع بعضا كأنهم فى ساحة حرب لامناص فيها من الموت الزؤام

وفى سنة (٨٤١) مرض السلطان الملك الاشرف برس باى وحدثت له ماليخوليا فأمر بنفى الكلاب من القاهرة الى الجيزة ورسم أن لاتخرج المرأة من بيتها فكان المرأة اذا أرادت الخروج لحاجة حصلت على رخصة من المحتسب وعلقتها برأسها ليباح لها أن تمشى فى السوق

توفى الاشرف فى تلك السنة بعد أن ملك ١٧ سنة وستة أيام

تولى بعده ابنه العزيز يوسف ولقب الملك العزيز وكان عمره أربع عشرة سنة فقام بتدبير دولته الاتابك جقمق فاستبد بالامور وصار صاحب الحل والعقد حتى دبت عقارب الفتن بينه وبين بقية الامراء المماليك فأخذوا فى مماكسته وكان الملك العزيز بيد جقمق كالالعوبة وهم جماعة بقتل جقمق فلم يمكنهم انصاره من الامراء المشايعين له فانتشب القتال بين الطائفتين فهزمت الطائفة الثائرة فاتفق انصار جقمق بعد هذا النصر العظيم على تمليكه وخلع العزيز فحصل ذلك وتولى

جقمق الملك باسم الملك الظاهر

تولى الملك جقمق من سنة (٨٤٢) الى (٨٥٧) فتلقب بالملك الظاهر فوزع المناصب والاقطاعات على حزبه فأعطى نيابة السلطنة بمصر لاقبغا التمرازى وهو آخر من تولى هذه الوظيفة بمصر لأن المماليك أبطلوها بعده

وفى سنة (٨٤٣) خرج اينال الحكمى نائب الشام عن الطاعة وتابعه على ذلك تمزى برمش نائب حلب فأرسل الظاهر اليهما العساكر ونصب الاتابك أقبغا التمرازى المذكور نائبا بالشام بدل اينال فسار التمرازى وحارب الثائرين وهزمهم وأسرهم وضرب أعناقهم وأرسل برؤوسهم الى القاهرة فعلقت على باب زويلة

وفى سنة (٨٥٧) شعر الظاهر بقرب أجله فاستدعى القائم بأمر الله وقضاة المذاهب الاربعة وخلع نفسه من الملك وعين بدله ولده عثمان

أنشأ الملك الظاهر كثيراً من المساجد والقناطر والجسور وكان يكرم العلماء ويحب الفقراء ويواسيهم

تولى بعده ابنه عثمان جقمق فلقب بالملك المنصور فعين اينال العلائى رئيسا لجيشه واضطر لنقص مرتبات الجنود لعدم توفر المال لديه فثار عليه الامراء وخلعوه وعينوا اينال قائد جنوده ملكا عليهم وحاصروا الملك عثمان بالقلعة وقطعوا عنه الماء وضيقوا عليه وعلى من معه حتى اضطر للتسليم فقبض عليه اينال وأرسله معتقلا الى الاسكندرية فكانت مدته ٤٣ يوما

تولى الملك اينال العلائى ولقب بالاشرف من سنة (٨٥٧) الى (٨٦٥) كان عاقلا حسن السيرة سعدت الامة فى عهده ولم يحدث فى أيامه مايهم التاريخ من الحوادث . ولما مات كان الاسف عليه عاما

تولى بعده ابنه احمد فلقب المؤيد وكان عمره ٣٨ سنة وأهلا للملك بصيراً بمصالح الرعية فغدر به المماليك وخلعوه وبايعوا قائد جنوده خوش قدم

تولى خوش قدم من سنة (٨٦٥) الى (٨٧٢) ولقب بالظاهر ولم يكن جركسى الاصل بل روميا اشتراه التاجر ناصر الدين وباعه للملك المؤيد شيخ فأعتقه فبلغ رتبة جامدار ثم صار خاصيكيا فى عهد الملك المظفر ثم رقى الى مقدم

الف بدمشق ولما تقم السلطان على الامير فانى بك حاجب الحجاب قفاه واستحضر خوش قدم وأنعم عليه باقطاع الامير المذكور سنة (٨٥٤) ثم صار أميراً للسلاح فى دولة الملك الاشرف اينال ولما توفى وتولى بعده ابنه احمد جعل خوش قدم قائده للجنود . ولما خلع المماليك السلطان أحمد اينال عينوه سلطانا ولقبوه بالملك الظاهر سنة (٨٦٥) فكان حكما باراً حليما محباً للرعية ساهرا على راحتها فأجمع الكل على طاعته وحبه فحكم ست سنين ونصف سنة كانت كلها سلاما ورخاء وتوفى سنة (٨٧٢)

تولى بعده الملك الظاهر بلباى المؤيدى نسبة الى الملك المؤيد شيخ وحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف وقضاة المذاهب الاربعة فبايعوه سلطنة وسمى الملك الظاهر وكنى أبا نصر ولقب سيف الدين . عين تمربغا قائدا للجنود ووزع بقية المناصب على خاصته وقبض على بعض الامراء وسجنهم بالاسكندرية وقطع مرتبات بعض الخدم فنفرت منه القلوب وحدثت فتنة أفضت الى اجتماع الامراء سنة (٨٧٢) خلعوا فيه الملك الظاهر بلباى بحضور الخليفة والقضاة الاربعة واتفقوا على أن يبايعوا رئيس الجنود تمربغا ثم قبضوا على بلباى وقيدوه وأرسلوه معتقلا الى الاسكندرية فكانت مدة حكمه شهرين الا أربعة أيام

تولى تمربغا سنة (٨٧٢) ولقب بالظاهر وهو رومى الاصل كان كفؤاً للحكم وله المام ببعض العلوم . فجعل الامير قايتباى قائداً لجنوده ووزع المناصب والاقطاعات على من شاء من الامراء . ثم وقعت وحشة بينه وبين مماليك السلطان خوش قدم فاتفق رئيسهم خيربك مع بعض الامراء على خلع الملك الظاهر والبيعة لنفسه فهجموا على قصر السلطان وقبضوا على جماعة من أمرائه وخيل للامير خير بك انه قد تم له الامر فأخذ يوزع المناصب من ليلتـه . وكان قائد الجنود قايتباى غائباً فأسرع الى مصر تلك الليلة فثار مع رجاله على خير بك وأسقطه فى تلك الليلة نفسها ودعا الناس الى مبايعته وسار من غده الى القلعة فلما رأى خير بك ماحل به أخرج السلطان تمربغا من السجن وأجلسه على منصة

الملك وقبل الارض بين يديه وقال له اقتلني قد كنت باغيا عليك . فقال له السلطان : « قضى الامر ولم يبق لى ولا لك بقاء » ودافع رجاله وخير بك عنه دفاع الابطال فلم يغنوا عنه شيئا وقبض عليهم قايت باى وسجنهم بالقلعة وأرسل السلطان تمربغا مكرما الى دمياط. وكانت مدة حكمه ٥٨ يوما

تولى قايت باى من سنة (٨٧٢) الى (٩٠١) ولقب بالملك الاشرف وهو جركسي الاصل كان من مماليك الملك الظاهر جقمق اشتراه من تاجر اسمه محمود فأعتقه وجعله جامدارا ثم خاصيكيا ثم دويدارا وتوفى الظاهر جقمق وتملك الظاهر بلباى فجعله رأس نوبة النواب ولما تولى الظاهر تمربغا جعله اتابك الجنود أى قائدها فتم الامر كما رأيت سنة(٨٧٢) وسمى الملك الاشرف وكنى ابا نصر ولقب سيف الدين

لما تولى هذا الملك كانت البلاد على أسوأ حالات الاضطراب فاستعمل الحزم والعزم فى معاملة المفسدين حتى عادت السكينة الى البلاد وعمها العدل ولم يحدث مدة ملكه الطويلة شىء من الفتن بمصر فالتفت الاشرف الى الخارج ورأى أن هناك دولة تتربص بمملكته الدوائر الا وهى المملكة العثمانية وكان السلطان العثمانى فى عصره بايزيد فطمع فى الاستيلاء على الشام ومصر فأرسل جيشه سنة (٨٩٢) لفتح سورية فبلغ الملك قايت باى الخبر فأرسل جيشه لصد الترك فحدثت بينهما موقعة قتل فيها خلق كثير من الطرفين وانهزم الترك ورجعوا الى أدنة فتبعهم اليها الجراكسة وحاصروها وأخذوها منهم

وفى سنة (٨٩٤) طمع الترك فى الاستيلاء على حلب فأرسل قايت باى جيشا تحت قيادة قانصوه الشامى فاستولى على بعض بلاد الترك ثم حصل صلح بين بايزيد والاشرف وتبادلوا اطلاق الاسرى

مات هذا السلطان وعمره (٨٦) سنة بعد ان حكم ١٩ سنة وأربعة اشهر وأيام ولم تتفق هذه المدة لغيره من سلاطين هذه الدولة وقد خلف كثيرا من الآثار التى تخلد ذكره منها مدرسة بمكة وعمارة المسجد المكى ومدرسة بيت المقدس ومدرسة بدمشق واخرى بغزة ورابعة

بدمياط وخامسة بالاسكندرية وجامع بالصحراء وآخر بالروضة وغير ذلك

تولى من بعده الناصر محمد بن قايت باى من سنة (٩٠١ الى ٩٠٢) وكان عمره ١٤ سنة فانهمك على اللعب فلم يرق فى نظر الناس فاجتمع أمراء الجراكسة والخليفة والقضاة وعزلوه وولوا مكانه قائد الجنود قانصوه خمس مئة (لقب بذلك لانه اشترى بخمس مئة دينار

تولى قانصوه خمس مئة ولقب بالملك الاشرف فأمر بالقبض على الملك الناصر فتعصب له بعض المماليك وحدث بين الفريقين قتال فتغلب حزب الناصر على حزبه وحاصروه هو ومعه الخليفة والقضاة يومين حتى جرح قانصوه وأغمى عليه فحمله بعض غلمانه وعاد الناصر الى الملك

عاد الملك الناصر محمد بن قايت باى من سنة (٩٠٢ الى ٩٠٤) فتوجه اليه الخليفة والقضاة الاربعة وهنأوه بانتصاره بعد أن كانوا بالامس مع خصمه قانصوه يغنون له بما يحب ويهوى . ورجع الناصر الى ما كان عليه من اللعب وشرب الخمر حتى سئمه الناس وتربصوا به لاغتياله

وفى سنة (٩٠٤) خرج السلطان الى الجيزة فقضى هنالك ثلاثة أيام مع ندمانه وخلانه فى أشد حالات التهتك والخلاعة ثم ركب فى آخر تلك الايام عائداً الى القاهرة ولم يكن معه الا أبناء عمه وبعض سلاحداريته فمر على الطالبية وكان هنالك طومان باى الامير الجركسى فخرج مسرعا للقاء السلطان وسأله أن ينزل عنده فأبى فقدم له كأسا من لبن فوقف السلطان وهو على جواده ليتناول ذلك اللبن وطومان باى آخذ بلجام فرسه واذا بخمسين مملوكا خرجوا من الخيام التى هنالك فعالجوه بالسيوف فقتلوه شر قتله ونسب ذلك الى طومان باى

فاتفق المماليك على تعيين قانصوه الاشرفى وهو خال الملك الناصر فبايعوه ولقبوه بالملك الظاهر وكنوه أباسعد فعين الامير جان بلاط قيادة الجنود واستعمل دولت باى فى نيابة حلب والامير قصروه فى نيابة الشام وبلباى فى نيابة طرابلس

وكان طومان باى يطمع فى السلطنة فهرب الى الصعيد فأرسل اليه السلطان يستدعيه وحلف له بأن يحسن اليه ويكرمه فلم يرجع فأحس الملك الظاهر بقرب

الشر فأخذ يستعد للحصار وملأ القلعة بالمؤن والذخائر وقبض على بعض المماليك المشايعين له ووزع السلاح على خاصته وحضر طومان باى من الصعيد فى رجاله واتفق مع رئيس الجنود وهو الامير جان بلاط على احداث ثورة فكان ماأراد واستمرت الحرب ثلاثة أيام وانتهت بهزيمة شيعة الملك وهرب هو فى زى امرأة الى المقابر . فعثروا عليه بعد خمسة عشر يوماً وأرسلوه الى الاسكندرية معتقلا بعد أن تولى سنة وثمانية أشهر ويومين

تولى بعده جان بلاط ولقب بالاشرف من سنة (٩٠٥) الى (٩٠٦) فأظهر قصروه نائب الشام العصيان فأرسل اليه جان بلاط أمير جنوده طومان باى لاخضاعه ، ولكن طومان باى هذا بدل أن يحارب الثائر انضم اليه وعادا معاً الى القاهرة فخلع جان بلاط وخاف الامراء شر طومان باى فأخذوا يتخلون عن الاشرف وينضمون اليه . وتقدم طومان باى فقبض على الملك وقيده بقيد ثقيل وأرسله الى الاسكندرية معتقلا . ثم أمر بخنقه وكانت مدة ملكه ستة أشهر وثمانية عشر يوما

تولى بعده طومان باى ولقب الملك العادل سنة (٩٠٦) وكان عند بيعته بدمشق فصلى الجمعة بالمسجد الاموى ثم دخل قلعة دمشق وسكنها وخطب له بالشام . ثم قصد مصر وفى خدمته قائد جنوده قصروه الذى كان نائب الشام ففرح به الناس لبغضهم لجان بلاط فلما تمكن طومان باى من الملك قتل قصروه واستخف بالامراء المتقدمين فحقدوا عليه واتفق الامير قنبك أمير السلاح وقانصوه الغورى الدويدار الكبير وغيرهما على الثورة عليه فهرب طومان باى واختفى ثم عثروا عليه فقتلوه وقطعوا رأسه ودفنوه فى تربته التى كان أعدها لنفسه أيام أمارته فى أطراف الصحراء فكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر ونصف شهر

تولى قانصوه الغورى ولقب الملك الاشرف وكان لين العريكة سهل الازالة فى أى وقت أرادوا لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا . ولما عرضوا عليه الملك قال لهم اقبله على شرط أن لاتقتلونى فاذا أردتم عزلى فأخبرونى وأنا أتنازل لكم عن الملك فعاهدوه على ذلك وفرح الناس

بولايته . كان كثير الدهاء والفطنة شديد الطمع كثير الظلم فأخذ يغرى بعض الامراء ببعض ويأخذ هذا بهذا ويدس لهم السم فى الدسم حتى أباد كبراءهم ودهاتهم

وفى سنة (٩٢٢) بلغ قانصوه أن السلطان سليم العثمانى يقصد الشام ومصر فتجهز له وخرج الى دمشق ومنها الى حلب وهناك وصله وفد من السلطان سليم العثمانى للمفاوضة معه فى الصلح وكان ذلك خدعة من السلطان سليم ليمنع قانصوه من الاستعداد . فخلع قانصوه على الوفد وأرسل الى السلطان سليم الامير مغلباى الدويدار للمفاوضة فى الصلح فقبض السلطان سليم عليه ووضعه فى الحديد وأراد شنقه فشفع فيه بعض وزرائه فتركه ثم أمر السلطان سليم جنوده بأن يسيروا نحو حلب فوصلوا الى عنتاب وملكوا ملطية وغيرها فلما بلغت هذه الاخبار الملك قانصوه خرج من حلب وسير امامه النواب والجنود وعاد اليه الامير مغلباى سفيره وقص اليه مالقيه من الاهانات وبلغه رسالة السلطان العثمانى وهى : « قل لسلطانك أن يلاقينا بمرج دابق» فاضطرب قانصوه من ذلك

وفى يوم الاربعاء ١١ رجب سنة (٩٢٢) رحل قانصوه الى مرج دابق فوصله فى ١٥ منه وأقبلت عليه جنود السلطان التركى فحصلت بين الفريقين معركة دموية انجلت عن هزيمة الجراكسة وقتل قانصوه الغورى وتشتت جيوشه شذر مذر ووقع كل ما كان معه فى قبضة سليم الاول

كانت مدة ولاية السلطان الغورى ١٥ سنة و٩ أشهر . من آثاره جامع الغورية ومدرسة الغورية فى أول شارع السكة الجديدة بالقاهرة

دخل السلطان سليم حلب فملكها ثم توجه الى حماة وحمص فاستولى عليها ثم قصد دمشق فاستقبله أهلها وطلبوا منه الامان فتم له ملك سورية برمتها فأقام عليها العمال وسار منها الى مصر

تولى بعد السلطان قانصوه طومان باى ابن أخيه وكان يدير الملك فى غيبته فلقبوه الملك الاشرف فبدأ يستعد لملاقاة الاتراك . أما السلطان سليم فلم يمهله فقد قسم عسكره الى فرقتين أرسل فرقة من تحت الجبل الاحمر وفرقة لمقاتلة الجراكسة

فى الريدانية فهزمتهم وشتتت شملهم وثبت الملك الاشراف طومان باى يقاتل مع نفر قليل الى أن خاف أن يقبض عليه فهرب واختفى ودخل القاهرة جماعة من الترك شاهرين سيوفهم وذلك فى أواخر سنة (٩٢٢) ه

فلما هلت سنة (٩٢٣) أمر السلطان سليم جنوده بالكف عن النهب وأمر باحضار من قبض عليه من الجراكسة فضرب أعناقهم . وفى يوم الاثنين ٣ من المحرم دخل السلطان القاهرة فى موكب عظيم

أما طومان باى فانه لما اختفى جمع عسكراً كثيفا ووثب يوم الاربعاء ٥ محرم على محلة السلطان سليم وأحاط بها فنشب بينهم القتال ودام الليل كله واستمر الى اليوم التالى فانهزم الجراكسة بعد أن قاتلوا قتال الجبابرة كان أشدما القوممن هذه الحرب مدافع السلطان سليم وبارودهولم يكن معهم منها شىء

فهرب طومان باى الى الصعيد ولحق به هنالك كثيرون من الامراء والعساكر فلما قوى شأنه تقدم الى الجيزة فبرز اليه الترك وحصلت بين الفريقين موقعة هائلة أخرى تغلب الجراكسة فى أولها ثم دارت عليهم الدائرة فى آخرها وولى طومان باى منهزما فلاقاه حسن بن مرعي فى ضيعة اسمها البوطة وكان صديقه من زمان بعيد فأنزله ضيفا عنده وحلف له أن لايخونه ولايدل عليه واذا بالعربان احتاطوا به من كل جهة وهو لايدرى وأعلموا السلطان العثمانى بمكانه فأرسل جماعة من جنوده فقبضوا عليه وقيدوه بالحديد وأتوا به فأبقاه مقيداً أياما وفى يوم ١١ ربيع الاول سنة (٩٢٣) أمر بشنقه على باب زويلة فكانت مدته ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما وبموته انقرضت دولة المماليك وأصبحت سورية ومصر فى قبضة العثمانيين

وكانت مصر مقر الخلافة الاسلامية من بنى العباس كما قدمنا من عهد السلطان الظاهر بيبرس فكان الخليفة على عهد السلطان سليم المتوكل على الله محمداً فطلب السلطان الى الخليفة أن يتنازل له عن الخلافة فتنازل له وسلمه الآثار النبوية وهى الراية والسيف والبردة وسلمه ايضا مفاتيح الحرمين فأصبحت الخلافة فى سلاطين الترك من ذلك الحين

وفى سنة (٩٢٣) عاد السلطان سليم الى مقر ملكه بالآستانه بعد أن ولى مصر خير بك أمير الامراء طمعة له طول حياته وكان وعده بذلك من قبل فتولاها ومات سنة (٩٢٦) هـ

فصارت مصر مع العثمانيين كما كانت مع الدولة الرومانية يرسلون اليها الولاة لمدة قصيرة فتولاها بعد خير بك مصطفى باشا ثم قاسم جزل باشا ثم أحمد باشا الملقب بالخائن سنة (٩٣٠) هـ وكان السلطان سليمان بن سليم قد ولى الصدارة أودا باشا وكان أحمد باشا والى مصر أقدم منه فى الخدمة وكان يؤمل أن يرقى الى رتبة الصدارة قبله فأراد السلطان أن يسترضيه فولاه على مصر فصار الصدر الاعظم يتحين الفرصة لايهامه بما يوجب قتله فأوعز الى أمراء الجراكسة بمصر أن يجتمعوا عليه ويقتلوه ويولوا احدهم مكانه الى أن يرسل اليهم والياً جديداً فعثر أحمد باشا على هذه المكيدة فأظهر الاستقلال بمصر وضرب السكة باسمه وكان قد حبس بالقلعة اميرين كبيرين من امراء المماليك وهما وهب جانم الحزاوى ومحمود بك واراد قتلهما فبلغهما انه دخل الحمام فكسرا السجن وخرجا ونصبا سنجقا سلطانيا ونا ديا من أطاع الله ورسوله والسلطان فليقف تحت السنجق فوقف تحته خلق كثير وسار سر دارم جانم الحزاوى ومحمود بك وتوجها بالجنود الى الحمام فكبسوه على أحمد باشا وكان قد حلق نصف رأسه فأعجله عن حلق النصف الثانى هجوم الجنود فهرب الى سطوح الحمام وتسلق من مكان الى مكان الى أن وصل الى الارض فنهبوا جميع ماكان عنده من السلاح والذخيرة ثم اقتفوا أثره فأدركوه بمنية جناج بالغربية فقتلوه فى أواخر سنة (٩٣٠) هـ وجزوا رأسه وجىء بها الى مصر وعلقت فى باب زويلة ثم جهزت وأرسلت الى السلطان نفسه فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة

تولى بعده ابراهيم باشا سبعة أشهر ثم طلب لتولى الصدارة العظمى فخلفه سليمان باشا الخادم سنة (٩٣١) هـ فعين الامير كيوان سنة (٩٣٣) لمساحة قرى مصر وضبط أراضيها كل اقليم على حدته من الاطيان السلطانية والارزاق والاوقاف والاقطاعات وغير ذلك وكتب بذلك

دفاتر محررة ووضعت بديوان مصر المحروسة وسميت دفاترترابيع سنة (٩٣٣) ثم عينه السلطان واليا باليمن سنة (٩٤١)

ثم تولى خسرو باشا سنة (٩٤١) ثم عاد سليمان باشا الخادم لولاية مصر وبقى فيها الى سنة (٩٤٥)

ثم تولى داود باشا سنة (٩٤٥) فبنى مدرسة عظيمة بسويقة اللالة بمصر ووقف لها أوقافا جمة وبقى بمصر الى سنة (٩٥٥) فكانت مدته احدى عشرة سنة وشهراً وعشرين يوما وتوفى بمصر

ثم تولى مصطفى باشا صفصفان فلم تزد مدة ولايته عن اربعة أشهر ونصف شهر

ثم تولى على باشا الى سنة (٩٦١) فكانت مدته أربع سنوات وخمسة أشهر و ٢١ يوما

ثم توالت ولاة لا فائدة فى ذكرهم عقبهم سنان باشا سنة (٩٧٥) فورد عليه الامر بالتوجه لفتح اليمن واسترجاعها من الزيديين الثائرين فتوجه اليها ومعه جماعة من أكابر سناجق مصر وكان أولئك السناجق قد اتهموا بقتل أحد الولاة فلم يرجع منهم الى مصر أحد

فتح سنان باشا اليمن واسترجعها من يد الثائرين الزيديين . ثم تولى بعده اسكندر باشا الفقيه وهو جركسى الاصل فبقى الى سنة (٩٧٩) ثم عاد سنان باشا فأحدث فيها مآثر جليلة ومساجد جميلة وربطا وتكايا فى كثير من البلاد السورية والمصرية بحيث فاق فى ذلك كل من تقدم من الولاة . ثم توجه لزيارة قبر السيد البدوى فبلغه ان الامير منصور بن بغداد أمير ولاية المنوفية صغير السن غير ملتفت لغير اللعب واللهو ولكنه مع ذلك يستند الى معونة الصدر الاعظم سياوش باشا فخشى سنان باشا من ضياع الاموال الديوانية فعزله عن ولايته وجعل مكانه الامير علام بن بغداد وقبض على الامير منصور وسجنه بالقلعة فبقي معتقلا الى أن تولى مصر حسن باشا الخادم فأطلقه واعاده الى ولايته فكانت مدة حبسه نحو عشر سنوات

ثم دعى سنان باشا لتولى الصدارة بعد أن مكث بمصر للمرة الثانية سنتين

ومن ولاة الترك بمصر مسيح باشا وليها سنة (٩٨٣) وكان عادلا مهيبا عفيفا

يكره أهل الفساد واللصوص وقطاع الطريق ويتجسس عن أخبارهم ومواطنهم ويقتل منهم من يظفر به ويشنع في قتله فانتظمت الاحوال في زمانه وأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وخافه الحكام والولاة وبطلت الرشوة . توفي سنة (٩٨٨) بعد أن لبث بمصر خمس سنوات وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما

ثم تولى بعده حسن باشا الخادم فأمر بأن يلبس اليهود الطراطير الحمر والنصارى البرانيط السود وكان قبل ذلك لبس اليهود العمائم الصفر والنصارى العمائم الزرق . وكان هذا الوالي محبا لجمع المال فصادر أموال الكثيرين من المصريين

تولى بعده الوزير ابراهيم باشا ففرح الناس بقدومه وكان بيده أمر سلطاني بمحاسبة حسن باشا الوالي السابق وكان يرجو أن يظفر به في مصر الا انه كان قد سبقه وأقام وكيلا عنه لمقاضاته فظهرت عنده أموال كثيرة أخذها من الناس غصبا . ثم ان ابراهيم باشا توجه بنفسه الى بئر الزمر فأحاط بها علما وأخذ منها بعض الاحجار وتوجه الى الاهرام وأراد الوقوف على سرها فلم يستطع الى ذلك سبيلا

ثم تولى اويس باشا فحدثت في أيامه فتن فهرب الناس الى كل فج خوفا من الجنود الثائرة ومنع المصريين من الانتقام في سلك الجندية ومن التشبه بالجنود في ملابسهم وحدثت مناهب ومسالب . وحدث زلزال لم يرمثله في مصر فسقطت منائر بعض المساجد وبيوت وربوع وفاض الماء من حوائط الحمامات وخاف الناس خوفا شديدا . وتوفي اويس باشا سنة (٩٩٦) هـ فكانت مدة ولايته أربع سنوات وشهراً واحدا وثمانية أيام

تولي بعده احمد باشا حافظ وكان محبا للعلماء والفقراء ذا رأى وتدبير عمر وكالة كبيرة ووكالة صغيرة وسوقا وقهوة وبيوتا وربوعا ببولاق وصنع سحابة بطريق الحاج ثم ولي الصدارة فسافر من مصر فحزن الناس لفراقه حزناً شديداً لما كانوا رأوه من عدله وحسن أثره بينهم . ثم انه استقال من الصدارة ومر حاجا فلقيه المصريون باحتفال عظيم أظهروا له فيه ما تكنه صدورهم من حبه والشعور بمآثره

تولى بعده الشريف محمد باشا سنة (١٠٠٤) فأهرع الناس اليه يشكون من كوسة حسن الشاغرت وأحمد السلانى بسبب خيانتهما فى جمع الاموال الديوانية فحقق التهم الموجهة اليهما فثبتت عليهما فأمر بشنقهما

ثم عزم على التوجه الى الربيع فنهاه بعض خاصته لما يعلم من تألب البعض عليه فلم ينته فذهب وقضى وطره وبينما هو عائد بموكبه الحافل تعرض له الجنود عند باب الوزير فوقفوا وأمروه بالمجىء معهم للمحاكمة فلما رأى أن حرسه لا يكفى للدفاع عنه أوهمهم بانه قد أطاعهم وسار معهم الى ان وصل الى الرملية فركض فرسه ودخل القلعة واقفلها عليه واستمر على ذلك حتى صرف عن ولايته ومما يعزى اليه اصلاحات أحدثها بالازهر

ومن ولاة الترك على باشا تولاها سنة (١٠١٠) وعند قدومه تكاثرت عليه الشكاوى من الكشاف (أى مديرى الاقاليم) واكثر ذلك من برويز كاشف المنوفية فأمر بقتله ثم حدثت شكاوى فى حق محمد بن نجا حاكم النحراوية فأمر بقتله أيضاً فهابه الحكام واستقاموا له وخافه الناس كلهم ولقبوه بالنمر

ثم بدا له كأكثر ولاة الترك أن يزور السيد البدوى فى موكب حافل فزاره ووزع الصدقات على الفقراء والجوائز على المستخدمين . وبينما هو راجع تصداه الجنود بالسلاح فطلبوا اليه أشياء كان منعهم اياها فلم يسعه الا أن منحهم اياها وحدث له بعد ذلك غيظ شديد مرض بسببه فطلب من السلطان أن يقيله فأقاله سنة (١٠١٢) ه

فى زمنه ظهر بمصر التبغ وولع به السود والسوقة وسرى الى بعض الخاصة

ومن ولاة مصر ابراهيم باشا وكان مستبداً برأيه لا ينقاد لنصح ناصح ولا اشارة مشير فأخذ يتتبع عثرات الجنود ويتجسس عن أخبارهم وعن اجتماعاتهم ولا سيما فى مجالس الانس والطرب فانتهز الجنود فرصة وجوده بولمية ومعه الامير اللواء محمد خسرو باشا فهجموا عليه وطلبوا اليه مطالب لا يمكن منحها فأغلظ لهم فى القول وهم أميرا اللواء محمد خسرو بدفعهم فقتلوه وقتلوا الوالى وحملوا رأسيهما على جريدتين وهما بباب زويلة

تولى بعده مصطفى افندى عزمى

زاده سنة (١٠١٣) فلم يلبث غير شهرين وثلاثة عشر يوما

ثم تولى بعده جرجى محمدباشافألقته الرياح وهو قادم لمصر الى ثغر دمياط فنزل منه وتعقب قتلة ابراهيم باشافهربوا منه فى كل وجه فتتبعهم فمن عثرعليه منهم قتله ومن لم يعثر عليه بقى مشرداً . ثم دعى بعد نحو سبعة أشهر لتولى الصدارة العظمى

ومن ولاة مصر محمد على باشا وليها سنة (١٠١٦) ه فتراكمت عليه الشكاوى من جميع الجهات عند قدومه لان الناس كانت فى ضنك شديد من تصرف مديرى الاقاليم فكان لا يرد على أحد منهم بكلمة ثم أخذ فى اصلاح الامورفاستدعى اليه سليمان بن درغت كاشف المنوفية و برويز بحر كاشف الغربية وكوسة على كاشف البحيرة فقتلهم وولى كشافابدلهم وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يسيروا بالعدل ولا يجحفوا بحقوق مرؤوسيهم وكان من جملة من ولاهم الحلوجى عينه للغربية فتوجه الى بولاق لقضاء بعض مصالحه فلقيه جمهور من الجنود فطلبوا اليه شيئا فلم يعطهم اياه فقصدوه بالسوء فألقى بنفسه الى سفينة هنالك ومنها رمى بنفسه الى البحر فغرق فبلغ ذلك الوالى فجمع أمراء الجنود بالميدان ونصب البيرق ونادى مناد من كان مطيعا لله ورسوله وأولى الامر فليدخل تحت لواء السلطنة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء وأكابر الجنود فلبثوا هنالك ثلاثة أيام ثم ماروا القين فتكوا بالحلوجى من سواهم وقتلوهم فهدأت تلك الثائرة

ثم أن جنوداً تألبوا من الاقاليم واجتمعوا فى المرج والزيات وتحالفوا على الحرب فأرسل لهم محمد باشا من يعظهم ويردهم الى الطاعة فلم ينتهوا فلم يسعه الا أن جمع جنوداً ومعهم بعض العرب وأمر السردار مصطفى بك بمقاتلة الثائرين فساروا الى أن وصلوا بركة الحاج فلما تراءى الجمعان انهزم الثائرون وقبض على محركيهم وضربت أعناقهم ولم ينج منهم الا القليل فقال أحد شعراء ذلك العصر فى ذلك وانما نذكر هذا الشعر ادلالا على ما كانت عليه حالة الادب فى مصر فى ذلك العهد قال :

يوم نصر الوزير قد كان عيداً
عيد فطر لفطر قلب الحسود

واذاقلت عيد أضحى فصدق
فضحاياه ضاريات الاسود
ألحدوا فى الاثام نهبا وقتلا
فأزيلوا وأسكنوا الى اللحود

وقال شاعر مؤرخا :

أنظر أنظر الى البغاة ومن هم
لوزير المليك راموا نكالا
وتعدوا طورا وجاؤا بإفك
طلبوا الغدر حين راموا اجدالا
وأتوا بالجيوش من كل فج
واستحقوا القيود والاغلالا
وأتوا مصر صاغرين لقتل
لم يروا منه للفرار مجالا
وعلام الذل فأرخت زالوا
وكفى الله المؤمنين القتالا

ونظم العلامة الشيخ عبدالله الدنوشرى فى ذلك :

بشرى لمولانا الوزير محمد
فهو الذى بذوى المفاسد يفتك
وعلى البغاة له انتصار دائم
تاريخه جمع الخوارج أهلكوا

ثم دعى محمد باشا المذكور للصدارة العظمى فخرج من مصر فى موكب حافل وتقلد الولاية بعده حاجي باشا فلم يبق الا شهراً واحداً وسبعة عشر يوماً ثم خلفه محمد باشا سنة (١٠٢٠) وجاء معه أربعة آلاف جندى من الاتراك كانوا أحدثوا فتنة بالقسطنطينية فاحتال عليهم وأخذهم معه موهما اياهم باسكانهم مصر واغداق خيراتها عليهم فلما حضروا أمرهم بالاستعداد للسفر الى اليمن فأدركوا ان اخراجهم من بلادهم كان حيلة أراد بها نفيهم الى حيث لا يعودون فثاروا ثورة رجل واحد وألقوا بالامر عرض الحائط ثم أظهروا الانقياد فعين الوالى عليهم فندق بك فيروز فلما مروا بباب النصر عادوا الى التمرد فأقفلوا باب النصر والفتوح وألقوا خلفهما الاحجار واحتاطوا لانفسهم من كل جانب ومنعوا ضباطهم من الخروج والذهاب الى الديوان مخافة أن يتركوهم وشأنهم لنيران المدافع ثم سدوا الشوارع الموصلة اليهم حتى لا يستطاع ايصال المدافع تجاه معقلهم وتحصنوا وراء متاريس أقاموها وصعدوا الى أسطحة المنازل وعلى مآذن المساجد فتعذر على جنود الوالى التغلب عليهم لانهم كانوا ينالون الجنود من أعالى الاسطحة بالاذى ولا ينالهم من رصاصهم شىء . فجمع الوالى السناجق

والكشاف ومعهم رجالهم ودفعهم على الثائرين فلما رأوا ذلك خافوا ورفعوا الحواجز والمتاريس وأظهروا انهم أذعنوا للسفر فأحضر لهم الوالى اكثر من ثمانين جملا لحمل أثقالهم فلما انتهت الجمال اليهم أسقطوا أحمالها وضربوها بالسيوف فنفرت ثم عادوا فأقفلوا الابواب وتحصنوا وراءها أعظم تحصين وأشيع انهم قتلوا ضباطهم فأمر الوالى بالخروج اليهم فخرج هو ومعه جمع كبير من الامراء الجراكسة وتقدم الامير يوسف القطاس ومعه ستة مدافع وتقدم الامير علي فتوصل اليهم من وكالة البطيخ والامير قاسم والامير عبدى من جهة الملف ورفع الامير يوسف القطاس الحواجز والمتاريس ونقب الجنود عليهم أماكن مختلفة فتسربوا اليهم من كل مكان فاضطر الثائرون لطلب الامان وأظهروا اذعانهم للوالى فنقلهم الى السويس ومنها الى اليمن فدفعت تلك الفتنة وقال شاعر مصر اذذاك :

خرج الخوارج للسويس وهجروا
من أرض مصر لكثر الافساد
رقصت لهم طربا فقالوا زلزلت
زالوا فزالت جملة الانكاد
حفروا لمولانا الوزير محمد
بئراً فضيها أوقعوا لفساد
والله ساعده على اذهابهم
وأمده بنهاية الامداد

حصل فى زمن هذا الوزير رخاء عظيم حتى بيع الاردب من القمح بخمسة وعشرين نصفا فلوسا نحاسا والفول بخمسة عشر نصفا والعدس والبازلة كل أردب بثمانية عشر نصفا والسكر كل قنطار بالوزن القوى بمئة وستين نصفا وبيعت اللحوم والاسماك بما لا يتصوره العقل

وزن القنطار القوى المذكور هنا (٢٥١) رطلا

صرف محمد باشا عن ولاية مصر بعد أن مكث واليا ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما

تولى بعده احمد باشا الدفتر دار سنة (١٠٢٤) فمر بموكب حافل قاصداً القلعة وكان على عمامته ريشتان من الماس العظيم وبينما هو مار بجهة الجوخيين سقط على عمامته حجر وزنه خمسة أرطال فألقى احدى الريشتين على الارض ومزق جانباً من الشاش واتهم رجل من أقارب ابراهيم المنصورى الخياط برمى

ذلك الحجر فقبض على الرامى وشنق وكان ذلك الرامى موصوفا بخلل فى عقله فمكث أحمد باشا واليا سنتين واحد عشر شهراً وثلاثة أيام

ومن الولاة جعفر باشا تولاها سنة (١٠٢٨) فلما صدر الامر بتقليده حكومة مصر فرح المصريون فرحا لامزيد عليه لانهم كانوا يعرفونه من قبل ، وذلك أنه لما أرسل واليا على اليمن مر بمصر ومكث بها أياما فعرفه الناس بالعلم والفضل والقناعة وكانت له مشاركة فى أكثر العلوم فلما ولى مصر استبشر به الناس وأملوا فى حكومته خيراً فخرج لاستقباله يوم مجيئه العلماء والامراء والاعيان فركب فى موكب حافل جداً. ولكن الله لم يرد أن يكون على يديه مايفرح به الناس فداهمهم الوباء القتال حتى اشتغل الناس بدفن موتاهم فلما ذهب الوباء واستعد الوالى المذكور لاظهار مواهبه ، والعمل على شاكلته أتاه أمر الدولة بالعزل فذهب مأسوفا عليه

ثم توالت على مصر الولاة الى أن تولى السيد أبو بكر باشا الطرابلسى فى ٢٥ ربيع الاول سنة (١٢١١) هـ وفى مدته قدم الجنرال بونابرت (نابليون الاول) فاتحا مصر من قبل الدولة الفرنسية فنزل بجيشه الى الاسكندرية ثم زحف على مصر فاستقبلهم جيش مصر عند الرحانية فانهزم المصريون وحدثت موقعة دموية أخرى بالجيزة كان حظ المصريين منها كحظهم فى الموقعة الأولى وفر مراد بك الجركسى ومن معه من الذين كانوا يقاتلون فى الشاطىء الغربى من النيل الى الصعيد وهرب ابراهيم بك الجركسى الذى كان يقاتل فى الشاطىء الشرقى الى الشام فدخل الجنرال بونابرت الى القاهرة ونشر منشورا ذكر فيه انه انما جاء لتخليص البلاد من جور الجراكسة وانه لا يتعرض للاهالى فى دينهم وعقائدهم وأموالهم وانه يحترم كتاب المسلمين ورسولهم والعثمانيين أيضا وحدثت من بعض الاهالى مقاومة اضطرت الجيش الفرنسى الى الايقاع بهم ومكث الجنرال بونابرت بمصر سبعة أشهر ثم توجه لفتح الشام فى رمضان من تلك السنة وكان بها أحمد باشا الجزار فحاصره بونابرت فى عكا حصاراً شديداً ولم يظفر به ثم عاد الى مصر بعد أن فقد من رجاله ٤٠٠٠ جندي فحصن القاهرة ببناء القلاع حولها

أما الدولة العثمانية فانهـا أرسلت الى مصر جيشا مؤلفا من ١٨٠٠٠ رجل من جهـة ابى قير لاخراج الفرنسيين تحت قيادة مصطفى باشا فذهب اليهم بونابرت بجيشه وهزمهم وأسر قائدهم وعاد الى مصر ثم بدا له أن فرنسا فى حاجة اليه فأخذ بعض قواده معـه ونزل من أبى قير ووصل الى فرنسا ناجيا من السفن التى كانت أرصدتها انجلترة للقبض عليه فتولى قيادة الجنود فى غيبته الجنرال كليبر فهجم عليه فى ذات يوم أحد طلبة الشوام بالجامع الازهر وقتله ولمـا سئل عن شركائه فى الجريمة لم يعين أحداً وانما قال انه جاء من سورية بقصد اغتيال كليبر منـذ ثلاثين يوما واختبأ فى رواق الشام بالازهر وسمى جماعة كان مقيما معهم وهم ثلاثة من العلماء فاتهمهم الفرنسيون بأنهم كانوا يعلمون بقصـد ذلك السورى ولم يخبروا عنه فقتلوهم معه وأقفل الجامع الازهر خشية أن يكون مصدراً للحوادث التى من هذا القبيل

أما انجلترة فلم يرقها احتلال الفرنسيين مصر لان هؤلاء كانوا يضمرون مماكستها بامتلاك طريقها الى الهند فاتفقت مع الترك على محـاربتهم فأرسل السلطان سليم الثالث جيشا تحت قيـادة الصدر يوسف باشا من طريق سورية فوصل الى غزة فى رجب سنة (١٢١٤) ثم زحف على العريش ففتحهـا بعـد أن حـدث بين الفريقين تعاقد على خروج الفرنسـيين من مصر على سفن انجليزية حاصلين على كرامتهم العسكرية ولـكن الاميرال (كيث) الانجليزى أبلغ كليبر بعد أيام بأن الحكومة الانجليزية لم تمر على هـذا الاتفاق وتصر على تسليم الجيش الفرنسى بدون شرط . فغضب كليبر من ذلك وهجم على الجيش التركى فى المطرية فهزمه . ثم عاد الى القاهرة وكان ابراهيم بك الجركسى قد عاد اليها فضربها كليبر بالمدافع وتمكن من دخولها بعد عشرة أيام فلم يسع مراد بك الا الاتفاق مع الفرنسيين على حكم مصر تحت سيادتهم وأن يدفع لهم جزية سنوية فدخلت مصر ثانيـة تحت الحـكم الفرنسى وكاد يستقر فيها قدم الفرنسيين لولا حدوث تلك الحـادثة التى قتل فيهـا كليبر بيد ذلك السورى وكان ذلك فى ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ فتعين مكانه الجنرال منو

وفى اول سنة (١٨٠١) نزل ٣٠٠٠٠ انجليزى الى مصر تحت قيادة الجنرال ابركرمبى من أبى قير فحدثت بينهم وبين جيش منو واقعة انهزم فيها منو هزيمة شنيعة بسبب عدم مساعدة الجنرال ريتيه له فاضطر لأن ينسحب الى الاسكندرية ولكنه وقع بها محصوراً وبقى نائبه بليار محصوراً أيضا بالقاهرة مع ٨٠٠٠ جندى فاضطر للتسليم على شروط وقعة العريش الى الاتراك والانجليز المحاصرين له فخرج منها محاطا بالتكريم العسكرى وأركب فى سفن انجليزية وأعيد الى بلاده . وفى ٢ سبتمبر من السنة المذكورة (١٨٠١) سلم الجنرال منو أيضا على شروط بليار وأعيد الى بلاده على سفن انجليزية فتم اخلاء مصر من الفرنسيين

كان فى الجنود العثمانية فصائل من الالبانيين والانكشارية والقليونجية وهم من أنواع الجند العثمانى فتفرقوا فى البلاد لحماية مصر العليا والصعيد . أما الانجليز فنزلوا تحت قيادة الجنرال هتشنسون الى الاسكندرية ولبثوا فيها ريثما يتم الامر للباب العالى ويكبح جماح المماليك الذين كانوا لايزالون يعملون لنيل الاستقلال

فأرسل الباب العالى خسرو باشا وكان من مماليك حسين قبطان باشا وكانت معه أوامر تحتم عليه قتل المماليك وابادة عصاباتهم بأية وسيلة كانت فأخذ يحاربهم بالصعيد فضاق بهم الامر فلم يروا وسيلة أفضل من استنجادهم بفرنسا فكتبوا اليها فلم تستطع أن تحرك ساكنا لما كانت فيه من الحوادث الثورية

اما الحملة التى بعثها خسرو باشا الى الصعيد فقد قاتلت المماليك فى عدة مواقع ولكنها لم تفز منهم بطائل وكان محمد على قد رقى اذ ذاك الى درجة قائد على اربعة آلاف من الالبانيين فبعثه خسرو باشا على رأس رجاله مدداً لحملة الصعيد فانكسرت تلك الحملة قبل وصول محمد على اليها فعزا قائدها انكساره لتلكؤ محمد على عنه عمداً فعزم خسرو باشا على قتله وأمره بالشخوص اليه ليلا . فأدرك محمد على مانويه الوالى فى حقه فلم يلب طلبه وأعلن انضمامه الى المماليك وبه تمكنوا من اخراج خسرو باشا من القاهرة ففر الى دمياط فعينوا مكانه طاهر باشا ثم حدثت فتنة قتل فيها هذا

الوالى واحتل محمد على القلعة فقام احمد باشا رئيس الشرطة اذ ذاك يطلب الولاية لنفسه فطرده المماليك من القاهرة . ثم اتحد المماليك ومحمد على على محاربة خسرو باشا فى دمياط لاخراجه من مصر كلها فأسروه وأتوا به الى القلعة معتقلا

اما الدولة العثمانية فانها لما بلغها هذا الخبر ارسلت الى مصر واليا اسمه على باشا الجزائرى فلم يصل الى مصر الا بصعوبة ولما تولى الاحكام اخذ يكيد للمماليك ومحمد على فدارت الدائرة عليه

والذى فت فى عضد المماليك واضعف امرهم انه كان لهم رئيسان يتزاحمان علي السلطة احدهما محمد بك الالفى والآخر ابراهيم بك البرديسى . فسار الالفى لطلب معونة انجلترة فاغتنم محمد على هذه الفرصة واتفق مع خصمه البرديسى على الايقاع به . فأدرك الالفى انه مقصود بالاذى من الرجلين ففر الى الصعيد برجاله فخلا الجو فى القاهرة للبرديسى ولكن محمد على كان له بالمرصاد يريد اسقاطه ليتم له الامر نهائيا فأوعز الى رجاله من الالبانيين ان يثوروا ويطالبوا بمرتباتهم فثاروا وهددوا البرديسى بالاذى اذا لم يدفع اليهم مرتباتهم فاضطر لتحصيل الاموال من اهل القاهرة بالعنف فثاروا جميعا عليه فاضطر الى مغادرة القاهرة وذلك سنة (١٨١٤) فخلا الجو لمحمد على فجمع اليه العلماء والاعيان وتفاوضوا فى أمر اطلاق خسرو باشا من سجنه وان يعود الى منصبه فأقروه على ذلك فأعادوه ولكنه لم يلبث الا يوما واحداً حتى أخرجوه من القاهرة الى رشيد ومنها ارسل الى الآستانة وكان ذلك بمساعى محمد على ومهارته لنيل مآربه

ثم تظاهر محمد على بأن الامور لا تستقيم الا بتعيين وال عثمانى تركي صميم حر لا جركسى معتوق وأشار على العلماء والاعيان بتعيين خورشيد باشا وكان بالاسكندرية فوافقه الناس على ذلك وعلى ان يكون محمد على نائبا عنه وارسلوا الى الباب العالى يخبرونه بذلك ويسترحمونه فى قبول اقتراحهم

فلما تولى خورشيد باشا رأى ان محمدا عليا مستأثراً بالامور وان ليس له هو الا الاسم وذلك اعتماداً على رجاله الالبانيين فاتخذ له جنودا واعوانا من المغاربة

اسمهم الدلاتية ليستعين بهم على محمد على ولكن حدث ان هؤلاء الجنود كانوا يسيئون الى الناس فكرهوهم

وفى ٢ صفر سنة (١٢٢٠) ورد الى محمد على أمر من الآستانة بولايته على جدة وكان القصد من ذلك اقصاءه عن مصر لما بدا لهم من تطلعه اليها فتظاهر محمد على بأنه يريد الذهاب الى جدة فثار عليه الجنود يطالبونه بمرتباتهم فقال لهم ان مرتباتكم لدى الباشا الوالى ورجع الى داره بالازبكية وهو ينثر الذهب فوق رؤوس الناس فازدادوا حبا له وكرها فى الوالى

وبعد ثلاثة أيام من هذا التاريخ سار العلماء والاعيان الى دار محمد على وهم يصيحون لا نقبل خورشيد باشا واليا علينا . فقال لهم محمد على ومن تريدون اذن ؟ قالوا له لا نريد سواك . فامتنع أولا وجعل يرغبهم فى خورشيد باشا ويحسن لهم الاذعان له فلم يقبلوا ، فاضطر الى موافقتهم فأحضروا له الكرك والقفطان وألبسوه اياهما وبعثوا الى خورشيد باشا يطلبون منه أن ينزلوا من القلعة فأبى فحاصروه فيها وكتبوا الى الباب العالى بذلك واسترحموه فى تعيين محمد على فورد اليه الفرمان بالولاية فى ١١ ربيع الآخر سنة (١٢٢٠) ٩ يوليه سنة ١٨٠٥ وعزل خورشيد باشا فخرج من القلعة بأمر من مولاه فغادر البلاد وفى نفسه من الغيظ على محمد على ما فيه . ولكن المماليك كانوا أشد منه غيظا لما ظهر لهم من خدع محمد على لهم واسقاطهم فى شر أعمالهم الواحد بعد الآخر بعد أن استخدمهم لاغراضه فثاروا عليه وفى مقدمتهم الالفى فانه عند ما علم بتولية محمد على ثار عليه وكتب الى انجلترة بأن تساعده على عزله وهو يسلمها البلاد . وعلم قنصل فرنسا بذلك فأخذ يعرقل مسعاه، فأخذ يتحد مع محمد على على شيء يتنازل له عنه فلم يتفقا فعاد الالفى لمخابرة قنصل انجلترة فأقنعت هذه الدولة الباب العالى بوجوب ارسال وال حازم مع العفو عن المماليك فبعث واليا اسمه موسى باشا فقام العلماء والوجهاء ومعهم سفير فرنسا فى الآستانة يوضحون للباب العالى مقاصد المماليك من هذه الحركة فثبت محمد على فى مركزه ولكنه أمر بعدم التعرض للمماليك بسوء فساعدته المقادير بوفاة البرديسى ثم الالفى فتولى

على المماليك شاهين بك ولكن كانت سطوة أولئك المماليك قد قلت

اما انجلترة فاعتبرت اعادة محمد على اهانة لها وأرسلت حملة الى مصر تحت قيادة الجنرال فرازر لارجاع السلطة للمماليك ولكن المماليك كانوا قد تشتتوا فى البلاد ولم تعد لهم جامعة كما كانت أيام الالفى والبرديسى فأقامت الجنود الانجليزية فى ثغور مصر مدة ثم وافقت على ابقاء محمد على واليا على مصر . ثم سعى بعضهم فى الصلح بينه وبين شاهين بك زعيم المماليك فتصالحا وقدم هذا الى مصر بالهدايا الثمينة لمحمد على فأكرمه وبنى له قصراً لسكناه بالجيزة

أخذ محمد علي بعد أن تم له الامر على ما رأيت يصلح ما أفسدته الفتن من مصالح الناس فعين كثيراً من أقاربه الموثوق بهم فى الوظائف الكبيرة وكان شديد الحب لأسرته

وفى هذه الاثناء ظهرت فتنة الوهابيين فى بلاد العرب وهم طائفة ادعت انها على الحنيفية السمحة وكان صاحب دعوتها يدعى محمد عبد الوهاب ولد سنة (١١١٠) هجرية تفقه وحج وأظهر دعوته فاجتمع عليه الناس فكان من مذهبه ان الناس ضلوا وبدلوا الدين وعبدوا القبور والاحجار باسم زيارة الاولياء والصالحين فاستحال الاسلام الى ديانة وثنية كالتى جاء الاسلام بنقضها وأخذ يشير على أصحابه بهدم القبور والقباب والمآذن وكل ما لا يوافق القرآن وجعل القرآن دستوره ورفض جميع المذاهب والاقوال الشارحة للقرآن فاجتمعت عليه أحزاب كثيرة فلما آنس من نفسه قوة فتح نجداً فالحجاز فالحرمين وما زال يوالى الفتوح حتى مات سنة (١٢٠٥) وسنه ٩٦ سنة فاستمر أتباعه يتممون ما عهده اليهم الى سنة (١٢٢٤) تحت قيادة الامير سعود فأصبح لهم مملكة يحدها من الشمال صحراء سودية ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق خليج العجم ومن الغرب البحر الاحمر فلم ير الباب العالى طريقة لكبح جماحهم أمثل من تكليف بطل مصر محمد على بتقويض دولتهم

فأجاب محمد على باشا الامر فجمع جيوشه وأخذ أهبته ولكنه قبل أن يخرج من مصر فكر فى أمر المماليك وتحقق انه لو تركهم وشأنهم أحدثوا احداثا

عظيما قد يعجز عن تلافيه فأجمع أمره على ابادتهم قبل خروجه فأعد أربعة آلاف جندى تحت قيادة ابنه طوسون باشا لارسالها الى بلاد العرب وكتب للباب العالى يطلب اليه أن يرسل اليه بالخشب لبناء سفن لنقل الحملة فأوسل اليه ما طلب فبنى بالسويس ١٨ سفينة

وكان المماليك قد يئسوا من الاستقلال لما رأوا عليه محمد على من العزيمة واليقظة فاكتفوا بالتمتع بأرزاقهم فى حالة سلام وهدوء فقطن بعضهم الصعيد وبعضهم القاهرة وبعضهم الاقاليم الاخرى . وكان رئيسهم فى أرض له بين الجيزة وبنى سويف أقطعها اياه محمد على باشا

وفى المحرم من سنة (١٢٢٦) سار قواد الحملة من القاهرة وعسكروا فى قبة العرب فى الصحراء ينتظرون باقى الحملة ومعها طوسون باشا وتعين يوم الجمعة لوداعه والاحتفال بخروجه فأعلن ذلك فى المدينة ودعى جميع الاعيان لحضور ذلك الاحتفال وفى جملتهم المماليك وطلب اليهم ان يكونوا بملابسهم الرسمية

فاحتشد الناس يوم الجمعة ٥ صفر وجاء شاهين بك فى رجاله فاستقبلهم الباشا فى قصره وقدمت لهم القهوة وغيرها ولما تكامل الجمع وجاءت الساعة المعينة أمر محمد على بالمسير فسار الموكب فجعلت المماليك فى الوراء يكتنفهم الفرسان والمشاة حتى اذا قربوا من باب الغرب من أبواب القلعة أمر محمد على باشا باغلاق الابواب وأشار الى جنوده الالبانيين باطلاق النار عليهم فأخذتهم النيران من كل صوب فهموا بالهرب فلم يجدوا طريقا فحاولوا الفرار مترجلين فتركوا خيولهم وأخذوا يعدون يمينا ويسارا والجنود تتصيدهم من هنا وهنا وتقتلهم . فقتل شاهين بك رئيسهم أمام ديوان صلاح الدين وحاول بعضهم الالتجاء الى الحريم أو الى طوسون باشا فلم يتمكنوا من ذلك فقتل فى هذه المجزرة نحو ٤٠٠ من المماليك منهم ٢٣ بيكا ونادى مناد فى المدينة من وجد مملوكا فليقتله فصار الناس يتصيدونهم ويأتون بهم زرافات الى كخيا بك فيذبحهم ذبح الاغنام . وبهذه الوسيلة لم ينج من زعماء المماليك الا اثنان احدهما اسمه احمد بك وكان غائبا بجهة موش والثانى أمين بك وكان قد أتى متأخرا فلما قرب من باب القلعة وسمع اطلاق

الرصاص على سر المكيدة فهمز جواده وفر لا يلوى على شيء وقيل انه لحق بالآستانة

ثم نزل الالبانيون واخذوا ينهبون دور المماليك وقصورهم ويسبون نساءهم وفي اليوم التالي نزل محمد على باشا من القلعة وطوسون باشا معه وطافا بالمدينة ينهون الناس عن النهب ويوعدونهم بالقتل انهم خالفوا الأمر

وأمر محمد على باشا بحفر حفرة في الارض والقاء جثث زعماء المماليك فيها وحمى نساءهم ولم يسمح بتزويجهن الا لرجاله

فلما أمن محمد على باشا على مصر من تشغيب المماليك أخذ ينظر في أمر الوهابيين لفتح طريق الحج فكتب الى الشريف غالب شريف مكة يخبره بأنه أعد حملة لانقاذه من الوهابيين وطلب اليه أن يمهد له السبيل فأجابه شاكراً ووعده بالاعانة

أما سعود أمير الوهابيين فأنبأه جواسيسه بما تم فاستعد لملاقاة جيش مصر . وسارت الحملة تحت قيادة طوسون باشا بن محمد على باشا حتى وصلت الى ينبع فملكتها وسارت منها الى الصفر وفيها معسكر ابن سعود وكانوا قد تأهبوا للدفاع فهجم طوسون باشا فتقهقر سعود ورجاله أولا ثم ارتدوا على الجيش المصري فهزموه وغنموا منه جميع ما كان معه من مؤن وذخائر فاضطر الجيش أن يعود الى ينبع

فلما بلغ محمد على باشا ما حل بجيش مصر أمده بعدد عظيم فأعاد طوسون باشا الكرة حتى أتى الى المدينة فحاصرها وهدم سورها واقتحمها ووضع السيف في حاميتها حتى سلمت فانتشر خبر افتتاح المدينة في جميع بلاد العرب فخاف الوهابيون وفرح أعداؤهم وكان الشريف غالب في جدة لا يدري ماذا يكون من أمر تلك الحملة فلما بلغه خبر انتصارها طار فرحا

أما الوهابيون فبعد هزيمتهم في المدينة جلوا عن مكة فاحتلها طوسون باشا بلا قتال وكتب الى أبيه ففرح بذلك فرحا شديداً وجيء اليه بقائد حامية المدينة الوهابي فأرسله الى الآستانه فقتلوه هناك . أما من بقي من قادة الوهابيين فكانوا في مأمن خارج مكة مع ابن سعود

فلما جاء صيف سنة ١٢٢٨ (١٨١٣) علم الوهابيون ان جنود طوسون لا يقوون على حر الحجاز فناوأهم القتال وافتتحوا تربة وهي واقعة في شرق مكة ثم ساروا الى المدينة فاستولوا على كل ما بينها وبين مكة وتهددوا المدينة فاتصل الخبر بمحمد على فلم يرَ بداً من ذهابه بنفسه لنجدة الجنود المصرية فسار في جيش عظيم حتى أتى جدة فنزلها في ٣٠ شعبان سنة (١٢٢٨) فلقيه الشريف غالب بالترحاب وبعد أن أدى فريضة الحج رأى أن الشريف ليس ممن يعتمد عليهم في الدفاع فخامه ووضع يده على ممتلكاته وأرسله وأسرته الى القاهرة ومنها الى سالونيك فعاش فيها أربع سنوات ومات

أما الوهابيون فمات قائدهم سعود في ٢٦ من ربيع الآخر سنة (١٢٢٦) هـ

فانحطت دولتهم وقام مقامه ابنه عبد الله ولم يكن كفؤا لهذا الامر فحصلت بينه وبين الجنود المصرية مناوشات كثيرة لم تأت بفائدة

وفي ٢٨ من المحرم سنة (١٢٣٠) حدثت موقعة فاصلة بين جنود محمد على باشا والوهابيين تحت قيادة فيصل أخ عبد الله انتهت بهزيمة العرب فتقدم طوسون باشا الى نجد الا انه اضطر الى الوقوف لقلة المؤونة ولم يصل الى درعية عاصمة الوهابيين

ثم اقتضت الاحوال عود محمد على الى مصر فاهتم بتدريب الجنود على النظام الاوروبي فتبرم من ذلك الالبانيون فتركهم وشأنهم وأخذ في تدريب المصريين عليه

وفي أثناء ذلك عاد طوسون باشا الى مصر فوجد ان امرأته قد وضعت غلاما كانت حملت به قبل ذهابه فسماه عباسا ولم يعش طوسون بعد ذلك الا قليلا فمات من حمى أصابته بضع ساعات وكان محمد على بالقاهرة حين مرض طوسون فلما بلغ الخبر اليه أسرع الى الاسكندرية فلما قيل له انه توفي بهت ولم يبد حراكا وبقي على حالته تلك ثلاثة أيام ونقلت جثة طوسون باشا الى القاهرة ودفنت بقرب الامام الشافعي وراء جبل المقطم حيث مدفن الاسرة الخديوية

ثم عاد محمد على باشا الى رشده بعد صدمة ابنه فأخذ يفكر في ابادة الوهابيين بعد أن استنقذ منهم الحرمين

فكتب الى عبد الله بن سعود بأن يرد الاموال التى سلبها من الحرم النبوى والكعبة وأن يتأهب للسير الى الآستانة فأجابه معتذراً عن المسير اليه وقال عن تلك الاموال انها قد وزعت فى عهد أبيه وأرسل له هدايا فاخرة فأعاد محمد على اليه هداياه وكتب له يهدده ثم جرد اليه حملة عهد قيادتها الى ابنه ابراهيم باشا . فسار ابراهيم باشا بحملته من القاهرة فى النيل الى قنا ومنها فى الصحراء الى القصير ومنها الى ينبع ثم الى المدينة وتربص هناك يستعد للهجوم فالتف حوله العرب المخلصون لابيه ولما اكتملت قواته شهر الحرب فما زال يحارب حتى قبض على زعيم الوهابيين عبد الله بن سعود فأرسله الى أبيه فوصل الى القاهرة فى ١٨ من المحرم سنة (١٢٣٣) فأذن له بالمثول بين يديه فقبلهما فرحب به كثيراً لأنه كان معجباً بجسارة الوهابيين ثم أرسله الى الآستانة فطافوا به فى أسواقها ثلاثة أيام ثم قتلوه وخلع السلطان على ابراهيم باشا خلعة سنية وسماه والياً على مكة . فلما وصلت هذه الاخبار الى درعية عاصمة الوهابيين هدموا مدينتهم وفروا هاربين فاحتلها الجنود المصريون وانتهى أمر الوهابيين

أما محمد على فانه نال من السلطان لقب خان مكافأة له على اخلاصه وبسالته وهو لقب لم يتح لاحد من رجال الدولة غير حاكم القرم

ثم فكر محمد على باشا فى افتتاح السودان فجند خمسة آلاف من الجنود النظامية وبعض العربان وجعل معهم ثمانية مدافع وأرسل الجميع بقيادة ابنه اسماعيل باشا فسارت تلك الحملة من القاهرة فى شعبان سنة (١٢٣٥) هـ الموافقة لسنة (١٨٢٠) م عن طريق النيل فقطعت الشلال الاول والثانى والثالث حتى السادس فأتت شندى والمتمة بعد أن أخضعت كل مامرت به من القرى والبلدان بدون مقاومة ثم سارت الى سنار على البحر الازرق وراء الخرطوم فدخلت سنار وبورنو وكوردفان فى ملك الحكومة المصرية . ثم سار اسماعيل باشا الى فزغل وهناك ظن انه اكتشف معادن الذهب وفشا فى رجاله الوباء فمات منهم كثيرون ثم وصلت اليه نجدة مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل تحت قيادة صهره احمد بك الدفتردار

فقوى أمره فأبقى صهره فى كردفان وسار هو بجيشه الى المتمة على البر الغربى من النيل ثم اجتازه الى شندى فى البر الشرقى لجباية المال وجمع الرجال فاستدعى اليه ملكها واسمه (النمر) وقال أريد منك أن تملأ قاربى هذا من الذهب وأريد فوق ذلك الفين من الرجال . فأخذ النمر يستعطف الباشا ليتنازل عن هذا المقدار فقبل منه بدل الذهب عشرين الف ريال من الفضة فأجابه الى ما أراد ولكنه لم يكن يستطيع جمعها فى تلك المهلة فطلب اليه اطالة الأجل فضربه اسماعيل باشا بالشبك فى وجهه قائلا له اذا كنت لا تدفع المال فوراً فليس لك الا الخازوق . فسكت النمر مضمراً له الشر ولكنه كظم غيظه ووعده بأداء المال . وأخذ يأتى بأحمال من التبن ويضعها حول معسكره موهما انه يحمل اليه علفا للبهائم حتى احاط المعسكر بتلك الاحمال وفى المساء جاء هو فى نفر من رجاله يزمرون ويرقصون على أسلوب بلادهم وكان اسماعيل باشا جالسا مع أركان حربه وخاصة رجاله فطربوا لذلك واجتمع الناس فما زال الناس يكثرون حتى صار الباشا ورجاله محصورين واذ ذاك أمر النمر رجاله بالهجوم فهجموا بقتل اسماعيل باشا ورجاله ثم أشعل التبن أيضا فاحترق كثيرون من الجنود ولما أصبحوا قتلوا الباقين واستاقوا جميع ما كان فى معسكرهم من الاموال والسلاح

فلما بلغ صهره احمد بك الدفتردار ما حصل اشتعل غضبا وأقسم لينتقمن من السودانيين بقتل عشرين الفا من رجالهم فقاتلهم وبر بقسمه فهدأت الاحوال ولم يعد يستطيع أحد هنالك أن يحرك ساكنا وتم فتح السودان. وبقى احمد بك المذكور والياً عليه الى سنة (١٢٤٠) ثم أبدل برستم بك

وفى سنة (١٢٣٩) أرسل محمد على باشا حملة مصرية بقيادة ابنه ابراهيم باشا لمحاربة المورة من بلاد اليونان الثائرة فأبلى المصريون فى تلك الحرب بلاء حسنا ولكن الدول الاوربية ساعدت اليونانيين بأساطيلها فتم لهم الفوز

ثم حدث بين والى عكا وبين محمد على باشا عداء فارسل الاخير ابنه ابراهيم باشا لقتاله سنة (١٢٤٧) ه الموافقة لسنة (١٨٣١) م فسارت الحملة براً وبحراً

فاستولت حملة البر على غزة ويافا بغير كبير مقاومة ثم وصل ابراهيم باشا الى يافا وسار قاصداً عكا فحاصرها براً وبحراً نحو خمسة أشهر ثم هجم عليها هجوما عاما فسلمت له. ثم زحف قاصداً دمشق فأخضعها و بارحها الى حمص

اما الدولة العثمانية فعدت ابراهيم باشا خارجا عليها وأرصدت له جيشا في حمص تحت قيادة محمد باشا والى طرابلس فحدثت بين الجيشين معارك انتهت بأخذ المصريين حمص فهال السوريين أمر الجيش المصرى فسلمت له حلب بدون قتال وحذا حذوها غيرها فلم يسع الباب العالى الا ارسال السر عسكر حسين باشا على رأس جيش لوقف ابراهيم باشا عند حد . ولكنه لم يكن حظه احسن من حظ محمد باشا والى طرابلس فانهزم الى الاسكندرونة فزحف اليه ابراهيم باشا وكسره هنالك أيضا وأخذ في الزحف شمالا فلم يجد مقاومة تذكر وزحف قاصداً قونية وكان السلطان محمود قد أرصد له هنالك جيشا عرمرما تحت قيادة رشيد باشا وكان ابراهيم باشا قد قوى جيشه بما جمعه من الجنود الجديدة من البلاد التى افتتحها فحدث بين الجيشين معارك انتهت بهزيمة رشيد باشا فافتتح أمام المصريون طريق الآستانة فتدخلت الدول الاوربية ولا سيما الروسيا فأرسلت الى محمد على البرنس مورافيف تطلب اليه ان يأمر ابنه بالوقوف والا اضطرت لصده فبعث والى مصر لابنه بالوقوف ثم حدث بين الدول اتفاق مؤداه أن تكون صور قسما من ملكة مصر وان يكون ابراهيم باشا حاكما عليها وجابيا لخراج ادنة وقدتم ذلك الاتفاق سنة (١٨٣٣) م وهو المدعو اتفاق كوتاهيا

فعاد ابراهيم باشا الى سورية يدبر أمورها وجعل مقامه أولا فى انطاكية وابتنى له فيها قصراً وتكنات وولى اسماعيل بك على حلب واحمد منكلى باشا على ادنة وطرسوس . فثار على ابراهيم باشا السلط والكرك . وامتدت الفتنة الى اورشليم ثم تفاقم أمرها فبلغت السامرة وجبال نابلس . وهجم المسلمون بصفد على اليهود ففتكوا بهم وفعلوا بالمسيحيين مثل ذلك بالناصرة وبيت لحم واورشليم وأصبحت سورية كلها شعلة من نار فلم يسع محمد على باشا الا أن حضر بنفسه

اليها وشنت شمل الثائرين الا النابلسيين فانهم قاوموه طويلا ثم انتهى امرهم بالاذعان ثم هاجم السلط والكرك وهدمها فهدأت الاحوال قليلا . ولكن الثورة ماعتمت ان ظهرت بجبال النصيرية فأرسل اليها محمد على جنوداً اتحدت مع المارونيين و الدروز فقمعوها. ثم سعى ابراهيم باشا فى تجريد السوريين من السلاح ففعل ولكنه لم يستطع تجريد اللبنانيين

فأخذ محمد على يعمل لتوسيع دائرة حكمه وشرع يتأهب لذلك بجمع الجيوش والخيول فلم ترق هذه الحركات فى نظر السلطان محمود فأرسل حافظ باشا على رأس ثمانين الف مقاتل سنة (١٨٣٩) لمحاربة محمد على وكان قد شخص الى السودان تاركا القاهرة لتدبير حفيده عباس باشا فلما عاد اليها علم بما أعده الباب العالى فكتب الى ابنه يستحثه فحشد جيوشه فى حلب لدفع العثمانيين ثم علم ان معظم الاهالى يرغبون فى حكم دولتهم الاصلية ويستعدون للتسليم متى لاحت لهم الفرصة . وكان اشد ميلا لذلك الدروز تحت قيادة بطلهم شبلى العريان

حدثت معارك شديدة بين الجيش التركى والجيش المصرى فى نزيب انتهت بهزيمة الاول متقهقرا الى مرعش . وكان السلطان قد ارسل اسطولا لاحتلال الاسكندرية فأصابه ما اصاب الجيش البرى وتوفى السلطان محمود قبل أن يبلغه خبر هذه الهزائم

فرأت الدول ان تعقد مؤتمرا دوليا للفصل بين الدولة العثمانية وتابعتها الحكومة المصرية وكان ذلك سنة (١٨٤٠) فاجتمع هذا المؤتمر بلوندرة فقضى اولا باعتبار محمد على تابعا للدولة العثمانية

فلم يبال محمد على باشا بقرار المؤتمر معتمداً على جيش له يبلغ ١٧٠ الف جندى على تمام الاستعداد والدربة ولكنه بعد قرار الدول اخذ فى زيادة هذا الجيش فضم اليه تلاميذ المدارس حتى استخدم فيه الجرحى والمرضى فعرضت عليه معاهدة لندرة فلم يوافق عليها فأعطي عكا ترضية له وطلب اليه ان ينسحب من سورية فأبى

فاضطرت انجلترة ان تنفذ نص القرار بالقوة فأرسلت بجيوشها الى صيدا

فتقهقر ابراهيم باشا الى الجليل وكان انكومودور (نابيه) قد سار فى أسطول انجليزى بحرى الى بيروت وكانت تحت ادارة سليمان باشا الفرنسى وكانت على أحسن مايكون من التحصن فجاءت الاخبار بأن ابراهيم باشا قتل فلم يرد المقاومة قبل ان يتحقق من الخبر فترك بيروت بعد أن ترك عليها الميرالاى صادق بك فوصل اليها الاسطول الانجليزى قبل أن يعود سليمان باشا فاضطر صادق بك للفرار وبلغ سليمان باشا ان ابراهيم باشا لايزال حيا وانه يأمر بالدفاع فعاد فوجد أن صادق بك قد فر وخشى صادق بك عاقبة عمله فانضم هو ورجاله الى الانجليز . ثم سار الامير نابيه من بيروت الى عكا فحاصرها ففر اسماعيل بك فيمن معه من الرجال وسلمت المدينة

ثم سار نابيه الى الاسكندرية بست سفن وعرض على محمد على باشا الصلح فقبله وعقدوا معاهدة وقع عليها الطرفان ولما أرادوا تحريرها عارضت الدول فى ذلك وبقيت الامور على حالها حتى دارت المخابرات بين الباب العالى ومحمد على باشا فأراد السلطان عبد المجيد ارضاء محمد على باشا فأعطاه مصر بالوراثة بشرط ان يكون له الحق المطلق فى اختيار خلفه من ذريته فتردد محمد على باشا بادىء الرأى ثم أمر جيوشه بالانسحاب من سورية . وكان عددها عند ذهابها اليها ١٣٠ الفا فلم يعد منها الا ٥٠ الفا فكانت خسائرها ٨٠ الف جندى وكان التعب قد بلغ من تلك الجنود حدا لايطاق

وصدر اليه فرمان بالولاية سنة (١٨٤١) ثم فرمان آخر بولايته على بلاد النوبة ودارفور وكردفان وسنار فأرسل ابنه سعيد باشا لتقديم فروض الشكر على هذا الانعام . وفى سنة (١٨٤٦) قصد الآستانة بنفسه لتقديم شعائر الاخلاص للسلطان فنزل ضيفا على صديقه رضا باشا ثم مثل بين يدى السلطان فرحب به ولما أراد تقبيل حاشية ردائه على العادة التركية امسكه السلطان بيده وأجلسه الى جانبه وحادثه ساعة وزار محمد على فى هذه السفرة خصمه القديم خسرو باشا الذى كان واليا على مصر وصافاه . ثم بعد نحو شهر من وصوله الى الآستانة قصد مسقط رأسه (قوله) فبنى فيها مدارس وملاجىء ثم

بارحها الى مصر قوبل بأعظم مظاهر التكريم وكان يستقبل الناس أفواجا وعلى صدره الطغراء العثمانية تتلألأ كالشمس

وفى منتصف عام (١٨٤٨) بدت على محمد على باشا آثار الانحلال العقلى من الطعون فى السن فلم يكن بد من تولية ابراهيم باشا مكانه فتوجه بنفسه راجيا تثبيته فثبته السلطان. وكان بابراهيم مرض مزمن فعاوده فمات فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ فدفن فى مدفن الاسرة الخديوية جهة الامام الشافعى

(أعمال محمد على باشا) استولى محمد على باشا على مصر وهى فى منتهى درجات الفوضى فى كل ضرب من ضروب الشئون الاجتماعية فبذل فى تخليصها منتهى جهده فبدأ أولا بانقاذها من الفوضى الحكومية وسعى لذلك سعيا حثيثا وارتكب فى سبيله مسألة ابادة المماليك وهو عمل قاس جدا الا انه ربما كان ضروريا اذا تأكد نزوعهم الى الثورة عند اول فرصة. فكان اصلاح نظام الحكومة أساساً للاصلاح الاجتماعى فسعى بعد ذلك فى ضبط الادارة فى البلاد وتوحيد السلطة فيها ومسح

الاراضى الزراعية وتقرير الضرائب عليها

كانت الاراضى المصرية الى ذلك الحين ملكا لبيت المال ، وكانت على قسمين ، قسم يزرعه بعض الناس بوضع اليد ، وليس عليه ضريبة ، وقسم تعطيه الحكومة للناس ليزرعوه وتلزمهم دفع الخراج عنه فكان الفلاح يعجز عن دفع مايفرض عليه فيضرب وتصادر ممتلكاته فكان الناس يهربون من وجه الحكومة حتى لاتلزمهم بأخذ أراض الزراعة . فكانت تضطر الحكومة السابقة لاعطاء الاراضى الخراجية لبعض الاقوياء من الناس باسم ملتزمين وهم ملزمون الناس بزرعها ويحصلون منهم ماتفرضه الحكومة . وكانت الحكومة تمدهم بسلطة واسعة . فلا تسل عما كان يحدث من جراء ذلك من التعديات والمظالم وضروب الضغط

فلما استتب الامر لمحمد على باشا مسح الاراضى وقسمها الى مديريات ومراكز ونواح وعين عليها المديرين والوكلاء والمأمورين والجباة وأبطل الالتزامات ووزع أراضى كل جهة على

اهلها فبلغ بعض الانصبة ثلاثة فدادين وبعضها خمسة وجعل للنواحى مشايخ أعطاهم أطياناً معفاة من الضرائب وعين الضباط المتقاعدين فى الجهات لارشاد الاهالى لوجوه الاستغلال

ثم أنشأ الدواوين ومنها ديوان المعاونة وظيفته النظر فيما يعرض عليه من الدواوين الاخرى . ومنها الديوان الخاص وكان يقوم بأعمال دواوين الداخلية والخارجية والضابطة . ومنها ديوان الاشغال وديوان المبيعات وديوان الفردة ثم أنشأ بعد ذلك ديوانا للامور الخارجية خاصة وديوانا للعسكرية وديوانا للمالية وديوانا للاوقاف وديوانا للمعامل ودواوين للتفتيش والحقانية والترسانة والابنية والمدارس وكلها ترجع الى ديوان المعاونة

ثم أنشأ مجالس القضاء وأوجد لها ماتستدعيه من النظامات والاصول ورتب ادارة البريد براً وبحراً وأنشأ تلغرافا بالاشارات بواسطة أبنية مرتفعة ممتدة على خط واحد من المدن الكبيرة بين البناء والآخر مسافة تكفى لفهم الاشارة

أنشأ الضابطة لتأييد الامن العام وفرق رجالها فى أنحاء البلاد فأمن الناس على أعراضهم وأموالهم

ونظر الى الزراعة فجلب اليها الصنوف الضرورية كالقطن والنيلة وغيرهما وأكثر من غرس الحدائق والاشجار وأقام سدوداً فى أبى قير وترعة الفرعونية واشتوم الديبة واشتوم الجميل وغيرها وأنشأ كثيراً من الجسور والترع والمساقى وأبدل الخولة بالمهندسين فى أعمال الرى وبعث كثيرا من المصريين الى اوروبا لدرس فن الزراعة والعلوم الطبية وغيرها . وبنى القناطر الخيرية عند رأس الدلتا لحجز مياه النيل عن الاندفاع الى البحر الابيض بدون جدوى . وقد كانت مياه النيل قبل ذلك تفيض فى الصيف فتغرق بلاد الصعيد وتنصب الى الوجه البحرى فتروى الاراضى البور والمزروعة على السواء فاذا ذهب دور الفيضان وجاء دور التحاريق لم يوجد فى النيل مايكفى لرى الأراضى القابلة للزراعة فكان الناس لايستفيدون منها . ولكن جاءت قناطر الدلتا فغيرت الحالة اذ جعل لها أبوابا من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء

فاذا قفل باب أحد فرعى النيل انصرف الماء الى الفرع الثانى فروى الاراضى المحتاجة للماء ومنع الماء عن الاراضى البور

وأما اصلاحه للجندية فكان من أظهر الاصلاحات . وكانت الجندية فى مصر وقفا على الجراكسة والالبانيين والمغاربة والانكشارية ومن جرى مجراهم وكانوا كثيراً مايعيثون فى البلاد فساداً وكان أسلوبهم الاسلوب القديم العقيم فأبدل هذا كله وأنشأ عسكرا على النظام الاوروبى واستقدم لهمدربين من الفرنسيين وأنشأ المدرسة الحربية لتخريج الضباط وكان مركزها بالخانكاه قرب المطرية وجعل سراى مراد بك الزعيم الجركسى بالجيزة مدرسة للفرسان وأنشأ مدرسة أخرى للمدفعية وهذا كله تم برأى الجنرال (سيف) الذى استقدمه محمد على باشا من فرنسا لتدريب جيشه . ثم أسلم هذا الجنرال فيا بعد وسمى نفسه سليمان باشا الفرنسى الموجود تمثاله الآن فى ميدان سليمان باشا بالقاهرة . فكان من أثر هذا التعليم العسكرى انتصارات ابراهيم باشا على الجيوش العثمانية فى سورية والاناضول

وأنشأ محمد على باشا فى الاسكندرية دارا لصناعة السفن جاء اليها بأساتذة من الانجليز والفرنسيين وبنى فى الاسكندرية حصونا منيعة لدفع الغارات الاجنبية وهى قائمة هنالك للآن وان كانت لاتغنى شيئا أمام القنابل الجديدة

ثم انه أخذ فى تنشيط حركة التجارة فأنشأ ميناء الاسكندرية وكانت الميناءان المصريتان مينائى رشيد ودمياط وحفر ترعة بين النيل والاسكندرية دعاها بالمحمودية نسبة الى السلطان القائم اذ ذاك فتقاطر الى الاسكندرية التجار من جميع أصقاع أوربا وأقيمت فيها المبانى على الطراز الاوربى فأصبحت من أجل المدن المصرية فى قريب من الزمن

ثم التفت للصناعة فبنى المصانع والمعامل فى جميع أرجاء مصر وجلب اليها مهرة الاساتذة من أوروبا لتعليم المصريين فكان بمصر معامل لعمل الاقمشة البيضاء والطرابيش والجوخ والورق والحرير والكتان والصوف واتخذ معامل لصنع الاسلحة والذخائر الحربية

ثم نظر للامور الصحية فأسس بمصر

مدرسة طبية بقصر العيني وهو منزل الزعيم الجركسي ابراهيم بك البرديسي خصمه القديم وعين عليها الدكتور كلوت بك الفرنسي لتخريج الاطباء وبنى مستشفى بأبي زعبل قرب المطرية وأنشأ مجلسا صحيا ومدرسة بيطرية ورتب مستشفات وأطباء للجيش وأخرى للأهالي وعين أطباء لمراعاة الاحوال الصحية في المديريات

عرف محمد علي باشا أن العلم قوام الحياة الاجتماعية فأخذ في نشره في البلاد فافتتح المدارس الاولية والثانوية والعالية وساق اليها الناس بالاجبار لان المصريين كانوا يتخيلون ان أبناءهم يؤخذون بهذه الوسيلة الى الجندية وعزز هذه النهضة بارسال أرساليات سنوية الى أوروبا لتخريج كبار الرجال في المعارف الضرورية

وأنشأ مطبعة أميرية وأمر بترجمة كثير من الكتب العلمية وأنشأ جريدة رسمية هي الوقائع المصرية وأسس ديوان المهندسخانة وغير ذلك

(صفاته وأخلاقه) كان محمد علي ربعة في الرجال عريض الجبهة مشرق الوجه بارزا حجاجي العينين أسود المقلتين غائرهما صغير الفم كبير الانف فيه هيبة يخالطها وداعة وكان سريع الخطوات ثابتها، وكان اذا مشى جعل يديه متماسكتين من الخلف غالبا وكان لباسه على نحو لباس المماليك على رأسه الطربوش العسكري ثم لبس العمامة وأبدل لباسه العسكري بلباس واسع

كان يكره أن يستكثر من الحاشية فلم يكن على بابه الا رجل واحد لخفارته وكان اذا جلس أمسك بيده حقه المطوس (النشوق) والسبحة. وكان يميل لالعب البليساردو والداما ولا يأنف من مجالسة صغار الضباط. وكان أكثر جلوسه مع القناصل والسياح الكبار الذين كانوا يلقبونه بمبيد المماليك أو محيي البلاد المصرية

كان محمد علي باشا طاهر القلب مع دهاء كبير، وكان سريع التأثر لايعرف كظم الغيظ. وكان مع وفور عقله كثيرا ماتروج لديه الدسائس، ولكنه كان كريم النفس سخيا فيعطي بسعة وقد يسرف في البذل أحيانا. وكان يحب الاطلاع على سياسة اوروبا وله من يترجمها له أطوارها

وصل محمد على باشا الى درجة والى مصر وهو أمى فابتدأ يتعلم القراءة والكتابة بعد أن بلغ الخامسة والاربعين وكان شديد التمسك بالاسلام ، كثير الهواجس السياسية يأرق كثيراً ويتقلب على فراشه ولذلك وكل اثنين من الخدم يتناوبان السهر فى حجرته ليغطياه كلما انكشف جسمه . وكان من أسباب أرقه شهقة ارتجافية كانت تتردد عليه كثيراً وكان أصيب بها عقب ذعر شديد أصابه فى بعض وقائع الوهابيين ولكنه مع هذا كان نشطا يهب من نومه فى نحو الساعة الرابعة ويقضى نهاره فى أعمال المملكة الشاقة

فالناظر فى صفات هذا الرجل والمتأمل فى سيرته يحكم لأول وهلة بأنه كان واحداً من النوابغ الذين يوجدهم الخالق فى أدوار خاصة من حياة الامم لانهاضها واخراجها من حال الى حال فهو أحد أفراد يمكن عدهم فى العالم الانسانى كله على الاصابع . فتدبر كيف كانت أحوال الحكم فى هذه البلاد ، والى أى حال كانت وصلت الارتباكات فيها ثم انظر كيف تغلب على كل هذه العقبات وتوصل من رتبة ضابط صغير الى الجلوس على منصة الاحكام فدبر أمورها على الاسلوب المطلق الذى لم يشاركه فيه مشارك ثم قاوم العوامل الداخلية والخارجية التى كانت تقاومه وتغلب عليها كلها حتى خلا له الجو ولم يصرف بقية أيامه متمتعا بلذة السلطان على ماعهد فى الشرق كله اذذاك بل انصرف الى تنظيم ادارة البلاد واعداد الامة للنهضة العلمية والصناعية مستخدما فى ذلك كل الوسائل المعروفة على غير مثال رآه فيما حوله فلم يدع وسيلة عمرانية الا استخدامها لذلك حتى انقلبت حال مصر من طور الى طور آخر ، كل هذا يسمح للناظر المنصف أن يعتقد بأن محمد على هذا كان نادرة الشرق فى عهده ونابغة الاسلام فى عصره، وممن لا يُسمح بمثله الا نادراً

يعيب بعضهم على هذا الرجل قسوته فى ابادة المماليك وصرامته فى قمع الفتن التى كانت قائمة فى البلاد ، وامتداد مطامعه للجلوس على عرش الشرق كله . فاما اقصاء المماليك فكانت ضرورية فى نظرنا لان تلك الطائفة كانت لا تزال تتحين الفرص لاثارة القلاقل فى البلاد

فان كان استطاع محمد على فى حياته أن يكبح جماحها بيد من حديد فما كان يؤمن شرها بعدوفاته ولهذه الطائفة تاريخ طويل فى الفتن والقلاقل غص بها تاريخ مصر وقد أتينا على طرف منه فى هذه المادة فابادتهم ربما كان من باب استئصال الشر من جرثومته . وقد حذا حذوه السلطان محمود فأنه أباد جيش الانكشارية برمته وكان يعد بالآلاف رماهم بالمدافع فى ثكناتهم حتى هدمها على رؤسهم . وسبقه بطرس الاكبر فأباد جيش روسيا القديم على هذا النحو أيضا وما كانت تركيا ولا روسيا تفلحان بدون احداث هذه المجزرة العظيمة والله أعلم

أما امتداد مطامعه الى بسط سلطانه على الشرق كله فلا يعاب عليه لانه كان سنة الاقوياء فى تلك الازمان حيث كان التغلب أحد مقومات الحياة الشرقية أحدثه غفلة الشعوب عن ذاتها وهى حالة عرضية كانت ملازمة لمزاج الشرق اذ ذاك لا يمكن لقوى أن يتخلف عن المضى فى تيارها

ولد هذا الرجل الكبير سنة (١٧٦٩) فى قرية تولة من مقدونيا من أب اسمه ابراهيم أغا كان متوليا خفارة الطرق وقد له سبعة عشر ولداً لم يعش له منهم الا محمد على فتوفى ذلك الوالد سنة (١٧٧٣) وتبعته والدته ولم يكن ولدهما يزيد عمره عن أربع سنين . فأصبح محمد على يتيما ليس له الا عم اسمه طوسون أغا فكفله وكان موظفا بقولة فصدر أمر الباب العالى بقتله فقتل . فأشفق على محمد على صديق لوالده اسمه شربتجى فأخذه يربيه مع أولاده ولا تسل عن حالة يتيم يربى بين أولاد آخرين فلق من ذل هذه الحالة ما كان يحدثه لذويه بعد ارتقائه منصة الحكم قال ما معناه:

« رزق أبى بسبعة عشر ولداً فلم يعش له غيرى فكان يحوطنى بعنايته ويلحظنى باهتمامه حتى توفاه الله فأصبحت يتيما لا أجد عائلا فكنت أسمع أتراب أبى يقولون ماذا عسى أن يكون مصير هذا الغلام المنكود الحظ بفقده والديه ؟ قال فكنت أتغافل عن هذا الكلام شاعراً باحساس غريب يدفعنى الى النهوض فكنت أجهد نفسى فى كل عمل أتعاطاه حتى كان يمر على أحياناً يوما لا آكل ولا أنام فيها الا يسيراً . قال ومما قاسيته

انى كنت مسافراً يوماً فى سفينة فغرقت فتركتى رفاقى وشأنى فى السفينة ونجوام على قارب كان بها ، فجعلت أقاوم الامواج وأعمل جهدى للنجاة حتى تحطمت يداى من التشبث بها على الصخور التى كانت تدفعنى اليها تلك الامواج وما زلت أجاهد حتى وصلت الى تلك الجزيرة سالماً وهى الآن قسم من مملكتى

ومما يحكى عنه أنه كان وهو صغير يتردد على رجل فرنسى مقيم فى قوله اسمه المسيو ليون من كبار تجارها فكان يسعف محمد على بحاجاته فلم ينس رحمه الله هذه المبرة فبعث اليه سنة (١٢٨٠) واستقدمه الى مصر ليكرمه جزاء عنايته به وهو طفل فلبى دعوته ولكنه توفى قبل أن يتمها فأسف عليه محمد على باشا وأرسل الى شقيقته هدية ثمنها عشرة آلاف فرنك

ربى محمد على باشا ببيت شربتجى فتعلم الضرب بالسيف والجريد وما يتعلمه أبناء تلك البلاد فلما بلغ أشده انتظم فى سلك الجندية تحت أمرة سربيه فأظهر فى تحصيل الضرائب مهارة فائقة فرقاه الى رتبة بلوك باشى وزوجه بعض قرابته وكانت مطلقة ولها مال وعقار فترك الجندية وأخذ فى الاتجار فى الدخان فاكتسب شهرة فى حسن معاملاته. ومازال تاجراً الى سنة (١٨٠١) اى الى أن بلغت سنة (٣٢) سنة واذ ذاك عول الباب العالى على استرداد مصر من الفرنسيين وأخذ يجمع الجنود فانتظم محمد على فى فرقة البحرية برتبة معاون لعلى اغا بن سربيه على ثلاث مئة جندى ألبانى . فجاءت بهم السفن الى أبى قير فتغلب الاسطول الفرنسى على أسطول العثمانيين فنزل محمد على الى البر مع جنوده وتركله رئيسه القيادة وعاد الى بلاده فترقى محمد على الى رتبة بكباشى وحدث منه ما حدث بعد ذلك مما رأيته تفصيلا فى هذه المادة توفى سنة (١٨٤٨) بالغا من العمر (٧٩) سنة

تولى بعده ابنه ابراهيم باشا وعمره نحو ٦٢ سنة وقد تقدمت سيرته ضمن سيرة أبيه لأنهما عملا معا فى مصر وكان ابراهيم باشا عضد أبيه فى كل مشروع شرع فيه ولد سنة (١٢٠٤) ومال من صغره للاعمال الحربية وكان فيه مواهب كبار القواد وأعماله فى مصر والشام والمورة

والسودان تشهد له بالحذق والبراعة وكان يعرف من اللغات العربية والتركية والفارسية وله اطلاع على تاريخ الامم الشرقية

تولى امارة مصر سنة (١٢٦٥) عقب تنازل والده فسار على خطواته ولكنه كان على غير أخلاق أبيه فانه كان شديداً كما هي صفات رجال العسكرية وكان أبوه لين العريكة حسن السياسة حكيما. لم يتول ابراهيم باشا الاحكام غير شهر واحد ثم توفى وأبوه حى

كان ربعة فى الرجال ممتلىء الجسم قوى البنية مستطيل الوجه والانف أصفر الشعر فى وجهه أثر من الجدرى وقليل النوم كان نقش خاتمه (سلام على ابراهيم)

خلفه عباس الاول وهو ابن طوسون باشا بن محمد على ولد سنة (١٢٢٨) وربى تربية حسنة وكان محبا لركوب الخيل رافق عمه ابراهيم باشا فى حملته الى الشام وشهد أكبر الوقائع الحربية هناك وفى سنة (١٢٧٥) تولى زمام الاحكام فى مصر بعد وفاة عمه وكان جده يحبه حبا جما

شرع فى مد الخط الحديدى بين مصر والاسكندرية . وأسس المدارس الحربية بالعباسية ومد أسلاكا تلغرافية .

كان له ولد اسمه الامير ابراهيم الهامى باشا زار الآستانة فزوجه السلطان ابنته وهو والد الاميرة والدة عباس باشا الثانى الخديوى السابق

من مآثر عباس باشا الاول بناؤه لمسجد السيدة زينب ووضعه الحجر الاول بيده. ولما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا أرسل لها مدداً وشيع رجاله بنفسه وألقى عليهم خطابا مؤثراً

توفى عباس باشا الاول مقتولا قتله بعض مماليكه ببنها سنة(١٢٦٣) الموافقة لسنة (١٨٥٤)

خلفه سعيد باشا بن محمد على باشا ولد سنة (١٢٣٧٠) كان محبا للعلوم بارعا فيها وعلى الخصوص فى اللغات الشرقية والعلوم الرياضية والبحرية والرسم . وكان يجيد التكلم باللغة الفرنسية

من آثاره الخط الحديدى بين مصر والاسكندرية والشروع فى مد غيره وتنظم لوائح الاطيان وأرجعها من المتعهدين الى أربابها وعدل الضرائب ونزح ترعة المحمودية . وفى أيامه أخذ دولسبس مشروع انشاء قناة السويس بمساعدته

وبنيت مدينة بور سعيد وغرس الاشجار فى طريق المنشية

وفى السنة الثانية من حكمه وضع أساس القلعة السعيدية على رأس الدلتا ولكنها خربت الآن

ثارت فى أيامه مديرية الفيوم على الحكومة فأخمد ثورتها . ولما ختن نجله طوسون باشا أطلق جميع المسجونين حتى القتلة . وفى سنة (١٢٧٦) زار سوريةوكان فى أثناء سيره فى الطرقات ينثر على الناس الذهب

خلفه اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا ابن محمد على . ولد سنة (١٨٣٠) وتولى الاحكام سنة (٦٣-١٠) وخلع سنة (١٨٧٩) وتوفى سنة (١٨٩٥)

كان لوالده ثلاثة أولاد ذكور أكبرهم البرنس أحمد باشا ولد سنة (١٨٢٥) ثم البرنس اسماعيل باشا ثم البرنس مصطفى باشا ولد سنة (١٨٣٢) وكان البرنس أحمد باشا من نوابغ أولاد محمد على باشا يشبه ابراهيم والده خلقا وخلقا ولكنه توفى فصار أكبر أولاد ابراهيم باشا نجله اسماعيل فتولى الملك

ربى اسماعيل باشا فى مدرسة خاصة بالقصر العالى فتلقى مبادىء اللغات العربية والتركية والفارسية وشيئا من الرياضيات والطبيعيات فلما بلغ السادسة عشرة من عمره أرسله جده مع ولديه المرحومين البرنسين حليم باشا وحسين بك والبرنس أحمد باشا الى أوروبا مع عدد من شبان مصر لتلقى العلوم بباريز تحت اشراف اصطفان بك الارمنى فقضوا فى الدراسة بضع سنوات تلقوا فيها العلوم العالية ثم عادوا الى مصر فى عهد عباس باشا فكث اسماعيل باشا على صفاء وسلام الى ان حدث شقاق بينه وبين عباس باشا وسعيد باشا بن محمد على بشأن توزيع التركة أدى الى خصام بين الطرفين فانحاز جميع أفراد البيت الخديوى الى سعيد باشا فسافر الى الآستانة لعرض شكواهم على السلطان عبد العزيز فأرسل السلطان فؤاد افندى وجودت أفندى من نوابغ رجاله فأصلحوا بين عباس وأقاربه فعادوا جميعا الى مصر الا اسماعيل فبقى فى الآستانة فعينه السلطان عضواً فى مجلس احكام تركيا

وفى سنة (١٨٥٤) توفى عباس باشا وخلفه سعيد باشا فعاد اسماعيل الى مصر

فولاه عمه رئاسة مجلس الاحكام فنظمه على مثال مجلس أحكام تركيا

وفى سنة (١٨٦٣) أفضت الولاية اليه بموت عمه سعيد باشا فأخذ فى تنظيم البلاد بفتح الشوارع العظيمة وغرس الاشجار على جانبيها وتشييد المبانى الفخمة وانشاء الترع والمصارف بسخاء عظيم

من أعمال اسماعيل باشا سعيه فى نيل رتبة الخديوية وكان آباؤه يلقبون بالولاة وبذل جهده فى جعل الوراثة منحصرة فى أولاده لا فى الارشد من الاسرة وصدر له الفرمان بذلك سنة (١٨٧٣)

ومما يؤثر عن اسماعيل انه سهل على الاوروبيين والامريكيين سكنى البلاد المصرية بقصد نقلها عن حالتها الشرقية الى حالة تشاكل بها المدنية الغربية فبذل للجالية الاجنبية كل مساعدة وأيدهم فى مشروعاتهم المالية وفتح أمامهم طرق المكاسب استدرارا لاموالهم فاقبلوا على مصر برؤوس أموالهم طلبا للأرباح العظيمة

وفى سنة (١٨٦٩) احتفل اسماعيل باشا بافتتاح قناة السويس فدعا لحضور هذا الاحتفال ملوك أوروبا فحضرت ملكة الانجليز وأوفد نابليون الثالث امبراطور فرنسا امرأته بدلا عنه وأقام لهم مآدب وزينات يقصر عنها وصف الواصف فبلغت نفقات هذا الاحتفال ستة عشر مليونا من الجنيهات

وفى عام (١٨٧٢) تعدى الاحباش على حدود مصر وأسروا بعض المصريين وكان اسماعيل باشا يود توسيع نطاق مصر بأخذ البلاد الحبشية فأعلن الحرب على الحبشة فلم يوفق لفتحها

وفى سنة (١٨٧٣) قصد زيارة السلطان بالآستانة فاستقبل هنالك استقبالا عظيما وعاد فاحتفل المصريون بقدومه أعظم احتفال

وفى هذه السنة احتفل بتزويج أولاده الثلاثة توفيق باشا وحسن باشا وحسين باشا (وقد تولى سلطنة مصر) فأقام لذلك أفراحا يقصر عن وصفها قلم أبلغ البلغاء صرف عليها أموالا طائلة

قلنا ان اسماعيل باشا كان ينفق بسخاء عظيم فى مشروعاته العمرانية واحتفالاته العامة فكان ايراد مصر

لايكفى لسد هذه النفقات فيضطر للاستدانة من مصارف اوربا فبلغ دين مصر فى عهده ٩١ مليون جنيه وهو مبلغ باهظ بالنسبة لحالة الميزانية اذ ذاك . وقد كان الدين على عهد سلفه (٣٢٩٢٨٠٠) فقط . وكانت فائدته ٧ فى المائة وكانت هذه الديون قسمين دين الحكومة ودين الدائرة السنية فضم الدينان فى ٧ مايو سنة (١٨٧٦) الى دين واحد . فرأى اسماعيل باشا أن توحيد الدين على هذه الصورة لايتم فأصدر أمرا فى ١٨ نوفمبر باصدار سندات بمبلغ ١٧ مليون جنيه بضمان الخطوط الحديدية المصرية وميناء الاسكندرية وفائدته ٥ فى المئة وسماه الدين الممتاز

ولكن المالية المصرية لم تكن على حاله تستطيع معها توفية الاقساط المطلوبة للدائنين ولا فوائد هذه الملايين فاضطرت الدول لتعيين لجنة مالية مختلطة لمراقبة حسابات الحكومة المصرية فحضرت تلك اللجنة وفحصت الحسابات فوجدت فيها عجزا مقداره مليون ومئتا الف جنيه فتنازل اسماعيل باشا عن أملاكه الخاصة وأملاك اسرته للحكومة وهى التى تعرف بأملاك الدومين وتقرر اقتراض ٨ ملايين جنيه ونصف لتسوية الحسابات وجعلوا أملاك الدومين رهنا لها وهذا هو الدين المعروف بدين روتشيلد

كانت أعمال الحكومة تجرى بارادة الخديو المطلقة ولكن لما تعين المراقبان الاجنبيان على المالية اضطر اسماعيل باشا لمشايعة النظامات الدستورية فعين وزارة لتدبير أمور المصالح المختلفة تحت رئاسة رئيس مسئول أمامه فتشكل مجلس النظار برئاسة نوبار باشا وصادق على تعيين المراقب الانجليزى ناظراً للمالية، والمراقب الفرنسى ناظراً للاشغال فرأى مجلس النظار أن يقتصد من النفقات العسكرية فأحال كثيرين من الضباط على المعاش فثار أولئك المعزولون وعددهم ٤٠٠ ضابط ومعهم جنود كثيرون وحاصروا المالية وطلبوا صرف رواتبهم وكلموا المراقبين والوزراء بعنف وعلت الضوضاء وكاد يحدث مالا تحمد عقباه فحضر اسماعيل باشا فهدأ الثائرين. فاستقال نوبار باشا ورياض باشا لما آنسوه فى أعمال الخديو من المخاطرة فأصدر أمره بتعيين

ابنه توفيق باشا رئيسا لمجلس النظار ولكنه عاد فى ٧ ابريل سنة (٢٨٧٩) فأسقط هذه الوزراة ودعا شريف باشا لتأليف وزارة وطنية بحتة وأمره بعدم قبول المراقبين الاجنبيين لما رآه منهما من معارضة مشروعاته . فلم ترض انجلترة وفرنسا بهذه الاهانة وأصرتا على وجوب اعادة الوزيرين وهددتا اسماعيل باشا بالعزل فأصر الخديو على رفضهما فسعت تانك الدولتان لدى الباب العالى فأصدر أمره بعزله فى ٢٥ يونيو سنة (١٨٧٩) وأتى فرمان بتوليه ابنه توفيق باشا

من أعماله تقسيم مصر الى ١٤ مديرية وتأسيس مجلس دعاه مجلس النواب على نحو مجلس شورى القونين وتنظيم القضاء الاهلى والشرعى وجعله لكل منهما روابط وحدودا ، ووضع نظام المجالس الحسبية وانشاء المحاكم المختلطة بمساعى وزيره نوبار باشا وقد جاءت رحمة على المصريين بالنسبة لما كان حاصلا فى مصر اذ ذلك من جراء اطلاق المحاكم القنصلية

وبيان ذلك ان للأجانب فى مصر امتيازات خاصة بهم فلا يحاكم واحد منهم مدنيا ولا جنائيا الا امام قنصله فكان اذا تعامل أحد الاجانب مع أحد المصريين وحدث بينهما خصام ترافعا الى القنصل فكان يحدث من ذلك سوء تفاهم كبير بسبب جهل المصريين بلغة أولئك الاجانب من جهة وبسبب عدم حيازة تلك المحاكم القنصلية لجميع الضمانات التى يستدعيها الفصل بين الخصوم . فهضمت بذلك حقوق كثير من المصريين فلم ير اسماعيل باشا بدا من ابدال هذه الفوضى بمحاكم مختلطة تعين الدول أعضاءها تحت رئاسة قضاة من المصريين للفصل فى الخصومات المدنية التى تقع بين الاجانب أو بينهم وبين المصريين وعهد اليها أيضا النظر فى المخالفات فكانت نتيجة تأسيس هذه المحاكم ضمان حقوق المصريين ووجود الوئام بينهم وبين الاجانب وكان من احسن نتائجها حصر سلطة القناصل وتضييق دائرتها

وكانت مصلحة البريد تابعة لشركات أجنبية فجعلها اسماعيل باشا مصلحة اميرية وعهد بادارتها الى بعض الاكفاء من الاجانب

وزاد فى مطبعة بولاق أدوات كثيرة

وأمر بترجمة كتب عديدة وطبعها ونشرها وأسس بالمطبعة معملا للورق. وتكاثرت على عهده المطابع والجرائد فظهرت أولا جريدة التجارة ومصر والوطن (قبل عهدها الاخير) والاهرام والكوكب الاسكندرى وروضة الاسكندرية وروضة المدارس واليعسوب ونزهة الافكار وحديقة الابصار ووادى النيل (قبل عهده الاخير) فحدثت نهضة عربية وكان اسماعيل باشا يحب العلماء ويجيزهم الجوائز العظيمة وكان يشهد الاحتفال بامتحان التلاميذ بنفسه ويسلم الجوائز لمستحقيها بيده وقد يقف عند تقديمها تنشيطا لهم

ولم يكن فى مصر حين توليه الاحكام غير الخط الحديدى الممتد بين الاسكندرية والقاهرة فأنشأ كثيراً من الخطوط الحديدية فى شرق البلاد وغربها ومد الاسلاك التلغرافية وبلغ مقدار ماصرف على ذلك نحو عشرة ملايين جنيه

ومن آثاره مدينة الاسماعيلية على قنال السويس وأنشأ منارات فى البحرين الابيض المتوسط والاحمر وجعل سوراً على حديقة الازبكية وغرسها أشجارا ضخمة وبنى بنايات كثيرة بالقرب من طرة ليجعلها معامل للبارود والاسلحة ولم يستخدمها لذلك وبنى ليمان الاسكندرية والحمامات المعدنية بحلوان. وبنى مرصد العباسية وكثيراً من معامل السكر وحفر قنوات الرى وأقام على النيل جسوراً عظيمة فمن تلك الترع الابراهيمية بالصعيد والاسماعيلية بين القاهرة والسويس. ومن أعظم القناطر قنطرة قصر النيل (الكوبرى) وبنى حوضا لترميم السفن بالسويس

وقد أبطل الرقيق فى زمنه وتم فتح السودان وبلغت جنوده ماوراء خط الاستواء وعُنى بتحسين أحوال السودان فهد شلال عبكة وفتح سداً كبيراً جنوب فشودة طوله ستون ميلا كان يعيق مسير السفن فى النيل الابيض فسهلت طرق التجارة. وأعاد رونق المدارس اليها بعد ان كانت اخذت فى الاضمحلال بعد عهد جده محمد على وأسس مدارس أخرى فمن التى أسسها أورقاها مدارس المبتديان والتجهيزية ومدرسة الهندسة والمساحة والالسن والعمليات والادارة واللسان القديم والتجارة ومدرسة البنات بالسيوفية

وغيرها . وفى عهده حلت الماسونية مصر فأدخلها تحت حمايته ودخل فى سلكها نجله توفيق باشا

وفى عهده ارتفع سعر القطن الى ١٦ جنيها القنطار الواحد وذلك لوقوع الحرب بين امريكا الشمالية والجنوبيـة فأصاب المصريون ثروة طائلة . الخلاصة أنه كان لا يعيب اسماعيل باشا الا بذله حتى وقعت البلاد تحت أعباء الديون

كان اسماعيل باشا ربعـة فى الرجال ممتلىء الجسم قوى البنية عريض الجبهة كثيف اللحية يميل الى الصفرة وبعينه ميل الى الحول او ان احـديهما كانت أكبر من الاخرى قليـلا وقد كان عظيم الهيبة حتى ان مخاطبه كان يندفع الى طاعته كأنه مسوق بزاجر نفسانى لا يمكن التغلب عليه وكان يتكلم اللغة الفرنسية ويحسن العربية والتركية والفارسية وكان يحب البذخ والترف والتنعم

استبدل اسماعيل باشا معاشه قبـل وفاته باثنـين وعشرين الف فدان باع منها ٢٠٠٠ للاوقاف العمومية و ١٥٠٠ لحفيده عباس حلمى باشا فبقى له ١٨٥٠٠ منها ١٢ الف فدان بتفتيش اتياى البارود وقفها على زوجاته الثلاث فى حياتهن ثم يرثها ورثته بعدهن والباقى وهو ٦٥٠٠ فدان تركها بلا وقف وترك غير ذلك مما ورثه عن والدته وهو ٥٠٠ فدان وهبها له عباس باشا الاول و ٩٠٠ فدان وقصراً فى حـلوان وسراى القصر العالى ومعها حديقة تبلغ ٢٤ فدانا وترك أيضا ما ورثه عن ابنـه المرحوم البرنس على جمال باشا وهو ٦٠٠ فدان . وترك أيضا فى العباسية قصر الزعفران وفى الآستانة قصر ميركون وهو يحتوى على قصرين كبيرين وقصرين صغيرين وترك فيها أيضا قناق بايزيد وتقدر قيمة أرضه بثلاثين الف جنيه وأصله للمرحوم البرنس حليم باشا فأخذه السلطان عبد الحميد منه ووهبه لاسماعيل باشا

وكان قد أضاف فى وصيته نحو ٤٨٠٠ فدان من أطيانه فى ولايتـه الى الاطيان الموقوفة على أهل قولة وقدرها عشرة آلاف فدان فى كفر الشيخ وحفظ لنفسه الشروط العشرة ثم آلت نظارة هذا الوقف اليه ففصل الاربعة الآلاف والسبع المئة الفدان التى أضافها اليه ووقفها على حاشيته كلها ولم يستثن أحداً منها

كان جنسه ودينه حتى كتب حصة لسكرتيره الفرنسى وطبيبه الانجليزى فبلغ عدد مستحق هذا الوقف من الجوارى ٤٥٠ منهن ٤٠٠ من الجركسيات كان قد زوجهن من أعيان مصر وكبرائها قبل مفارقته الديار المصرية

وأقام قائده الكبير راتب باشا وكيلا لحرمه وأوصى أن يعطى ١٥٠ جنيها شهريا وأن تعطى حرمه ٥٠ جنيها شهريا وأن يضاف مرتبها الى مرتبه اذا توفيت فى حياته

خلفه ابنه محمد توفيق باشا من سنة (١٨٧٩) الى (١٨٩٢) ولد سنة ١٨٥٢ فلما ترعرع واشتد أدخله والده الى مدرسة المنيل فدرس فيها العربية والجغرافية والتاريخ والطبيعيات والرياضيات واللغات التركية والفرنسية والانجليزية وكان به ميل للعلم والمعرفة . تولى رئاسة المجلس الخاص فى حياة والده وسنه ١٧ سنة ، ثم تقلد نظارة الداخلية ونظارة الاشغال ورئاسة مجلس النظار

ولما بلغ الحادية والعشرين تزوج بالأميرة آمنة بنت الامير الهامى باشا وهى من أكمل النساء عقلا فولد له سنة (١٨٧٤) أى فى السنة التالية لزواجه ولده البكر عباس حلمى باشا الخديوى السابق ثم الامير محمد على باشا سنة (١٨٧٦) والاميرة خديجة سنة (١٨٧٧) والاميرة نعمت سنة (١٨٨١)

ما زال المرحوم توفيق باشا يتقلد الوظائف فى أيام أبيه حتى أسندت اليه الخديوية بعد اقالة والده وكان ذلك فى ٢٦ يونيه سنة (١٨٧٩) وكان مشهوراً بالعطف على رعيته فخفف الضرائب وأحدث اصلاحات جمة

وفى عهده تألفت لجنة تصفية الديون وأنشأت قانونا فصادق عليه

ومن أعماله أنه سن للبلاد نظامات شورية كمجلس شورى القوانين ومجالس المديريات والجمعية العمومية

وفى أيامه أنشئت المحاكم الأهلية وتقدمت مصلحة الرى ورفعت السخرة

وفى أيامه حدثت الثورة العرابية والثورة السودانية . فأما الأولى فأحسن ما يكتب فيها اجمالا ما كتبه احمد عرابى عن نفسه ننقله عن مجلة الهلال فان فيه تاريخ الموجد لتلك الحركة وتفصيل أدوارها تفصيلا وان كان قد راعى فيه

تخفيف التبعة عن نفسه الا انه أجدر بكتاب على كدائرة المعارف بمعزل عن المناقشات السياسية . قال :

(نشأتى الاولى) ولدت فى ٧ صفر سنة ١٢٥٧ هـ من أبوين شريفين من ذرية العارف بالله السيد صالح البلاسى البطائحى ومقامه الشريف بقرية فاقوس بمديرية الشرقية وهو أول من قدم الى بلاد مصر من بلاد البطائح بالعراق فى أواسط القرن السابع للهجرة وهو من ذرية الامام على الرضا بن الامام موسى الكاظم من سلالة الامام الحسين بن على بن أبى طالب وابن فاطمة الزهراء البتول بنت محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . اسم والدى محمد عرابى بن السيد محمد وفى بن السيد محمد غنيم بن السيد ابراهيم بن السيد عبد الله الى آخر السلسلة الشريفة واسم والدتى فاطمة بنت السيد سليمان ابن السيد زيد نجتمع مع والدى فى جدى الثالث عشر المسمى ابراهيم مقلد رحمه الله تعالى . ومولدى كان بقرية هرية رزنة بمديرية الشرقية على ميلين من شرقى بندر الزقازيق وهى بلدة قديمة جداً من ضواحيها مدينة بوباسطة كرسى مملكة العائلة ٢٢ فى زمن شيشاق بن نمرود التى يقال لها الآن (تل بسطة) وعشيرتى فيها نحو ربع تعدادها وكان والدى رحمه الله تعالى شيخا عليها الى أن توفى فى شهر شعبان سنة ١٢٦٥ هـ فى زمن الهواء الاصفر عن ثلاث نسوة وأربعة أولاد وست بنات وكنت ثانى أولاده الذكور وسنى ٨ سنوات وترك لنا ٧٤ فدانا ولو شاء لاستكثر من الاطيان الزراعية ولكنه رحمه الله تعالى يراعى صالح أبناء عمومته حيث أن أطيان القرية كثيرها فكانت مكلفة بأسماء المشايخ يوزعونها بمعرفتهم على أهل بلادهم بحسب الاحتياج الى عهد المغفور له عباس باشا الاول وهو أول من كلف الاطيان بأسماء الافراد وألزمهم بدفع خراجها وما زاد عنهم يترك للميرى ويسمونه المتروك

وكان والدى عليه سحائب الرحمة والرضوان عالما فاضلا تقيا أقام بالجامع الازهر ٢٠ سنة تلقى فيها الفقه والحديث والتفسير وبرع فى كثير من العلوم النقلية والعقلية على كثير من المشايخ كشيخ الاسلام القويسنى رحمه الله تعالى وغيره من العلماء الاطهار

ولما آلت اليه وظيفة الشياخة على عشيرته جدد عمارة المسجد المنسوب الى عشيرته بالقرية المذكورة وفيه أربعة أعمدة من الحجر الصوان القديم ومنبر من الخشب عجيب الصنعة وأنشأ بجوار المسجد مكتبا لتعليم القرآن الشريف وجعل له فقيها صالحا عالما يسمى الشيخ نجم من سلالة السيد العزازى وألزم الاهالى بتعليم أولادهم . وكان رحمه الله يشدد عليهم فى ذلك حتى صار نحو نصف تعداد الناحية المذكورة يحسنون القراءة والكتابة وكل منهم يعرف واجباته الدينية ومنهم نحو مائة وخمسين فقيها عالما ومنهم المرحوم الشيخ محمد حسين المراوى من علماء الجامع الازهر والشيخ العارف بالله ابراهيم المصيلحى نفع الله به المسلمين فلما بلغ سنى ٤ سنوات أرسلنى والدى الى المكتب المذكور . فأقمت فيه ثلاثة أعوام ختمت فيها القرآن وعمرى اذ ذاك ثمانى سنين وبضعة شهور فلما توفى والدى كفلنى أخى الاكبر المرحوم السيد محمد عرابى الذى توفى فى ٢٥ شعبان سنة ١٣١٨ رحمه الله تعالى وأخذت عنه مبادىء علم الحساب وتحسين الخط مع ملاحظه بعض أشغال الزراعة ثم بدا الى المجاورة بالازهر حين بلغت اثنى عشر عاما فكنت أجود القرآن على أقاربى نهاراً وأتوجه الى بيت عمى ليلا وتلقيت شيئا قليلا من الفقه والنحو وبعد سنتين رجعت الى بلدى

(سعيد باشا) وكان المرحوم سعيد باشا عليه سحائب الرحمة والرضوان قد تولى الحكومة الخديوية ١٥ شوال سنة ١٢٧٠ وأمر بدخول أولاد مشايخ البلاد وأقاربهم فى العسكرية فدخلت من ضمنهم وانتظمت فى سلك الاورطة السعيدية المصرية بقناطر فم البحر فى شهر ربيع أول عام ١٢٧١ وجعلت فيها وكيل بلوك أمين من أول يوم صار انتظامى فى سلك العسكرية بعد امتحانى بحضور ابراهيم بك أمير الالاى وحسن أفندى الالفى حكيم الالاى ثم ترقيت الى رتبة بلوك أمين فى شهر رجب من السنة المذكورة بعد اعادة الامتحان الى الطالبين لذلك من غير واسطة أحد غير الجد والاجتهاد

وبعد عام نظرت فرأيت بعض الباشجاويشية المصريين ترقى الى رتبة

الملازم الثانى وعلمت ان البلوك أمين لا يترقى الا الى رتبة الصول قول أغاسى وفيها يفنى عمره . فجزعت من ذلك وذهبت الى أمير الآلاى وطلبت منه ترقيتى فى رتبة جاويش فى أورطة كانت أفرزت لارسالها الى مدينة المنصورة فسألنى الميرالاى المذكور عن سبب ذلك حيث ان راتب الجاويش أقل ١٠ غروش من راتب البلوك أمين وان كانت الرتبتان متساويتين فأفصحت له عما خالج فكرى وانى اذا صرت جاويشا سهل على الحصول على رتبة الباشجاويش ثم الانتقال الى رتبة ضابط . فعجب لذلك الخاطر وأمر فى الحال بجعلى جاويشا فكثت فى هذه الرتبة سنتين وفى تلك المدة حبب الى الاعتزال عن الناس والاشتغال بدراسة القوانين العسكرية مع التدبر فى معانيها حتى أتقنت قانون الداخلية وقوانين تعليم النفر والبلوك والاورطة وبعض فصول من تعليم الآلاى

وفى أوائل عام ١٢٧٤ أمر سعادة راتب باشا بجمع الصف ضباط فاجتمعنا حوله فى فسحة قصر النيل وبلغنا ارادة المرحوم سعيد باشا وقال :

ان افندينا بلغه انكم تقولون فى ما بينكم كيف يصير ترقى الصف ضباط الجدد وتأخير من هو أقدم منهم فى الرتب وأنه أمر أن لا يترقى أحد بعد الآن الا بعد الامتحان علما وعملا فمن فاق أقرانه فى الامتحان ترقى الى الرتبة التى يستحقها ولو لم يلبث فى رتبته الاولى غير شهر واحد فمن أراد منكم الامتحان فليتقدم الى الامام

فعند ذلك تقدمت أمام سعادته وأحجم الآخرون خوفا وهلعا ظنا منهم انه يريد معاقبة من يتظاهر بذلك

ولما كرر عليهم الطلب خرج آخر وآخر حتى بلغ عدد الراغبين فى الامتحان نحو ٣٠ شخصا فصار امتحانهم بحضوره تحت رئاسة المرحوم اسماعيل باشا الفريق فكنت أول فائز فى الامتحان

ثم صار جمع الضباط والصف ضباط بمعرفة سعادة راتب باشا الذى كان وقتئذ أمير الاى وصار طلبى أمام الجميع ووضع فى صدرى نيشان الباشجاويش وأعلن ترقيتى الى هذه الرتبة

وبعد عام أى فى أول عام ١٢٧٥ صار امتحان الباشجاويشية بحضور سعادة

راتب باشا أيضا والمرحوم اسماعيل باشا الفريق فكنت الفائز الاول وترقيت الى رتبة الملازم ثانى التى كنت أدأب فى الحصول عليها منذ البدء

ثم بعد سبعة أشهر صار امتحان الضباط فى القصر العالى فكنت أول فائز فيه وكتب اسمى فى أول الامتحان ولما عرض الجدول على ساكن الجنان سعيد باشا أمر باعادة امتحانى وانتدب لذلك المرحوم سليمان باشا الفرنساوى رئيس رجال العسكرية

فطلبت ثانيا الى الامتحان وكان يوما مشهوداً وبعد الامتحان التمس سليمان باشا المشار اليه خروج الخديوى المرحوم الى ميدان الامام الشافعى رضى الله عنه وهناك يصير امتحانى فى الميدان بأورطة من العساكر بحضرته الخديوية

فسأله الخديوى عما يقصده بذلك فقال انه مستحق لرتبة الميرالاى لأن الذين ترقوا الى هذه الرتبة من المدارس الحربية لم يفوزوا فى أجوبتهم مثله

فقال الخديوى رحمه الله تعالى لا يمكن ذلك

فقال له يحسن اليه على الاقل برتبة بكباشى فأبى عليه ذلك وقال يلزم أن يتدرج فى كل رتبة ليعرف واجباتها وأحسن الى برتبة ملازم أول وأمر باعتبار جدول هذا الامتحان وأن يكون الترقى على مقتضاه بدون تجديد امتحان لمدة مجهولة. وقبل مضى شهرين أحسن على برتبة يوزباشى والتحقت بمعيته

وفى أوائل سنة ١٢٧٦ ترقيت الى رتبة صاغقول أغاسى فى بنى سويف

وبعد العودة الى مصر صار ختان المرحوم الطيب الذكر طوسن باشا النجل الوحيد للمرحوم سعيد باشا فأولم المرحوم الخديوى ولمية شائقة دعى اليها جميع أعضاء العائلة الخديوية فى قبة عظيمة حضرها جميع الضباط والذوات وغيرهم من الاجانب وبعد الطعام انتصب الخديوى رحمه الله تعالى قائما وقال خطبة ارتجالية ذكر فيها « ان من أمعن النظر فى تاريخ بلادنا هذه وتوالى حوادثها المحزنة لا يسعه غير الاسف والتعجب كيف توالت الامم الاجنبية على أهلها وهم يظلمون سكانها كالكلدانيين والفرس قبل الاسلام والترك والاكراد والشركس وغيرهم بعد الاسلام وكلهم يفسدون ولا

يصلحون وانى عزمت على تثقيف ابناء البلاد وتهذيبهم وترقيتهم حتى تكون حكومة البلاد بأيديهم بصفة كونى مصريا منهم وبالله الاستعانة » ـ

فوقع هذا الخطاب على من حضر من غير المصريين وقوع الصواعق وتهلل وجوه المصريين وشكروا ودعوا وانقضت الحفلة

ثم في آخر سنة ١٢٧٦ ترقيت الى رتبة بكباشى وفى أوائل عام ١٢٧٧ أحسن الى برتبة القائمقام الرفيعة كما أحسن بها على السيد محمد باشا النادى وعلى المرحوم راشد باشا راقب الذى استشهد بحرب الحبشة فى عام ١٢٩٣ وعلى المرحوم سليم باشا رفقى الذى صار ناظراً للجهادية قبل الثورة الوطنية . فكنا اربعة قائمقامات اثنين مصريين واثنين شركسيين وكل منا استلم قيادة ألاى بيادة

وفى السنة المذكورة سافرت بمعية المرحوم سعيد باشا الى المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة وأتم السلام برتبة القائمقام كما ذكرتم ذلك فى كتابكم « تاريخ مصر الحديث »

وفى عام ١٢٧٨ رأى سعيد باشا ان الحكومة سقطت فى دين يبلغ مقداره ٦ ملايين جنيه مصرى وذلك يساوى ايراد الحكومة فى ذلك الوقت سنة كاملة تقريبا وكان ذلك المبلغ ثمن أسلحة ومهمات حربية وملبوسات وذخائر عسكرية موصى عليها فى معامل اوربا وردت بعد وفاته رحمه الله تعالى . فأمر برفت جميع الالايات وأبقى أورطة واحدة كان فيها يوزباشى سعادة مصطفى فهمى باشا رئيس النظار الآن وعلى فهمى باشا الذى نفى معنا الى سيلان . وأمر باستيداع الضباط بالمحافظات والمديريات على حسب رغبتهم ومن له بد يتوجه الى بلده ويصرف لهم نصف مرتباتهم فى استيداعهم وأمر أن تضاف مرتباتهم على الاطيان مؤقتا ريثما يتم تسديد الدين . فخص الفدان الواحد ٥٠ فضة أى قرش واحد وربع وقد حصل ذلك فعلا ثم صار بيع الخيول ومأكولات العساكر ومفروشاتها وكانت من البوسطى وغيرها وكذا الفضيات الموجودة فى خزائن الامتعة والمسافرخانات وكذا الفوريقات الموجودة فى جميع القطر المصرى والاطيان المتروكة فى كل المديريات كل ذلك رجاء

تسديد الدين

وفى أوائل عام ١٢٧٩ سافر المرحوم سعيد باشا الى اوروبا لمعالجة نفسه من داء السرطان وكان بمعيته المرحوم محمد على باشا الحكيم المصرى الذى استشهد فى حرب الحبشة عام ١٢٩٣ فصدر أمره الكريم الى قائمقام خديوى فخامة اسماعيل باشا الخديو الاسبق بطلب جميع الضباط المصريين من بلادهم واقامتهم فى قصر النيل ومداومتهم على التدريس فى القوانين العسكرية يقول فيه :

« ان الضباط الوطنيين المترقين من تحت السلاح قد اشتغلوا بملازمة نسائهم وتركوا دروسهم ولو تركناهم على هذا الحال الذى لا يؤول عليهم منه الا الوبال لفقدوا العافية والنظر وصاروا عبرة لمن يعتبر

«وبما اننا نحن الذين ربيناهم ورقيناهم وأظهرناهم فلا يصح لنا تركهم فى هذا الحال الذى ذكرناه فقد اقتضت ارادتنا جمعهم من بلادهم وعدم تمكينهم من نسائهم حتى ولا بالنظر اليهن بالعين . والتشديد عليهم بمداومة التدريس ليلا ونهاراً فى قصر النيل»

وبناء على هذه الارادة صار اجتماعنا فى قصر النيـل

وفى ربيع الاول انتدبت لفرز الصف ضباط فى الوجه القبلى وتعين معى حكيما للفرز المرحوم سالم باشا سالم الحكيم وكان برتبة قائمقام أيضا

وفى ٢٧ رجب من تلك السنة توفى المرحوم سعيد باشا ودفن فى الاسكندرية بالمدفن المجاور لمسجد النبى دانيال عليه السلام بعد عودته من أوربا وجلس على الاريكة الخديوية ابن أخيه اسماعيل باشا الخديو الاسبق وصار ترتيب الالايات فكان ترتيبى قائمقام ٦ جى آلاى بيادة . وأما سعادة نادى باشا فتعين على آلاى جميع ضباطه من المصريين المترقين فى زمن سعيد باشا وأرسل الى السودان

وحاصل الامر انى دخلت العسكرية نفراً بسيطا فى أوائل سنة ١٢٧١ وبلغت رتبة القائمقام فى أواخر عام ١٢٧٧ بجدى واجتهادى وسهر الليل والنهار على حد قول القائل ومن طلب العلى سهر الليالى

ونجح كثير من تلامذتى نجاحا تاما حتى كانوا فى مقدمة الضباط فى الامتحانات العمومية

وكان السبب في هذا الاجتهاد الغريب الذي فاقوا به المتخرجين من المدارس الحربية وكان أغلبهم أميين رغبة سعيد باشا في تقدم ابناء الوطن ومساواتهم لغيرهم كما ذكر ومحبته لهم وانعطافه اليهم ومعاملته للجميع بالعدل والمساواة مع تفقد أحوالهم ومراعاة سيرهم وحسن سلوكهم كأنهم أولاده وكفى بالامر الصادر منه وهو في بلاد أوربا في حقهم المذكور آنفاً برهاناً صادقاً على حسن معاملتهم الوطنيين كأنه كان وصية منه عليهم لمن يخلفه . وهذا هو الذي أوغر علينا صدور اخواننا من الترك والشركس وغيرهم

ولقد قال لي مرة رحمه الله تعالى وأنا برتبة قائمقام ان جميع الناس عادوني حتى أهلي رجالا ونساء بسبب مساواتكم بغيركم فحققوا أملي فيكم فأجبته : « ولكن الله سبحانه وتعالى يرضى عنك والامة المصرية ترضى عنك لمراعاتك للحق والانصاف » هذا وبسبب عدله وقناعته أثرت البلاد في زمنه وأخصبت الارض وانتعشت الامة حتى صار الرجل المزارع الذي يعمل بيده يحصل له فوق عشرين جنيها في السنة وهذا ما حفظ مصر من الافلاس في مدة خلفه الذي بلغ دين الحكومة في زمنه مائة الف الف والف الف جنيه كما هو مدون في بطون الدفاتر

(نشأتي الثانية) ولما تولى الخديوية المرحوم اسماعيل باشا وأمر بانشاء ٦٠ آلايات بيادة كنت قائمقام في الالاي السادس وكان المرحوم خسرو باشا اميرالايا على الالاي الثاني ثم ترقى الى رتبة لواء باشا وكان رحمه الله متعصباً لابناء جنسه تعصباً أعمى وترتب قومندانا على الالاي ٥ و ٦ ولما وجدني وطنياً قحاً عظم عليه وجودي في الالاي وسعى في رفتي من الالاي لأجل اخلاء محلي لترقية أحد أبناء المماليك مصطفى افندي سليم بن سليم بك المشهور بالحجازي

ولاجل هذه الغاية صار يترقب الفرص للايقاع بي الى أن صدر أمر الجهادية بامتحان الضباط لاجل استكمال النقصان وبعد أن صار الامتحان وتحررت الرائض للمستحقين وختم عليها من أرباب الامتحان وكنت من ضمن أعضاء مجلس الامتحان تحت رئاسة الباشا المذكور أرسل لي عريضة أحد الملازمين

اسمه سيد احمد افندى وطلب أخذ ختمى من عريضته والختم على عريضة ضابط آخر من اورطة مصطفى افندى سليم البكباشى لكونه دائما يباشر خدمة منزل البكباشى المذكور . فشق على هذا الامر وتوجهت الى مركز اللواء باشا وأخبرته بأن يعفينى من الختم على عريضة من لا يستحق . فقال لا بد من الختم لأجل خاطر البكباشى المذكور. فقلت ان هذا ظلم لا افعله واذا كنت تراعى خاطر البكباشى فى الظلم فأولى لك أن تراعى رئيسه فى العدل. وذكرته بعاقبة هذا الامر اذا تشكى المظلوم الى ديوان الجهادية وطلب امتحانه مع الآخر كما حصل مثل ذلك فى زمن المرحوم سعيد باشا وصار عزل جميع أعضاء مجلس الامتحان مع رئيسهم بسبب ظلم نفر مستحق رتبة أونباشى وهى ادنى رتب الصف ضباط

ثم ذكرته بعاقبة الظلم غداً بين يدى العزيز الجبار

فحنق لذلك حنقا شديدا وذهب الى ناظر الجهادية المرحوم اسماعيل باشا سليم واخبره انى لا أطيع له أمرا ولا أعبأ بأوامر ديوان الجهادية . وناظر الجهادية عرض الخديوى الاسبق بذلك ثم صدر الامر برفتى من الجهادية بالقول انى قوى الرأس شرس الاخلاق (وما بى والله من شراسة ولكن جبلنى الله سبحانه على حب العدل والانصاف وكره الظلم والاعتساف) فترتب على ذلك رفتى من الخدمة وحرمانى من الثلاثة فدادين التى صدر أمر الخديوى بالاحسان بها على كل من القائمقامات الجهادية عقب مناورة عسكرية حضرها الخديوى وكنت من ضمن من حضرها وكان اصدار ارادة سنية للمديريات بوجه يجرى بتسليم تلك الاطيان الى المنعم بها عليهم

فصدرت ارادة سنية ثانية بتوقيف التسليم فيما يخصنى وقد حصل

ولكن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون فانتقم بعدله ممن ظلم من غير امهال وذلك انه صدر أمر الخديوى فى الاسبوع الذى رفت به الناء الالاى ٥ و ٦ أى اللواء الثالث وأرسل خسرو باشا الى السودان وأصيب حسين باشا الطوبجى بالفالج ومحمد بك امين القبرصلى بالفالج أيضا حتى ماتا وأمين بك رئيس لما لم

بديوان الجهادية انتحر بعد تكبيله فى الحديد وارساله الى السودان وهكذا كل من اشترك فى هذه المظلمة اصيب بقارعة عظيمة

واما مصطفى سليم المذكور فقد رفت أيضا واقام فى بيته مرفوتا نحو عشر سنين حتى اذله الله

واما اسماعيل باشا ناظر الجهادية فانه مات فى حرب كريد ولكن ليس شهيداً بل مات بسبب أكلة من فريك القمح فانعقدت امعاؤه وقضى نحبه وجىء بجثته الى مصر ودفن فيها سامحه الله تعالى

وفى شهر ربيع أول عام ١٢٨٣ عرضت للخديوى بواقعة الحال والتمست انصافه فصدر امره فى ١٦ رمضان عام ١٢٨٣ نمرة ١٦ عرض وهاك صورته :

« ديوان جهادية ناظرى سعادتلو باشا حضرتلرى

٦ جى بيادة سابق قائمقام احمد عرابى بكك اشبو عرضحال منظورم أولدى خطا سنى عفوايتمش اولد يغمدن حاله مناسب خدمة ظهورنده استخدام ايتديرلمسى حقنده ايجابتى اجراء ايلمكز ايجون اشبو أمرم اصدار قلندى »

وحيث ان ناظر الجهادية المذكور كان مساعداً لخسرو باشا كرهت الخدمة فى العسكرية وطلبت احالتى على ديوان المالية

وفى التاريخ المذكور صار تعيينى محافظا على بحر مويس وجزء من البحر الاعظم بمديرية الشرقية زمن فيضان النيل بمعرفة المرحوم اسماعيل باشا صديق

وبعد انقضاء زمن النيل من غير أن يحدث ادنى ضرر فى مديرية الشرقية كما حصل من الغرق بقطع نادر وقطع بطرة وغيرهما ترتبت مأموراً لتشهيل بناء قناطر فم الاسماعيلية بقصر النيل وتشهيل قطع الاحجار فى معامل طرة والدقيقة بالعباسية والجبل الاحمر بالبساتين وشحنتها بالمراكب الى القناطر المذكورة والى سد فم الرياح فى شبرا والى القناطر الخيرية والى جميع مديريات الوجه البحرى وتشهيل مراكب النقل وتفريغها بقناطر الاسماعيلية وسد الرياح فى شبرا وكان عملا شاقا جداً من غير مراعاة الحكومة لأسباب التسهيل . فكنت أنتقل فى كل يوم الى المحلات المذكورة على ظهر فرسي او حمارى حتى جاءت

سنة ١٢٨٥ فانتدبت لتشهيل بناء كبرى قشيشة العظيم بمديرية بني سويف وكبرى الرقة بمديرية الجيزة وكبرى ابو راضى على سكة حديد الفيوم وبعد تمام تلك الاشغال كوفىء غيرى بخمسة آلاف جنيه مصرى ... ثم أحيل على عهدتى تمديد سكة حديد المنيا الى محطة ملوى وبعد نهوها تصادف جعل المرحوم قاسم فتحى ناظر الجهادية وكان يعرف قدر أعمالى واقتدارى فطلبنى وكلفنى الانتظام فى سلك العسكرية ثانية

فأجبته الى ذلك ونرتبت قائمقاماً فى ٣ جى الاى بياده فى اوائل سنة ١٢٨٧ وفى سنة ١٢٨٨ انتقلت الى رئاسة ٢جى الاى بياده ولكن برتبة القائمقام وفى اواخر سنة ١٢٩٠ توجهت بالالاى المذكور برا الى رشيد للاقامة فيها وفى ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٢ انتدبت الى ترتيب عساكر محافظين للقلاع الحجازية من اهالى تلك البلاد وارسال العساكر النظامية المصرية الى مصر فتوجهت اليها وحيدا فريدا على مصاريف نفسى فى اول يوم من شهر رمضان حتى وصلت الى قلعة نخل ورتبت لها العساكر اللازمة للمحافظة عليها وجعلت فيها مكتبا لتعليم ابنائهم القراءة والكتابة ثم ذهبت الى قلاع العقبة والمويلح والوجه واجريت فيها كما اجريت فى قلعة نخل وارسلت العساكر النظامية الى مصر ثم عدت قافلا بحراً الى بندر القصير ثم برا الى قنا وبحرا الى اسيوط وبرا الى مصر

ولما عرضت انتهاء مهمتى على ناظر الجهادية فخامة صاحب الدوله حسين باشا كامل قال لى انى لاعتمادى عليك ووثوقى بك قد عينتك مأموراً للحملة الحبشية فاستعد لذلك بعد عشرة ايام فانتخبت من اعتمد عليهم من الضباط والكتبة وسافرنا جميعا الى مصوع وبعد انتهاء تلك الحرب المشؤومة عدت الى مصر فأمرنى دولة المشار اليه ان اعود الى السويس لتشهيل المحضرين من مصوع وزيلع وارسال الذخائر اللازمة لتلك الجهات بدل المرحوم على غالب باشا حيث أنه تعين مديرا لمديرية الدقهلية فذهبت اليها

وبعد انتهاء تلك المأمورية ايضا عدت الى الالاى الذى بعهدتى برشيد وفى أوائل سنة ١٢٩٦ صدر لنا الامر

بحضور الالايات الموجودة برشيد الى مدينة القاهرة وتسليم الاسلحة والمهمات وارسال العساكر الى بلادهم فحضرنا . وكنا ثلاثة الايات وسلمنا المهمات فى يوم وصولنا وفى اليوم الثانى صباحا ذهبت الى منزل سعادة محمد نادى باشا وكان اميرالاى احد الالايات المحضرة من رشيد حينذاك فما نشعر الا وأحد الضباط اسمه احمد افندى نجم حضر واخبرنا ان تلامذة الحربية وبعض الضباط أحاطوا بالمالية فجاءت العساكر من ١ جى ألاى وضربت عليهم بالسلاح فاندهشنا لهذا الخبر المريع وارسلنا غيره من الضباط ليستكشف الامر ويأتينا بالحقيقة فذهب وعاد واخبرنا بما صار وبعد يومين صار طلبى وطلب نادى باشا بطلب سر تشريفاتى خديو سعادة عبد القادر باشا حلمى فذهبنا اليه فى بيته فأخبرنا ان الخديو بلغه انكما وعلى بك الروبى قد أغريتم التلامذة والضباط على حصر المالية وانه سيجرى تحقيق ذلك فان ثبت هذا عليكم صار مجازاتكم بأشد الجزاء » وصار يهددنا تارة ويعدنا بالسلامة تارة أخرى فأجبناه بقولنا « يا سبحان الله اننا حضرنا أمس من رشيد وكنا مشغولين بتسليم الاسلحة والمهمات بمخازن العسكرية وصرف العساكر الى بلادهم فكيف يتصور اننا نغرى تلامذة الحربية والضباط ونحن لسنا موجودين بالقاهرة ولا كان أحد من ضباط عساكرنا موجوداً فى هذه الحركة اصلا على ان هذا العمل الخارج عن حد التعقل يلزم تدبيره وترتيبه قبل اجرائه بمدة . « فضحك » لانه يعلم ان تلك الحركة كانت بايعاز مقام عال وعمل جاهين باشا جنج لاجل التخلص من نظارة ويلسن المختلطة وايضا صار طلب المرحوم على بك الروبى بطرف مأمور الضبطية محمود سامى باشا البارودى وبلغه تلك التهديدات بعينها والافتراءات الظاهرة فتنصل منها

وبعد ذلك صار تشكيل مجلس عسكرى فوق العادة تحت رئاسة رئيس اركان الحرب اسطون باشا الامريكى وعضوية سعادة افلاطون باشا والمرحوم مرعشلى باشا وجميعهم يعرفون الحقيقة كما يعرفون آباءهم ولكن المسألة خرجت عن مركزها المعين

ثم بعد ذلك صار طلب الضباط

والمتهمين من رتبة بكباشي فما فوقها بسراى عابدين وقام الخديو يطيب خواطرنا ويوعدنا بخير ولكن ...

أمور يضحك السفهاء منها
ويبكي من عواقبها اللبيب

هكذا قلت لسعادة محمد باشا النادى والمرحوم على باشا الروبى المتهمين معى فى مسألة الاحاطة بديوان المالية

وفى ذلك الاجتماع صار جعلنا نحن الثلاثة من ضمن الياوران الذين بمعيته — عجباً والف عجب — ولكن بعد أسبوع انخلع على الروبى من العسكرية وتعين رئيسا لمجلس المنصورة وأبعد نادى باشا بألايه الجديد الى الاسكندرية ثم صار طلبى الى ديوان المالية فذهبت الى ناظرها المرحوم راغب باشا فأخبرنى ان أهالى جرجا وأسيوط ومديريات الوجه القبلى قد انتخبونى أمينا من طرفهم فى تسليم ٧٠٠ الف أردب قمح شعير وفول الى بنك قطاوى وبيحتو اجيون باسكندرية لسداد ماعليهم من الديون — والله يعلم ان الامر غير ذلك وأنا أعلم أيضا .... ومع ذلك توجهت الى الاسكندرية وأديت تلك المأمورية التى حقيقتها سلفة نصف مليون بنتو اخذتها الحكومة لتسديد بعض الاقساط من أرباح الدين المصرى

وفى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ صار خلع المرحوم اسماعيل باشا وتوليه المرحوم توفيق باشا وشاهدت الاحتفال بتوديع الخديو المخلوع حين انزاله فى السفينة من أسكله سكة الحديد منفيا الى بلاد ايطاليا كما أنزل عمه حليم باشا الى بلاد القسطنطينية

* * *

وعلى هذا انتهت مدة ولاية اسماعيل باشا كما علمت ولم أنل منه رتبة ولا نيشانا ولا اختصنى بجارية من جواريه ولا أصبت منه خيراً قط ولا أقسمت على الدفاع عنه كما ذكرتم ولا خدمت بمعيته أصلا ولا انتهرنى أبداً ولا صحت حول سرايه ولاقال عنى ماذكرت ان صوتى أكثر قعقعة أو قرقعة من الطبل وأقل نفعا منه

وقد تحملت مدة ولايته بكل صبر وثبات جأش ومكثت برتبة القائمقام ١٩ سنة وأنا أنظر الى اليوزباشية والملازمين

الذين تحت ادارتى وقد صار بعضهم أمير ألاى وبعضهم أمير لواء وبعضهم أمير الامراء أعنى باشوات وفرقاء وانهمرت عليهم سحب الانعامات والاحسانات فاقتطعوا الاقطاعات الواسعة وأخذوا القصور العالية وأغدقت عليهم الخيرات وهم يعلمون قوتى واستعدادى

ولقد اجتهد صاحب الدولة حسين كامل باشا عم الحضرة الفخيمة الخديوية اذ ذاك فى ترقيتى الى رتبة أمير الاى ولكن لم يقبل منه . أخيراً قال لى « انى بذلت مافى وسعى فى طلب ترقيتك ولكن قيل لى انك من رجال سعيد باشا » فعجبت لذلك وقلت له انى من رجال الوطن وبلدى اسمها هرية رزنة بمديرية الشرقية ولست مملوكا لاحد

فطيب خاطرى ولاطفنى وقال لى « لاتفتر همتك وسأواصل السعى فى انصافك » فشكرت له وخرجت وأنا أشعر بأنى لا أنال خيراً فى مدة أبيه وكنت أتوسم كل خير فى المرحوم توفيق باشا

ولكن من اعتمد على غير الله سبحانه وتعالى اخلا منه لانه سبحانه غيور على عباده المؤمنين

(خاتمة أمرى) ولما تولى المرحوم توفيق باشا مسند الخديوية وحضر الى الاسكندرية احسن على برتبة اميرالاى على الالاى الرابع فتوجهت الى رأس التين وقدمت تشكراتى وامتنانى الى حضرته الكريمة ودعوت له بخير ثم جعلت من ضمن ياوران الخديو ولما صار المرحوم عثمان رفقى باشا الشركسى ناظراً للجهادية فى وزارة مصطفى رياض باشا واستبدوا بالادارة لايسأل كل من النظار عما يفعل فى ادارته واستخفوا بأمر الخديو كل الاستخفاف وخصوصا عثمان رفقى لجهله وعجبه — خيلت له نفسه أن يمنع ترقية المصريين من العسكر العامل فى الالايات والاكتفاء بما يستخرج من المدارس الحربية وصدرت أوامره بذلك

ثم أردفها باحالة عبد العال حلمى بك أميرالاى على ديوان الجهادية ليكون معاونا وكان عمره اذ ذاك أربعين سنة ليس الا ورتب بدله خورشيد نعمان بك من جنسه على الالاى المذكور وكان سنه فوق الستين وهو ضعيف لايقدر على الحركة العسكرية وبرفت أحمد بك

عبدالغفار قائمقام السوارى وترتيب شاكر بك طمازه من جنسه بدله وهو طاعن فى السن ثم ختمت تلك الاوامر وصار قيدها بدفاتر الجهادية

وكنت لا أعلم بشىء من ذلك أصلا وانما دعيت الى وليمة وسماع تلاوة القرآن الشريف بمنزل المرحوم نجم الدين باشا لمناسبة عودته من أداء فريضة الحج الشريف وكان ذلك ليلة ٤ صفر سنة ١٢٩٨ ولما وصلت الى منزل الداعى وجدته غاصا بالذوات العسكرية وغيرهم فجلست بجوار المرحوم نجيب بك هو رجل كردى الاصل وبجانبه المرحوم اسماعيل كامل باشا الفريق وهو شركسى الاصل ولكنه يتظاهر بحب العدل والانصاف فأخبره نجيب بك بما صار وانه نصح ناظر الجهادية بالاعراض عن هذا الاجحاف فلم يصغ لقوله ولهذا فهو ساخط ومضطرب

ثم أوعز اليه أن يخبرنى بما سمع منه فأخبرنى نجيب بك بحقيقة الحال همسا فى أذنى فقلت لاسماعيل باشا كامل:

« أحق هذا ؟» فقال « نعم وأعطيت الاوامر الى الكتبة للاجراء على مقتضاها »

فقلت له « ان تلك لقمة كبيرة لا يقوى ناظر الجهادية عثمان رفقى على هضمها » وبعد تناول طعام المأدبة حضر الى أحد الضباط وأخبرنى بأن كثيراً من الضباط ينتظرونى بمنزلى وفيهم عبد العال بك حلمى وعلى بك فهمي

فأسرعت وهم فى هياج عظيم وقد بلغهم صدور أوامر ناظر الجهادية قبل ارسالها اليهم

فلما رأونى أخبرونى بما سمعته من المرحوم اسماعيل باشا كامل

فقلت لهم « قد سمعت من غيركم فماذا تريدون » فقالوا « انه ليس ذلك فقط بل انه قد كثر اجتماع الشراكسة بمنزل خسرو باشا الفريق صغيراً وكبيراً وهم يتذاكرون فى تاريخ دولة المماليك فى كل ليلة بحضور رفقى باشا ويلعنون حزبك ويقولون قد حان الوقت لرد بضاعتنا وانهم لا يغلبون من قلة وظنوا أنهم قادرون على استخلاص مصر وامتلاكها كما فعل أولئك المماليك » : وقد تحققوا ذلك ممن يوثق بخبره

فقلت لهم « وماذا تريدون اذاً ؟ »

فقالوا انما جئناك لأخذ رأيك فيما دهمنا

من الخطب العظيم »

فقلت لهم « أرى أن تطيبوا نفوسكم وتهدئوا روعكم وتعتمدوا على رؤسائكم وتفوضوا لهم النظر فى مصالحكم وهم ينتخبون لهم رئيساً منهم يثقون به كل الوثوق يطيعون أمره ويحفظونه بمعاضدتكم »

فقالوا كلهم « وقد فوضنا اليك هذا الامر وليس فينا من هو أحق به وأقدر عليه منك » . فقلت لهم « لا . انظروا غيرى وانا اسمع له وأطيع وانصح له جهدى » فقالوا « لا نبغى غيرك ولا نثق الا بك » فقلت « ارجعوا لأنفسكم فان هذا أمر عصيب لا يسع الحكومة الا قتل من يقوم به ويدعو اليه » .

فقالوا « نحن نفديك ونفدى الوطن بأرواحنا »

فقلت لهم « أقسموا لى بذلك » فأقسموا

وفى الحال كتبت عريضة الى دولة رئيس النظار رياض باشا مقتضاها الشكوى من تعصب عثمان رفقى لجنسه والاجحاف بحقوق الوطنيين والتمست فيها تشكيل مجلس نواب من نبهاء الامة المصرية تنفيذا للامر الخديوى الصادر أبان توليته

ثانيا ابلاغ الجيش الى ثمانية عشر الفا تطبيقا لمنطوق الفرمان السلطانى

ثالثا تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للمساواة بين جميع أصناف الموظفين بصرف النظر عن الاجناس والاديان والمذاهب

رابعا تعيين ناظر الجهادية من أبناء البلاد على حسب القوانين العسكرية التى بأيدينا . ثم تلوت العريضة هذه على مسامع الجميع فوافقوا كلهم عليها فأمضيتها بامضائى وختمتها بختمى وختم عليها على بك فهمى أمير الاى الحرس الخديوى وعبد العال أمير الاى السوارى

ولما تم ذلك صار ترتيب ما يلزم لحفظ الذات الخديوية وحفظ أعضاء العائلة الخديوية وحفظ الوزراء والامراء الوطنيين اذا حدث أى حادث من الضباط الشراكسة الطامعين فى التغلب على البلاد مع ترتيب اللازم لحفظ البيوت المالية وبيوت التجار من الاجانب والوطنيين من مطامع الرعاع وحفظنا أيضا من بطش الحكومة اذا أرادت

الايقاع بنا أو رفض الاجتماع على ذلك

وما دعانا الى مجلس نواب للأمة بنظر فى صوالحها ومصالحها الا ما حل بالمرحوم اسماعيل صديق باشا الحائز لرتبة المشيرية التى من لوازمها حفظ صاحبها ولو باستعمال السلاح فى عهد الخديوى الاسبق اسماعيل باشا بسبب كلمة حق قالها وما حل بحضرة السيد حسن موسى العقاد بسبب كلمة عدل أراد بها مساواة الاهالى ، الذين دفعوا للحكومة سبعة عشر مليون ١٧٠٠٠٠٠٠ مليون من الجنيهات المصرية باسم المقابلة و ٥٠٠٠٠٠٠ أخرى باسم السهام ، بالاجانب اصحاب الديون وما حصل لكثير من القتل والخنق فى السجون بغير حق ولا تحقيق بل بمجرد ظلم واجحاف واستعلاء على الناس بالقهر والجبروت عاتأباه النفوس الشريفة. وفى ضحوة الغد ذهبت الى ديوان الداخلية وقدمت العريضة الى دولة رئيس النظار فقال لنا « سأنظر فى هذا الامر وأتكلم مع ناظر الجهادية » وبعد يومين ذهبت الى بيت الرئيس المذكور ومعى الاميران المذكوران فلما تمثلنا بين يديه وسألناه عما تم فى هذا الامر فقال ان هذا الطلب مهلك وهو أشد خطراً من العرض الذى قدمه احمد افندى فنى الذى ارسل بسببه الى السودان» (وتحرير الخبر ان احمد افندى فنى هذا كان كاتبا بديوان المالية وكان طلب المساواة مع خدمة الديوان المذكور لظلم حاق به فكان جزاؤه ارساله الى مقبرة الابرياء من المصريين بالسودان) فأجبته بأننا لم نطلب الا حقا وعدلا وليس فى طلب الحق من خطر على اننا نعتبرك ابا للمصريين فما هذا التعريض وما هذا التهديد ؟ فقال « انه ليس فى البلاد من هو أهل لمجلس النواب » فقلت له « عجبا انك مصرى وباقى النظار مصريون والخديوى أيضا مصرى أتظن ان مصر ولدتكم ثم أعقمت لا بل فيها من العلماء والفضلاء والنبهاء والبلغاء ، وعلى فرض انه ليس فيها من يليق كما ظننت أفلا يمكن انشاء مجلس يستمد معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية وبعد خمسة أعوام يتخرج منها رجال يخدمون الوطن بصائب فكرهم ويعضدون الحكومة فى مشروعاتها الوطنية « فانبهر لذلك وقال

لنا « سننظر بدقة فى طلباتكم هذه » فانصرفت على ذلك

ولما كان يوم غرة ربيع الاول سنة ١٢٩٨ انعقد مجلس تحت رئاسة الخديوى بعابدين حضره جميع الباشوات المستخدمين والمتقاعدين وكلهم من الترك والشراكسة الا قليلا من الاوربيين وقرروا فيه لزوم توقيف الثلاثة أمراء الالايات الذين امضوا على العريضة المتقدمة الذكر ثم اجراء محاكمتهم فى مجلس مخصوص مختلط من رجال الجهادية

فقال رئيس النظار رياض باشا « انى أرى انه اذا صار توقيف المير الايات المذكورين يلزم ايضا توقيف ناظر الجهادية لانه فى عدم توقيفه مثلهم خطراً عظيما وذلك لما رأيته فيهم من الجراءة » فلم يوافق المرحوم الخديوى على ذلك وتعهد ناظر الجهادية المذكور بأنه ضامن لاخذنا بسهولة

وفى الحال دعى المرحوم أحمد خيرى باشا الشركسى وكان مهر دار الحضرة الخديوية وصاحب الرأى النافذ فحضر وتلا بالمجلس بالمذكور أمراً فحواه « ان هؤلاء الثلاثة امراء الايات أحمد عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى مفسدون فى الارض وانه يقتضى توقيفهم من الخدمة ومحاكمتهم على افسادهم ومجازاتهم بأشد أنواع الجزاء فى مجلس عسكرى فوق العادة تحت رئاسة ناظر الجهادية ويكون من أعضائه أسطون باشا رئيس أركان الحرب (وهو امريكى) وناظر المدارس الحربية أرقى باشا (وهو فرنساوى) » « فوقع الخديوى عليه وسلمه الى ناظر الجهادية عثمان رفقى باشا وارفض المجلس بعد ذلك

وفى المساء أرسل ناظر الجهادية لكل منا تذكره يدعونا فيها للحضور الى ديوان الجهادية بقصر النيل فى غد يوم ٢ شوال سنة ١٢٩٨ لنشهد الاحتفال بزفاف شقيقة الحضرة الخديوية المرحومة جميلة هانم وكان وقت زفافها لم يحن بعد فتيقنا أنه يريد خدعتنا والبطش بنا

فالتجأنا الى جانب الحق سبحانه وتعالى واخذنا حذرنا ثم أعددنا مايلزم لنجاتنا اذا اقتضت الحال ذلك

وحين حلول الوقت المعين ذهبنا الى ديوان الجهادية فوجدناه غاصا بجميع الشراكسة من رتبة الفريق الى رتبة

الملازم الثانى وجميع شبانهم بأيديهم الطبنجات ذوات ٦ طلقات مملوءة بالخراطيش وكلهم فى فرح ومرح ولافرح هناك ولازفاف

فلما حضرنا دعينا للحضور أمام مجلس الهلاك فأجبنا طائعين وتلى الامر الخديوى الآنف ذكره ثم أمرنا بتسليم سيوفنا فأطعنا على هذا التسليم ومايعقبه من السجن وهو مخالف للفظ الحاكم بالتوقيف ثم تعين بحضرتنا من يستلم أمرة الالايات وساقونا الى السجن فى قاعة بقصر النيل

فررنا بين صفين من الشراكسة المسلحين وبعد اقفال السجن جاء خسرو باشا وكان رجلا صلفا جاهلا فوقف خارج السجن وقال (ايه زنبيل لى هرفلر) يعنى فلاحين شغالين بالمقاطف . ولما أقفل علينا باب الغرفة قال على فهمى بك احدنا « والله لانجاة لنا من الموت وأولادنا صغار» وجزع جزعا شديداً فأردت تثبيته وقلت له متمثلا بقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكان يظنها لاتفرج

فلا وأبيك ماكان الا هنيهة حتى جاءت أورطتان من آلاى الحرس الخديوى بقيادة الشهم الهمام محمد افندى عبيد البيكباشى وأحدقوا بديون الجهادية ثم أسرع بعض الضباط والصف ضباط وفتحوا الابواب وأخرجونا من السجن وقد فر ناظر الجهادية المشؤوم هاربا وكذا رجال المجلس وغيرهم من المجتمعين

ولما فرج الله علينا أسرعت الى العساكر وحذرتهم وأنذرتهم وقلت لهم « لاتمدوا أيديكم بسوء الى أحد من الجراكسة فانهم موالينا واخواننا استأثروا بأنفسهم علينا ونريد الانصاف والمساواة معهم ليس الا » ثم نظرت فوجدت بجانبى المرحوم اسماعيل كامل باشا أنفت نفسه أن يفر مع الفارين فأخذت بيده وضممته الى صدرى أمام العساكر وقلت هذا جركسى كما تعلمون ولكنه أخى حرام على دمه وماله وعرضه وكذلك غيره من الجراكسة » فانصرفوا بانتظام على بركة الله ثم سرنا جميعا الى قشلاق عابدين وكانت الأورطة الأولى من

الحرس الخديوى حكمدارية البيكباشى المرحوم احمد افندى فرج واقفة أمام سراى الخديوية لحفظها منها عسى أن يطرأ من الامور كما أمرت بذلك من قبل أمير الاى الحرس على فهمى بك

ولما تم وجود عساكر الالاى المذكور أمر أمير الالاى العساكر بحمل أسلحتهم بحركة (سلام دور) وعزفت الموسيقية بالسلام الخديوى ونادوا جميعا «يعيش الخديوى» ثلاثا وذلك كان اشارة واعلانا للقوم بأننا على اخلاصنا للحضرة الخديوية

ثم انهم تشاوروا فيما بينهم فقال اسطون باشا الامريكى هذا عصيان ظاهر والواجب حصر القشلاق المذكور بالطوبجية وألايات البيادة ويطلب من هذا الالاى تسليم الثلاثة أمراء فان أبوا نضرب عليهم المدافع وتمطر عليهم البنادق نارا حامية حتى يضطروا الى التسليم

فاستحسن الجميع ذلك الرأى الامريكى ولكن ابتدره المرحوم اسماعيل كامل باشا المذكور آنفا وقال « انا اعتقد اتفاق جميع أصناف العساكر على رأى واحد فلا يجدى هذا الرأى نفعا »

وفى أثناء مفاوضتهم حضر ألاى السوارى من طرة وانضم الى ألاى الحرس ثم عزفت الموسيقية بالسلام الخديوى وهتفوا جميعا « افندى مزجوق يشا » وأنا العاجز الضعيف كتبت الى وكيل فرنسا السياسى فى مصر الكونت « دورنج » من غير أن يكون لى به ولا بغيره من قناصل الدول الاوربية سابق معرفة ولا مقابلة ألتمس منه مخابرة باقى قناصل الدول عما حصل بيننا وبين حكومتنا من الخلاف وأطلب منهم التوسط فى اصلاح ذات البين

ثم بتنا على ذلك وفى صباح الغد حضر لنا المرحوم احمد خيرى باشا مهر دار الخديوى ومعه محمود سامى باشا ناظر الاوقاف من قبل الخديوى وقالا لنا «ماذا تريدون» فقلنا «العدل والمساواة» قالا « ثم ماذا ؟ » قلنا استبدال ناظر الجهادية برجل وطنى وتشكيل مجلس نواب للامة ينظر فى مصالحها وصوالحها وتعديل قوانين العسكرية وابلاغ الجيش الى ثمانية عشر الفا ونحن على طاعتنا للحضرة الخديوية

فذهبا الى الخديوى ثم رجعا وقال « قد عزل عثمان رفقى فمن الذى تريدونه ناظراً للجهادية » « قلنا الذى يختاره الخديوى من الوطنيين » فذهب وعاد ثانية وقالا « ان الخديوى يقول لكم اختاروا أنتم من ترضونه حتى لايحصل منه مثل ماحصل من عثمان رفقى » فقلنا قد اخترنا هذا محمود سامى باشا وهو من أولاد المماليك الاول ولكنه صدق معنا ولم يقصد الغدر بنا »

ثم صدرت الاوامر الخديوية باعادة كل منا الى آلايه وعزل عثمان رفقى وصار تولية محمود سامى على نظارة الجهادية مع نظارة الاوقاف وأخذ فى سن القوانين العادلة وتعديل القوانين الاصلية وتنقيحها

ثم لما شاعت الاراجيف الكاذبة فى أوربا بخروج العساكر المصرية عن الطاعة حضر من الحكومة العثمانية وفد برئاسة المشير على نظامى باشا وبمعيته أحمد راتب باشا الى الحجاز الآن لتحقيق أمر العصيان فرده الخديوى قائلا ان عساكرى على طاعتى وان ليس ثم عصيان

وبعد ذلك اجتهدت الحكومة فى غدرنا وأخذنا على غرة أو بحيلة من ضروب الحيل ولما لم يوافقها ناظر الجهادية محمود سامى باشا على نواياها صار عزله بتذكرة من رياض باشا رئيس النظار وتشدد عليه بأن لايجتمع بنا ولايقيم بالعاصمة وتعين بدله داود باشا يكن وهو عديل الخديوى ولكنه رجل جاهل أحمق مشؤوم فأسرع باصدار أوامر لايستطاع قبولها فردت اليه ونفرت القلوب منه

فكتبت له فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ بأننا سنحضر بجميع العساكر الموجودين فى القاهرة الى ساحة عابدين لعرض طلباتنا على فخامة الحضرة الفخيمة الخدوية فى الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الجمعة الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وكلفته عرض ذلك على الحضرة الخديوية ثم كتبت الى جميع قناصل الدول بذلك وأعلنتهم بحفظ جميع رعاياهم فلا خوف عليهم ولا على أموالهم

وفى الوقت المعين اجتمعت الآلايات البيادة والسوارى والطوبجية فى رحبة عابدين وكان ماهو مسطر فى

يطون التواريخ وهو اسقاط الوزارة وترتيب مجلس النواب وابلاغ الجيش الى القدر المحدد بالفرمان

وقد حيانا المرحوم الخديوى باجابة تلك الطلبات العادلة

وقد تعرض لنا المستر كوكس قنصل انكلترا بالاسكندرية حين ذاك وهددنا فلم نعبأ بتهديده لاعتمادى على صدق عزيمتى وطهارة ذمتى

ثم صار استدعاء شريف باشا من الاسكندرية وتعيينه رئيسا للوزارة على حسب اختيارنا له وتعيين محمود سامى باشا ناظراً للجهادية ثانية وقد توقف شريف باشا فى القبول ٧ أيام ثم رضى بعد ذلك وصار توظيفى وكيلا للجهادية

وفى تلك النظارة صارت الامتحانات وترقى كثير من الباشوات وأمراء الالايات والقائمقامية وغيرهم من جميع الرتب واستكملت الالات وأنشئت القوانين العادلة وتعدلت الرواتب والماهيات بنسبة كل رتبة الى مادونها وصرف الحقوق الموقوفة من زمن مديد وأنشئ مجلس النواب وجعل رئيسه أبو سلطان باشا وعم العدل واستقامت الامور وحين ذاك عرضت على رتبة لواء (باشا) فرفضتها لئلا يقال انى انما أشتغل لمصلحتى فقط وبقيت فى رتبة الميرالاى مدة وكالتى للجهادية

وأما رفيقاى عبد العال حلمى وعلى فهمى فقد تشرفا برتبة الباشوية الرفيعة

ثم ان مجلس النواب قرر فى لائحته الأساسية أن يكون لهم الحق فى نظر ميزانية الحكومة ومعرفة كيفية ايرادها ومصروفها بشرط عدم الخروج عن دائرة التعهدات الدولية وقانون التصفية فلم يجبهم المرحوم شريف باشا لذلك لانه سامحه الله أخذ رأى السير مالت وكيل انكلترا السياسى فى مصر وقنصل فرنسا أيضا فأشارا عليه بعدم قبول لائحة المجلس فأصر مجلس النواب على الطلب فى تنفيذ لائحتهم فلم يوافقهم وقدم استعفاءه واستعفت هيئة نظارته ثم تشكلت هيئة جديدة وتولى رياستها محمود سامى باشا وجعل من رجالها حسن باشا الشريعى رحمه الله تعالى والمرحوم سليمان باشا أباظة والمرحوم عبد الله باشا فكرى والمرحوم محمود باشا فهمى وسعادة مصطفى باشا فهمى رئيس الوزارة المصرية الآن

وجعلونى أيضا ناظراً للجهادية لاجل اطمئنان خاطر العسكرية الذين لايأمنون غيرى فى ذاك الوقت فقبلت ذلك

ثم أحسن على برتبة لواء باشا من لدن المرحوم الخديوى توفيق باشا وكنت لاأريد ولكن قالوا انه لايليق ان يكون ناظر الجهادية رتبة أميرالاى وفى نظارته اللواءات والفرقاء

فقبلتها للضرورة وشكرت للحضرة الخديوية وقد انتظمت الامور وهدأت الاحوال وصارت العساكر فى آمن من الغدر— ولكن ألحت أوربا على الدولة العلية فأرسلت وفداً مندوبا من طرفها تحت رئاسة المشير المرحوم درويش باشا بتحقيق ما يقال من العصيان فجاء درويش باشا وبحث فى الامر وكتب للحضرة السلطانية بأن العساكر على الطاعة وكذلك كتب المرحوم الخديوى بالحقيقة فأرسلت الحضرة السلطانية الى الحضرة الخديوية أربعمائة نيشان من أنواع مختلفة للاحسان بها على المستحقين من ضباط العساكر وأحسن على بنيشان الدرجة الاولى المجيدى وحضر بوابور مخصوص يحمله سعادة سليم بك ياور الحضرة السلطانية فأبيت استلام النيشان المذكور الا من يد مولاى الخديوى

ثم كتبت تلغرافا الى المابين الهمايونى برفع تشكراتى الخيرية للحضرة المقدسة السلطانية وتشرفت تلغرافيا بقبول تشكراتى لدى جلالة السلطان الاعظم وحصول المحظوظية لدى جلالتـه . كذا قيـل بالتلغراف

وفى شهر مايو سنة ١٨٨٢ جاءت الاساطيل الحربية الانجليزية والفرنساوية الى ثغر الاسكندرية وتقدمت للحكومة المصرية لائحة مشتركة من دولتى فرنسا وانكلترا مجحفة باستقلال الحكومة المصرية وحقوق الدولة العلية وتقدمت منها نسخة للخديوى فرفضها مجلس النظار وقبلها الخـديوى فاستعفت الوزراء من وظائفها

وهاجت الافكار العمومية وطاشت العقول الزكية وجميع مجلس النواب وقناصل الدول حولى كعرف الضبع يطلبون منى حفظ الامن والراحة العمومية فقلت لهـم لاقدرة على ذلك لانى قد استعفيت

فذهب وفد من مجلس النواب وطلب من الخديوى اعادتى الى نظارة الجهادية حفظا للنظام والراحة فصدر الامر الخديوى باعادتى الى النظارة المذكورة ثم دعيت الى الحضرة الفخيمة الخديوية فوجدت عنده جميع قناصل الدول ماعدا وكيل انكلترا السياسى وبحضرته درويش باشا المندوب السلطانى فأخذ على تعهداً بحفظ رعايا الدول الاجنبية وصار اعلان جميع مصالح الحكومة بذلك

وفى ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ حدثت حادثة اسكندرية المشؤومة بتدبير ذوى الغايات لاجل تشويه أعمالى فى نظر اوربا وخدش تعهدى بالحفظ والأمن العمومى فأسرعت بارسال العسكر الى الاسكندرية حتى ملئت شوارعها بالعساكر وانتهت الفتنة التى ابتدأ بها أحد المالطية من التبعة الانجليزية مع أحد حمارة الاسكندرية بايعاز وتعليم

ثم صار الشروع فى تحقيقها فى مجلس مختلط تحت رئاسة ذى الفقار باشا حافظ الثغر ومن الغريب العجيب انه لم يبحث أصلا فى الدماء التى سفكت بل كان البحث قاصراً على معرفة مقدار البضائع التى انتهبها الرعاع ليس الا

وبعد ذلك تشكلت الوزارة بمعرفة الخديوى تحت رئاسة المرحوم الطيب الذكر راغب باشا وكنت من رجالها أيضا ثم انتقل الخديوى ودرويش باشا الى الاسكندرية

وفى يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وردت افادة الى قومندان عساكر الاسكندرية من طرف أميرال الاسطول الأنجليزى يقول فيه انه جارى تهديد العمارة الانجليزية بترميم القلاع والاستحكامات وانه يطلب تخريب القلاع وهدمها بأيدى العساكر المصرية والاضرب الاسكندرية وخرب المدينة ودمرها

فعقد لذلك مجلس تحت رئاسة الخديوى حضره درويش باشا المندوب العثمانى وقدرى بك من رجال الوفد المذكور وجميع النظار وكبار الذوات المتقاعدين وبعد المذاكرة أجمعوا على رفض هذا الطلب والاستعداد للحرب ولكن لايبدأ بها الا بعد اطلاق ثلاث قنابل من الاسطول الانجليزى حتى لا نكون نحن البادئين بالحرب فأعطيت

الاوامر بذلك

وعند اشراق يوم ١٢ يوليو بدأت مراكب الانجليز بالضرب على مدينة الاسكندرية وجميع سواحلها وانتشب القتال بين مصر والحكومة الانجليزية

وأما الاسطول الفرنساوى فاعتزل جانبا كالمتفرج

وضربت الطوابى حتى تهدمت استحكاماتها

وفى أثناء الحرب خرج سكان المدينة مهاجرين منها خوفا وهلعا وفى اليوم الثامن انهزمت العساكر فرجعت الى كفر الدوار واتخذت خطا دفاعيا وتراجع المنهزمون الىّ وفى ١٤ يوليو أرسلت القطار الخديوى لاستحضار الخديوى ومعيته ومن معهمن النظار ولما وصلت القطارات الى سراى الرمل لركوب الحضرة الخديوية ورجوعه الى عاصمة بلاده أبى ان يعود وأسرع فى الذهاب الى رأس التين بعائلته ومن بمعيته وانحاز الى السفن الانجليزية

واستدام الحرب الى أن قدر الله تعالى شأنه الخذلان العظيم فى التل الكبير كما هو معلوم للجميع وتم الامر بنفينا الى جزيرة سيلان وخرجنا من مصر فى يوم ١٩ صفر الخير سنه ١٣٠٠ على قطار مخصوص الى السويس وفى سبعة عشر منه بارحنا الثغر المذكور على مركب انكليزى اسمه «مربوطة» وفى أول شهر ربيع الاول خرجنا من السفينة الى ثغر «كولومب» ومكثنا بها تسع عشرة سنة الى أن تشرفت جزيرة سيلان بزيارة كريم الشيم عظيم الرأفة والحنو الدوق (كرنوال درپورك) ولى عهد الحكومة الانجليزية وتشرفت بزيارة سموه فى مدينة كندى وتفضل على بالسؤال عن حالى وما أقاسيه من تباريح الغربة وذل النفى فقلت لسموه الامبراطورى انى اعتبر تشريف سموه الى هذه الجزيرة وتشريفى باقبال سموه سببا عظيما لانالتى نعمة الحرية والعود الى وطنى العزيز من لدن مولاى الخديوى عباس باشا الثانى

فقال لى وهل تعرفه فقلت نعم وقبلت يد سموه منذ كان فى سن ١٠ أعوام، فوعدنى خيراً فشكرت ودعوت ثم أحسن على بسجارة ملوكية قبلتها أدبا لحفظها تذكارا للطف سموه ولم أحرقها بنار

وفى ٦ صفر الخير سنة ١٣١٩ صدرت الارادة الخديوية بالرخصة فى

بالعود الى مصر والاقامة فيها

انى ارجو من مكارم سمو مولاى الخديو عباس باشا تمام رضاه وقد عرضت لسموه العالى تشكراتى ودعواتى الخيرية الصادرة من صميم الفؤاد واخلاص النية

وقد تفضل حفظه الله سبحانه وتعالى بحملى وعائلتى الى مصر على مصاريف حكومته الخديوية

فأرجو من الله ان يوفقنى لما يحبه ويرضاه

هذا وانى أبرأ الى الله من حولى وقوتى فى كل ماذكرته او فعلته

وأنى يكون للمخلوق العاجز الضعيف مثلى من قوة تدافع بها ارادة اوربا وقوة انكلترة العظمى فضلا عن بطش حكومة مصر القادرة ومواقعة جلالة السلطان الاعظم على الاعلان بعصيانى فى جورنال الجوائب وانحياز حاكم البلاد الى المحارب لنا وانما كان ما كان بقضاء الله وقدره ولاراد لقضاء الله وقدره وليس فيه الا مجرد الكسب الاختيارى الذى أثاب أو أعاقب عليه ولم يخطر ببالى اصلا الاقتداء بالفاتحين والمتغلبين كما ذكرتم ولا بتأليف دولة عربية كما أرجف المرجفون

لانى أرى ذلك ضياعا للاسلام عن بكرة ابيه وخروجا عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله والبرهان على ذلك ارتفاع صوتى بالمحافظة على حياة المرحوم الخديوى السابق كمحافظتى على نفسى بكرة وعشيا مع احترام أعضاء عائلته الكريمة يشهد لى بذلك ماهو واضح بدفتر الاخبار اليومية المحفوظ بالديوان الخديوى وارادته الخديوية الصادرة الى مجلس التحقيق بعد الخذلان العظيم بالتل الكبير وسجننا مع جميع رجال العسكرية وأعيان البلاد وحكامها وعلمائها وقضاتها وتجارها مما هو معلوم لدى الجميع وغنى عن البيان

والله الذى لا اله الا هو فالق الحب وبارىء النسمة انى ماخدمت بذلك دولة انكلترا ولا فرنسا ولا كنت آلة لدولة ما ولا للخديوى الاسبق المرحوم اسماعيل باشا ولا للمرحوم حليم باشا ولا أوصى الى بمساعدة الدولة العلية من عرش عظمتها

وانما كنت اجتهد فى حفظ

استقلال بلادى مع نيل الحرية والعدل والمساواة لأهل بلادى المساكين وانا خادم لهم وناديت سراً واعلانا بتأييدها وتأييد الذات الخديوية

ولكن المقادير الالهية غالبة فانعكست المرئيات وتوالت الصعوبات لنفاذ ماهو كائن فى علمه أزلا سبحانه وتعالى

وانى والله لا أكره شركسيا ولا روميا لذاته وانما اكره الاعمال المغايرة للعدالة والانسانية والآداب الشريفة

واحب العدل والمساواة بين بنى الانسان

والحمد لله اولا وآخراً والشكر لله وللحضرة الفخمة الخديوية التى متحتنى نعمة العود الى وطنى العزيز لاحظى برؤية ذاته الكريمة ورؤية ابناء وطنى الكرام قبل ان افارق هذه الحياة الدنيا والحساب على الله

احمد عرابى الحسينى المصرى

هذا ما كتبه احمد عرابى عن نفسه ولا نتعرض له بمناقشة لان المجال لا يسمح بذلك وكفانا ان نقول ان هذا البيان بقلم ذلك الزعيم نفسه بلال لمن يريد ان يعرف ادوار تلك الحركة

عقب انكسار عرابى فى التل الكبير انفتح الطريق للجيش الانجليزى فاستمر فى تقدمه حتى دخل القاهرة فى سبتمبر سنة (١٨٨٢) م فقضى بذلك على الحركة العرابية وعادت الاعمال الى ماكانت عليه واحتلت انجلترة هذه البلاد احتلالا عسكريا

فى سنة (١٨٩٢) توفى محمد توفيق باشا فخلفه ابنه الاكبر عباس حلمى باشا ففتح السودان فى ايامه وتقوضت دولة الدراويش واتفقت دولة انكلترة مع مصر على ان يكون السودان المصرى شركة بينهما

وفى شهر اغسطس سنة (١٩١٤) هبت الحرب الاوروبية العامة التى اشتركت فيها روسيا وانجلترا وفرنسا واليابان وبلجيكا وسربيا والجبل الاسود ضد المانيا والنمسا فأخذ لهيبها يشتد ويلتقم مايجاورها من الامم فانضمت بلغاريا وتركيا الى المانيا والنمسا وكان عباس الثانى فى مصيفه بالآستانة فلما انقطعت العلاقات بين انجلترا وتركيا رأت الاولى أن تعلن حمايتها على مصر وان تعزل

خديوها وتجعل مصر سلطنة مستقلة تحت حمايتها فاسندت السلطنة الى الامير حسين كامل باشا ولقبته بلقب سلطان فلم يقبل المصريون الحماية ونهضوا تحت قيادة الزعيم الكبير سعد باشا زغلول يطالبون بالاستقلال التام وثبتوا على مالقوه فى سبيل حريتهم من الخطوب الجسام فرأت انجلترة ان تعترف لمصر بحقها فى ذلك فأصدرت تصريحاً رسمياً به فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وتلقب جلالة الملك فؤاد الاول القائم بالامر الآن بلقب ملك وبقيت بينها وبين انجلترة مسائل معلقة ينتظر أن تحل فى مصلحة مصر والله المستعان

(احصاءات عن الشئون المصرية)

ننقل هذه المقتطفات الاحصائية عن الاحصاء السنوى العام الذى تصدره الحكومة

طول الخطوط الحديدية بلغ سنة (١٩١٥) ٤٦٦٣ كيلو متراً منها ٩٩٥ كيلو متراً تابعة لشركة سكك حديد الدلتا و ١٦٦ كيلو متراً سكك حديد الفيوم الضيقة و ١٠٩ سكك حديد الوجه البحرى الضيقة

وبلغ عدد الوابورات ٨٠٦ منها ١٦٠ تابعة لشركة الدلتا و ١٣ لسكك الوجه البحرى الضيقة و ١٩ لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ عدد عربات الركاب ١٤٨٣ منها ٢٦٦ لشركة الدلتا و ٥٤ لسكك الوجه البحرى الضيقة و ٤٧ لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ عدد عربات البضاعة ١٥٩٨٠ منها لشركة الدلتا ١٥٧٢ ولسكك حديد الوجه البحرى الضيقة ٣٠٦ ولسكك حديد الفيوم الضيقة ٢٦٣

وبلغ عدد الركاب ٣٣ مليون و ٢٢٦ الف منهم ٥ مليون و ٣٤ الف على سكك حديد شركة الدلتا و ٧٣١ الف على سكك الوجه البحرى الضيقة و ٦٥٧ الف على سكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ ثقل البضائع المنقولة ٤ مليون و ٨٥٧ الف طن منها ٥٥٢ الف طن على سكك شركة الدلتا و ٦٢ الف على سكك حديد الوجه البحرى الضيقة و ٩٥ الف على سكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغت ايرادات السكك الحديد فى تلك السنة ٢ مليون و ٤١٤ الف جنيه منها ٨٠ الف لشركة الدلتا و ١١ الف لسكك حديد الوجه البحرى الضيقة

و ١٢ لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغت الايردات من جميع الخطوط المصرية ٣ مليون و ٩٦٦ الف جنيه فى سنة ١٩١٥ ـ ١٩١٦ يقابلها ٤ مليون و ١٣١ الف جنيه سنة ١٩١٣ أى قبل الحرب

أما الترامواى فقد زاد عدد ركابه فى سنة (١٩١٥) أربعة ملايين عما كان عليه فى سنة (١٩١٤) وقارب أن يوازى عدد الركاب سنة (١٩١٣)

وبلغت تجارة مصر الخارجية (مجموع الصادرات والواردات) فى سنة (١٩١٥) ٤٦ مليون و ٤٠٠ الف جنيه يقابلها ٥٩ مليون و ٥٠٠ الف فى سنة (١٩١٣) أى قبل الحرب

وبلغت واردات النقود ٢٠ مليون جنيه يقابلها ٣٧ مليون و ٧٠٠ الف جنيه فى سنة (١٩١٣) أى قبل الحرب

وبلغت الصادرات من النقود ٢٧ مليون و ١٨٠ الف جنيه يقابلها فى سنة (١٩١٣) قبل الحرب ٤٢ مليون و ٨٠٠ الف جنيه

بلغ مجموع ما أودع فى صناديق التوفير ٥٤٩ الف جنيه يقابلها ٧٥٠ الف جنيه سنة (١٩١٤)

وورد فى ذلك الاحصاء عن الامة المصرية ما يأتى:

« الامة المصرية على الارجح هى جزء من الاصل الحامى الذى تولد منه أيضا البربر والعرب والاتيوبيون لكن هذه السلالة التى من جنس واحد تغيرت فى مصر محليا فى جهة الشمال بدخول الاجانب وعلى الخصوص من سورية وفى الجنوب بامتزاج ضعيف مع الجنس الاسود والعرب . وقد حافظ المصريون بصفة عجيبة فى مدة الستين قرنا الأخيرة على الصفات الظاهرة الآن على الفلاحين وهذا الثبات كما تقدم القول منسوب لانعزال القطر وعدم تغير جوار أهله الطبيعى

« والنوبيون هم سلالة جنس نشأ عن اختلاط النوع المصرى مع النوع الاسود

« ويوجد عنصر آخر مهم له علاقة بالوطنيين وهو يشمل القبائل الرحالة أو البدو الذى ينقسمون الى فريقين أصليين وهى القبائل التى تتكلم العربية وتسكن صحارى مصر السفلى والمتوسطة ، وقبائل

البيجاوم القاطنون فى الصحراء بين النوبة وساحل البحر الاحمر

« ان أهم موارد ثروة القطر المصرى هى الزراعة التى يشتغل بها ثلاثة أرباع السكان وتربتـه ليست كتربه معظم الاقاليم ناتجة عن تحلل الطبقة الصخرية بل مكونة من طمى مجوف بواسطة النيل من تلال الحبشة وتركت فى أماكن هادئة وتربتها مؤلفة من طين صفيق رمادى اللون يختلف فى طبيعته بين الطين والرمل الناعم وهى موافقة جداً للزراعة وخصبة لدرجة عظيمة وينسب لهذه الحالة مع اعتدال جوها او انتظام الفيضان فيها ظهور التمدن بوادى النيل فى أوائل التاريخ

« وأهم الحاصلات هى القطن والذرة والقمح والارز والفول والشعير والبصل والطماطم والدخن والقصب والبرسيم والبطيخ . وبجوار البلاد الكبيرة تزرع الخضراوات كما انه جار تصدير كميات عظيمة من البصل والطماطم وبها أيضا اشجار كثيرة من الفواكه المشتملة على البلح والبرتقال والموز والتين والعنب والتوت ولكنه لا يوجد فى القطر الا قليل من أشجار الخشب وعلى ذلك يكون اغلب الاخشاب مجلوبا من الخارج

« والحيوانات الاهلية من جلتها الجمال والخيل والحمير والبقر والجاموس والمعز والغنم والمواشى ليست كافية لتوريد ما يلزم من اللحوم للتغذية ولم تزل آخذة فى النقص ولذا تجلب حيوانات الذبح من الخارج بما قيمته مليون جنيه سنويا

« أما الحيوانات الوحشية فقليلة وليست لها أهمية تذكر ومن طيورها المألوفة الغراب والعصفور والصقر والحدأة والسمانى والكاشون والبط وطيور مائية أخرى

« اما السمك فكثير فى النيل وفى البحيرات المنتشرة على ساحل البحر المتوسط

« أما الحشرات الموجودة بها فهى الذباب والنمل والجراد والناموس والبراغيث وقد اتخذت احتياطات فعالة لازالة الحمى الملارية بواسطة ابادة الناموس فى الاسماعيلية وبورسعيد وحلوان وبعض جهات صغيرة

ولا يوجد فى جهات السواحل

الواقعة جنوب وادى النيل معادن تصلح للصناعات خلاف الادوات الخاصة بالبناء التى لم توجد بكمية وافرة

«أما ثروة القطر المعدنية فموجودة فى الجهات الصحراوية اذ انه جار فيها الآن حفر بعض المناجم خلاف مناجم أخرى كثيرة معلوم بوجودها فى أماكن مختلفة كما سيجيء الكلام عن ذلك واذا روعى عظم اتساع تلك الصحارى لقلّت كثيراً بجانبه تلك المناجم المعلوم بوجودها الآن. ومع ذلك فلا يخفى بأن مساحة عظيمة من تلك الصحارى لم تجس للآن وقد يحتمل كثيراً أن يكون بها مناجم أخرى

« أما مواقع المناجم التى اكتشفت للآن فيبعد كثيراً بعضها عن بعض كما وانها بعيدة أيضا عن النيل وهذا هو السبب فى تأخر اتساع صناعة حفر المناجم التى تقدمت فى السنوات الأخيرة تقدما عظيما

« ولما كان المصريون مكرسين أنفسهم للاشتغال بالزراعة فلم يقدم منهم على الاشتغال فى المناجم الموجودة إلا نفر قليل وان أصحاب هذه المناجم والقائمين بادارة أشغالها هم من الاجانب فقط

« وأهم المعادن الخام الجارى استخراجها لاستخدامها فى الصنائع هى أحجار البناء والخزف والجبس والذهب والرصاص والنيكل والزنك والمنغنيس والملح والنطرون ونترات الصودا وزيت البترول والفوسفات وحجر الزيتون والفيروز

« أما محاصيل المحاجر والجبس ونترات الصودا والفيروز فجار البحث لايجاد طريقة لعمل احصائية عنها لأنه لم يعمل للآن عن تلك المحاصيل شيء يعتمد عليه

« ولا يخفى بأنه يوجد أيضا بالقطر خلاف ماذكر مناجم للشبة والنحاس والزمرذ وحجر الجرانيت والحديد والنيكل والكبريت ولكن لم يستخرج منها شيء حتى الآن »

ثم جاء فى الاحصاء بعد ذلك احصاء عن قيمة محاصيل المناجم المصرية فجاء منه أن ايراد مناجم الذهب بلغ ٢٤٤٩١ جنيه فى سنة ١٩١٥ والرصاص بلغت قيمته ١٨٧٢ واستخرج من النيكل ٣٢٢ طونيلاطه واستخرج من الزنك

ماقيمته ١١١٠٦ جنيه ومن نترات الصودا ماثمنه ٤٢٧١ جنيه ومن الفوسفات ماقيمته ٨٢٩٩٨ جنيها ومن زيت البترول ماثمنه ٣٠٠٥٤ جنيها

الحرارة الجوية نهايتها الكبرى فى شهر يناير ١٨ر١ بالاسكندرية و٢٠ر٤ بأسيوط و٢٣ر٧ باسوان و١٩ بالجيزة

وفى فبراير ١٩ر٣ و٢٢ر٩ و٢٦ر٢ و٢١ فى الاولى والثانية والثالثة والربعة من الجهات المذكورة

وفى مارس	٢٠ر٩	و٢٦ر٧	و٣٠ر٣	و٢٣ر٤
وفى ابريل	٢٣ر٦	و٣١ر٩	و ٣	و٢٧ر٩
وفى مايو	٢٦ر١	و٣٥ر٨	و٣٩ر٤	و٣١و٩
وفى يونيه	٢٨	و٣٧ر٤	و٤١ر٩	و٣٤ر٢
وفى يوليه	٣٠ر٢	و٣٧ر٢	و٤١ر٧	و٣٥ر١
وفى اغسطس	٣٠ر٤	و٣٦ر٧	و٤١ر١	و٣٤ر٤
وفى سبتمبر	٢٩ر٤	و٣٣ر٦	و٣٩ر٥	و٣١ر٦
وفى أكتوبر	٢٧ر٥	و٣٠ر٦	و ٣٧	و٢٩ر٤
وفى نوفبر	٢٣ر٩	و٢٦ر٣	و٣٠ر٦	و ٢٥
وفى ديسمبر	٣٠	و٢١ر٨	و٢٥ر٣	و٢٠ر٥

هذه درجة الحرارة التى يصل اليها الجو فى النهاية الكبرى فى الاسكندرية واسيوط واسوان والجيزة . وأما نهايتها الصغرى فى الجهات المذكورة فهى :

فى يناير	١٠ر٣	و٥ر٤	و٩ر٤	و٥ر٦
وفى فبراير	١١ر١	و٦ر٥	و ١١	و٦ر٤
وفى مارس	١٢ر٥	و٩ر٣	و١٣ر٧	و٨ر١
وفى ابريل	١٤ر٧	و١٤ر١	و ١٨	و١١ر٥
وفى مايو	١٧ر٥	و١٨ر٤	و٢٢ر٣	و١٤ر٦
وفى يونيه	٢٠ر٤	و٢١ر٣	و٢٤ر٨	و١٢ر٦

وفى يوليه	٢٢ر٧°	و٢٢ر٤	و٢٥ر٣	و١٩ر٤
وفى اغسطس	٢٣ر٣	و ٢٣	و٢٥ر٤	و ٢٠
وفى سبتمبر	٢٢ر١	و٢٠ر٩	و٢٣ر٢	و١٧ر٨
وفى اكتوبر	٢٠ر٣	و١٧ر٧	و٢٠ر٦	و١٥ر٧
وفى نوفمبر	١٦ر٥	و١١ر٦	و١٥ر٢	و١١ر٧
وفى ديسمبر	١٢ر٤	و٧ر٩	و١١ر١	و٧ر٨

اما متوسط درجة الحرارة فى هذه الجهات الاربع فى الشهور المذكورة فهى

فى يناير	١٣ر٥	و١١ر٦	و١٤ر٨	و١٠ر٩
وفى فبراير	١٤ر٣	و١٣ر٢	و١٦ر٨	و١٢ر٣
وفى مارس	١٥ر٦	و١٦ر٨	و٢٠ر٣	و١٤ر٩
وفى ابريل	١٧ر٨	و٢١ر٩	و٢٠ر٣	و١٤ر٩
وفى مايو	٢٠ر٨	و٢٦ر٢	و٢٩ر٣	و٢٢ر٨
وفى يونيه	٢٣ر٣	و٢٨ر٨	و٣١ر٩	و٢٥ر٤
وفى يوليه	٢٥ر٤	و٢٩ر٣	و٣٢ر٤	و٢٦ر٥
وفى اغسطس	٢٦	و٢٩ر١	و٣٢ر٢	و٢٦ر٣
وفى سبتمبر	٢٤ر٩	و٢٦ر٤	و٣٠ر٣	و٢٤ر١
وفى أكتوبر	٢٣	و٢٣ر٤	و٢٧ر٥	و٢١ر٦
وفى نوفمبر	١٩ر٣	و١٧ر٩	و٢١ر٤	و١٧ر١
وفى ديسمبر	١٥ر٥	و١٣ر٦	و١٦ر٥	و١٢ر٧

أما أعلى درجة من النهاية الكبرى فى الجهات المذكورة فهى :

فى يناير	٢٧ر٢	و٣٠ر٥	و٣٧ر٢	و٢٩ر٨
وفى فبراير	٣٣	و ٣٤	و٣٧ر٥	و٤٠ر٧
وفى مارس	٣٩ر٤	و٤٢ر٥	و٤٣ر٢	و٣٥ر٩
وفى ابريل	٣٩	و ٤٩	و٤٦ر٦	و٤١ر٥

وفى مايو	٤٢	و ٤٦	و٤٧ر٢	و٤٢ر٦
وفى يونيه	٤٤ر٩	و ٤٩	و٥٠ر٠	و٤٥ر٨
وفى يوليه	٣٧	و ٤٥	و٤٧ر٢	و٤١ر٦
وفى اغسطس	٣٥	و٤٢ر٥	و٤٨ر٣	و٣٩ر٢
وفى سبتمبر	٤٠	و٤١ر٥	و٤٨ر٣	و٤٠ر٤
وفى اكتوبر	٣٩ر٩	و٣٩ر٥	و٤٨ر٩	و٤١ر٥
وفى نوفبر	٣٥	و ٣٤	و٤١ر٥	و ٣٧
وفى ديسمبر	٢٩ر٥	و١٣ر٦	و٣٥ر٢	و١٧ر٦

أما أقل درجة من النهاية الصغرى فى الجهات المذكورة فهى:

فى يناير	٤	و٠ر٠	و ر٣	و٢ر٥
وفى فبراير	٣	و٠ر٠	و٣ر٥	و٠ر٥
وفى مارس	٥ر٥	و٢ر٠	و٣ر٩	و١ر٠
وفى ابريل	٩ر٧	و٧ر٠	و ١٠	و ٤
وفى مايو	١٢	و١٠ر٥	و١٤ر٤	و٨ر٣
وفى يونيه	١٦ر٣	و ١٥	و١٩ر٠	و١٢ر٢
وفى يوليه	١٧ر٥	و١٥ر٥	و٢٠ر٦	و ١٥
وفى اغسطس	١٨	و ١٩	و١٧ر٨	و١٦ر١
وفى سبتمبر	١٥ر٧	و١٦ر٥	و١٣ر٣	و١٢ر٥
وفى اكتوبر	١٢ر٢	و١٠ر٥	و١١ر١	و١٠ر٢
وفى نوفبر	٨	و٤ر٥	و ٣	و٤ر٥
وفى ديسمبر	٦	و٠ر٠	و٢ر٥	و٤ر٠

(التعليم فى مصر) جاء فى كتاب الاحصاء الرسمى تحت عنوان (نبذة تاريخية وجيزة عن سير التعليم الرسمى القائمة به الحكومة فى القطر المصرى مايأتى :

« ادخل المرحوم محمد على باشا مؤسس الاسرة الحاكمة للتعليم الحديث بالقطر المصرى نظراً لاحتياجاته الحربية

« وضع التعليم على الطريقة الشرقية فى القطر المصرى منذ سنة (٦٤١) م على الاقل وكان عبارة عن التعليم المشتمل خصوصا على العلوم الدينية والآداب وأول جامع شيده عمرو بن العاص فى مصر القديمة لم يلبث طويلا حتى صار معهداً دينيا مهما. وكان من دأب الامراء المسلمين الذين يولون أمر مصر توطيدا لسلطتهم وتخليدا لذاكرهم أن يشيد كل منهم جامعا من أهم مميزاته وجود مدرسة فيه

ونحو سنة (٩١٠) م أسس القائد الفاطمى جوهر الجامع الازهر الشريف فى القاهرة فحاز أهمية كادت تفوق على أهمية مدينة بغداد التى كانت وقتئذ أم مركز فى العالم للتعليم الاسلامى ولهذه الاهمية كان محطا لرجال علماء فقهاء الدين وجهابذة علماء اللغة العربية من جميع العالم الاسلامى وقد بلغ عدد طلبته فى القرنين الثالث والرابع عشر عشرين الفا

« وفى نحو القرن الخامس عشر انحط شأن هذا المعهد العظيم لما توالى على البلاد الاسلامية من الوهن اما الآن فقد أدخل فيه بعض الاصلاحات الحديثة من جهتى النظام وطريقة التعليم

« وبخلاف هذه المعاهد العلمية الكبرى التى لم يزل باقيا منها خمسة للآن توجد مدارس أخرى معروفة بالمكاتب منها ماهو تابع للجوامع منها ماهو تابع للأسبلة والأضرحة وفى هذه المكاتب كانت تتعلم التلاميذ الكتابة وحفظ القرآن أما اليوم فقد نظمت على حسب الطرق الحديثة بواسطة الاعانات الجارى منحها لها بأن اتسع نطاق التعليم وعين لها مدرسون أكفاء بنسبة حالتها

« أما طريقة التعليم الاوربية الحديثة المتبعة الآن كثيراً فى القطر المصرى فلم تكن مستنبطة من طرق التعليم الشرقى بل هى طريقة مستجلبة اذ أنه لما أسندت ولاية مصر الى المرحوم محمد على باشا سنة ١٨٠٥ وبعد (تخلصه) من المماليك العصاة سنة (١٨١١) عزم على تمكين دعائم سلطانه بانشاء جيش برى وبحرى منتظمين على الطرق الاوربية ولايجاد المستخدمين اللازمين لهذه المصالح الجديدة وادارة دفتها كان محتاجا

والحالة هذه الى رجال غير الذين نشأوا في المعاهد الدينية فشرع في سنة (١٨١٦) ان يرسل الى ليفرن وميلان وفلورنسا وروما وفيما بعد الى انجلترة وفرنسا ابناء المماليك والأتراك ثم اتبعهم بأبناء المصريين لدرس الفنون الحربية والعلوم الهندسية (ملكية وعسكرية) والعمارات البحرية والملاحة والنظام الادارى والطب وخلافه وبعد ذلك ببضع سنين أنشأ في بحر عشر من السنين تقريبا (١٨٢٤—١٨٣٤) عشر مدارس ابتدائية ومدرسة للطب ومدسة للبيادة ومدرسة للسوارى ومدرسة للطوبجية ومدرسة بحرية ومدرسة للطب البيطرى ومدرسة للمهندسين وخلافة

«وفي سنة (١٨٣٦) أنشأ الوالى مجلسا للمعارف وحول ادارة التعليم من نظارة الحربية الى (نظارة معارف عمومية) وفي خلال السنة التالية اوصل مجلس المعارف عدد المدارس الابتدائية الى خمسين ثم انشأ مدرسة ثانوية ومدرسة للزراعة ومدرسة للادارة والمحاسبة ومدرسة للترجمة ومدرسة للفنون والصنائع وجميعها منظم على قدر الامكان على الطرق الفرنسية ولكن درجة نشر التعليم لم تكن مناسبة لدرجة تقدم البلاد نفسها ولذا قضى على عدة مدارس ان توصد أبوابها بعد سنة واحدة الا عددا قليلا جداً من بينها بقى حتى سنة (١٨٤١) ومع ان التلاميذ كانوا يسكنون ويأكلون ويلبسون على نفقة الحكومة تعطى لهم ايضا عادة فما كانوا ليدخلوا المدارس الا مرغمين كما قال يعقوب ارتين باشا في كتابه المسمى «التعليم العام في القطر المصرى»

«وقد تمدت كراهة الفلاح المصرى للخدمة العسكرية الى الدخول في المدارس رغما عن الفوائد التي كانت تعود عليه من قيام الحكومة بالانفاق على ولده لتربيته وتعليمه وقد كان الاهالى يأبون بالاجماع الانتفاع بهذه الفوائد حتى اضطرت الحكومة الى ايجاد نظام اجبارى للدخول في المدارس وبذلك غصت جميع المدارس تقريبا بالتلاميذ الذين أخذوا قهراً من آبائهم ووزعوا عليها على حسب اعمارهم وبنيتهم وهيئتهم وكانت الحكومة حرة في رفت التلاميذ او نقلهم من مدرسة لاخرى او ابقائهم

فيها تبعا لذكائهم وميولهم

« وقد أوجب تنقيص الجيش عند انتهاء وقائع المرحوم محمد علي باشا الحربية والغاء احتكارات الحكومة وقفل معاملها زيادة في عدد الشبان الحائزين على شهادات عالية أكثر بكثير من الوظائف الخالية لهم حتى كان عدد كبير من الموظفين الذين ربتهم الحكومة عالة عليها لعدم استطاعتها الانتفاع بهم ولهذه الاسباب الغى عباس باشا الاول حال جلوسه على العرش سنة (١٨٤٩) جميع المدارس ماعدا المدرسة الحربية

ولما جلس اسماعيل باشا على الاريكة الخديوية سنة (١٨٦٣) اعاد انشاء المدارس على قاعدة أوسع من ذي قبل الا أنه التزم فيما بعد على تخفيض عددها نظراً لكون المصاريف التي كانت تنفق عليها لم تأت بنتيجة في وقت قريب وعلى أثر الارتباكات المالية اضطرت الحكومة الى الاقتصاد في هذا الصدد حتى انه في وقت عزل اسماعيل باشا كانت مصاريف التعليم خفضت الى مبلغ ٢٠ الف جنيه مصري سنويا

« وفي مدة المراقبة الأنجليزية الفرنسية زيد المبلغ المخصص للتعليم الى ٧٠٠٠٠ جنيه مصري وفي سنوات الاحتلال الانجليزي اضطرت الحكومة الى عمل توفيرات عظيمة لاصلاح حالة البلد المالية ولما تحسنت الحالة المالية بعد ذلك رأت الحكومة ان توجه اولا نظرها نحو حاجتها الضرورية ولم يتيسر للمصلحة المالية ايصال مصاريف التعليم الى مبلغ ٩١٠٠٠ جنيه الا في سنة (١٨٩٠) ومن بعد ذلك الحين وخصوصا من ابتداء سنة (١٩٠٤) كانت هذه المصاريف تزاد على الدوام وقد تقدم التعليم بدرجة عظيمة

« وفضلا عن المدارس الاميرية وجد عدد عظيم من المدارس الاهلية ابتدائية وثانوية منظمة تقريبا على نظام المدارس الاميرية وسائرة على انموذج التعليم المتبع فيها وكثير من هذه المدارس ينفق عليها من جمعيات خيرية وهناك أيضا بعض من المدارس خاصة بالنزلاء الاجانب واغلبها تابع للارساليات الدينية أنشيء بعضها في أوسط القرن التاسع عشر

وفي سنة ١٩٠٧ انشأت الحكومة ادارة التعليم الزراعي والصناعي والتجاري وجعلتها تحت مراقبة وزارة المعارف

العمومية سداً للاحتياج العظيم الى صناع ماهرين وبقصد توسيع دائرة التعليم العملي في المستقبل وان دائرة التعليم الزراعي التي اتسع نطاقها آخذ في الازدياد يوماً عن يوم قد نقل مركزها سنة (١٩١٤) الى وزارة الزراعة التي أنشئت في بحر سنة (١٩١٠) وقد وسع نطاق التعليم بالمدارس الثانوية وبمدارس البنات ومدارس المعلمات

«وبمقتضى قانون نمرة ٥٢ الصادر في سنة (١٩١١) منحت مجالس المديريات سلطة واسعة لنشر التعليم الديني ولهذا الغرض رخص لها بفرض ضريبة عقارية اضافية قدرها ٥ في المئة

«وعلاوة على ذلك فان وزارة المعارف تعطى اعانات للمدارس الاهلية الابتدائية والصناعية والثانوية» انتهى

في المدارس المصرية ٥٣٧١٧٠ تلميذاً منهم ٧٩٥٧٣ بنتا وباقيهم أى ٤٥٧٦٩٧ من الذكور منهم مسلمون ٣٩٨٨٦٦ من البنين و ٥١٠٣١ من البنات ومن الاقباط ٣٧٤٣٩ من البنين و ١١١٨٦ من البنات • ومن الارثوذكس ٧٢٢٧ من البنين و ٥٥٥١ من البنات ومن الكاثوليك ٧٢١٧ من البنين و ٦٣٣٨ من البنات ومن البروتستنت ٢٤٠٩ من البنين و ٩٠٤ من البنات. ومن الاسرائيليين ٤٣١٨ من البنين و ٣٨٨٩ من البنات. ومن ديانات أخرى ١٧١ من البنين و ١٧٤ من البنات

في القاهرة	٦٩١	مدرسة فيها	٨٣٥٧١	تلميذ
وفي الاسكندرية	٣٨٦	»	٤٢٩٨٨	»
وفي بور سعيد	٤٦	»	٥٦٦٣	»
وفي الاسماعيلية	١٩	»	١٣٦٩	»
وفي السويس	٢٥	»	١٨٤٤	»
وفي دمياط	٣٨	»	٤٢٥٨	»
وفي مديرية البحيرة	٥٤٤	»	٣٧٠٤٥	»
وفي مديرية الدقهلية	٧٠٤	»	٤٢٩٣٦	»
وفي مديرية الشرقية	٨٢٦	»	٢٣٨٠٣	»

وفى مديرية الغربية	١٢٥١	مدرسة فيها	٧٦٠٧٨	تلميذ
« القليوبية	٤٢٣	«	٢٠٤٣٤	«
« المنوفية	٨٧٧	«	٤٥٠٢٢	«
« أسيوط	٥٥٠	«	٣٢٢٦٢	«
« اسوان	١٥٩	«	٩٨٠٠	«
« الجيزة	٢٩٩	«	١٤٠٧٤	«
« الفيوم	٣٠٨	«	١٣٤٤٤	«
« المنيا	٤٦١	«	٢٢٣١٥	«
« بنى سويف	١١٦	«	٧٥٣٢	«
« جرجا	٤٩٧	«	٢٣٢١٥	«
« قنا	٤٤٢	«	٢١٢٧٩	«

وجاء فى ذلك الاحصاء تحت عنوان (لمحة تاريخية من أعمال مصلحة البريد فى القطر المصرى) مايأتى :

(نظامها الاول) لم يعثر على أثر لاشغال البريد فى القطر المصرى قبل زمن المرحوم محمد على باشا الكبير فقد أنشئت فى عهده ادارة بوستة للمراسلات الاميرية فقط وكان مخصصا لنقلها سعاة مشاة تحت رئاسة رجل يدعى الشيخ عمر حمد من القاهرة ولم تتعد أشغال البريد فى بادىء الأمر حدود القطر المصرى الا انها مالبثت أن امتدت الى السودان حين فتحه سنة (١٨٢١) فاضطرت الحال حينئذ لتعيين سعاة هجانة بها

« ولما كانت الحكومة لاتسمح لسعاتها بنقل خطابات خصوصية نظم الشيخ حسن البديلى من سكان القاهرة بريدا من سعاة خصوصيين لنقل رسائل الجمهور

« ولم توضع وقتئذ تعريفة عن الرسائل التى كانت ترسل بواسطتهم بل كانت كلما اقتضت الحال لنقل رسالة يتساومون على أجرتها

« الا أنه فيما بعد أخذت الحكومة على نفسها نقل خطابات الجمهور المرسلة الى مصر الوسطى ومصر العليا (الصعيد) والسودان ووضعت لذلك رسوما تتفاوت بين ١٠ بارات و ٣٠ بارة أى من ٢ ونصف الى ٧ ونصف مليمات عن الدرهم الواحد وهو يساوى ٣ غرامات وثمن وذلك عن المراسلات التى برسم مصر الوسطى ومن قرش الى ثلاثة قروش أى من ١٠ مليمات الى ٣٠ مليما عن المراسلات التى برسم مصر العليا ومن ثلاثة قروش و ٢٥ بارة الى ستة قروش وخمسة بارة أى ٣٦ مليما وربع المليم الى ٦١ مليما وربع المليم عن الرسائل التى برسم السودان

(أول ادارة بريد نظمت بين الاسكندرية والقاهرة) وفى ذلك الحين أنشأ رجل يسمى كارلوميراتى وأصله من ليفورنو ادارة بريدية على ذمته فى الاسكندرية لتصدير وتسليم الخطابات المتبادلة مع البلدان الاجنبية واستلام الواردة منها فكان يستلم المراسلات من الجمهور ويحملها الى البواخر المسافرة كما انه كان يتوجه لاستلام الخطابات الواردة ويوزعها على أصحابها وبذلك توصل لانشاء مكتب بوستة فى الاسكندرية ولما رأى نجاح عمله هذا أنشأ أيضا فى سنة (١٨٤٣) ادارة منظمة لنقل المراسلات بين الاسكندرية والقاهرة وكان السعاة يقطعون المسافة بين هاتين المدينتين فى ظرف ٢٤ ساعة

(البوستة الاوروبية) وعلى أثر وفاة ميراتى المذكور تولى أولاد اخته اخوان تشينى ادارة البريد وكانت معروفة وقتئذ بالبوستة الاوروبية

« وفى سنة (١٨٤٧) اشتركا مع جاكو مونسى الذى صار فيما بعد مونسى بك وهو أول من عين مديراً للبوستة المصرية

(مكاتب البوستة الاولية) وأول ماافتتح من مكاتب البوستة بعد مكتب الاسكندرية كان فى القاهرة والمطفورشيد فى سنة (١٨٥٤) ومكتب دمنهور وكفر الزيات فى (١٨٥٥) وقت انشاء الخط الحديدى بين الاسكندرية وكفر الزيات وتلا ذلك افتتاح مكاتب طنطا وبنها والبركة فى سنة (١٨٥٦) حين مد خط السكة الحديدية الى القاهرة

(نقل البوستة على قطارات السكك

الحديدية) وما كاد يمتد خط من خطوط السكك الحديدية الا وبادرت ادارة البريد الى ارسال مراسلاتها عليه بدلا من السعاة وذلك مقابل مبلغ كانت تدفعه للحكومة سنويا وبلغ أقصاه فى آخر الامر ٧٨٠ جنيها مصريا وفى سنة (١٨٦٢) رخصت الحكومة بنقل مراسلات البوستة مجانا على قطارات السكك الحديدية كما ان البوستة الاوربية أخذت على نفسها فرز المراسلات الاميرية وارسال مستخدمين من قبلها لمرافقتها بلامقابل

(شراء الحكومة لادارة البوستة)

ولما رأت الحكومة اتساع نطاق أعمال تلك الادارة وأهميتها عزمت منذ سنة (١٨٦٤) على شرائها لجعلها مصلحة عمومية فوسطت محل درفيه وشركائه وعهدت اليه المفاوضة فى ذلك مع اخوان تشيشى وجاكومونسى الذين تنازلوا للحكومة عن ادارة البوستة مقابل مبلغ ٩٥٠٠٠٠ فرنك

« وبناء على ذلك دخلت ادارة البوستة تحت سلطة الحكومة المصرية من أول يناير سنة (١٨٦٥) فصارت مصلحة أميرية وكان عدد مكاتبها وقتئذ ١٩ مكتبا

(سير أعمال البوستة منذ سنة ١٨٦٥)

كانت التسعة عشر مكتبا المنوه عنها تتبادل المراسلات على اختلاف أنواعها وكذلك الخطابات ذات القيمة المقررة وحوالات البوستة وصرر النقود وارساليات الاشياء الثمينه

« وأول ما فكرت فيه المصلحة الجديدة هو تخفيض رسم الخطابات المتداولة فى دائرة الوجه البحرى فجعلته قرشا واحداً أى ١٠ مليمات عن كل سبعة غرامات ونصف

« وفى سنة (١٨٧٨) قررت أن يكون هذا الرسم عينه عن ١٠ غرامات بدلا من ٧ ونصف كما انها خفضت رسم الخطابات المصدرة الى الوجه القبلى من قرشين عن العشرة غرامات الى قرش واحد فأصبح الرسمان متساويين فى الوجهين البحرى والقبلى ثم خفض هذا الرسم أيضا فى سنة (١٨٩٠) الى ٥ مليمات عن كل ١٥ غراما وأصبح الآن ٥ مليمات عن كل ٣٠ غراما وكذا رسم التسجيل فبعد أن كان قرشين عن كل مراسلة خفض الى قرش واحد عن كل ١٥ غراما

ثم جعل الآن قرشا واحداً عن كل ٢٠ غراما وفى سنة (١٩٠٥) خفض هذا الرسم الى ٥ مليمات عن المراسلات المصدرة الى بريطانيا العظمى ومستعمراتها وفى سنة ١٩٠٦ عن المصدرة الى ايطاليا ومستعمراتها ومن أول يولية سنة (١٩١٢) عن المراسلات المتبادلة مع بلاد النمسا

« كانت أشغال البريد مع البلدان الاجنبية فى بادىء الامر قاصرة على تبادل المراسلات ولكن تخليص رسومها لم يكن يخلو من صعوبة وهذه الصعوبة كانت ناشئة عن تحصيل رسمين عن رسالة واحدة رسم مصرى عن الداخل ويلصق عليها بقيمته طوابع بوستة مصرية ورسم اجنبى عن الخارج ويلصق عليها بقيمته أيضاً من طوابع ذلك البلد الاجنبى المصدرة اليه تلك الرسالة وكذلك كانت الحال عند ارسال مراسلات من الخارج الى هذا القطر . ولما كان من الصعب الحصول على الطوابع الاجنبية فمعظم الخطابات المرسلة من والى الخارج كانت تتحصل عليها قيمة الرسوم الباقية مضاعفة فى البلاد المرسلة اليها

« وقد تناقص هذا الضرر تدريجا بفضل الاتفاقات الخصوصية التى عقدتها البوستة المصرية الواحد تلو الآخر مع بلدان أجنبية كثيرة وبمقتضى تلك الاتفاقات أمكن التخليص على المراسلات بطوابع البلد الصادرة منه وقد تلاشى ذلك الضرر كلية بتنفيذ قرارات مؤتمر برن

« عقد المؤتمر الدولى للبريد سنة (١٨٧٤) فى برن فقرر تأسيس اتحاد البوستة العام الذى انتظمت فيه مصر منذ تأسيسه والغاء حسابات الرسوم الخاصة بتبادل المراسلات لأن المحصل عن المراسلات غير خالصة الاجرة كان حقا للبلد الصادرة منه تلك المراسلات وقرر أيضا الغاء الرسوم العالية والخصوصية لكل بلد وصادق على وضع رسوم متساوية لجميع البلدان القابلة باتحاد البوستة العام عن المراسلات التى ترد غير خالصة الاجرة او غير مستكملاتها

وفى مؤتمر البريد المنعقد فى باريس سنة (١٨٧٨) قبلت الحكومة المصرية بأحكام النظام الخاص بتناول الحوالات

الخارجية الا ان مصلحة البوستة المصرية لم تنتظر عقد هذا المؤتمر لتبادل هذه الحوالات بينها وبين بعض البلدان بل عقدت اتفاقا خصوصيا عن ذلك فى سنة (١٨٧٢) مع البوستة الايطالية وفى سنة (١٨٧٤) مع البوستة البريطانية

«وفى سنة (١٨٨٠) قرر مؤتمر باريس تبادل طرود البوستة داخل القطر ومع البلدان الاجنبية

«وفى سنة (١٨٨٥) قرر مؤتمر لشبونة الحوالات التلغرافية والطرود المؤمن عليها والمحول عليها وأشغال التحصيل ودفاتر اثبات الشخصية

«وفى سنة (١٨٩١) قرر مؤتمر فينا طريقة الاشتراك فى الجرائد الخارجية والتأمين على الخطابات والعلب ذات القيمة المقررة والتأمين أيضا على ضرر النقود من الاخطار التى تحدث فى الاحوال القهرية (وذلك بعد أن أقر على مبدأ خلو مصر من مسئولية الاخطار التى تحدث فى الاحوال القهرية اسوة بكثير من البوستات الاجنبية) وتخفيض أقل رسم يؤخذ عن الحوالات الخارجية وقد أجاز المؤتمر المذكور أيضا دفع رسوم طرود البوستة الجمركية وغيرها مقدما فى محل الارسال بدلا من تحصيلها فى البلدان المصدرة اليها الطرود

«فى سنة (١٨٩٨) قرر مؤتمر وشنجتون زيادة أكبر وزن مقرر للعينات وتخفيض رسم الحوالات الخارجية مع اعلاء أقصى القيمة المقررة لها

«وفى سنة (١٩٠٦) قرر مؤتمر روما اعلان وزن الخطابات وتخفيض رسمها وتوسيع المحل المخصص للتحرير فى تذاكر البوستة وقسائم المجاوبة وتخفيض رسم الحوالات ورسم مرور لرساليات البوستة

«قبل أن تصير البوستة فى مصر مصلحة أميرية رأى الاجانب مختلفو التبعيات الذين كان لهم وتتذ فى الشرق أشغال عديدة أن ينشئوا لهم فى القطر مكاتب بوستة خصوصية ولم يبق للآن من جميع تلك المكاتب الا مكتبى البوستة الفرنسية فى الاسكندرية وبور سعيد وأنشىء أولها سنة ١٨٣٦ أما مكتباها فى القاهرة والسويس فألغى الاول سنة ١٨٧٥ والثانى سنة ١٨٨٨ وكذا ألغيت المكاتب الاجنبية الأخرى فنها مكتبا البوستة

الانجليزية فى الاسكندرية والسويس وكان انشاؤها فى سنة (١٨٣١) والغاؤها فى سنة (١٨٨٨) وكذا المكاتب النمساوية واليونانية والايطالية والروسية وكلها فى الاسكندرية فانها أنشئت فى سنوات ١٨٢٨ و ١٨٥٩ و ١٨٦٦ و ١٨٥٧ وألغيت فى سنوات ١٨٨٩ و ١٨٨٢ و ١٨٨٤ و ١٨٨٥

« ورغبة فى ايجاد طرق للمواصلات مع الجهات التى لم تزل محرومة من الخطوط الحديدية أنشأت مصلحة البوستة وابورات لنقل البريد والركاب أيضا فرتبت فى سنة (١٨٦٩) خط وابورات بوستة فى قناة السويس بين بور سعيد والاسماعيلية . وبعد سنة (١٨٨٠) أنشأت خطوطا مثلها فى النيل بين اسيوط وأسوان وبين كفر الزيات والعطف وفى البحر الصغير بين المنصورة والمنزلة وفى بحر شبين وقد ألغيت جميع هذه الخطوط بالتدريج على أثر مد خطوط السكة الحديدية اليها

« أنشئت خطوط البوستة الطوافة فى أول مايو سنة (١٨٨٠)

« فى سنة (١٩٠٥) ابتدىء بتبادل بونات البوستة الانجليزية ما بين القطر المصرى وبريطانيا العظمى والمستعمرات الانجليزية

« ونظراً لما رؤى من فائدة استعمال هذه البونات صدرت بونات مصرية فى يوليه سنة (١٩١٥) للتعامل بها فى داخلية القطر فقط وهى تعرف باسم أذونات البوستة الداخلية

(طوابع البوستة) أصدرت الطوابع الاولى للبوستة المصرية فى سنة (١٨٦٦) وكان صنعها فى مدينة جنوة وفئاتها : ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة و ٢ و ٥ و ١٠ قروش

« تم الاصدار الثانى فى سنة (١٨٦٧) وكان تشغيله فى مطبعة بناسون وفئات طوابعه ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة و ١ و ٢ و ٥ قروش

« والاصدار الثالث فى سنة (١٨٧٢) وجرى تشغيله فى المطبعة الاميرية ببولاق وفئات طوابعه ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة و ١ و ٢ و ٣ ونصف و ٥ قروش

« وفى سنة (١٨٧٤) عمل اصدار اضافى من فئة ٥ بارات (برسم معكوس) و ١٠ و ٢٠ بارة ومن فئة القرش الواحد وفى سنة (١٨٧٩) عدلت قيمة بعض الطوابع من فئة القرشين ونصف السالفة

الذكر وجعل بعضها من فئة خمس بارات والبعض الآخر من فئة عشر بارات بواسطة طبع هذه القيم عليها

«اما الاصدار الرابع فكان فى سنة (١٨٧٩) وعهد بتشغيله الى محل الخواجات ديلارى بلوندرة ولم يزل هذا المحل قائماً بطبع الطوابع المصرية الى الآن وأول طوابع صنعت فيه وجرت تداولها فى سنة (١٨٧٩) كانت من فئات ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة ومن ١ و٢ و٥ قروش

«سنة (١٨٨٤) أصدرت طوابع جديدة بنفسجية رمادية اللون من فئات عشر بارات

«وفى سنة (١٨٨٤) عهد الى المطبعة الاميرية أن تحول مقداراً من الطوابع الى فئة عشرين بارة بواسطة طبع الرقم عشرين بارة عليها وفى تلك السنة صنعت طوابع جديدة فى محل ديلارى من فئة عشرة وعشرين بارة وقرش وخمسة قروش

«وفى سنة (١٨٨٤) أنشئت علامات الاجر المستحقة وجرى استعمالها وهى شكل طوابع بالقيمة المستحقة على المراسلات الغير خالصة الرسوم أو الغير مستكملاتها وهى من فئة عشرة وعشرين بارة وقرش وقرشين وخمسة قروش وكان صنعها بمطبعة بناسون فى الاسكندرية

« وعلى أثر تغيير طريقة العملة المصرية فى سنة (١٨٨٨) عهد الى الخواجا ديلارى طبع طوابع بوستة من فئة مليم ومليمين وخمسة مليمات الجارى استعمالها للآن

« ولتلك المناسبة عهدت المصلحة الى مطبعة بناسون بصنع علامات جديدة للاجر المستحقة من فية مليمين وخمسة مليمات ومن قرش وقرشين وخمسة قروش للمراسلات الغير خالصة الرسوم أو الغير مستكملتها

« وفى سنة (١٨٨٩) أصدر طابع جديد من فية عشرة قروش كما أن علامات الاجرة المستحقة الجديدة من مليمين وأربعة مليمات وقرش وقرشين جرى طبعها فى تلك السنة فى محل ديلارى

«وفى سنة (١٨٩٧) أصدرت طوابع بوستة مصرية مكتوب عليها (سودان) لتستعمل فى بوستة السودان

«وفى سنة (١٨٩٩) أصدرت مصلحة بوستة السودان طوابع خصوصية

لها . وفى شهر مايو سنة (١٨٩٨) حولت علامات الاحمر المستحقة من فئة القرشين الى فئة ثلاث مليمات وذلك بواسطة طبع هذه الفئة فوقها لكى تستعمل على الخطابات غير خالصة الاجرة الواردة من رجال الجيش الموحدين بحامية السودان

«وفى سنة (١٩١٤) أصدرت سلسلة مدموغات جديدة من الطوابع البريدية تتألف من عشرة طوابع مبصوم على كل منها منظر أو أثر مصرى يختلف عن الآخر وذلك بدلا عن منظر أبى الهول والاهرام الذى كان مطبوعا على كافة الطوابع

«وكان عدد الطوابع القديمة تسعة والطابع الزائد الآن هو من فئة ٢٠٠ مليم

«وقد ابتدىء فى بيع الطوابع الجديدة فى يوم ثمانية يناير (١٩١٤) الموافق يوم عيد جلوس الجناب العالى الخديوى السابق عباس باشا حلمي الثانى على الاريكة الخديوية

«أما الرسومات المطبوعة على العشرة طوابع الجديدة فهى :

	فئة	مليم
«	١	سفينة شراعية فى النيل
«	٢	الآلهة ايزيس
«	٣	سراى رأس التين
«	٤	الاهرام
«	٥	أبو الهول من منظر وجهه
«	١٠	تماثيل مدينة طيبة
«	٢٠	بوابة الكرنك
«	٥٠	قلعة القاهرة
«	١٠٠	هيكل أبى سنبل
«	٢٠٠	خزان أسوان

«وهذه الرسومات الجديدة مطبوعة أيضاً على تذاكر البوستة والظروف والحازم

« حجم الطوابع الجديدة ذات فئة عشرين وخمسين ومئة ومائتين مليم أكبر من حجم الفئات الاخرى

(الاشغال البريدية مع السودان) من سنة (١٨٢١) أنشئت مواصلات بريدية مع السودان كما توضح آنفا وكانت تلك المواصلات الى مديرية دارفور وخط الاستواء حين فتحهما فى عهد المرحوم الخديوى اسماعيل باشا

«غير انه لم تفتح مكاتب بوستة فى دنقلة وبربر والخرطوم الا فى سنة

(١٨٧٣)

« وبناء على طلب غردون باشا عند تعيينه حاكما عاماللسودان افتتحت فى سنة (١٨٧٨) مكاتب بوستة فى السلميه وسنار وكرجوع والقضارف وفازوغلو وفاشودة والفاشر والابيض وبهذا العمل امتدت البوستة الى جميع الجهات المهمة

« وفى سنة (١٨٨٣) حين حدوث الثورة فى السودان قطعت العلاقات البريدية فجأة مع القطر المصرى

« أمامكتب الخرطوم فظل مفتوحا حتى سقوط المدينة

« وآخر ارسالية من ارساليات البوستة التى وردت من الخرطوم سافرت منها على الوابور بردين فى ٤ نوفمبر سنة (١٨٨٤) ومما هوجدير بالذكر ان المرحوم جياكمو لامبروزو الذى كان وكيلا لمكتب البوستة هناك منذ انشائه ذبح بأيدى الثائرين وهو محافظ على مركزه فى ذلك المكتب

« وعند استرجاع السودان أنشئت ادارة مؤقتة لاشغال البوستة وكانت تتبع الاعمال أولا بأول كلما تقدم الجيش جهات البلاد وعند وضع النظام الادارى فى ذلك القطر تقرر تثبيت تلك الادارة نهائيا وجعلت مصلحة تحت سلطة حكومة السودان

« ومع ذلك فتعتبر بوستة السودان جزءا من البوستة المصرية فيما يختص بأشغالها الخارجية اذ أن الاخيرة قامت من أول الامر بجميع الاشغال الخارجية والخاصة بالبوستة السودانية

« وبلغ عدد المراسلات التى تبودلت داخل القطر المصرى سنة (١٩١٥) أحد وعشرين مليون و٤٢٥ الف رسالة وكانت سنة (١٩١٣) أى قبل الحرب ٢٦ مليون و ٨٠٢ الف

« وتبودلت بين مصر والخارج ثلاثة عشر مليون و٦٤٦ الف رسالة وكانت قد بلغت سنة (١٩١٣) ستة عشر مليون و ٣٢٥ الف

« ويبلغ عدد ما تبودل من تذاكر البوستة ٩ ملايين و٢٢٤ الف

وبلغ عدد الخطابات المسجلة اربعة مليون و٤٢٣ الف

وبلغ عدد المطبوعات والاوراق التجارية والعينات ٩ ملايين و ٥١٨ الف وكانت بلغت ١٣ مليون و ٨٩

الف فى سنة (١٩١٣)

«وبلغ عدد المراسلات الاميرية ٢٨ مليون و٦٩٥ الف . فبلغت جملة المراسلات الداخلية والخارجية ٧٧مليون و١٣٢ الف وكانت قد بلغت ٨٦ مليون و٩٢٥ الف

« وبلغت قيمة الحوالات العادية ٤ ملايين و٩٠٦ الف و٢١٢ جنيها

و بلغت صرر النقود مليون واحد و٣١٩ الف و٣١٨ جنيها

«وبلغت صرر النقود المرسلة من الحكومة بحوالات بوستة ٣ ملايين و ٤١٤ الف و ٨٢٥ جنيها

« فيكون مجموع قيمة النقود التى تبودلت ٦ ملايين و ٤٢٠ الف و ٣٥٥ جنيها

« وصدر بالبوستة الى البلاد الخارجية ٣٥١ الف و٨٨٨ جنيها . وورد منها ٩٣ الف و ٤٦٣ جنيها

«فيكون جملة ذلك ٤٤٥ الف و٣٥ جنيها

«وبلغ عدد الطرود الداخلية ٤٢٨ الف و ٩١٠ وبلغ عدد الطرود الصادرة الى السودان ٥١ الف و٥٣٤ والوارد منه ٨٢٥٩ . وعدد الطرود التى صدرت من مصر الى الخارج ٢٥٢٨٩٩ والتى وردت اليها ٣٢٢٠٥٧ فيكون مجموع الطرود الداخلية والخارجيه ٩٦٤٧٨٠

« وبلغ أوراق التحصيل الداخلية والخارجية ٣ ملايين و٦١٥٦٧١ جنيها

«(التلغرافات المصرية) جاء فى احصاء سنة ١٩١٥ للحكومة المصرية تحت عنوان مذكرة تاريخيـة عن تلغرافات الحكومة المصرية مايأتى :

« لم توجد أوراق يستدل منها تماما على منشـأ تلغرافات الحـكومة وان ماوجد محفوظا منها هو فقط من بعد سنة (١٨٨٩)

«ويستخلص من الاوراق الموجودة بدفترخانة مصلحة التلغراف ان الخطوط التلغرافية مدت فى الاصل بمعرفة مصلحة السكك الحديدية ولم تنتظم ادارة قائمة بنفسها التلغرافات الا بعد ذلك بكثير

« فى سنة (١٨٥٦) رخص للمستر جيسبورون بأن ينشىء خطوطا تلغرافية تربط الخط الجغرافى البحرى الواصـل من الدردنيل الى الاسـكندرية بالخط الذى كان مصمما على مده بين عدن

والسويس

« ومن هذا التلخيص يعلم ان المواصلات التلغرافية بين القاهرة والاسكندرية كانت موجودة قبل هـذا التاريخ

«وفى سنة(١٨٧٠)بلغ طول الخطوط التلغرافية الجارى تشغيلها بالقطر المصرى ٦٣٢٠ كيلو متراً باقيها ٢١١٠ كيلومترات فى السودان

« كان القطر المصرى بالنظر لتعريفة التلغرافات مقسما الى ثمانية أقسام وكانت تلك التعريفة مقررة على الوجـه الآتى:

« عشرة قروش عن العشرين كلمـة الاولى يزاد عليها خمسة قروش عن كل عشر كلمات أخرى وذلك اذا كانت الاشارة التلغرافية لا ترسل خارجا عن دائرة القسم الصادرة منه ، وعشرون قرشا عن كل اشارة مركبة من عشرين كلمة وترسل من القسم الاول للثانى ، وثلاثون قرشا من القسم الاول للثالث وهكذا الى النهاية بزيادة عشرة قروش عن كل قسم

«وفى السنة نفسها أى سنة(١٨٧٠) أعطى التزام الى شركة التلغراف الانجليزى بمد خطوط تلغرافية بين الاسكندرية والسويس وتكون مختصة بنقل الاشارات الخارجية بين اوربا والشرق ثم فى سنة(١٨٧٤) انتقل هذا الالتزام الى شركة التلغرافات الشرقية التى رخص لها أيضا لمدة خمس سنوات بتوصيل اشارات داخل القطر بين مكاتبها فى الاسكندرية والقاهرة والسويس

«وفى سنة(١٨٧٧)بلغ عدد المكاتب التلغرافية الموجودة بالقطر المصرى والسودان ١٥١ مكتبا موزعة كما يأتى :

الوجه البحرى	٨٦
الوجه القبلى	٤٤
السودان	٢١

«وكان بالوجه البحرى ثمانية وعشرون مكتبا لقبول الاشارات الافرنجية أما الوجه القبلى فلم يكن به مكتب ما لهذا الغرض

« وفى اول ابريل سنة (١٨٧٨) استلمت حكومة السودان الخط التلغرافى القائم قبلى حلفا

«وفى سنة (١٨٧٩) سحب من

شركة التلغرافات الشرقية الامتياز الذى كان معطى لها عن توصيل الاشارات التلغرافية بين مكاتبها داخل القطر

« وفى السنة نفسها حلت دوائر تلغرافية بسيطة محل الدوائر المدنية التى كانت مستعملة وبذلك أمكن الحصول على دائرتين بدلا من واحدة

«ومن اول اكتوبر سنة (١٨٨٤) سلمت خطوط السودان التلغرافيـة الى ادارة تلغراف الجيش الانجليزى

« ومن اول سبتمبر سنة (١٨٨٧) وحدت تعريفة الاشارات الداخلية فجعلت خمسة مليمات عن الكلمة بحيث لاتقـل اجرة الاشارة عن خمسين مليما

«وفى ١٥ مايو سنة (١٨٨٧) أعيد الخط الذى كان تحت ادارة الجيش الانجليزى الى مصلحة التلغرافات المصرية

« ثم فى اول يناير سنة (١٨٩١) وضعت تعريفة اخرى بالطريقة الآتيه وهى :

«٥ مليمات عن كل كلمتين بحيث لا لاتقل اجرة الاشارة عن ٢٠ مليما

«وفى يونيه سنة (١٨٩٦) تقرر أن تكون التعريفة عن الرسائل المستعجلة ثلاثة امثال العادية

« اما خط الطور فقد مدته وزارة الحربية فى سنة (١٨٩٧) ثم ربطته مصلحة التلغرافات بمكتبها بالسويس وتقرر ان تكون الاشارات بهذا الخط ضعف الاجرة العادية

« اما التعريفة عن السودان فتقرر ان تكون من اول يناير سنة ١٩٠٠ كما يأتى :

« ٤٠ مليما عن كل كلمتين او كسورها فى الاشارات المستعجلة
« ١٥ « « « « العادية
« ١٥ « اربع كلمات او كسورها « المستبطأة
« أما الاشارات التى تتجاوز الثمان كلمات فتعريفتها كما يأتى
« ٦٠ مليما عن الاشارات المستعجلة
« ٦٠ « « « العادية
« ٣٠ « « « المستبطأة

« ولا تسلم الاشارات المستبطأة قبل ٤٨ ساعة

« وسنة (١٩٠١) رخص لشركة السكك الحديدية الضيقة بانشاء مكاتب تلغرافية فى المحطات الواقعة على خطوطها الحديدية وأن تتبادل الاشارات مع مصلحة التلغرافات بشروط مخصوصة

« وفى سنة (١٩٠٥) خفضت تعريفة الاشارات التى تصدر الى اوروبا وتقرر فى سنة (١٩٠٦) ان تكون الاشارات المختصة بالجرائد بنصف أجرة بشروط مخصوصة

« وفى سنة (١٩١٠) سلمت وزارة الحربية خط الطور الى مصلحة السكك الحديدية وهذه قررت له التعريفة العادية بدلا من تعريفته الخصوصية

« وفى سنة (١٩١١) أنشىء فى بور سعيد مكتب للتلغراف اللاسلكى لقبول وتوصيل الاشارات المعروفة باسم (راديو تلغراف) الى المراكب فى البحر

« وفى سنة (١٩١٢) حصل تبادل الاشارات المستبطأة بنصف أجرة ما بين القطر المصرى والبلاد الاجنبية الشهيرة بواسطة خطوط شركة التلغراف الشرقية بشرط أن تكون الاشارات المذكورة واضحة المعنى ومحررة باللغة الفرنسية أو باحدى لغات البلاد الصادرة منه أو المصدرة اليه

« وفيما يختص بالخطوط التلغرافية الخاصة بشركة قناة السويس انظر الملاحظة المدونة فى الجزء الثالث من هذا الفصل

« أما النشرات الرسمية التلغرافية فهى :

(١) التقارير السنوية لمصلحة السكك الحديدية المصرية والتلغرافات الاميرية

(٢) دليل التلغراف

« طول الخطوط التلغرافية المصرية (٧٣٤١) كيلو متر وطول الاسلاك (٢٢٤٨١) كيلو متراً . وعدد الآلات التلغرافية (١٣٢) وعدد المكاتب ٤٠٠ وعدد اشارات مصلحة السكك الحديدية والجرائد ٣١٧٤٨١٦

وجاء فى الاحصاء المذكور تحت عنوان (الخطوط التلغرافية) الجارى تشغيلها بمعرفة شركة التلغرافات الشرقية ما يأتى :

« مذكرة تاريخية — بخلاف مكاتب تلغرافات الحكومة يوجد أيضا مكاتب مستقلة لشركة التلغرافات الشرقية ليمتد في القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس وبورسودان وسواكن ومرخص لهذه المكاتب بقبول وارسال اشارات برقية من والى خارج القطر

للشركة المذكورة أسلاك خصوصية غير أسلاك الحكومة تنقل عليها مايرد اليها من الاشارات البرقية الى انحاء القطر ولها أيضا اسلاك بحرية لربط المواصلات البرقية بين القطر المصرى وبلاد الهند وجهات أخرى واقعة على البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط

لا يجوز للشركة أن تستعمل اسلاكها لنقل الاشارات بين جهتين واقعتين فى دائرة القطر المصرى الا فيما عدا الاشارات المتبادلة بين البحرين حيث يمنع اتصالها وجود قناة السويس وبمقتضى ترخيص من الحكومة المصرية مؤرخ ٨ اغسطس سنة (١٨٨٢) واتفاق مبرم بين شركة قناة السويس وشركة التلغرافات الشرقية بتاريخ ١٧ نوفمبر من السنة المذكورة قد تنازلت الشركة الاولى للثانية من حق استعمال خطها الخصوصى الواقع بين السلكين البحريين اللذين أحدهما فى السويس والآخر فى بورسعيد مع ابقاء ذلك الخط ملكا لشركة قناة السويس الذى أنشأته لحساب وأشغال شركة التلغرافات الشرقية وقد اشترط فيما بينهما بأن تقوم هذه الاخيرة بدفع مبلغ قدره ٢٥٠٠٠ فرنك سنويا لشركة قناة السويس مقابل قيامها بحفظ وصيانة ذلك الخط وتكون مدة هذا التنازل مساوية للمدة المرخص بها من الحكومة لشركة التلغرافات الشرقية المذكورة فقد أنشئت فى سنة (١٨٧٤) بانحلال شركتى (بريتش اندرياسوب مارين تلجراف كومبانى) و (انجلومديترانيان تلجراف كومبانى) اللتين كان ترخص لها من الحكومة المصرية بمقتضى عقود فى ٢٧ فبراير سنة (١٨٥٦) و ٧ فبراير سنة (١٨٦٢) و ٨ مارس سنة (١٨٧٠) انشاء وتشغيل خطوط برقية مختلفة فى القطر المصرى وبشروط لا محل لذكرها الآن حيث استبدلت جميعها بشروط أخرى مؤرخة فى ٢٧ ابريل سنة (١٨٧٤)

«وقد قضت أيضا هذه الشروط بتخويل الشركة المذكورة جميع حقوق الالتزامات التي كانت منحت من قبل الى الشركتين باديتي الذكر وذلك لمدة ٣٨ سنة تنتهي في ثمانية مارس سنة ١٩١٢ وقد تعهدت الحكومة عند حلول هذا التاريخ بامتداد مدة الالتزام لعشرين سنة أخرى بشروط يتفق عليها الطرفان وفي حالة عدم اتفاقهما يسوى الخلاف بينهما بواسطة لجنة تحكيم عرفية

«وقد خول للشركة على سبيل المساعدة ذلك الحق الذى كان للشركتين السابقتين وهو التمتع بقبول الاشارات البرقية لداخل القطر لمدة تنتهي في أول مارس سنة (١٨٨٩) فقط

«وقد تقرر أن تدفع الشركة المذكورة للحكومة سنويا مبلغ (١٠٠٠) جنيه انجليزى ويكون للمصالح الاميرية حق الانتفاع بخصم ٥ فى المئة على رسائلها من تعريفة الشركة العمومية

«أما الالتزام المحرر بشأنه عقد ٢٧ ابريل سنة (١٨٧٤) فلا يشمل احتكارا لجانب شركة التلغراف الشرقية بل أن الحكومة حفظت لنفسها الحق على الاخص باعطاء التزامات من هذا القبيل الى شركات اخرى

«ولغاية سنة (١٨٧٤) لم يكن للشركة الا ثلاثة مكاتب فقط كائنة فى القاهرة والاسكندرية والسويس وفى شهر أغسطس سنة (١٨٧٢) ترخص لها كما ذكرنا آنفا بانشاء خط بورسعيد والسويس خصيصا لربط المواصلات بين البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط

«وبتاريخ ١٠ يناير سنة (١٨٧٤) عقد اتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة الانجليزية من جهة وشركة التلغراف الشرقية من جهة أخرى بالترخيص لهذه الاخيرة بانشاء خط برقى بين السويس وسواكن وتكون مدة التزامه مساوية لمدة الالتزامات السابقة وبتخويل الشركة المذكورة أيضا حق الاولوية بالتزام جميع ما يستجد من الخطوط التى يتراءى للحكومتين لزوم انشائها بين القطر المصرى والبلاد الاجنبية . واذا أرادت الحكومة المصرية الغاء هذا الاتفاق عند نهاية مدته فيجب عليها أن تعلن الشركة بذلك قبل انقضاء المدة بستة شهور

وتدفع لها مبلغا قدره مئة وخمسون الف جنيه انجليزى بصفة تعويض وذلك بخلاف الفوائد التى لاتزيد فى أى حال عن مبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه انجليزى عن هذا مع حفظ الحق للشركة المذكورة بابقاء مكتب لها فى سواكن لتبادل الاشارات البرقية مع عدن

« وبمقتضى اتفاق آخر فى التاريخ المذكور رخصت الحكومة للشركة بفتح مكتب تلغرافى فى بورسعيد مقابل دفعها للحكومة مبلغا إضافيا لا يزيد عن ٢٥ سنتيا عن كل كلمة من الاشارات الواردة والصادرة من هذا المكتب ويظل المكتب المذكورة باقيا طالما كان خط الحكومة البرى بين بورسعيد والاسكندرية موجودا

« وباتفاق آخر مؤرخ ١٢ مايو سنة (١٨٩٠) تعهدت الشركة بأن تدفع أيضا للحكومة سنويا مبلغا قدره ٦٧٥٠ جنيها انجليزيا بصفة ايجار الخطوط الممتدة فى أنحاء القطر وذلك لمدة عشر سنوات صار امتدادها فى أول نوفمبر سنة (١٨٩٩) الى ٨ مارس سنة (١٩١٢)

« وبتاريخ سنة (١٩٠٥) عقد اتفاق ابتدائى بين الشركة والحكومة بتخفيض تعريفة الشركة من أول يوليه من السنة المذكورة وعلى أثر هذا التخفيض الموضح نصه فى طلب الاتفاق قد خفض أيضا مبلغ خمسة آلاف جنيه انجليزى من أصل مبلغ ستة آلاف وسبع مئة وخمسين جنيها انجليزيا الذى كان قد تقرر على الشركة دفعه سنويا

« ومن جهة أخرى قد تعهدت الشركة التى جددت مدة التزامها لغاية ٨ مارس سنة (١٩٣٢) بأن تدفع للحكومة سنتيما ونصفا عن كل كلمة تنقلها على الخطوط البرية وكذلك أيضا عن كل كلمة من الاشارات البرقية الواردة أو الصادرة من مكاتب القاهرة والاسكندرية وبور سعيد

« وقد تثبت هذا الاتفاق نهائيا فى عقد ١٣ ابريل سنه (١٩٠٩) والذى بمقتضاه امتدت مدة التزام الشركة لغاية ٢١ نوفمبر سنة (١٩٦٨) « المادة الاولى »

« الخطوط التلغرافية الخاصة بشركة قناة السويس » جاء فى الاحصاء المذكور تحت هذا العنوان مانصه :

« أنشأت الشركة الخطوط التلغرافية

الاول مدة حفر القناة لحاجة أشغالها الخصوصية وهذه الخطوط هى :

(١) الخط من الاسماعيلية الى الزقازيق وهناك يلتقى بأسلاك تلغرافات الحكومة المصرية وقد أنشئت فى سنة (١٨٦٢)

(٢) الخط من الاسماعيلية الى بورسعيد وقد أنشىء فى سنة (١٨٦٣)

(٣) الخط من الاسماعيلية الى السويس وقد أنشىء فى سنة (١٨٦٤)

« ولم يأت اول يوليه سنة (١٨٦٤) الا وكانت ادارة هذه الخطوط سائرة على مايرام وكان عدد مكاتبها التلغرافية وقتئذ عشرة

« اما فى سنة (١٨٦٧) فنظرا لزيادة سكان ذلك البرزخ من جهة ولعدم وجود خطوط تلغرافية هناك للحكومة من جهة أخرى دعت الحال لفتح خطوط الشركة المذكورة للمواصلات العمومية

«وقد وضعت لائحة نص بها عن الاجرة التى يقتضى تحصيلها ومعافاة الاشارات الاميريه منها

« وباتفاق مؤرخ ٢٣ ابريل سنة ١٨٦٩ (المادة الثالثة) تقرر ان تنشىء الحكومة فى تلك المنطقة مكتبا للبوستة وآخر للتلغراف وذلك لخدمة الشركة المذكورة والاهالى مع حفظ الحق للشركة بابقاء خطوطها الخصوصية لاستخدامها فى أشغالها وفى مرور المراكب من القناة

« وحسب نصوص هذا الاتفاق ظلت الشركة سائرة فى اشغالها التلغرافية الى الآن مع استمرارها أيضا على قبول وتوصيل الاشارات الاميرية بدون مقابل

« وقد دلت التجارب فى ذلك الحين على ضرورة فتح خطوط الشركة أيضا لقبول الاشارات الخصوصيه الصادرة والواردة من والى المراكب المارة فى القناة وقد تم ذلك باتفاقين أولها بتاريخ ٢٥ و ٢٧ ابريل سنة (١٨٨٨) والآخر بتاريخ ٢١ ديسمبر سنة (١٨٨٩) وقد خول أول هذين الاتفاقين بأن توصل الشركة خطها بخط الحكومة بين بور توفيق والسويس (المدينة) وخول الثانى وصل خط الشركة بخط الحكومة ايضا فى بور سعيد ونص به على الطريقة التى تتبعها الشركة في توصيل الاشارات البرقية بين المراكب المارة فى القناة وبين خطوط الحكومة كما

نص به ايضا بنوع أخص بأن تحصل الشركة من مصلحة التلغرافات الاميرية قرشا واحداً عن كل اشارة برقية تبلغ بواسطتها

« وقد ظلت الشروط معمولا بها لغاية الآن ولم يطرأ عليها اى تعديل ما

« ولا يفوتنا ان نذكر هنا ماتم الاتفاق عليه بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة (١٨٨٢) بين شركتى قناة السويس والتلغرافات الشرقية مع مصادقة الحكومة عليه وذلك ا. تستخدم الشركة الثانية أسلاك الاولى لاشاراتها الخصوصية التى ترسل رأساً بين السويس وبور سعيد

(التليفون) جاء فى ذلك الاحصاء على التليفون ما نصه :

« وفى ٢٦ يناير سنة (١٨٨١) رخصت الحكومة للخواجه الكسندر جراهم بل بانشاء مواصلات تليفونية فى القاهرة والاسكندرية . وقد تنازل الخواجه المومى اليه فى شهر ابريل من السنة المذكورة عن هذا الترخيص الى شركة التليفونية الشرقية ليمتد بلوندرة (اوريئتال كومبانى لميتد) فنالت هذه الشركة ترخيصا آخر فى ٢٠ يناير سنة (١٨٨٣) بمد أسلاكها فى بور سعيد والاسماعيلية والسويس والزقازيق والمنصورة وطنطا ثم انها تنازلت عن جميع الترخيصات الى شركة التليفون المصرية ليمتد الى مركزها بلوندرة وقائمة اليوم بادارة أشغال التليفون فى القطر المصرى وذلك بمقتضى عقد محرر فى شهر فبراير سنة (١٨٨٥) وبلغ ذلك التنازل للحكومة المصرية فى ١١ منه ومن ثم اخذت اسلاك هذه الشركة فى الانتشار سواء كان فى مكاتبها المفتوحة او بفتح مكاتب جديدة وعلى ذلك فتح مكتب اسيوط فى سنة (١٨٨٩) ثم مكتب الفيوم فى سنة (١٩٠٨) وبعدها مكتبا المنيا وبنى سويف فى سنة (١٩٠٩) ومكتب الاسماعيلية فى سنة (١٩١٢) ومكتب دمنهور فى سنة (١٩١٣) ومكتب كفر الزيات فى سنة (١٩١٤) ولما طلبت الشركة المذكورة من الحكومة بتاريخ ٢٠ اكتوبر سنة (١٨٩١) الترخيص لها بانشاء أسلاك تليفونية جديدة خاصة ببعض الافراد فى داخل القطر رأت الحكومة ان تضع شروطا خصوصية بهذه الاسلاك التى تركب فى جهات خارجية عن الجهات التى نالت

الشركة عنها ترخيصاً خصوصياً

«ومن بين هذه الشرط الخصوصية نذكر أهمها وهى الآتية:

(اولا) حفظت الحكومة لنفسها الحق فى الترخيص او رفض هذه الاسلاك وهى مع ذلك آخذة دائما فى الازدياد

(ثانيا) حددت الحكومة فى اول الامر مدة الالتزام لخمس سنوات يسوغ تجديدها برضاء الشركة لمدة مساوية لها وتقرر فيما بعد ان يكون انتهاء مدد جميع الامتيازات التى منحت وستمنح فى يوم واحد وهو ٣١ ديسمبر سنة (١٩١٧)

(ثالثا) قررت الحكومة ان تدفع لها الشركة مبلغاً قدره عشرون قرشا فى السنة عن كل ميل انجليزى وذلك عن الاسلاك المقامة فى جهات غير الجهات الموجودة فيها مواصلات تلغرافية أو كانت بعيدة بأكثر من كيلو مترين من مكتب تلغراف ، ومبلغ ٥٠ قرشاً فى السنة عن كل ميل انجليزى فى الجهات المرتبطة بمواصلات تلغرافية وكانت المسافة بينها وبين مكتب تلغراف اقل من كيلو مترين

«وفى سنة (١٩٠٠) عقد اتفاق آخر بين الحكومة والشركة بمد المواصلات التليفونية داخل الاقاليم حتى تتيسر المخابرة بين القرى والمراكز التابعة لها أو بين بعضها بعضا وعلى ذلك ابتدأت الشركة بمد هذه المواصلات فى مركزها منيا القمح

« ونظراً لما أتى به هذا المشروع من عظيم الفائدة صار تعميمه فى جملة مراكز أخرى حتى انه لم تنته سنة (١٩١٦) الا وكانت هذه المواصلات منتشرة فى أنحاء جميع المديريات

« وعلى أثر ذلك أبرمت اتفاقات خصوصية بين الحكومة والشركة عن العدد التليفونية التى توضع فى مصالح الحكومة وآخر هذه الاتفاقات كان فى اول يناير سنة (١٨٩٩) ولمدة خمس وعشرين سنة . هذا وانا لاناألوا جهداً فى موافاة القراء بالاتفاقات العديدة المبرمة بين الحكومة والشركة عن وضع مواصلات جديدة

« ومن الجداول الآتية يعلم مقدار امتداد الخطوط التليفونية داخل القطر

« أما الاسلاك التى فى الاقاليم فتقوم الحكومة بانشائها وصيانتها وعلى

الشركة ادارة تشغيلها بمعرفتها وحدها وتحت مسئوليتها وبشروط مختلفة وأما بعض الخطوط مثل الخط الواصل بين القاهرة والاسكندرية فتدفع الشركة عنها ايجاراً سنويا قدره ثلاثة جنيهات مصرية عن كل كيلو متر واحد منها وفى غيرها من الخطوط الاخرى تقاسم الحكومة الشركة بنسبة ١٠ فى المئة من اجمالى ايراداتها وتستولى ايضا بضمان الشركة على اجرة سنوية مقررة بحسب طول الخطوط

«بلغ مجموع الخطوط التليفونية التى تحت الارض فى المدن ٣٩ الف و ٨٦٤ كيلو متراً . ومجموع الخطوط الهوائية ٤٢ الف و٧٥ كيلو متراً فيكون مجموعها ٨٤ الف و٢٨٤ كيلو متراً

« وهناك خطوط لخدمة الحكومة والافراد والمكاتب العمومية يبلغ طولها ١٨ الف و ٤١٠ كيلو مترات

«وقد بلغ مجموع ايرادهذه الخطوط ١٧٨ الف و٤٠٣ جنيهات وبلغت نفقاتها ١١٠ آلاف و٥٣٦ جنيها

(الحجاج) وورد فى الاحصاء المذكور بيان عدد الحجاج الذين مروا بالسويس فى عدة سنين فنختار سنة (١٩١٣) لأنها كانت قبل سنة الحرب مباشرة فهى أدل على حقيقة المدد العادى من السنين التالية

« كان عدد الجزائرين ٢٩٢٢ والمصريين ١٤٥١٤ والمراكشيين ١٥٩ والعثمانيين ١٣٢٠ والاعجام ٢٠٥٦ والروسيين ١٤١٧ والتونسيين ١٤٠٥ وغيرهم ٦٣٣

(قناة السويس) جاء فى الاحصاء الرسمى تحت هذا العنوان مانصه :

« ان اول مشروع درس فى العصور الاخيرة لحفر قناة تصل البحر الابيض المتوسط بالبحر الاحمر منتسب الى زمن الحملة الفرنسية سنة (١٧٩٨) حينما قدم المهندس (لبير) الى الجنرال بونابرت سنة (١٨٠٠) مشروعه الخاص بحفر قناة ذات بوابات تنفصل عن النيل بقرب الزقازيق متجهة شمالا نحو بلوز وجنوبا نحو السويس

« ولكن المشروع الذى تم بحفر القناة فى برزخ السويس راجع الى فرديناند دولسبس مدة اقامته فى مصر بصفة معتمد دولة فرنسا السياسى فى القطر (١٨٣١ — ١٨٣٨) فانه بين مشروعه فى تقرير كان

فى النية رفعه الى المغفور له عباس باشا الاول لولا العلم بأن الوالى كان مضاداً لكل مشروع من هذا القبيل سنة (١٨٥٢)

« وفى ٣٠ نوفبر سنة (١٨٥٤) بعد محادثات جرت بين المغفور له سعيد باشا وفرديناند دولسبس اعطى الاول للثانى امتياز حفر القناة واستثمارها لمدة مئة سنة ابتداء من تاريخ فتح القناة للملاحة وستنتهى هذه المدة فى شهر نوفبر سنة (١٩١٧) وتصبح القناة فى ذاك الوقت ملكا للحكومة المصرية . وقد سعت شركة القناة فى سنة (١٩١٠) فى اطالة مدة الامتياز ٤٠ سنة ولكن بلا فائدة

« وأتم دولسبس درس مشروعه فى المدة من سنة (١٨٥٤) الى (١٨٥٨) بمعاونة المهندسين الفرنسيين لينان وموجيل اللذين كانا فى خدمة الوالى وقدم سعيد باشا المشروع الى لجنة فنية دولية أقرته بعد زيارة البرزخ أول يناير سنة (١٨٥٤)

« وفى ١٠ ديسمبر سنة (١٨٥٨) تألفت شركة قناه السويس العمومية برأس مال قدره مئتا مليون من الفرنكات وابتدأت عملية الحفر فى ٢٥ ابريل سنة (١٨٥٩) واحتفل بافتتاح القناه فى ٧ نوفبر سنة (١٨٦٩)

« أما قناة السويس فعبارة عن طريق للملاحة خال من البوابات يصل البحرين الاحمر والمتوسط طوله (١٦٤) كيلو متراً بما فى ذلك بواغيز الموانى

« وبلغ عمق القناة تحت سطح الماء ثمانية امتار بعد تمام عمليات الحفر الاولى بعرض ٢٢ متراً فى قاعها

ومن ثم أجريت أشغال مهمة لتحسين القناة وتنظيمها حتى بلغ عمقها الحالى عشرة أمتار و نصف على الاقل واقل عرض لقاعها ٤٥ متراً أما النهاية العظمى لعمق الماء المسموح للمراكب التى تجتاز القناة الدخول فيه فهى ثلاثون قدما انجليزيا أى تسعة أمتار و ١٤ سنتيا

« وقد شرع فى ادخال تحسينات جديدة بها ليبلغ عمق القناة ١٢ مترا وعرضها فى القاع ٦٠ مترا في الجزء الواقع بين البحيرة الكبرى والسويس وتقرر أيضا انشاء محطات بحرية يكون فيها عرض قناة السويس ستون مترا وطولها ثمان مئه متر وذلك كل عشرة كيلو مترات فى الجزء الواقع بين بور سعيد والبحيرة المذكورة

« ولتسهيل الملاحة ليلا ونهاراً وضعت عوامات لارشاد السفن طول القناة وعلى شاطئيها مرابط السفن عند تقابلها لانه ماعدا فى بعض الاحوال عند تقابل سفينتين يجب على احداهما ان ترسو لتمر الاخرى

«أنشئت كذلك محطات للاشارات كل عشرة كيلو مترات لملاحظة السفن فى سيرها واعطائها التعليمات اللازمة لاجتياز القناة وتصل سلوك التلغراف والتليفون . هذه المحطات ببور سعيد والاسماعيلية والسويس

« ولشركة القناة أسطول من البواخر الخاصة لسحب السفن التى تجنح على الشاطىء وهى معدة ايضاً لمعاونة السفن التى يتسرب الماء اليها أو التى تشب النار فيها

(تعريفة رسوم اجتياز القناة) تضمن عقد امتياز حفر القناة اعطاء الشركة حق فرض رسم لايتعدى العشرة فرنكات على كل طن من اجمالى حمولة المراكب ولكن الشركة كانت تحصل هذا الرسم عن كل طن من صافى الحمولة الرسمية المقيدة بدفاتر المركب وحددت النهاية الكبرى لعمق حجم السفينة فى الماء الى سبعة امتار ونصف

« فرضت الشركة الرسم المنوه عنه سابقا على اجمالى الحملة الرسمية

« ومبلغ الرسم المقرر الآن عن كل راكب عشرة فرنكات وعن كل ولد بالغ من العمر ٣ الى ١٢ سنة ونصف هذه القيمة أما الاولاد الذين لايتجاوز أعمارهم الثلاث سنين فلا يدفع عنهم رسم ما

« والمدة التى تستغرقها المراكب فى اجتياز القناة ١٦ ساعة تقريبا

(المجالس البلدية والمحلية) وجاء فى الاحصاء المذكور تحت هذا العنوان مانصه :

« تنقسم الادارات البلدية فى القطر المصرى الى ثلاثة أنواع مختلفة

(ا) مجلس بلدى الاسكندرية

(ب) المجالس البلدية المختلفة أو البلديات

(ج) المجالس المحلية العادية

(مجلس بلدى الاسكندرية) يرجع تأسيس مجلس بلدى الاسكندريه الى لجنة من أعيان المدينة الذين كانوا أعضاء قومسيون الدائرة البلدية الملغاة . ذلك

القومسيون المؤقت الذى كان مكلفا بانشاء وتنظيم الطرق بواسطة ضرائب اختيارية وقد انتهى فى ١٥ مارس سنة (١٨٨٩)

« ففى شهر يوليه سنة (١٨٧٢) قدمت اللجنة المشار اليها عريضة الى وكلاء الدول ضمنتها مشروع المجلس البلدى وفى ٥ يناير سنة (١٨٩٠) صدر الامر العالى بتشكيل قومسيون المجلس بلدى الاسكندرية

« ومن ذلك الحين لم يدخل على نظامه تعديل ما

« يشكل المجلس من ٢٨ عضواً كالآتى وهم :

« ستة أعضاء قانونيين وهم محافظ الاسكندرية او وكيله والنائب العمومى لدى المحاكم المختلطة ومدير عموم الجمارك أو وكيله ، ورئيس النيابة أمام محكمة الاسكندرية الاهلية او وكيله والطبيب الشاغل فى الاسكندرية أرقى وظيفة بين مستخدمى مصلحة الصحة العمومية ، والمهندس الشاغل فى الاسكندرية ارقى وظيفة بين مستخدمى وزارة الاشغال العمومية

« ثمانية أعضاء يعينون من قبل الحكومة

« ستة أعضاء منتخبون بمعرفة الناخبين الذين لا يقل سنهم عن خمس وعشرين سنة ولا تنقص قيمة ما يدفعه كل منهم عن خمسة وسبعين جنيها مصريا ايجار مسكن سنويا

« ثلاثة أعضاء منتخبون بواسطة تجار الصادرات

« ثلاثة اعضاء منتخبون بواسطة تجار الواردات

« عضوان ينتخبان بمعرفة ذوى الاملاك الكائنة بمدينة الاسكندرية وضواحيها

« هذا ولا يجوز أن يعين فى القومسيون البلدى أكثر من ثلاثة أعضاء منتخبين من جنسية واحدة سواء أكانت مصرية أم أجنبية

« كانت ايرادات المجلس البلدى للاسكندرية فى سنة (١٨٩٠) ٥٤٩١٠ جنيهات فبلغت فى سنة (١٩١٥ — ١٩١٦) ٣٧٧٦٢ جنيها

(المجالس المحلية المختلطة والبلديات)

ان المجالس المحلية المختلطة أو البلديات

لا تختلف عن مجلس بلدى الاسكندرية الا فى مسألة جوهرية واحدة وهى كون الضرائب البلدية فى هذه المجالس غير مصادق عليها من الدول وبذا فانها لا تسرى على الاجانب بمجرد صدور لوائح مصرية بها

« فتشكيل البلديات على هذه الصفة يستدعى حينئذ ان يقبل السكان مقدما بالضرائب التى تقدمها تلك البلديات لاصلاح المدينة والسكان الذين يقبلون أن يكونوا الهيئة الناخبة ويلزمون بدفع تلك الضرائب

« والمبدأ الذى عليه تشكيل البلديات هو ان يكون عدد اعضائها احد عشر ثلاثة منهم أعضاء قانونيين وهم المدير بصفة رئيس ومفتش الصحة ومفتش المدن والمبانى بالمديرية وأربعة أعضاء وطنيين ينتخبهم الوطنيون وأربعة أعضاء أوروبيين ينتخبهم الاوروبيون بحيث لا يجوز تعيين أكثر من اثنين من جنسية واحدة

أما ايرادات هذه البلديات فتكون من الانواع الآتية:

(١) اعانات من الحكومة

(٢) الضرائب المتنازلة عنها الحكومة مثل عوائد الذبح ورسوم أشغال الطريق العمومى والتنظيم

(٣) الضرائب الاختيارية التى قبل السكان تقريرها على المحصولات الصادرة من والى المدينة وكذا المبانى وغيرها

(٤) الارباحات الناتجة من مد مواسير المياه والنور

« وقياما بدفع المصاريف الخاصة بمد هذه المواسير تقترض البلديات من الحكومة مبالغ تسددها على أقساط سنوية قدرها خمسة فى المئة من قيمة القرض يخصم منها اثنان ونصف لحساب الفائدة والباقى يحسب لاستهلاك القرض المذكور

(المجالس المحلية العادية) المجالس المحلية العادية تختلف عن المجالس المحلية المختلطة فان هذه فيها هيئتان ناخبتان احداهما وطنية والاخرى اوربية

(ثانيا) أن يكون عدد أعضائها سبعة: ثلاثة قانونيون وهم المدير بصفة رئيس ومفتش الصحة ومفتش المدن والمبانى فى المديرية وأربعة منتخبون

« وايراداتها بوجه عام من مساعدة

الحكومة كما هو آت

(١) الاعانة

(٢) المحصل من الضرائب المتنازلة عنها الحكومة

(٣) الارباحات الناتجة من مواسير المياه والنور ومصارف ذلك مأخوذة من الاموال المقروضة لها من الحكومة

(٤) المساعدة المالية من الأهالى (وهى مهمة جداً فى المجالس المحلية المختلطة) ومع انها ليست مقررة فى الاصل الا ان اهالى دمياط قاموا بهذه المساعدة من تلقاء أنفسهم فقرروا على أنفسهم بأنفسهم ضرائب اختيارية وبذا كانوا قدوة لاهالى المدن التى أنشىء فيها بعد ذلك مجالس محلية. والاختصاصات المهمة التى تعهدت بها المجالس المحلية المختلطة والمجالس العادية هى ادارة حركة ايرادات المدينة ومصلحة التنظيم والطرق والكنس والرش وتبليط وانارة الشوارع والميادين العمومية واعمال التطهير وخدمة المياه والوقاية من الحريق ووضع الميزانية وكافة الاعمال التى ينطبق عليها معنى البلدية والاشغال غير العادية التى تكلفها بها وزارة الداخلية. وقياما بتلك الاعمال يمكن لهذه المجالس عقد قروض بمصادقة وزارة الداخلية وموافقة وزارة المالية (الهيئة الناخبة) وعدا عن التعهد الخاص بدفع الضرائب البلدية كما هو مذكور آنفا يشترط مبدئيا ان يكون الناخب فى المجالس البلدية المختلفة حائزاً (ماعدا بعض الاحوال) للشروط الآتيه:

(١) ان يكون سنه خمسا وعشرين سنة

(٢) ان يكون مقيما فى نفس المدينة

(٣) ان يملك فى المدينة اما عقاراً أو يدفع عنه عوائد ملك سنوية قدرها جنيهان مصريان او أطيانا يدفع عنها مالا سنويا قدره اربعة جنيهات مصرية او ان يكون محترفا بحرفة حرة

(٤) ان يكون ذا لياقة تامة لهذا المركز كما ولم يصدر فى حقه احكام تحط بقدره

(قسم البلديات والمجالس المحلية)

تسير البلديات والمجالس المحلية جميعها تحت ادارة ومراقبة قسم البلديات والمجالس المحلية الكائن مركزه فى وزارة

الداخلية واختصاصاته هي:

(ا) تحضير مشروع انشاء المجالس المحلية العادية والمجالس المحلية المختلطة والقيام بتنظيمها في مدن الاقاليم التى تطلب أهاليها ان يكون لهم مجالس وعليه ايضا مراقبة سيرها وتوسيع مواردها على الوجه الانفع لصالح الاهالى وعدا ذلك فهو الواسطة بين هذه المجالس والوزارات

(ب) عليه بواسطة مهندسيه وضع خطوط التنظيم وانشاء الطرقات العمومية ومراقبة اعمال الطرق

(ج) عليه بواسطة مهندسيه ايضا وضع مشروعات من مواسير المياه والنور والمصارف فى تلك المدن ومراقبة هذه الاعمال

(اللجنة الاستشارية) وتوصلا لحل المسائل المهمة تساعد قسم البلديات لجنة تسمى (باللجنة الاستشارية) وتشكل من وكيل وزارة الداخلية رئيسا ومدير عموم المساحات المصرية بالنيابة عن وزارة المالية ومدير عموم مصلحة المدن والمبانى بالنيابة عن وزارة الاشغال العمومية ومدير عموم مصلحة الصحة العمومية ومدير قسم البلديات فتعرض عليها المسائل المهمة الخاصة بالميزانيات ومدمواسير المياهوالنوروالالتزامات وكافة المسائل التى تعتبر مبدأ فتقرر فيها رأيا ويكون قرارها نافذا

(وزارة الاوقاف) جاء فى الاحصاء الرسمى لسنة (١٩١٥) تحت هذا العنوان مانصه:

(بيان تاريخى) الوقف هو حبس عين عن التمليك يخصص الوقف ريعها لاعضاء عائلته او لغيرهم بشرط أن يصرف بعد انقراض المستحقين على وجه من وجوه الخير والبر كمسجد او مدرسة أو التصدق على الفقراء وهذا مايسمى بالوقف الاهلى

« ويوجد نوع آخر من الوقف يسمى (بالوقف الخيرى) وهو اما ان يكون وقفا اهليا تحول الى خيرى بعد انقراض المستحقين وذريتهم او موقوفا مباشرة على وجه من وجوه الخير والبر

«ففى النوعين الاهلى والخيرى يعين الواقف الناظر الذى يدير أعيان الوقف وعادة يحفظ لنفسه الحق فى النظارة وفى ريع الوقف ويختار الناظر الذى يخلفه من

المستحقين فاذا انقرضوا كلهم ولم يوجد نص بالوقفية أو كان النص يستلزم الخيار فللقاضي وحده تعيين الناظر

ومع مضي القرون كثر عدد الاوقاف الخيرية وكان يديرها نظار كثيرون لا رقيب عليهم فصاروا يختالون الجزء الاكبر من ريعها ويهملون وجوه الخير والبر المخصص لأجلها هذا الريع الى أن صارت المساجد تتخرب وأصبحت المدارس والمكاتب مهجورة وذلك رغما عن وفرة ايراد الأعيان الموقوفة عليها . ثم ان هذه الأعيان نفسها صارت تؤول الى السقوط وتصبح لاريع لها لاهمال النظار في ترميمها وحفظها فلملافاة هذه الحالة شكل محمد على باشا الكبير في سنة (١٨٣٥) ادارة عمومية للاوقاف المذكورة وألغاها بعد ثلاث سنوات ثم أعاد تشكيلها عباس باشا الاول في سنة (١٨٥٨) وكان اختصاصها قاصراً على ادارة مراقبة النظار ومخابرة القاضي لطلب عزل من يتضح لها منهم اهماله أو اختلاسه مال الوقف وفي سنة (١٨٦٤) قرر اسماعيل باشا انها تخلف كل من مات او عزل منهم

« ومن ذلك الحين صارت الادارة المشار اليها ليست فقط تراقب ادارة نظار الاوقاف الخيرية بل تدير أيضا جزءاً منها وعدد أوقاف هذا الجزء آخذ في الازدياد زيادة مطردة من وقتها الى الآن

« وفي عهد اسماعيل باشا جعلت نظارة يديرها ناظر كباقي نظارات الحكومة واستمرت كذلك لغاية ٢٣ يناير (١٨٨٤) اذا اتفق توفيق باشا مع نوبار باشا الذي كان وقتئذ رئيس مجلس النظار على جعلها مصلحة مستقلة عن النظارة يديرها مدير عام يتلقى الاوامر بشأنها من سمو الخديو مباشرة

« وفي ١٣ يوليه سنة (١٨٩٥) صدر أمر عال بنا على طلب مجلس النظار وبعد أخذ رأى مجلس شورى القوانين بالتصديق على لائحة عمومية لديوان الاوقاف من ضمن ما نص فيها أنه يدير الاوقاف الاهلية التي يعين حارسا قضائيا عليها والتي يطلب نظارها ومستحقوها أنابته عنهم في ادارتها . وان تصرفات القاضي في الاوقاف الاهلية أو الخيرية التي في ادارة الغير من استبدال وتحكير واستدانة وعزل أو تولية نظار يؤخذ رأى

الديوان فيها وهو يقدم ملاحظاته عنها فى مدة ١٥ يوما والا جاز للقاضى توقيع الصيغة الشرعية للتصرفات المطلوبة وأن يكون تنظيم حسابات الديوانوالسيرفيها بمقتضى القواعد التى تقررها لذلك نظارة المالية . وفى ٢٠ نوفبر سنة (١٩١٣) صدر أمر عال بتحويل ديوان الاوقاف الى نظارة من نظارات الحكومة وقضت المادة الثالثة من ذلك الامر أن تكون ميزانية الاوقاف نافذه المفعول بمقتضى ارادة سلطانية بعد تصديق المجلس الأعلى وبعد أخذ رأى الجمعية التشريعيةويقدم للجمعية التشريعية الحسابالختامى أيضا لكل سنة بعد انقضائها »

(الايرادات والمصروفات والمال الاحتياطى للأوقاف) بلغت ايرادات الاوقاف سنة (١٩١٥ - ١٩١٦) ٤١٣٠٠٠ جنيه وكانت سنة (١٩١٣) أى قبل الحرب ٥٦٨٨٠٠جنيه وبلغت نفقاتها (٤٧٠٩٥٨) جنيها وبلغ مالها الاحتياطى ٧٤٤٣جنيها (وقدنيفت الآن عن المليون)

(المعاهد العلمية الدينية) المعاهد الدينية هى الجامع الأزهر ومعاهد الاسكندرية وطنطا ودسوق وشبين الكوم والزقازيق ودمياط وأسيوط

(الجامع الازهر) هو أول مسجد أنشىء بالقاهرة (نقول القاهرة غير الفسطاط التى بنى بها عمرو بن العاص مسجده) أنشأ القائد جوهر فى سنة (٣٦١) وأول من رتب فيه المدرسين هو الخليفة الفاطمى العزيزبالله نزار بن المعزسنة (٣٧٢)هجرية وينقسم التعليم الى ثلاثة أقسام أولى وثانوى وعال ومدة كل قسم ٥ سنين وبه مكتبة جليلة يبلغ مافيها من المجلدات ٣٩٤٦٩

(المعهد الدينى بأسيوط) أنشىء هذا المعهد بارادة سلطانية بمدينة أسيوط واحتفل بافتتاحه يوم ٢٧ ذى الحجة سنة (١٣٣٣) الموافق ٦ نوفبر سنة (١٩١٥)

(المستشفيات وماياثلها) يتبع وزارة الاوقاف ثلاثة مستشفيات وثمانى عيادات وأربع تكايا وملجأ لتربية اليتامى وقد بلغ عدد المرضى الذين عولجوا فيها فى المدة من أول ابريل سنة (١٩١٥) لغاية مارس سنة (١٩١٦) ٥٦٤٢٤١

(المساجد وملحقاتها) المساجد وملحقاتها التى كانت تديرها الوزارة فى سنة

(١٩١٥ ١٩١٦) مالية يبلغ عددها ١٤٧٥ ينفق عليها مبلغ ...٦٣٠ جنيه مرتبات خدمة يبلغون ٧٥٤١ فى وظائف متنوعه ويبلغ عدد المساجد الاهلية ١٦٥ مسجدا بها من الخدمة ٦٨٦

(الدين العمومى المصرى) جاء فى كتاب الاحصاء الرسمى تحت هذا العنوان ما نصه :

(لمحة تاريخية) افتتحت مصر عهد سلفها العمومية بقرض عقده واليها سعيد باشا فى سنة (١٨٦٢) وكان مقداره .. ٢٢٩٢٨ جنيه انجليزى تستهلك فى مدة ثلاثين عاما وفائدته سبعة فى المئة

« وقد عقد الخديو اسماعيل باشا فى أيام ولايته قروضا عديدة منها ماهو بضمانة أملاك الاسرة الخديوية (الدوائر) وفى الجدول الآتى بيان عن حاله الدين العمومى فى أوائل سنة (١٨٧٦)

تاريخ القرض	قيمة القرض	معدل الفائدة	تاريخ السداد	قيمه الدين فى سنة ١٨٧٦
١٨٦٢	٢٣٩٢٨٠٠	٧	١٨٩٢	٢٥١٧٠٠٠
١٨٦٤	٥٧٠٤٠٠	٧	١٨٧٩	٢١٣٢٠٠٠
١٨٦٥	٣٣٨٧٣٠٠	٧	١٨٨١	١٤٥٧٣١٢
١٨٦٦	٣٠٠٠٠٠٠	٧	١٨٨٤	— —
١٨٦٧	٢٠٨٠٠٠٠	٧	١٨٨١	١٠٥٧٥٠٠
١٨٦٨	١١٨٩٠٠٠٠	٧	١٨٠٨	١٢٨٢٢٥٢٠
١٨٧٠	٧١٤٢٨٦٠	٧	١٨٩٠	١٠٩٢٦٢٠
١٨٧٣	٣٢٠٠٥٠٠٠	٧	١٩٠٣	٣١٣١٣٦٥٩
	٦٨٤٦٧١٦٠			٥٣٣٢٦١١

« وما عدا ذلك فقد كان على الحكومة والدوائر من الدين السائر ماتبلغ قيمته ٢٣٠٠٠٠٠ جنيه انجليزى

« وحيث أن جميع هذه القروض أصدرت بشروط فادحة فالمبالغ التى دخلت منها فعلا خزينة الحكومة كان أقل كثيراً من قيمتها الاسمية . وكانت جميع ايرادات الحكومة مخصصة لاستهلاك كل من هذه الديون وفى بعض الاحيان لعدة ديون معا

« وزياده على ذلك فانه بمقتضى القانون المعروف بقانون المقابلة الذى أصدر وسنة (١٨٧١) أعفى أصحاب الاطيان على الدوام من نصف الاموال المضروبة على أطيانهم مقابل دفعهم للحكومة مبلغا يعادل قيمة تلك الاطيان عن ست سنوات سواء كان دفعة واحده او بأقساط متتابعة لمده ست سنوات . وفيما بعد أجل هذه الاقساط الى اثنى عشرة سنة . وهذا العمل يعد بمثابة قرض فائدته ثمانية وثلث فى المئة

« فالعسر المالى الذى وقعت فيه الحكومة المصرية وعدم اقتدارها على القيام بالنفقات الناتجة من هذه القروض اوجبا اصدار الامر العالى المؤرخ ٦ ابريل سنة (١٨٧٦) القاضى بايقاف دفع السندات والبونات المستحقة فى ذلك الحين

« وفى تلك الاثناء كان قد تعين المستر (ستيفن كيف) أحد موظفى الحكومة الانجليزية لدرس الحالة المالية للحكومة المصرية فقدم تقريرا أشار فيه من جهة باستعمال محصولات المقابلة لسداد القروض القصيرة الميعاد التى أصدرت سنة (١٨٦٤) و (١٨٦٥) أو (١٨٦٧) ومن جهة ثانية بتحويل سائر الديون الى دين واحد قدره . . . . . . ٧٥ جنيه انجليزى يسدد فى خمسين سنة وفائدته ٧ فى المئة .وقد أشار أيضا بانشاء مصلحة للمراقبة يعهد اليها باستلام محصولات بعض أنواع الايرادات على أن لا يصدر أى قرض جديد الا بعد موافقتها عليه

وقد صدر فى ٢مايو سنة (١٨٧٦) أمر عالى يعلن قرب توحيد الديون ويقضى بانشاء مصلحة صندوق الدين العمومى تحت اداره قومسيون يؤلف من أعضاء أجانب يعينهم الجناب الخديوى بناء على ماتعرضه الدول التابع لها كل منهم مع توكيل تلك المصلحة باستلام الايرادات المخصصة لخدمة الدين من المصالح المحلية

واستعمالها لهذا القرض دون سواه . وكان هذا الامر يقضي أيضاً على الحكومة بعدم اجراء أي تعديل كان من شأنه تنقيص اموال الأطيان المخصصة لخدمة الدين بغير موافقة القومسيون المذكور وأن لا يعقد أي قرض جديد لأسباب تقضي بها حاجة القطر وبعد الحصول على موافقة القومسيون المذكور غير انه حفظ الحق للحكومة بأن تستلف بالحساب الجاري مبلغا لا يزيد عن خمسين مليون فرنك للقيام بخدمة الخزينة وتقرر ان تكون المحاكم المختلطة مختصة بنظر كل الدعاوى التي يرى صندوق الدين رفعها على الادارة المالية خدمة لمصالح أصحاب الديون

« وفي سبعة مايو من السنة المذكورة صدر أمر عال بتحويل ديون الحكومة والدائرة السنية الي دين واحد قدره ٩٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وفائدته سبعة في المئة يسدد في مدة ٦٥ سنة . وقد جاء في الامر المذكور أن السندات المختصة بقروض سني ١٨٦٢ و ١٨٦٨ و ١٨٧٠ و ١٨٧٣ تستبدل بسندات جديدة من الدين العمومي بواقع المئة مئة وان اصحاب قروض سني ١٨٦٤ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ يعطون سندات جديدة تحسب لهم بواقع خمسة وتسعين في المئة من قيمتها الاسمية. أما سندات الدين السائر فتستبدل بسندات جديدة بواقع ثمانين في المئة من قيمتها الاسمية

« وخصص لخدمة هذا الدين ايرادات مديرية الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط وعوائد الدخولية في القاهرة والاسكندرية ورسوم الجمارك وايرادات السكك الحديدية وعوائد الدخان والملح وعوائد الملاحة وبعض رسوم أخرى وقدر مجموع الايرادات المذكورة بمبلغ ٦٤٧٥٢٥٦ جنيها انجليزيا بما في ذلك المبلغ المقرر على الدائرة السنية وقدره ٦٨٤٤١١ جنيهاً انجليزيا وتقرر أيضا إيقاف دفع المقابلة

«وقد أحدث هذا القرار احتجاجات عديدة من الاجانب حاملي الاسهم وخصوصا اصحاب سندات القروض ذات المدة القصيرة وسندات دين الدائرة السنية . وعلى أثر المفاوضات التي جرت مع الخواجات جوشن وجوبير بصفة كونهما وكيلين عن أصحاب الديون صدر في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ أمر

بتعديل المشروع الاول بالكيفية الآتية :

(أ) فصل ديون الدائرة السنية عن ديون الحكومة وعقد اتفاق خصوصي بشأنها

(ب) اصدار سندات ممتازة بمبلغ ١٧ مليون جنيه انجليزى فائدتها خمسة فى المئة تسدد فى مدة ٦٥ سنة على أن يبدأ بأخذ المبالغ اللازمة لخدمتها من الايرادات المخصصة للدين وخصوصا من ايرادات مصلحة السكك الحديدية وميناء الاسكندرية التى عهد بادارتها الى مجلس دولي وتلك السندات تعطى بالأفضلية لحاملى سندات قروض سنى ١٨٦٢ و ١٨٦٨ و ١٨٧٣

(ج) اقراض قروض سنى ١٨٦٢ و١٨٦٥ و ١٨٦٥ من الدين الموحد واستهلاكها بواسطة احكام العقود الخاصة بكل منها بواقع ثمانين فى المئة بواسطة ايرادات المقابلة التى أعيد تحصيلها بهذا القرار

(د) تخفيض العلاوة المقررة فى الأمر العالى المؤرخ ٧ مايو سنة (١٨٧٦) لأصحاب الدين السائر من ٢٥ الى عشر فى المئة

(ه) تخفيض الدين الموحد الى ٢٩ مليون جنيه انجليزى وابقاء الايرادات المبينة اعلاه وتقرر انه علاوة على المبلغ المخصص لدفع الفوائد التى خفض معدلها الى ٦ فى المئة ويستعمل مع زيادة ايرادات الميزانية مئة وخمسين الف جنيه انجليزى بصير الاستهلاك بواقع ثمانين فى المئة

(و) اعتبار صندوق الدين بصفة مستديمة لغاية استهلاك الدين بأكمله

« وفى ١٢ و ١٣ يوليه من سنة (١٨٨٠) عقد اتفاق بخصوص تسوية دين الدائرة فيما بين وكلاء اصحاب الديون من جهة وبين كل من الدائرة السنية والدائرة الخاصة من جهة أخرى فبموجب الاتفاق الاول تحول قروض سنة ١٨٧٠ والدين السائر للدائرة السنية الى دين واحد قيمته ٨٨١٥٤٣٠ جنيها انجليزيا ودعى بدين الدائرة السنية العمومية وقررت له فائدة قدرها ٥ فى المئة مع جواز ابلاغها الى ٧ فى المئة فى بعض الاحوال على ان يكون الاستهلاك بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع خمسة وسبعين فى المئة أو بواقع المئة مئة حالما يخفض الدين الى خمسة ملايين جنيه انجليزى

« وخصص لخدمة هذا الدين ايرادات الدائرة السنية والدائرة الخاصة مضافة اليها اعانة معينة تؤخذ من مخصصات الحضرة الخديوية وكل ما زاد من الايرادات على فائدة الخمسة فى المئة يخصص للاستهلاك ودفع فائدة اضافية لاصحاب الديون واعفاء مخصصات الحضرة الخديوية من الاعانة المقررة عليها وتحسين حالة الاملاك وذلك حسب نص الشروط المبينة فى العقد ولذلك رهنت أملاك الدوائر المذكورة لأصحاب الديون ووضعت تحت ادارة مراقبين يعينها أصحاب الديون . ثم انه بموجب اتفاق ١٣ يوليه الذى عقد مع الدائرة الخاصة تقرر انشاء سندات خصوصية لحاملى سندات الدين السائرة للدائرة السنية ولحاملى بونات الدائرة على الخزينة (وهذه البونات داخلة فى الدين الموحد) وتلك السندات الخصوصية تمثل قيمة الدين البالغ قدره ١٩٨٤٥٤٢ جنيها انجليزيا مع زيادة ١٠ فى المئة وفائدتها ٥ فى المئة وتقرر أن يصير استهلاكها بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع خمسة وسبعين فى المئة وأن يخصص لخدمتها قسط سنوى قدره ٥٠ الف جنيه انجليزى تؤخذ من مخصصات الحضرة الخديوية

«وكانت الشؤون المالية تزداد عسراً حتى انه فى أوائل سنة (١٨٧٨) عينت لجنة للتحقيق خولت سلطة عامة للنظر فى هذه الحالة فكانت احدى النتائج الاولى من أعمال صدور أمر عال فى ٢٦ اكتوبر سنة (١٨٧٨) يقضى بالتنازل للحكومة عن بعض أملاك تخص جملة أعضاء من الاسرة الخديوية وباصدار قرض قدره ٧ ملايين وخمس مئة الف جنيه انجليزى وفائدته ٥ فى المئة مضمونا بتلك الاملاك التى عهد بادارتها الى قومسيون دولى

«وفى حالة عدم كفاية ايرادات الاملاك المذكورة لخدمة هذه السلفة يؤخذ الفرق من ايرادات الحكومة العموميه وبمقتضى الاتفاقية المحررة فى ٣١ اكتوبر مع محل روتشلد المدونة فيها شروط هذه السلفة رخص للقومسيون ببيع تلك الاملاك كلها أو بعضها وتخصيص صافى المحصل من هذه المبيعات مع ما يزيد من الايرادات بعد سداد الفوائد لاستهلاك السلفة على أن يكون هذا الاستهلاك بطريقة القرعة بواقع المئة مئة

الشراء بسعر السوق

ثم انه بمقتضى الامر العالى المؤرخ ٢٣ ابريل سنة (١٨٧٩) خفضت فائدة الدين الموحد مؤقتا الى ٥ فى المئة وفى خلال الشهر المذكور رفعت لجنة التحقيق تقريرها النهائى فجاء فى نتيجته :

(اولا) ان الحكومة المصرية فى حالة الافلاس

(ثانيا) انه يجب اتخاذ بعض الوسائل لتسوية الحالة المالية وتصفية ديون الحكومة

(ثالثا) ان الحالة تستدعي تشكيل لجنة للتصفية

« وقد دعت الحوادث التى جرت بعد تقديم هذا التقرير الى عزل الخديو اسماعيل باشا وتولية نجله توفيق باشا فى ٢٦ يونيه سنة (١٨٧٩)

«وجاء الفرمان السلطانى الصادر فى سبعة اغسطس بهذه التولية محظراً على الخديو عقد القروض الا ما كان منها مختصا بتسوية الحالة المالية فى ذلك الحين

« وصدر أمر عال فى ٦ يناير سنة (١٨٨١) يقضى بالغاء قانون المقابلة نهائيا

«وفى ٣١ مارس أنشئت بأمر عال لجنة للتصفية مؤلفة من أعضاء ينوبون عن مصر وعن الدول الاجنبية فكلفت بتحضير قانون لتسوية علاقات الحكومة مع مداينيها على أن تجعل أساساً لعملها الآراء التى أبدتها لجنة التحقيق فى نتيجة تقريرها . فوضعت هذه اللجنة قانوناً دعى بقانون التصفية وصدر فى ١٧ يوليه سنة (١٨٨٠) وكان من أهم أحكامه ما يلى :

(ا) اصدار سندات ممتازة اضافية ١٥٨٤٣٨٠٠ جنيه انجليزى تستعمل مع رصيد سلفة الدومين وموارد اخرى فى تصفية متأخرات الخراج (الويركو) والدين السائر وغيرها من التعهدات الموقوفة . وتعيين قسط سنوى قدره ١١٨١٤٢٤ جنيها انجليزيا لدفع فوائد الدين وللاستهلاك

«وتقرر ان يكون الاستهلاك فى مدة خمس وستين سنة بطريقة القرعة بواقع المئة مئة وأن تضمن خدمة هذا الدين بايرادات السكة الحديدية والتلغرافات وميناء الاسكندرية وفى حالة عدم كفايه

هذه الايرادات لذلك تضمن بالافضلية بالايرادات المخصصة بالدين الموحد

(ب) تخفيض فائدة الدين الموحد الى ٤ فى المئةمع الترخيص باصدار سندات جديدة بمبلغ ١٩٩٢٨٠٠ جنيها مصريا يصير حسابها بواقع ستين فى المئة وتستعمل فى تحويل الباقى من قروض سنتى ١٨٦٤ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ بواقع ثمانين فى المئة من قيمتها الاسمية

(ج) تخفيض صافي ايرادات الجمارك بما فيها عوائد الدخان وايرادات مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط لخدمة الدين الموحد. وفى حالة عدم كفاية هذه الايرادات لدفع الكوبونات تقوم الحكومة بدفع الفرق وكل ما يزيد من الايرادات المخصصة وكل ما يحصل من موارد أخرى غير ثابتة يستخدم فى استهلاك الدين الموحد بطريقة الشراء بسعر السوق. وعلاوة على ذلك اذا اتفق ان زيادة الايرادات المخصصة له تعادل نصف فى المئة من مجموع الدين الموحد تقوم الحكومة بدفع كمالة هذا النصف في المئة من زيادة الايرادات الحرة على المبلغ المقرر لمصروفات المصالح الاميرية البالغ قدره ٤٨٩٧٨٨٨ جنيها مصريا

(د) باعتبار أملاك الدائرة السنية والدائرة الخاصة التى عقد فى شأنها اتفاقية ١٢ يوليه سنة (١٨٧٧) ملكا للحكومة وتخصيصها لضمان دين الدائرة السنية مع وضعها تحت ادارة مصلحة دولية وتقرر دفع مبلغ ٤٥٠ الف جنيه مصرى الى الدائرة السنية بصفة تعويض لعدم وفاء المقرر على مخصصات الحضرة الخديوية وحدد لدين الدائرة السنية فائدة ٥ فى المئة منها ٥ فى المئة بضمان الحكومة وواحد فى المئة فائدة تكميلية لا يصير دفعها الا اذا سمحت بذلك ايرادات الأملاك وكل ما يزيد من الايرادات يخصص بعد دفع ٥ فائدة فى المئة أولا لتكوين مال احتياطى غايته ٤٥٠ الف جنيه مصرى ثم للاستهلاك كما كان المحصل من بيع أملاك الدائرة يخصص أيضا للاستهلاك الذى يصير بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع ثمانين

(ه) ضم دين الدائرة الخاصة الذى أنشىء باتفاق ١٣ يوليه سنة (١٨٧٧)

الى دين الدائرة السنية على أن تقوم وزارة المالية بدفع القسط السنوى اللازم لخدمته وقدره ٣٤ الف جنيه مصرى

(و) ابقاءايرادات مديرية قنا مخصصة لقرض الدومين بصفة ضمان ثان كما تقرر ذلك باتفاق اضافى تاريخه ١٤ ابريل سنة (١٨٨٠)

(ز) تأييد الغاء قانون المقابلة وتخصيص مبلغ مئة وخمسين الف جنيه مصريا سنويا لمدة خمسين عاما لصرف التعويضات اللازمة لارباب الاطيان عن الاموال التى دفعوها طبقا لهذا القانون

«لكن الحالة المالية مالبثت ان عادت فاضطربت بسبب حوادث سنة (١٨٨٢) ونفقات حملة السودان وعجز الايرادات التى وضعت تحت تصرف الحكومة للقيام بمصروفاتها الادارية وقد انتهت المداولات التى دارت بهذا الشأن بأن عقد مندوبو الدول اتفاقية فى لندرة فى ١٨ مارس سنة ١٨٨٥ عقبها صدور الامر العالى المؤرخ ٢٧ يوليه سنة ١٨٨٥ وكان أساس هذا الاتفاق اصدار قرض ٩مليون جنيه انجليزى بفائدة ٣ فى المئة يضمنه كل من دولة المانيا والنمسا والمجر وفرنسا وايطاليا وروسيا وتعيين الفوائد واستهلاك هذا الدين قسط سنوى قدره ٣١٥ الف جنيه انجليزى يبدأ بأخذه من الايرادات المخصصة لخدمة الدين الممتاز والموحد وقد تقرر أيضا أن يكون الاستهلاك بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع المائة مائة. اما المبالغ المحصلة من القرض فخصصت لدفع تعويضات الاسكندرية ومطلوبات خلافها ولاعمال الرى مع حفظ مبلغ ٥٠٠ الف جنيه مصرى لادارة أعمال الخزينة العمومية ومن جهة أخرى خفض مقدار المبالغ التى كان رخص للحكومة باقتراضها بالحساب الجارى لخدمة الخزينة العمومية فتقرر أن لايتجاوز المليون جنيه مصرى

« هذا وقد تعين للمصروفات الادارية التى تؤخذ من ايرادات الحكومة الحرة مبلغ ٥٢٣٧٠٠٠ جنيه مصرى مع امكان زيادته فى بعض الاحوال . واذا اتفق ان الايرادات الحرة لم تبلغ المقدار المذكور فيقوم صندوق الدين بسداد الفرق من زيادة الايرادات المخصصة ويدفعه للحكومة ، كل مايزيد من الايرادات المخصصة وكل مايزيد من

المقرر يقسم مناصفة بين الحكومة وصندوق الدين بعد خصم المبالغ اللازمة لخدمة الديون المختلفة والمصروفات الادارية المرخص بها كما تقدم فالحصة التى تعود لصندوق الدين تستعمل أولا فى استهلاك الدين المضمون لغاية ٩٠٠٠٠ جنيه انجليزى ثم فى استهلاك الديون الاخرى على حسب الشروط المقررة وفيما عدا ذلك يوقف استهلاك الدين الممتاز والدين الموحد

« وتقرر أيضا بصفة مؤقتة أن يستقطع ٥ فى المئة من قيمة كوبونات الدين العمومى فى مدة سنتين حتى اذا لم تتمكن الحكومة بعد هذا الميعاد من دفع الفوائد بأكملها تشكل لجنة دولية لاعادة النظر فى الحالة المالية

« غير أن تحسن الحالة المالية لم يدع موجبا لتنفيذ هذا القرار

« وقد رخص بأمر عال تاريخه ٣٠ ابريل سنة (١٨٨٨) اصدار سندات بمبلغ مليونى جنيه مصرى فائدتها أربعة ونصف فى المئة وذلك من أصل الخمسة الملايين التى رخص بها سلطان تركيا ، وخصص معظم هذا المبلغ لتصفية مطالبات الخديو السابق اسماعيل باشا وأعضاء العائلة الخديوية ولاستبدال المعاشات وكانت السلفة المذكورة بقية اسمية قدرها ٢٣٣٠٠٠٠ جنيه مصرى فتقرر لخدمتها قسط سنوى قدره مئة وثلاثون الف جنيه مصرى تؤخذ من المصروفات الادارية

« واشترط انه فى حالة تأخر الحكومة عن سداد هذا القسط تحول محصلات الأموال المقررة والغير مقررة فى مدينة القاهرة الى خزينة صندوق الدين المكلف بخدمة القرض المذكور

« أما الاستهلاك فيعين بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع المئة مئة وقد اشترط أيضا ان المحصل من مبيع أملاك الميرى الحرة الواردة فى الجداول يورد الى صندوق الدين لاستخدامه فى استهلاك هذه السلفة الجديدة والدين المضمون معاً

« وفى ١٢ يوليه سنة (١٨٨٨) صدر أمر عال يقضى باستعمال زيادة الايرادات المخصصة لصندوق الدين بموجب اتفاقية سنة (١٨٨٥) مع المحصل من مبيع الاراضى وموارد أخرى لتكوين مال احتياطى يحفظ فى صندوق الدين ويستعمل

لتحويله سندات من الدين المصرى غير أنه رخص للاعضاء بتسليف الحكومة ما يلزمها من هذا الاحتياطى لمصروفاتها الغير الاعتيادية

« وفى الوقت نفسه تقرر ايقاف تنفيذ الامر العالى الصادر فى ٢٧ يوليه سنة (١٨٨٥) والخاص باستهلاك الديون حتى يبلغ المال الاحتياطى مليونى جنيه مصرى

« وقد قضت الاوامر العالية الصادرة بتاريخ ٦ و ٧ يونيه و ٥ يوليه و ٨ نوفمبر سنة (١٨٩٠) بادخال التعديلات الآتى بيانها :

(ا) تحويل قرض أربعة ونصف فى المئة المعقود فى سنة (١٨٨٨) الى دين ممتاز

(ب) اصدار سندات ممتازة جديدة للحصول على مليون وثلاث مئة الف جنيه مصرى تخصص لأعمال الرى واستبدال المعاشات

(ج) تحويل الدين الممتاز من خمسة فى المئة الى ثلاثة ونصف فى المئة مقابل دفع تعويض نقدى لحامل هذه الاسهم قدرة تسعة فى المئة

(د) زيادة قيمة الدين الممتاز مبلغا قدره سبعة ملايين ومئة الف وثلاثة آلاف ومئتا جنيه انجليزى كنتيجة للعمليات المذكورة آنفا

(ه) تحويل دين الدائرة السنية العمومى واعطاء أصحاب الديون سندات جديدة فائدتها أربعة فى المئة بمعدل خمسة وثمانين فى المئة من قيمة أسهمهم وبذلك خفضت قيمة هذا الدين الاسمية مبلغ مليون ومئتين وثمانية وثمانين الف ومئة وعشرين جنيها انجليزيا

(و) الترخيص بتحويل قرض الدومين ولم يحصل هذا التحويل الا فى سنة (١٨٩٣)

(ز) ابقاء الدين الممتاز الجديد ودين الدائرة السنية وقرض الدومين لمدة خمس عشرة سنة كاملة بدون سداد شىء من أصلها الا بطريقة الاستهلاك بالشروط التى وضعت لكل دين ويكون الاستهلاك اما بالشراء بسعر السوق أو بطريق القرعة بواقع القيمة الاسمية

(ح) الوفورات الناتجة من تحويل الدين الممتاز ودين الدائرة السنية وقرض الدومين فى خزينة صندوق الدين مع

تحويله الحق فى تشغيلها بسندات من الديون المصرية والمبالغ المتجمعة بهذه الطريقة تقيد بحساب خصوصى يسمى (مال الوفورات الناتجة عن تحويل الدين)

« وقد حصل تحويل قرض الدومين بمقتضى الامر العالى الصادر فى ٢٥ مارس سنة (١٨٩٣) فخفضت فائدته من خمسة فى المئة الى أربعة وربع فى المئة

وفى ٢١ يونيه سنة (١٨٩٨) عقدت الحكومة مع احدى النقابات التى صارت فيما بعد (شركة الدائرة السنية) اتفاقا مفاده ان هذه الشركة تتولى بيع املاك الدائرة السنية وتدفع للحكومة المبالغ اللازمة لسداد سلفة الدايرة السنية فى استحقاقها أى ١٥ اكتوبر سنة (١٩٠٥) وجميع الارباح الناتجة عن ذلك البيع بعد خصم المبالغ اللازمة لاستهلاك الدين ولدفع فائدة قدرها ٥ فى المئة على رأس مال الشركة تقسم مناصفة بين الحكومة والشركة

« وقد تقرر بالامر العالى المؤرخ يناير سنة (١٩٠٠) بأن الوفورات الناتجة عن تحويل قرض الدومين لاتورد الى صندوق الدين الا اذا زادت ايرادات مصلحة الدومين عن المبالغ اللازمة للقيام بسائر مصاريفها. أما المبالغ التى تورد بصفة وفورات فتخفض لسد عجز ايراداتها وتقرر أن لايسدد قرض الدومين قبل أوائل يناير (١٩١٥) بطريقة الاستهلاك وذلك بواسطة مايحصل من بيع الاملاك أو من زيادة الايرادات

« وقد رخص بالامر العالى المؤرخ ١٢ يوليه سنة ١٩٠٠ اصدار سندات ممتازة جديدة قدرها مليون وسبع مئة واربعة وثلاثون الفـومئتا جنيه انجليزى تخصص لادخال تحسينات على سكك حديد الحكومة فكان هذا القرض مع سلفة أربعة ونصف فى المئة المعقودة فى سنة (١٨٨٨) وقرض سنة (١٨٩٠) تتمة الخمسة الملايين جنيه مصرى الذى رخص به سلطان تركيا فى سنة (١٨٨٨)

ثم انه بموجب الاتفاق الانجليزى الفرنسى الموقع فى ٨ ابريل سنة (١٩٠٤) وبمقتضى القانون نمرة ١٧ الصادر فى ثمانية وعشرين نوفمبر سنة (١٩٠٤) الذى سرى مفعوله ابتداء

من أول يناير سنة (١٩٠٥) قد استبدلت تلك الطريقة المتعقدة المتقدم سرد تاريخها بنظام جديد فكان من أهم أحكامه مايلى :

(ا) استبدال الايرادات المختلفة المخصصة لخدمة الدين المضمون والدين الممتاز والدين الموحد بايرادات اموال الاطيان فى جميع مديريات القطر المصرى ماعدا مديرية قنا التى سبق تخصيص ايراداتها بصفة ضمان اضافى لقرض الدومين وبما أن محصلات تلك الاموال قدرت بمبلغ اربعة ملايين ومئتى الف جنيه مصرى فقد اشترط أنه لايجوز اجراء أى تعديل فى ضرائب الأطيان ينجم عنه تخفيض أموالها الى مادون الاربعة جنيه مصرى الا بعد موافقة الدول

(ب) استخدام المحصل من الايرادات المخصصة فى سداد المبالغ اللازمة لخدمة الديون المختلفة وذلك حسب الترتيب الآتى :

(أولا) مبلغ ثلاث مئة وخمسة عشر الف جنيه مصرى قيمة القسط السنوى المخصص للدين المضمون

(ثانيا) قيمة فوائد الدين الممتاز

(ثالثا) قيمة فوائد الدين الموحد

«فاذا لم تكف تلك الايرادات لخدمة هذه الديون يؤخذ الفرق من ايرادات الحكومة العمومية

(ج) توريد المحصل من الايرادات المخصصة من جهات التحصيل مباشرة الى صندوق الدين حتى تستوفى المبالغ اللازمة لخدمة الدين ومايزيد عن ذلك يرسل الى وزارة المالية مباشرة

(٥) تخفيض مبلغ مليون وثمان مئة الف جنيه مصرى بصفة مال احتياطى لصندوق الدين ومبلغ آخر لادارة الاعمال وقدره خمس مئة الف جنيه مصرى(وقد زيد هذا المبلغ باتفاق الحكومة وصندوق الدين الى مليون و ٢٥٠ الف جنيه مصرى) وتوليد المبالغ الباقية من الاموال الاحتياطية ومن الوفورات الناتجة عن تحويل الدين الى خزينة الحكومة

(ه) حفظ الحق للحكومة فى سداد هذه الديون بواقع قيمتها الاسمية ابتداء من التواريخ الآتية وهى :

« ١٥ يوليه سنة ١٩١٠ للدين

المضمون والدين الممتاز

«١٥ يوليه سنة ١٩١٢ الدين الموحد

فاذا لم تف تلك الايرادات بخدمة هذه الديون يؤخذ من ايرادات الحكومة العمومية

ولايسدد قبل هذه المواعيد شيء من هذه الديون الا فيما يختص بالدين المضمون الذى يستمر استهلاكه بما يتبقى بعد دفع الفوائد من القسط السنوى المقرر لخدمته وقدره ثلاث مئة وخمسة عشر الف جنيه مصرى

(و) استعمال كل مايزيد من ايرادات الدومين والدائرة السنية بعد دفع الفوائد بواقع اربعة ونصف فى المئة لدين الدائرة السنية والمبالغ المحصلة من بيع الاملاك فى استهلاك ديون المصلحتين المذكورتين كل واحدة عما يخصها وبخلاف هذه الطريقة لايجوز استهلاك شيء من تلك الديون قبل التواريخ المقررة لسداد كل منها وهى اول يناير سنة ١٩١٥ لقرض مصلحة الاملاك الاميرية و ١٥ اكتوبر سنة (١٩٠٥) لدين لدائرة السنية

(ز) حفظ باقى المطلوب لحساب تصفية سنة (١٨٨٠) وقدره الف جنيه انجليزى بصفة امانة فى صندوق الدين لغاية سداد الطلبات المرقومة

(ح) استمرار دفع قسط المقابلة وقدره ١٥٠ الف جنيه مصرى سنويا لغاية ٢٠ يونيو من سنة (١٩٣٠) وذلك من اصل المال المحصل عن الاطيان التى دفعت عنها المقابلة قبل سنة (١٨٨٠)

« طبقا للاتفاق الذى عقد فى ٢١ يونيه سنة (١٨٩٨) قد سدد الباقى من دين الدائرة السنية فى ١٥ اكتوبر سنة (١٩١٥) وذلك بواسطة المبالغ المحصلة من بيع املاك هذه الدائرة

«وعلى اثر الاستهلاكات التى أجريت حسب الشروط المبينة فى الاتفاق المؤرخ ٣١ اكتوبر سنة (١٨٧٨) اصبح قرض مصلحة الاملاك الاميرية جميعه مسدداً فى اول يونيه سنة (١٩١٣)

«وفى الجدول الآتى بيان عن وجه الدين العمومى فى آخر السنة المالية (١٩١٥ - ١٦) مع ماطرأ عليه من التغيرات فى السنة نفسها

الدين المضمون بفائدة ٣ فى المئة

قيمته فى اول ابريل سنة (١٩١٥) ٦ ملايين و٩٢٩ الفا ومئة جنيه . المستهلك منه فى خلال سنة (١٩١٥) ١٢٥٦٠٠ جنيه . قيمة هذا الدين فى آخر مارس سنة (١٩١٦) ٦٨٠٣٥٠٠ جنيه . وقيمة سنداته الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين ٨٣٦٠٠ جنيه . وقيمة سنداته المتداولة فى ٣١ مارس سنة (١٩١٦) ٦٧١٩٩٠٠ ج

الدين الممتاز بفائدة ٣ ونصف قيمته فى اول ابريل سنة (١٩١٥) ٣١ مليوناً و١٢ الفا وثمان مئة وثمانون جنيها وقيمته فى آخر مارس سنة (١٩١٦) ٣١ مليونا و ١٢٧ الفا وسبع مئة وثمانون جنيها . وقيمة سنداته الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين مليونا جنيه و ٤٧٦ الف جنيه وقيمة السندات المتداولة فى ٣١ مارس سنة (١٦١٦) ثمانية وعشرون مليونا وست مئة واحد وخمسون الفا وسبع مئة وثمانون جنيها

الدين الموحد بفائدة ٤ فى المئة قيمته في اول ابريل سنة (١٩١٥) ٥٥ مليونا و ٩٧١ الفا و ٩٦٠ جنيها . وقيمته فى أواخر مارس سنة (١٩١٦) ٥٠ مثل القيمة المتقدمة . وقيمة السندات الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين ثلاثة ملايين واربعون الف ومئتان وعشرون جنيهاً . وقيمة السندات المتداولة فى ٣١ مارس سنة (١٩١٦) اثنان وخمسون مليوناً وتسع مئة واحد وثلاثون الفا وسبع مئة واربعون جنيها

فتكون جملة الديون ٩٤ مليوناً و٢٨ الفا و ٨٤٠ جنيهاً وقيمة المستهلك فى خلال سنة (١٩١٥) ١٢٥ الفا وست مئة جنيه . وقيمتها فى آخر مارس سنة (١٩١٦) ٩٣ مليونا وتسع مئة وثلاثة آلاف ومئتان واربعون جنيها . وقيمة سنداتها الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين خمسة ملايين وخمس مئة وتسعة وتسعون الفا وثمان مئة وعشرون جنيها وقيمة سنداتها المتداولة فى ٣١ مارس سنة (١٩١٦) ثمانية وثمانون مليونا وثلاث مئة وثلاثة آلاف واربع مئة و٢٠ جنيها

انتهى ما اقتطفنا من الاحصاء الرسمى للحكومة التى صدر سنة (١٩١٦) عن سنة (١٩١٥)

وقد أغفلنا الكلام على الآثار

المصرية القديمة التى لها قيمة كبيرة فى علم الاركيولوجيا (علم الآثار) لأننا أشبعنا الكلام فيها فى كلة (آثار) حرف الالف

مص الشىء يمصه مصا رشفه و(أمصه اللبن) جعله يمصه و(تمصص الماء) مصه ومثله (امتصه) و(المُصاص) خالص كل شىء. و(المُصاصة) مايمص من الشىء. و(المصمصة) مثل المضمضة الا انها تكون بطرف اللسان وأما المضمضة فتكون باللسان كله. و (مصمص الاناء) غسله

(رجل مِصّاص) أى شديد وقيل هو الممتلىء الخلق الاملس وليس بالشجاع و(قصب المص) قصب السكر

(المَصَّاص) الحجام. و(المَصَّان) الماص يقال للرجل (يامَصّان) وللمرأة يامَصّانة) أى يا راضع الغنم لؤما وفى هذا تعيير برضع الغنم من أخلافها بالفم

و(المُصَّان) قصب السكر

و(مُصة المال) اى خالصه

و(المَصُوص) الناقة القمئة

و(المَصُوصة) المرأة المهزولة

و (البُصَّامِص) خالص كل شىء

و (فرس مُصامص) أى شديد تركيب العظام والمفاصل

و (رجل مُصامص) أى حسيب زاك أى خالص يقال (انه لمُصامِص فى قومه) اذا كان زاكى الحسب خالصا فيهم

و (فرس مُصَّيِص) أى شديد تركيب المفاصل

المصطكى هذا الاسم معرب عن مصطيخا اليونانى وتسميه العرب بعلك الروم وهو راتينج يستخرج من نبات من الفصيلة التربنتينية وهو شجيرة تحمل أوراقا متعاقبة ريشية منتهية بفرد او مثلثة الاوراق وازهارها عنقودية الشكل وهى تنبت فى الاقاليم المجاورة لحوض البحر الابيض المتوسط. ومنها أنواع يبلغ عددها اثنى عشر تختلف فى راتينجيتها. وثمرها زيتونى يؤكل ويستخرج منه دهن جيد للاستصباح

شجيرة المصطكى تنبت فى بروفنسا من ايطاليا وبلاد العرب وأفريقا والجزر اليونانية وقد استنبتت هذا النبات فى أماكن كثيرة من البلاد التركية.

ولكن أشجار المصطكى لاتكون منتجة في جميع البلاد فهى فى بروفنسا لاتنتج شيئا وفى بعضها تنتج سنة ولاتنتج أخرى وأعظم مقدار يرد الى العالم من المصطكى يستخرج من جزيرة ساقس وهو هناك رأس ثروة اهل تلك الجزيرة

لاجل اجتناء المصطكى من شجره تعمل شقوق كثيرة خفيفة فى اليوم الخامس عشر من شهر يوليه فى جذوع أشجاره فتسيل منها عصارة سائلة ثم تجمد وتبقى متعلقة بالشجر على شكل حبوب وقد تسقط على الارض اذا كثرت فتجنى فى ٢٧ اغسطس فيؤخذ منها مصطكى كثيرة ثم تفصل شقوق أخرى فى ٢٥ سبتمبر وهو زمن الاجتناء الثانى ويمتنع بعد ذلك من جنيها الا في السنة المقبلة

ولكن العرب ذكروا ان شجرته تصمغ فى السنة ثلاث مرات الاول يكون حبا كبيرا بيضياو الثانى دون ذلك والى الصفرة والثالث يكون صغارا سودا واجودها الابيض النقى

وقد زرعها الاتراك فى ٢١ قرية جنوب الآستانة وقد علم أنهم يجنون منها فى السنة نحو ٦٠ الف أقة يرسل أفضله الى الآستانة ويرسل الاجتناء الثانى الى مصر وغيرها

ويظن ان الاتراك استنبتوها فى بلاد الاناضول ايضا وكانت مزروعة بمصر في زمن جالينوس

المصطكى راتينج مكون من حبوب صغيرة مصفرة منتقعة اللون جافة سهلة الكسر ملساء شفافة رائحتها تربنتينية قليلا تظهر كثيرا اذا طرحت على النار حيث تحترق جيدا وينتشر منها دخان أسود ونميع . وهناك نوع ثان يكون قطعا كبيرة سنجابية غير منتظمة وغير نقية مكونة من تراكم حبوب وسخة فيها جواهر غريبة وهذه التى تسقط على الارض والنوع الاول هو المصطكى المذكورة أو الحبوبية والثانى هو المؤنثة أو العامة والرغبة فيها أقل

(خواص المصطكى الكياوية)

المصطكى وجدت مركبة من راتينجين وقليل من دهن طيار فأحد الراتينجين الذى يتكون منه معظم الكتلة يذوب فى الكحول البارد والآخر الذى يكون بمقدار يسير فى مصطكى المتجر لايذوب فى الكحول الا اذا كان حارا ويبقى زمنا

طويلا رخواً بالكحول الماسك هوله

وقال بعض الكيماويين ان الجزء الغير القابل للذوبان فى الكحول من المصطكى يكون جوهرا خاصا مرنا لزجا غرويا مادام محتويا بين اجزائه على الكحول فاذا لم يبق فيه كحول فانه يصير جافا سهل التفتت ويذوب فى الكحول الحار ولا يذوب فى البارد ويظهر انه يشبه الراتينج الذى يوجد فى الراتينج الحلى

(خواص المصطكى فى الطب)

تستعمل المصطكى كثيرا فى بلاد المشرق لتعطى الفم رائحة زكية فيمضغها نساء الترك واليونان والارمن واليهود بكثرة لذلك السبب ويعزون لها خواص لتطييب النكهة وتقوية اللثة وتبييض الاسنان .
وهم يعطرون بها بيوتهم ويضعونها فى الاطعمة

وهى فى ظنهم تعتبر مقوية للمعدة ومضادة للتشنج وتستعمل كادات علاجا للاوجاع الروماتيزمية والنقرسية والعصبية وتقلصات الصدر وللآفات العظمية أى لين العظام وأوجاع الآذان والاسنان

وتعطى من الباطن عندهم فى نفث الدم والنزلة المزمنة والسيلان الابيض والاسهال والآفات الجربية ونحو ذلك .

ولكنها فى اوربا الآن لاتستعمل فى الطب. وقد توسع أطباء العرب فى ذكر خواصها فنقلوا عن جالينوس انها مركبة من جوهر مائى حار قليل ومن جوهر أرضى بارد ليس بكثير المقدار أيضا وبسبب ذلك صارت تقبض قليلا وتجفف وأما حالها فى البرودة والحرارة فحالة وسطى معتدلة المزاج والقبض فى أجزاء هذه الشجرة على مثال واحد أى فى عروقها وورقها وقضبانها وأغصانها وأطرافها وثمارها ولحائها

وهى تشرب وحدها أو مع أدوية أخرى فى قروح الامعاء واستطلاق البطن وهى نافعة جدا لمن به نفث الدم والنساء اذا انفجر من أرحامهم دم وكذا اذا برزت الرحم أوخرجت المقعدة وكذا فى نتوء السرة

ونقلوا عن ديسقوريدس أن الشجرة كلها قابضة وقد يطبخ قشرها وورقها وأصلها بالماء طبخا طويلا ثم يطبخ هذا الماء حتى يسخن ويصير كالعسل فهذا الماء لقبضه يشرب لنفث الدم واستطلاق البطن وقرحة الامعاء ونزف الدم من

الرحم وظهور الرحم والمقعدة وقد يقوم مقام هذا الطبيخ عصارة الورق . اذا صب طبيخ الورق على القروح العتيقة وعلى العظام المكسوة بنى اللحم فى القروح وعلى العظام وشد الاعضاء المسترخية وقد يقطع سيلان الرطوبات المزمنة من الرحم ويمنع القروح الخبيثة من السعى ويدر البول واذا تمضمض به شد الاسنان المتحركة. واذا عمل من أغصانها مساويك وتسوك بها جلت الاسنان

وقد يؤخذ من هذه الشجرة دهن قابض يوافق كل مااحتاج الى قبض

ومدح الاستاذ ميريه الفرنسى مطبوخ خشب المصطكى دواء عاما للنقرس واستعمل ايضا غرغرة ومضمضة ويصنع منه سنون ويعطى أيضا منقوعا نبيذيا ويستخرج منه لون اصفر جميل بواسطة الكحول

قال أطباء العرب وهناك نوع من المصطكى يعرف بالنبطى اسود تجفيفه أشد من تجفيف الابيض وقوة القبض فيه أقل ولذا كان أنفع لمن كان محتاجا الى التجفيف والقوة ومن أجل ذلك ينفع للاورام الصلبة التى فى ظاهر البدن

وأما دهن المصطكى فيتخذ من النوع الابيض وقوته شبيهة بقوة المصطكى وهو جيد للمعدة محرك للجشاء وينفع من الصداع البارد بخورا وسعوطا بدهن زنبق

واذا ديف بزيت ولطخ به شقاق الشفتين أبرأه . والشراب المتخذ من المصطكى يقوى الاعضاء الباطنة اذا أخذ ممزوجا بالماء البارد عند العطش وهو يدر البول . واذا حل المصطكى فى الادهان القابضة شد اللثة ، واذا عودى على المضمضة به منع من تحرك الاسنان واذا دهنت المعدة بأحد الادهان النافعة لها وذر عليها مسحوق المصطكى نفع ذلك من وجع المعدة ومن القىء . وان طبخت المصطكي فى السيرج وقطر ذلك فى الاذن فتح السدد وأزال الصمم (مجرب) وأن بخربها قطن بل بماء ورد وجعل على العين سكن الرمد والوجع . واذا طبخت مع الزيت أزالت النافض

وقال الاستاذ ميريه ثمار المصطكى لوز ابيض منتقع مزعفر مناسب للاكل وذكر بليناس ان تلك الثمار كانت تؤكل مربيات كالزيتون فى زمنه . وقال أن

ديمقريطس أبرأ بنت القنصل سرفيوس وكانت مصابة بمرض مزمن باستعمال لبن ماعزة كانت تتغذى بثمر المصطكى

(مقدار الاستعمال) تستعمل المصطكى من الباطن بمقدار من ٥٠ سنتى غرام الى غرامين حبوبا . وماؤها المقطر من ٣٠ غراما الى ٦٠ فى جرعة . وشرابها يصنع بجزء منها و ٦ من الماء المقطر و ٨ من السكر والمقدار من ٢٠ الى ٣٠ غراما فى جرعة. والصبغة تصنع بجزء منها و ٥ من الكحول الذى فى ٣٥ ينقع ذلك مدة ١٥ يوما ثم يرشح والمقدار من غرامين الى اربعة فى جرعة (انظر المادة الطبية)

﴿مصوع﴾ ثغر من بلاد الحبشة على البحر الاحمر استولت عليه ايطاليا

﴿المَصْل﴾ هو المتحصل من التقطير. و (مصْل اللبن) هو ما يستخرج منه من الماء . ويطلق المصل طبيا على السائل الذى يحتويه كل من اللبن والدم

﴿مُضَر﴾ أبو قبيلة شهيرة من العرب (انظر كلمة عرب)

و (المَضِيرة) نوع من الطعام كان للعرب وهى لحم مطبوخ باللبن

﴿مضّه﴾ الامر وأمضه الامر آلمه وأحرقه . و (المُضَض) ألم المصيبة

﴿مضمض﴾ الماء فى فمه حركه و (تمضمض) بمعنى مضمض و (المَضمضة) (صوت الحية)

المضمضة فى الوضوء سنة لا يبطل الوضوء بتركها

﴿مضَغ﴾ الطعام يمضَغه ويمضُغه مضغا لاكه فى فمه . و (مَضّغه الشيء وأمضغه اياه) ألاكه اياه . و(المُضْغة) قطعة من اللحم أو غيره

﴿مضغ الاطعمة﴾ المضغ لا تنحصر فائدته فى تحطيم الاغذية وتهيئتها للانهضام فى المعدة بل وظيفته أسمى من ذلك أيضا وهو احالة الاغذية النشائية غير القابلة للانهضام الى مادة سكرية تسمى بالجليكوز تقبل للانهضام مع الاطعمة

وبما أن أكثر ما تأكله يحتوى على مواد نشائية فيجب مضغها جيدا حتى يدر عليها اللعاب وتختلط به ويتحد الخير الموجود به واسمه (الدياستاز) بالمادة النشائية فيكون المادة السكرية التى قلنا ان اسمها الجليكوز. هذه الوظيفة كما ترى من أهم وظائف الهضم يتوقف عليها

انهضام المواد النشائية فينبغى والحالة هذه أن يعنى الآكلون بالمضغ جد العناية وأن يعودوا أنفسهم المثابرة عليه حتى تنهضم المواد النشائية فى أفواههم والا فلو نزلت الى المعدة ثم الى الامعاء الدقاق غير محالة الى الجليكوز فانها لاتقبل هنالك لانهضام وتنزل مع البراز كما أكلت ولا يكون من ورائها الا ما جناه الانسان من التعب فى تناولها

﴿مضى﴾ الشيء يمضى ويمضو مُضيا ذهب . (أمضى الامر) أنفذه

﴿مطَرت﴾ السماء تمطُر أنزلت الماء من السحب و (أمطرت السماء) مثله و (استمطر الله) سأله المطر. و (يوم مَطِير) ذو مطر

(المطر) السبب الطبيعى للمطر هو أن المياه الموجودة على سطح الارض فى البحار والانهار والبحيرات والمستنقعات تتبخر أى تستحيل الى بخار طول مدة الصيف فتصعد الى الجو ولا تظهر فيه بسبب شدة الحرارة فاذا جاء البرد تكاثفت تلك الابخرة وظهرت وارتفعت الى مسافات عالية من الجو وبقيت فيه أو اندفعت مع الرياح فاذا تراكمت على جو جهة من الجهات وأدركتها هنالك برودة شديدة استحالت الى حالتها الاصلية أى الى ماء فيسقط ذلك الماء وينزل على هيئة خيوط من السماء هو المطر المعروف

فان قيل لماذا لا تظهر تلك الابخرة المائية فى الصيف وتظهر فى الشتاء ؟ قلنا انها لاتظهر فى الصيف لأن الحرارة تفرق أجزاء تلك الابخرة وتلطفها فلا تظهر . والدليل على ذلك اننا فى أثناء تنفسنا نزفر حمض الكربون وبخار الماء ولايظهر ذلك البخار فى الصيف ولكن اذا جاء الشتاء وجدنا أن لزفيرنا دخانا كالسحب هو فى الحقيقة بخار الماء الخارج من رئتينا يتكاثف بمجرد ملامسته للهواء البارد كذلك أبخرة الماء التى تنتشر فى الجو لا تظهر فى أثناء الصيف بسبب شدة الحرارة فيه ولكنها تظهر فى الشتاء كما تقدم

﴿مَطّ﴾ الشيء يمُطه مَطامده ومثله (مَطّطه) و (تمَطّط) تمدد

﴿مطَع﴾ يطَع مطوعا ذهب

﴿مطق﴾ تمَطّق الطعام تذوقه ورددہ فى فيه

﴿مطل﴾ الحبل يمطله مطلا مدهو (مطل زيد ابدينه) سوفه بوعد الوفاء مرة بعد مرة ومثله (ماطله) و(المطال) الكثير المطل

﴿مطى﴾ امتطى الدابة وأمطاها جعلها مطية (وتمطى الرجل) تمدد . و (المطية) جمعها مطايا

﴿معد﴾ حي من العرب (انظر عرب)

﴿المعدة﴾ المعدة هي العضو الرئيسي لهضم الاغذية مركزها تحت الرئة اليسرى والقلب يفصلها منهما الحجاب الحاجز وهي مؤلفة من ثلاث طبقات أو أغشية فالطبقة الظاهرة تسمى الزلالية والمتوسطة العضلية والباطنة المخاطية

تشبه معدة الانسان كرش الحيوان من حيث طبقاتها فتجد ان الغشاء الظاهري لها أملس صقيل والغشاء المتوسط مؤلف من خويطات على طبقتين أليافها متصالبة والغشاء الباطن رخو تظهر فيه غضون

هذه معدة الانسان أما الحيوانات التي تأكل الاعشاب وتجتر كالغنم والمعز والبقر والابل فلها أربع معدات . فالاولى تسمى الكرش ووظيفتها أن تقبل الاطعمة من الفم فتبتل فيها وتنتفش ثم تدفعها الى المعدة الثانية ومنها ترجع الى الفم فيجتر الحيوان الطعام بفمه ثم ينزل الى المعدة الثالثة ثم ينزل من هنالك الى المعدة الرابعة

شكل معدة الانسان بيضي كشكل القربة طرفها الغليظ الى اليسار والدقيق الى اليمين وقاعدتها مستديرة تشمل المراق الايسر وجزءا من أسفل الكبد

حجم المعدة يختلف بحسب الخلاء والامتلاء . قطرها المستعرض نحو ٢٠ سنتيمترا والجزء الخلفي المقدم من ٨ الى ١٠ سنتمترات . وقيس مسطح المعدة كله متى بلغ غاية نموه فبلغ مترا مربعا ويمكن ان تشمل المعدة ثلاث لترات على الاقل ووزنها المطلق ٢٠٠ غرام

يميز للمعدة وجه مقدم ووجه خلفي وحافتان عليا وسفلى وحدبتان كبيرة وصغيرة وطرفان يميني ويساري

فالوجه المقدم يصير علويا متى امتلأت المعدة ومحدبا مجاورا للحجاب الحاجز الذي يفصله عن الاضلاع الكاذبة والكبد والجزء العلوي من جدران البطن

ويجاور التقعير الشراسيق

وأما الوجه الخلفى فيصير سفليا كلما تمددت المعدة ويجاور القولون المستعرض (وهو قسم من الامعاء)

وأما الحافة السفلى المسماة بالقوس المعدى الصغير وتقعيرها الى الاعلى وهى ممتدة من الفؤاد الى البواب (الفؤاد هى الفتحة العليا للمعدة والبواب هى الفتحة السفلى لها)

وأما الحافة السفلى المسماة بالقوس المعدى الكبير فهى أكثر طولا من العليا وهى محدبة مستديرة تنطبق على الجدر الباطنية

والمنتفخ من المعدة الموضوع على يسار الفؤاد يسمى بالحدبة المعدية الكبيرة وهى تجاور الطحال من اليسار حالة الامتلاء وتكون منفصلة عنه فى حالة الفراغ بالرباط المعدى والطحال، ومن الامعاء تجاور السطح السفلى للحجاب الحاجز والست الاضلاع الاخيرة ، ومن الخلف البنكرياس والمحفظة فوق الكلى وقة الكلى اليسرى

واما الحدبة الصغيرة فهى عبارة عن الانتفاخ الصغير المجاور للبواب، والطرف اليسارى للمعدة يسمى بالفؤاد ويتصل بالمرى، واما الطرف اليمينى فيسمى بالبواب ويتصل بالمعى الدقيق

المعدة مغطاة من الباطن بغشاء مخاطى أبيض ضارب للسمرة ذى ثنيات وميازيب غير منتظمة تزول فى حالة تمدد المعدة فتكون فى حذاء البواب شبه ثنية حلقية

(تركيب المعدة)

تتركب المعدة من اربعة أغشية وهى من الظاهر الى الباطن الغشاء المصلى ثم الغشاء العضلى ثم الغشاء الخلوى ثم الغشاء المخاطى

فالغشاء العضلى يتركب من ثلاثة أنواع من ألياف ملساء طولية وحلقية ومنحرفة فالطولية سطحية وهى استطالات الالياف الطولية للمرى، وهى تشع فى جميع الاتجاهات

وأما الالياف الحلقية فتتكون منها طبقة مستمرة فى جميع امتداد المعدة ويتراكم بعضها على بعض فى محاذاة البواب فتكون العضلة العاصرة للبواب

وأما الالياف المنحرفة الخاصة بالمعدة فموضوعة اسفل الغشاء المخاطى

مباشرة وهى عبارة عن عروض عضلية تقصيرها محيط بالحدبه المعدية الكبيرة وبالجهة اليسرى من الفؤاد وطرفاها يتجهان بانحرف الى اليمين واليسار على وجهى المعدة وبانقباض هذه الالياف المنحرفة تنقسم المعدة الى قسمين سفلى يسارى هو مستودع الاغذية ، وعلوى يتكون منه قناة تتبع القوس الصغير وهى معدة لمرور السوائل مباشرة من المرىء والاثنى عشرى

وأما الطبقة المصلية فمتكونة من البريتون المحيط بوجهى المعدة ثم ان وريقتى البريتون تلتصقان فيتكون منهما رباطان احدهما حذاء القوس الصغير ويسمى بالثرب الصغير أو الرباط المعدى الكبدى والثانى حذاء القوس الكبير ويسمى بالثرب الكبير أى الرباط المعدى الثربى القولونى

وأما الغشاء الخلوى فهو عبارة عن طبقة خلوية ليفية معدة لاندغام الطبقة العضلية ومحتوية على الاوعية الدموية التى تنتهى فى الغشاء المخاطى

وأما الغشاء المخاطى فيغشى السطح الباطن من المعدة ويستمر من جهة مع الغشاء المخاطى للمرىء الاثنى عشرى وسطحه السائب محتو على ثنيات طولية ومستعرضة وارتفاعات صغيرة تسمى بالحلمات وأدمته مركبة من الياف ليفية وبشرته ذات خلايا أسطوانية ويوجد فى سمكها الغدد المعدية وهى أنبوبية بسيطة أو مركبة مستقيمة كل واحدة منها تتركب من غشاء خاص وبشرة وتنقسم هذه الغدد الى نوعين غدد العصير المعدى وغدد المخاط

فالاولى توجد فى جميع سطح المعدة الا فى مجاورة البواب وتشتمل بواطنه على خلايا الببسين التى هى مستديرة وفى باطنها نويات ومواد حبيبية

والثانية أى الغدد المخاطية توجد بالقرب من البواب وكل منها مغطى من الباطن بقشرة ذات خلايا أسطوانية

ويوجد أيضاً فى سمك الغشاء المخاطى المعدى طبقة رقيقة من ألياف عضلية ملساء محيطة بقاع الغدد المعدية

***

هذا وقد أتحفنا حضرة الدكتور الفاضل حسين أفندى المراوى ببحث جليل فى المعدة وبعض أمراضها ننشرها هنا مع الشكر لحضرته على هذه الخدمة

العلمية وهى :

﴿ المعدة ﴾

المعدة موجودة فى أعلى التجويف البطنى من الجهة اليسرى ولها فتحتان العليا فتحة الفؤاد وهى خلف غضروف الضلع السابع على بعد ١٠ سنتيمترات من الامام والفتحة الثانية فتحة الاثنى عشرى على بعد أربعة قراريط من مكان اجتماع غضاريف الاضلاع وعلى بعد قيراط واحد من خط التماثل المتوسط ونهايتها من الاسفل أمام الضلع التاسعة . هذه الحدود تتغير فى حالات امتلاء المعدة وخلوها ولكن لا يمكن أن يصل الحد الى السرة بأى حال من الاحوال اذا كانت المعدة سليمة من الآفات

(اختبار محتويات المعده)

من استخراج محتويات المعدة واختبارها نستفيد فائدة عظيمة وهى معرفة أنواع الاحماض الموجودة بها مثل حمض الكلوريدريك واللبنيك ودرجة الببسين وعدم قوة المعدة على الهضم

(القىء) تلاحظ رائحته ولونه وكميته ومحتوياته . فالرائحة تتغير بما أكله الشخص من المآكل ذات الروائح والزيوت العطرية والكحول . أما اللون فاذا اختلف عن لون المآكل المعروفة فانه يتغير الى الاسود بوجود الدم والى الاصفر والاخضر بوجود المواد الصفراوية . ويجوز أن يكون فيه زبد مخاطى ويجب أيضا معرفة درجة الهضم وفى كم ساعة حصل ذلك

والبحث بالميكروسكوب يرى أجزاء نباتية وحيوانية كألياف عضلية وأجزاء نشائية وميكروبات لاعدد لها . وبعد ترشيح القىء يمكن تحليله كيماويا

(غذاء الاختبار) اذا لم يتقايأ المريض من نفسه ويراد معرفة حال المعدة يمكن اعطاء المريض غذاء على سبيل الاختبار وهو أن يأكل فى الصباح أوقيتين ونصف من الخبز ويشرب ١٠ أوقيات من الماء أو الشاى الخفيف وتغسل المعدة بعد ساعة بواسطة أنبوبة غسيل المعدة ويحلل السائل المأخوذ فحمض الكلوريدريك يرسب الرصاص والفضة فى مركباتهما السائلة وحمض اللبنيك الخالص يحول لون الورق المصبوغ بصبغة الكنغو الحمراء الى اللون الازرق . وأحسن الاختبارات لحمض

الكلوريدريك هو كشاف جنزبرج وهو عبارة عن غرامين من فلوروجلوسين وغرام واحد من الفانيلين وثلاثين غراما من الكحول الخالص فاذا وضع قليل من النقط من هذا الكشاف على قليل من السائل الذى يحتوى على حمض الكلوريدريك وسخن ذلك على النار انقلب اللون الى أحمر وردى جميل وكشاف أوفلمان لاجل حمض اللبنيك هو عبارة عن عشرة سنتيمترات من سائل حامض الفنيك أربعة فى المئة على عشرين غراماً مكعبة من الماء ونقطة واحدة من صبغة ثانى بودور الحديد فيتحول اللون الازرق الى اللون الابيض

(حامض الزبدة) يستخلص الاتير من الراسب الباقى بعد ترشح محتويات المعدة ثم يرشح ويؤخذ السائل ويبخر ويذاب الباقى فى ماء ويضاف اليه كلورور الجير فينفصل الحمض على شكل حبيبات شحمية

(حامض الخل) يعرف باللون الاحمر اذا أضيف اليه قليل من صبغة ثانى بودور الحديد

أما قوة الهضم فتعرف بمقارنة قوة الهضم الطبيعية بما تضمنه محتويات المعدة من الفيبرين أو مح البيض بعد اضافة ٢ ر٠ فى المئة من سائل حمض الكلوريدريك

(أمراض المعدة)

سوء الهضم أو عسر الهضم ألفاظ تطلق على عدم هضم المأكولات على الشكل الطبيعى أو بقاء الاغذية فى المعدة فوق الوقت المعتاد وكل هذا ينشأ من وجود أمراض فى المعدة سواء كانت التهابات مختلفة أو أرواح أو قرح انسداد فى فتحة المعدة الاثنى عشرية ولكن فى الغالب الشائع أن تكون هذه الآفات نتيجة عدم افراز السوائل الهاضمة على الشكل الطبيعى أو عدم تحرك المعدة على الشكل العادى أو أن يكون الافراز غير ملائم للأغذية أو أن تكون القوة العصبية الهضمية ناقصة من أى وجه كان

وقد يجوز أن يكون المنشأ عدم اعطاء الغذاء الكافى أو فوق العادة فينتج من وراء ذلك تهيج فى المعدة أو عدم قدرتها على أداء وظيفتها بالشكل المطلوب وفصل هذه العوامل يؤثر فى المعدة فينشأ الالتهاب المعدى فيحول دون معرفة الحقيقة

(عسر الهضم)

يكون هنا ناشئا عن خلل على من أكل زائد عن المعدة أو مهيج لها. ويسرى هذا على أى رجل سليم البنية يأكل مايزيد عن حاجته أو يشرب كثيرا من القهوة أو الشاى أو المشروبات الكحولية فان الطعام يبقى فى معدته أكثر من الزمن اللازم بغير هضم. مثال ذلك بعد الاعمال الشاقة مدة عدة ساعات لاتستطيع المعدة هضم أى غذاء هذا بخلاف الرياضة الجسمية الغير الشاقة فانها تحسن المعدة

(اعراضه) أما أن تبتدىء بعد الاكل مباشرة او بعد عدة ساعات فيشعر الانسان بألم فى جهة المعدة أو شعور غير طبيعى فى هذه الجهة وربما حصل الاكل فى وقت الغذاء فيبقى فى معدته حتى وقت النوم فينام الشخص بدون أى ألم فيه ولكنه يستيقظ من ألم فى معدته ويكون لسانه جافا وبه صداع شديد فيبقى ساهرا مدة الزمن وربما حصل ألم فى جهة القلب وفى بعض الاحيان تضطرب ضربات القلب وفى الصباح لاتنفتح شهية المريض للاكل ولكن كل هذه الاعراض تزول فى قليل من الساعات وفى بعض الاحيان ينتهى المرض بسرعة زائدة بحصول القىء فيزول كل شىء وربما تكرر القىء ومج معه قليل من الصفراء وربما حصل اسهال فى الاثنى عشرى فى الساعة التالية لوقت المرض

(العلاج) ايجاد القىء بأى شكل كان سواء بالمقيئات أو بتهييج داخل الحلق وفى الاحوال البسيطة يمتنع عن الطعام مدة من نصف يوم الى يوم

(سوء الهضم المزمن)

أسبابه أما من نفس الطعام أو أن افراز المعدة لايكفى للهضم أو من عدم انتظام حركاتها والسببان الاخيران تحت تأثير المجموعة العصبية

وتضمحل قوة الهضم اذا كان ما يؤخذ من الطعام زائداً عن الحاجة أو لعدم مضغه من عدم وجود الاسنان أو مرضها أو أن يكون المأكول لايذوب فى عصارة المعدة بسهولة كاللحم الخشن أو الفواكه الغليظة أو الخضر ذات الالياف الكثيرة وفيها كمية كبيرة من السليولوز

أما من جهة المعدة فان كل مرض عضوى يسبب سوء الهضم مثل قلة افراز

حمض الكلوردريك والبيبسين او كثرة افراز المخاط وضعف جسم المعدة أو ضعفها من ضخامة أي جزء من حتويات البطن أو سقوط المعدة من محلها وهذا شائع جدا في السيدات اللاتي تعدد حملن

(الاعراض المحلية) ألم بين ضلعي زاوية غضاريف الاضلاع يبقى مدة من الزمن بعد الاكل ثم يزول وربما وصل اشعاعه الى مكان القلب ولذلك دعوه (حرقان في القلب) ويعلل بصعود حمض الكلورودريك الى البلعوم وربما وصل أيضاً الى الظهر وكلما مضى الزمن على الهضم امتدت وتوسعت دائرة الالم الى السرة وغيرها من البطن وفي بعض الاحيان يكون الالم قبل الاكل ولا يزول الا بتناوله

(ألم المعدة)

ألم المعدة اما أن يكون من سوء الهضم أو من سبب عصبي خصوصاً في السيدات وغالباً يكون من المصابات بالنقرس

(الرياح)

اكثر ما تكون مصحوبة بسوء الهضم فتنتفخ المعدة وما حولها وتزداد الآلام ثم يتجشى المصاب وقد تخرج الارياح من الجهة الاخرى وتسمع القراقر في البطن

وقد تكون الرياح نتيجة تخمر في المعدة من وجود ميكروبات اذا كان افراز حمض الكلوريدريك ناقصاً وهو من مطهرات المعدة فضلا عن خصائصه الهضمية وقد يكون التجشي غاز حمض الكربونيك من فعل الحمض على أي كربونات موجودة في الطعام

(التهوع والقيء)

التهوع والقيء معروفان فلا موجب لشرحهما

(الاعراض العامة للمعدة) يختلف منظر اللسان عن العادة فتارة تكسوه طبقة بيضاء ويكون اكثر انبساطا أو اعظم احرارا والطبقة التي تكسوه قد تكون بيضاء او صفراء وفي بعض احوال سوء الهضم قد يكون ناشئا عن سرعة عبور الطعام عن المعدة الى الامعاء فينتج الاسهال وكثيراً مايحصل القيء ويكون هناك أيضاً طفح جلدي مختلف الانواع ويتأثر المجموع العصبي فيشعر

الانسان بدوران وعدم النشاط وصداع ورؤية أنوار كاذبة وحمق وضعف عقلى وشىء من فقر الدم

(أنواع سوء الهضم)

هى كما قدمنا اما قلة حركة فى المعدة أو زيادة فى هذه الحركة أو قلة أو زيادة فى حمض الكلوردريك او قلة الببسين ولكن هذه الانواع كلها لا تتأكد فى كثير من الاحيان الا باختبار افراز المعدة ولكن هناك نوع سوء هضم مع التجشى يكون عادة من عدم قوة المعدة ويشع الى الظهر وقديوجدانتفاخ وامساك شديد

﴿ زيادة افراز حمض ﴾
(الكلوريدريك)

زيادة افراز حمض الكلوريدريك يسبب ألما بعد الاكل بساعتين أو أكثر ويزداد هذا الالم فيشعر المريض بحرقان في موضع فتحة الفؤاد

وأكثر مايكون هذا الالم بعد أكل المواد النشائية والسكرية وربما لا يحصل مطلقا بعد أكل اللحم . واذا استمر افراز الحمض على الدوام يحصل قىء حمضى وعلى العموم فان هذا النوع له أدوار كل واحد منها يمكث عدة أيام أما سوء الهضم الناتج عن آفة عصبية فهى تلك الحالات المصوبة بألم عظيم فى المعدة وقىء واخراج غازات وهى أكثر ماتكون فى العصبيين وباختبار افراز المعدة لا يوجد فيه أى تغير

(العلاج) قد أطلنا الشرح الماضى لان هذه الآفات قد لا يخلو منها انسان ولا منزل ولذلك سنطيل فى الشرح أيضاً فى ذكر العلاج والمسألة تتعلق بصبر المريض وحكمة الطبيب لان من الامثال الشائعة انه لا توجد آلام قوية ينساها المصاب بسرعة الا آلام المعدة اذا جلس المرء على مائدة الطعام ولديه شهية وهو جوعان . وقبل البدء فى علاج سوء الهضم يجب أن يتأكد عدم وجود قرحة أو ورم خبيث أو ما أشبه ذلك ويجب أيضا الاعتناء بحالة الاسنان اذا لم تكن لها قدرة على تأدية عملها من تكسير أو مرض . ثم يجب السؤال عن الطعام فاذا كان غير لائق أو صعب الهضم فيجب الامتناع عنه ولكن . الشرط العلمى أن نختبر مفرزات المعدة قبل البدء فى أى علاج وتقدير الناقص منها واذا لم

يتيسر ذلك فانمن النقط العلمية أيضا ما يساعدنا على خير الوجوه فان سوء الهضم إما أن يكون بسبب تهيج المعدة من الاغذيةأوقلةافرازها للمواد اللازمةللهضم أو عدم قدرة المعدة على الحركات الهضمية لذلك يجب تعديل نظام الطعام أى يؤخذ الطعام بمقادير صغيرة على دفعات متعددة فى أزمنة صغيرة والامتناع عن أكل المواد المهيجة والحريفة مثل لحم الخنزير واللحم الخشن وأم الخلول واللفت وأمثالها ويقتصر على الاطعمة السهلة الهضم ولكن فى الاحوال الشديدة يجب الاقتصار على اللبن المضاف اليه شىء من الببسين ثم بعد تقوية المعدة يتدرج المريض فى الطعام

واذا كان فى المعدة تخمر حمضى وجب الاقتصار فى الطعام على المواد الزلالية والامتناع عن المأكولات النشائية والتى تحتوى على كثير من الدقيق

وفى الغالب تكون الاطعمة الموافقة هى نتيجة اختبارات المريض واذا كان نبيها فيمكنه أن يحكم على الاطعمة الموافقة لمعدته

واذا كان هناك ضعف في المعدة او أنهاك عصبي فان الراحة التامة للمعدة خير واسطة فى صلاحها

فاذا وجد ان هذا الضعف موضعى فقط فان التقوية الرياضية هى خير علاج للمعدة كركوب الخيل والقفز والتدليك وما أشبه ذلك

أما العلاج بالعقاقير فينحصر في ا‌كربونات القلوية قبل الاكل والبزموت والاحماض والعقاقير المرة كساق الحمام ومحضرات الكواسيا والجنطيانا والجوز المقىء وفى الحالات البسيطة يضاف حمض الكلوريدريك

وتعطى المواد الطاردة للرياح مثل روح النوشادر العطرى والحبهان والزنجبيل

أما زيادة حموضة المعدة فخير علاج لها أن يعطى المريض غرامات من بيكربونات الصودا بعد الاكل بساعتين ويمتنع عن أكل المواد النشوية

ثم يعطى خلاصة الجوز المقىء مع الكينين

الدكتور حسين المراوى

هذا ما كتبه حضرة الدكتور حسين افندى المراوى الفاضل وليس علينا أن نزيد عليه الاسرد جميع أنواع أمراض

المعدة سرداً موجزاً مع الاشارة الى أعراضها وعلاجاتها على حسب الخط التى اختططناها لهذه الدوائر فنقول :

(الاعراض العامة لامراض المعدة)

من الاعراض العامة لآفات المعدة فقد الشهية ويصحبها النوازل المدية والانيميا فاذا كان سبب فقد الشهية ليس من مرض بالمعدة فتستعمل لايقاظ الشهية العلاجات المرة كفلى خشب الكواسيا والجوز المقىء والجنطيانا والراوند . وأما اذا كان بالمعدة حالة نزلية فيلزم الابتداء بمعالجتها

ومنها أفراط الشهية وهو المسمي بالبوليميا وهذا العرض يصحب الآلام العصبية للمعدة فترى المريض يأكل ويملأ معدته ولا يشبع ويشاهد هذا العرض أيضا فى أمراض البول السكرى والامعاء من دودها وانتفاخ عقدها الليمفاوية

وهناك عرض يقال له فساد الشهية ويعبر عنه بالبيكا يشتهى فيه المريض المواد غير المغذية أو القذرة بشراهة مفرطة كالطين والطباشير والجير ونحوها وهذا العرض يشاهد فى أثناء الحمل وفى الهستريا وفى الجنون

والتجشى وهو يصحب فساد الهضم غالبا وهو إما ان يكون غازيا أو سائلا

فالتجشى الغازى ينشأ من خروج الغازات من المعدة وحدها أو مصحوبة ببعض أجزاء من الطعام . وقد تخرج الغازات متحملة بسوائل حمضية يحس بها فى الحلق

أما التجشى السائل فانه يصحب فساد الهضم أو يكون متعلقا بحالة نزلية أو يكون ذاتيا عند بعض النساء والشبان ويحصل فى الصباح غالبا ويصحبه تألم فى القسم الشراسيفى ثم يخرج السائل من المعدة ويصل الى الفم بمقدار وافر ويكون حمضيا محرقا أو يكون تفها لاطعم له ويتكرر خروج السائل بحركة التجشى بدون قىء متى انتهى يحس المريض بالاستراحة وزوال التعب الشراسيفى . وقد يصل مقدار السائل الخارج من عدة أواق الى ليتر فى اليوم ويكون السائل رائقا أو رغويا . فبعضهم ينسبه الى ماء الشرب وبعضهم الى زيادة افراز اللعاب وتجمعه فى المرىء فوق فتحة الفؤاد ثم

خروجه على حالته القوية

يعالج التجشى الشازى والحمض بالبزموت وحده او مصحوبا بالافيون والادوية المرة أو القابضة كالكينا والجنطيانا

(٣) والقىء يشاهد فى أمراض المعدة المختلفة كسوء الهضم والالتهاب والاورام المعدية وقد يحصل فى بعض الامراض العصبية كالهستريا والضعف العصبى. وقد يشاهد القىء فى بعض أمراض المخ والنخاع كالاحتقان المخى وخراجاته والاحتقان والانيميا وفى هذه الحالة يتكرر القىء غالبا عند حركات الرأس أو انخفاضها أو ارتفاعها الفجائى وبعض الآفات الحشوية يوجب القىء كالتهاب الغشاء المخاطى للانف والشعب التى يصحبها سعال شديد وأمراض القلب والامعاء والكبد والكلى والبريتون وأعضاء التناسل

وقد يستدل بالقىء على ابتداء السل الرئوى قبل ظهور علاماته الطبيعية وعلى داء اديسون والحمل عند المرأة ولكن فى هذه الحالة الاخيرة لايستمر القىء فيهما الا عدة أسابيع

ومتى اصطحب القىء بالاسهال يعرف ان المعدة او الامعاء فى حالة اضطراب من تأثير برد أو سوء هضم وقد يستدل منه على البول الزلالى أو على التسمم الحاد والمزمن بالجواهر المهيجة كالزرنيخ والانتيمون

يعالج القىء العصبى إما بمنع الغذاء والشراب جميعا مدة أيام الى أسبوعين وتغذية المريض بالحقن فى المستقيم أو بعدم التصريح للمريض الا بملعقة صغيرة من اللبن ثم يضاعف له المقدار باحتراس ثم يعتنى بعد ذلك فى انتخاب الاغذية السهلة الانهضام

(٤) والسعال المعدى ويعرف بأنه جاف متكرر ويتسبب عنه خروج مواد مخاطية تأتى من المعدة

(٥) والفواق وهو ينشأ من انقباض الحجاب الحاجز بحالة فجائية تتكرر فى مسافات قريبة أو بعيدة تحدث بصوت مخصوص فى المزمار عقب مرور الهواء فيه بقوة. وليس للفواق أهمية اذا كان وقتيا وانصرف فى بضع دقائق أو بضع ساعات وأما اذا استمر أياما متوالية فانه يدل على شدة

(٦) والاضطراب العصبي وهو من أعراض أمراض المعدة ويشمل الخفقان وعسر التنفس وثقل الرأس والاعراض العصبية الاخرى التي تصحب في الغالب امتلاء المعدة وتمددها بالغازات وسوء الهضم

(أمراض المعدة) : (١) التهاب المعدة الحاد في هذا المرض يلتهب الغشاء المخاطي للمعدة ويمتد الى الطبقات التي تحته وينقسم على حسب شدته الى التهاب نزلي أو التهاب حاد والتهاب غلغموني وتسمى ودفتيرى

أعراض الالتهاب النزلي الخفيف يعبر عنه بالتلبك المعدي والتخمة المعدية وتشاهد مثلا عند الاطفال متى أفرطوا في أكل المواد العسرة الهضم كالمشمش والبلح

ويحصل عند الكهول اذا أفرطوا في الاكل والشرب وأدخلوا الطعام على الطعام وتمرضوا التعب والسهر فتفقد شهيتهم ويحصل لهم غثيان وتبيض ألسنتهم وتنغطى بطبقة وسخة اومصفرة ويشعر بتكسر في الاطراف وملل وتحصل لهم حركة حمية خفيفة ومتى تقايأوا وتفرغت معداتهم يستريحوا ويبرأوا

وقد تكون النزلة المعدية أشد مما ذكر فيصحبها احساس بضغط وثقل في القسم الشراسيفي وتألم أصم ثابت أومنتشر يشع نحو الظهر أوبجوار اللوح ويزداد الالم بالضغط على المعدة ويصحبه فقد في الشهية وكراهة للاطعمة وتمجن في اللسان وتغطيه بطبقة وسخة سميكة وعطش وميل الى المشروبات الباردة ويكتسب النفس رائحة غير مقبولة ويحصل تجشى غازات منتنة وغثيان وقيء مواد غذائية غير تامة الهضم ومختلطة بمادة مخاطية وقد يتبعها قليل من الصفراء وقد يصحب هذه الاعراض تكسر في الاطراف وحركة حمية خفيفة ونقص في افراز البول مع تركزه وقد يظهر على الذقن والشفة طفح

تنتهي النزلة المعدية الحادة عادة بالشفاء من يوم الى ثلاثة أوأسبوع مالم يستمر المريض على أفساد معدته وحينئذ تستحيل النزلة الحادة الى نزلة مزمنة

أسباب هذا المرض عدم انتظام التدبير الغذائي والافراط في الاكل

والتوابل والمشروبات الروحية والاطعمة الساخنــة أو المثلجة وادخال الطعام على الطعام وأكل المواد العسرة الانهضام أو اللحوم الفاسدة كالسمك وام الخلول العفنة وتعاطى المواد الحريفة والتعرض للتغيرات الجوية فى فصل الربيع والخريف وشدة الحرارة فى الصيف والتعب واستنشاق الابخرة الزرنيخية كالنوم فى غرفة مبطنة بالورق الملون بلون يحتوى على تراكيب زرنيخية . ويحصل هذا الالتهاب أيضا من الانفعالات النفسية الشديدة

تشخيص هذا الالتهاب المعدى لا صعوبة فيه ولا يلتبس بالحمى التيفودية وانما تجب الدقة فى تعيين نوع الالتهاب ان كان ذاتيا أو تسمميا اوعرضيا

معالجة الالتهاب المعدى يكون باعطاء المريض ملين ضد التلبك المعدى أو التخمة لاجل استفراغ الاطعمة غير المنهضمة الراسخة فوق المعدة وذلك الملين يكون سلفات الصودا أو ماء بولنا أو برمنس دورف واذا اضطر الى القيء فيعطى غرامين من عرق الذهب أو يضاف اليه ٥ سنتيغرام من الطرطير المقيء وتراعى الحمية المطلقة وقد تكفى هذه الحمية لشفاء الالتهاب المعدى فى ٢٤ ساعة واذا لم يطق المريض الامتناع من الاكل فيعطى اللبن باردا ومخففا بماء الجبن أو ماء الصودا أو ماء الشعير اوماء الرز المعطر بقليل من ماء الزهر او ماء القرفة والليمونادا الخفيفة وهذه الاخيرة يجب أن يحترس منها وتؤخذ بمقدار قليل ومتى تحسنت الحالة يصرح له بأغذية نشوية كالبلوظة والرز المدقوق مع اللبن (المهلبية)

ولاجل تلطيف العطش يعطى المريض قطعا صغيرة من الثلج يستحلبها ببطء ولاجل تلطيف القيء يعطى البزموت مع كربونات الصودا والمورفين

(٢) الالتهاب المعدى المزمن يتبع هذا المرض النزلة المعدية الحادة غالبا ويكون أصله عقب تكرار سوء الهضم والتعرض لاسباب التلبك المعدى والافراط فى المشروبات الروحية ، وهذا الالتهاب يلازم فى الغالب بعض آفات المعدة البطيئة السير كالسرطان والقرحة الوحيدة وبعض الامراض التى توجب اعاقة الدورة الوريدية كآفات الصمامات القلبية وسيروز الكبد والانفزيما الرئوية

والالتهاب البلعومى المزمن ونحو ذلك ويشاهد هذا الالتهاب المعدى المزمن أيضا فى الانيمياء والخلوروز وغيرها

(أعراضه) تنحصر أعراض الالتهاب المعدى المزمن فى سوء الهضم وسيأتى تفصيله فى البحث الثالث الآتى وتبطل الشهية ويتمجن الفم ويشعر المريض بتعب فى المعدة وتألم بعد الأكل وحصول التجشى والانتفاخ البطنى والقىء والامساك وتتألم المعدة من الجس ويشعر بتيبس جدرها أو تمددها وبرجها ربما تسمع القلقة الخاصة بالتمدد ومتى طال الداء ينشأ عنه النحول وضعف القوى وقد يتضاعف بسيروز الكبد أو البول الزلالى وأساس المعالجة التدبير اللبنى الغذائى وغسل المعدة

(٣) الدسبسيا أو سوء الهضم المزمن . يتم الهضم الطبيعى بأمرين أولهما العصير المعدى وثانيهما حركات المعدة فاذا تنوع العصير المعدى أو اختلفت حركات المعدة يتسبب عن ذلك عدم انتظام الهضم وبما أن الافراز المعدى وحركات المعدة يتعلقان بسلامة الاجزاء الداخلة فى تركيبها كالغدد والعضلات والاوعية والاعصاب والطباق المكونة لجدرها فتكفى اصابة أحد هذه الاجزاء لاضطراب نظام الهضم وحصول بطء فيه أو عسر ، ولذلك يحدث سوء الهضم عن أسباب شتى متنوعة

وبما أن سوء الهضم يعقب دائما اصابات المعدة فلا يمكن اعتباره كمرض ذاتى وانما هو عرض لهذه الاصابة

(أسباب سوء الهضم) أسبابه اما متعلقة بالاغذية أو بالمعدة فاذا كان الغذاء صحيا فربما يحدث سوء الهضم من نقص حمض الموريانيك والببسين فى العصير المعدى أو من افراط حموضته أو من الزيادة فى افراز المادة المخاطية أو الضعف في قوة المعدة أو التهاب غشائها المخاطى أو ضعف الاعصاب المعدية أو المراكز العصبية فبدلا عن أن تنهضم الاغذية تتخمر ويتكون منها حمض الكربونيك والخليك والزبديك وتتألم المعدة ويثقل عليها الغذاء ويحصل التجشى والغثيان والقىء

وأما اذا كانت المعدة سليمة والغذاء رديئا عسر الهضم ان كان مقداره زائداً عن طاقة المعدة أو كان النشا ناقص الهضم واللحوم متيبسة من افراط الطبخ

أو كان مضغها وتشربها باللعاب غير تام أو حصل افراط فى تناول التوابل والمشروبات الروحية

فيمكن حصر أسباب سوء الهضم فى هذه الاسباب وهى :

(أولا) عدم نظام التدبير الغذائى كالافراط فى الاكل أو عدم مضغه جيداً أو شرب البارد المثلوج الخ الخ

(ثانيا) التعب العظيم وقلة الحركة وعدم الفسحة وادمان السهر والافراط فى الاعمال العقلية أو فى الشهوات والحزن والهموم والانفعالات النفسانية ، كل هذه الاحوال تؤثر على الهضم وتفسده

(ثالثا) بعض الامراض العامة والانيميا والخلوروز والنقرس والسل لان النقرس يصيب المعدة كما يصيب الروماتيزم القلب ويسبق فى الغالب النوبة النقرسية ويؤذن بها أو يستمر بلا فتور

(رابعا) اصابة بعض الاعضاء البعيدة كالكبد والرحم والحمل وأمراض الجهاز البولى والقلب التى توجب ركود الدورة الدموية

(خامسا) الوراثة والشبيبة والكهولة لغاية الخامسة والاربعين أو الخمسين

وأما عند الاطفال أو الطاعنين فى السن فلا يشاهد سوء الهضم الا قليلا وذلك لان سن الشبيبة والكهولة عرضة للافراط فى الاعمال القلبية والجسدية وهموم المعيشة

(أعراض سوء الهضم) تتنوع أعراض سوء الهضم المزمن بتنوع الاشخاص والاسباب فيقال على وجه عام أنه يصحب سوء الهضم ضعف فى الشهية ويحس بتألم خاص فى القسم الشراسيفى يسمى بلغة مصر بالسخسخة أو يشعر بتألم شديد يشبه التقلص . فاذا أكل شعر بثقل وتعب يصحبه غالبا احتقان فى الوجه وثقل فى الرأس وميل النعاس ويستمر ذلك بضع ساعات ويصحبه تألم فى القسم الشراسيفى أو يمتد خلف القص ويتسبب عنه ضيق فى النفس أو يمتد الى الظهر بجوار اللوح الايسر ويتألم المريض من الضغط على المعدة وقد يوجب الضغط خفة واستراحة ويتلذذ من شرب الماء البارد والبعض لايحس بعطش ويشبه شرب الماء

ويشكو المريض عادة من كراهة طعم الفم وجفافه ومرارته أو بتعجنه وتكون رائحة النفس كريهة ويكون اللسان وسخا

مغطى بطبقة مبيضة أو مسمرة ويتضاعف سوء الهضم كثيرا بالذبحة الحلقية الحبيبية المزمنة

وقد يصحب سوء الهضم المزمن امساك مستعص وثقل فى الرأس أو صداع جبهى وتعب فى الاطراف وكسل فى القوى العقلية وعدم القدرة على الاشغال أو دوار وماليخوليا . ومتى تقدم المرض أبطأ النبض وضعف الجسم وتكون أقل حركة موجبة لسرعته ويحصل عند بعض المصابين خفقان وضيق نفس ويكون الجلد جافا او ترابيا او رخوا مندى بالعرق وقد تأتى نوبة حمية خفيفة تأتى فى المساء وتنتهى بالعرق ويكون البول غزيرا رائقا او قليلا مركزا فيه رسوبات بولية أو كسالية اوفوسفاتية اويكون البول زلاليا ولا يشاهد تحول المصاب الا اذا تقدم المرض

ليس القىء بشرط فى سوء الهضم المزمن وانما يشاهد غالبا عند المدمنين على الخمر وقد يحل محل فقد الشهية وزيادة مفرطة فيها

(تشخيص سوء الهضم) تشخيص هذا المرض سهل وانما الصعوبة فى تعيين نوعه هل هو متعلق باضطراب وظيفى فقط أو بالتهاب معدى مزمن أو بضعف المعدة أو مرتبط بمرض عام أو بمرض عضو بعيد هو سابق ومؤذن بمرض عضوى موضعى كالقرحة والسرطان فيجب الاعتناء بالبحث عن ذلك وتكرار البحث يوميا

(المعالجة) تتنوع معالجة سوء الهضم وتكون تدبيرية او علاجية

فالمعالجة التدبيرية يمكن تطبيقها على أنواع الطعام وهى عبارة عن الاعتناء فى تدبير الاغذية وانتخابها وتعيين مقدارها وترتيب أوقاتها وأوقات النوم واليقظة

فلا يأكل المريض قط الا الاغذية السهلة الانهضام ويعول على الخضر لانها لاتهضم فى المعدة بل فى الامعاء فيتناول الاسفاناخ والقرع الصغير والرجلة والخرشوف والهليون فتحضر بحيث لا يوضع فيها دسم . ويؤكل الرز المطبوخ مع اللبن والشعرية والمهلبية . وأما الفجل والجزر وجميع الجذور الصلبة فالاصوب تركها . ويتجنب أكل الكرنب والبقول لانها تولد الرياح ويؤكل الخبز محمرآ على

النار ولا تؤكل حيوانات البحر ولا فواقعه ولا الجبن ولا المخللات ولا الفواكه الجافة كالبندق والجوز ويؤخذ اللبن والكوكامع الماء بدل القهوة والشاى لا يشرب المريض مع الطعام الامقدار قليلا من الماء والافضل عدم الشرب مع الاكل بل بعد الاكل بساعتين او ثلاث ساعات . ويمتنع عن التوابل بتاتا ويجب ان يأكل ببطء وأن لا يملأ معدته وأن يمضغ الاغذية مضغا بالغا الغاية

وأن لا يعرض نفسه للتعب العقلى والجسدى مدة المضم وان يواظب على الفسحة فى الهواء الطلق يوميا وعلى تعهد الجلد بالاستحمام

وأما المعالجة الدوائية فتختلف باختلاف الاحوال وبحسب ماإذا كان مرضا مستقلا وتابعا اومنذرا بغيره

(٤) فى قروح المعدة تقرحات المعدة عديدة ومتنوعة وأهمها القرحة الوحيدة وهذه التقرحات تحدث من أنواع شتى فاما ان تعقب الازفة الشعرية فى الالتهاب المعدى الكحولى والبولى أو تعقب الاحتقان المعدى الركودى عقب أمراض القلب او سيروز الكبد وتتصف هذه التقرحات بكونها كثيرة جدا بحيث يصل عددها ٤ أو ٦ فى السنتى متر المربع من النشاء المخاطى وتكون منتشرة على سير التقرحات الشعرية الوريدية ولا يزيد قطرها عن نصف سنتى متر وتكون مستديرة أو بيضية وحافتها منحرفة مفلطحة

وقد تحصل هذه التقرحات عند الطفل الغض ويكون مجلسها غالبا قوس المعدة الكبير ويصحبها احتقان وريدى واضح ويتسبب عنها قىء تتركب موادهمن مواد مخاطية منقطة بنقط مسودة طبيعتها دموية وتكتسب سحنة الطفل هيئة العجوز وتغور عيناه ويتقبض جلده

التقرحات الدرنية تشاهد فى المعدة أقل مما تشاهد فى الامعاء ومحلها فى الغالب القوس الكبير للمعدة وتوصف بكونها غير منتظمة ومحفورة على هيئة قمع يختلف حجمها وقد يصل الى ٣ أو ٤ سنتيمترات وكل من قاعها وحافتيها يكون موشحا بحبيبات درنية ينشأ من لينها اتساع القروح ، والانسجة تكون تحتها مرتشحة بالدرن على امتداد كبير كطول الاوعية الشعرية . ويندر أن يتسبب عنها

ثقب المدة او فتح الاوعية ويلقب ذلك التهاب بريتونى او نزيف خطر

يمكن مشاهدة تقرحات المعدة ايضا فى الحمى التيفودية وفى الزهرى وهو نادر جدا وفى الحروق المتسعة للجلد وعقب رض القسم الشراسيفى

واما القرحة المعدية الوحيدة وتسمى بالقرحة المستديرة والقرحة الثاقبة فهى قرحة أكالة تمتدفى السطح والعمق وتثقب المعدة غالبا وتفتح الاوعية الدموية وهى قابلة للشفاء والالتئام

(أسباب هذه القرحة) رأى العلامة ويرشو أن قلوية الدم تمنع تأثير العصير المعدى على نسيجها فاذا انسدت الشرايين أو الاوردة الشعرية باستحالة شحمية أو غيرها ووقفت الدورة فى نقطة من المعدة استولى عليها العصير المعدى وهضمها ويعقب ذلك تكون القرحة الوحيدة فتكون على هيئة قمع قاعدته فى حذاء الغشاء المخاطى وقمته مواجهة للبريتون . واعترض المؤلفون على هذا الرأى بأن ركود الدورة المعدية عقب آفات صمامات القلب وسيروز الكبد لم يتخلف عنه ظهور القرحة الوحيدة وان القرحة الوحيدة للمرىء لا يصل اليها العصير المعدى ومع هذا فلا يمكن انكار تأثير العصير المعدى على القرحة

تشاهد هذه القرحة الوحيدة فى سن الشبيبة والكهولة اى بين ١٦ و ٥٠ سنة من عمر الانسان وتقل مع التقدم فى السن ولاتشاهد قبل العاشرة الا فى أحوال نادرة وتصيب الاناث اكثر من الذكور

(أعراض القرحة المعدية) هى الألم والقىء وقد تسبقها أعراض سوء الهضم أما الالم فتختلف حدته من درجة الانقباض والثقل فى القسم الشراسيفى الى درجة الحرق والقرص والتمزق والثقب ويبتدىء الالم عادة بعد تناول الطعام ببضع دقائق الى نصف ساعة فى النادر ويستمر مدة الهضم ويزول بعد تمامه واذا حصل القىء وفرغت المعدة يستريح المريض من الالم ويشتد الالم بالضغط على القسم الشراسيفى وبتعاطى المواد الغذائية الصلبة أو العسرة الهضم أو الساخنة وفى النادر جدا يحصل الالم على خلاء المعدة ويتلطف بتعاطى الماء الدفىء . وقد يظهر الالم على نوب بدون سبب واضح او يستمر بلا انقطاع مدة ايام او اسابيع متوالية خصوصا اذا

أزمن المرض ويكون محل الألم فى القسم الشراسيفى فى حذاء النتوء الخنجرى أو على يمينه أو يساره بقليل أو أسفل منه بنحو قيراطين ويصحب الألم الخنجرى ألم فقرى شديد يحس به فى حذاء الفقرة الاولى القطنية وقد يكون فى حذاء الفقرة الثانية القطنية أو التاسعة الظهرية ويتحرك الألم ويشتد بالضغط على القسم الشراسيفى حتى ان المريض لا يتحمل أدنى ملامسة حتى ولو لامس الملابس وقد يحرك هذا الضغط الألم الفقرى أيضا . وفى أحوال نادرة جداً يتلطف الألم بالضغط

أما القىء فيبتدىء عادة بعد ظهور الالم ببضعة أيام أو بضعة أسابيع ويكون دمويا فى القرحة الوحيدة . ويصحب القرحة المعدية الوحيدة عادة سوء الهضم والامساك وأما الشهية فقد تكون محفوظة ويرى على سحنة المصاب هيئة الصحة التامة

يبتدىء هذا المرض غالبا بسوء الهضم ثم تحصل الآلام والقىء وقد تستمر هذه الحالة مدة شهر أو سنين وقد تبلغ من ٢٠ الى ٣٠ سنة أو أكثر مع ثوران وفترات تحسين وباتباع التدبير الغذائى والعلاج ربما حصل الشفاء التام

وهذا الشفاء بذاته قد يحصل بمحض اتباع التدبير الصحى

وأما استحالة القرحة الى سرطان فبعض المؤلفين ومنهم (تروسو) ينفيها وبعضهم يقول بامكانها

(تشخيص هذا المرض) متى وجدت الآلام الخنجرية والفقرية بعد تعاطى الطعام وانصرفت بعد القىء أو بعد تمام الهضم وكان القىء دمويا أو مصحوبا بالميلينا وكان مقدار حمض الكلوريدريك فى العصير المعدى زائداً عن الحد ولم يحس بورم فى المعدة وكان المريض شابا أو كهلا فيمكن تقرير تشخيص القرحة الوحيدة للمعدة

ولكن متى كانت الاعراض المذكورة غير تامة أو كانت قليلة الوضوح فتلتبس القرحة بأمراض أخرى كالآلام العصبية وسوء الهضم المؤلم وسرطان المعدة وقرحة الاثنى عشرى وسيروز الكبد والانيميا والسل عند الشابات ويلزم فى هذه الاحوال اعتبار الامراض الاخرى المميزة لهذه الاعراض والوصول

الى التشخيص بطريقة السرد فالآلام العصبية للمعدة مثلا تتصف باشاعها فى الاعصاب بين الاضلاع وتلطفها بالضغط على المعدة أو بتعاطى الاطعمة ولا يصحبها قىء دموى . وأن كانت هذه الاوصاف غير كافية دائما الا انها تساعد على التشخيص

وسوء الهضم المؤلم لا يثور بتعاطى الاغذية ويتلطف غالبا بالضغط على المعدة ولا يصحبه قىء دموى وتنتشر آلامه بين الاضلاع غالبا

وسرطان المعدة يحس بورمه بالجس ويصحبه تناقص حمض الكلوريدريك أو فقده فى العصير المعدى

وعلى المغص الكبدى بجوار الحويصلة المرارية ويصحبه قىء وقشعريرة ويرقان وربما وجدت حصيات فى البراز

(معالجة القرحة المعدية الوحيدة)

أهم معالجة هذا الداء هو اتباع الشروط الصحية فتجب ملازمة الفراش أو يكتفى بالرياضة الخفيفة ويعتنى بالتدبير الغذائى اللبنى الصرف حتى تلتحم القرحة فيعطى اللبن بمقدار قليل عدة مرات فى اليوم ويكون نيئا أو باردا بعد الغليان أو منعقدا فى الاوانى (أى لبن زبادى) واذا كره المريض اللبن تضاف اليه ملعقة من ماء الجير أو ملعقة من القهوة أو يضاف اليه ماء الجير مع مليغرام واحد من كلورايدرات المورفين أو الكوكايين أو يعطى له اللبن الببتونى أو يضاف اليه ماء الزهر أو يعطى البيض البيارشت ويرفق ذلك بالحقن المغذية من الشرج واذا جاء دور النقاهة تنوع الاغذية باحتراس فيعطى الرز مدقوقا ودقيق الارروت ثم مسحوق البسكوت ويجب اجتناب الحلو والسكر خشية تولد الغازات فى المعدة وتمددها

أما المعالجة العلاجيه فهى من خصائص الاطباء يعطونها على حسب الاحوال

وبما أن القرحة المعدية عرضة للنكسات فيجب مداومة التدبير الصحى فى الغذاء مدة النقاهة وبعد الشفاء ويوصى المريض باجتناب أسباب الضغط على القسم الشراسيفى (أى جهة نهايات الاضلاع) ويجب اجتناب جميع المجهودات

(٥) فى الآلام العصبية للمعدة . معا

هذا الداء الفروع المعدية للعصب الرئوى المعدى والسنباتوى وقد تكون ذاتية أو تابعة لامراض أخرى موضعية أو عامة

(أسباب الآلام العصبية للمعدة) قد تحدث تلك الآلام من تأثير البرد والتعب والافراط الشهوانى والافراط فى الاشغال والسهر والحزن واستعمال التوابل القوية والمزاج العصبى مهيء لها وتظهر الآلام العصبية مصاحبة لسوء الهضم وقرحة المعدة وسرطانها وفى الخلوروز والانيميا والهستريا والاتاكسيا وفى النقرس والتسمم الاجاى والسل وأمراض الرحم والنخاع الشوكى وغير ذلك

(أعراض هذا المرض) العرض الاصلى الوحيد هو الالم الذى يظهر على هيئة نوب وتكون تلك النوب عادة غير متعلقة بالهضم ولا بتعاطي الاطعمة فتارة تسبق الاكل بنحو ربع أو نصف ساعة وتسكن اذا تعاطى الشخص مواد غذائية وتارة تحصل بعد الاكل بنصف ساعة أو ساعة أو تحصل بعد اتمام الهضم ويسبق النوب تجشى غازى أو حمضى أو غثيان ، ويكون الالم أما قاصراً على المعدة فيحس به فى القسم الشراسيفى كتشنج مؤلم ويصحبه قىء متواتر وهبوط أو اغماء أو يكون واخزا أو محرقا أو يشع بعيداً عن المعدة فى الظهر والصدر والاعصاب بين الاضلاع والبطن والامعاء والمراقين أو ينزل فى الحبل المنوى فى فروع الضفيرة الشمسية فيتأوه المريض ويتلوى ويشحب وجهه ويغير أوضاعه على الدوام وتستمر النوبة بضع دقائق الى ربع ساعة أو ساعة وقد تتكرر مرارا فى اليوم وتعود أياما متوالية وقد يصحبها اضطراب هضم ولكن فى الغالب يستمر الهضم طبيعيا والشهية محفوظة بل ربما تزايدت تزايدا مرضيا

ويتنوع سير هذا المرض بتنوع أسبابه فقد تكون الآلام فيه مستمرة وقد تكون وقتية وتنصرف بسرعة ولكنها عرضة للنكسات

(تشخيص هذا الداء) تشع الآلام فى الصدر والبطن وحصولها مدة فراغ المعدة وتسكينها بتعاطى الطعام وبالضغط على المعدة واستمرارها بعد القىء وعدم وجود الدم فيه وعدم زيادة حمض الكلوريديك يكفى فى تمييز الآلام العصبية الذاتية عن آلام القرحة الوحيدة

للمعدة التى فيها الآلام محدودة خنجرية فقرية تظهر بعد الاكل وتسكن بعد تمام الهضم أو بعد القىء وتزداد بالضغط على المعدة والقىء فيها دموى ومحتو على مقدار وافر من حمض الكلوريدريك. أما السرطان فآلامه أقل حدة ويصحبه فى الغالب ورم يحس به فى القسم السراسيفى وسن المريض والقىء الدموى والكاشيكسيا والاوذيما البيضاء المؤلمة الخاصة بالسرطان دلائل على التشخيص

وتتميز الآلام الروماتيزمية لعضلات البطن بكونها سطحيــة وتزداد بحركات البطن

وأما الآلام العصبيــة بين الاضلاع والمغص الكبدى فانها تتميز بالاعتناء فى تحديد مجلسها والبحث عن النقط المؤلمة للاعصاب بين الاضلاع وعن الالم الكتفى فى المغص الكبدى وزيادة حجم الكبد واليرقان والبول المعبر عنه بالكبدى وبقية الاعراض الكبدية

متى تعين تشخيص الآلام العصبية للمعدة وجب بيان سببها لانها ربما كانت مسبوقة بالسل الرئوى أو التخشب أو متعلقة بالخلوروز أو الهستريا او ذاتية صرفا

(المعالجة) يجب الاهتمام بمعرفة سبب النوبة فاذا كانت ناشئة من فراغ المعدة فيكفى تعاطى بعض الاطعمة لتسكينها وقد تسكن بالضغط على قسم المعدة أو بالرقاد والاستراحة على الظهر أو بتعاطى نقط من روح النوشادر العطرى أو الانيزيا المكلسة وحدها نحو غرامين أو مع البزموت أجزاء متساوية ويمكن تدارك عودتها باعطاء هذه الادوية متوزعة فى اليوم أو يعطى من ٥ الى ١٠ نقط من صبغة الجوز المقىء

وتعالج النوبة الشديدة بوضع مثانة مملوءة بالثلج على قسم المعدة وتحقن تحت الجلد بمحلول كلوريدات المورفين

وقد تظهر الآلام المعدية بعد الاكل بنحو ساعتين الى أربع ساعات وتستمر شدتها بضع ساعات

ويجب الاعتناء بالتدبير الغذائى واذا اقتضى الحال فيجب مراعاة الحمية اللبنية أو نصف اللبنية

(١) النزيف المعدى والقىء الدموى

النزيف المعدى هو نزيف ينشأ من أوعية المعدة الواصلة الى تجويفهـا سواء خرج

الدم فيما بعد بالقيء أو بالتغوط او لم يخرج الى الخارج . والغرض من القيء الدموى هو عرض يتصف بوجود الدم فى القيء سواء كان منشأ الدم نزيفا معديا أو ورود الدم الى تجويف المعدة من منشأ آخر كالانف أو الحلق أو الرئة

(أسباب هذا الداء) ينشأ النزيف المعدى غالبا من الاصابات المعدية الجراحية وآفاتها العضوية كالجرح والرض والالتهاب المزمن والقروح ولا سيما القرحة الوحيدة والسرطان وتمدد المعدة

وتمدد احتقان المعدة ربما أدى الى النزيف المعدى كسيروز الكبد وآفات صمامات القلب والالتهاب الرئوى المزمن التى تحدث احتقانا فى الدورة الوريدية وكذلك الاحتقان والنزيف الهستيرى والعرض عقب انقطاع الحيض والبواسير وآفات الاوعية المعدية والانيميا الخبيثة والخلوروز والحميات الصفتة والجدرى

(أعراض النزيف المعدى) يسبق القيء الدموى قشعريرة وشحوب فى الوجه ودوار واغماء وأحيانا لا يحصل قيء دموى فيخرج النزيف مع الغائط وربما حدث القيء فجأة ونزل الدم من الفم غزيراً وربما هلك المريض لوقته أو وقع فى انيميا شديدة ولكن يندر حصول الموت عقب النزيف المعدى حالا ومع هذا فخطورة هذا المرض أو عدم خطورته تتعلق بسببه

(معالجة النزيف المعدى) متى حصل هذا النزيف وجب أن يستلقى المصاب على ظهره وأن يضع مثانة الجليد على معدته وأن يأخذ قطعا من الجليد يمتصها وأن يعطى ليمونادة موريانية أو كبريتية غير محلاة وتستعمل القوابض كفوق كلورور الحديد وماء رابيل وخلات الرصاص بقدر ١٥ الى ٢٠ سنتيغرام مع خلاصة الافيون بقدر سنتيغرام واحد ويعطى زيت التربنتينا من ٢ الى ٣٠ نقطة فى كل ست ساعات مرة مع ١٠ أو ٢٠ نقطة من حمض الكبريتيك فى قليل من الماء

ومتى انصرف النزيف وجبت معالجة سببه

(٧) تمدد المعدة . والمقصود بتمدد المعدة اتساع تجاويفها سواء رقت جدرها أو غلظت

(أسباب التمدد) الالتهاب المعدى النزلى قد يتسبب عنه ارتخاء وشلل فى

جدر المعدة فتتمدد المعدة وهذا ما يعبر عنه بالتمدد الحاد وهو نادر . ويحصل التمدد فى العادة ببطء تدريجيا اما عقب ضيق البواب بورم سرطانى أو بأثر التحام مثلا أو عقب الافراط فى الأكل والشرب فلا تقاوم المعدة الضغط الواقع عليها وتنتهى بالتمدد

وقد يحصل التمدد عقب الآفات التى تصيب جدر المعدة وتضعف عضلاتها أو تفسدها كالالتهاب المعدى المزمن أو أو النهوكة التى تعقب الامراض الثقيلة كالحمى التيفودية والسل الرئوى وأمراض النخاع الشوكى

ومما يهيىء للتمدد المعدى الخلوروز والانيمياء والضعف العصبى والهستريا والماليخوليا ويصحب التمدد المعدى غالبا خروج احدى الكليتين من مكانها وبقاؤها سابحة

التمدد المعدى أكثر حصوله بين الخامسة عشرة والاربعين من العمر ويشاهد عند الرجال أكثر مما يشاهد عند النساء

(أعراض تمدد المعدة) قد تزيد شهية المصاب بالتمدد أو تنقص ويشعر بعطش شديد وامساك مستمر ويكون هضمه بطيئا صعبا ويحدث له قىء فى الغالب وقد يصل مقداره الى بضع لترات فى اليوم من مواد سائلة مخاطية متكونة مرة الطعم ذات رائحة كريهة محتوية على مواد غذائية متعفنة ربما تشاهد فيها بعض الاغذية التى تعاطاها المريض منذ يومين أو ثلاثة ويتسبب من تكرار القىء نقص البول ونهوكة المريض وقد يكون القىء دمويا . وبالكشف على البطن يرى القسم الشراسيفى (أى ما دون الاضلاع) بارزا شديد الرنين تحت القرع ومتسما خصوصا متى كان المريض على الخوى . ومتى رج الجذع رجا فجائيا سمعت له لقلقة تتضح متى أعطى المريض كوبا من الماء . وقد يتغير شكل البطن فيتكون بروز فى الجهة اليسرى وانخفاض فى الجهة اليمنى وبالجس يحس بتقوس قعر المعدة وحافتها السفلى وتقعر الحافة العليا

متى كان تمدد المعدة خفيفا فلا يحدث منه اضطراب واضح فى الهضم ولكن متى تزايد وأزمن فانه يصحبه سوء الهضم بدرجات مختلفة مع تألم فى القسم الشراسيفى وعطش زائد لأن المعدة

المتمـددة لا تمتص السوائل ويتكرر القيء وتبطل التغذية وتحصل النهوكة والنحافة وتتضاعف الاعراض عند بعض المرضى بالماليخوليا والدوار وتقطع النبض وقـد تحصل نوب صرعية أو تقلصات مختلفة أو شلل أواعراض شبيهة بأعراض التسمم البولى ينسبها العلماء الى امتصاص المعدة للسموم العفنة التى تحدث من تخمر المواد الغـذائية . وقد يتضاعف تمدد المعـدة بالروماتيزم العقدى للاصابع وتقبض عضلاتها

(معالجة تمدد المعدة) تشتمل على وسائطموضعية وعامةأما المعالجة للوضعية فالغرض منها تخليص المعدة من متحصلها الغزير الفاسد ثم تدارك فساد الاطعمة الجديدة

ويستحسن غسل المعدةيوميا ثم يبعد ما بين الغسلتين متى بدأ التحسن فيها . وبعد الغسل يترك المريض ليستريح بضع ساعات ولا يسمح بغذاء بعدها الا قليلا من اللبن كل ساعتين مرة

وعلى كل حال تجب العناية بالتدبير الغذائى وتتبع الحمية اللبنية أو الحمية الجافة على حسب الاحوال ويجب اجتناب المواد الحارة والنشائيات ولاجل تقوية المعدة تعطى القوابض المرة وصبغة الجوز المقىء ولاجل سهولة الهضم يعطى للمريض حمض الموريانيك ١٠ نقط فى كوبة ماء صغيرة بعد الطعام بساعة ويعطى له قبل الطعام بساعةمسحوق من حمض الساليسليك او الريزرسين

باتباع هذه المعالجة بانتظام تتحسن صحة المريض وينتظم التبرز . وأما المعالجة العامة فتكون بمحاولة ازالة الانيميا والاستعداد العصبى وأهمها حينئذ الاستحمام بالماء البارد والسكنى على شواطىء البحار

وأما الطب الطبيعى فيشير بعدم استعمال أى علاج من العقاقير وينصح بالاكتفاء بالتنزه فى الفلوات والتغذى بالاشياء الجامدة دون السائلة وعدم شرب الماء دفعة واحدة بل على دفعات متكررة ليكون مقداره قليلا لا يساعد على تمدد المعدة ثم وضع رفادات على المعدة ورفادات محيطة بالوسط كله واستعمال الحمام الجلوسى والحمام البخارى وعدم ملء المعدة بطعام حتى ترجع لحالتها الاصلية

(٨) سرطان المعدة يتكون فى المعدة

ورم حبيث فيصيب الرجال أكثر من النساء بعد سن الاربعين غالبا وللوراثة دخل كبير فيه والحزن المستطيل مهيىء له وقد يعقب الجراح كالصدمات على القسم الشراسيفى

وجود السرطان فى المعدة تتسبب عنه آفات تابعية مختلفة فاذا كان محله البواب تسبب عنه تمدد المعدة واذا كان محله فتحة الفؤاد تسبب عنه ضمور المعدة واتساع المرىء

(أعراضه) يسبق ظهور السرطان بأشهر أو سنين حصول أنزفة معدية خفيفة تشبه الانزفة الرئوية التى تسبق السل . وأما الاعراض الاولية للسرطان نفسه فتشبه أعراض سوء الهضم البسيط فى الغالب فتضعف الشهية ويحس بألم خفيف فى القسم الشراسيفى بعد الأكل ويعقب الاكل تجشى حمضى ثم يزداد التألم وتفقد الشهية وينحل المريض وتضعف قواه ويشحب لونه ثم يزداد الألم ولكن لا يصل الى ألم القرحة المعدية وقد يبقى محدوداً على المعدة ويشع الى الظهر والمرفقين ثم يتضاعف بالقىء

وقد يكون السرطان كامناً بحيث لا يشاهد سوء الهضم ولا القىء ويحصل ذلك اذا كان محل السرطان فى فتحة الفؤاد أو فى الطرف السفلى من المرىء وقد لا يشاهد اضطراب الهضم ولكن تحصل الاعراض العامة كالشحوب والضعف يستدل منها على وجود آلة خبيثة فى الجسم

***

(نصيحة عامة) أكثر الامراض المعدية تنشأ من الافراط فى الاكل والشرب أو من تعاطى الأغذية الغليظة العسرة الهضم أو كثرة التوابل التى اعتيد وضعها فى الطعام أو من ضعف البنية وضعف الاعصاب فاذا اعتدل الانسان فى مطعمه ومشربه وانتخب من الاغذية ما لا يعسر انهضامه ولم يضع فيه شيئاً من التوابل المهيجة للغشاء المخاطى للمعدة ، واعتنى بصحته على وجه عام وأدمن على التنزه فى الخلوات واعتدل فى أعماله الجسدية أو العقلية وقى باذن الله من شر جميع الامراض المعدية . وقد كتبنا فى كلمة أكل وغذاء وهضم ما لا بد لمن يريد الاستقصاء فى هذا المباحث من الرجوع اليه

﴿ المَعْز والمَعَز ﴾ خلاف الضأن من الغنم اى ذوات الشعر والاذناب وهو اسم جنس واحده ماعز في المذكر وماعزة في المؤنث جمعه أمْعُز و مَعِيز و (المِعزَى) اسم جنس كالمعز

الماعز من الحيوانات الثديية المجترة من فصيلة الحروف قرنه دقيق مرتفع مع ميل الى الخلف وله شبه لحية تحت فكه الاسفل

يعرف من المعز عدة انواع وحشية تسكن آسيا ولكن لا يعرف من اى نوع منها الماعز الذى لدينا

يمكن ان يبلغ طول ماعز آسيا مترا ولكن الانثى تقل عن ذلك ، لون صوفه داكن وهو يعيش اسرابا فوق الجبال

والماعز العادى قد يكون لونه احمر او اسود او ابيض او مختلطا بين ابيض واسود او ابيض واحمر

تحمل الماعزة خمسة أشهر ثم تضع سخلة أو سخلتين الى اربع وهى تحمل مرتين في السنة وترى للبنها الذى يعمل منه الجبن ويؤكل لحمها ولكنه ليس بلذيذ ولا كثير الافادة . ويتخذ جلدها لعمل القفازات والاحذية الجيدة

من انواعها معزى انقرة وهى ذات قرون عريضة وذاهبة افقياً على جهتى الرأس ثم تلتوى على شكل حلزونى خفيف. صوفها ابيض ناصع وطويل تورد منه مدينة انقرة بالاناضول كل سنة نحو مليون من الكيلو غرامات وهو يجز فى ابريل وتعمل منه ملابس غاية فى الجودة واللطافة . وقد ربيت هذه المعزى فى فرنسا واسبانيا وايطاليا وهى مربحة

المعزى قليلة الاكل حتى انها لتستطيع ان تعيش فى قمم من الجبال لا يستطيع غيرها من الحيوانات ان يعيش فيها لجدوبتها . وهى لقلة اكلها يكثر الفقراء من اقتنائها وهى فى الجملة من الحيوانات المربحة لصاحبها

﴿ معِض ﴾ يمَعض معَضاً غضب ومثله (امتعض)

﴿ المعامع ﴾ الحروب والفتن . و (المَعمَعان) شدة الحر والبرد . و (المَعمَعة) صوت الابطال فى الحرب جمعها مَعامع

﴿ معَن ﴾ الماء يمعُن مُعونا سهل وسال . و (امعن الفرس) تباعد فى عدوه و (أمعن فى الطلب) بالغ فى الاستقصاء

و(الماعون) اناء معروف . و (الماعون) ايضا الزكاة . و (المَعان) المنزل . و (المَعْن) الطويل والقصير والقليل والكثير و(المَعِين) الماء الجارى

معن بن زائدة الشيبانى — هو ابو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة ابن مطر بن شريك الشيبانى

كان من رجال الدولتين العباسية والاموية معروف بالشجاعة والكرم والعطايا الجزيلة حتى مدحه الشعراء وقصدوه من اقاصى البلدان . وكان مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور خصيصاً به وأكثر مدائحه فيه

كان معن فى عهد بنى امية متنقلا فى الولايات ومنقطعا الى يزيد بن عمرو ابن هبيرة الفزارى امير العراقين فلما انتقلت الدولة الى بنى العباس وجرى بين ابى جعفر المنصور وبين يزيد بن عمرو المذكور من محاصرته بمدينة واسط ماهو معروف فى التاريخ أبلى يومئذ معن بن زائدة بلاء حسنا فى تلك الوقائع فلما قتل يزيد خاف معن من ابى جعفر المنصور فاستتر عنه مدة وجرى له فى استتاره غرائب

فمن ذلك ماحكاه مروان بن ابى حفصة الشاعر المذكور آنفاً قال اخبرنى معن بن زائدة وهو يومئذ متولى بلاد اليمن ان المنصور جد فى طلبى وجعل لمن يحملنى اليه مالا

قال فاضطررت لشدة الطلب الى ان تعرضت للشمس حتى لوحت وجهى وخففت عارضى ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجهاً الى البادية لأقيم بها

قال فلما خرجت من باب حرب وهو احد ابواب بغداد تبعنى اسود متقلد بسيف حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض على يدى فقلت له وما بك ؟ فقال انت طلب امير المؤمنين . فقلت ومن انا حتى اطلب ؟ فقال انت معن بن زائدة

فقلت ياهذا اتق الله عز وجل وأين انا من معن ؟ فقال دع هذا فانى والله لأعرف بك منك

قال معن فلما رأيت منه الجد قلت له هذا عقد جوهر قد حملته معى وهو بأضعاف ماجعله المنصور لمن يجيئه بى فخذه ولا تكن سبباً لسفك دمى

قال هاته فأخرجته اليه فنظر فيه

ساعة وقال صدقت فى قيمته ولست أقبله حتى أسألك عن شى فان صدقتنى أطلقتك . فقلت قل . قال ان الناس قد وصفوك بالجود فأخبرنى هل وهبت مالك كله قط ؟ قلت لا . قال فنصفه ؟ قلت لا . قال فثلثه ؟ قلت لا . حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت أظن انى قدفعلت هذا. قال ماذاك بعظيم ، انا والله رجل فقير ورزقى من ابى جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته الوف دنانير وهبته لك ووهبتك نفسك لجودك المألوف بين الناس ولتعلم ان فى هذه الدنيا من هو أجود منك . فلا تعجبك نفسك ، ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى العقد فى حجرى ورمى خطام الجمل وولى منصرفا

قلت يا هذا والله لقد فضحتنى ولسفك دمى علىّ أهون مما فعلت فخذ ما دفعته لك فانى غنى عنه . فضحك وقال اردت ان تكذبنى فى مقالى هذا ، والله ما أخذته ولا آخذ لمعروف ثمنا أبداً ومضى لسبيله ، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن يجىء به ما شاء فما عرفت له خبراً وكأن الارض ابتلعته

لم يزل معن مستترا حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من اهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية وهى مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة . ذكر غرس النعمة بن الصابى فى كتاب المفوات ما مثاله : لما فرغ السفاح من بناء مدينته بالانبار وذلك فى ذى القعدة سنة (١٣٤) وكان معن متواريا بالقرب منهم فخرج متنكراً معمّا متلثما وتقدم الى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما افرج عن المنصور قال له من انت ويحك؟ فكشف لثامه وقال انا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة . فأمنه المنصور وأكرمه وحباه وكساه ورتبه وصار من خواصه

ثم دخل عليه بعد ذلك فى الايام فلما نظر اليه قال هيه يامعن تعطى مروان ابن ابى حفصة مئة الف درهم على قوله :

معن بن زائدة الذى زيدت به
شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله فى هذه القصيدة :

مازلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من كل وقع مهند وسنان

فقال المنصور أحسنت يامعن

وقال له يوما يامعن ماأكثر وقوع الناس فى قومك . فقال يا أمير المؤمنين :

ان العرانين تلقاها محسدة
ولاترى للئام الناس حساداً

ودخل عليه يوما وقد أسن ، فقال له كبرت يامعن . فقال فى طاعتك ياأمير المؤمنين . فقال وانك لجلد . فقال على أعدائك يا أمير المؤمنين. فقال وفيك بقية. فقال لك يا أمير المؤمنين

قيل عرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة فقال ويح هذا ما ترك لربه شيئا

أشهر قصائد مروان فيه وأحسنها القصيدة اللامية التى ذكرنا بعضها فى ترجمة مروان وهى طويلة تزيد على خمسين بيتا

وله فيه قصيدة :

قد آمن الله من خوف ومن عدم
من كان جار الله من جور ذا الزمن
معن بن زائدة الموفى بذمته
والمشترى المجد بالغالى من الثمن
بر العطايا التى تبقى محامدها
غنما اذا عدها المعطى من الغبن
بنى لشيبان مجداً لازوال له
حتى تزول ذوو الاركان من حضن

حضن المذكور فى القافية الاخيرة اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة

دخل على معن بعض الفصحاء يوماً فقال له : انى لو أردت أن أستشفع اليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلا ، ولكنى استشفعت اليك بقدرك واستغنيت بفضلك ، فان رأيت ان تضعنى من كرمك بحيث وضعت نفسى من رجائك فافعل . وانى لم اكرم نفسى عن مسألتك، فأكرم وجهى عن ردك

لمعن بن زائدة أشعار جيدة أكثرها فى الشجاعة والحرب فمن ذلك قوله فى خطاب أخى عبد الجبار بن عبد الرحمن وقد رآه يتبختر بين السماطين (أى الصفين) وكان قبل ذلك لقى الخوارج ففر منهم فقال معن :

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم
وصبرت عند الموت ياخطاب
تختال خوّار السنان كأنه
تحت العجاج اذا سمحت عقاب
وتركت صحبك والرماح تنوشهم
وكذاك من قعدت به الاحساب

وقال أبو عثمان المازنى النحوى حدثنى صاحب شرطة معن قال بينا أنا على راس معن اذا هو براكب يوضع (أى يسرع). فقال معن ما أحسب الرجل يريد غيرى. ثم قال لحاجبه لاتحجبه. قال فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد:

أصلحك الله قل مابيدى
فما أطيق العيال اذ كثروا
ألح دهر رمى بكلكله
فأرسلونى اليك وانتظروا

قال فقال معن وأخذته الاريحية: لاجرم والله لأعجلن أوبتك. ثم قال ياغلام ناقتى الفلانية والف دينار فادفعها اليه. فدفعها اليه وهو لايعرفه

ولى معن بن زائدة فى أواخر أمره سجستان وانتقل اليها وله فيها آثار وقصده الشعراء فيها من كل صوب فلما كانت سنة (١٥١) وقيل (١٥٢) كان فى داره صناع يعملون له عملا فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه وهو يحتجم فتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى فقتلهم بأسرهم وكان قتله بمدينة بست. ولما قتل معن رثاه الشعراء بمراث كثيرة نثبت منها هنا بعض ماقاله شاعره المشهور مروان بن أبى حفصة وهو:

مضى لسبيله معن وأبقى
مكارم لن تبيد ولن تنالا
كأن الشمس يوم أصيب معن
من الاظلام ملبسة جلالا
هو الجبل الذى كانت نزار
تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن
وقد يروى به الاسل النهالا
وأظلمت العراق وأورثتها
مصيبته المجللة اختلالا
وظل الشام يرجف جانباه
لركن العز حين وهى فمالا
وكادت من تهامة كل أرض
ومن نجد تزول غداة زالا
فان يعل البلاد له خشوع
فقد كانت تطول به اختيالا

أصاب الموت يوم أصيب معن
على الاحياء اكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن
إلى ان زار حفرته عيالا
ولم يك طالب للعرف ينوى
الى غير ابن زائدة ارتحالا
مضى من كان يحمل كل ثقل
ويسبق فضل نائله السؤالا
وما عمد الوفود لمثل معن
ولاحطوا بساحته الرحالا
ولا بلغت أكف ذوى العطايا
يمينا من يديه ولا شمالا
وما كانت تجف له حياض
من المعروف مترعة سجالا
لأبيض لايعد المال حتى
يعم به بغاة الخير مالا
فليت الشامتين به فدوه
وليت العمر مدله فطالا
ولم يك كنزه ذهبا ولكن
سيوف الهند والحلق المذالا
وعادته من الخطى سمر
ترى منهن لينا واعتدالا
وذخر من محامد باقيات
وفضل تقى به التفضيل نالا

ومنها أيضا :

مضى لسبيله من كنت ترجو
به عثرات دهرك ان يقالا
فلست بمالك عبرات عين
أبت بدموعها الا انهمالا
وفى الاحشاء منك غليل حزن
كحر النار يشتعل اشتعالا
وقائلة رأت جسمى ولونى
معا عن عهدها قلبا فحالا
أرى مروان عاد كذى نحول
من الهندى قد فقد الصقالا
رأت رجلا براه الحزن حتى
أضر به وأورثه خبالا
فقلت لها الذى أنكرت منى
لفجع مصيبة أنكى رجالا
وأيام المنون لها صروف
تقلب بالفتى حالا فحالا

ومنها ايضا:

كأن الليل واصل بعد معن
ليالى قد قرن به فطالا
فلهف أبى عليك اذ العطايا
جعلن منى كواذب واعتلالا
ولهف أبى عليك اذ اليتامى
غدوا شعثا كأنهم سلالا

ولهف أبى عليك اذا القوافى
لممتدح بها ذهبت ضلالا
ولهف ابى عليك لكل هيجا
لها تلقى حواملها السجالا
اقمنا باليمامه اذا يئسنا
مقاما لا نريد به زيالا
وقلنا أين نرحل بعد معن
وقد ذهب النوال فلا نوالا
وماشهد الوقائع منك امضى
وأكرم مقدما وأشد بالا
سيذكرك الخليفة غير قال
اذا هو فى الامور بلا الرجالا
ولا ينسى وقائعك اللواتى
على اعدائه جعلت وبالا
ومعتركا شهدت به حفاظا
وقد كرهت فوارسه النزالا
حباك اخو امية بالمراثى
مع المدح الذى قد كان قالا
أقام وكان نحوك كل عام
يطيل بواسطة الرحل اعتقالا
وألقى رحله أسفا وآلى
يمينا لا يشد به حبالا

قال أمير المؤمنين ابن المعتز فى كتابه طبقات الشعراء دخل مروان بن أبى حفصة على جعفر البرمكى فقال ويحك انشدنى من مرثيتك فى معن بن زائدة فقال بل انشدك فيك. فقال جعفر انشدنى من مرثيتك فى معن . فأنشد يقول :

وكان الناس كلهم لمعن
الى ان زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه . فلما فرغ قال له جعفر هل اثابك على هذه المرثية احد من أولاده وأهله شيأ ؟ قال مروان لا . قال جعفر فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها ؟ قال اصلح الله الوزير اربع مئة دينار . قال جعفر فانا نظن انه لا يرضى بذلك قد امرنا لك عن معن رحمه الله بالضعف مما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن الفا وستمئة دينار قبل أن تنصرف الى رحلك . فقال مروان يذكر جعفرا وما صنع به عن معن على وزن تلك القصيدة ورويها :

نفحت مكافئا عن قبر معن
لنا مما تجود به سجالا
تعجلت العطية يا ابن يحيى
لنادبه ولم ترد المطالا

فكافأ عن صدى معن جواد
بأجود راحة بذل النوالا
بنى لك خالد وأبوك يحيى
بناء فى المكارم لن ينالا
كأن البرمكى بكل مال
تجود به يداه يفيد مالا

ثم قبض المال وانصرف

وحكى ابو الفرج الاصبهانى فى الاغانى عن محمد البيدق النديم انه دخل على هرون الرشيد فقال له انشدنى مرثية مروان بن ابى حفصة فى معن بن زائدة فأنشد بعض هذه القصيدة فبكى الرشيد قال وكان بين يديه سكرجة فملأها من دموعه. ويقال ان مروان بعد هذه القصيدة المرثية لم ينتفع بشعره فانه كان اذا مدح خليفة أو من دونه قال له انت قلت فى مرثيتك :

وقلنا اين نرحل بعد معن
وقد ذهب النوال فلا نوالا

فلا يعطيه الممدوح شيئا ولا يسمع قصيدته

حدث الفضل بن الربيع قال رأيت مروان ابن ابى حفصة وقد دخل على المهدى بعد موت معن بن زائدة فى جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فأنشده مديحا فقال له من أنت ؟ فقال شاعرك مروان بن أبى حفصة . فقال له المهدى الست القائل (وقلنا أين نرحل بعد معن) وأنشد البيت المذكور وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال لاشىء لك عندنا جروا برجله . قال فجروا برجله حتى أخرجوه . فلما كان فى العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء فى ذلك الحين فى كل عام مرة قال فمثل بين يديه وانشده قصيدته التى اولها :

طرقتك زائرة فحى خيالها

قال فأنصت لها المهدى ولم يزل يزحف كلما سمع شيئا حتى صار على البساط اعجابا بما سمع . قال له كم بيتا هى ؟ فقال له مئة بيت فأمر له بمائة الف درهم . يقال انها أول مئة الف أعطيها شاعر فى خلافة بنى العباس

قال الفضل بن الربيع فلم يلبث الا أياما حتى افضت الخلافة الى هرون الرشيد ولقد رأيت مروان ماثلا مع الشعراء بين يديه وقد انشده شعراً فقال ألست القائل فى معن كذا وأنشده

البيت ثم قال اخذوا بيده فأخرجوه فانه لاشيء له عندنا ثم تلطف حتى دخل عليه بعد ذلك فأنشده فأحسن جائزته

ومن المراثي النادرة مارثي به معن بن زائدة ايضا وهو من شعر الحسين بن مطير بن الاشيم الاسدي وهي :

ألما على معن وقولا لقبره
سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فياقبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا
ويا قبر معن انت اول حفرة
من الارض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى
وأصبح عرنين المكارم اجدعا

﴿معن﴾ تمعّن فيهم وأدرك

﴿المَعَى﴾ والمِعَى المصران

﴿المَغَرة﴾ صبغ احمر يصبغ به

﴿مغص﴾ الرجل يمغص مغصا ومُغِص أصابه المغص فهو ممغوص. و (أمغصه) أوجع بطنه

﴿المغص﴾ هو ألم قديبدأ خفيفا ثم يأخذ في الاشتداد شيأ فشيأ او يفاجيء الانسان بقوة ويبلغ اقصى درجاته فيصرخ ويستغيث وينقلب من جنب الى جنب ضاغطا بطنه بيديه او بوسادة او ينحني الى الامام او يستلقي على جانبه ضاما فخذيه الى بطنه . ويكون اذ ذاك بطنه منتفخا متطبلا تسمع فيه قراقر . واذا قويت النوبة يكثر الجشاء والغثيان والقيء احيانا كثيرة . وتكون الامعاء منقبضة والنبض طبيعيا مالم تطل مدة النوبة ويشتد الالم فيصغر النبض ويسرع واما الجلد فيعلوه عرق بارد . واذا افلتت الغازات او دفعت الامعاء فضلاتها دفعا واقيا استراح العليل وهجعت جميع الاعراض المتقدمة

(أسباب المغص) سوء الهضم والتعرض للبرد ليلا وانسكاب الصفراء بكثرة الى الامعاء والانفعالات النفسانية كالغيظ والخوف وبل رجلي من لم يكن معتادا على ذلك والاطعمة الغليظة العسرة الهضم كاللحوم المقددة والاسماك والفواكه غير الناضجة والخضر غير المطبوخة جيدا والبقول اليابسة فكل هذه تولد

غازات فى الامعاء تحدث منها تلك الاوجاع الثقيلة

(علاج هذا المغص) يعتمد فى تسكينه على المسكنات كتعاطى خمس نقط من اللاودانوم الى عشر فى قليل من الماء او من ١٥ نقطة الى ٢٠ من روح هوفمان ، اوالكلورودين وهو يباع فى محال العطارة من ٥ الى ١٠ نقط فى قليل من الماء ، أو مسكن آخر فى نقيع مادة عطرية كالشمر او الانيسون او البابونج الخ مع رفادات مسكنة ساخنة . وهذه الرفادات تعمل مع لصقة بزر الكتان يرش عليها نقط من اللاودانوم او يحضر مغلى مركز من الخشخاش وتحضر به لزقة بزر الكتان او تطبخ اوراق البنج أو الشوكران اوالخس وتحضر منها ضمادات . وتستعمل الحقن الملينة ايضا . وبعد هذا يعطى العليل ملينا من الملينات الخفيفة لاجل تنظيف الامعاء من المواد المنهضمة التى فيه

ولاجل منع الاعراض من العودة تجتنب الاطعمة الغليظة العسرة الهضم ويلبس صوف على البطن وتدفأ الرجلان وتحفظان من البرد والرطوبة

هذا اذا كان المغص ناشئا عن سوء الهضم ولكن قد يكون المغص ناشئا من روماتيزم عضلى لجدر البطن وفى هذه الحالة يكون متنقلا مستمرا . وقد يكون المغص عصبيا محضا اومن انسداد معوى اوعرض معدى كقرحة اوسرطان وقد يكون من مرض الكبد او الكلى . كل هذا يميزه الطبيب ان تكرر المغص فلا يجوز والحالة هذه ان تنسب جميع هذه المغوص لعلة واحدة وهى سوء الهضم بل يجب البحث عن علتها الحقيقية اذا تكررت لمعالجة الداء الذى يولدها

(المغناطيس) يوجد جسم يسمى حجر المغناطيس خاصيته جذب الحديد ومعادن أخرى كالكوبالت والكروم والنيكل . وهذا الجسم يوجد بكثرة فى بلاد السويد والنورفيج

الفولاذ يكتسب قوة جذب الحديد كالمغناطيس وذلك اذ دلك بحجر المغناطيس او عرض لتأثير تيار كهربائى

لاجل معرفة خواص المغناطيس الطبيعى يستعمل المغناطيس الصناعى لامكان اعطائه الاشكال المناسبة . والاشكال المستعملة فى التجارب هى :

القضبان ويعطى لها أحيانا شكل نعل الفرس والابر وهى على شكل المعين . والمعين هو شكل هندسى رباعى أضلاعه متوازية وكل زاويتين متقابلتين فيه متساويتان،منها زاويتان حادتان وزاويتان منفرجتان،فالشكل المعين هو كشكل قطعة البقلاوة

(فى القطبين المناطيسيين) اذا أخذ قضيب من الحديد الممغطس شوهد ان قوة الجذب ليست واحدة فى جميع نقطه بل هو يبلغ نهايته العظمى فى الطرفين ويثبت ذلك بغمر قضيب ممغطس فى برادة الحديد فيرى انها تنجذب بمقدار عظيم نحو طرفيه ويأخذ تراكمها فى النقصان شيئا فشيئا من الطرفين الى الوسط ويكون فيه معدوما

فهذا الجزء المتوسط يسمى خط الخمود واما الطرفان حيث تتسلط فيهما قوة الجذب المناطيسى فيسميان بالقطبين

متى عرض قطب المناطيس على برادة الحديد ظهر انهما من طبيعة واحدة ولكن الواقع انهما من طبيعتين مختلفتين والدليل على ذلك انه اذا علقت ابرة ممغطسة من وسطها بخيط ثم قرب لأحد طرفيها على التوالى قضيب ممغطس فيرى ان أحدهما يجذبه بقوة والآخر يطرده . فهذا يدل على انهما ليسا من طبيعة واحدة ثم انه لو قرب مرة أخرى هذان الطرفان من الطرف الآخر للابرة المعلقة يرى أن الذى جذب الطرف الاول ينفره والعكس بالعكس . وهذا دليل على أنه لا يوجد نوعان من الاقطاب

ولأجل معرفة طبيعة الأقطاب التى تتجاذب والاقطاب التى تتنافر يعين فى قضيبين مختلفين القطبان اللذان من نوع واحد أى اللذان يطردان طرفا واحدا لابرة معلقة ثم يعلق احد هذين القضيبين ويقرب طرفاهما المعينان من نوع واحد احدهما من الآخر فيرى انهما يتنافران والقطبان اللذان طبيعتاهما مختلفان يتجاذبان ، ومما تقدم يرى انه لو وضعت ابرة ممغطسة تتحرك فى مستوى أفقى فوق قضيب ممغطس فانها تأخذ وضعا موازيا له وتكون الاقطاب المختلفة الطبيعية من كل من الابرة والقضيب أحدها امام الآخر وكذا اذا أخذت من ابرة متحركة فى مستوى رأسى حول محور أفقى وحرك

حاملها بالتوازى لقضيب ممغطس فتميل فى جهة او فى أخرى حسبما تكون قريبة من أحد القطبين أو من الآخر

(تأثير الكرة الارضية على الابرة الممغطسة) شوهدان الكرة الارضية تأثيراً على الابرة الممغطسة يشبه تأثير قضيب ممغطس عليها . أى انه اذا أخذت ابرة متحركة فى مستوى أفقى فيرى انها لاتكون فى حالة موازنة الافى وضع معين يقرب من اتجاه الخط الواصل من الشمال الى الجنوب. واذا غير وضع الابرة عادت اليه ثانية بعدأن تحدث فيها عدة ذبذبات واذا كانت ابرة متحركة فى مستوى رأسى ونقلت جهة الشمال يرى انميلها يزيد فى هذه الجهة واذا انقلبت جهة الجنوب يشاهد أن ميلها يقل شيئا فشيئا ه يصير أفقيا بجوار خط الاستواء اذا انقلبت هذه الابرة فى نصف الكرة الجنوبى مالت جهة الجنوب وزاد ميلها في هذه الجهة كلما قربت من القطب الجنوبى للارض فينتج من ذلك حينئذ أن تأثير الارض على ابرة ممغطسة يشبه تأثير قضيب ممغطس عليها ولذاشبهت الارض بمناطيس عظيم قطباه قريبان من القطبين الارضيين وخط الاستواء المسمى خط الخمود ينطبق على خط الاستواء بموجب هذا الفرض سمى القطب المغناطيسى الارضى الذى جهة الشمال بالقطب الشمالى والذى جهة الجنوب بالقطب الجنوبى

(ما هى المغناطيسية) حار العلماء فى ادراك كنه القوة المغناطيسية ثم فرضوا لامكان تعليل الظواهر التى تنتج منها انه يوجد فى الكون سيالان يدعى أحدهما سيالا جنوبيا والآخر يسمى سيالا شماليا . وقالوا ان هذين السيالين يكونان متحدين قبل تمغطس الجسم حول كل جزىء منه لكنهما ينفصلان أحدهما من الآخر بتأثير المغناطيس حتى أن أحدهما يؤثر فى أحد النصفين والآخر فى النصف الثانى

(فى قانون الجذب والتنافر المغناطيسيان) الجذب والتنافر المغناطيسيين قانونان مشابهان لقانونى الجذب والتنافر الكهربائيين وهما :

(أولا) الجذب أو التنافر الذى ينتج من قطبى قضيبين ممغطسين أحدهما على الآخر وهما على أبعاد مختلفة يكون مناسبا لعكس مربعات الابعاد التى توجد

بينهما

ثانيا عند ما يكون القطبان على بعد واحد تكون شدة الجذب او التنافر التى تنتج من تأثيرها احدهما على الآخر مناسبة لحاصل ضرب مقدارى المغناطيسية الموجودة فيهما

(المغناطيسية الارضية) قلنا انه اذا أخذ قضيب ممغطس معلق من وسطه فانه يأخذ بتأثير الارض عليه بعد جملة ذبذبات وضعا يقرب من الخط الواصل من الشمال الى الجنوب بالمستوى الرأسى الذى يمر بنقطتى المغناطيس المعلق وهو فى هذه الحالة يسمى مستوى الزوال المغناطيسى ولاجل تعيين مستوى الزوال المغناطيسى تستعمل عادة ابرة ذات شكل معين (الشكل المعين وصفناه فيا مضى) محمولة من وسطها على على سن رأسى ويعتبر ان الخط الواصل بين سنيها منطبقا على الخط الواصل بين قطبيها فاذا أخذت ابره فى هذه الشروط اى متحولة حول مركزها فى مستوى أفقى يرى ان الوضع الذى تكون فيه فى حالة توازن لايكون الخط الواصل من الشمال الى الجنوب بل يكون خطا مع الخط المذكور زاوية حاده تسمي بالانحراف المغناطيسى فى النقطة الحاصلة فيها التجربة، ويقال للانحراف شرقى اذا كان القطب الجنوبى للابرة يثبت شرقى الخط الواصل من الشمال الى الجنوب ويقال له غربى اذا كان القطب المذكور يثبت غربى ذلك الخط

فاذا فرضنا الآن ان ابرة ممغطسة متحركة فى مستوى رأسى حول محور أفقى مار من وسطها وكان المستوى الذى تتحرك فيه منطبقا على مستوى الزوال المغناطيسى فيرى من التجربة انه فى اغلب نقط سطح الارض تأخذ الابرة وضعا مائلا بالنسبة للمستوى الافقى فالزاوية الحادة المكونة من النصف السفلى للابرة وهى فى ذلك الوضع ومن الخط الافقى الموجود فى مستوى الزوال المغناطيسى تسمى زاوية الميل

(فى بوصلتى الانحراف والميل)

اذا أريد تعيين الانحراف والميل بطريقة مضبوطة فى النقط المختلفة من سطح الارض فيستعمل لذلك جهازان أحدهما يسمى بوصلة الانحراف والثانى يسمى بوصلة الميل

تتركب بوصلة الانحراف من دائرة

أفقية مقسمة الى ٣٦٠ درجة وفي مركزها سهم مرتكز عليه ابرة ممغطسة فاذا فرض وضع هذه الآلة بحيث يكون القطر المار بنقطة الصفر منطبقا على الخط الواصل من الشمال الى الجنوب فعدد الدرج الذي يكون من ذلك الصفر وسن الابرة المغنطسة يكون دالا على زاوية لانحراف

أما بوصلة الميـل فتتركب من ابرة ممغطسة متحركة في مستوى رأسي حول محور أفقي ومن دائرة رأسية مقسمة الى ٣٦٠ درجة ومركزها منطبق بالضبط على المحور الذي تدور حوله الابرة . واذا فرض وكانت هـذه الابرة منطبقة على مستوى الزوال المغنـاطيسي فعدد الدرجات التي تكون محصورة بين سنها المائل والخط الافقي يكون دالا على زاوية الميل

(في البوصلة العادية والبوصلة البحرية) بمعرفة المقدار المتوسط للانحراف المغناطيسي يمكن استعمال الابرة المغنطسة لتعيين الجهات الاصلية والجهاز المستعمل لذلك يسمى بالبوصلة وهو يشبه ساعات الجيب ويتكون من دائرة مقسمة الى درجات وفي مركزها سن حامل لابرة ممغطسه تدور حوله ولاجل تعيين اتجاه الشمال بواسطة هذه الآلة يكفي وضعها في مستوى أفقي وعد (ابتداء من طرفها الازرق) درجات بقدر المقدار المتوسط للانحراف . فالخط الواصل من النقطة النهائية الى مركز الدائرة المدرجة يكون الخط المار من الشمال الى الجنوب وبوصلة المساحين لاتختلف عن البوصلة العادية الا بكونها أكبر منها ويستعين بها المساحون ليبينوا على الخرط التي يصنعونها وضع الاشياء المرسومة بالنسبة للجهات الاصلية

البوصـلة البحرية تستعمل في البحر لتوجيه السفن عند ماتكون بعيدة عن الشواطىء وهذه البوصلة تكون دائما مثبتة في الجزء الخلفي من كل سفينة أمام السكان (أي الدفة) لكي يوفق مديرها اتجاه ابرتها باتجاه السفينة . ولاجل تسهيل هذا التوفيق يوجـد داخل الوعاء الموجودة فيه الابرة خط ثابت مرسوم في اتجاه محور السفينة . فاذا أريد توجيـه السفينة الى جهة فيجب على مديرها أن يعين أولا، النقطة التي هو فيها اذ ذاك

يعلم الاتجاه الواجب اتباعه للوصول الى النقطة المراد الوصول اليها أى الزاوية المكونة من ذلك الاتجاه وخطوط العرض وحينئذ اذا أضيف الى أو طرح من هذه الزاوية المقدار المتوسط لزاوية انحراف المحل حسبما يكون شرقيا او غربيا توجد الزاوية الواجب ان تكون مكونة من اتجاه السفينة اى الخط الثابت المرسوم فى وعاء البوصلة واتجاه الابرة الممغطسة. وان لم تكن السفينة فى الاتجاه الواجب يعلم المدير ذلك من البوصلة ويردها حينئذ الى الاتجاه المذكور بتحريك السكان (الدفة)

(فى طرق المغطسة) الينابيع المختلفة للمغطسة هى : تأثير المغناطيس القوى ، وتأثير الارض ، وتأثير التيارات الكهربائية

فأما المغطسة بالمغناطيس القوى فتعمل بثلاثة طرق : طريقة اللمس البسيط ، وطريقة اللمس المنفصل ، وطريقة اللمس المزدوج

الاولى لاتستعمل الا لمغطسة الابر وذلك انها لاتولد الا تمغطسا ضعيفا وغايتها ازلاق احد قطبى قضيب ممغطس على الابرة المراد مغطستها من طرف الى آخر ويكرر العمل مرارا بحيث يبتدأ دائما من الطرف الذى ابتدأ منه أول مرة وفى هذه الطريقة يتكون فى الطرف المذكور قطب من جنس القطب الذى حصل به الدلك ، وفى الطرف الآخر قطب مضاد لهذا القطب

والثانية هى طريقة اللمس المنفصل تعمل بوضع قضيبين ممغطسين قويين على مستوى أفقى بحيث يكون قطباهما المختلفان احدهما امام الآخر ويثبت بينهما قطعة من الخشب ثم يوضع القضيب المراد مغطسته فوقهما ويؤخذ فى اليدين قضيبان ممغطان ويوضع طرفاهما على منتصف القضيب بحيث يكون القضيب المتكىء من كل منهما على القضيب المذكور عين القطب اللامس لقطعة الخشب من جهته فيحرك حينئذ كل من القضيبين الاولين فى اتجاهين متضادين الى نهايتى القضيب الموضوع فوق قطعة الخشب ، ثم يردان الى موضعهما الاول ويحركان مرة ثانية وهلم جرا

والثالثة وهى طريقة اللمس المزدوج تقتضى ان يوضع القضيب المراد مغطسته

على قضيبين ممغطسين كالحالة السابقة ثم يوضع عليهما قضيبان آخران كما تقدم انما ينبغى فصلهما بقطعة من الخشب وبدل إمرار القطبين على القضيب على حالة انفراد يجب امرارهما معا من الوسط الى أحد الطرفين ثم منه الى الطرف الآخر وهلم جرا

وبعد نهاية العمل يقتضى أن يكون التمرير حصل فى المرة الاخيرة من الطرف الذى لم يلمس ابتداء الى الوسط وقد ظهر من التجربة ان التمغطس بهذه الطريقة أقوى بكثير من التمغطس بالطريقتين السابقتين

(فى المغطسة بتأثير الارض) بما ان تأثير الارض على الاجسام يشبه تأثير الاجسام المغطسة عليها يرى أنه يكون من الممكن مغطسة الاجسام القابلة للتمغطس بتأثير الارض وفى الواقع فانه اذا وضع قضيب من الصلب فى وضع موازٍ لابرة الميل عندما تكون فى مستوى الزوال المغناطيسى وطرق عليه بمطرقة أو حصل دلكه بجسم صلب فانه يتمغطس

وبهذه الصفة تتمغطس شيأ فشيأ جميع الآلات المصنوعة من الصلب التى يحصل فيها دلك او طرق متعدد كالمبارد وغيرها

(فى حفظ المغناطيسية) ويجب استعمال طرق خاصة لحفظ المغناطيسية فى الاجسام الممغطسة . فاذا فرض قضيب ممغطس متروكا ونفسه فى وضع ما فقد يتأتى إما من تأثير الارض عليه او من تأثير قضبان ممغطسة موضوعة بجواره ان السيالين الموجودين فى ذاته ينتقلان فى اتجاه مضاد للذى انتقلا فيه عند فصلهما وبذلك يحصل اتحادهما ثانية شيأ فشيأ وتأخذ قوة مغطسة القضيب فى التناقص

ولاجل منع حصول هذه التأثيرات توضع القضبان الممغطسة كل اثنين معا فى وعاء واحد بحيث يكونان متوازيين وأقطابهما المختلفة الطبيعة بعضها أمام البعض الآخر ثم يوضع بينهما قطعتان من الخشب لمنعهما من التلامس ويثبت على أطرافها قطعتان من الحديد المطاوع فبتأثير القضيبين على هاتين القطعتين يتمغطسان ويؤثران فى اقطاب القضيبين المذكورين ويحفظان قوتهما المغناطيسية

ولاجل حفظ مغطسة المغناطيس الذى فى شكل نعل الفرس يوضع على

قطبيه قطعة من الحديد المطاوع . وقد ظهر من التجربة انه لحفظ مغناطيسية المغناطيس المذكور يكون من الحسن ألا يعلق فى قطعة من الحديد التى ثبتت على طرفه ثقل ما فيعلق عادة فى الخطاف المثبت فى قطعة الحديد اناء يوضع فيه كرات من الرصاص يضاف اليه كرة أو اثنتان فى كل يوم وبذلك تزداد القوة المغناطيسية أى انه بهذه الطريقة يتوصل لجعل المغناطيس قادراً على حمل ثقل يزيد كثيراً عن الثقل الذى كان يمكنه حمله فى بادىء الامر ويجب الاحتراس من اضافة عدد عظيم من كرات الرصاص فى آن واحد لانه لو فصلت قطعة الحديد بتأثير ثقل عظيم فان قوة المغناطيس تضعف وتجب اعادة العمل السابق عليه ثانية . والعمل المذكور يعبر عنه بتغذية المغناطيس

(فى المغطسة والتيارات الكهربائية)

شاهد العلامة اراغوا انه اذا وضعت ابرة من الحديد المطاوع فى وضع عمودى على اتجاه تيار فانها تتمغطس تمغطسا يدوم فيها مادام التيار ماراً وينمحى عند قطع التيار واذا استعملت ابرة من الصلب المسقى فانها تتمغطس ببطء الا ان مغسطتها تدوم بعد انقطاع التيار فينتج من ذلك حينئذ انه سواء كان التمغطس ناتجا عن فصل سيالين موجودين فى كل من جزيئات الاجسام القابلة للتمغطس أوجمل تيارات خاصة توجد بين هذه الجزيئات فى اتجاه واحد فيجب قبول ان التيار الذى يوضع بجوار الجسم القابل للتمغطس يحدث تأثيراً على السيالين الموجودين فى الجزيئات أو على التيارات التى تمر حولها بحيث يحيله الى مغناطيس. والصلب يختلف عن الحديد المطاوع فى كونه يقاوم حصول اتحاد السيالين أو عود التيارات الى الاتجاهات التى كانت فيها

(طريقة مغطسة الصلب بالتيارات الكهربائية) قد بين العالم امبير طريقة لتضعيف التأثير الذى ينتج من تأثير التيار على قضيب من الصلب وهى أن يلف سلك من النحاس لفاً حلزونياً على أنبوبة من الزجاج يوضع داخلها القضيب المراد مغطسته ثم يمرر تيار كهربائى فى ذلك السلك فيشاهد بعد برهة ان القضيب يكتسب تمغطسا قويا واتجاه ذلك التمغطس يتعلق باتجاه ذلك التيار

وبالاتجاه الذى يلف فيه السلك المعدنى على الانبوبة الزجاجية وعلى كل حال فانه بتطبيق قاعدة امبير يمكن أن يعين بادىء بدء طرف القضيب الذى يتكون فيه قطب جنوبى

(فى المغناطيس الكهربائى) مما تقدم يرى انه اذا وضع قضيب من الحديد المطاوع داخل ملف ملفوف حوله سلك من النحاس لفا حلزونيا ومغطى بالحرير فانه يصير مغناطيسياً متى مر التيار فى السلك الذى حوله ويعود الى الحالة الطبيعية متى انقطع ذلك التيار وهذا هو أساس المغناطيس الكهربائى

عند ما يكون المراد عمل مغناطيس كهربائى معد لجذب قطعة من الحديد المطاوع وذى قوة عظيمة يستحسن أن يعطى لقطعة من الحديد المطاوع التى تتمغطس بالتيار شكل نعل فرس بوضع فرعاه فى ملفين ملفوف عليهما لفاً حلزونيا سلك واحد من النحاس مغطى بالحرير وبما أنه يجب أن يكون تأثير الملفين على فرعى نعل الفرس فى اتجاه واحد وجب أن يكون السلك ملفوفا عليهما بحيث انه اذا فرض نعل الفرس ممدوداً والملفان موضوعين أحدهما فوق الآخر تكون لفات أحد الحلزونين على امتداد لفات الحلزون الثانى

فمتى مر تيار فى سلك هذا المغناطيس يرى انه يمكنه جذب قطعة من الحديد المطاوع حاملة لثقل عظيم ومتى قطع التيار يشاهد انفصال هذه القطعة فى الحال

(فى الجرس الكهربائى) ان أصغر تطبيق للمغناطيس الكهربائى هو الجرس الكهربائى وهو يتركب من مغناطيس كهربائى على شكل نعل الفرس مثبت على لوحة من الخشب ويوجد أمام فرعيه قطعة من الحديد المطاوع مثبتة من أحد طرفيها بواسطة صفيحة مرنة من الصلب فى زر وطرفها الآخر حامل لقضيب ذى مطرقة معدة للطرق على ناقوس صغير وقطعة الحديد تكون وقت ثباتها بعيدة قليلا عن فرعى المغناطيس الكهربائى ومتكئة على قطعة معدنية متصلة ببريمة ضغط ، والزر الحامل لقطعة الحديد المطاوع متصل بأحد طرف سلك المغناطيس الكهربائى . أما الطرف الآخر لهذا السلك فتتصل ببريمة الضغط المقابلة للبريمة

الاولى

فاذا اوصل قطبا عمود كهربائى بعريق الضغط مر التيار من قطعة الحديد المطاوع الى المطرقة ومنها الى سلك المغناطيس الكهربائى فيتمغطس عند ذلك حديد هذا المغناطيس ويجذب قطعة الحديد نحوه فتبعد حينئذ هذه القطعة عن قطعة الحديد المطاوع فينقطع التيار وبذلك يعود المغناطيس الكهربائى الى الحالة الطبيعية وترجع قطعة الحديد الى وضعها الاول لأنها مثبتة فى صفيحة مرنة وعند ذلك عر التيار ثانية ويجذب تلك الحديدة مرة أخرى وهكذا ما دام التيار مارا

فمن الواضح ان كل حركة من حركات هذه القطعة تولد طرقة من المطرقة على الناقوس (اخذناه بتصرف من كتاب الطبيعية للعلامة اسماعيل باشا حسنين)

(الخواص الصحية والعلاجية للمغناطيس) كانت الامم القديمة تعرف خواص المغناطيس فنسبوا له تأثيرات علاجية كثيرة وعلقوا عليه وساوس كثيرة وأوهاما عديدة فاستعمله الناس قديما تمائم وطلاسم ولا يوجد أثر لاستعماله استعمالا معقولا فى القرون الاولى من الميلاد المسيحى

فذكر جالينوس انه لو استعمل من الداخل كان مفرغا للماء ومسهلا

واعتبره ديسقوريدس عظيم النفع لاستفراغ السوداء

ورأى ابن سينا ان له سلطانا على أمراض الطحال

كان المغناطيس يستعمل مسحوقا من الباطن ولكن سحقه يبطل خاصته المغناطيسية فلا يكون حينئذ الا كأوكسيد حديدى

وكان أبقراط يأمر به من الباطن مع جواهر اخرى علاجا للعقم

وذكر بليناس ان جميع انواعه نافعة فى امراض الاعين ولا سيما التدمع

وانه اذا كلس واحيل الى مسحوق ابرأ الحروق

وذكر ابن سينا ان درهما منه يضاد خطر التسمم بالحديد الذى كان يظن انه سام

وقد اعتبر فى القرون التالية لعصر ابن سينا سما وهو خطأ

وقال آخرون انه مضاد للسم لاحم للجروح وان خواصه عظيمة للغاية

ومنهم من نسب له خواص مقوية ومفتحة للسدد فكانوا يعطونه لذلك مسحوقا مجتمعا مع العطريات والكبريت بمقدار خمس قمحات مرتين فى اليوم فى أحوال الذبول والنحول والاستسقاء

وقال العرب انه ينفع فى النقرس ووجع المفاصل والنسا والحصا وغيرها

وقال العلامة (تروسو) الفرنسى من المحقق ان املاح الحديد وأكاسيده حاصلة بأعلى درجة على الخواص التى نسبها ديسقوريدس وجالينوس وابن سينا للمغناطيس

وقال فلوجيل ان القدماء كانوا يستعملون المغناطيس كثيرا لشفاء بعض الامراض التى نعالجها الآن مع النجاح بالمستحضرات الحديدية فاننا نعلم الآن مايفعله الحديد فى بعض الاستسقاءات وفى دور نقاهة الحميات المتقطعة المصاحبة لذهاب لون المنسوجات وضخامة الطحال وأما مارآه ديسقوريدس فيما يتعلق بالسوداء فقد شرعنا فى فهم سببه وذلك اننا بالبحث مدة طويلة فى المعالجات الحديدية اتضح لنا ان هذا المعدن اذا استعمل بأى شكل كان يلون البراز بلون أسود كلون الحبر

« ومع ذلك فالاستعمال الظاهر للمغناطيس كان هو المتسلط وحده لان من الاطباء ما نسب له كما نسب للحديد خواص سامة قوية الفعل . وفى القرن الرابع جربه مرسليون فوضع فى العنق حجارة المغناطيس لتسكين أوجاع الرأس

« ثم أمر اينوس فيما بعد المصابين بالنقرس والاوجاع الروماتيزمية وأوجاع البدن والرجلين بأن يمسكوا فى أيديهم حجارة المغناطيس

« ولكن فى عهد القرون الوسطى لم يستعمل هذا الدواء غير الدجالين والروحانيين وأمثالهم

« وحوالى القرن السابع عشر سنة (١٦٠٦) جربه بوليىر مع بعض الفلاسفة لشفاء اوجاع الاسنان واوجاع العينين والاذنين

« وذكر أيضا انه يسكن الاحتقان المستيرى بأن يوضع فى عنق المرأة قطعة منه وبعد ذلك بقليل أى سنة (١٦١٦)

كتب فى بعض المؤلفات الالمانية ان امرأة مصابة بالكتنة حصل لها تخفيف واضح بوضعها حجراً مغناطيسيا خلف القفا وأكياسا صغيرة مملوءة ببرادة الحديد على العينين

ثم فى سنة (١٧٦٣) تكلم المؤلفون للحوادث الطبية على المغناطيس مع ذلك نشر هلمان سنة (١٧٠٠) رسالة بحث فى الادوية المضادة للوجع السنى وذكر من بينها المغناطيس واشتهرت أيضا مشاهدات منعزلة فى بعض التجارب الطبية سنة (١٧٢٦) ثم فى سنة (١٧٦٣) كان الراهب لونوبل مشتغلا بالطبيعة التجريبية بتعقل ونجاح فاخترع مغناطيسات صناعية واصطنع قضبانا وبطريات من الفولاذ المنطلس كان لها صيت عظيم مدة ١٢ سنة وأحدث بها شفاءات عجيبة عدت كأمور خارقة للعادة فى معظم أوجاع الاسنان وأكد كلاريش طبيب ملك الانجليز بالتجربة النتائج التى نالها لونوبل

« ووسع مجال تلك المداواة ويبر ولذويج وغيرها في أمراض عصبية ولكن مع نجاح مبهم على الاقل

« وبالجملة حصلت مناقشات طويلة من جميع الجهات فى المغناطيس ثم اتفقوا جميعا على أن وضع القضبان أو البطريات المنطلسة أو حجر المغناطيس نفسه يسكن أو يبرىء أحيانا وجع الاسنان ويمكن أن يقبل أيضا الفعل الجيد الذى استخرجه من الخواص الطبيعية للمغناطيس الطبيب المشهور مورجانى وقبله فبريس وكركرنفيوس مع نجاح عظيم

« وهو أن تستخرج به الاجزاء الحديدية التى نفذت فى سمك القرنية

« وأما الامور الخارجة عن طور العقل كالصوقات المنطلسة التى وصفها الكيماويون الذين وجدوا فى القرون الوسطى على أجزاء مختلفة من الجسم اما لشفاء الجروح وأما لجذب السهام والنصول التى بقيت فى أعماق الجروح فيجب عدم قبولها

« ومن العقل أن يشك فى شفاء النقرس والسرطانات والفتوق ونحو ذلك مما بالغ فى الاهتمام به المتعصبون للمغناطيس وشهروه للعامة

« هذه على وجه التقريب حالة العالم فى

تلك الازمنة الى أن نبغ هيكل الفلكي الكبير بمدينة فينا فاخترع الدعائم المغطسة أى الصفحات المغناطيسية المكونة من قطعتين أو جملة قطع توافق شكل الاعضاء التى توضع عليها

« وانتشر ذلك الاختراع بسرعة فى السنة التى بعدها بواسطة (مسمير) فى بلاد الالمان والراهب (لنوبل) فى فرنسا فاستعملا هذا التداوى بالدعائم المغناطيسية بغيرة إلهامية ربما كان الوثوق الدينى بها أكثر من الخواص التى يخشى الطبيب العاقل من الاقرار عليها وتأثير الكيفية والحالة يعين على ذلك اعانة جليلة وفى ذلك الزمن صارت شهرة الخاصة المغناطيسية المعدنية أعظم من شهرة المغناطيسية الحيوانية التى اشتهرت بعد ذلك ببضع سنين

وانما الفرق بين (هيل) و (لونوبل) و (مسمير) هو ان الاولين كان عندهما معارف طبيعية حقيقية فانجذبا باضطراب العامة حتى وصلا الى أعلى الاستنتاجات الصحيحة التى حصلتها لهم المشاهدات وكانت معارف (مسمير) مخلوطة بتصورات طبيعية خارجة عن العقل وخرافات فلكية مما كان متسلطا على العقل فى القرن الخامس عشر فاستعمل سخريات معينة عنده أى المغناطيسية الحيوانية ليفهم انها واسطة من وسائط العلاج ولم تسقط تلك الواسطة فى الخمول الا بسبب المبالغات الكاذبة التى بسببها أريد بقاؤها كما قال بعض الاطباء ممن عرفناهم مثل (تروسو)

(دائرة المعارف) تقول اننا ننقل ماقاله فوجيل على علاته مترجما بقلم الطبيب المصرى المشهور الرشيدى فى مادته الطبية ولكن نرجو القارىء أن لا يستهويه نسبته الى (مسمير) المبالغات الكاذبة

فان العلماء فى عصر مسمير عدوا مشاهداته فى المغناطيس الحيوانى مبالغات كاذبة لانها كانت مشاهدات روحانية تنقض لهم نواميس الطبيعة التى اصطلحوا على وضعها واستمر العلماء يعتبرون (مسمير) هذا مبالغا حتى كثر عدد المجربين فى التنويم المغناطيسى فثبت أن مسمير كان على الحق وان ماقاله وعُد عليه من المبالغات الكاذبة لا يُعد شيأ مما أثبته كبار العلماء الطبيعيين اليوم من

مشاهدات المغناطيس الحيوانى المرتبطة تمام الارتباط مع مباحث حيوية اخرى كما سيمر بك. والذى علينا الآن أن نتابع نقل ترجمة فوجيل الى آخرها ونأتى على كل ماورد فى هذا الباب من آراء الموافقين والمخالفين ثم نكتب رأينا فى ذلك فى كلمة نوم مغناطيس

قال فوجيل بعد الذى مر: «ومع هذا فقد شهر جماعة من الاطباء رأى مسمير بعد أن نوعوه بعض التنويع وأيدوا آراءهم بأمور واقعية لا نظن دائما وقوعها

« فذكروا شفاء أشخاص مصابين بالاعتقال والتشنجات والشلل والاوجاع الروماتيزمية ونحو ذلك باستعمال المغناطيس ولكن اذا تليت تلك المشاهدات تحقق أن منهم من كانت معارفة الطبية غير كاملة مع ايهام المرضى الذين كانوا تحت نظرهم

« وقد ألف لونوبل الذى كان فى الغالب يعتقد فى خاصة الصفحات المغطسة رسالة سنة (١٧٧٧) في أعماله الطبيعية العلاجية وقدمها للمجمع الملكى الطبى بباريس ورأى أهل المجمع أن يبادروا الى تحقيق هذا العلاج الممدوح جداً عند العامة تحقيقا لا ريب فيه فكلفوا الطبيبين اندريه وتوريت اللذين كانا من أهل الثقة والصدق الطبى وجودة النظر وجميع الصفات الجيدة بأن يعيدا تجربات لنوبل وان يفعلا بأنفسهما تجربات عديدة ففعل هذان العالمان ما أمرا به وشرحا أعمالهما فى رسالة تدل على شرف عقولهما الفلسفية وأمكنهم أن يؤكدوا تأكيداً غير مبهم شفاء الاوجاع العصبية والشقيقة والوخزات المؤلمة والاوجاع الروماتيزمية والالآم المعدية والشلل الاختناق أى شلل اختناق الرحم . وكانت نتيجة هذه الرسالة هى ارجاع دعاوى المغناطيسيين الى اعتبارها الصحيح او تحرير الاحوال التى قد يكون هذا المغناطيس فيها واسطة للشفاء أو بالاقل يكون سلاحا علاجيا لاينبغى اهماله اذا لم تنجع المعالجات الاعتيادية

«ومن حينئذ تأكد عند كثير من افاضل الاطباء من جميع الجهات مثل مارسلان ولاهنك والبير وشوميل وريكبير وهاليه وغيرهم حقية أكثر

المشاهدات التي شهرها اندريه وتوربت»

«قال تروسو ونحن قد استعملنا احيانا هذا المغناطيس وتيسر لنا أن نحقق أن هذا الجوهر العلاجي يؤثر على العضو الذي يلامسه تأثيرا لا يمكن ان ينسب لتخيلات المرضى فقط فقد شاهدنا أوجاعا عصبية تنوعت ونوبا من عسر النفس العصبي وقفت سريعا وغير ذلك

«فنحن بدون أن ندخل في ايضاحات غير ضرورية للعمل وغير مهمة نقتصر على أن نبين أولا كيفية وضع المغناطيس وثانيا النتائج الفزيولوجية لهذا الوضع، ونحيل ذكر النتائج العلاجية للمغناطيس على ماسبق لنا ذكره ونتمم هذا البحث بمستنتجات مختصرة

(كيفية وضع الدعائم المغنطسة)

يستعمل كما هو معلوم لاجل تكوين الدعائم جملة قطع من الفولاذ المغنطس تتوافق بالضبط على شكل الاعضاء واطرافها مثقوبة بثقوب معدة لعرى بواسطتها تتعلق القطع بعضها ببعض اى أنها مؤلفة من قطع ممغطسة او اقراص معوجة اومستطيلة او على شكل عنق أو حزام أو شريط أو غير ذلك تختلف في الشكل والعدد والاقطار .

وهنالك احتراس ينبغي مراعاته اذا وضعت وهو معارضة قطب لقطب بحيث يلتفت القطب الجنوبي للقطب الشمالي ولذا يجب الانتباه فتبين الاقطاب بأن يرقم بالنحت على الصفحات حرف ج وحرف ش ويحفظ الكل بشريط حرير او خيط ثم يغطى بلفافة أورباط يحيط بالعضو . وبالجملة يكون وضع قطعة المغناطيس كما قال هاليه بحيث تؤثر قطعة في أخرى مارا تأثيرها على الجزء المتألم، وذلك هو ما يفعل في العادة اذا أريد وضع جملة قطع حول عضو وكان ذلك أيضا هو مقصود بعض الاطباء الذين يأمرون المريض بازدراد برادة الحديد ثم يضعون المغناطيس على جزء من البطن

« وكذا مقصود من عالج الكمنة (وهي ظلمة في البصر أو جرب وحمرة فيه أو هي حمرة في الاجفان) بوضع مغناطيس قوى على القفا وأكياس مملوءة ببرادة الحديد على الاعين فاذا لم يشغل الألم الا محلا واحدا تحتاج الدعامة لأن تتركب من قطعتين . فلأجل شفاء ألم

عصبى صدغى بوضع أحد الاقراص على الصدغ المتألم والآخر على الجهة المقابلة لها بل يكفى احيانا اذا كان الألم قويا محدوداً وضع قرص واحد وكذا يكفى ان يوضع مجرد قضيب ممغطس على السن المتسوس يمكن ان يزول ألمه

اما اذا كان الألم شاغلا لجميع طول طرف كما فى عرق النسا فانه يجب ان توضع ٣ ازواج أو ٤ من المغناطيس فى ارتفاعات مختلفة فاذا أريد شفاء ضيق النفس المصاحب لخفقانات القلب يحاط الصدر بمنطقة مركبة من اربع قطع على الأقل ومثل ذلك أيضا اذا أريد مقاومة وجع شاغل لجميع الرأس أو لسمك طرف من الاطراف ومقدار الزمن الذى تحمل فيه الدعائم الممغطسة يختلف باختلاف شدة المرض الذى عولج بهذه الواسطة . ففى أحوال الاوجاع الروماتيزمية والآلام العصبية كثيراً ما يضطر لان يمسك المغناطيس موضوعا مدة أسابيع بل جملة أشهر . فاذا كان الداء متقطعا لزم ان يكون التداوى كذلك

« قال تروسو : ولذا نجح معنا فى تسكين نوب الارطوبنيه أى التنفس الانتصابى تسكينا وقتيا اذا كان يأتى مرة فى كل شهر وذلك بأن يحمل المريض فى الليل قرصين ممغطسين حول عنقه فاذا اضطر لابقاء الدعائم أكثر من ٢٥ يوما ملامسة للجلد كان من المناسب تنظيفها ثم مغطستها فبدون ذلك الاحتراس تفقد جميع خواصها ولكن من حيث أن التأكسد هو السبب المضعف للخاصة المغناطيسية لزيادة التحرس منه يغطى الوجه الباطن للدعائم بورق من الفضة والبلاتين وليس يلزم دائما ان يستخدم مغناطيسان حتى ولو أريد اثالة تيار مغناطيسى ينفذ من الاعضاء فلذلك توضع أكياس من برادة الحديد فى الجهة المقابلة للمغناطيس فتنال من ذلك نتائج ثمينة عظيمة وان كانت أقل تأثيرا من النتائج التى تحصل من الدعائم

(النتائج الفزيولوجية لوضع المغناطيس) وضع دعامة ممغطسة لاينتج فى العادة نتيجة محسوسة . قال تروسو وقد تيسر لنا تأكيد ذلك كثيرا ومع ذلك فقد يتفق عند ما تكون درجة حرارة قطع الجهاز مساوية لحرارة الجسم

أن يحصل فى محل الملامسة حكة تولد أكلانا فحينئذ يصير أكثر حرارة وأشد احتقانا ويغطى بعرق بحيث يؤكسد الفولاذ فى بضعة أيام بل أحيانا فى خمس ساعات أو ست ساعات

« ومن العظيم الاعتبار ما شاهده اندريه وتوريب وأكده غيرهما وهو أن التأكسد لا يحصل اذا لم ينتج من ملامسة الدعامة نقص للالم ولا للاحساس المعتاد الذى ذكرناه

« فاذا بقيت القطع الممغطسة زمناً طويلا انتهى حالها بأن تسبب فى الجلد اندفاعا حوصليا (اكزيما بسيطة) يظهر غالبا تحت الدعامة نفسها وأحيانا يبعد عن المحل الموضوعة عليه بمسافةما وبعض المرضى يشكو أيضا من احساسات من نوع آخر فيرى شرر الامعاء أو يحصل له طنين فى الآذان اذا كانت الدعامة موضوعة . وشاهد اندريه وتوريه اسهالات شديدة تعرضت مع وضع جلة مغناطيسات على هيئة حزام

« وقال تروسو : ونحن أيضا وضعنا يوما قرصا ممغطسا فى التقعير المعدى لامرأة وقرصا آخر فى المحل المقابل له عند الظهر بقصد شفاء وجع تحس به المرأة فحرضنا بتلك الواسطة عسراً قويا فى الهضم فكانت نتيجة ذلك هوجا كابدته المرأة مدة حياتها . وتلك الظاهرات تسمح لنا بأن نجزم بصحة ما قاله المؤلفون من الظاهرات العصبية التى تحصل احيانا من وضع الدعائم

« وقال ميريه : تختلف كثيراً النتائج المحسوسة لوضع المغناطيس وكانوا ينسبون ذلك لأسباب مختلفة فتارة تظهر حالا بعد السكون الفجائى للآلام وذهاب التقلصات وغير ذلك وتارة تتأخر عن ذلك فى الحالة الاولى قد يزول الداء ثم يظهر طورا طورا على حسب وضع المغناطيس أو ازالته ، وقد لا يحصل ذلك وفى بعض الاحوال يغير الداء محله أو يتنوع . وأحيانا يقاوم المغناطيس الخفيف ثم ينقاد للقوى . وأحيانا لا تشاهد ظاهرة محسوسة . وأحيانا أخر لا تنقص العوارض وانما يظهر انها زادت من المغناطيس ولكن ذلك نادر . وقد تظهر ظاهرات جديدة واحساسات شاقة كالحركات والتقلص والغشى والوخز والاكلان وغيرها ويزول ذلك اذا أزيل وضع

المغناطيس»

(النتائج العلاجية لوضع المغناطيس)

لم يبق علينا الا كلمات عن النتائج العلاجية لوضع المغناطيس بعد النتائج التي ذكرناها سابقا فقد نتج من التجريبات المفعولة بسلامة قلب ونية أن المغناطيس لاينجح في الحقيقة الا في الآفات والاوجاع العصبية والامراض الروماتيزمية، وان هذه الواسطة لاتستعمل عموما الا اذا لم تنفع جميع الوسائط التي تنجح في العادة ومع ذلك تنتج في بعض الاشخاص نتائج انفع واسرع من الوسائط الاخرى ، والتحليل المختص ببعض الامور الواقعية كاف لتصور الاحوال الخاصة التي لايمكن ان تستعمل فيها هذه الواسطة مع المنفعة

(فأولا) في الامراض العصبية كالذبحة الصدرية اى الخناق الصدرى وضيق النفس العصبى والنقص الانتصابى المتقطع (أورطوبنيه) والخفقان والهستريا اى اختناق الرحم

« فقد اتفق أن امرأة مصابة بخناق الصدر وكانت نوبة تتزايد متقاربة تقاربا هائلا مع تزايد الالم

«ومنذ ثمانية ايام كانت النوب كأنها مهددة بفقد حياة المريضة كل لحظة

« فبعد تجربة جملة وسائط للعلاج المسكن وعدم حصول تخفيف منها حتى ولا من وضع ايدروكلورات على حراريق موضوعة على طول اعصاب الذراع وعلى قسم القلب اوصاها (لبريتون) باستعمال المغناطيس فوضع لها دعامة مركبة من قطعتين على الصدر ووضع قرصا على قسم القلب وقرصا آخر من الخلف على القسم المقابل فحصل التخفيف حالا ولكن مضى على المريضة عشرون يومابدون نجاح ومن ذلك الحين كان يحصل لها تزايدات قليلة الشدة فاتضح ان خناق الصدر لم يشف وانما تنوع بالمغناطيس تنوعا احسن مما يتحصل عليه بالوسائط الاخرى

« ومن الامور الهامة أن ننبه الى أن القرص المستند على القسم القلبى يتأكسد سريعا وأن الجلد يتغطى بدماميل صغيرة كثيرة كما علمت

« وهناك أمر واقعى شبيه بذلك ذكر فى رسالة أندريه وتوليت

« وأوصى (لاهنك) بالمغناطيس فى علاج خناق الصدر وشاهد ان هذا الفاعل العلاجى كثيرا ما يسكن أو على

الاقل ان ينوع الاوجاع المتسببة عن هذا الداء الماثل . والنجاح الذى ناله ايضا فى الفواق التقلصى كان أيضا واضحا

« واستعمل فى هذا العصر الاخير (مرجولين) و (ريكمبير) و (مرسلين) و (لاهنـك) وغيرهم الدعائم المغطسة مع النجاح فى عسر التنفس الانتصابى العصبى

« قال تروسو . وتيسر لنا الحصول على مثالين يدلان على أن المغناطيس لا يبرىء هـذه الداءات وانما ينوع شدتها على الاقل . وذلك انه اتفق ان شابا عمره ٢٠ سنـة كان مكدراً منذ ثمان سنـين بخناق منقطع يأتى فى الليل فقط ، ولا يوجد عند هذا الشاب آفة تشاهد فى الرئة ولا فى القلب . فبعد ان استعمل الحمامات ومضادات التشنج والمخدرات والحراريق والحمصات والمسهلات والافصاد والعلق وغـير ذلك بدون منفعـة التجأنا لوضع دعامة ممغطسة فوضعت احدى قطعتيها أمام الحنجرة والاخرى على القفا وكانتا لا تمغطان على الجلد الا مدة الليـل فمر على الشخص أسبوعان لم يحصل فيهما نوبة ثم ظهر الداء بشدة

« ولما تأكـدت الاقراص مغطسناها ثانية فحصل منها ايضا تخفيف عظيم كالمرة الاولى ثم لم يحصل بعد ذلك من هذا التداوى نفع اصلا

« فالتجأنا لاوراق الداتورة وأمرنا المريض باستنشاق دخانها فنجحت هذه الوسيلة البسيطة نجاحا تاما بحيث ان المريض الذى كان لا يقدر على الاضطجاع على الجانب منذستة أشهر لم تحصل له نوبة شديدة واحدة فى جملة سنين

« واتفق لعالم ماهر من اصحابنا من أرباب الشرائع ومن المحامين بباريز انه حصل له تخفيف ايضا بوضع دعامة ممغطسة مع ضيق نفس ومع ذلك رجع له مع دوام استعماله تلك الواسطة

« وهناك أمور واقعية ذكرها (أوتزير) و (ديمان) و (هرسو) تدل على شدة فعل المغناطيس فى الهستريا ولكن نظير ذلك مايذكرونه من الشفاء الخارق للعادة الذى يحصل للنساء المصابات بهذا الداء من المكث فى الجبانات عند المقابر

« فهذا شيء يحوجنا للتشكك فى

القصص والاخبار المتعلقة بالنساء المستريات

«وكذلك ماذكره كثيرون بوثوق من كثرة الشفاء من الصداع مثل (لنوبل) و (مسير) و (ديمان) و (هرسو) و (اندريه) و (توريت) و (غيرهم) مع ان اكثر الامور الواقعية التي ذكروها لم يحقق جيدا فيها التشخيص الاختلاف بين هذا الداء المائل والآفات الاخر التشخيصية بل لم يؤكد ذلك في الحالة التي تنوع فيها مدة استعمال المغناطيس لان تجارب (اسكيرول) لم يثبت منها ثبوتا كافيا بأى علاج كان نقص كثرة نشبات الصرع وتقللها احيانا مدة أشهر

(ثانيا) في الاوجاع العصبية . اكثر استعمال الدعائم المغناطيسية مع انجاح غير المشكوك فيه هو في الاوجاع العصبية الحقيقية والتجارب التي فعلها في أيامنا هذه (مرجولين) و (البريتون) و (البير) و (هرتلوب) وغيرهم تأكد تأكيدا قويا مستنتجات رسالة اندريه وتوريت فان هذين الاخيرين ذكرا من أمثلتها الغريبة قصة مريض كان معه منذ سنين مرض عصبي في الزوج الخامس سببله

اوجاعا شديدة مع تشنجات في عضلات الوجه فوضعت له الاقراص الممغطسة فتخدرت حالا حساسية الاعصاب وبدوام هذا العلاج انتهى الحال بحصول شفاء وقتى فقط فان النوب ظهرت ثانية وسكنت شدتها بالمغناطيس فني الحقيقة لاتكون هذه الواسطة العلاجية الا مسكنة

ومدحوا المغناطيس كثيرا لمضادة الوجع السنى ولكن هذه الحالة من الاحوال التى يعسر أن يؤكد فيها هل كانت آلام الاسنان وقتية كما هو الغالب بحيث يعسر ان يجزم بكون الداء شفى بنفسه او زال بتأثير التداوى

ومع ذلك فهناك أحوال كثيرة تكون فيها فروع الزوج الخامس المتوزعة في الاسنان محلا لوجع عصبى متقطع أو مستديم تطول مدته جملة أشهر

« فقد ذكر اندريه وتوريت قصة شخص كان معه وجع في الاسنان من النوع المذكور ولم يحصل له تخفيف الا بوضع قضيب من حديد ممغطس على السن المتألم ويجب ادامة ذلك الوضع مدة من ٣ دقائق الى ٥ بل أكثر الى ربع ساعة

«ووسائل (كلاريك) وغيره ممن يكتبون على المغناطيس بأمور واقعيـة تثبت خاصـة مضادة الوجع السنى فى المغناطيس الطبيعى والقضبان الممغطسة والدعائم

«أبرأ الطبيب لبرتون وجاعصبيا رحميا شاقا جدا بوضع ٣ أقراص ممغطسة احدها على جبل الزهرة والآخران على الاربيتين

«مع أن ذلك الوجع الغير المصحوب بعلامـة التهاب فى الرحم قاوم الافصاد الموضعية والعامة والحمامات المرخية والمستحضرات المخدرة وغير ذلك

و (ثالثا) فى الاوجاع الروماتيزمية هذه الاوجاع مهما كان محلها عولجت فى بعض الاحوال مع المنفعة بالمغناطيس والذين كتبوا فى هذا البحث ذكروا أمورا واقعية ولكنها لاتخلو من شيء من الغلو وذلك انه يلزم أن لا يقطع النظر من أمور كعدم تأكد مـدة الوجع الروماتيزمى والتأثيرات الصحية الجديدة التى عرضت لها المرضى والاحوال الجوية التى قد تنوع سير الآفة ولذلك لاتقبـل جميع المستنتجات التى استنتجها المؤلفون الذين سبق ذكرهم فانهم ذكروا أنه يحصل منه دائما شفاء غير منازع فيه مع ان هذا الشفاء وقتى يقينا كما هو فى معظم أحوال الاوجاع الروماتيزمية

ومن أمثلة ذلك قصة رئيس من كبار الحربيين بفرنسا اشتهرت فى أيامنا هذه حالته المحزنة حيث لم يحصل لاوجاعه الرومانيزمية تخفيف الا من وضع الدعائم الممغطسة (أخذناه من المادة الطبيـة بتصرف)

* * *

(المغناطيسية الحيوانية) هى قوة خاصة بالانسان شبيهة بالقوة المغناطيسية التى فى حجر المغناطيس قيل انها تنتقل من شخص الى شخص ويحـدث بسبب ذلك نوم يكون فيه تحت ارادة ممغطسه . وهذا هو المعبر عنه بالنوم المغناطيسى وقد أشبعنا الكلام فى هذه المادة فى كلمة نوم فليرجع اليها من شاء

﴿مغنسيوم﴾ انظر مانيزيوم

﴿المغنوليـيا﴾ وقد يسمى بالمغنوليا الازرق ومغنوليا المستنقعات وشجر الكستور أى الجندبادستر وباللسان النباتى مغنوليا غلوكا واسمه آت

من اسم عالم نباتي يدعى مغنول كان موجودا في القرن السابع عشر

عرف لهذا النبات الآن نحو ١٨ نوعا والنوع المذكور هنا هو الاكثر وجودا ببساتين اوربا وهو شجر صغير جميل المنظر مفرح يعلو من ٥ الى ٢٠ قدما واوراقه متعاقبة ذنيبية بيضية بالعرض كاملة خالية من الزغب خضر زاهية من الاعلى ومغبرة بالكلية من وجهها السفلى وازهارها بيض وتتصاعد منها رائحة ذكية جدا لها شبه بزهر البرتقال وثمارها تبلغ من قيراط الى قيراط ونصف

وهذا النبات ينبت بالمحال الراطبة من جزائر كارولين ورجينى وغيرهما وحمل الى اوربا في اواخر القرن الثامن عشر وهو الآن يكثر في البساتين ولكنه صار بالتربية شجيرة كثيرة التفرع تعلو من ٦ اقدام الى ١٠ والمستعمل قشره الذى هو مرّ عطرى يسمى احيانا بكينا وورجيق فهو مقو مضاد للحمى ويقرب من قشر العنبر ومن القرفة بسبب أوصافه الحارة والمنبهة والمعرقة يعطى في الولايات المتحدة الامريكية مع نجاح عظيم في الاوجاع الروماتيزمية المزمنة وفي الحميات المتقطعة والمترددة ومكثوا مدة طويلة يعتبرونه قشرا للانجستور الحقيقى قبل ان يعرف

من أنواع هذا الجنس مايسمى بالمغنوليا الكبير الازهار وهو أجمل أنواع هذا الجنس العظيمة الاعتبار بامريكا الشمالية بسبب جمال ازهاره الكبيرة الزكية الرائحة واوراقه اللامعة الثخينة الخضراء الجميلة من الاعلى والحديدية اللون من الاسفل ينبت بأمريكا من كارولين الى لويزيان وهو شجر يعلو من ٦٠ الى ٨٠ قدما وجذعه قائم اسطوانى ينتهى بهرم جميل مخضر وفروخه احاطية واوراقه متتالية ذوات ذنيب وطولها من ٨ قرايط الى ١٠ وعرضها ٣ بالتقريب وهى بيضية بالعرض كاملة منتهية بطرف دقيق جلدية القمة خضر لامعة من الاعلى وقطنية حديدية اللون من الاسفل ، والاذينات قطنية ولونها زعفرانى حديدى وأزهارها انتهائية بيض تنتشر منها رائحة غاية في الذكاء

وقد دخل هذا الشجر الجميل في بساتين اوربا من زمن طويل وقد

تستعمل بزور هذا الشجر فى المكسيك بنجاح علاجا للشلل

ومن انواعه مايسمى مغنوليا أقومناتا اى المنتهى بطرف حاد يوجد بامريكا الشمالية ، وازهاره بيض كبيرة تقرب من ازهار مغنولياغلوكا وقد يضرب لونها الى الزرقة تنقع هنالك فى النبيذ فتجعله ذا مرارة عظيمة فيستعمل منه كوب او اكواب فى الصباح كحافظ من الحميات المتقطعة والآفات الروماتيزمية

ومن انواعه مغنوليا بوليان وهو نوع جميل اصله من الصين ويبلغ طوله هناك من ٤٠ الى ٦٠ قدما ازهاره بيضاء كبيرة شديدة الرائحة يحفظه الصينيون من البرد فى بيوت للحصول على ازهاره في جميع الفصول ويربون ازرار ازهاره قبل نموها بالخل وتوضع ازهاره فى الشاى لاجل تعطيره ويعطون منقوع ثماره فى الآفات النزلية لاجل تلطيف السعال وتسهيل النفث ومسحوقها معطس وبزوره المرة كأغلب بزور النباتات المغنولية تستعمل مضادة للحمى

~المقدونس~ هو نبات مشهور جذره مغمر عمودى ابيض بسيط وساقه قائمة اسطوانية محززة زغبية متفرعة قليلا واوراقه جذرية ذنيبية ريشية منتهية بفرد وريقاته عادمة الذنيب تقرب للشكل القلبى مخنوقة الزاوية مسننة عادمة الزغب والاوراق وساقه ووريقاتها اطول ومقطعة واوراق الجزء العلوى كاملة تقرب للخيطية والازهار بيض وعلى هيئة خيمات عارية كالخويمات الصغيرة مركبة من أشعة عددها من ١٢ الى ١٥ تلتوى الى الاعلى والثمر بيضى املس عادم الزغب منضغط قليلا ومحزز

هذا النوع كثير الوجود جدا فى المحال المخضرة اليابسة وعلى طول الطرق فى الغابات ويزهر فى اواخر الصيف والمستعمل فى الطب جذره وهو ابيض رائحته قوية وطعمه مر

وقد وجد فيه بالتحليل الكيماوى دهن أتيرى ودقيق وزلال وسكر متبلور وسكر سائل وراتينج ومادة خلاصية وزيت شحمى وحمض خلى وحمض جاوى وحمض تفاحي وكثير من الجوهر الخشبى فالجزء الفعال فيه هو الدهن الاتيرى

ويقال انه قابض مقو مشدد للمعدة وأوصوا به لاجل ان يزيل من السفا

طعمها الكريه . ويستعمل النبات كله والبزور علاجا للالتهاب النخاعى وبحة الصوت والذبحة المخاطية وشلل الاسنان اذا مضغ

من أنواعه جنس سموه بمبيلا مجنا اى الكبير ينبت بالغابات الرطبة من أوربا ويحمل أزهاراً بيضاء أو وردية فى صنف ينبت بجبال الالب وجذره يكون مسوداً اذا كان رطبا ويحتوى على عصارة زرقاء تلون بالكحول

وقد حلل بعضهم هذا الجذر المنبه لستعمل فى الطب البيطرى فوجد تركيبه مشابها لتركيب النوع السابق وهو يدخل فى الماء العام وشراب الخطمية المركب وشراب القونصود الكبير وغير ذلك

وقد شوهد عليه نوع قرمز يحصل منه لون احمر جميل وهذان النوعان تحب المعز الجبلية ان تأكلهما لا بسبب رائحتها فانهما يكادان يكونان بلا رائحة

النوع الاول منهما جذره ابيض والثانى جذره أسمر وكل منهما أبيض الزهر جذرهما محمر ومفتح ولاحم للجروح ومفتت للحصى ومنظف ومعرق يستعمل من تلك الجذور غرامهن مسحوقها و ٨ غرامات من منقوعها

(جذور المقدونس) يسمى نبات الكرفس الجبلى أو الصخرى . هو أبيض مخروطى فيه تفرع وغلظه كغلظ الخنصر تعلوه ساق اسطوانية بسيطة من الاسفل ارتفاعها من قدم ونصف الى قدمين أوراقها مقطعة ووريقاتها مشققة الى فصول حادة تشققا عميقا وأزهارها صغيرة بصفرة وثمارها بيضية فيها خطوط مستطيلة تكاد لا تشاهد

هذا النبات سنوى أو ذو سنتين ينبت فى المحال التى فيها عقم

رائحة هذا النبات قوية خاصة به ولا سيما اذا اتفق وبزره شديد العطرية يستخرج منها دهن طيار يتجمد بسهولة والمستعمل منه جذوره وأوراقه وثماره

ولا يخفى استعمال أوراقه فى الاطعمة كالكزبرة الخضراء حيث يكونان من توابلها وتدخل فى السلطات وكثيراً ما تدخل فى طب العامة لأنهم يظنونها لاحمة للجروح فيضعونها على الاجزاء المرضوضة

ويحصل من خاصتها المحللة نتيجة

حيدة بخلاف ما اذا وضعت على الجروح فانها تؤذيها لكونها تلهب شفتى الجروح فتكون كجسم غريب يمنع الالتحام

وذكر بعض الاطباء انه يحلل قرص الناموس والنمل ويوضع أيضا على الثديين لازالة الاحتقان اللبنى كما يستعمل أيضاً فى احتقانات غيرها من الغدد وتستعمل عصارته من ٤ أواق الى ٦ وقت شدة الحمى المتقطعة باعتبار أنها مضادة للحمى

ويستعمل مطبوخ النبات نفسه فى الجدرى . وجذر المقدونس مدر للبول معرق وظنوه مفتتا لحصى المثانة ولكنه الآن قد هجر استعماله فى جميع ذلك . وهو أحد الجذور الخمسة الشديدة التفتيح كما ان بزره أحد الابزار الاربعة الخفيفة الحرارة

أوصى بعض العلماء بالدهن الطيار للمقدونس فى البليوراجيا ولا سيما الحادة والسيلان الكثير بمقدار من نقطتين الى ثلاث نقط فى اليوم فى كوب من ماء ويزاد المقدار تدريجاً وذكروا انه ينجح بالاكثر اذا استعصى الداء على الوسائط الاخرى المستعملة

ذكر أطباء العرب ان هذا النبات حار قطاع ولذا يحدث البول والطمث كثيرا ويحل النفخ ويذهبه

وفى ديسقوريدس انه يدر ويوافق نفخ المعدة والمغص . واذا شرب وافق أيضا وجع الجنب والكلى والمثانة وقد يقع فى اخلاط الادوية المدرة للبول وفى بعض المركبات

(مقداره فى الاستعمال) يستعمل مطبوخه المصنوع منه بمقدار من ١٥ الى ٣٠ غراما بل الى ٦٠ غراما الترمن الماء

وماؤه المقطر يستعمل بمقدار من ٣٠ الى ١٠٠ غرام وعصارته المأخوذة بالعصر من ٣٠ الى ٦٠ غراما ويستعمل من الظاهر ماؤه المقطر غسلات بمقدار كاف فى الامراض الحشرية أى التى تنمو فيها الحشرات كالقمل وغيره فى جسم المرضى وتصنع ضمادات من أوراقه الرطبة

وهناك نبات ينسب لجنس آخر من هذه الفصيلة نفسها يسمى المقدونس المقدونى أو الكرفس المقدونى ينبت ببلاد اليونان ومقدونيا وبلاد المشرق بزوره صغيرة مستطيلة سنجابية زغبية جداً

منتهية بقرنين قصيرين وهى ملساء ويعلوها مهابل وعطرية اذا كانت رطبة وقد اعتبروها مدرة للبول والطمث وطاردة للريح وغير ذلك وتدخل فى الترياق ولكن ترك استعمالها. وذكروا أن أوراق هذا النبات عطرية اذا وضعت فى الملابس منعت تسلط السوس والديدان عليها

وبالجملة خواصه كخواص المقدونس المعروف هو أيضا مضاد خفيف للحمى وهو مثله مناسب فى الاحتقانات الحشوية البطنية والاستسقاء والبرقان والسيلانات البيض وبعض الاحتباسات الدموية الناشئة من الضعف

﴿ مقدونس الابل ﴾ هو نبات يعرف منه ٨ أو ٩ أنواع له ساق متفرعة تعلو من قدمين الى ثلاث أقدام وهى عادمة الزغب ملساء أوراقها ثلاثية التريش مقطعة تقطيعا كثيرا وازهارها بيضاء تظهر فى يوليه واغسطس

ولعل هذا النبات هو المسمى عند العرب آطريلال وهو اسم بربرى أى بلغة بربر بلاد المغرب

قال ابن البيطار وهذا النبت يعرف بالديار المصرية برجل الغراب وبعضهم يعرفه بجزر الشيطان

وانما سمي برجل الغراب لأن ورقه يشبه أرجل هذا الطير وتسميته بجزر الشيطان لمشابهة ورقه لورق الجزر

قال أطباء العرب الآطريلال ينبت بالمواضع السبخة الحارة المزاج والمعتدلة بالاراضى المعمورة بالزرع ويشبه الشبث فى ساقه وقدره الا أن زهره أبيض ويخلف حبا صغيراً مستطيلا دقيقا محمراً مشربا بغبرة وهو حاد المذاق يحس بالحرارة عند مضغه وذلك الحب أصغر من حب المقدونس وأكبر من بزر الخلة وفيه حرافة ومرارة يسيرة يظهران فى اللسان عند مضغه واذا أخذ منه غصن طرى ووضع على مستوى من الارض أشبه رجل الطير فى أصابعه المقدمة والمؤخرة وهو من النبات الربيعى يدرك فى شمس الجوزاء بأرضنا وهو شديد الحرارة مع يبس

وذكروا البزر منافع جليلة فى ازالة البهق والوضح أى البرص وأول شهرة منفعته فى ذلك كان بالمغرب الاوسط كما قال ابن البيطار فى جهات من أعمال بجاية وكان الناس يقصدون أهالى تلك

البلاد لمداومة هذا المرض وهم يخفون هذا الدواء عنهم ولا يعلمون به الا خلفا عن سلف الى أن أظهره الله على يد بعضهم فأشهر ذكره وعرف عظيم نفعه فكان يستعمل مفرداً أو مع جزء منه ربع جزء من العاقر قرحا بالعسل ويلعق ذلك أو يخلط غرام ونصف غرام منه مع غرام من ورق السذاب وغرام من سلخ الحية ويسحق الكل ويشرب منه على قدر العلة والقوة وتقادم المرض ومقداره من درهم الى ٣ دراهم بجملته مع عسل منزوع الرغوة ١٦ يوما فيحصل البرء بعد تنقية البدن ويقعد شاربه فى شمس حارة صيفية ويكشف المواضع البرصة لاغير فانه حينئذ يخرج منها ماء أصفر بعد ما يتنفط الجلد وهذه علامة البرء ومدة مكثه فى الشمس ساعة أو ساعتين حتى يعرق فان الطبيعية تدفع الداء باذن خالقها الى سطح البدن فيتنفط منها ولا يصيب شيئا من المواضع السليمة اصلا فاذا انفقأت تلك النفاخات وسال منها ماء ابيض مائل الى الصفرة قليلا فليترك الشرب حينئذ الى تبديل تلك القروح بعد علاجها بالمراهم اللاحمة والمبردة ان احتيج حتى يرجع الجلد للونه الطبيعى

وهذا الداء يسرع فعله فى المواضع اللحمية ويبطىء فى المواضع العصبية والقريبة للعظم

قال ابن البيطار وقد جربته غير مرة فحمدت أثره وهو سر عجيب فى هذا المرض

وقد رأيت تأثيره مختلفا ففى بعضهم يسرع فيه انفصاله من أول دفعة من شربه أو دفعتين وفى بعض أكثر من ذلك ولا يزال يشفى منه ويقعد فى الشمس مرة وثانية وثالثة الى أن ينفعل بدنه . ويتبين صلاحه بعد تقديم ما يجب تقديمه من استفراغ الخلط الموجب لهذا المرض فى أيام الصيف أو فى وقت تكون الشمس فيه حارة ودرهم منه يسكن المغص حالا كما قال الزهراوى مجرب

وقال ابن البيطار زعم الشريف أن الآطريلال هذا هو أحد أنواع النبات المسمى باليونانية دوقس وليس هو كذلك فاعلمه . انتهى من المادة الطبية

﴿مقدونيا﴾ هى قطر من اوروبا واقع فى شمال البلاد اليونانية مساحته

(٩٤٠٠٠) كيلو متر مربع كان فيه غابات عظيمة قطع العثمانيون أكثرها وفيه مراع ثمينة ويستخرج منه صوف وجلود . وفيه كروم وفواكه

ومنه الجهات المسماة سهول سرس ولاغوس فى غاية الخصوبة تنبت الحبوب والقطن . وقد بلغ مقدار مايستخرج منها سنويا من القطن خمسة ملايين كيلو غرام وفيه تبغ كثير فان ثمن أرضها ينبته فيستغل منه ربح عظيم

وينبت فيه شجر الافيون أيضا

أما الصنائع فى هذا القطر فقليلة فلا تصنع فيه غير السجاجيد والحلى الكاذبة والطرق فيه غير منتظمة

وهو مجال التنازع والقتال بين الشعوب البلقانية . فان فيه يونانا فى جنوبه وبلغاراً فى شماله، وصربيين حول اسكوب واتراك افلاخيون على هضبة كوبرول، وألبانيون فى غربه ،ويهود فى سلانيك ،ولذلك لاتنقطع المنازعات فيه بين البلغاريين واليونانيين لاجل نشر اللغة

وبلاده الشهيرة موناستير . وفى سلانيك ينتهى الخط الحديدى الواصل من فينا . عدد أهله (٢٩٧٣٠٠٠) نسمة

اشتهرت مقدونيا فى زمن الاسكندر الاكبر ومدت نفوذها على جميع بلاد اليونان وممالك شاسعة من آسيا ثم صارت ايالة رومانية سنة (١٦٨) ثم فتحها العثمانيون فى القرن الخامس عشر ولما حدثت الحرب البلقانية سنة (١٩١٣) التى اتحدت فيها بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الاسود على الدولة العثمانية خرج هذا القطر من حكم هذه الدولة وانقسم بين بلغاريا واليونان وصربيا

ثم لما حدثت الحرب العامة سنة (١٩١٤) اضطربت مقدونيا فاحتل الحلفاء سالونيك وهى الآن من أملاك اليونان وقد استقرت الاحوال الآن هناك ولكن مجال التنازع لايزال واسعا

﴿ المقريزى ﴾ هو تقى الدين أحمد ابن على بن عبد القادر ولد سنة (٧٦٦) أصله من بعلبك وقطن مصر ونشأ بالقاهرة وكان مولعا بالتاريخ

من مؤلفاته فيه (المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار) وله (امتاع الاسماع) فى ستة مجلدات الخ

توفى سنة (٨٤٥)

﴿مقع﴾ امتقع لونه تغير من فزع أو حزن

﴿مقله﴾ يمقُله مقلا نظر اليه و (المُقْلة) شحمة العين التى تجمع السواد والبياض أو الحدقة وحدها

﴿ابن مقلة﴾ هو ابو على محمد بن الحسين بن مقلة الوزير المشهور

كان فى أول أمره يتولى بعض الولايات ببلاد الفرس ويجبى خراجها وتنقلت به المناصب الى ان ولى الوزارة للامام المقتدر بالله سنة (٣١٦) ثم نقم عليه ونفاه الى بلاد الفرس سنة (٣١٨) بعد أن صادره

ثم لما ولى الامام القاهر استوزره فأرسل اليه فى بلاد الفرس رسولا يجىء به ورتب له نائبا عنه فوصل ابن مقلة من فارس سنة (٣٢٠) وخلع عليه ولم يزل وزيره حتى اتهمه بمعاضدة على بن بليق على الفتك به وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر سنة (٣٢٠)

ولما ولى الراضى سنة (٣٢٢) استوزره وكان المظفر بن ياقوت مستحوذا على أمور الراضى وكان بينه وبين ابن مقلة الوزير وحشة فقرر ابن ياقوت المذكور الغلمان الحجرية انه اذا جاء الوزير قبضوا عليه وان الخليفة لا يخالفهم فى ذلك وربما سره هذا الامر

فلما حصل الوزير فى دهليز دار الخلافة وثب الغلمان عليه ومعهم ابن ياقوت المذكور فقبضوا عليه وأرسلوا الى الراضى يعرفونه صورة الحال وعددوا له ذنوبا وأسبابا تقتضى ذلك

فاستصوب الخليفة رأيهم فيما فعلوه وكان ذلك سنة (٣٢٤) واتفق رأيهم على تفويض الوزارة الى عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح فقلده الراضى الوزارة وسلمه الوزير بن مقلة فضربه بالمقارع وجرى له من المكاره بالتعليق والعقوبات شىء كثير وأخذ عليه صكا بألف الف دينار (اى مليون دينار) وأطلقه

فمكث الوزير ابن مقلة فى داره بلا عمل

ثم ان أبا بكر محمد بن رائق استولى على الخلافة وخرج عليها فأنفذ اليه الراضى واستماله وفوض اليه تدبير المملكة وجعله أميراً للامراء ورد عليه تدبير أعمال

الخراج والضياع فى جميع النواحى وأمر أن يخطب له على جميع المنابر فقوى أمره وعظم وتصرف على حسب اختياره واحتاط على أعمال ابن مقلة المذكور وضياعه وأملاك ولده أبى الحسين فحضر اليه ابن مقلة والى كاتبه وتذلل لهما فى الافراج عن املاكه فلم يحصل منهما الا على المواعيد

فلما رأى ابن مقلة ذلك أخذ فى السعى بابن رائق المذكور من كل جهة وكتب الى الراضى يشير عليه بامساكه والقبض عليه وضمن له انه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلاث مئة الف الف دينار (أى ثلاث مئة مليون) وكانت مكاتبته على يد على بن هرون المنجم النديم فأطمعه الراضى بالاجابة الى ملسأل وترددت الرسائل بينهما فى ذلك فلما استوثق ابن مقلة من الراضى اتفقا على ان ينحدر اليه سراً ويقيم عنده الى أن يتم التدبير فركب من داره وقد بقى من شهر رمضان ليلة واحدة واختار هذا الطالع لان القمر كما يقولون يكون تحت الشعاع وهو يصلح للامور المستورة فيما يزعم المنجمون فلما وصل الى دار الخليفة لم يمكنه من الوصول اليه واعتقله فى حجرة ووجه الراضى من غده الى ابن رائق واخبره بما جرى وأنه احتال على ابن مقلة حتى حصله فى أسره وترددت بينهما المراسلات فى ذلك

فلما كان رابع عشر شوال سنة (٣٢٦) أظهر الراضى أمر ابن مقلة وأخرجه من الاعتقال وحضر حاجب ابن رائق وجماعة من القواد وتقابلا وكان ابن رائق قد التمس قطع يده اليمنى التى كتب بها تلك المطالعة

فلما انتهى كلامهما فى المقابلة قطعت يده اليمنى ورد الى محبسه

ثم ندم الراضى على ذلك وأمر الاطباء بملازمته للمداواة فلازموه حتى برىء

قال أبو الحسن ثابت بن سنان بن قرة الطبيب وكان يدخل عليه لمعالجته : كنت اذا دخلت عليه فى تلك الحال يسألنى عن أحوال ولده أبى الحسن فأعرفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح على يده ويبكى ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدى اللصوص ؟

فأسليه وأقول له هذا انتهاء المكروه

وخاتمة القطوع . فينشدني ويقول :

اذا ماماتت بعضك فابك بعضا
فان البعض من بعض قريب

ثم عاد وأرسل للراضي من الحبس بعد قطع يده وأطمعه في المال وطلب الوزارة وقال ان قطع اليد لايمنع الوزارة وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به

ولما قدم يحكم التركي من بغداد وكان من المنتمين الى ابن رائق امر بقطع لسانه أيضاً فقطع وأقام في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ولم يكن له من يخدمه فكان يستقي الماء بنفسه من البئر فيجذب بيده اليسرى جذبة وبفمه أخرى

وله أشعار في شرح حاله وما انتهى أمره اليه ورثاء يده والشكوى من المناصحة وعدم تلقيها بالقبول فمن ذلك قوله :

ماسئمت الحياة لكن توثقـ
ـت بأيمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى
حرموني دنياهم بعد ديني
ولقد حطت ما استطعت بجهدي
حفظ ارواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش
ياحياتي بانت يميني فبيني

ومن المنسوب اليه أيضا :

لست ذا زلة اذا عضني الدهـ
ـر ولا شامخاً اذا واتاني
أنا نار في مرتقى نفس الحـ
ـد ماء جار مع الاخـوان

وفي الوزير المذكور يقول بعضهم :

وقالوا العزل للوزراء حيض
لحـاه الله من أمر بغيض
ولـكن الوزير أبا علي
من اللائي يئسن من المحيض

ومن شعره أيضاً ماقاله الثعالبي في يتيمة الدهر :

واذا رأيت فتى بأعلى رتبـة
في شـامخ من عزه المـترفع
قالت لي النفس العروف بقدرها
ما كان أولاني بهذا الموضع

ولم يزل على هذه الحالة الى أن توفي في موضعه يوم الاحد عاشر شوال سنة (٣٢٨) ودفن في مكانه ثم نبش بعد زمان وسلم الى أهله . وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع بقين من شوال سنة (٢٧٢) ببغداد.

قيل أن الوزير ابن مقلة المذكور أول من صور الخط العربى بهذه الطريقة وكان قبل ذلك يكتب بطريقة الخط الكوفى

وقيل بل الذى نقل الخط الى هذه الصورة هو أخوه

وقد تبع ابن البواب طريقته ونهج أسلوبه

ولابن مقلة ألفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله : «اذا أحببت تهالكت ، واذا أبغضت أهلكت ، واذا رضيت آثرت ، واذا غضبت أثرت »

ومن كلامه أيضا : « يعجبنى من يقول الشعر تأدبا لا تكسبا ، ويتعاطى الغناء تطربا لا تطلبا » . وله كل معنى مليح فى النظم والنثر

وكان ابن الرومى الشاعر المشهور يمدحه فمن معانيه الغريبة فيه قوله :

أن يخدم القلم السيف الذى خضعت
له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشيء يعادله
مازال يتبع مايجرى به القلم
كذا قضى الله للاقلام مذبريت
ان السيوف لها مذأرهفت خدم

وكان أخوه عبد الله الحسن بن على ابن مقلة كاتبا أديبا بارعا والصحيح انه الذى نقل الخط العربى من الاسلوب الكوفى الى الاسلوب الحالى كما قدمنا وقد ولد يوم الاربعاء سلخ شهر رمضان سنة (٢٦٨) وتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة (٣٣٨)

وأما ابن رائق المذكور هنا فان الحافظ بن عساكر ذكر فى تاريخ الامام المتقى بالله انه ولاه أمر دمشق وأخرج منها بدر بن عبد الله الاخشيدى ثم توجه الى مصر وتواقع هو وصاحبها محمد بن طغج الاخشيدى فهزمه الاخشيدى فرجع الى دمشق وتوجه منها الى بغداد . وقتل بالموصل سنة (٣٣٠) قيل ان بنى حمدان قتلوه انتقاما بالموصل . قتله ناصر الدولة الحسن

المقل هو صمغ راتينج يأتى من الهند وبلاد العرب وكان معروفا عند القدماء باسم بادليوم ولم يعلم جيداً الشجر المنتج له

قال بعضهم انه ناتج بن شجر يوجد فى باراس فى الشمال الشرقى من بلاد الفرس

وذلك الشجر مسود فى عظم الزيتون وأوراقه تشبه أوراق البلوط وثمره كثمر البرى ، والمقل يشاهد رشحه من قشره كما يشاهد من ثمره

وذكر بعض آخرون ان المقل عصارة شجر نخلى

وذكر آخرون ان المقل خلاصة من شجر نخل يسمى لانطالوس دومستيكا

وهذا الرأى مردود فانه يستحيل ان صمغا راتينجيا على شكل حبوب وكتل يكون خلاصة ثمر مأكول

وبما انه يوجد أحيانا مع الصمغ العربى فيكون هناك وجه للظن بأنه ناتج من الاقاقيا

وظن أيضا انه ناتج من جنس السذاب

وظن العالم (لامارك) ظنا قريبا للعقل انه من جنس اميرس

وذكر بعضهم انه شاهد بافريقا الشجر الذى يأتى منه المقل وأكد انه شوكى وانه يسمى عند الاهالى نيطوط ويعملون من شوكه مناقيش للاسنان ولم يزد على ذلك شيئا

وقال الاستاذ ميريه ان (بيروتيت) الذى مكث زمنا طويلا فى السنغال شاهد (نيطوط) الذى هو النبات المجهز للمقل عند آديسون وهو آيدولوسيا أفريقانا عند ريشار

وهو شجر من الفصيلة التربنتينية وينتج منه صمغ راتينجى وذلك يبطل جميع الافتراضات التى ذكرت فى أصل هذا الجوهر

والنوع الثانى للمقل الموجود فى المتجر هو النوع الآتى من الهند وهو يوجد فى المر وبسبب ذلك سمى مر الهند انتهى

هذا النبات هو الذى نعول عليه الآن بعد اضطراب كلام القدماء فيه ونظن انه هو المجزوم به الآن

وقال بعض أطباء العرب : المقل عند الاطلاق يراد به صمغ أى صمغ راتينجى فان كان الى الحمرة والمراره فالمقل الازرق أو الى الصفرة فمقل اليهود وكلا النوعين صمغ شجر كالكندر بأرض شحر وعمان يعظم جداً ، أو الى غبرة وسواد فهو الصقلى وكثيرا مايجاب هذا من المغرب

(صفاته الطبيعية) يوجد بالمتجر

نوعان من المقل الاول يكون على شكل دموع أى حبوب مستديرة متراكة بعضها على بعض فى حجم البندق ونحوه ولونه احمر معم نصف شفاف لزج السطح سهل الكسر ومكسره شمعى قشرى وليس له رائحة خاصة وان كان فيه بعض عطرية وطعمه مر ويتكسر فى الفم أكثر من كونه يلين فيه، ويبقى فيه فضلة كبيرة لينة هى والبجزء الراتينجى والثانى يكون كتلا حمرا مسودة معتمة لامعة السطح كأنها مذابة ورائحتها وطعمها كالسابق وذلك هو الاكثر وجودا فى بيوت الادوية وكثيراً ما يوجد فيها أجسام غريبة ملتصقة بها . واذا حرق المقل انتشرت منه رائحة مقبولة وبسبب ذلك استعمل تبخيرا فى آفات الرحم فى التقلصات ونحو ذلك

وفى ابن البيطار عن ديسقوريدس ان أجوده ماكان مراً صافى اللون كأنه الغراء المتخذ من جلود البقر وباطنة علك لزوقى سريع الانحلال لايخالطه شىء من خشب ولا وسخ واذا بخر به كان طيب الرائحة شبيها بالاظفار اى اظفار الطيب

وقد يوجد منه ماهو اسود وسخ غليظ كبير الحجم ورائحته كرائحة الدراشيشمان يؤتى به من بلاد الهند من البلاد التى يقال لها بآراس شبيه بالراتينج وقريب من لون الباذنجان وهو ثان بعد الجيد فى قوته

ونقل أيضا عن جالينوس ان المقل نوعان أحدهما مقلى وهو أشد سوداً وألين من النوع الآخر وقوته ملينة وعمله بهذه القوة بليغ والآخر غربى أيبس من الاول وقوته أشد تجفيفا

ومن كان من المقل حديثا رطبا ويلين اذا عجن باليد فعمله مثل عمل المقل التصلى

وكما عتق وحدث فى طعمه مرار شديد وصار حاراً حريفا يابسا فقد خرج عن طبقة اعتدال الادوية الملينة للاورام الصلبة

وقال (درفول) من المتأخرين المقل نوعان الاول مقل افريقا وهو كتل او حبوب مستديرة مخضرة مكسرها وسخ شمعى والرائحة عطرية الطعم حريف وكثيراً ما يحتوى على قطع من الصمغ العربى

والثانى مقل الهند له شبه عظيم بالمر ولذا يسمى بالمر الهندى

قال (بوشارداه) ومقل الهند اشد عطرية وحرافة ومرارة ويبساع باسم مر الهند وذكر (جيبور) للمقل نوعا سماه بالمعتم

ومن العرب من يميزه الى ثلاثة انواع هندى وعربى وصقلى

(صفاته الكيماوية) هو مركب من ٥٩ر. من الراتينج و٩ر٢ من الصمغ و٣٠ر٦ من باصورين و١ر٢ من دهن طيار واجزاء مفقودة ومغلاه فى الماء يعطى لونا كخضرة البحر اى اخضر مبيضا

اما الكحول فيتلون منه بالحمرة وماؤه المقطر يحتوى على عطرية

(خواصه الدوائية) يقال ان المقل فيه جميع خواص المر فرأى كثير من المؤلفين تشابه هذين الجوهرين بحيث يصح يسمى المقل (ميرا اميرا فكتا) اى المر النير الكامل والآن قل استعمال الاوربيين له بعد ان كان مشهوراً بكونه مفتحا للسدد طاردا للسعال مدرا للطمث مضادا للتشنج قابضا

وعالج به هوفمان كثيرا من قروح الرئة وغيرها من الاحشاء

وكان مستعملا ايضا من الظاهر كدواء محلل وذلك هو العلاج الوحيد المستعمل احيانا

ويدخل هذا الجوهر فى (مثرود يطوس) وحبوب الحنظل ولصوق الحشائش والدياخلون المصمغ واللصوق الالهى وغير ذلك

وتوسع اطباء العرب فى ذكر خواصه ونقلوا كلام القدماء فيه وزادوا عليه كثيرا من تجرباتهم وكانوا يرون ان المقل العربى يفتت الحصى المتولد فى الكليتين اذا شرب ويدر البول ويذهب الرياح الغليظة ويطردها

ونقلوا عن ديسقوريدس ان قوته مسخنة ملينة فاذا احتمل أو تبخر به فتح الرحم المنظم وجذب الجنين وكل رطوبة واذا شرب منه من به سعال أو نهشه شىء من الهوام نفع من ذلك كما ينفع من وجع الجنب والكزاز والرياح . وقد يقع فى اخلاط

وعن الرازى انه ينفع من الطواعين وعن أبى جريج فيه حدة فينفع الجراحات اذا خلط بمرهمها ويدمل الخنازير

واذا طلى بالخل على السعفة أبرأها

وعن حنين وغيره أنه يحلل الدم الجامد والاورام الداخلة شربا بمطبوخ ، والاورام الخارجة فى الاعضاء ضمادا

واذا خلط بالادوية الحادة المسهلة قمع حدتها ونفع من صحيح الامعاء والاضرار بها

وعن ابن سينا ينفع من وجع قصبة الرئة وأورامها ومن السعال المزمن وينقى الرحم وينفع من البواسير شربا وتدخينا

وقيل ينفع من جميع السموم . واذا ضمدت به الاورام البلغمية الصلبة حللها واذا وضع ذلك على قيلة الماء نفعها فى جميع الاسنان أو على قيلة اللحم فى الصبيان خاصة ضمرها سواء كان معجونا برغوة الباقلا أو بلعاب الصائم حتى يصير كالمرهم

واذا سحق وخلط بنخالة القمح وتكون النخالة ثلاثة أمثاله وطبخ برب العنب وحرك بشىء من السمن ثم وضع على أورام النغانغ حللها مجرب

(المقدار للاستعمال) مقدار استعماله من الباطن من عشر قمحات الى ٤٨ قمحة . والجملة مقاديره واستعماله كالمر

(تنبيه) يطلق المقل عند العرب على ثمر شجر الدوم بل على الشجر نفسه المخرج للثمر فيقال لذلك الثمر مقل مكى لكونه يوجد بمكة

قال ابن واقد المقل المكى ثمر الدوم وهو ينضج بمكة ويؤكل خارجها مع اللذة

اما بالاندلس فلا ينضج بل ويكون كثير العفوصة قليل المائية خشنا جدا عسرا قابضا يعقل البطن ويقوى المعدة

وليف المقل اذا حرق وغسل به البدن منع الجرب والحكة وولد القمل

وقال داود يطلق المقل على شجر كالنخل فثمره رطبا يسمى النهس ويابسا الدفل وليفه هو المعروف بالمسد وهذا المقل المكى يؤكل فى المجاعات

﴿ المقوقس ﴾ طائر مطوق وهو أيضا لقب جريج بن مينا القبطى كبير القبط على عهد النبى صلى الله عليه وسلم

كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ابن عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط

سلام على من اتبع الهدى

(أما بعد) فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم القبط ، « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»

فكتب اليه المقوقس :

« بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط

(أما بعد) فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا بقى وكنت أظن انه يخرج من الشام

وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة وأهديت لك بغلة لتركبها »

فتح عمرو بن العاص مصر فى زمن هذا الزعيم واتفق معه على الجزية فأغاظ ذلك قيصر الرومان وأرسل اليه يوبخه ويسفه رأيه وبعث الجيوش لمحاربة عمرو بن العاص فكان يساعد المسلمين على أعدائهم بالمؤونة حتى لا يقهروا فيعود الرومانيون عليه وعلى قومه بأشد مما كانوا حتى أتم عمرو بن العاص فتح مصر فكان له يد لا تنكر فى دخول العرب الى مصر

وانما فعل المقوقس ذلك لأن الرومانيين كانوا يسومون القبط سوء العذاب ويضطهدونهم لأجل دينهم حتى قتلوا منهم مرة نحو ثمانمائة الف نسمة وهى مجزرة من أشنع مجازر التاريخ كما فصلنا ذلك فى كلمة (قبط) فليرجع اليها من شاء

ومن أراد استقصاء خبر المقوقس فليراجع تاريخ مصر فى كلمتى (عمرو بن العاص) و (مصر)

﴿مكث﴾ بالمكان يمكث مكثا أقام به والاسم المُكْث. و(تمكّث) تلبّث

﴿مكر﴾ به يمكُر مكراً خدعه . و (ماكره) خدعه . و (المكار) الكثير المكر

﴿مكران﴾ قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان . هى ناحية واسعة عريضة يغلب عليها المفاوز والضر والقحط . من أكبر مدنها (القيربون) ومدينتها (راسك) ووصفها غيره باشتمالها

على مدن وقرى وعلى معدن (الفانيز) وهو نوع من الحلى ومنها يحمل الى جميع البلاد وأجوده الماسكانى ، والماسكان احدى مدنها . وهذه الولاية غربها كرمان . وسجستان شمالها ، والبحر جنوبها

وجاء فى القاموس الجغرافي التركى اما بلاد مكران فهى قسم من بلاد بلوخستان واقع على ساحل خليج عمان يبلغ امتداده من الشرق الى الغرب ٧٨٠ كيلو متراً وهى بلاد جبلية بلحها مشهور ومقر واليها مدينة (كنج)

﴿مكس﴾ الرجل يمكُس مكْسا جبى مالا فهو (مكّاس) و(مكّس فلانا) ظلمه و (ماكسه فى البيع) استحطه الثمن و(ماكسه) شاكسه و (المَكْس) مايأخذه المكاس

﴿مكس﴾ قال ياقوت الحوى: هو موضع بأرمينية من ناحية البسفرخان قرب قالقيلا

﴿مكسيكا﴾ هى جمهورية بأمريكا الشمالية ، تحد شمالا بالولايات المتحدة ، وشرقا بالمحيط الاطلانطيق (خليج مكسيكا وبحر انتيلا) ، وجنوبا وغربا بالمحيط الهادى

ارض مكسيكا عبارة عن هضبة واسعة متوسط ارتفاعها (١٥٠٠) متر تقطعها سلاسل من الجبال طويلة تتجه من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى . وتشتمل تلك الهضبة فى وسطها على صحار قاحلة رملية وعدة بحيرات مالحة تصب فيها بعض النهيرات وعلى بعض الاريضات التى تنشى شمالها . أما وسطها الذى تمتد فيه هضبة (اناهواك) وتعلوها من جهة جنوبها هضبة مكسيكا الى ارتفاع (٢٣٠٠) متر فهى هضبة كثيرة البراكين والجبال الثلجية . وتفصلها عن هضبة امريكا الوسطى سهول برزخ تيوانتيك

واما سواحل مكسيكا فضيقة منحطة كثيرة المستنقعات والبحيرات التى أشهرها بحيرة ترمينوس الكائنة جنوب خليج (كمبيش)

يمكن تقسيم ارض مكسيكا من حيث جوها الى ثلاثة أقسام (أولا) الاقاليم الباردة او الهضبات العالية وهى صحية خصبة . ولكن فيها جفاف شديد يضر

بنمو المزروعات

(ثانيا) الاقاليم المعتدلة وتشغل منحدرات الجبال من ارتفاع ١٥٠٠ متر وهى اقاليم خصبة تنتج مثل الاقاليم السابقة مزروعات مختلفة كمزروعات اوربا

(ثالثا) الاقاليم الحارة وتشتمل على السواحل وسفوح الجبال الى ارتفاع ٦٠٠ متراً وهى اقاليم موبوءة كثيرة الحميات وخصوصا الحمى الصفراء. والسهول الشرقية رطبة ولذلك درجة انباتها قوية وأما السواحل الغربية فجافة يزرع فيها قصب السكر والبن والنيلاء والذرة والفواكه بأنواعها

مساحة المكسيك (١٩٥٠٠٠٠) كيلو متر مربع وسكانها (نحو ١٨ مليون نسمة) وعدد السكان النسبي أكثر من ٦ فى كل كيلو متر مربع

يتألف سكانها من أكثر من مليون من الجنس الابيض وهم من ذرارى الاسبانيين الذين نزحوا الى تلك البلاد مستعمرين وحكموا فى الازمان الغابرة وهو عنصر له سلطة فى تلك البلاد ومنه المتولون وفيه أكثر من أربعة ملايين من الهنود الامريكيين بعضهم وهم (الاستيك) الذين تهذبوا وتحضروا معظمهم من الزراعين والبعض الآخر لم يزل على حال الوحشية والوثنية وفيها اخلاط من الاجناس الاخرى . وفيها زنوج كانوا أرقاء وصاروا الآن احرارا

يدين المكسيكيون بالمذهب الكاثوليكى المسيحى ويتكلم معظمهم باللغة الاسبانية ماعدا بعض الهنود فانهم لايزالون يتكلمون بلغتهم الاصلية

المعارف فى المكسيك متأخرة جداً حتى أن أكثر أهلها ليغلب عليهم الجهل وتسود فيهم الخرافات ولكن فيهم فئة متعلمة مهذبة

حكومتها جمهورية تعاهدية مؤلفة من ٢٧ جمهورية يحكمها رئيس لها مجلسان مجلس نواب تنتخب أعضاءه الامة ، ومجلس شيوخ تنتخب أعضاءه الجمهوريات ولكل جمهورية فى كل منهما عضوان

جيشها البرى يبلغ عدده وقت السلم ٥٠٠٠٠ الف جندى وفى وقت الحرب يمكن ابلاغه الى نحو مليون جندى ولكن المدار فى جمع هذا العدد على وجود

الاسلحة والذخائر الحربية والضباط المتخرجين من المدارس. وأما سفنها الحربية فقليلة جدا

مالية المكسيك مختلة وهى فى عجز مستمر وأهل البلاد فى غاية الفقر ويبلغ ايراد الحكومة نحو عشرين مليون جنيه ونفقاتها تزيد عن ذلك . وتبلغ ديونها أكثر من ٢٥ مليونا من الجنيهات

تنقسم مكسيكا الى ٢٧ جمهورية صغيرة مستقلة فى ادارتها الداخلية وعاصمتها مكسيكو عدد اهلها نحو ١٥٠٠٠٠ نسمة وهى قائمة على هضبة عالية تغشاها البراكين وهى فى موضع جميل فيها معامل للصابون ومشهورة بصناعة الحلى والسروج

من أشهر مدن المكسيك (بويبلا) عدد أهلها نحو ٢٥٠٠٠٠ نفس وهى مدينة محصنة تكثر بها صناعة الاوانى الخزفية

ثم يلى هاتين المدينتين مدينة (جواناجواتو) مشهورة بمناجم الفضة التى تعتبر أغزر مناجم العالم

ويليها مدينة (سان لويز بوتوزى) كانت مشهورة بغناها بتلك المناجم الفضية

ويأتى بعدها (جواد الاحارا) عدد أهلها نحو ١٧٠٠٠٠ نسمة وهى مشهورة بعمل الاوانى الفخارية والسجاد

وبعدها (فيراكوز) يسكنها نحو (٦٥٠٠٠) نسمة وهى ميناء على خليج المكسيك لها علاقة كبيرة مع أوروبا رديئة الهواء

ويعقبها (تامبيكو) وهى ميناء على الخليج المذكور . و (كمبيش) على الخليج المسمى باسمها ومنها يصدر كثير من خشب الصباغة . و (مريدا) وهى مع سابقتها فى شبه جزيرة (يوقطان) و (أكابلو) وهى ميناء جيدة الهواء على المحيط الهادى ومرسى للسفن الذاهبة من بناما الى سان فرنسيسكو . و (شهيواهبو) و(مونتيرى) و (فيكتوريا) و (دروانجو) و(زاكتيكاس) و (موريليا) و (جاكا) و (سان كريستوبال) وكلها عواصم لبعض الجمهوريات

(جغرافيتها الاقتصادية) أرض المكسيك وان كانت خصبة الا ان الزراعة فيها منحطة بسبب عدم الامن وقلة الطرق العامة والسكك الحديدية وقلة

المياه وكثرة المنازعات الاهلية والصناعة فيها تكاد تكون معدومة

ولكن أخذت المكسيك بعد تكوين جمهوريتها تتقدم شيئا فشيئا فيزرع فيها الآن الذرة والقمح والكاكاو وقصب السكر والتبغ والسحلب

ويكثر فيها اللوز والصبر وخشب الابنوس وخشب الصباغة وشجر التوت الذى يربى عليه دود القز

حيواناتها الاهلية من الثيران والاغنام كثيرة وخيولها التى استجلبت من قرون من اسبانيا جمة ولكن تلك الحيوانات هائمة فى أقاليمها الشمالية على الحالة الوحشية

جبالها غنية بالمعادن فمنها تستخرج الفضة بكثرة ويكثر فيها الذهب والنحاس والزئبق والفحم الحجرى والكبريت والحديد ولكن الاهمال جعل كل هذه الثروة لاتزال كامنة فى باطن الارض .

تجارتها الداخلية كاسدة لعدم الامن العام وعدم كفاية الطرق ووعورة الارض وعدم وجود أنهار قابلة للملاحة وقلة خطوطها الحديدية

وتجارتها الخارجية قليلة أيضا ومعظم مايصدر منها هو الذهب والفضة والجلود وخشب الصباغة وبعض الحاصلات الزراعيـة

ويرد اليها من الخارج جميع أنواع البضائع وأكثر معاملاتها التجارية مع انجلترة والولايات المتحدة ثم فرنسا والمانيا واسبانيا وكولومبيا

بلغ مقدار ماأنتجته من الفضة فى سنة (١٨٩٧) ٩٢٣٧٠٠ كيلوغراما وبلغ ما أنتجته من الذهب ١١٠٥٤ كيلو غراما

بلغت صادراتها فى سنة (١٩٠١) ماقيمته ١١٧٢٢٦٣٢٨ دولارا من الفضة وبلغت صادراتها لانجلترة ١٢٠٣٣٠٧٧ ولفرنسا ٢٨٢٤٣٠٣ ولالمانيا ٥٠١٨٤٦٤ ولاسبانيا ١١٨٧٧١٤ فيكون مجموع ذلك ١٤٨٦٥٦٣٥٨ منهم ٩٧٨٢٤٤٩٨ قيمة المعادن و٣٨١٤٩١١٠ ثمنا للموادالنباتية

بلغ عدد السفن التى دخلت موانيها فى سنة (١٩٠٠) ١٥٤١ سفينة حمولتها ٢٢٤٥١٦٦ طن منها ٨٤١٩١٩ طن أتت من انجلترة

فرنسا تورد للمكسيك المنسوجات الصوفيـة والمنسوجات والاقمشة القطنية

والساعات

(تاريخ المكسيك) لانعرف شيئا كثيرا عن الحوادث التاريخية التى توالت على المكسيك قبل الفتح الاسبانيولى فى القرن الخامس عشر ، وليس لدينا من الاسانيد التاريخية الا مايرويه أهل البلاد فى أقاصيصهم وما سلم من المخطوطات من الحريق الذى أمر به أول أسقف للمكسيك فانه لكراهته لديانة المكسيكيين أراد حملهم على المسيحية بشىء من القهر فأمر باحراق جميع أساطيرهم فضاعت بضياعها جميع معالم تاريخهم

كل الذى يعلم الآن من تاريخ المكسيك ويكاد يكون محققا أنه فى أوائل القرن السابع الميلادى نزحت قبيلة التولتيكيين من شمال امريكا الغربى ونزلت فى جهة أناهواك من بلاد المكسيك فأسست هناك مملكة زاهرة نشأت فيها مدنية زاهية شعت نورها على جميع بلاد المكسيك وتعدتها الى مايجاورها جواتمالا والهوندراس ويوكاتان

وقد ذهب العلماء اليوم ان التولتيكيين ورثوا جميع مدنيات البلاد الامريكية الوسطى فقاموا بأعبائها. وكانوا شعبا دمث الاخلاق لايضحى بالانسان كما كان يفعل المكسيكيون من أهالى البلاد . وقالوا ان دياناتهم كانت تنحصر فى تأليه الحوادث الجوية والكواكب . فكان لهم ١٣ إلها كبيرا واكثر من ٢٠٠ إله صغير . فكان من بين آلهتهم المشهورين (تلالوك) إله المطر و(كينز الكوالك) أو الثعبان ذو الريش إله الرياح والعقل . و (هويتزلوبو كتلى) إله الزوابع والشمس وكان هذا الاله فى الوقت ذاته معتبرا إلها للحرب عند الارتيكيين

ولقد كان للتولتيكيين قريحة صناعية طبيعية فى غاية القوة فنهضت لديهم الصناعة نهضة عظيمة فأنتجت صناعة الخزف والصياغة وترصيع الجواهر نتائج فخمة. وكانوا يعرفون النسج والصبغ واحداث زينات غاية فى الدقة بواسطة ريش الطيور ، وكانوا على علم تام بحفر الخشب لعمل أشياء منزلية منه تصلح للزينة وكانوا يصنعون المرايا من الاحجار اللامعة أو من المعادن ويستعملون الملاعق والسكاكين الخ وكانوا يستخرجون الاعطار ويتضمخون بها. وكانوا من جهة فن البناء بالمكان الرفيع

وقد عرفوا استعمال الاحجار والآجر والسمنت والخشب في آن واحد في مبانيهم وبلغوا من الآداب مدى بعيدا جدا فكانوا يراعون قواعدها بدقة وعناية ولا يعددون الزوجات . وكانوا يحفظون حوادثهم التاريخية بواسطة رسوم هيروغليفية أو خيوط ذات ألوان متعددة يصنعونها بألوان مختلفة ويعقدونها عقدا متعددة ذات أشكال مختلفة . وكان لهم مخطوطات على أقمشة قطنية وعلى جلود وعلى ورق عود الند المضموم بعضه الى بعض . وكانت المعارف الفلكية لديهم قد بلغت مبلغا عظيما فكانت سنتهم مقسمة الى ٣٦٥ يوما كانوا يقسمونها الى ١٨ شهرا عدد أيام كل منها ٢٠ يوما وكانوا يتمونها في آخر السنة بخمسة أيام اذا كانت بسيطة وبستة أيام ان كانت كبيسة وكان شهرهم مقسما الى أربعة أسابيع عدة أيام الاسبوع خمسة . وكان القرن عندهم ٥٢ سنة

وكان فن الزراعة عند التولتيكيين معظما غاية التعظيم وكان أكثر زراعتهم الذرة . وكان لهم أوان وتماثيل وأشياء أخرى من الفضة والرصاص والقصدير .

وكان لهم معرفة بنحت الاحجار وعمل التماثيل ولكن لم تخل مصنوعاتهم في هذه الاشياء من صفات الامم البربرية

وكان نظامهم السياسي حكم الطوائف فكان لكل طائفة منهم قطعة من الارض يستغلونها ويعيشون فيها من غير عدوان على مجاوريهم . وكان الابن يرث الاب في عمله وبالجملة كان المكسيكيون طليعة الشعوب الامريكية الى المدنية . وكانت عاصمتهم مدينة (تولا) اوتولكان على بعد ١٥ فرسخا من شمال مدينة مكسيكو العاصمة الحالية

بقي حكم التولتيكيين أربعة قرون ثم اضمحل بسبب توالي الحروب مع القبائل المتوحشة النازلة في البلاد بتأثير المجاعات التي انتابت المكسيك . فاضطرت هذه الطائفة المتمدنة أن تهاجر المكسيك فانقسمت الى فرقتين فرقة تبعت ساحل المحيط الاطلانتيق وأخرى تبعت ساحل المحيط الهادي حتى نزلت أمريكا الوسطى ويوكاتان وأسست هنالك ممالك زاهرة المدنية مثل بالينك وأوكسمال وغيرها وقد بقي من هذه الممالك خرائب غاية في الفخامة

بعد ان ترك التولتيكيون بلاد المكسيك قام مقامهم فيها بعد قرن من الزمان قبيلة الشيشميك وهم ان كانوا على شيء من المدنية الا أنهم لم يكونوا على مثل حال التولتكيين وكانوا لايزالون يعدون من المتبربرين (١١١٧) ونحن الآن نجهل تماما الحوادث التي أدت الى انقراض الشيشميك . فقد قيل انهم في القرن الثالث عشر هوجموا من الاستيكيين وهؤلاء من القبائل الشمالية وهم وان كانوا على شيء من المدنية الا انهم كانوا لايزالون يحفظون بعض صفات المتوحشين كأكل لحوم البشر في احتفالاتهم الدينية فأسسوا سنة (١٣٢٥) مدينة تينوكتيتلان التي سميت المكسيكو بعد ذلك بزمان فلما فتح الاسبانيون بلادهم كانوا يدهشون من اسراف هذه القبائل في تضحية البشر لآلهتهم . فقد كان إله الحرب عندهم يسمى هوتزيلو يوبوكتلي فكانوا يضحون له سنويا من أسرى حروبهم من ٢٠٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ نسمة سنويا . وفي سنة (١٤٨٦) في مناسبة الاحتفال بتأسيس معبد مكسيكو الكبير ذبحوا له ٧٠٠٠٠ انسان من أسراهم

وكانت صورة قتلهم أن يؤتى بالرجل ويلقى على مذبح الهيكل فيأتي الكاهن ويشق بطنه ويستخرج قلبه وهو لا يزال يخفق فيهديه للاله وهو بين يديه ثم يقطع لحم المذبوح ويفرقه على الناس ليأكلوه

هذه كانت حالة المكسيك لما جاءها (فرناندكورتز) الاسباني فاتحا لها بست مئة وخمسين رجلا فقط فقد توصل بالحيلة والقسوة الى امتلاكها و كان ذلك من سنة (١٥١٩ الى ١٥٢١)

لما استولت اسبانيا على تلك البلاد جعلت همها استخراج معادنها ونقل الثروة منها الى بلادها وجعلت الحكم للرجال الذين كانت ترسلهم فعسفوا بأهالي البلاد وعزلوا جميع العاملين منهم واستبدوا بالامر الى سنة (١٨١٠) حيث ثار القس (هيدالجو) وساعده في حركته بعض الضباط من مولدي المكسيك فجمعوا ٤٠٠٠٠ من أهل البلاد فاضطرت اسبانيا لمقابلتهم بالقوة فحدثت حروب هلك فيها أكثر رؤساء الثائرين فلما جاءت سنة (١٨٢١) انضم القائد الاسباني ايتوربيد الى الثائرين وأعلن استقلال مكسيكا فلم توافق اسبانيا على هذا الاستقلال الا في

سنة(١٨٣٧). فلما تم للثائرين الغلب انتخبوا القائد ايتوربيد امبراطورا سنة (١٨٢٢) فلم يلبث الا قليلا حتى ثار عليه الثائرون وطردوه ثم قتلوه

فخلفت الجمهورية الامبراطورية وكانت تارة تعاهدية وطورا موحدة فوقعت المكسيك فى ثورات داخلية مدة ٤٠ سنة

وفى سنة (١٨٦١) امتنعت المكسيك عن أداء ديونها فاضطرت فرنسا وانجلترة واسبانيا للتدخل ثم حدث بينها شقاق أدى الى رجوع انجلترة واسبانيا وبقيت فرنسا وحدها فحدث بينها وبين (جوارز) الثائر المكسيكى وقائع شديدة . وفى أثنائها ولى على البلاد الارشيدوق مكسيمليان النمساوى فترك الفرنسيون البلاد سنة (١٨٦٧) ولكن الثائر المكسيكى حاصر الارشيدوق مكسيمليان وقبض عليه وقتله رميا بالرصاص . فانتخبه الناس رئيسا للجمهورية ثم انتخبوه ثانية سنة(١٨٧١) ثم مات فجأة سنة (١٨٧٢) فخلفه الجنرال مانويل غونزالز فعادت العلاقات السياسية بين المكسيك وبين فرنسا وذلك سنة (١٨٨٢)

وفى سنة(١٨٨٤) انتخب للجمهورية الجنرال بورفيريوديار ولا تزال أحوال هذه المملكة مضطربة لا تستقر على حال

﴿مكة﴾ من أشهر مدن العالم كله وهى عاصمة بلاد العرب وفيها البيت العتيق الذى يحج اليه المسلمون من مشارق الارض ومغاربها . وبما أنها بهذه المنزلة فقد وجب علينا أن نطيل فى وصفها وبيان أحوالها ولا نجد مصدرا جديرا بالاعتماد عليه فى ذلك غير ما كتبه الفاضل محمد لبيب بك البتنونى فى رحلته الحجازية فانه قد شهد هذه المدينة فى الحج وكتب عنها عن عيان ، فرأينا ان ننقل هنا ما كتبه بحروفه لجليل فائدته قال :

« مكة وتسمى بكة وأم القرى ، مدينة ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠ مترا وهى على عرض ٣١ درجة و ٢٨ دقيقة وفى طول ٤٠ دقيقة و ٩ دقائق وتصعد عمارتها الى عهد ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ، وكان يعيش بنوه فى الخيام والمضارب حتى عاد قصى بن كلاب من الشام فى القرن الثانى من

الهجرة فبنى فيها المساكن والبيوت حول الكعبة ومن ثم أخذت تزيد فى عمرانها الى الآن

ثم قال : « وهذه المدينة تمتد من الغرب الى الشرق على مسافة نحو ثلاثة كيلو مترات طولا وما يقرب من نصف ذلك عرضا فى واد مائل من الشمال الى الجنوب منحصر بين سلسلتى جبال تكادان تتصلان ببعضها من جهة الشرق والغرب والجنوب أعنى على أبواب مكة الثلاثة ولذا لا يشاهد أبنيتها القادم عليها الا وهو على أبوابها والسلسلة الشمالية منها تتركب من جبل الفلج (الفلق) غربا ثم جبل قيقعان ثم جبل الهندى ثم جبل لعلع ثم جبل كداء (بفتح أوله ومد آخره) وهو فى أعلى مكة ومن جهته دخل رسول الله البلد حين الفتح أما الجنوبية فانها تتركب من جبل أبى حديدة غربا يتلوه جبلا كُدى (بضم أوله والف لينة فى آخره) وكُدَىّ (بالتصغير) بانحراف الى الجنوب ثم جبل أبى قبيس الى شرقيها ثم جبل خندمة وكل سفوح هذه الجبال من الحرم تراها عامرة بالبيوت والمساكن التى تدرج عليها الى قلب الوادى ويبلغ عددها نحو سبعة آلاف منها الكبير والصغير يحتشد فيها زمن الحج ٢٠٠٠٠٠ نفس على الاقل . واذا كان الحج بالجمعة كان الناس اضعاف ذلك ومساكنها على شبه مساكن جدة ويكثر فيها ما يسمونه بالادوار المسروقة ولا حوش لها فى الغالب الا ما كان لعظمائها وكبرائها وأعظم مساكنها بالقرارة وأحسن موقع فى مكة شعب جياد لارتفاعه وسعة طرقه ومساكنه وفيه بيوت كثيرة جميلة على الطراز التركى يسكنها موظفوا الولاية من الاتراك وفيه دار عظيمة للشريف عبد المطلب وداران عظيمتان للسيد محمد السقاف الذى له أملاك واسعة فى مكة والمدينة ومع ذلك فليس بمكة على قدم عهدها بالحضارة ومعظم مكانتها فى نفوس الناس من زمان بعيد جدا شىء يذكر من جهة العمارة القديمة مما هو موجود بكثرة بمصر والشام اللهم الا بيت الشريف ناصر باشا الذى هو فى فخامة المنظر وجمال الصناعة العربية بمكان عظيم ويصح ان يكون احسن بيت فى مكة

« وضمن هذه المساكن بعض الدور

القديمة فترى دار ابن عباس فى المسعى على يمين السالك الى المروة وفى الشرق الشمالى للحرم آثار دار أبى سفيان المشهورة فى الجاهلية والاسلام . وهى مهدمة لاعناية للقوم بها . ولولا لاحظوا أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل لها يوم الفتح شأنا كثيرا حيث جعلها حرما محترما كل من دخلها من المشركين كان آمنا لكان المجلس البلدى بمكة أعارها شيأ من عنايته

« والحرم الشريف بين هذه البيوت مائل الى الب.. الجنوبية مما يلى جبل أبى قبيس . وفى هذه الجهة دار الخيزران يتلوها شرقا شعب بنى هاشم ويسمونه شعب على ثم شعب المولد ثم شعب بنى عامر . وفى هذه الجهة كانت مساكن بنى عبد المطلب فى الجاهلية وفيها الآن كثير من الاشراف أما باقى قريش فكانوا فى الجهة الاخرى من الحرم خصوصا جهة الشمال ومن دونهم باقى أهالى مكة

« ويتوسط مكة طريق يقطعها من الغرب الى الشرق وهو أكبر شوارعها ويختلف اسمه باختلاف الجهات التى يمر عليها . فاذا ابتدأ غربا من جرول يسمى حارة الباب، ثم الشبيكة حتى اذا وصل الى الحرم من جهة الشمال سمى الشامية فاذا انعطف الى الجنوب على يمين الحرم يسمى السوق الصغير ثم جياد وفيه البوستة والتلغراف والتكية المصرية ودار الحكومة العثمانية ويسمونها بالحميدية والى جوارها ادارة الصحة وقشلاق الطوبجية والمطبعة الاميرية، فاذا وصل الى الصفا سمى المسعى ثم القشيشية ثم سوق الليل ثم الغزة ومنها الى باب مكة الشرق أو باب المعلى . أما الشوارع التى فى شمال الحرم فهى الشامية وفيها سوق المدينة والقرارة والنقا والسليمانية والجدرية والبراضية . وليس بمكة على كبرها ميادين عمومية اللهم الا صحن المسجد الحرام الذى بسعته يؤدى وظيفة الميادين الكبرى . وهذه الطرق تختلف سعتها من مترين الى خمسة عشر مترا وتراها فى زمن الحج غاية فى الوساخة والقذارة مما يوجب على المجلس البلدى فى مكة أن يعتنى بنصافتها خصوصا فى مدة الموسم مع عدم أهماله أمر النور ليلا خدمة للدين والانسانية وفى مدة الموسم يرى أهل البلاد لا سيا الاعراب يضعون

دائماً سنادتين من القطن فى فتحتى مناخرهم بعد أن يغمروهما بدهن المر ويسمونها العمايم ويربطونها بخيط يعلقونه فى رقبتهم حتى اذا آنسوا عدم وجود قذارة رفعوهما وأرسلوهما على صدورهم ، وهم لو علموا أن هذه السدادة ضررها اكبر من نفعها لابطلوا استعمالها لان وظيفة الخياشيم انما هى لتنقية الهواء من الادران فتسوقه الى الرئتين نقياً . ولو دخل الهواء الفاسد الى الرئتين من طريق الفم فانه يدخل اليهما بما فيه من المادة الغريبة فيصل معها بالدم وهنالك يكون تأثيره الضار والعياذ بالله . أما الطبقة الراقية وخصوصاً من الاعراب فانهم يضعون طرف صمادتهم (كوفيتهم) على فمهم وأنفهم ويثبتونها فى عمامتهم أوعقالهم اتقاء البرد أو الروائح الكريهة

ويقصد مكة زمن الحج أنواع العالم الاسلامى من جميع الاطراف المسكونة فترى بها الازياء المتباينة والسحن المختلفة حتى ليجدر بها ان تسمى بالمعرض الاسلامى ولقد رأيت فيها رجلا يابانيا من كبار قواد اليابان قد أسلم وقدم اليها لتأدية فريضة الحج

وقد اعتاد الشوام والمغاربة سكنى الجهة الشمالية من مكة زمن الموسم ، والافغان والسليمانية (أهالى قندهار) فى الجهة الشمالية الشرقية ، والهنود والجاوة فى الجهة الشمالية الغربية ، واليمن والتركستان والطاغستان فى المسفلة ، والعجم فى شعب على ، وما سوى ذلك فى وسط المدينة . وأهالى مكة يبلغ عددهم ١٥٠ الف شخص منهم خمسون الفا من الاهالى والباقون من الاعراب بما تراه فى الجدول الآتى

الف	
٥٠	أهالى
٢٥	أعراب وغالبهم حجازيون ويمنيون وحضارم من سكان حضرموت
٢٠	بخاريون
١٢	هنود
١٥	جاوة
١٠	سليمانية وأفغان
٥	شوام
٥	مغاربة
٨	أجناس مختلفة
١٥٠	المجموع

واغلب هؤلاء الاعراب يشتغلون بالامور المالية وخصوصاً التجارية لذلك نبه أمرهم وأصبحت مالية البلادفى أيديهم وانا نذكر لك بعض البيوت القديمة التى توطنت منهم فى مكة من زمن بعيدوفيها كثير ممن اشتهر بالوجاهة والثروة

(ثم ذكر المؤلف اسماءبيوت كثيرة من الهنود والجاويين والبخاريين والحضارمو الشوام والتركو المصريين ممن سكنوا مكة واثروا بها ثم قال) :

ومن اختلاط هذه الاجناس بعضهم ببعض بالمصاهرة اوالمعاشرة صار سواد أهل مكة خليطا فى خلقهم ، خليطا فى خلقهم . فتراهم قد جمعوا الى طبائعهم وداعة الاناضولى وعظمة التركى واستكانة الجاوى وكبرياء الفارسى ولين المصرى وصلابة الشركسى وسكون الصينى وحدة المغربى وبساطة الهندى ومكر اليمنى وحركة السورى وكسل الزنجى ولون الحبشى . بل تراهم جمعوا بين رفه الحضارة وقشف البداوة فبينما الرجل منهم قد آنسك برقة حديثه معك وضَعَتِه بين يديك ، اذا هو قد استوحش منك واغلظ فى كلامه حتى كأن طبيعة البداوة تغلبت فيه على طبيعة الحضارة فلم يطق ماتكلفه فى حضرتك

وقد وصل هذا الخلط الى أزيائهم التى تراها مجموعة مختلطة من أزياء البلاد الاسلامية : عمامة هندية وقفطان مصرى وجبة شامية ومنطقة تركية فيهاخنجرتراه على الخصوص فى حزام الاشراف مفضضا او مذهبا بشكل جميل جداً وكثيراً ما يكون مرصعا بالاحجار الكريمة . ومع هذا فقد ترى الرجل الصانع الفقير يلبس القميص على ياقته الظرافة المشغولة بالحرير وعلى رجل سرأويله شيء يشبه الركامة وهو خاف الرجل (مثلا) . غير أنك لاتلاحظ ذلك فى طبقة الاشراف التى ترفعت عن هذا الخلط فلم يدخل فى مادتهم غريب ولم يتغلب عليهم خلق جديد ، بل خلقهم هو بعينه العربى البحت الذى ورثوه عن اجدادهم وألفوه بمافطروا عليه من كريم المنصر وذكاء المحتد . وعلى العموم فأخلاق أهل مكة غاية فى الكمال وخصوصا فى الطبقة العالية منهم رضى الله عنهم ولا يؤخذ على مجموعهم خسة بعض السوقة فيهم

والذى يؤسف له أن هذا الخلط

وصل الى لغتهم فتراهم يتكلمون فى الغالب بلغة يكثر فيها الحشو من كمات عربية مشوهة أو فارسية أو تركية أو غيرها وهم ينونون المضاف فيقولون فى هذا حق فلان مثلا (هـذا حقٌ فلان) مع ابدال القاف جيا مصرية ومنهم من يمد الحرف المنون فيقول (هـذا حقوقٌ فلان) أو يؤنث لفظه فيقول (حقـة فلان) ولا يحذفون النون من الفعل فى صيغة الامر للجميع فيقولون هيا صلون المغرب واركبون بدل صلوا واركبوا . ويستعملون الترخيم فى غير المنادى فيقولون (قم لعنا) أى قم لعندنا . ويقولون فى الابل البِـل بكسر الباء . وفى الجبل البَـل بفتحها . ويقولون كَـمِـنا أى كملنا (خلصـنا) ويقولون (وصايق) فى وامصيبتى . و (اللمن) فى اليمين وما يكثر سماعه منهم قولهم . (دَحين) فى هذا الحين . و (ازم فلان) . فى ادع فلانا . ويعبرون عن الرجل بلفظ (رمله) ويجمعون الرجـل على أوادم . ويقولون (زكّـنه) اى اضربه . و (قل كذا) أى أعمـل كذا . ويقولون ابيـض للاستحسان . و (ستَـم) فى صنع أو أتقن . و (اتجسمس) بمعنى اجلس . و (فصخ حداك) أى اخـلع نعالك . ويقولون (مشلح) للعباءة . و (شـاية) للقفطان . و (امرح) اجر و (الودّن) للفدان من الارض . و (الصمادة) للكوفيـة . و (ركـّـن عليه) أى أكد عليه و (زل) بمعنى مر . و (انفد) بمعنى اخرج . و الا (بمعنى نعم) . و (اغد) فى رح . ويستعملون قولهم (أشـكل) لأفعل التفضيل من الحسن فيقولون هذا الشىء أشكل من هذا ، يعنى أحسن منه . ويستعملونها أحيانا للكثرة فيقولون (هـذا أشكل من هذا) يعنى أكثر . ويسمون الاولاد بالبزورة فيـقولون (بزورة فلان أو بزران فلان) أى أولاده ويستعملون لفظ (هرّج) فى معنى كلم فيقولون (ماهرجته) أى ماكلمته ويستعملون لفظ (صاقن) التركية للاحتراس والتنبيه . و (قربوز) للبطيخ ويستعملون غـير ذلك كثيراً من الكلمات التركية والفارسية مثل (روشن) للشباك ويقولون عن حياض مجرى عين زبيدة (بازان) وهو اسم لرجل اعجمى قام بعمارة هـذه الحياض وان كان تبـادر للذهن لأول وهـلة انه لفظ فرنسى

ظننته انه من وضع بعض المهندسين الاتراك الذين كانوا يعملون فى اصلاح هذه العين . كما استعملوا بعد ذلك من هذه اللغة ألفاظا كثيرة فى المدينة المنورة بعد وصول السكة الحديدية اليها فيقولون البيليت تذكرة السكه الحديدية و و(استاسيون) للمحطة وشماندفير للسكه الحديدية والفاجون للعربة والبرسونيل للمستخدمين وهكذا من الالفاظ التى لم يسمح الوقت لاستقصائها وهذا كله مع كثرة اغلاطهم النحوية وعدم مراعاة القواعد الصحيحة التى لايهتمون بها فى تقويم ألسنتهم أو أقلامهم وانى بينما كنت محزونا لتأخر اللغة العربية فى مشرق أنوارها ومظهر اعجازها اذ عثرت على ترجمة فرنساوية لكتاب عمرو ابن العاص الذى أرسله الى عمر بن الخطاب لما استولى على مصر يصفها له فيه ويشرح له السياسة التى سيتخذها فيها وقد نشر هذه الترجمة الكاتب الفرنساوى الشهير المسيو أوكتاف أوزان فى جريدة الفيجارو الفرنساوية الشهيرة ونقلتها عنها برمته جريدة البروجريه الفرنساوية المصرية مع التعليقات التى علقها عليه المسيو أوزان والتى وصف فيها هذا الكتاب بأنه من أكبر آيات البلاغة فى كل لغات العالم ، وقال عنه أنه من الفرائد فى ايجازه واعجازه واقترح وجوب تدريسه فى مدارس المسكونة حتى يتعلموا منه مع قوة الوصف ومتانة التعبير صحة الحكم على الاشياء وكيفية تعليم الملك وسياسة الاستعمار . واما اذا أسفنا شديد الاسف على ضياع هذه اللغة من الوسط الذى لا تزال فيه هذه العترة الشريفة القرشيه التى نزل بلغتها القرآن وصار معجزة الاسلام بفصاحته وبلاغته وكتب بها ابن العاص هذا الكتاب وهو فى بداوته وعلى نشأته الاولى ، هذا الكتاب الذى بعثته من أدراجه مدنية العصر العشرين من دفاتر الغابرين وأعطته مايليق به من التجلة والاحترام فقد يجب علينا أن نفتخر بأن كتاب ابن العاص بقى فى مصر ملازما لذلك الوصف الطبيعى الذى وصفها به عمرو من ثلاثة عشر قرنا ولايزال قائما بها الى الآن بل والى آخر الزمان . وقد أثرت بلاغته فى المصريين الذين هم والحمد لله الآن فى مقدمة الناطقين بالضاد حتى لكأنى بمصر فى أيامنا هذه وقد

انتقلت اليهم فصاحة الخطباء ومتانة الكتاب وبلاغة الشعراء فى عصر الحضارة الاسلامية ، وعسى ان يكون هذا خير فأل أو فأل خير لبنيها يكون لهم من ورائه ان شاء الله شأن كبير ومقام خطير

وغالب اهل مكة يتكلمون بالتركية ومن المطوفين من يتكلم بلغات مختلفة كالهندية والاوردية والجاوية والفارسية والصينية . اما أهل البادية فلغتهم عربية صرفة لا نكاد نفهمها اذا سمعناهم يتكلمون بها ولكل قوم منهم لغة مخصوصة تختلف فى لفظها باختلاف القبائل فمنهم من يقلب القاف زايا فيقول زربة فى قربة وعتيبة تقلب الكاف سينا فيقولون سواسب فى كواكب و سليب فى كليب وسبد فى كبد . اما بنو شيبان فينطقون بالكاف جيما فارسية معطشة فيقولون جواجب وجليب. وهم كذلك يقلبون القاف جيما فارسية فيقولون فى قربة جربة وهكذا . والعرب لا ينطقون بالقاف بل يلفظونها جيما مصرية . ومنهم من يقلب الميم باء كقولهم بكه فى مكة ومنهم من يقلب الثاء فاء فيقولون (فم) فى ثم . ومنهم من يغير الحركات فى الكلمة كقول الحجازيين (اَلحـج) وقول نجد الحج وهكذا . وعلى كل حال فلا يزال فى عرب اليوم اثر ما كان فى لغاتهم القديمة من الكشكشة والكسكسة والعنعنة والمحمحة والجمجمة والاستنطاء والطمطانية والوثم مما هو مشروح بكتاب مميزات العرب لحفنى بك ناصف المصرى (انظر كلمة عرب من هذا القاموس)

واهل مكة كلهم مسلمون ولا يدخلها غير مسلم من السنة التاسعة للهجرة التى نزلت فيها الآية الشريفة يا أيها الذين آمنوا ان المشركين نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وكان على ينادى فى الموسم الذى اعقب نزول الآية الشريفة بقوله :

(ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك) وكان المراد بذلك منع المشركين من الحج وعدم دخولهم البلد التى بها تتم مناسكهم لأنهم مع ما كانوا عليه من سوء الضمير وخبث الطوية كانوا يلقون بذور الشقاق والغل بين قبائل العرب

المسلمين ويوغرون صدورهم بقصد التفرقة التي يكون من ورائها الطعن فلما جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب في اطراف الجزيرة بعد عشرة أيام من بيعة ابي بكر وذلك بتأثير المشركين منهم حتى بلغ من امر هؤلاء ان ادعى النبوة منهم طليحة في الشمال ولهيعة في اليمن ومسيلمة الكذاب مع سجاح في اليمامة شرق بلاد العرب وقام غيرهم في الدعوة لنفسه في وسط البلاد هنالك استنفر ابو بكر المسلمين الى قتال اهل الردة . وبعث اليهم بأحد عشر لواء وامرهم ان يحاربوهم وان لا يقبلوا منهم غير الاسلام فساروا وأبلوا في قتالهم بلاء حسنا وخصوصا جيش خالد بن الوليد الذي كان له الفضل الاكبر في رجوع الناس الى الاسلام

وبعد وفاة ابي بكر سار عمر على طريقته في تطهير بلاد العرب ممن كان على غير دين الاسلام لأنهم اهل البلاد الذين بهم عزها ولهم يكون خيرها أو شرها وبهم تكون سعادتها أو شقاوتها وسار على سنته من اتى بعده من الخلفاء الى اليوم . لذلك ترى الآن اهل الحرمين انفسهم يبالغون في مراقبة الاجانب الذين يفدون الى بلادهم فلا يتعدى ينبع وجدة وصنعاء جنوبا ومحطة العلاء شمالا احد من الاجانب بالمرة وان فعل فانما هو مورط بنفسه الى حتفه من اهل البلاد ولذلك فان الاجانب من عمال السكة الحديدية الحجازية ماكانوا يغادرون المحطة لجهة الجنوب ولو لضرورة

اما افراد الفرنجة الذين قصدوا مكة والمدينة في ازمنة مختلفة وكتبوا عنهما ما كتبوا على حسب نزعاتهم سياسية او دينية أو عمرانية او جغرافية انما كانوا يتزيون بزي المسلمين بعد ان يعرفوا اللغة العربية ويدعون أنهم على الدين الاسلامي ونخص بالذكر منهم بوركات السويسري وبرتون الانجليزي وهوجرنج الهولاندي وكورتلمون الفرنساوي وأولهم هو اسبقهم الى التوريط بنفسه في بلاد العرب وبركات سويسري الجنس لوزاني المولد وفد الى مصر ودخل الازهر بعد ان ادعى الاسلامية وسمى نفسه ابراهيم المهدي وتعلم فيها العربية ثم سافر الى بلاد العرب واقام بها نحو سبع سنين وكتب

عنهـا كتابه الذى هو احسن ما كتبه الفرنجة فيها خصوصا وصفه بلاد العرب وقبائلها ومات فى مصر على زيه الاسلامى ودفن فى قرافة باب الفتوح بجوار قبـة الشيخ يونس ولا يزال قبره موجوداً بها ومكتوبا على شاهد تربته هذه العبارة

(هو الباقى)

(هذا قبر المرحوم الى رحمـة الله)
(تعالى الشيخ حاج ابراهيم المهدى)
(ابن عبـد الله بوركهر اللوزانى تاريخ)
(ولادته ١٠ محرم سنة(١١٩٩) وتاريخ)
(وفاته الى رحمة الله بمصر المحروسة فى)
(٢٦ ذى الحجة سنة ١٢٣٢)

ومن عوائد اشراف مكة أن كبراءهم يرسلون اولادهم وهم فى نعومة أظفارهم الى البادية وخصوصا الى قبيـلة عدوان التى توجد فى شرق الطائف وهى قريبة من سعد التى وضع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فينشأون فيها على البداوة التامة مع الامية الصرفة حتى اذا ترعرعوا عادوا الى مكة وقد تعلموا بعض لغـات القبائل وحفظوا من أشعارهم وأخذوا من عقائدهم وطباعهم وأحسن ماتراه فيهم الفروسية والحرية فى القول والفعل وهذه العادة قديمة جداً فى القوم . ومما يذكر عن الرشيد انه رأى ولده المعتصم وهو صبى يتأفف من الذهاب الى الكتاب فمنعه منه وأرسل به الى البادية فمازال بها حتى عاد منها عارفا بلغتها عالما بأخبارها حافظا لكثير من أشعارها. وقد ولى الخلافة وهو على أميته

ومن عادة شريف مكة أن يجلس للحكم فى دار الامارة كل يوم من الساعة الخامسة نهارا الى قبيل العصر فتعرض عليه المسـائل الهامة وهنالك يستعد الى التوجه الى الحرم فى ركبة بسيطة فيصلى العصر وكثيراً مايجلس بالحرم حتى يصلى المغرب ثم يعود الى قصره فيتناول العشاء مع من يريد من بنيه وخاصته وضيوفه

ومن عادته انه يجلس صبـاح يوم الجمعة فى دار الامارة للمقابلات فيفد عليه الوالى وكبار الموظفـين ثم أعيان مكة ووجوهها وبعد السلام عليه يذهبون الى السلام على الوالى ومن عادته ان يصلى الجمعة فى الحرم حتى اذا كان فى الطائف ينزل منها فى موكبه فيصلى فيه وبعد العصر يعود الى مصيفه

ومن عادة أهل مكة التأنق فى

المأكل والمشرب واللباس وتكثر فى لباسهم الالوان الزاهية الباهية وخصوصا الاحمر والازرق والوردى . وترى فى مساكنهم كثيراً من أدوات الزخرف والزينة والرياش الثمينة وخصوصا البسط العجمية النادرة المثال

ومن عاداتهم تقديم الشاى فى اى وقت تحية للقادم عليهم وأقامة المآدب فى حفلة يسمونها قليلة (لعلها آتية من القيلولة) ويتفاخرون بكثرة صنوف الطعام المتغايرة فى شكلها وطعمها وليس لاطعمتهم نظام مخصوص فنها الهندى والعربى والشامى والمصرى والتركى ويقعد المدعوون فى هذه الولائم على سماط يمد فى الارض وتقدم اليهم الالوان واحد بعد آخر . وبعد فراغهم من الطعام يجلسون للسمر أو سماع بعض الاغانى وآلات الطرب كالعود او القانون او الرباب ثم ينصرفون وغالبا تكون هذه الخلافة فى ضواحى مكة كالزاهر والشهداء وهنالك يبكرون اليها ويقضون يومهم فى سرور وحبور وألعاب رياضية كالمسابقة بالجرى اولعب الكرة اليها اوالنرد اوالشطرنج مثلا ولاهل كل حارة من حارات مكة عادة مع أميرها، ذلك أن يجتمعوا ويدعوا الشريف الى وليمة يقيمونها له كل سنة فى أحد متنزهاتها خارج مكة فاذا قبل منهم ذلك عين يوم الوليمة وفيه يذهب مع خاصته الذين يدعوهم للتوجه معه فى موكب فخم تجرى أمامه خيالة الاعراب والبيشة

والناس يهتفون له بقولهم — دائما (يعيش) حتى اذا وصل مكان الدعوة جلس مع من أراد فى وقت الغداء تمد الموائد على النظام الافرنجى والعربى ويجلس الشريف ويدعو خاصته للاكل معه وبعد الطعام تلعب الاعراب بألعاب الفروسية تارة بالخناجر وأخرى بالسيوف الى آخر النهار . وبعد فترة من الليل يعود الشريف فى موكبه الى مكة

ومن عوائد أهل مكة أنهم يأكلون مرتين فى اليوم ، واحدة فى نحو الساعة التاسعة صباحا والاخرى بعد صلاة العصر وهم يميلون الى الابهة والفخفخة كثيراً ويقلد صغيرهم كبيرهم فى التظاهر بالكرم والشجاعة خصوصا فى شهر رمضان وقد كانوا يفطرون فى الحرم بعد صلاة المغرب فيمدون فيه الموائد هنا وهنالك لاسيما فى زمن الحر ولكن الشريف

عون الرفيق أبطل هذه العادة (وخيراً فعل) لان فضلات الاكل كانت توسخ المسجد فتكثر فيه الحشرات والقطاط وغيرها . ومن عوائد كثير منهم أنهم يشرطون وجنات صبيانهم ثلاث شرط فى كل جهة ونساؤهم يدخن بالنارجيلة والراريفشو فيهن كثيرا وبعضهن يخرجن الى الاسواق بملاء واسعة سوداء فى الغالب وبرقع كثيف فيه ثقبان صغيران فيما يقابل العينين وفى أرجلهن أخفاف ضخمة لونها اصفر غالبا

«وأفراحهم ومآتمهم غاية فى البساطة ومن عوائدهم فى زواجهم أنهم يدعون الاهل والمحبين نساء ورجالا فتأتى الرجال ويجلسون فى الاماكن المعدة لهم خارج البيت ووقت العشاء يمد لهم سماط مستطيل يجلسون عليه جميعا مرة واحدة فيأكلون ثم ينصرفون . أما النساء فيدخلن البيت فيجدن على باب قاعة الجلوس قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء فتحنى المرأة يدا من يديها ثم تدخل الى المكان وبعد السلام تجلس على هذا الحال مع باقى النسوة ولا يزلن يتجاذبن أطراف الحديث الى منتصف الليل وهناك يزففن العروس الى بعلها ثم يعدن الى بيوتهن بعد أن يضعن فى عنقها عقودا كثيرة من زهر الفل أو من ثمر التفاح وهو فى قدر البندق

« أما مآتمهم فعند موت الميت تصرخ امرأة من أقرب النساء اليه صرخة واحدة أو صرختين اعلانا بالمصيبة فتتوافد عليها النساء فيجدن قصعة الحناء بجوار قاعة الجلوس فتحنى كل واحدة منهن يدا من يديها ثم يدخلن القاعة وبعد أن يعزين صاحبة الفقيد بكلمات قليلة يجلسن ويأخذن فى الحديث فى شؤون مختلفة ثم ينصرفن. أما الميت فيأخذه بعض أقاربه ويدفنونه بغير احتفال كبير وبعد دفنه يتوارد الرجال على أهله فيعزونهم وينصرفون لوقتهم . ومن عوائدهم أنهم يحتفلون احتفالا كبيرا بختم أولادهم للقرآن الكريم ويسيرون بهم بموكب عظيم فى طرق مكة ويحتفلون فى منتصف شهر صفر بمولد السيدة ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عند مدفنها بالزاهر على مسافة نحو سبعة كيلو مترات من مكة على طريق المدينة فينصبون خيامهم فى تلك الصحراء ويتفاخرون بكثرة

الطعام والشراب ويحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول ويعبرون عن المولد بالحول فيقولون حول ميمونة وحول النبي وفي شهر رجب يحتفلون بزيارتهم للمدينة المنورة

«ومن عاداتهم الاصطياف في الطائف ويرتفع عن سطح البحر بمسافة ١٥٥٠ مترا ، والهدى فوق جبال كرا وترتفع عن سطح البحر بمسافة ١٧٦٠ مترا وفيه جنات كثيرة تجرى من تحتها الانهار . فيها مايشتهون من أثمار وأزهار وأشهر مصيف في الطائف يسمى شبرا وهو لاشراف ذى عون أنشأه الشريف عبد الله باشا وسماه باسم شبرا مصر ثم حدائق المثناة وهى لذوى غالب وهى أحسن حدائق الطائف ومشهورة بخوخها وعنبها ومازها أعذب مياه تلك الجهة . وللطائف طريقان طريق القافلة ويبعد عن مكة بنحو ٦٦ ساعة وطريق البغال على جبل كرا وهو على نحو نصف هذه المسافة . ومدينة الطائف مشهورة بطيب هوائها وليس أحسن منها الا جبل الهدى الذى يبعد عنها بنحو ثلاث ساعات الى مكة وأهله مشهورون بجمال خلقتهم ونعومة بشرتهم وينسبون ذلك الى شربهم من نهر هناك يسمونه المسل يبالغون في حلاوة طعمه . وفى الطائف قبر السيدين الطاهر والطيب ولدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبر سيدنا عبد الله بن العباس ويقصده اليمانيون لزيارته قبل الموسم وله على الخصوص عندهم احترام كبير وكان بها زمن الجاهلية معبد اللات والعزى وكانت تدين بهما ثقيف وغيرها من القبائل المجاورة للطائف ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم في أول نبوته وطلب منهم نصرته فأبوا عليه ذلك

«ويتخلف عن الحج كثير من أهل مكة ويقيمون فيها للمحافظة على دورهم من اللصوص الذين يكثرون في هذه الآونة فيقطعون ليلهم سهرا بين اطلاق بنادقهم من كل الجهات اعلانا بأنهم يقظون لكل من قصدهم بسوء

ويوجد بمكة وخارجها مزارات كثيرة منها مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد على ومولد فاطمة ودار الخيزران

«أما مولد النبي صلى الله عليه وسلم فهو في شعب بني عامر أو شعب المولد وهو

مكان قد ارتفع الطريق عنه بنحو متر ونصف وينزل اليه بواسطة درجات من الحجر توصل الى باب يفتح الى الشمال يدخل منه الى فناء يبلغ طوله نحو اثنى عشر مترا وعرضه ستة متار وفى جداره الايمن (الغربى) باب يدخل منه الى قبة فى وسطها (يميل الى الخلف الغربى) مقصورة من الخشب داخلها رخامة قد تقعر جوفها لتعيين مولد السيد الرسول عليه الصلاة والسلام وهذه القبة والفناء الذى خارجها لا يزيد مسطحها عن ثمانين مترا مربعا . وهما يكونان الدار التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان السيد الرسول وهب هذه الدار لعقيل بن أبى طالب فباعها ولده لمحمد بن يوسف الثقفى (أخى الحجاج) فلما بنى داره المشهورة بدار ابن يوسف وكانت بجوارها أدخلها فيها حتى اشترتها الخيزران أم الرشيد وفضلتها وبنتها على ما كانت عليه وجعلتها مسجدا وهى باقية كذلك الى يومنا هذا

«يقرب من مولد النبى صلى الله عليه وسلم مولد سيدنا على رضى الله عنه وهو كشكل سابقه الا أنه أصغر منه

«وأما مولد السيدة فاطمة ففى درب الحجر وهو دار خديجة بنت خويلد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها ولدت جميع أولادها منه . وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم كان يعمل فى تجارتها الى الشام ثم اختارته لنفسها لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من كمال الصفات وصفات الكمال فتزوجها فى سنة ٢٨ أعنى قبل بعثته بخمس عشرة سنة وماتت خديجة رضى الله عنها قبل الهجرة بأربع سنين وهى فى الرابعة والستين من عمرها

«وهذه الدار قد ارتفع عنها الطريق أيضا فينزل اليها بجملة درجات توصل الى طرقة على يسارها شبه مصطبة مرتفعة عن الارض بنحو ثلاثين سنتيمترا مسطحها نحو عشرة أمتار طولا فى أربعة عرضا وفيها كتاب يقرأ فيه الصبيان القرآن الكريم وعلى يمينها باب صغير يصعد اليه بدرجتين يدخل منه الى طرقة ضيقة عرضها نحو مترين وفيها ثلاثة أبواب الذى على اليسار لغرفة صغيرة يبلغ سطحها ثلاثة امتار طولا فى أقل منها عرضا وهذا المكان كان معدا لعبادته صلى الله عليه وسلم وقد كان ينزل الوحى

عليه . وعلى يمين الداخل اليه مكان منخفض عن الارض يقولون انه كان محل وضوئه عليه الصلاة والسلام . والباب الذى فى قبالة الداخل الى الطرقة يفتح على مكان واسع يبلغ طوله نحو ستة أمتار فى عرض أربعة وهو المكان الذى كان يسكنه صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضى الله عنها . أما الباب الذى على اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار فى طول نحو سبعة أمتار ونصف وفى وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذى ولدت فيه السيدة فاطمة رضى الله عنها وفى جدار هذه الغرفة الشرقى رف موضوع عليه قطعة من رحى قديمة يقولون انها من رحى السيدة فاطمة التى كانت تستعملها فى حياتها . وعلى طول هذا المسكن والطرقة الخارجة والمصطبة من جهة الشمال فضاء مرتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر مترا وعرضه نحو سبعة أمتار وأظن انه المكان الذى كانت السيدة خديجة تخزن فيه تجارتها

« وهذه الدار كانت مقراً له صلى الله عليه وسلم ومحل اقامته فى مكه ومبعثه الى الخلق كافة اذا أنعمت بها نظرك وأممنت بها فكرك لاتراها الا البساطة بنفسها . دار تحتوى على أربع غرف ثلاث داخلية منها واحدة لبناته والثانية لهولزوجه، والثالثة له ولربه والرابعة بمعزل عنها له ولعموم الناس. بالله ماهذا الترتيب الجميل وما هذا النظام البديع ؟ بل ماهذه الآداب الكبرى والكمالات الحيوية العظمى التى صيغت فى شكل هذه البساطة المتناهية ؟ تأمل قليلا تر ان هذا النظام هو بذاته ما قضت به المدنية العصرية لولا انه يعمل فيها بشكل تعددت صفاته ، وكثرت حاجياته . هذه هى دار الرسول الذى أرسل للناس كافة نعم هذا هو منزل هذا النبى الامى وذلك هو نظامه فى بيته . ذلك النظام الذى وان كان مجردا عن مظاهر العظمة والفخامة فقد اكتسى بحلى الجلال والكمال اللهم انى آمنت بك وبرسولك هذا الذى لم يتخذ دينك وسيلة الى عيش الاغنياء وحياة العظماء بل كان حسبه من عيشه ما كان يقوم بحياته التى انما كانت كلها خيرا وبركة ويمنا وسعادة للناس اجمعين

« لما هاجر صلى الله عليه وسلم

الى المدينة استولى على هذه الدار عقيل ابن أبى طالب ثم اشتراها منه معاوية بن أبى سفيان فجعلها مسجدا وعمرت فى زمن الناصر العباسى وقد وضع فى حائط الطرقة الخارجية على يسار الداخل لوح من الرخام مكتوب عليه بالحروف البارزة « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة مريد مولد الزهراء البتول فاطمة سيدة نساء العالمين بنت الرسول محمد المصطفى المختار صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيدنا ومولانا لامام المفترض الطاعة على الخلق أجمعين الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وجعل منافعه ومشتملاته وأجره عائدا على مصالحه ثم على مصالح هذا المقام الشريف المقدس الطاهر النبوى . على مايرى الناظر المتولى له فى ذلك من الحظ الوافر والمصلحة لهذا المريد والمولد المقدس المذكور بعد ذلك ابتغاء وجه الله تعالى وطلبا لثواب الدار الآخرة تقبل الله ذلك منه وجزاه أجر المحسنين . وذلك على يد الفقير الى رحمة الله تعالى على بن أبى البركات الدورانى الانبارى فى سنة (٦٠٤) ومن غير ذلك أو بدله عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين الى يوم الدين آمنين . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين»

ثم عمرها بعد ذلك الاشرف شعبان ملك مصر ثم الملك المظفر صاحب اليمن السلطان سليمان سنة (٩٣٥)

« اما دار الارقم المخزومى المشهورة بدار الخيزران فهى فى زقاق على يسار الصاعد الى الصفا وهى الدار التى كان يختبىء فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر بعثته هو ومن آمن معه وكانوا يصلون بها سرا حتى أسلم عمر رضى الله عنه فقويت به عصبيتهم وجهروا بالاسلام والصلاة . وباب هذه الدار يفتح الى الشرق ويدخل منه الى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار فى عرض أربعة وعلى يسارها ليوان مسقوف على عرض نحو ثمانية أمتار فى عرض نحو نصف ذلك مفروشة بالحصير وفى زاويتها الشرقية الجنوبية حجران من الصوان موضوعان فوق بعضها مكتوب فى أعلاها بالحرف البارز «بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . هذا مختار رسول

الله ودار الخيزران وفيها مبتدأ الاسلام أمر بتجديده الفقير الى مولاه أمين الملك مصلح ابتغاء ثواب الله ورسوله و لا يضيع أجر المحسنين» ومكتوب فى الثانى «بسم الله الرحمن الرحيم هذا مختبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بدار الخيزران أمر بعمله وانشائه العبد الفقير لرحمة الله جمال الدين شرف الاسلام أبو جعفر محمد بن على ابن أبى منصور الاصفهانى وزير الشام والموصل الطالب الوصول الى الله تعالى الراجى لرحمته أطال الله فى الطاعة بقاءه وأناله فى الدارين مناه فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة»

« ومن الاماكن المقدسة غار حِرَّاء وهو الغار الذى كان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم ومساحته تقرب من ثلاثة أمتار فى مترين ، ويوجد فى قنة جبل النور الذى على يسار السالك الى عرفة وفيه نزل الوحى عليه صلى الله عليه وسلم لاول مرة ثم جبل ثور وهو الى الجنوب من جهة المسفلة وعلى ساعتين منها وفيه الغار الذى اختفى فيه رسول الله مع صاحبه أبى بكر حين قصد الهجرة الى المدينة ومساحته نحو مترين مربعين . ثم المَعْلَى وهى مقبرة مكة وتوجد خارج بابها الشرقى وفيها ضريح السيدة خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهو داخل قبة تجددت سنة (١٢٩٨) وفى القبة مقصورة من خشب الجوز أقيمت على قبرها الشريف . والى جانبها مقصورة صغيرة مدفون فيها ستة عشر شخصا من الاشراف . وخارج هذه القبة الى الغرب قبر السيدة الكبيرة حرم ساكن الجنان محمد على باشا وكانت قد أتت الى الحج سنة ١٢٦٦ فماتت ودفنت بهذا المكان وقبالة قبة السيدة خديجة الى الجنوب قبة السيدة آمنة بنت وهب والدة الرسول عليه الصلاة والسلام وبجوارها مقصورة دفن فيها الشريف محمد بن عون . وفى شمالها قبة أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم وبجوارها قبة جده عبد المطلب وكلتاهما تجددتا فى سنة ١٣٢٥ . وفى هذه القرافة قبر سيدنا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وكانت له قبة هدمها الشريف عون الرفيق فيما هدم ولم تشيد بعد وفيها قبر أبى جعفر المنصور أمير المؤمنين وكان قد حضر الى مكة حاجا فى سنة (١٥٨) فمات ودفن بالمعلى ولا يعرف مكانه .

وفيها غير ذلك كثير من قبور الصحابة والتابعين والصالحين رضوان الله عليهم

« ومن المزارات بمكة أيضا مسجد الجن ومسجد الراية ومسجد الاجابة ومسجد البيعة ومسجد أبى بكر ومسجد عمر ثم جبل أبى قبيس وفيه مسجد بلال ومسجد انشقاق القمر وزاوية السنوسى الذى له فى الحجاز شأن كبير ومقام خطير ومعظم الاعراب على شيعته

« وفى مكة مكان التلغراف والبوستة بناه المرحوم عثمان باشا نورى عند بنائه لدار الحكومة (الحميدية) وغيرها منذ كان واليا عليها لأول مرة سنة ١٨٨٢ ميلادية

« وفى شوارع مكة كثير من القهاوى البلدية التى ترى فى دوائرها دككا وكراسى من الخشب مقاعدها مصنوعة من شبكة من الليف أو الخوص المجدول وأحسنها فى جهة جياد فيجلس عليها الحجاج وخصوصا فيما كان منها خارج البلد مدة الصيف ، ويشربون بها الشاى (ويسمونه الشاهى) والقهوة والنرجيلة التى يجهزونها بالتمباك الحى عادة لكثرة استعماله هناك . ولقد رأيت بعض الهنود يمر على هذه القهاوى وهو ينادى قائلا « كابوس كابوس » (مكبسانى) فاذا استدعاه أحد ممن فيها فرشه على دكة وأخذ يكبسه بمهارة فائقة نحو نصف ساعة على الاقل فى نظير قرش اوقرشين ويقرب من هذه القهاوى عادة سوامر يقوم فيها بعض أناس فى الغالب من اليمانيين يتغنون بأغنية جميلة تطرب منها النفوس وكلها فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم . وفى بعض الاحيان ترى هؤلاء المتغنين متنقلين فى طرق مكة

« وفى مكة ثلاث تكايا وأكبرها وأفخرها وأنظمها وأكثرها موردا التكية المصرية وهى بناء فخم شيده المرحوم محمد على باشا جد العائلة الكريمة الخديوية فى مكان دار السعادة التى كانت محل حكومة بنى زيدان من الاشراف كما كانت دار الهناء محل حكومة بنى بركات وكانت توجد مكان دار الشريف أبى نمى تجاه باب الوداع وفى هذه التكية مخازن وطاحونة ومخبز ومطبخ ومكان نظيف منظم لحضرة مديرها وأمكنة لمستخدميها ويطبخ بها يوميا الشوربة للفقراء والمعوزين الذين يغدون الى بابها

صباحا لاخذهامع ماهو مرتب لهم من الخبز الذى تقوم به حياتهم ويبلغ عددهم يوميا نحو خمسمائة شخص أو يزيدون

وفى مكة قلعتان تحكمان على المدينة ويسكن بهـا عساكر الدولة وهما قلعـة جيـاد الذى بناها الشريف سرور سنة ١١٩٦ هجرية فى الجهة الجنوبية وقلعة الهندى التى بناها الشريف غالب سنة ١٢٢١ فى الجهة الشمالية وفيها حامان على مثال الحامات الرومية بمصر ، واحد بالعمرة بناه محمدباشا وزير السلطان سليمان سنة ٩١٠ . والثانى بالقشاشية ويسمونه حمام النبى وبها مطبعةللولايةوتسمى باسمها . ويصـدر فيها جريدة بالتركية والعربيـة اسمها (حجاز) وهى شبيهة بالرسميةوكل ما فيها تقريبا يتعلق بأخبار الحكومة واعلاناتها

« وليس فى مكة كتبخانات تذكر اللهم الا كتبخانة بسيطة فى باب أمهانىء تسمى كتبخانة شروانى زادة محمد رشيد باشا والى الحجاز سابقا وأخرى فى باب الدريبـة قرب باب السـلام تسـمى بالـكتبخانة السليانية أسسها السـلطان عبد المجيد وكونها من شتات كتب الحرم وغيرهما مما أرسله اليها من الآستانة . ولـكل كتبخانة من هاتين فهرست بخط اليد ومغير يقوم بشؤونها . والكتب التى يقوم بها نحوية وفقهية وأدبية وتاريخية وغالبها باللغة العربية وفيهاشىء بالفارسية والاوردية والهندية والتركيةو الجاوية(لغة الملايو) وقد كان بمكة كتب كثيرةمهمة وكانت موضوعة فى دور البيت فى دائر حائط الحرم ، سرق بعضها والسيول التى أغرقت المسجد وخصوصا فى سنة ٤١٧ صعدت الى هذه الخزائن وأتلفت منها شيئا كثيرا وكان فى ذلك اكبرمصيبة على العلم والعلماء لأنهم فقدوا بها مالايصلحه الزمان ولا يعوضه الانسان

« وفيها مدرستان المدرسة الصولية بناها المرحوم الشيخ رحمة الله الهنـدى الشهير (صاحب كتاب اظهار الحق) ويدرس فيهـا القرآن الشريف وعـلم التجويد وشىء من اللغة العربية والاعمال الحسابيه والهندسية ويشرف عليها من تبرعات أهل الهند وهو أمر لاثبات له ولا تدوم معه حياة مدرسية نافعة مثلها ثم المدرسة التى يقوم بها حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف محمد الخياط وهو

من علماء مكة الاماثل ويدرس فيها ما يدرس فى الاولى بتوسعة ، وعناية مولانا الامير بها كبيرة ولذلك فالامل فى نجاحها عظيم. ولقد قرأت بعدد ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨ من جريدة المفيد الغراء نقلا عن جريدة صباح أن الحكومة العثمانية افتتحت مدرسة بمكة المكرمة بحضور الوالى والشريف وجمهور من الوجهاء والاعيان فعسى أن يكون فيها الخير المرجو لام القرى بل لأم العواصم الاسلامية

« ولو كان مولانا الامير يقضى بأن يتخرج المطوفون من مدرسة مخصوصة يدرسون بها ماهو خاص بوظيفتهم لكان فى ذلك أكبر خدمة دينية لان جل الموجود منها الآن يجهل مأموريته الكبرى . وليت بعضهم يقف عند هذا الحد بل يلقى فى ذهن الحاج ماليس من الدين فى شىء كمسألة الكنفانى والزلبانى مثلا وهما حجران فى طريق جدة الى بحرة يزعمون ان واحدا منهما كان كنفانيا والآخر كان زلبانيا وكانا يغشان الحجاج فمسخهما الله حجرين ومسألة الناقة والحجامة بجبل عمر ذلك ان هناك صخرة تشبه ناقة باركة والى جوارها حجران يزعمون ان النبى كان بهذا المكان فأتى رجل حجام مع امرأته وأمسكا بالناقة التى لم تنهض برسول الله صلى الله عليه وسلم فمسخهما الله معها على هذه الصورة . ومسئلة سارق الصندوق وهو صخرة الى جهة جبل النور تقرب من صورة رجل يحمل صندوقا يزعمون انه كان سارقا فمسخه الله عليها . وأمثال هذا كثيرة مما تجب العناية بازالته خدمة للدين المتين. والأدهى من ذلك أنهم يحرفون ألفاظ القرآن الكريم عمدا اثناء الطواف بتفخيمهم مالا يجوز تفخيمه أو ترقيقهم مالا يصح ترقيقه . بل منهم من يقلب الحرف بآخر لتقريبه الى نطق السامع ان كان تركيا أو هنديا أوفارسيا فيقولون مثلا « وكنا عذاب النار » فى قوله تعالى « وقنا عذاب النار » و « مهمد رسول الله » فى محمد رسول الله . و « ياأرهم الراهمين » فى أرحم الراحمين و « اللوهم » فى اللهم ونحو ذلك مما لايجوز شرعا ولا اجماعا

« ويدرس فى الحرم الشريف بعض العلوم العربية والتفسير على الطريقة القديمة العقيمة ويقدر عدد الطلبة ببضع

مثات جلهم من الجاوة الذين يفرون الى هـذه البلاد من المظالم التى تتسـاقط على رؤوسهم من حكومة بلادهم فتراهم يشتغلون وقت الدرس فى الدراسة ووقت الفضـاء منها يعملون عملا يقوم بحياتهم

« ويبلغ عدد المدرسين العاملين نحو الثلاثين وعنايتهم بالتعليم قليلة جدا وذلك لقلة موارد الارتزاق ولان مرتباتهم التى تصرف لهم من طرف الدولة لاتقوم بأودهم لانها تختلف من مائة الى خمسمائة قرش عثمانى سنويا

الى أن قال: «وتجارة هذا البلد كلها أو جلها فى يد الاعرب خصوصا الهنود وغالبهـا من صنف العطريات والسبح والسجاجيد والاقمشة الحريرية الهندية والشامية والصناعة غير مهمة وهى لاتخرج عن صياغة بعض قطع ذهبية أو فضية وخصوصا فى عمل الدبل التى يدعون منفعتها للبواسير شفاهم الله. والحدادة عندهم بسيطة جدا ولكنها دقيقة فى عمل الاساحة وفيها من المصانع فاخورة لعمل الدواوين والقلل وكل ذلك فى يد الاجانب أيضا. أما الاهالى فأغلبهم يعيش من مهنة التطويف أو التظاهر بالشعار الدينى ولاتروج تجارتهم الا زمن الحج وما يأتيهم فيه من رزق يعيشون منه عامهم . غير أن كثيرا منهم يبرحون مكة بعد الموسم الى الجهات التى بها أناس ممن سبقت معرفتهم بهم فى الحج فيفدون عليهم ببعض الهدايا ثم يعودون وقد أخذوا أضعاف ثمنها منهم

« والنقود التى تستعمل فى مكة هى النقود التركية والمصرية فضية أو ذهبية والروبية والقروش الهندية والريال الشينكو وأبو طيره والريال البُرُم الجاوى وهو على أشكال مختلفة والجنيه الانجليزى والفرنساوى والروسى وليس لهذه النقود قيمة ثابتة هناك بل تراهم يستعملونها على الدوام فى مصلحتهم فيأخذونها منك بأقل من قيمتها أو يعطونها اليك بأكثر مما تساوى : وهذا عيب كبير من عيوب المعاملات ولعل أرباب الامر والنهى يجتهدون فى ازالته قريبا والريال أبو طيرة هو أكثر النقود استعمالا عند الاعراب وقيمته عندهم كالريال الشينكو والمصرى ومما يناسب ذكره هنا انى أعطيت مرة قطعة من النقود ممسوحة قليلا الى طفل صغير اعرابى فردها الى قائلا هذه زلطاء

وهى كلة بدوية صرفة كان لها وقع عظيم على سمعى والاعراب لا يعرفون قيمة هذه النقود واذا وجد معهم شيء منها يتوجهون به الى التاجر ويقولون سوِّ بهذه من الصنف الفلانى على أمانتك ولا تهمهم جودة الصنف بل تهمهم الكثرة منه

«وأسواق مكة كثيرة ومنها سوق الشامية فى شمال الحرم وهى أشبه شيء بالاسواق التركية ولها سقف من الخشب على مثال الخان الخليلى بمصر لولا ان شوارعها ضيقة وهذه السوق تضيق بالمارين خصوصا عند مرور الجمال بها وفيها يبيعون السبح والاقمشة الهندية والتركية وغيرها وفيها كثير من الفصوص الفيروز والياقوت والعقيق الذى يبيعه على الخصوص حجاج اليمن فى شوارع المدينة بأثمان رخيصة

«ثم السوق الصغير وهو تجاه باب ابراهيم وأغلب ما فيه للغذاء كالخبز واللحوم والبقول الجافة والخضراء التى يؤتى بها من الاودية المحيطة بمكة كوادى فاطمة شمالا ووادى الليمون شرقا ووادى العبيدية (العبادية) والحسينية جنوبا وكثير من هذه الخضر يأتى مع الفاكهة من جهة الطائف وجبال كرا . وفى هذه السوق دكاكين كثيرة يبيعون فيها الاسماك المقلية التى يؤتى بها من جدة وهى فى الغالب مضرة جدا بالصحة لتعفنها من الحرارة وطول زمن النقل وفى شرق المسجد سوق الليل وهى سوق كبيرة مختلطة فيها جميع احتياجات الحاج وفى كل هذه الاسواق ترى مدة الموسم حركة لا تنقطع يأتى من ورائها ربح عظيم لاهل البلد ومدار حركة الاشغال الشاقة فى مكة على العبيد فمنهم الحمالون والحطابون والحمارون والسقاؤن والخدامون . ولقد كان للرقيق سوق كبيرة أخذ أمرها يتمحى شيئا فشيئا حتى كاد لا يكون له أثر بالمرة وكانوا يسمون المكان الذى يبيعون فيه بالدكة لانه كان فى حوشه دكة يجلسون عليها ما يراد بيعه منه

«وبهذه المناسبة أقول أن ما يصرفه الحجاج بمكة ليس بالشيء الذى يستهان به الا اذا فرضنا ان متوسط عددهم يبلغ سنويا مائتى الف نفس وان متوسط ما يصرفه سنويا الواحد منهم مدة اقامته خمس جنيهات فيكون ما يصرفه الحجاج

فى مكة على أقل تقدير مليونا من الجنيهات فى نحو شهر من الزمان فى أجرة مسكن وبعض المآكل وأجرة مطوف وزمزمى وبعض هدايا يشتريها لذويه وأهليه . ومع هذا كله فان بعض أهالى مكة لاينظرون الى الحاج (بقطع النظر عن كونه ضيف الله وفى بلده الحرام) بالعين التى يجب أن ينظروه بها وعلى الاقل من الجهة الاقتصادية التى هى مصدر حياتهم لانهم مع احتقارهم له يسيئون معاملته ويرون فى ماله كلأً مباحا لهم ، ويتقولون فى ذلك الاحاديث التى لاتخرج معناها عن قولهم « الحاج رزق لاهل الحرمين ورزق الحاج على الله » ولعل هذه المعاملة السيئة كانت فى ذلك الزمن السيء زمن الاستبداد الذى كان المطوفون فيه يوقفون أغنياء الحجاج فى سوق المزايدة حتى يرسو أمرهم على أيهم يتولى شؤونهم كما حصل لبعض سراة المصريين فى سنة ١٣٢٦ ولاحول ولاقوة الا بالله

« وجو مكة كثير الحرارة قليل الامطار ومع ذلك فقد تحصل فيه سيول كثيرة من الامطار التى تنزل بكثرة فى الجبال العالية المحيطة بالطائف . وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمل فى شمال مكة قناطر لحجز مياه هذه السيول عن هذه المدينة وانصرافها من الجهة الشرقية نحو المسفلة الى خزان كبير في الجهة الجنوبية يسمونه بركة الماجن وهناك تستعمل للاعمال الزراعية ولاتزال لهذه السيول أضرار جسيمة بمكة ومبانيها

« وأهواء مكة تختلف فى هبوبها جملة مرات فى الساعة الواحدة ولهذا يقول المكيون « ان الله خلق سبعين هواء جعل منها في مكة تسعة وستين وفى العالم كله هواء واحدا » ذلك لان الهواء يدور فى جو المدينة بين جبالها المحدقة بها كما تدور الدوامة على سطح الماء ، فبينا تراه يدخل الى المساكن من المنافذ الغربية اذا به انقطع عنها ودخل من الشرقية أو الشمالية أو الجنوبية وهكذا . ولذلك تجد مساكنهم كثيرة النوافذ وغالبا الى الجهات الاربع حتى لاتحرم من الهواء من أى جهة كانت ، والهواء البحرى عندهم وهو الغربى أحسنها وألطفها لانه يأتى من جهة البحر ، ثم

هواء الشام ويسمونه الشمال والشمأل، أما الجنوبي والشرقي فهما حاران

« ويفسد هواء مكة في أيام الحر لكثرة الساكنين فيها وعدم العناية بنظافتها ، وتكثر فيها زمن الشتاء أمراض الصدر ويندر فيها التدرن الرئوى ، وفي زمن الصيف تكثر الاحتقانات الدماغية وضربات الشمس وأمراض العين والكبد والجهاز الهضمى والدوسنطاريا خصوصا بين الاطفال ويسببها عندهم أكل السمك العفن والفواكه الغير ناضجة وفي زمن الحر تكثر فيهم الحميات لاسيما عند فساد مياه الشرب ويكثر فيهم مرض الجدرى ويموت بسببه سنويا اكثر من اثنين في الالف . ومما يجدرنا ذكره ان الكوليرا لم تظهر في مكة الا سنة (١٢٤٦) هجرية اى في نحو سنة (١٨٢٥) ميلادية وفدت اليها مع حجاج الهند ولا تزال تفد اليها معهم ولو كانت الحكومة تعتنى بشدة الحجر على حجاج الهنود والجاوة في جزيرة قران قبل دخولهم الى جدة بزمن لأمكنها الحيلولة بين حجاج بيت الله الحرام وهذا الداء الوبيل والاوبئة الكبيرة التى حصلت بمكة في زمن الحجاج وفتكت بالحجاج فتكا ذريعا كانت في سنة ١٨٩٠ ميلادية وسنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٣ وسنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٢. وفي مكة مستشفى معروف الآن باسم شفخانة الخاصكية وهو من خيرات خاصكى سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني وفيها اجزاخانتان اثنان في طريق المسعى وواحدة في مصلحة الصحة بجياد والرابعة أشبه شيء بدكان عطارة بسيطة فيها من الادوية ما فسد غالبه وأصبح ضرره أكبر من نفعه . وعلى كل حال فالعناية بالمسائل الصحية بمكة قليلة جداً لأن ثقتهم بالطب القديم الذى مداره على الكى والفصد والحمية الشديدة وبعض أصناف العطارة الشرقية كالمر والصبر أكبر من ثقتهم بالطب الحديث

« وقد كان الجناب العالى الخديوى حفظه الله (يريد الخديوى الاسبق عباس باشا الثانى) فكر في ايجاد مستشفى بمكة ورتب له طبيبا واجزاجيا فلم يتيسر لهما القيام بمأموريتهما واكتفى الحال مؤقتا بالخدمة التى تقوم بها مأمورية الاوقاف الصحية زمن الحجاج ومقرها فيها يكون

فى التكية المصرية والحق يقال ان لها أثرا يذكر فيشكر ومصاريف هـذه المأمورية تبلغ سنويا فوق السبعمائة جنيه مصرى ومع هـذا فانا لاننسى الخدم التى تقوم بهـا مأمورية المحمل المصرى الصحية لعامة الحجاج لافرق بين مصرى وغيره

«وأهل مكة يشربون من ماء الآبار التى فيها مثل زمزم أو التى فى ضواحيها كالزاهر والعسقلانى والجعرانة وغيرها أو من الصهاريج التى تملأ من المطر أو ماء الينابيع أو من عين زبيدة التى يجرى ماؤها الى المدينة فى قنوات تحت الارض لها خزانات فى شوارعها يملأ منها السقاؤن قربهم .وهذه العين لها أهمية عظيمة جدا وهى من أجل الآثار التى تنسب الى السيدة زبيدة زوج هرون الرشيد رضى الله عنهما وكان السبب فى انشائها أن هذه السيدة البارة رأت فى حجها ما كان ينال أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام من العناء الشديد والاهوال الكثيرة لقلة المياه فى تلك الانحاء ، فأمرت رحمها الله باجراء الماء الى أم القرى من عين حنين التى توجد فيها وراء عرفة الى جهة الشمال الشرقي على مسافة نحو خمسة وثلاثين كيلومترا من مكة وهذه العين تخرج من جبال طاد وتسير فى وادى حنين الذى حصلت فيه (سنة ٨ للهجرة بعد فتح مكة) تلك الواقعة المشهورة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من هوازن وثقيف وثبت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثباتا عظيما كما أبلى المسلمون فيهـا بلاء حسنا وقتل فيها دريد بن الصمة وهو من أكبر رجال أهل الجاهلية المشهورين قتله رجل من المسلمين يقال له ربيعة بن رفيع السلمى

« وقد اهتمت السيدة زبيدة بهذا العمل الجليل اهتماما كبيرا وأرسلت اليه العمال من جميع الاطراف فبنوا لهذا الماء مجرى عظيما وأوصلوا به مجرى آخر من وادى النعمان من الماء الذى ينزل فيه من جبال كرا التى تبعد عن عرفات شرقا الى الجنوب بنحو اثنى عشر كيلو مترا وسيروا اليه سبع قنوات أخرى من الجهات التى تسقط اليها السيول حتى تساعد ماء المجرى الاصلى الذى عند ما وصل الى جنوب منى تقرر له فى الصحراء

خزان كبير يصب فيه يسمى بئر زبيدة ومنه سيرت قناة الى مكة ومن هذا المجرى امتد فرعان واحد الى عرفات والآخر الى مسجد نمرة يسير الماء فيهما زمن الحج

« وفى نهاية القرن السابع الهجرى طم مجرى هذه العين وتهدمت قناتها وانقطع ماؤها عن المدينة ونال الناس من جراء ذلك جهد عظيم وذكر الفاكهى فى تاريخ مكة ان الامير جوبان نائب السلطنة بالعراق عن السلطان أبى سعيد بن خربنده لعله خدابنده ملك التتار اراد أن يعمل عملا نافعا فى أم القرى فطلب اليه أن يعمر عين زبيدة فأرسل رجلا من خاصته اسمه بازان لتعميرها فأتمها فى سنة ٧٢٦ وفيها جرت مياه العين الى سقايته التى بناها فى المسعى وسماها باسمه ويظهر ان هذا الاسم يتغلب على باقى السقايات التى بمكة حتى صار يطلق على كل واحدة منها اسم بازان الى الآن

« وما زالت هذه العين حياة لأهل البلد الحرام وحجاج بيت الله المعظم حتى أهمل شأنها وتهدم بنيانها وانقطعت مياهها مرة أخرى فيما بين سنتى ٩٣٠ و ٩٧٠ ونال الناس من ذلك أهوال ما كانت تخطر على البال حتى بلغ ثمن زق الماء (قربة صغيرة تسع ٣ لترات تقريبا) بعرفة فى غضون هذه المدة ليرة ذهبية .

وسبب اهمال هذه العين فى المدة المذكورة ان ملوك مصر هم الذين كانوا يعتنون بها ويقومون بعمارتها فى الغالب فلما تغيرت الاحوال ودخلت مصر مع أرض الحجاز سنة ٩٢٣ ضمن أملاك الدولة العثمانية التى كانت تشغل كل وقتها كثرة حروبها الخارجية أهملت الدولة ترتيبها لداخلية حكومتها خصوصا ما كان بعيدا عنها ولكن أهل الحرمين الشريفين قاموا فى سنة (٩٦٩) والتمسوا من السلطان سليمان اصلاح هذه العين وهناك رجته كريمته صاحبة السمو الملوكانى مهرماه سلطان أن يشرفها باجراء هذا العمل المبرور من مالها الخاص وعينت مديراً للقيام بهذه المهمة وسلمته الاموال اللازمة لها فسافر من وقته الى مكة وشكل مجلسا من أهل الرأى فيها وأمر بحفر القناة وتنظيف فروعها وبناء ما تهدم من مجراها . ولما وصل الاصلاح الى بئر زبيدة بنى أراد رحمه

الله ان يغير مجراها الى مكة فاضطر الى النزول على هذا الجبل الصحرى على مسافة نحو ٢٥ مترا من سطح الارض فى مسافة طولها أكثر من كيلو متر ثم سيرها فى حضن الجبل القبلى حتى أوصلها الى مكه سنة ٩٧٩

« وينقسم هذا المجرى من البياضية شرقى باب المعلى الى اربع شعب تتخلل المدينة من جهة الى أخرى ويبلغ عرض هذه القناة نحو متر وربع فى ارتفاع نحو متر ونصف وتقرب من سطح الارض وتبعد عنه على حسب ارتفاعها وانخفاضها ولها خزانات يملأ منها السقاؤن

« وفضل ماء زبيدة يسير الى المسفلة حتى يصب جنوب مكة فى بركة الماجن وهناك يستعمل فى سقى بعض البساتين والمزروعات التى لبعض الاشراف

« وكثيرا ما تعبث السيول بهذه القناة فتصلحها أمراء مكة بالاموال التى ترد اليها من الدولة أو من أصحاب الهمم والخيرات من المسلمين وآخر ما حصل لها من ذلك على أثر السيول التى وقعت فى سنتى ١٣٢٧ و١٣٢٨ فهدمت نقطا كثيرة منها وطم مجراها بما تحلف اليه من الرمال والاحجار فقام حضرة صاحب الدولة الشريف حسين باشا امير مكة وجمع الناس وأصلح ما أعتل منه وكان للجناب الخديوى أكبر فضل فى ذلك لانه بمجرد ما بلغ مسامعه خبر هذه الفاجعة التى أصيبت بها أم القرى أرسل بألفى جنيه مصرى لهذا العمل الجليل ووعد بغيره كما اقتضت الحال لمساعدته

« وهنا يجدر بنا ان نلاحظ على بلدية مكة ان الفتحات التى فى أعلى هذه العين من جهاتها المكشوفة فى مكة وفى أعلاها يستعملها الناس فى غسل ملابسهم وخلافها مما لا ينطبق على القوانين الصحية ولا تسمح به الشريعة الغراء الاسلامية وهل يسمحون لى أن أقول لهم ان ذلك ولا شك العلة الوحيدة لكثير من الامراض التى تتفشى فى مدينتهم وعليه فيجب أن تكون العناية بأمر هذه الفتحات كبيرة وأن يضرب على أيدى من يعبث بها أو سدها فى وجوههم بالمرة وهل فاتهم قول صاحب الشريعة السمحاء (النظافة من الايمان)

« وياحبذا لو يأمر دولة مولانا الشريف بوضع طلمبات على فوهات

بجرى عين زبيدة فى مكة ومنى وعرفة وعلى بئر زمزم وتكون هذه الطلمبات كبيرة بحيث تكفى لحاجة الحجاج من جهة ومن أخرى تجعل ماءها بعيداً عن التلوث بأنواع البكتريا التى تكثر منها الحميات فى الحجاج وتودى فى الغالب بحياة الكثير منهم

« وعندى نصيحة للذين من عادتهم العناية بأمر ماء الشرب ذلك انهم اذا أرادوا الحج أخذوا معهم مايكفيهم من المياه المعدنية أثناء الطريق أما مدة وجودهم فى مكة والمدينة فحسبهم اغلاء الماء المخصص لشربهم ، ولو أضافوا على كل لتر منه عشر نقط من محلول مركب من واحد فى الالف من برمنجانات البوتاسا لكان أحفظ لصحتهم . وهناك طريقة أخرى لتنقية الماء تنقية تامة وهى ان يؤخذ أقراص بجهزة تسمى أقراص (فيار وجورج) ذات ثلاثة ألوان الأول ازرق والثانى أحمر والثالث ابيض ، فيذاب اولا قرص ازرق ثم آخر أحمر فى لتر من الماء المراد تنقيته وهناك يتم اتحادها بهذا الماء فتموت جميع الجراثيم التى فيه فى مسافة عشر دقائق ثم يوضع فيه القرص الابيض فيتحد اليود الذى به ويعمل معه تركيبا عديم الطعم وبهذه الطريقة يكون الماء صالحا للشرب . واذا لم يكن لاهذا ولا ذاك فعليهم بفلتر سفرى يمتصون به الماء ولو فى الصحراء

« هذا وأرجو قبل قفل باب الكلام على مكة أن يسمح لى حضرة القارىء بكلمة أسوقها اليه ذلك انى زرت القدس الشريف فرأيت به لكل نوع من النصارى واليهود على أجناسهم ومذاهبهم من الاديرة والتكايا ومنازل الضيافة شيئا كثيرا جدا تمهدت فيها سبل الراحة والحياة للناس أجمعين فالفقير يجد فيها مكانا مجانا لمدة أسبوع على الاقل ، يرى نفسه فيه آكلا شاربا نائما ساكنا مخدوما مشكورا من غير مايتكلف لذلك قرشا واحدا ، والغنى يجد فيها راحته فى نظير أجر يدفعه يوميا لايزيد عن الاجر الذى يدفعه فى لوكاندة بسيطة . ومن الاغنياء من يتخذها مسكنا فقط ويتدار أكله بنفسه . وهذه الاماكن التى قامت بها شركات البر والاحسان والممالك المختلفة على اختلاف جنسياتها ومذاهبها كثيرة جداً .

وأكثرها لليهود ثم للروس ثم للاروام ثم للارمن ثم للانجليز والفرنساويين والالمان وقد أقام الالمان هناك أخيراً دارا للضيافة والصحة على جبل الزيتون صرفوا عليها أكثر من سبعين الف جنيه وهي دار رحبية فسيحة شامخة البنيان وطيدة الاركان وضع في مدخل سلمها تمثال امبراطور وامبراطورة الالمان. وافتتحت هذه الدار رسميا بحضور ولي عهد المملكة الالمانية البرنس ايتل في شهر ابريل سنة ١٩١٠ وعدا هذه الدور والاديرة والملاجيء ترى هناك لكل جنس من النصارى واليهود المستشفيات العظيمة المشيدة والمدارس الفاخرة بحيث تكاد ترى بجوار كل بيت من بيوت المدينة مدرسة هذه للالمان وتلك للانجليز وغيرها للروس وخلافها للفرنساويين وسواها لليهود، بل تجد لكل فرقة من هذه الامم مدارس مخصوصة للبنات والبنين على أحسن طراز جديد والتعلم فيها على أحسن بروجرام كافل لحياة المتعلمين اللهم ان هذه هي الحياة الصحيحة وهذا هو الوجود بكامل معانيه وهل لاخواننا المسلمين في جميع أقطار المسكونة ان يقوموا بعمل مثل هذا بمكة ينتفع به الفقراء من حجاج المسلمين ولهم من مساعدة الحكومة مايوصلهم الى هذه الغاية الجليلة التي تكون من ورائهم راحة حجاج بيت الله الكريم .الخ

(تاريخ مكة) يصعد تاريخ مكة الى سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله عليه ففي سنة ١٨٩٢ قبل المسيح أمره الله بالهجرة بولده اسماعيل وأمه هاجر (كما ورد في التوراة) فذهب بهما الى هذا الوادي الذي لم يسكنه أحد لعدم توفر الماء فيه اللهم الا أولئك العماليق الذين كانوا يسكنون غالبا في الوادي الواقع شماله ويقال له الحجون . وهم قوم نزحوا الى هذا المكان من جهة البحرين وكان ملكهم فيها يمتد الى شبه جزيرة سينا والبابليون يسمونهم (ماليق) فأضاف اليهم العبرانيون لفظة عم (يعني أمة) فصارت (عم ماليق) فحرفها العرب الى عماليق والمصريون يسمونهم الهكسوس أي الرعاة

« فلما عثرت هاجر على بئر زمزم التي أصبحت حياة جديدة لهذا الوادي نزلوا اليها وسألوها الاقامه معها على أن يكون الامر لها ولولدها فقبلت ذلك

وكانت قد ابتنت لها بيتا تأوى اليه مع اسماعيل وكان ابراهيم يتردد لزيارتها من فلسطين فأمره الله تعالى بتطهير هذا البيت وجعله مصلى للناس . قال تعالى : « واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » ثم امرهما ان يرفعا قواعد هذا البيت وهناك هدمه ابراهيم ورفع مع اسماعيل على قواعده الكعبة المكرمه . قال تعالى « واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » ثم امره الله بأن يؤذن فى الناس بالحج فقال تعالى: «وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » ومن ثم ابتدأت شهرة ذلك البيت المعظم فذاع فى القبائل المجاورة ومنه أتى لفظ مكة او مكاوهى كلمة بابليه سمته بها العماليق ومعناها (البيت)

«ورجع ابراهيم الى قومه وبقى اسماعيل فى خدمة البيت حتى مات فتولى خدمته من بعده بنوه الى أن داخلهم الضعف فتغلب العماليق عليهم وصار أمر البيت اليهم . وما زالت السلطه فى يدهم حتى وفدت جُرْهُم على مكة من طريق اليمن بعد قطع سد مأرب فى نحو منتصف القرن السادس قبل الميلاد عليهم مضاض ابن الحرث فزاحموهم وغلبوهم على أمرهم وصارت لهم الكلمة والسلطان فى مكة بل وفى الحجاز بأكمله . فلما كبر سلطانهم وعظمت شوكتهم عاثوا فى الارض فساداً فوقع فيهم وباء قال منهم فضعف أمرهم وتغلب عليهم بنو اسماعيل واستردوا امر البيت منهم وطردوهم من مكة فساروا الى ارض جهينة (شمالى ينبع) وفى ذلك يقول شيخهم عمرو بن الحارث

وكنا ولاة البيت من عهد نابت
نطوف بذاك البيت والامر ظاهر
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

«وما كادت تنحصر السلطة فى بنى

اسماعيل حتى أتت خزاعة وتغلبت عليهم ووليت أمر البيت من سدانة (خدمة البيت) وسقاية (سقيا الحجاج) زمنا طويلا بما كان لها من العصبية رغما عما كان فى بنى اسماعيل من الرقى الادبى والسمو النفسانى لانه كان كثيرا ما ينبغ فيهم رجال يبرهنون بحسن معرفتهم وكمال فضلهم على ذكاء اصلهم وكريم محتدهم مثل كعب بن لؤى الذى اشتهر ببلاغته وفصاحته وهو اول من جمع الناس فى يوم العروبة (يوم الجمعة) وكان يخطبهم فيه بما يرشدهم الى طريق الفضائل ويبعدهم عن ارتكاب الرذائل وقد اشتهر أثره بين العرب وعظم قدره حتى كانوا يؤرخون بعام موته الى عام الفيل وهو زمن لا يقل عن اربعمائة سنة

« وما زال أمر البيت فى يد خزاعة حتى رجع قصى بن كلاب من الشام وكان ذهب اليها مع أمه صغيراً وهو من أحفاد كعب والبطن الرابع والعشرون من اسماعيل فجمع قبائل قريش بما كان فيه من حسن السياسة والذكاء وقوة العارضة بعد ان كانت تفرقت وأخذت الشحناء تدب فيما بينهم وسعى بأصالة رأيه حتى اشترى من خزاعة حجابة البيت (الاستئثار بمفاتيح الكعبة) ثم أجلاهم بما وجده من العصبية الى بطن مر (وادى فاطمة) ومن ثم كبر شأنه ونبه امره وعظم سلطانه واجتمعت له السقاية والحجابة والرفادة واللواء (راية الحرب) ولم تجتمع فى رجل قبله . وقصى اول من اطعم الحاج وسقاه لانه ضيف الله وجاره ولذلك سارت الركبان بسيرته وتحدث الناس بنباهته، وكان له رأى سديد وفكر رشيد . وهو الذى بنى دار الندوة قرب البيت وجعل بابها اليه ليجتمع فيها مع قومه للبحث في شؤونهم والاقرار على ما يتم من امرهم فأصبح به ملك قريش عظيما وشأنهم جسيما حتى كان لهم بعد ذلك خراج على القبائل والعشائر يؤدونه اليهم ويتقربون به منهم وكان لقصى ولدان عبد الدار وعبدمناف وقد شرف الاخير على صغره وزاد فضله على اخيه الاكبر فأوصى ابوه لعبد الدار بما كان فى يده من السقاية والحجابة والرفادة واللواء والندوة حتى يتكافأ مع عبدمناف فى شرفه الذى وصل اليه بعقله وفضله

ولما مات قصي استولى عبد الدار

على ماأوصى له أبوه وانتقل ذلك الى بنيه من بعده حتى ظهر بنو عبد مناف عليهم ونازعوهم مافى ايديهم ، وكادت تدور رحى حرب بينهم وانتهى الأمر بتحكيم بعض القبائل فقسموا بينهم شرف هذه الامتيازات فكان لبنى عبد مناف السقاية والرفادة ، ولبنى عبد الدار الحجابة واللواء اللذان مازالا ينتقلان فيهم الى فتح مكة . وكانت مفاتيح الكعبة مع عثمان بن طلحة فأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما دخل البيت اراد أن يحجزها عنه فنزل قوله تعالى : « ان الله يأمركم ان تودوا الامانات الى أهلها » فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه قائلا : «هاكم خذوها خالدة تالدة » وبعد موت طلحة سلمها رسول الله الى أخيه شيبة فبقيت فى بنيه الى الآن

« ووصلت قريش فى الجاهلية الى مجد كبير وشرف عظيم انتهى شرفها الى عشر ابطن منها كانوا يقتسمون امتيازاتهم القومية من دينية وسياسية واجتماعية وتشريعية . وكانت هذه الامتيازات يتوارثها الابناء من الآباء وانتهى أمرها قبل الاسلام الى من سنذكرهم وكان العباس بن عبد المطلب (من هاشم) يسقى الحجيج واستمر ذلك فى الاسلام وكان ابو سفيان بن حرب (من بنى أمية) عنده العقاب وهى راية حربهم لايخرجها الا اذا حمي وطيسها فيسلمها الى من يجمعون عليه الرأى لحملها . وكان للحرث بن عامر (من بنى نوفل) الرفادة وهى ماكانوا يخرجونه من اموالهم لاعانة المنقطع من الحاج . وكان لعثمان ابن طلحة (من بنى عبد الدار) السدانة والحجابة واللواء والندوة . وكان لزيد ابن زمعة بن الاسود من بنى أسد المشهورة فى الامور الهامة . وكان لابى بكر الصديق (من تيم) الديات والمغارم ويقال لها الاشناق وكانوا يمضون على على حكمه فيها . وكان خالد بن الوليد (من بنى مخزوم) على خيل قريش وكانت له القبة وهى ما كانوا يجمعون فيه سلاحهم وذخيرة حربهم . وكان لعمر ابن الخطاب (من بنى عدى) السفارة فيما كان يقع بينهم وبين غيرهم من العرب فيمضى عنهم ما يراه من مصلحتهم . وكان لصفوان بن أمية (من جُمح)

الايسار وهى الازلام (وهى أقداح ثلاثة كانت للعرب بالكعبة مكتوب على الاول امرنى ربى وعلى الثانى نهانى ربى والثالث ليس عليه شىء . وكانت العرب اذا أرادت أن تمضى فى أى أمر من امورهم ذهبوا الى الكعبة واستقسموا بالازلام فيقترع لهم صاحبها فيمضون على ماقسم لهم منها وكان للحرث بن قيس (من بنى سهم) الحكومة والاموال التى يقدمونها لاصنامهم

«اما بنو هاشم فقد علا امرهم وعظم شأنهم خصوصا فى مدة عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم الذى كبر سلطانه بعد وقعة الفيل وذاعت شهرته وهابته القبائل وقصدته العرب من جميع جهات الجزيرة . ولما ظهرت نبوة سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وتجلى الاسلام بمظهره المنيع وتقدم بتقدمه السريع كمل لبنى عبدمناف فضلهم وتم بهذا الشرف سعودهم

(حكم الاشراف بمكة) من اكبر الحوادث التاريخية هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفتحه لها بعد ثمان سنين من الهجرة حتى صارت مكة تابعة له ولخلفائه من بعده

« وكانت حكومة الاسلام فى مدته عليه الصلاة والسلام ديموقراطية « شورية » على حسب الشريعة الغراء وكذلك فى عهد خلفائه الراشدين حتى انقضت الخلافة الى مظاهر الملك فشابها شىء من الاستبداد

وكانت حكومة الحرمين تتبع فى جميع أدوار حياتها مركز الخلافة الاسلامية وأول من تولى امارة مكة من عهد النبى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضى الله عنه ولاه عليها رسول الله بعد الفتح عند خروجه لوقعة حنين فى الثلث الاول من سنة ٨ للهجرة وانتقلت الخلافة بعد الخلفاء الراشدين الى الامويين فى سنة ٤٠ وفى إبانها استولى عبد الله بن الزبير على مكة بضع سنين حتى استردها منه الحجاج بن يوسف الثقفى الى الامويين سنة ٧٣ وفى سنة ١٣٢ انقلبت الخلافة الى العباسيين ومازالت فى أيديهم الى سنة ٦٥٦ وتولى أمر مكة فى هذه المدة نحو مائة امير من اشراف وغير أشراف وفى هذه السنة انتقل حكمها الى الفاطميين وفيها دخلها جوهر القائد

ثم دخلها مولاه المعز لدين الله العبيدى ومن ثم كانت البلاد الاسلامية من بغداد الى حلب الى البصرة يخطب فيها للخليفة العباسى ومن حلب الى الحرمين وسائر بلاد العرب يخطب فيها للعبديين والسبب فى ذلك أن جعفر بن محمد بن الحسن الثائر بن موسى الثائر بن عبد الله أبن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على أمير المؤمنين كرم الله وجهه تغلب على مكة فى السنة المذكورة وخاف من العباسيين فدعا للمعز لدين الله العبيدى صاحب مصر فكتب له المعز بولاية مكة وبه ابتدأت حكومة الاشراف عليها

« واستمرت فى بنيه من بعده الى سنة ٤٥٥ حيث وليها حفيد أخيه هاشم وهو محمد بن جعفر بن عبد الله بن هاشم وتولى أمرها بنوه الى سنة ٥٩٧ ويقال لهم المواشم وكان حكمهم جوراً وظلماً حتى أن آخرهم الشريف مكثر بن عيسى ضرب ضريبة على حجاج بيت الله الحرام مقدارها سبعة دنانير كان يتقاضاها فى عيذاب أو فى جدة على كل شخص يمد الى مكة عن طريق مصر فاستغاث الناس بصلاح الدين الايوبى فاتفق مع مكثر على الغائها ورتب له بدلها فى كل سنة ثمانية آلاف أردب قمح ومن هذا الوقت ابتدأ الخطباء فى مكة يدعون لصلاح الدين عقب دعائهم للخليفة العباسى ولأمير مكة

« واستولى على مكة بعد مكثر الشريف قتادة سنة ٥٩٧ وهو الحلقة السابعة من أحفاد الشريف عبد الله أخى الشريف جعفر بن محمد بن الحسن الثائر وكان قتادة من أهل النخوة والشجاعة والهمة العلية واتسع ملكه من اليمن الى المدينة الا أن أهل اليمن تغلبوا على مكة فى مدة ولده حسن لسوء سلوكه ومازالت فى أيديهم الى سنة ٦٣٠ وبعدها تغلب الشريف راجح بن قتادة عليها وصارت الامارة بعده كالكرة يتلقفها القوى من بنيه أو بنى اخوته . وكانت حكومتها تتبع ملوك مصر تارة وملوك اليمن أخرى لاشتغال ملوك مصر عنها بالحروب الصليبية خصوصاً بعد موت الملك الكامل الذى كان يدعى له فى خطبة الحرمين هكذا : «صاحب مكة وعبيدها، واليمن وزبيدها، ومصر وصعيدها ، والشام وصناديدها ،

والجزيرة ووليدها ، سلطان القبيلتين ورب العلامتين ، وخادم الحرمين الشريفين المحترمين ، الملك الكامل خليل أمير المؤمنين » وأول من استقل من ملوك اليمن لذلك العهد نور الدين بن عمر بن على بن رسول ، وكان عاملا عليها للملك الكامل صاحب مصر ولقب نفسه الملك المنصور ، ومازالت حكومة مكة فى هذا الارتباك والاختباط حتى آل أمرها الى الشريف أبى نمى بن حسن بن على بن قتادة سنة ٦٦٧ فـ[illegible] اب لبيبرس ملك مصر فأقره عليها وحج من سنته ومازال ابو نمى حتى وقعت له مع العسكر المصرى حروب ألجأته الى التنازل عن الامارة سنة ٧٠١ الى ولديه حميضة ورميثة فغلبهما عليها أخوهم ابو الليث بن ابى نمى وفى مدته حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ واستمر بها حتى غلبه على الامارة أخوه حيضة سنة ٧١٤ وقتله ودعا أخوته الى وليمة عنده وقدمه اليهم مصلوقا وعلى رأس كل واحد منهم عبد شاهراً سيفه ومازال حتى تغلب عليه رميثة سنة ٧١٨ فهرب ومات فى هربه وفى سنة ٧١٩ حضر الى مكة جيش مصرى وقبض على رميثه وأتى به الى ملك مصر الملك الناصر بعد ان ولى مكانه الشريف عطيفة بن أبى نمى . وفى سنة ٧٢٢ اطلق الملك الناصر رميثة وأشركه مع أخيه فى ولاية مكة وذهب عطيفة الى مصر ومات بها سنة ٧٤٣ وانفرد رميثة بالامارة حتى جعلها الملك الكامل شعبان ملك مصر لولده الشريف عجلان ابن رميثة سنة ٧٤٦ وعزل عنها السلطان حسن بن محمد الناصر سنة ٧٦٠ الا انه رجع اليها بأمر من الملك المنصور محمد وما ازال بها حتى مات سنة ٧٦٦ وتولى بعده الشريف أحمد بن عجلان وفى مدته صدر أمر الملك المنصور بلغو المكس الذى كان يؤخذ على الأشياء التى كانت تدخل الى مكة وعرض أميرها عنه مائة وستين الف درهم والف أردب قمح وامر فنقش ذلك على باب الصفا واستمرت الامارة فى بنيه حتى صدر أمر سلطان مصر ان يكون الشريف حسن بن عجلان نائبا عنه فى ولاية الحجاز وابنه الشريف بركات أميراً على مكة . وكان بركات عالما فاضلا محدثا وقد استدعاه الملك برسباى الى مصر فوفد اليها معظما مكرما وأخذ عنه كثيراً

من علمائها ثم رجع الى مكة ومات بها سنة ٨٥٩ وتولى مكانه الشريف محمد بن بركات وكان رضى الله عنه على أحسن مايكون من العدالة والانصاف وحسن السيرة والرفق بالناس . وقد سافر الى مصر سنة ٨٧٧ مدة السلطان قايتباى فاستقبل بما يليق به من صنوف الاعظام والاجلال ثم رجع اليه معززا مكرما وفى مدته حج السلطان قايتباى سنة ٨٨٤ وشيد فيها لصق الحرم من الجهة الشرقية مدرسته التى تغلب عليها ذو غالب ولا تزال فى أيديهم الى اليوم

« وما زال محمد بن بركات على امارة مكة وولاية الحجاز حتى مات سنة ٩٠٣ وتولى بعده ابنه الشريف بركات وما زالت الامارة تنتقل من يده الى يد اخوته حتى استقل بها فى سنة ٩١٠ وفى سنة ٩١٨ أرسل اليه السلطان الغورى يدعوه الى مصر فاعتذر وأرسل بالنيابة عنه ابنه الشريف أبا نمى وعمره ثمان سنين فأكرمه السلطان كل الاكرام ورده الى أبيه معززاً وأشركه معه فى أمر مكة والاقطار الحجازية

« ولما استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣ أقرهما على مكة وسار للقياه الشريف أبو نمى بمصر فأكرم مثواه وأرسل معه أمراً بقتل حسين أغا الكردى الذى كان على جدة من قبل الغورى فلما وصل الى جدة قبض على الاغا وأغرقه وولى غيره مكانه ومن هذا الوقت صارت بلاد الحجاز واليمن تابعة للدولة العثمانية

« وكان الشريف أبو نمى من خيرة الاشراف عقلا وحلما وعلما وفضلا وادارة ودراية ، واليه ينتهى نسب أشراف بنى حسن (الذين يحكمون الآن) وبنى زيد وبنى بركات (الذين كان لهم الحكم قبل محمد بن عون) وبنى ثقبة (وهم متفرقون فى بلاد العرب) وفى سنة ٩٢٢ مات أبو نمى وتولى بعده الشريف حسن وكان عالما فاضلا كاملا أديبا سار فى ادارة بلاده على سنة الاشراف الحسنيين الذين منهم محمد بن عون جد العائلة الحاكمة الآن

« وهو الذى بنى دار السعادة بمكة سنة ٩٦٧ فكانت محل أمارته وأمارة خلفائه زمنا طويلا ومما جاء فى وصفها وتاريخ بنائها قول بعضهم:

ان بيتا بناه خير مليك
أسس الملك كفه وأشاده
فاق فى وصفه وحسن بناه
كل قصر لاهل العلى والسيادة
جاء تاريخ وصفه فى نصيف
أنابيت الملوك دار السعادة

« ومازال الشريف حسن قائما بأمر ولاية الحجاز حتى مات سنة ١٠١٠ وأخذت الشرافة تنتقل فى بنيه وبنى اخوته حتى تولاها الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبى نمى سنة ١٠٤٣ وكان ذا همة عالية وشجاعة تامة وادارة حسنة ومازال قائما بولايتها خير قيام حتى مات سنة ١٠٧٧ وتولى بعده ولده الشريف سعد ولكنه خرج من مكة مقهورا وخرج بعيدا عنها احدى وعشرين سنة تولى أمرها فيها الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن أبى نمى ومات سنة ١٠٩٤ وأعقبه عليها ولده الشريف سعيد بن بركات فغلبه عليها الشريف سعيد بن سعد بن زيد ثم عزل عنها وأعقبه الشريف عبدالله بن هاشم ثم أحمد بن غالب الذى مات سنة ١١١٣ فرجع الى الامارة الشريف سعد بن زيد وأخذ يتناوب الولاية هو وولده الشريف سعيد جملة مرات ومات الشريف سعد بعيدا عن مكة بالعابدية سنة ١١١٦ وبقيت الولاية فى يد ابنه الشريف سعيد حتى مات سنة ١١٢٩ وكان جليل القدر عظيم الفضل بعيد الآمال شجاعا مهيبا وأخذت الامارة بعده يتداولها بنوه وبنو اخوته حتى غلبهم عليها الشريف يحى بن بركات ثم ابنه الشريف بركات بن يحيى فيما بين سنتى ١١٣٤و١١٣٦ ثم رجعت الى بنى سعيد ومازالت فيهم حتى تولاها حفيده الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد فى سنة ١١٨٦ وهو مشهور بعلو الهمة وجلائل الصفات والشجاعة الفائقة . وحارب عرب الشروق وقبائل حرب وانتصر عليهم جملة مرات وانقادت اليه جميع بلاد الحجاز وامتد سلطانه على جهات كثيرة من بلاد العرب وما زال فى الامارة حتى مات سنة ١٢٠٢ وتولى بعده الشريف عبد المعين بن مساعد الى أن تنازل عنها بعد أيام قليلة الى أخيه الشريف غالب وفى مدته استفحل أمر الوهابية ووقعت بينه وبينهم حروب كثيرة

كادت الغلبة تكون فيها لهم لولا ان الدولة العثمانية كلفت محمد على باشا والى مصر بكبح جماحهم فأرسل اليهم جيوشا مصرية على رأسها ولده طوسون ثم ولده ابراهيم الذى فرق جموعهم واستولى على بلادهم بعد أن أخذ رئيسهم عبد الله بن سعود أسيرا وأرسله الى والده بمصر وفى سنة ١٢٢٨ جاء محمد على الى بلاد الحجاز فاستقبله الشريف غالب من جدة وسار فى خدمته الى مكة وكان كل منهما على خوف من صاحبه وانتهى الامر بأن قبض محمد على على الشريف وبنيه وأرسلهم الى مصر عن طريق القصير فوصل القاهرة فى ١٧ محرم سنة ١٢٢٩ وقوبل فيها بالاحترام اللائق وبقى فيها الى ١٩ شعبان حيث سافر مع أولاده حسب الارادة السلطانية الى سلانيك وأقام بها الى أن توفاه الله سنة ١٢٣١ وفيها عادت اولاده الى مكة بمقتضى أمر سلطانى

« وكانت مدة امارة الشريف غالب على مكة ٢٧ سنة قضاها كلها فى حروب الوهابية وكان رحمه الله عالى الهمة كبير الشهامة ، كثير الدهاء . ولما نفي الى مصر وولى محمد علي مكانه الشريف يحيى بن سرور فى أواخر ذى القعدة سنة ١٨٣٨ ومن هذا الحين صارت بلاد الحجاز تابعة لمصر

« وكان على أعمال العرب الشريف شنبر من جهة محمد على فنمت بينهما الضغائن فقتل يحيى شنبراً أمام باب الصفا وهرب الى بدر . وتولى على مكة الشريف عبد المطلب بن غالب بأمر من احمد باشا يكن ولكن محمد على باشا أصدر أمره بتعيين الشريف محمد بن عون وكان اذ ذاك نزيلا عليه بمصر وكان سبق له ان تولى امارة تربة وعسير من قبله فسار الشريف عبد المطلب الى الطائف وجمع جموعاً من العرب وحارب بها احمد باشا ولكنه انهزم وطلب الامان من الشريف محمد بن عون فأمنه هو والشريف يحيى وأرسلهما الى مصر بناء على أمر محمد على ومعهما عبد الله بن فهد وآخرون ولما وصلوا اليها وأكرمهم محمد على كل الاكرام وبعد سنة أعادهم الى مكة الا الشريف يحيى فانه استبقاه ومات بمصر سنة ١٢٥٤ وبعد ذلك وقع نفور بين احمد باشا يكن والشريف محمد فاستحضرهما محمد على ثم

أعاد احمد باشا الى مكة وحجز الشريف محمد بن عون بمصر وبقى فيها حتى خرجت ولاية الحجاز من قبضة محمد على سنة ١٢٥٦ زمن السلطان عبد المجيد وصدرت الاوامر السلطانية بتولية ابن عون امارة مكة ، وكان رحمه الله عاقلا ذا دهاء وهيبه وذكاء ميمون الطالع عالما يحب العلم والعلماء ومكث زمنا طويلا وهو يدير أمر الحجاز بحسن درايته وادارته وفى سنة ١٢٦٣ سار الى نجد لاخماد فتنة فيصل ابن تركى أمير الرياض وتم أمرها بالصلح بعد أن قرر على فيصل خراجا للدولة عشرة آلاف ريال كل سنة واستمر فى ولاية مكة الى أن توفى فى ١٣ شعبان سنة ١٢٧٤ وتعين بعده ولده الشريف عبد الله باشا كامل وهو أول شريف منح رتبة الوزارة ولقب باشا وكان تربى فى الآستانة وتعلم فيها العلوم الشرعية والتفسير والحديث وفنون الادب فوصل جدة بعد أن انجلى عنها مراكب الانجليز سنة ١٢٧٥ وهناك قابله المندوبون البريطانيون وطلبوا منه أن يساعدهم فى وصولهم الى مكة فاعتذر عن احتمال هذه المسئولية ثم قال لهم وماذا تريدون من بلد لازرع فيه ولا نبات ولا ماء وربما نالكم منه مرض يذهب بحياتكم لعدم اعتيادكم على مثل هوائه فى حين انكم فى غنى عنه فاقتنعوا بجوابه وعادوا الى بلادهم وسار هو الى مكة وفى سنة ١٢٧٧ ذهب الى المدينة لاستقبال سعيد باشا والى مصر ورجع معه الى القاهرة ثم عاد الى مكة بعد ان صادف من الاجلال وكمال الاعظام ما يليق بمقامه واستمر فى الامارة الى أن توفى فى ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤ وتعين أخوه الشريف حسن باشا مكانه فقدم اليها من الآستانة وكان على جانب عظيم من التقوى والصلاح والزهد والورع ووداعة الاخلاق واستمر حكمه الى سنة ١٢٩٠ حيث قتل أثناء دخوله جدة وكان ذهب اليها فى موكب حافل فتقدم اليه رجل أفغانى كأنه يريد تقبيل يده وطعنه فى خاصرته فتوفى بعد يومين مأسوفا عليه من عموم أهل الحجاز ونقل الى مكة رضى الله عنه وأهلها يلقبونه بالشهيد وتولى بعده الشريف عبد المطلب للمرة الثالثة ولكنه عزل عنها سنة ١٢٩٩ لكثرة الشقاق الذى كان بينه وبين الاشراف وتعين

عون الرفيق محمد بن عون فأخذ فى تمكين قدمه فى مركز الشرافة وعم نفوذه على العرب والمأمورين من الاتراك حتى كانت الولاة كأنهم من المأمورين عنده الا فى زمن ولاية عثمان نورى باشا الاولى فانه ضرب على يديه ولكنه نقل من ولاية الحجاز بسعى عون الرفيق ومؤازرته فى الآستانة ومن وقتها خلاله الجو فكان يعطى ويحرم ويسعد ويشقى ويمنع وينعم وقد كان ينزع الى مذهب الوهابية او مايقرب منه فهدم كثيرا من قباب المزارات وخصوصا فى المعلاة ومن ذلك قبة سيدنا عبد الله بن الزبير بل وصل به الحال ان أمر بهدم قبتى السيدة آمنة والسيدة خديجة الا أنه ماعتم ان استرجع امره وكذلك أمر فأزيلت تلك الرحى التى كانت فى مولد السيدة فاطمة (دار خديجة) رضى الله عنها وكانوا يزعمون أنها هى التى كانت تطحن عليها فى حياتها وأمر أيضا بتوسيع باب غار حراء فى جبل ثور وهو الذى خيم على بابه العنكبوت بعد مأوى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رفيقه أبى [illegible]

المدينة وكان بابه لايسع الا نفرا واحدا يدخل منه زاحفا على بطنه وكان الناس يزعمون أن لايدخله الا السعيد وأما الشقى فلا فأراد بتوسيع هذا الباب ازالة هذا الوهم الفاسد الا أنه لم يكن له على كل حال ان يغير شكل أثر طبيعى مثل هذا من أجل الآثار ومن الاشياء التى كان الانسان يقدر فيها تلك المعجزة التى خدمت الطبيعة فيها أشرف مخلوق حتى حيل بينه وبين أعدائه . وقد كان يميل رحمه الله الى الرفه بكل أنواعه فكان عنده على الدوام المطربون بالآلات والفراجية (الطبالون) والضاربون بالنوبة وجملة مايقال فى معاملته للناس انه كان نهابا وهابا واستقدم اوتوموبيلا من اوربا كان يركبه فى طريق الطائف ولكنه مات بموته وأنشأ بستانا جميلا شمال جرول (بمكة) وهو المكان الذى يختم عنده المحمل المصرى وجلب اليه أشجارا كثيرة من مصر والهند والشام وغيرها وساق اليه الماء من عين زبيدة ويقال انه كان فى مدته جنة من الجنات لم يسبق له نظير [illegible]

المياه فقد جفت أشجاره وذبلت ازهاره وأصبح كقطعة من غاية فى الصحراء تنعق فيها الغربان وتزعق فيها العقبان ، سبحان مغير الاحوال بيده الملك وهو على كل شىء قدير

«ومات الشريف عون بالطائف يوم الاثنين ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ واختلف الناس فى أسباب موته ؟؟ وكانت الشرافة بعده لاخيه الشريف عبد الاله باشا الذى كان يقيم فى الآستانة ، ولكن صدرت الارادة السلطانية بسعي راتب باشا والى الحجاز بتوجيه الامارة الى الشريف على باشا بن عبد الله بن محمد بن عون الذى كان قائماً مقاما للشريف فى مكة ، ومازال على غاية الوئام والاتحاد مع راتب باشا حتى حصلت حركة الآستانة وقام الدستور مقام الاستبداد وعزل راتب باشا لجوره وظلمه وخرج مدحورا الى الآستانة ومنها منفيا الى رودس بعد أن صودر فى جميع أمواله. أما الشريف على باشا فانه ظل بالطائف متظاهرا بمشايعة الحكومة الدستورية الجديدة وفى يوم الخميس ١٨ شوال سنة ١٣٢٧ حدثت فتنة بين بعض أهالى مكة والعساكر العثمانية قتل فيها من الطرفين نحو عشرين رجلا ، وقيل أنها كانت بايعاز الشريف على باشا . وفى اليوم الثانى شاع فى مكة عزل الشريف على وتعيين الشريف عبد الاله باشا الذى كان مقيما بالآستانة ، ثم جاء الخبر بوفاته وتولية الشريف حسين باشا بن على بن محمد بن عون وكان مقيما فى الآستانة منذ سبع وعشرين سنة . فلما حضر الى مكة قام الشريف على منها بعائلته قاصداً الآستانة ولما وصل الى السويس نزل الى مصر ولا زال بها الى الآن أما الشريف حسين فانه قام بالامر حق قيام بهمة لاتعرف الملل ، وضرب على أيدى قبائل العرب الذين كانوا يتحفزون للخروج على الدولة . فكان حفظه الله يرسل بعسكره مع نجله هذا الى هذا فى حين مايرسل بنجل آخر مع فرقة اخرى الى غيرها وهكذا حتى هدأت البلاد وضرب الامن بجرانه فى جميع أطراف الحجاز . ومما يذكر له بالثناء الجميل أنه أمر بجعل اجرة الجمل من مكه الى المدينة الى ينبع اربعة وعشرين ريالا مجيديا بعد ان كان اكثر من سبعين ريالا فى

مدة سلفه. »

الى هنا انتهى ما نقلناه من كتاب رحلة محمد بك البتانونى ونزيد عليه انه لما نشبت الحرب العامة ودخلت الدولة العثمانية فيها انتهز الشريف حسين هذه الفرصة وأعلن استقلال الحجاز ولقب بملك الحجاز واعترف له بذلك جميع دول الحلفاء

(الحرم المكى) نقلنا المعلومات السابقة عن مكة وحكم الاشراف فيها عن رحلة الفاضل محمد لبيب بك البتنونى وننقل منه أيضا ماذكره عن الحرم المكى فهو أوثق مصادر العلم فى هذا الباب لانه شاهده بنفسه ووصفه وصفا دقيقا قال:

«كان الحرم المكى فى مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم على حدود المطاف الآن وهى حدوده القديمة من عهد ابراهيم عليه السلام. فلما كثر سواد المسلمين زاد فيه عمر وعثمان شيئا مما اشترياه من الدور التى كانت حوله وزاد فيه عبد الله بن الزبير عند ما بنى الكعبة وأقام ما كان تهدم منه. وكذلك زاد فيه الوليد بن عبد الملك وعمره عمارة تذكر فتشكر وهو أول من نقل اليه أساطين الرخام. واهتمام الوليد بالعمارات لاينكر يعرفه من شاهد قبة الصخرة بالقدس الشريف ورأى ما بقى فيها من آثار الموزاييك الذهبية وغيرها من أعمال القيشانى التى تدهش العقل ويحار فيها الفكر ويوجد فى المسجد الاموى بدمشق الى الآن شىء من أثر عمارته لم تصل اليه يد الحريق وبه أعمال موازييك ذهبية بديعة جدا على حائطى الصحن الجنوبى والغربى

« ولما حج الخليفة محمد المهدى سنة (١٦٠) ورأى ان البيت ليس في وسط المسجد فاشترى كثيرا من البيوت خصوصا فى الجهة الشرقية القبلية وزادها فى المسجد وأدخل اليه كثير من الازورارات التى كانت فيه وكانت فى ملكية الغير ثم أتى من بعده ابنه الهادى فأكمل ما نقص فى مدة والده

«وكانت دار الندوة عامرة بالحرم تجاه الكعبة من الجهة الشمالية الغربية وكان ينزل بها الخلفاء والامراء فى حجهم فى صدر الاسلام ولكنها أهمل أمرها فى منتصف القرن الثالث الهجرى فأخذ يهدم بناؤها فكتب فى ذلك الى الخليفة المعتضد العباسى فأمر بها فهدمت فى سنة احدى وثمانين ومائتين وجعلت مسجدا

وفيها قبلة الى الكعبة ثم جعلوا قبة عالية ثم غير شكلها فيما بعد الى شكل آخر واستمر يصلى فيها الامام الحنفى الى ان اتى الامير كلدى امير مكة فى سنة ٩٥٧ فهدمها وبنى المقام مربعا ذا طبقتين الاولى للامام والمصلين والثانية للمؤذنين والمبلغين وهو على هذا الشكل الى الآن

وفي سنة ٨٠٢ احترق الرواق الشرقى فأمر الملك الناصر فرج بن برقوق ملك مصر بتعمير ماخرب منه ووضع بدل الاعمدة الرخام التى احترقت أعمدة من الحجر الشمسى ومن ثم كانت تقوم بعمارة الحرم ملوك مصر وحسبك العمارة التى قام بها السلطان قايتباى فى سنة ٨٨٦

«وفى سنة ٩٧٩ مال الرواق الشرقى من الحرم ميلا محسوسا فأمر السلطان سليم الثانى بأن يرسل المعماريون والمهندسون والصناع من جميع الاصقاع لعمارته فأنزلوا سقفه جميعه وأساطينه كلها وهدموا محيطه وبنوه على التربيع الحالى وأقاموا أعمدة الرخام بين أساطين حجرية متناسبة الوضع وبنوا عليها قبابا بدل السقوف التى كانت تطحنها يد الرطوبة المتخلفة من الامطار مع ما كان يكثر فيها من الحيوانات التى اشتهرت بعداوتها للاخشاب كالارضة والسوس وغيرهما من الحشرات المضرة وفى أثناء هذه العمارات مات السلطان وكان الذى انتهى منها الجانب الشرقى والشمالى فقط أعنى من باب العمرة . ولما تولى السلطان مراد خان أمر بتتميم العمارة على الوجه الذى كان قد أمر به والده فتمت على أحسن حال بالشكل الذى نراه الآن وليس لمن بعده من السلاطين بهذا الحرم الا عمارات ترميمية أو تكميلية

«وفى هذه العمارة نزل العمال بأرضية الشارع الموصل الى المسفلة بحيث صار يصرف ماعساه يدخل الى الحرم من مياه السيول التى كثيرا ما كانت سببا فى نقض اركانه وهدم بنيانه . وكانت الزيادات التى تتخلف من الدور التى دخلت فى تربيع الحرم الشريف فى كل عماراته يبنى بعضها مدارس وبعضها أروقه يسكن فيها فقراء طلبة العلم فى المسجد وكان لها أوقاف جمة ولكن كثيرا ماتغيرت اوقافها واستبدلت بغيرها او خرجت من يد واقف الى يد غيره أقوى منه ومن ذلك مدرسة قايتباى التى

لا تزال للآن على يسار الداخل من باب السلام فانها بعد ان كانت مدرسة تدرس فيها علوم الدين ولها أوقاف بمصر تصرف غلاتها عليها ضعفت أوقافها شيئا فشيئاً فنقلوها من علم الى دار ضيافة كان ينزل اليها أمراء الحج المصرى ثم صار يسكنها بعض أشراف ذوى غالب وهى فى أيديهم الى الآن ولا يزال المحملان المصرى والشامى يوضعان فى ايام وجودها بمكة لصق حائطها الذى من داخل الحرم وبجوارهما من الخدم مايقوم بحراستهما وعلى يمين باب السلام مدرسة يقال لها المدرسة السليمانية بها كتبخانة تقدم الكلام عليها فى مكة

« والحرم من داخله على شكل مربع (منتظم تقريبا) وفى وسطه بميل الى الزاوية الجنوبية الكعبة المكرمة وطول ضلع الحرم المقابل للحطيم وهو الذى فيه باب الزيادة مائة وأربعة وستون متراً وطول الذى يقابله وهو الذى فيه باب الصفا مائة وستة وستون متراً وضلعه الذى فيه باب السلام مائة متر وثمانية والذى يقابله وهو الذى فيه باب ابراهيم مائة وتسعة أمتار فيكون مسطحه من الداخل سبعة عشر الف وتسعمائة واثنين من الامتار المربعة وهو ما يزيد عن أربعة أفدنة وربع . أما من الخارج فمتوسط طوله مائة واثنان وتسعون متراً وعرضه مائة واثنان وثلاثون متراً (وهذا حسب تحقيق المرحوم محمد صادق باشا أمير الحاج المصرى) ويحيط بالحرم من داخله أربعة أروقة فيها ثلاث مائة واحد عشر عموداً يتخللها مائتان وأربع وأربعون اسطوانة من الحجر الشميسى الاحمر تقوم عليها قباب على محيط المسجد وعلى بعض هذه العمد كتابة محفورة فيها تدل على ما كان لبعض الملوك من العمارة لمسجد أو من الاعمال التى فيها نفع للمسلمين كابطال المكوس ونحو ذلك ومن هذه الاعمدة عمود بقرب باب الحزورة لا يزال منقوشا عليه عهد كتبه الاشرف شعبان

« وأبواب الحرم ثمانية فى الجهة الشمالية : وهى باب الذريبة ، وباب المدرسة وباب المحكمة ، وباب الزيادة وبجواره الى الغرب باب القطبى ، وباب الباسطية ، وباب الزمامية . ثم باب عمرو ابن العاص . ويليه من الجانب الغربى أولهما باب العمرة ، وباب ابراهيم ، ثم

باب الحزور . ويليه من الجهة الجنوبية سبعة أبواب : أولها باب أم هانى وباب العجلة ، (ويسمونه باب التكية) ، وباب الرحمة (أو المجاهدية) ، باب أجياد (أو السنبلة) وباب الصفا ، وباب بنى مخزوم ثم باب بازان : ويلى ذلك من الجهة الشرقية أربعة أبواب : وهى باب بنى هاشم (أو باب على) وباب العباس (أو باب الجنائز) وباب النبى ، وباب السلام وهو الذى يدخل منه الى الحرم عند طواف القدوم ومجموع هذه الابواب اثنا وعشرون بابا ، ولكن منها ماله مدخل واحد ومنها ماله مدخلان أو ثلاثة أو خمسة فيكون مجموعها تسعة وثلاثون مدخلا

وفى رحبة ابراهيم تجد آلافا من فقراء حجاج الدكارنة الهنود والمغاربة وفيهم كثير من المقعدين الذين لا يقدرون على الحركة فيمضون هناك أيامهم عائشين من حسنة أرباب الخير وربما كان منهم بالمسجد ما تلجئهم الضرورة اليه مما لا يصح التوسع فى شرحه ! ! وهذا أمر لا يليق بكرامة حرم الله ! فهل لحكومة الحجاز أن تفكر فى أمر هؤلاء البؤساء وتقيم لهم دار ضيافة يأوون اليها ولو فى مدة الموسم ! وعسى أن ديوان الاوقاف بمصر أو الاستانة يتدارك ما أهملته حكومة الحجاز فيكون له الثواب الجزيل

« وفى المسجد ست منارات : الاولى منارة باب العمرة وهى من أعمال الخليفة المنصور العباسى فى عمارته للمسجد سنة مائة وثلاثين ، ومنارة باب السلام ، ومنارة باب على ، ومنارة الحزورة وهى من أعمال المهدى العباسى فى عمارته للمسجد سنة مائة وثمانى وستين ، ومنارة باب الزيادة وهى من أعمال المعتضد العباسى سنة مائتين وأربع وثمانين ، ومنارة السلطان قايتباى . وقد حصلت فى جميعها ترميمات وزيادات فى مدة العمارة التى قام بها السلطان سليم الثانى فى المسجد ، وكلها باقية للآن يؤذن عليها فى الاوقات الخمس . وشيخ المؤذنين أو الميقاتى يؤذن على قبة زمزم ، وفيها مزولة مثبتة فى حائطها الجنوبى ، من عمل رجل من مراكش اهداها الى الحرم ، وهى غاية فى الضبط والاحكام وعليها ميقاتيهم فى النهار . فاذا دخل الوقت بدأ الرئيس بالاذان فيتبعه المؤذنون الذين على

للمنارات بأصوات يحركها الهواء على طبلة الاذن فتحدث لها اهتزازات فى القلب يمتلىء منها خشية ورهبة وخشوعا وخضوعا

« وعلى حدود المطاف تلقاء كل ضلع من أضلاع البيت، سقيفة قامت على اعمدة من الرخام . فالشمالية منها مصلى الامام الحنفى ، والغربية للامام المالكى ، والجنوبية للامام الحنبلى ، اما الامام الشافعى فيصلى فى مقام ابراهيم او فى المطاف مما يلى الكعبة مباشرة جاعلا بابها على يساره ، والحنفى يبتدىء بالصلاة فى جميع الاوقات ثم يتلوه المالكى ثم الشافعى ثم الحنبلى ، الا صلاة الصبح فيبدأ بها الشافعى ويتأخر بها عنهم الحنفى . ومما يلاحظ فى الحرم ان اهل كل جهة من العالم الاسلامى يجلسون عادة فى الجهة التى يستقبلون فيها الكعبة فى بلادهم . فالاعجام تجدهم عند باب السلام ، والشوام والاتراك بينه وبين باب الزيادة والمصريون وراء المقام المالكى ، واليمانيون والجاوة والهنود وراء المقام الحنبلى . ومن أغرب ماشاهدت ان بعض المصريين يستعمل هناك البوصلة التى عملت للصلاة بمصر ولوحظ فيها الاتجاه لجهة مخصوصة ، ولايمكن أن تؤدى وظيفتها الا فى البلاد التى على اتجاه مصر من الكعبة ، أما اذا وضعت مثلا فى طريق المدينة أو اليمن أو الطائف فانها لاتؤدى وظيفتها بالمرة ، فليفهم ذلك من يجهله

« والحرم صحن كبير غير مسقوف تقطعه مماش محجورة، وما بينها أرض زلط دون الفولة يسمونها الحصباء ، وأول من حصب أرضية الحرم عمر رضى الله عنه ، والكعبة فى وسط صحن المسجد بميل الى الجنوب ويليها من الشرق مقام ابراهيم وفى جنوبه الشرقى قبة زمزم التى بناها أبو جعفر المنصور فى سنة مائة وخمس واربعين وفرش ارضها بالرخام وعملها المأمون . أما الشبكة التى على فوهتها فقد أمر بعملها السلطان أحمد الثانى وشرقى زمزم الى الشمال باب شيبة وهى باكية كبيرة قامت وسط الحرم فى حدود المطاف ، على عمودين من البناء المكسو بالرخام فى المكان الذى كان به باب المسجد فى مدته صلى الله عليه وسلم . وفى شمال المقام المنبر ، وهو من الرخام غاية فى حسن الصناعة اهداها الى الحرم السلطان

سليمان القانونى ومكتوب على بابه بالخط الذهبى الجميل (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وأول من وضع المنبر بالمسجد الشريف معاوية بن ابى سفيان حين قدومه الى مكه حاجا وكان الخلفاء قبله يخطبون على أرضية المسجد تحت جدار الكعبة أو فى الحجر ثم اهدى اليه سنة مائة وسبعين منبر من خشب جميل من صناعة مصر لمناسبة حج الرشيد الذى خطب الناس عليه فى حجه فى السنة المذكورة وفى خلافة الواثق أمر فعمل له ثلاثة منابر واحد وضع فى الحرم والثانى فى عرفة والثالث فى منى وخطب فى حجه عليها جميعها . وقد كان الخطباء اذا أرادوا الخطبة فى الحرم وضعوا المنبر لصق جدار الكعبة بين الركن الأسود والركن اليمانى فاذا أراد الخطيب أن يخطب استلم الحجر أولا ثم دعا وصعد المنبر . وبعد الخطبة كان ينقل المنبر الى مكانه بجوار زمزم . فلما اهدى السلطان سليمان اليه منبره الرخامى بقى مكانه واستمرت فيه الخطبة الى اليوم . وفى حوائط المسجد الحرام من الداخل أبواب بعضها منافذ لبعض المدارس على الحرم وبعضها مخازن فى يد خدمة المسجد أو الزمامة وهؤلاء يستعملونها أحيانا لاستحمام كبراء الحجاج فيها بماء زمزم أو وضوئهم منها

« وبالجملة فشكل الحرم المكى على بساطته فى بنائه فخم جداً وسعه صحى وصحنه الكبير يؤدى بلاشك للمدينة وظيفته كوظيفة الميادين الكبرى كما سبق لنا بيانه فى الكلام على مكة»

« وشيخ الحرم هو الوالى عادة وللحرم الشريف نائب وقائمقام النائب ومدير يقوم بشؤونه وعدد خدمة الحرم الشريف ٧٠٠ نفس منهم ١٢٢ خطباء وأئمة للمذاهب الاربعة و١٠٧ مدرسون و٤٥ مؤذنون و١٠ منشدون و١٢ فراشون و ٨ وقادون و٢٠ كناسون و٣٠ بوابون و ١٢ جبادون (ملاؤون) من بئر زمزم و ١٠٨ غسالون لقناديل الحرم وهناك وطائف أخرى اخصها وظائف الاغوات وعددهم ٥١ وهم يقومون بخدمات مختلفة فى الحرم وأول من رتب الاغوات فى الحرم المكى للخدمة فيه هو الخليفة أبو جعفر المنصور، أما الذين يقومون بخدمة الكعبة المكرمة

فهم سدنتها من بنى شيبة . والخدمة فى الحرم ورائية غالبا ما عدا شيخه ومديره فانهما يعينان من طرف السلطنة ، ووظيفة الأول تكاد تكون سياسية اكثر منها ادارية والخدمة فى الحرمين الشريفين محترمة جداً وتتشرف بالنسبة اليها الخلفاء والسلاطين من زمن بعيد الى الآن . ويوجد ضمن رتب الدولة العثمانية رتبة مخصوصة اسمها « خادم الحرمين » انتهى ما نقلناه من رحلة حضرة الفاضل محمد لبيب بك البتانونى

(انظر كعبة)

﴿مكى القيسى المصرى﴾ هو ابو محمد مكى بن ابى طالب حموش بن محمد ابن مختار القيسى المصرى

كان من أهل التبحر فى علوم القرآن والعربية . حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التأليف فى علم القرآن محسنا لذلك مجرداً للقراءات السبع عالما بمعانيها

ولد بالقيروان فى شعبان سنة (٣٥٥) وقيل (٣٥٤) قال ابو عمر المقرى الدانى انه نشأ بالقيروان وترعرع وسافر الى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاختلف بها الى المؤدبين والعارفين بعلم الحساب ثم رجع الى القيروان وكان اكماله لاستظهار القرآن بعد فراغه من الحساب وغيره من الآداب وذلك فى سنة (٣٣٤) ثم عاد الى مصر ثانية بعد استكماله القراءات بالقيروان وحج فى سنة (٣٧٧) ثم ابتدأ القراءات على أبى الطيب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون الحلبى المقرىء نزل مصر فى سنة (٢٧٨) فقرأ عليه بقية السنة وبعض سنة تسع ورجع الى القيروان وقد بقى عليه بعض القراءات ثم عاد الى مصر مرة ثانية فى سنة اثنتين وثمانين فاستكمل ما بقى له ثم عاد الى القيروان فى سنة (٣٨٣) وقام بها يقرأ الى سنة (٣٨٧) ثم خرج الى مكة وأقام بها الى آخر سنة (٣٩٠) وحج أربع حجج متوالية ثم رجع من مكة سنة (٣٩١) فوصل الى مصر ثم رحل منها الى القيروان فى سنة (٣٩٢) ثم ارتحل الى الاندلس وقدمها فى رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة فجلس للاقراء بجامع قرطبة وانتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن وعظم اسمه فى البلدة وجل فيها قدره ونزل عند دخوله قرطبة فى مسجد النخيلة الذى بالرواقين عند باب

العطارين فأقرأ به ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الى جامع الزاهرة وأقرأ فيه حتى انصرمت دولة آل عامر فنقله محمد بن هشام المهدى الى المسجد الخارج بقرطبة وأقرأ فيه مدة الفتنة كلها الى أن قلده الحسن بن جهور الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بعد وفاة يونس ابن عبد الله وكان ضعيفا عنها على أدبه وفهمه وأقام في الخطابة الى أن مات رحمه الله تعالى . كان خيرا فاضلا متواضعا متدينا مشهوراً باجابة الدعاة وله فى ذلك أخبار. فمن ذلك ما حكاه أبو عبد الله الطرفى المقرى قال كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الحدة وكان له على الشيخ أبى محمد تسلط وكان يدنومنه اذا خطب ويغمزه ويحصى عليه سقطاته ، وكان الشيخ كثيراً ما يتلعثم ويتوقف فحضر ذلك الرجل فى بعض الجمع وجعل يحد النظر الى الشيخ ويغمزه فلما خرج معنا ونزل فى الموضع الذى كان يقرأ فيه قال لنا أمنوا على دعائى ، ثم رفع يديه وقال: اللهم أكفنيه ، اللهم اكفنيه : فأمنا. قال فأقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم

للمكى المقرى تصانيف كثيرة نافعة فمنها الهداية الى بلوغ النهاية فى معانى القرآن الكريم وتفسير أنواع علومه وهو سبعون جزءاً . ومنتخب الحجة لابى على الفارسى ثلاثون جزءاً. وكتاب التبصرة فى القراءات فى خمسة أجزاء وهو من أشهر تآليفه . والموجز فى القراءات جزآن وكتاب المأثور عن مالك فى احكام القرآن وتفسيره عشرة أجزاء . وكتاب الرعاية لتوحيد القرآن أربعة اجزاء . وكتاب أختصار أحكام القرآن اربعة اجزاء . وكتاب الكشف عن وجود القرآآت وعللها عشرون جزءاً والايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ثلاثة أجزاء . والايجاز فى ناسخ القرآن ومنسوخه جزء والزاهى فى اللمع الدالة على مستعملات الاعراب أربعة اجزاء والتنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه جزآن والانتصاف فيما رده على أبى بكر الادفوى وزعم أنه غلط فيه . والامالة ثلاثة أجزاء والرسالة الى أصحاب الانطاكى فى تصحيح المد لورش ثلاثة أجزاء . والابانة عن معانى القراءة جزء. وكتاب الموقف على كلا وبلى فى القرآن جزآن

وكتاب الاختلاف فى عدد الاعشار جزء وكتاب الادغام الكبير فى المخارج جزء وكتاب بيان الصغائر والكبائر جزء وكتاب الاختلاف فى الذبيح من هو جزء . وكتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض جزء . وكتاب تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بنى آدم جزء . وكتاب الياءات المشددة فى القرآن والكلام جزء . وكتاب اختلاف العلماء فى النفس والروح جزء . وكتاب ايجاب الجزاء على قاتل الصيد فى الحرم خطأ على مذهب الامام مالك والحجة فى ذلك جزء . وكتاب مشكل غريب القرآن ثلاثة أجزاء . وكتاب بيان العمل فى الحج أول الاحرام الى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جزء . وكتاب فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا جزء. وكتاب التذكرة لاختلاف القراء جزء. وكتاب تسمية الاحزاب. وكتاب منتخب كتاب الاخوان لابن وكيع جزآن . وكتاب الحروف المدغمة جزآن. وكتاب شرح التمام والوقف أربعة اجزاء . وكتاب مشكل المعانى والتفسير خمسة عشر جزءا. وكتاب هجاء المصاحف جزآن . وكتاب الرياض مجموع خمسة أجزاء . وكتاب المنتقى فى الاخبار أربعة أجزاء . وله فى القراءات واختلاف القراء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها وتوفى فى يوم السبت عند صلاة الفجر ودفن يوم الأحد ضحوة لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين واربعمائة بقرطبة ودفن بالربض وصلى عليه ولده ابو طالب محمد رحمه الله تعالى . وحموش بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وبعدها شين معجمة . وقد تقدم الكلام على القيس والقيروان وقرطبة فأغنى عن الاعادة وأبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرى المصرى المذكور فى هذه الترجمة . ذكره الثعالبى فى كتاب اليتيمة فقال وكان على دينه وفضله وعلمه بالقرآن ومعانيه واعرابه متفننا فى سائر علوم الادب. انشدت له قصيدة منها قوله :

عليك باقلال الزيارة انها
اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائما
ويطلب بالايدى اذا هو أمسكا

وقال غير الثعالبى وله ابو الطيب

المذكور فى رجب سنة تسع وثلاثمائة وتوفى بمصر يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الاولى سنة تسع وثلاثمائة رحمه الله تعالى (وفيات الاعيان)

ابو الحزم مكى الضرير المقرى

هو ابو الحزم مكى بن ريان بن شبة بن صالح الماكسينى المولد الموصلي الدار المقرى النحوى الضرير الملقب صائن الدين

قال القاضى ابن خلكان رحمه الله : كان والده يصنع الانطاع بماكسين ومات فقيراً لم يخلف شيئا وترك ولده أبا الحزم المذكور وأمه وبنتا فلم تقدر أمه على القيام بمصالحه بسبب الفقر وتضجرت منه ففارقها وخرج من بلده وقصد الموصل واشتغل بها بعلم القرآن والادب ثم رحل الى بغداد واجتمع بأئمة الادب وقرأ على أبى محمد بن الخشاب وابن الصفار وابن الانبارى وأبى محمد سعيد بن الدهان وقد تقدم ذكرهم ثم عاد الى الموصل وتصدر بها للافادة وأخذ الناس عنه وانتشر ذكره فى البلاد وبعد صيته وانتفع به خلق كثير . وذكره أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ اربل فقال هو جامع فنون الادب وحجة كلام العرب المجمع على دينه وعقله ، المتفق على علمه وفضله ، رحل الى بغداد ولقى بها مشايخ النحو واللغة والحديث وكان واسع الرواية قد نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز وجميع ضروب الادب ثم قال: وأنشدنى من شعره وكان قد اشتغل عليه بالموصل اعنى ابن المستوفى المذكور :

سئمت من الحياة فلم أردها
تسالمنى وتشجينى بريق
عدوى لا يقصر فى أذاى
ويفعل مثل ذلك بى صديقى
وقد أضحت لى الحدباء دار
وأهل مودتى بلوى العقيق

والحدباء كنية الموصل ومن شعره أيضا :

اذا احتاج النوال الى شفيع
فلا تقبله تضح قرير عين
اذا عيف النوال لفرد من
فأولى ان يعاف لمنتين

وله أيضا :

على الباب عبد يسأل الاذن طالبا
له أذنا لا ان سماك تحجب
فان كان اذن فهو كالخير داخل
عليك والا فهو كالشر يذهب

وهذا مأخوذ من قول بعضهم :

على الباب عبد من عبيدك واقف
بنعماك مغمور بشكرك معترف
أيدخل كالاقبال لازلت مقبلا
مدى الدهر أم مثل الحوادث ينصرف

ثم قال المستوفى وكان قد أضر وهو ابن ثمان أو تسع سنين وكان أبداً يتعصب لابى العلاء المعرى ويطرب اذا قرىء عليه شعره للتجامع بينهما من العمى والادب فسلك مسلكه فى النظم . انتهى كلام ابن المستوفى »

ثم قال القاضى ابن خلكان : «قلت وحكى له بعض من أخذ عنه انه لما كان ببلده كان جيرانهم ومعارفهم يسمونه مكيك تصغير مكى فلما ارتحل واشتغل وحصل اشتاقت نفسه الى وطنه فعاد اليه فتسامع به من بقى ممن كان يعرفه فزاروه وفرحوا به لكونه فاضلا من أهل بلدهم وبات الليلة فلما كان السحر خرج الى الحمام فسمع امرأة فى غرفتها تقول لاخرى : ماتدرين من جاء ؟ فقالت لا . قالت مكيك بن فلانة . فقال والله لا أقمت فى بلد أدعى فيها مكيك وسافر من غير ريث بعد أن كان قد نوى الاقامة بها مدة . وعاد الى الموصل ثم خرج الى الشام فى أواخر عمره لزيارة بيت المقدس فانتهى اليه وقضى منه وطره ورجع الى الموصل من حلب . وكان دخوله الى الموصل فى شهر رمضان . وتوفى ليلة السبت السادس من شوال سنة (٦٠٣) بالموصل وخلفه ولداً صغيراً . ودفن بصحراء باب الميدان فى مقبرة المعافى بن عمران جوار أبى بكر القرطبى وابن الدهان النحوى رحمهم الله تعالى ويقال انه مات مسموما من جهة صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه المقدم ذكره فى حرف الهمزة لسبب اقتضى ذلك والله أعلم»

﴿ابن مكى القرشى الدمشقى﴾ هو محمد بن محمد بن مكى بن محمد بن الحسن بن عبد الله القرشى الدمشقى العدل الاديب بهاء الدين بن الدجاجية . كان يجيد النظم روى عنه الدمياطى من شعره :

ماراح عندكم النسيم ولا غدا
الا ليأخذ عند عبدكم يدا
أحباب قلبى ذلك القلق الذى
قد كان يأخذنى عليكم ماهدا
كدرتم بعد الصفا وغدرتم
بعد الوفا وبخلتم بعد الجدى

وجعلتم الريان منزل حبكم
ولكم محب مات فيه من صدا

وقال أيضا :

من أين لقدك ذا الهيفُ
قد حار الواصف ما يصفُ
الرمح الاسمر يحسده
والغصن الاخضر والالف
فتبارك من أنشاك لقد
فى الخلق تفاضلت النطف
ياحسن بل ياأظرف من
زينت بذؤابته الكتف
وقاك الله تعالى العيـ
ن وعن اعطافك تنصرف
كل الاقمار بطلعتنا
بضياء جبينك قد خسفوا
فاحكم فلأنت أميرهم
فيهم فببابك قد وقفوا
راقت أخلاقك للغربا
فكيف بمن بك قد ألفوا
قسما بهواك وما احلى
قسم العشاق اذا حلفوا
وبمن خاضوا غمرات منى
وحصى الجمرات بها حذفوا
لاحلت عن الميثاق ولو
أودى بحشاشتى التلف
ياعاذلى قوم مافهموا
ماشانى فيك وما عرفوا

وقال أيضا :

الى سَلم الجرعاء أهدى سلامه
فاذا على من قد لحاه ولامه
تجلد حتى لم يدع معظم الجوى
لرائيه الا جلده وعظامه

وقال أيضا :

غرته غرته لما سرى
ظن بأن الصبح قد أسفرا
أقبل يسعى خفراً خائفاً
على ذمام الوعد أن يخفرا
يحق ياقوم لمن قده الـ
خطار أن لايذهب الاخطرا
ضممته اذ نام سماره
كما يضم البطل الا سمرا
بتنا وما فى ليلتنا من كرى
كأنما النوم غدا منكرا

وقال أيضا دوبيت :

وماعذرفتى مامد للهو يدا
والدوح قد اكتسى ثيابا جددا

مالت طربا أغصانه راقصة
لما صدح الطير عليها وشدا
توفى سنة (٦٥٧)

﴿ ملأه ﴾ يملأه ملأ شحنه وأفعمه فهو (مملوء) و(مَلِيء يملأ امتلأ). و(ملُؤ يملُؤ ملاءة) صار مليئا و(المليء) الغنى المقتدر. و (مالأه عليه) ساعده. و(مليء بكذا) أى مضطلع به و (تمالأ القوم عليه) اجتمعوا عليه. و (المُلاءة) الريطة ذات لفقين جمعها مُلاء. و(الملء) اسم ماياخذه الاناء اذا امتلأ. و (الملأ) الاشراف جمعه أملاء. و (الملأ الاعلى) سكان حظائر القدس من الملائكه وأرواح الصالحين. و(الملآن) الممتلئ. و(الملأة) هيئة الامتلاء

﴿ الملآنة ﴾ نبات يشبه العدس ويتميز عنه بقرونه البيضية المنتفخة التى تحتوى على بذرة أو بذرتين مستديرتين وهو يألف الارض الرملية الجيرية. يجلب هذا النبات فى أوائل الصيف رطبا مشحونا بثمارة فتؤكل بزوره خضراء ومتى جفت هذه البزور كانت الحبوب المساة بالحمص

﴿ ملح ﴾ يملح ملحا. وملُح يملُح ملوحة صار ملحا وملُح يملُح ملاحة) حسن منظره فهو مليح

(وفلان يتملح) يتكلف الملاحة و (الملحة) الكلمة المليحة. و(الملاح) النوتى و(المملاحة) منبت الملح

﴿ الملح ﴾ الملح الذى نتبل به أطعمتنا جسم مركب من عنصرين يسمى أحدهما الكلور والآخر الصوديوم حتى أن الكيماويين يسمونه كلورور الصوديوم وهو كثير الوجود على سطح الارض فيوجد فى بعض الصخور القديمة ويعرف بالملح الجبلى وقد يكون على هيئة كتل عظيمة فى أغوار تحت الارض

ويوجد فى اسبانيا جبل من الملح على حالة النقاء التام حتى انه ليشبه الكتل العظيمة من الزجاج فيقطعه العمال منه كما يقطعون الاحجار من المحاجر

ومياه البحر تحتوى على مقدار منه يختلف باختلاف الجهات فبعضها يحتوى كل لتر من مائه على ٢١ غراما منه كالمحيطين الاطلانتيقى والمادى وبعضها يحتوى كل لتر من مائه على ١٦ غراما منه كالبحر الاسود. وتقل هذه النسبة فى بعض

البحار فلا يحتوى اللتر الواحد من ماء البحر الاحمر الاعلى نحو ٦ غرامات

أما البحر الابيض المتوسط فيحتوى اللتر منه على أكثر من ٣١ غراما فهو يعتبر أكثر البحار ملحا

(كيفية استخراجه)

الملح لا يستخرج على صورة واحدة فى البلاد المختلفة ففى بلاد النمسا مثلا يحفرون الارض الى أغوار عميقة حتى يصلوا الى معادنه فيها حيث يكون على هيئة طبقة سميكة جداً فيحفرون فيها ما يشبه الغرف ويملأونها بالماء فيذوب فيه جزء عظيم من الملح فيستخرجون ذلك الماء الى سطح الارض ويضعونه فى مراجل على النار فيتطاير الماء ويبقى الملح على هيئة حبوب بلورية

ويستخرجونه فى فرنسا بطريقة أسهل من هذه وهى انهم يعمدون الى الارض التى تحتوى على الملح فى باطنها فيحفرون فيها آبارا حتى تصل الى الطبقات الملحية ثم يملأون تلك الآبار بالماء فيذوب الملح فى ذلك الماء فيستخرج ويغلى فى مراجل (قزانات) حتى يتبخر الماء ويبقى الملح

ولكن فى البلاد الباردة التى لا يسمح الجو فيها بتبخر الماء على الدرجة المعتادة وليس لاهلها من الوسائل ما يمكنهم من اغلاء الماء الملح لتبخير الماء بالحرارة يعمدون الى تثليج الماء الملح ويساعدهم على ذلك كثرة الثلج عندهم وشدة البرد فى بلادهم فيتثلج الماء النقى ويترك الملح فى قاع الاحواض فيجنونه ويستعملونه

أما فى بلادنا فيستخرج الملح بأيسر الطرق وأسهل الوسائل وذلك انه توجد بجوار البحر الملح فى الاسكندرية ورشيد ودمياط أحواض متسعة قليلة العمق تسمى بالملاحات فتملأ تلك الاحواض بمياه البحر فى الصيف وتترك قليلا حتى يرسب ما يكون فيها من الاقذار ثم تنقل منها الى أحواض مجاورة لها وتترك فيها فبعد مروره مدة كافية يتطاير الماء من تلك الاحواض بتأثير حرارة الجو العادية ويبقى الملح راسبا فى قاعها فيؤخذ ويكون أكواما بجانبها ليتصفى مما يكون عالقا فيه من الماء فيؤخذ ويرسل الى الجهات ليستعمله الناس

﴿ أنواع الملح ﴾

للملح أنواع عديدة بسبب مايكون عالقا مع عنصريه من الاملاح الأخرى أو المعادن فالملح الجبلى مثلا يكون أصفر اللون بسبب وجود أكاسيد معدنية فيه ولا يصح استعماله على تلك الصورة لانه يكون ضاراً فيجب تصفيته عدة مرات

وهناك أملاح أخرى يشوب طعمها شوائب من المرارة ويكون السبب فيها وجود املاح أخرى مع ملح الطعام وقد شوهد أن أجود الاملاح وانقاها هو ملح دمياط ورشيد

(خواصه وفوائده)

الملح معتبر من التوابل التى تعطى الاغذية طعما مثيراً للشهية فانها بدونه تكون تفهة لا يستطاع تعاطيها حتى سماه الناس لذلك بمصلح الطعام

ومن فوائده الصحية انه يدر اللعاب فاذا وضعت منه قطعة فى فك تأثرت منها الغدد اللعابية فسال اللعاب وملأ الفم ولذلك فائدة عظيمة فى تسهيل الهضم

ذلك أن الاغذية التى نتناولها فيها نشا كثير يدخل فى تركيب الخبز والبقول والبطاطس والفواكه وهذا النشا لا يهضم الا فى الفم بواسطة اللعاب لان فى اللعاب خميرة خاصة تؤثر عليه فتحيله الى سكر قابل للانهضام. أما لو نزل النشاء بحالته الى المعدة فلا ينهضم أصلا وينزل مع الفضلات كما هو فيحرم الجسم من فوائده

وبما أن الملح يثير الغدد اللعابية ويسيل مقدارا عظيما من اللعاب فيكون له فائدة عظيمة فى تسهيل هضم الاغذية النشائية فضلا عن أن هذا اللعاب ضرورى أيضا لعجن بقية أصناف الاغذية فى الفم

ولكننا مع اعترافنا بهذه الفائدة ننصح بعدم الاسراف فى تعاطيه فانه ثقيل على المعدة مفسد لتركيب الدم حتى ذهب بعض كبار العلماء الى وجوب عدم تعاطيه أصلا محتجين بأن الاملاح الموجودة فى الخضر والاغذية الاخرى تكفى لما يحتاجه الجسد من الاملاح الضرورية لتركيبه

ولكننا اذا لم نستطع أن نسير على هذا المذهب فلا أقل من الاعتدال فى تعاطيه

﴿ ملَخ ﴾ الشيء يملَخه جذبه و(امتلخ سيفه) انتضاه مسرعا .

و(امتلخ الضرس) اقتلعه

﴿ الملوخية ﴾ من الخضر المستعملة في بلادنا بكثرة تزرع ببذر بذورها في الحياض بعد حرثها جيداً وتسميدها تسميدا وافراً وهي تزرع في أي وقت بين فبراير واكتوبر

هذا النبات كثير المحصول في الاراضي الصفراء ويحتاج لعناية في الزرع والتسميد الكثير على الاخص والماء الغزير ويتوقف عدد مرات جنيها وجودة نوعها على هذه الاحوال

تجنى الملوخية لاول مرة بعد زرعها بخمسة وثلاثين أو أربعين يوما وقد تجنى سبع مرات بين المرة والاخرى نحو خمسة وعشرين يوما ومع هذا فقد تنحط جودة المحصول بعد الجنية الثالثة لقلة أوراقها وخشونتها وصغر حجمها وتنضج بذورها بعد شهرين

كثيراً ماتنمو الملوخية في مزروعات الاقطان كحشائش معطلة لنمو الزرع

وجاء في المادة الطبية للعلامة الرشيدي ماياتي:

« واستنبت عندنا (الضمير مذكر لانه يعود على قوله الملوخية نبات) ببلاد المشرق وبلاد المغاربة لاجل الاكل فيؤكل مطبوخا عادة بالمصلوقات الدسمة والسلطات ولكن كثرة لعابيتها تصيرها عسرة الهضم

« وذكر بعض المتأخرين انخواصها الطبية كخواص الخطمي وان مطبوخها يكون بالاكثر صدريا وان درهمين من بزورها تقذف أي تسهل الاخلاط اسهالا قويا . ويظهر أن هذا البعض أخذ هذا من كتب القدماء . فقد قال أطباء العرب قديما ان خواصها الدوائية كخواص الخبازى وان قيل انها تسخن قليلا سريعا لرطوبتها ولزوجتها فهي متوسطة الانهضام وانها تعطش للطفها وتهيج الحرارة وانه لاينبغي المبادرة باستعمال الماء عليها وان بزرها يسهل الاخلاط الغليظة واللزجة ويفتح السدد» انتهى

ثم قال العلامة الرشيدي:

« ولم يعط اليونان لهذا النبات اسم قرقوروس الذي معناه مسهل الا لكونه يرخي ويقلل انضمام الالياف العضلية المعوية فيتسبب عن ذلك الانحدار والا فهو لايحتوي على جوهر

مسهل وانما يحصل منه الاسهال بفعله الميخانيكى . وأوراقه الجافة قوية التأثير فى فتح الخراجات ضمادا بالماء . ولننبهك على انه ذكر فى المفردات الطبية العربية ان البستانى من الخبازى هو الملوخية فجعلوها صنفا من الخبازى مع ان الامر ليس كذلك بل ليست من فصيلتها الزيزفونية التى هى وان قربت للفصيلة الخبازية الا انها تختلف عنها باختلافات كثيرة مذكورة فى علم النبات . ونظير ذلك ما قالوه ايضا ان الخطمى نوع من الخبازى والحال ان كلا منهما الآن جنس مخصوص وان كانت فصيلتهما واحدة وعذرهم فى ذلك عدم تقدم علم النبات فى الازمنة السابقة فهم مقلدون لمن سبقهم من أطباء اليونان »

وجاء فى كتاب الدكتور كلوت بك وهو الطبيب الفرنسى الذى استحضره محمد على باشا الى مصر لانشاء المدرسة الطبية . وقد ألف كتابه هذا بعد درس أحوال مصر ونباتاتها قال كما ورد فى ترجمة كتابه المسمى بكنوز الصحة :

« من الاغذية الغروية الخبازى المعروفة بالخبيزة والبامية والملوخية لأن كلا منها يحتوى على كثير من المادة الغروية وهى جيدة التغذية طبيعة الا انها لاتناسب بعض الاشخاص لانهم يحصل لهم تعب من أكلها وأحيانا يحصل لهم قىء . ومن كانت طبيعته كذلك ينبغى ان لا يتناول منها شيئا الا بعد خلطها بجواهر اخرى اقل غروية منها . وهذه الغروية توجد فى الاسفاناخ والرجلة والخس والسلق ولكنها أقل مقداراً مما فى الخبازى والبامية والملوخية » انتهى

نقول فى هذه المناسبة ان العامة يخطئون فى زعمهم ان الملوخية قليلة التغذية اذا أرادوا انها كذلك فى ذاتها ، ويصيبون اذا قصدوا انها كذلك على الاسلوب الذى يعملونها به . ذلك انهم يحتونها حتى تكاد تكون عجينا ثم يشبعونها بالماء فتصير أشبه بمرق الخضر (او شوربة الخضر) ثم يتعاطونها لا بالملاعق بل بغمس اللقمة فيها ، وماذا عسى أن يعلق باللقمة منها غير قطع لا تجدى فى التغذية ، ولكنهم ان قللوا ماءها وأكثروا من أكل مادتها كانت من أحسن الخضر تغذية

﴿ملد﴾ امرأة أُمْلودوأُمْلودة أى

ناعمة . و (الشّاب الأمْلد) أى الناعم

﴿ ملُس ﴾ الشيء يملُس مَلسا وملاسة ضد خشن . و (ملّسه) جعله املس و (تملّص واتملّس) افلت

﴿ ملَص ﴾ الشيء يملُص ملصا سقط متزلجا . و (تملص) تفلت وتخلص و (امّلص) انفلت

﴿ ملصية ﴾ بلد غربى الفرات كثير الفواكه شديد البرد وهى فى مستوى من الارض تحيط بها جبال

﴿ الملطاط ﴾ قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان هو الطريق على ساحل البحر وكان يقال لظاهر الكوفة اللسان وما ولى الفرات منه الملطاط

﴿ ملَطية ﴾ قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان هى مدينة من بناء الاسكندر وجامعها من بناء الصحابة وهى من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام

وقال ابن حوقل عند الكلام على العواصم وهى الثغور التى كانت تفصل بين المسلمين والروم وكانت تشحن بالمقاتلة تارة من هؤلاء وطورا من أولئك على حسب دخولها فى حوزتهم وكانت مدينة ملطية من اكبر الثغور وأكثرها سلاحا ورجالا دون جبل اللكام الى ما يلى الجزيرة ويحف بها جبال كثيرة فيها الجوز والكروم واللوز وسائر الثمار الشتوية والصيفية مباحة لا مالك لها وهى من أقوى بلاد الروم فى هذا الوقت يسكنها الأرمن وفتحت فى سنة (٣١٩)

وقال صاحب المرآة وأما مدينة ملطية فهى بقرب الفرات ومصب نهر قره صو أهلها نحو ٢٠٠٠٠ نفس منهم قلة مسلمون والباقى أرمن وكانت قديما مشهورة ولكنها انحطت عن عظمتها كثيرا والظاهر أن موقعها الآن غير موقعها القديم والى الجنوب منها سميساط على الفرات والى الغرب من هذه مرعش

﴿ ملَكه ﴾ يملِكه مِلكا ومَلكا ومُلكا استولى عليه . و (ملَك العجين) عجنه فأنعم عجنه و (ملّكه الشيء) جعله له ملكا ومثله (أملكه) و (أملك فلانا المرأة) زوجه اياها . و (تملّك) ملك . و (المِلاك) الاقتدار . و (مِلاك الامر) قوامه الذى يملك به و (المُلك) اسم لما يملك . و (ماله مِلك) أى شيء يملكه . و (أعطاه من مَلْكه ومُلْكه ومِلْكه) أى مما يقدر عليه . و (المِلك

و(الَمَلِك) صاحب الملك ومثلها المليك و(أقر بالَمَلَكة والمُلوكة) أى بالملك . و(الَمَلَكة) صفة للنفس راسخة فيها . و(الملكوت) العز والسّلطان والملك العظيم . و(المملكة) عز الملك وسلطانه . و(المملوك) العبد

﴿عبد الملك بن مروان﴾ أحد خلفاء بنى أمية هو عبد الله بن مروان بن الحكم ابن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموى

بويع له بعد أبيه فى خلافة الزبير وصار ملكه على مصر والشام وملك ابن الزبير على باقى البلاد مدة سبع سنين ثم غلب عبد الملك على العراق وبقية البلاد وقتل ابن الزبير واستوثق الامر له

كان عبد الملك عابدا ناسكا بالمدينة شهد يوم الدار (اليوم الذى قتل فيه عثمان) مع أبيه وهو ابن عشر سنين

قال ابن سعد واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ست عشرة سنة وسمع عثمان وأبا هريرة وأبا سعيد وأم سلمة وابن عمر ومعاوية . وهو أول من سمى عبد الملك فى الاسلام

قال أبو الزناد فقهاء المدينة سعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير وقبيصة بن أبى ذؤيب

وعن ابن عمر قال ولد الناس أبناء وولد مروان آباء

وقال يحيى بن سعد أول من صلى فى المسجد بالناس بين الظهر والعصر عبد الملك ابن مروان

وقال ابن عائشة أفضى الامر الى عبد الملك والمصحف فى حجره فأطبقه وقال هذا فراق بينى وبينك . نقول لعل هذا مكذوب عليه أو لعله قال ذلك يريد به ان مهام الخلافة ستقطعه عن تلاوته وتحرمه منه . ولكننا على أى حال نأخذ مثل هذه الاقوال بتحفظ فان أكاذيب المؤرخين فى تلك الازمان كانت من الشيوع بحيث لايمكن أن نصدر حكما صحيحا على رجل الا بعد تمحيص جميع الاقوال فيه

كان عبد الملك ربعة أبيض ليس بالبادن ولا النحيف مقرون الحاجبين كبير العينين مشرف الانف كثير الشعر مفتوح الفم مشبك الاسنان بالذهب وكان يلقب برشح الحجر لبخله ولد يوم تولى عثمان بن عفان الخلافة وكانت

مدة ملكه احدى وعشرين سنة ولما مات صلى عليه ابنه الوليد . وفى أيامه حولت الدواوين الى العربية وكانت لغتها الرومية والفارسية . ونقشت الدنانير والدراهم بالعربية أيضا سنة (٧٦) وكانت على الدنانير قبل ذلك كتابة بالرومية وعلى الدراهم كتابة بالفارسية

يقال انه كتب الى الحجاج مرة بلغنى عنك اسراف فى القتل وتبذير فى المال وهاتان خلتان لاأحتمل عليهما أحدا وقد حكمت عليك فى العمد بالقوَد وفى الخطأ بالدية وفى الاموال أن تردها الى مواضعها وكتب فى آخرها

وان تر منى غفلة قرشية
فيا ربما قدغص بالماء شاربه
وان تر منى غضبة أموية
فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
سأملى لذى الذنب العظيم كأننى
أخو غفلة عنه وقد جب غاربه
فان كف لم أعجل عليه وان أبى
وثبت عليه وثبة لا أراقبه

ولما قتل عمرو بن سعيد بن العاص خطب الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

«أما بعد فلست بالخليفة المستضعف ولا الخليفة المداهن ، ولا الخليفة المأفون، وألا وان من كان قبلى من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الاموال ، الا وانى لا أداهن هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم ، تكلفونا أعمال المهاجرين الاولين ولا تعملون من أعمالهم فلم تزدادوا الا اجتراحا ولن تزدادوا الا عقوبة ، وهذا حكم السيف بيننا وبينكم . هذا عمرو بن سعيد قرابته وموضعه موضعه قال برأسه هكذا فقلنا بالسيف هكذا . ألا وانا نحتمل معكم كل شيء الا وثوبا على منبر أو نصب راية . ألا وان الجامعة التى جعلتها فى عنق عمرو بن سعيد عندى . والله لا يفعل أحد فعله الاجعلتها فى عنقه ، ثم لاتخرج نفسه الاصعدا

وزاد بعض الرواة أنه قال بعد ذلك « والله لايأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه » ثم نزل فركب ناقته وأخذ بزمامها وقال :

فصحّت ولاشلت وضرت عدوها
يمين أراقت مهجة ابن سعيد

وعبد الملك هذا أول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء وأن يعترضوا عليهم

فيما يفعلون

تقول عبد الملك بن مروان يعتبر أكبر خلفاء بنى أمية وقد أدرك الامر من أوله وحدثت فى أيامه احداث عظيمة تعد حاسمة فى تاريخ الخلافة وقد صارت مقدمات لما جاء بعدها من التقاليد الاجتماعية فلا يصح أن نوجز فى ترجمته ولا أن نستخلصها من أقوال المؤرخين بل الأمثل أن نترك الكلام فيها لمؤرخ قريب من ذلك الزمن ، بعيد عن عهد التنطع فى القرون المتاخرة ، وهو العلامة أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفي فى سنة (٢٧٠) فقد أفاض فى هذه الحوادث الكبيرة فى كتابة الامامة والسياسة قال :

« ان عبد الملك بن مروان بايع لنفسه بالشام ووعد الناس خيراً ودعاهم الى أحياء الكتاب والسنة واقامة العدل والحق . وكان معروفا بالصدق مشهوراً بالفضل والعلم ، ولا يختلف فى دينه ولا ينازع فى ورعه ، فقبلوا ذلك منه ولم يختلف عليه من قريش أحد ولا من أهل الشام فلما تمت بيعته خالفه عمرو بن سعيد الأشدق فوعده عبد الملك أن يستخلفه بعده فبايعه على ذلك وشرط عليه أن لا يقطع شيأ دونه ولا ينفذ أمراً الا بمحضره فأعطاه ذلك ثم أن عبد الملك بعث حبيش بن دجلة الى المدينة فى سبعة آلاف رجل فدخل المدينة وجلس على المنبر الشريف فدعا بخبز ولحم فأكل على المنبر ثم أتى بماء فتوضأ على المنبر . قال أبو معشر فحدثنى رجل من أهل المدينة يقال له أبو سلمة قال شهدت حبيش بن دجلة يومئذ وقد أرسل الى جابر بن عبد الله الانصارى فدعاه ، فقال تبايع لعبد الملك أمير المؤمنين بالخلافة عليك بذلك عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء فان خالفت فأهرق الله دمك على الضلالة ؟ فقال له جابر بن عبد الله انك أطوق على ذلك منى ولكنى أبايعك على ما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على السمع والطاعة . قال ثم أرسل الى عبد الله بن عمر فقال له تبايع لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على السمع والطاعة؟ فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له ان شاء الله . ثم خرج ابن دجلة من يومه ذلك نحو الربذة وقام فى أثره رجلان أحدهما

على اثر الآخر مع كل واحد منهما جيش وكل واحد منهما يصعد المنبر ويخطب ثم خرجوا جميعا الى الربذه وذلك فى رمضان سنة خمس وستين فاجتمعوا بها واميرهم ابن دجلة وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدى بالمدينة أن سر الى حبيش ابن دجلة وأصحابه فى ناس فسار حتى لقيهم بالربذة فى شهر رمضان وبعث الحارث ابن عبد الله بن ابى ربيعة من البصرة معدا الى ابن الزبير حنيف ابن السجف فى تسمائة رجل فساروا حتى انتهوا الى الربذة فبات أهل البصرة يقرأون القرآن ويصلون ليلتهم حتى اصبحوا وبات الآخرون فى المعازف والخمور فلما أصبحوا قال لهم حبيش بن دجلة اهريقوا ماءكم حتى تشربوا من سويقكم المعتد فأهرقوا الماء وعدوا الى القتال فقتل حبيش ومن معه من أهل الشام وتحصن من أهل الشام خمسمائة رجل على عمود الربذة وهو الجبل الذى بها قال وكان يوسف بن الحجاج مع ابن دجلة قال وأحاط بهم عباس بن سهل فقال انزلوا على حكمى فضرب اعناقهم

(غلبة ابن الزبير على العراقين ويبعتهم) قال وذكروا ان ابن عباس ابن سهيل لما فرغ من قتال أهل الشام رجع الى المدينة فجدد البيعة لابن الزبير فسارعوا اليها ولم يتثبطوا وقدم أهل البصرة على ابن الزبير بمكة فكانوا معه وكان عبدالله بن الزبير استعمل الحارث بن عبدالله بن ربيعة على البصرة فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون الدراهم حتى يحملونها كأنها أصفار . فقال لهم هلم بسبعة ثقالا. فأتوه بسبعة ثقال.فقال هذه بعشرة فزنوا كيف شئتم . قال وأتوه بالمكيال الذى يكيلون به فقال هذا قريب صالح.ثم قيل له أن أهل البصرة لا يصلحهم الا القتل فقال : لأن تفسد البصرة أحب الى من أن يفسد الحرث والنسل .قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبد الله بن الزبير الى البصرة عاملا فاستحقره أهل البصرة فبعث مصعب بن الزبير فقدم عليهم فقال: أهل البصرة لا يقدم عليكم احد الا لقبتموه وانا ألقب لكم نفسى أنا القصاب. ثم سار الى المختار فقتله

(بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها) قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك

قالوا كان ابن زياد اول من ضُمّ اليه الكوفة والبصرة وكان أبو زياد كذلك قبله فلم يزل عبدالله يتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ على ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستمد الى عامتهم وكان بعضهم له على ما يحب . قال لها فلما اختلف أمر الناس ومات يزيد واشتد سلطان ابن الزبير وغاظ شأنه وعظم أمره وخلع أهل البصرة طاعة بنى أمية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيد الله بن زياد الى المسجد فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ان الذى كنا نقاتل على طاعته قد مات واختلف أمر الناس وتشتتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان أمرتمونى عليكم حببت فيكم وقاتلت عدوكم وحكمت بينكم وأنصفت مظلومكم وأخذت على يد ظالمكم حتى يجتمع الناس على خليفة

فقام يزيد بن الحارث بن رويم اليشكرى وقال الحمد لله الذى أراحنا من بنى أمية وأخرى من ابن سمية لا والله ولاكرامة فأمر به عبيدالله فلبب ثم انطلق به الى السجن فقامت بكر بن وائل فحالت بينه وبين ذلك . ثم خرج الثانية عبد الله ابن زياد الى المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه . وقام قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس فى المسجد فقالوا نؤمر رجلا حتى يجتمع الناس على خليفة فأجمعوا رأيهم على أن يؤمروا عمر ابن سعد بن أبى وقاص وكان الذين قاموا بأمره هذا الحي الذى من كندة فبينما هم على ذلك اذا أقبل النساء يبكين وينعين الحسين وأقبلت همدان حتى ملأوا المسجد فأطافوا بالمنبر متقلدين بالسيف وأجمع رأى أهل البصرة والكوفة على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف فأمروه عليهم حتى يجتمع الناس وكتبوا الى عبدالله بن الزبير يبايعونه بالخلافة فأقر عامر بن مسعود عاملا عليهم نحوا من سنة واستعمل العمال فى الامصار فبلغ أهل البصرة ما صنع أهل الكوفة فاجتمعوا وأخرجوا الرايات فلم يبق أحد الا خرج وذلك لسوء آثار عبد الله بن زياد فيهم يطلبون قتله . ثم قام ابن أبى ذؤيب فقال : يا هؤلاء من ينصر الله ينصر الكعبة من يغار على ابن سمية ، سارعوا ايها الناس الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض واجتنبوا هذه الدعوة وأقيموا

أود هذه البيعة فانها بيعة عدل فانه من قد علمتم عبد الله بن الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وابن أسماء بنت ابى بكر الصديق. اما والله لو ان ابا بكر علم أنه بقى على الارض من هو خير منه وأولى بهذه البيعة ما مد يده ولا نازعته اليها نفسه، وأما والله لقد علمتم ما أحد على وجه الارض خير ولا أحق بها الا هذا الشيخ عبد الله بن عمر المتبرىء من الدنيا المعتزل عن الناس الكاره لهذا الامر. ثم خرجت الخوارج من سجن عبيد الله بن زياد واجتمعوا على حدة والقبائل كل قبيلة فى المسجد معتزلة على حدة وعبيد الله بن زياد فى القصر وقد أخذوا بأبوابه وقد تمنع ان يدخل القصر أحد وقد أخذت العرب بأفواه السكك والدروب وكان عبيد الله أول من جفا العرب وأخذ منهم المحاربة اثنى عشر الفا ليمتزبهم فوالله ما زادوا الله ذلا فلما رأى ذلك عبيدالله بن زياد لم يدر كيف يصنع وخاف تميما وبكر بن وائل وان يستجير بهم ولم يأمن غدرهم فأرسل الى الحارث ابن قيس الجهمى من الازد فدخل عليه الحارث قال ياحارث قد اكرمتم زيادا وحفظتم منه ما كنتم اهله وقد استجرت بكم فأنشدكم الله فى. قال الحارث أخاف أن لاتقدر على الخروج الينا لما نرى من سوء رأى العامة فيك مع سوء آثارك فى الازد. قال فتهيأ عبدالله فلبس لبس امرأة فى خرتها وعقيصتها فأردفه الحارث خلفه فخرج به على الناس فقالوا يا حارث ماهذا قال تنحوا رحمكم الله هذه امرأة من أهلى كانت زائرة لاهل ابن زياد أتيت أذهب بها. فقال عبد الله للحارث أين نحن؟ قال فى بنى سليم فقال سلمنا الله. قال ثم سار قليلا ثم قال أين نحن؟ قال فى بنى ناجية من الازد قال نجونا انشاء الله. قال فأتى به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الازد فقال يا أباقيس قد جئتك بعبيد الله مستجيراً. قال ولم جئتنى بالعبد؟ قال أنشدك فقد اختارك على غيرك. فلما رآهم عبيدالله يتراضون ويتناشدون قال قد بلغنى الجهد والجوع. قال مسعود ياغلام ائت البقال فأتنا من خبزه وتمره. قال فجاء به الغلام فوضع. قال فأكل. وانما اراد ابن مسعود ان يتحرم بطعامه. ثم قال ادخل فدخل ومنارات الناس يومئذ قاصية. قال فكان عبيد الله خاف فقال ياغلام اصعد الى

السطح بحزمة من قصب فأشعل أعلاه نارا ففعل ذلك في جوف الليل فأقبلت الازد على الخيل وعلى ارجلها ثم شحنوا السكك وملأوها فقالوا مالسيدنا ؟ قال شيء حدث في الدار. قال فعرف عبيد الله عزته ورفعته وما هو عليه، قال هذا والله العز والشرف . فأقام عنده اياما وعنده امرأتان امرأة من الازد وامرأة من عبد قيس فكانت العبدية تقول اخرجوا العبد وكانت الازدية تقول استجار بك على بغضه اياك وجفوته لك . وتحدث الناس انه لجأ الى مسعود ابن عمرو فاجتمعت القبائل في المسجد والخوارج وهم في أربعة آلاف . فقال ابن مسعود ما أظلني الا خارجا الى البصرة معتذرا اليهم من امر عبيد الله .ثم قال وكيف آمن عليه وهو في منزلي ولكني ابلغه مأمنه ثم أعتذر اليهم قال وكان مسعود قد أجار عنده ابن زياد اربعين ليلة . قال فأقبل مسعود يوما على برذون له وحوله عدة من الازد عليهم السيوف وقد عصب رأسه بسير احمر:قال الهيثم فقلت لابن عباس لم عصب رأسه بستر احمر ؟ قال قد سألت عن ذلك قبلك فقال شيخ من الازد كان ضخم الهامة وكانت له ضفيرتان فعصب لذلك بالسير قال ابن عباس فذكرت ذلك لعمرو بن هرم وكان معنا بواسط فقال : حدثني من لايعرف ، هذا شيء كانت العرب تصنعه اذا اراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب السير ليعلموا انه معتذر. قال فأقبل مسعود حتى انتهى الى باب المسجد ومعه اصحابه رجالة بين يديه وخلفه . وكان كبيرا فلم يستطع النزول والقبائل في المسجد أجمعها فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج فظنوا انه عبد الله فأقبلوا نحو متقلدين السيوف وجال الناس جولة فضربوه بأسيافهم حتى مات . قتله نفر من بني حنيفه من الخوارج وجال الناس ونهضوا من مجالسهم وبلغ ذلك الازد فأقبلوا على كل صعب وذلول وأقبل عباد بن الحصين لينظر الى عبيد الله فاذا هو بمسعود فقال : مسعود ورب الكعبة انا لله وانا اليه راجعون .ابا قيس قد وفيت ماكان اغنى اهل مصرك بما صنعت من ذلك فبعثهم بنفسك . ثم القى عليه كساءه ثم اقبلت الازد فكان بينها وبين مضر ماوقع ذكره في غير هذا الكتاب حتى اصلحوا وتراضوا على بيعة ابن الزبير

قال الهيثم قال بن عباس حدثني عوكل اليشكري قال : انا مع عبيد الله بن زياد في ليلة مظلمة فاذا نحن بنار من بعد فقال عبد الله ياعوكل كيف الطريق قال اجعل النار على حاجبك فقال بل على حاجبك قال عوكل : فوالله انا لنسير بالسماوة اذ قال عبيدالله قد كرهت البعير فابغوا لي ذا حافر قال فاذا نحن باعرابي من كلب معه حمار اقمر ضخم فقلت تبيعه بكم فقال بأربعمائة درهم لاأنقصكم درهما فأشار الينا عبيد الله ان خذه قال فجعلنا ننقده الدراهم قال لست ادري من هذه ولكن بيني وبينكم هذا المولى يعني عبيد الله بن زياد وكان عبد الله احمر اقمر شبيها بالموالي قال فأخذه منه . فقال عبيد الله ارحلوا لي عليه . فرحلنا له عليه فلما قدم ليركب قال الاعرابي وانا أقسم بالله ان لكم شأناوما اظن صاحبكم الا والي العراق فاستحفاه عبيد الله بالعصا فضربه بها فوقع ثم شدوه وثاقا قال وجعلوا يتجنبون المياه .قال عوكل ثم ان عبيدالله بينا هو على راحلته اذ هجمت عينه .فقلت له اراك نائما فقال ماكنت بنائم .فقلت له ماأعلمني بما كنت تحدث به نفسك ؟ قال وبأي شيء كنت أحدث به نفسي ؟ قال قلت ليتني لم ابن البيضاء ولم استعمل الدهاقين وليتني لم اتخذ المحاربة. قال ما خطر لي هذا على بال . اما قولك ليتني لم ابن البيضاء فما كان علي منها ثم بناها اليزيد من ماله . واما استعمال الدهاقين فقد استعملهم ابي ومن كان قبله . واما المحاربة فوالله ما اتخذتهم الا وقاية لأني كنت اقتل بهم اهل المعصية فلو امرت عشائرهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم فجعلت ذلك بيني وبينهم من لاإل بينه وبينهم ولكني كنت أحدث نفسي اني ندمت على تركي اربعة آلاف في السجن من الخوارج فوددت اني كنت اضرمت البيضاء عليهم حتى آتي على آخرهم ووددت اني جمعت آلي وموالي ونابذت اهل المصر على سواء حتى يموت الأعجل ووددت اني قدمت الشام ولم يبلغ أهلها بعد

(قتل المختار عمرو بن سعد) قال وذكروا ان المختار بن ابي عبيد كتب الى عبد الله بن الزبير من الكوفة وقال لرسوله : اذا جئت مكة فدفعت كتابي الى عبد الله بن الزبير فأت المهدي محمد

ابن على وهو ابن الحنيفة فاقرأ عليه منى السلام وقل له يقول لك أخوك أبو اسحق انى أحبك وأحب أهل بيتك . قال فأتاه الرسول فقال له ذلك . فقال له كذبت وكذب أبو اسحق معك كيف يحبنى ويحب أهل بيتى وهو يجالس عمرو ابن سعد بن أبى وقاص على وسادة وقد قتل الحسين بن على أخى ؟ قال فلما قدم عليه رسوله أخبره بما قال محمد ابن الحنيفة ، فقال المختار لابن عمرة صاحب حرسه استأجر لى نوائح يبكين الحسين ، قال عمرو لابنه حفص يابنى قل له ماشأن النوائح يبكين الحسين ؟ قال فأتاه فقال لهذلك. فقال له هل لك أن تبكى عليه ؟ فقال أصلحك الله أنههن عن ذلك ، قال نعم ، ثم دعا أبا عمرة فقال اذهب الى عمرو بن سعد فأتنى برأسه ، قال فأتاه فقال قم الى أبى حفص فقام اليه وهو ملتحف، فجلله بالسيف ثم جاء برأسه الى المختار وحفص جالس عنده على الكرسى فقال هل تعرف هذا الرأس قال نعم رحمة الله عليه ، قال أتحب أن ألحقك به ، قال وما خير الحياة بعده ؟ قال فضرب رأسه فقتله. قال ثم أرسل عبد الله بن الزبير بن يزيد زيادا على العراق فكان بالكوفة حتى مات يزيد وأحرقت الكعبة ورجع الحسين هاربا الى الشام . قال ثم أرسل عبد الله بن مطيع الى الكوفة ثم بعث المختار بن أبى عبيدة على الكوفة وعزل عبد الله بن مطيع وسيره الى المدينة وسار عبيد الله بن زياد بعد ذلك الى المختار . وجهه عبد الملك بن مروان أميرا على العراق وندب معه جيشا عظيما من أهل الشام فأقبل الى الكوفة يريد المختار، فالتقوا بجازر فاقتتلوا فقتل المختار عبيد الله بن زياد ومن معه وكان معه الحصين بن نمير وذو الكلاع وغلبة من كان معه ممن شهد وقعة الحرة من رؤوسهم

(قتل مصعب بن الزبير المختار بن أبى عبيد الله) قال وذكروا أن أبا معشر قال لما قتل عبيد الله بن زياد ومن معه ارتضى أهل البصرة عبد الله بن الحارث ابن نوفل فأمروه على أنفسهم ثم أتى عبد الله بن الزبير وأم عبد الله بن الحارث عند بيت أبى سفيان وكانت أمه تنبزه وهو صغير ببّه فلقب بيه ثم بعث عبد الله بن الزبير الحارث بن عبيد الله بن أبى ربيعة عاملا على البصرة ثم بعث

حمزة بن الزبير بعده ثم بعث مصعب بن الزبير أخاه وضم اليه العراقين جميعا الكوفة والبصرة فلما ضم اليه الكوفة وعزل المختار عبد الله بن الزبير بالكوفة ودعا الى آل الرسول وأراد أن يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله الى أخيه مصعب أن سر الى المختار بمن معك ثم لا تبلعه ريقه ولاتمهله حتى يموت الأعجل منكما . فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة أيام حتى هزمه وقتله وبعث مصعب برأس المختار الى أخيه . وقتل مصعب أصحاب المختار . قتل منهم ثمانية آلاف صبراً ثم قدم حاجا فى سنة احدى وسبعين فقدم عبد الله بن الزبير معه رؤساء أهل العراق وأشرافهم . فقال ياأمير المؤمنين قد جئتك برؤساء أهل العراق وأشرافهم كل مطاع فى قومه وهم الذين سارعوا الى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك ، ونابذوا أهل معصيتك وسعوا فى قطع عدوك فأعطهم من هذا المال . فقال له عبد الله بن الزبير : جئتنى بعبيد أهل العراق وتأمرنى أن أعطيهم مال الله لا أفعل ، وأيم الله لوددت انى أصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام . قال فقال رجل منهم علقناك وعلقت أهل الشام ؟ ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا مما عنده فاجتمعوا وأجمعوا على خلعه فكتبوا الى عبد الملك ابن مروان أن أقبل الينا

(خلع ابن الزبير) قال وذكروا أن أبا معشر قال لما اجتمع القوم على خلع ابن الزبير وكتبوا الى عبد الملك بن مروان أن سر الينا فلما أراد عبد الملك أن يسير اليهم وخرج من دمشق فأغلق عمرو بن سعيد باب دمشق فقيل لعبد الملك ماتصنع أتذهب الى أهل العراق وتدع دمشق ، أهل الشام أشد عليك من أهل العراق . فأقام مكانه فحاصر أهل دمشق أشهراً حتى صالح عمرو بن سعيد على أنه الخليفة بعده ففتح دمشق ثم أرسل عبد الملك الى عمرو وكان بيت المال بيد عمرو أن أخرج للحرس أرزاقهم قال عمرو ان كان لك حرس فان لنا حرسا فقال عبد الملك أخرج لحرسك أرزاقهم أيضا

(قتل عبد الملك عمرو بن سعيد)

قال وذكروا أن أبا معشر قال : —

اصطلح عبد الملك وعمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده فارسل عبد الملك الى عمرو بن سعيد نصف الليل ائتنى أبا امية قال فخرج ليأتيه فقالت له امرأته لا تذهب اليه فانى أتخوفه عليك وانى لأجد ريح دم مسفوح . فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها ، فتركته فأخرج معه أربعة آلاف رجل من أهل دولته لا يقدر على مثلهم متسلحين فأحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان. فقالوا لعمرو اذا دخلت على عبد الملك يا أبا أمية ورابك منه شيء فأسمعنا صوتك فقال لهم ان خفى عليكم صوتى ولم
فالزمان بينى وبينكم ميعاد ان زالت الشمس ولم أخرج اليكم فاعلموا انى مقتول أو مغلوب فضعوا أسيافكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا سيفا حتى تأخذوا بثأرى من عدوى. قال فدخل وجعلوا يصيحون يا أبا أمية أسمعنا صوتك وكان معه غلام اسحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه بأس ليسمع عبد الملك ان وراءه ناس. فقال له عبد الملك أتمكر يا أبا أمية عند الموت ؟ خذوه . فأخذوه فقيل له ان أمير المؤمنين قد أقسم ليجعلن فى عنقك جامعة منه ثم نشروه الى الارض نشرة فكسرت ثنيته . قال فجعل عبد الملك ينظر اليه، فقال عمرو لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر. فقال عبد الملك لأخيه عبد العزيز أقتله حتى أرجع اليك . قال فلما أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه، قال له عمرو تمسك بالرحم يا عبد العزيز أنت تقتلنى من بينهم؟ فتركه فجاء عبد الملك فرآه جالسا فقال له لم تقتله لعنه الله ولعن أماً ولدته ؟ قال فانه قال تمسك بالرحم فتركته. قال فأمر رجلا عنده يقال له ابن الزويدع فضرب عنقه ثم أدرجه فى بساط ثم أدخله تحت السرير. قال فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب الخزاعى وكان أحد الفقهاء وكان رضيع عبد الملك ابن مروان وصاحب خاتمه ومشورته ، فقال له عبد الملك كيف رأيك فى عمرو بن سعيد ؟ فأبصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال اضرب
يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك جزاك الله خيرا فما علمتك الا ناصحا أمينا موفقا قال له فما ترى فى هؤلاء الذين أحدقوا بنا واحاطوا بقصرنا قال قبيصة : اطرح

رأسه اليهم ياأمير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها قال فأمر عبد الملك برأس عمرو أن تطرح اليهم من أعلى القصر فطرحت اليهم وطرحت الدنانير ونشرت الدراهم ثم هتف عليهم الهاتف ينادى : ان أمير المؤمنين قدقتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والامر النافذ ولكم على أمير المؤمنين عهد الله وميثاقه ان يحمل راجلكم ويكسو عاريكم ويغنى فقيركم ويبلغكم الى أكمل مايكون من العطاء والرزق ويبلغكم الى المائتين فى الديوان فاعترضوا على ديوانكم واقبلوا أمره واسكنوا الى عهده يسلم لكم دينكم ودنياكم . قالوا فصاحوا نعم نعم سمعا وطاعة لامير المؤمنين . قال فلما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان بالشام أراد أن يخرج الى مصعب فجعل يستفز أهل الشام فيتصعبون عليه ، فقال له الحجاج بن يوسف وكان يومئذ فى حرس ابان بن مروان : ياأمير المؤمنين سلطنى عليهم ، فأعطاه ذلك، فقال له عبد الملك اذهب قد سلطتك عليهم قال فكان لايمر علي بيت رجل من أهل الشام تخلف الاأحرق عليه بيته فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا . قال فأصابهم من ذلك غلاء فى الاسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الارز . فسار بأهل الشام الى العراق ومعه الحجاج بن يوسف

(مسير عبد الملك الى العراق)

قال وذكروا ان عبدالملك سار بأهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف الى العراق وخرج مصعب بن الزبير بأهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافيين وصديقين متحابين لا يعلم بين اثنين من الناس مابينهما من الاخاء والصداقة . فبعث اليه عبد الملك أن ادن منى اكلك قال فدنا كل واحد من صاحبه وتنحى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له يامصعب قد علمت ما أجرى الله بينى وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقدته من إخائى وصحبتى والله أنا خير لك من عبد الله وأنفع منه لدينك ودنياك فثق بذلك منى وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذلى بيعة هذين المصرين والامر أمرك لاتعصى ولاتخالف وان شئت اتخذتك صاحبا لاتجوز ووزيرا لا تعصى

فقال له مصعب : أما ما ذكرت فى من ثقتى بك ومودتى واخائى فذلك كما ذكرته ، ولكنه بعد قتلك عمرو بن سعيد لا يطمأن اليك وهو أقرب رحما منى اليك وأولى بما عندك، فقتلته غدرا ، ووالله لو قتلته فى ضرب ومحاربة لمسك عاره ولما سلمت من اثمه . واما ما ذكرت من أنك خير لى من أخى فدع عنك أبا بكر واياك واياه لا تتعرض له واتركه ما تركك واربح عاجل عافيته ، وارج الله فى السلامة من عاقبته . فقال له عبد الملك : لاتخوفنى به فوالله انى لأعلم منه مثل ما تعلم أن فيه لثلاث خصال لا يسود بها ابدا : عجب قد ملأه ، واستغناء برأيه ، وبخل التزمه فلا يسود بها ابدا

(قتل مصعب بن الزبير) قال وذكروا أن عبد الملك لما أيس من مصعب كتب الى اناس من رؤساء اهل العراق يدعوهم الى نفسه ويجعل لهم اموالا عامة وشروطا وعهودا ومواثيق وعقودا وكتب الى ابراهيم بن الاشتر يجعل له وحده مثل جميع ما جعل لأصحابه على ان يخلعوا عبد الله بن الزبير اذا التقوا فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب ان عبد الملك قد كتب الى هذا الكتاب وكتب لأصحابى كلهم فلان وفلان بذلك فادع بهم فى هذه الساعة فاضرب أعناقهم واضرب عنقى معهم . فقال مصعب : ما كنت لأفعل ذلك حتى يستبين لى ذلك من أمرهم . قال ابراهيم فأخرى. قال وما هى ؟ قال احبسهم فى السجن حتى يتبين ذلك، وأبى، فقال له ابراهيم بن الاشتر عليك السلام ورحمة الله وبركاته ولا ترانى والله بعد فى مجلسك ابدا . وقد كان قال له قبل ذلك أدع أهل الكوفة بدعوة لا يخلعونها أبداً وهى ما شرطه الله ، فقال مصعب لا والله لا أفعل ، لا أكون قتلتهم بالأمس وأستنصر بهم اليوم. قال فما هو الا ان التقوا فحولوا ابرؤسهم ومالوا الى عبد الملك ابن مروان . قال فبقى مصعب فى شرذمة قليلة ، قال فجاءه عبيد الله بن ظبيان فقال اين الناس أيها الامير؟ فقال غدر كم يا أهل العراق . قال فرفع عبيد الله سيفه ليضربه فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب فيها فجعل يقلب السيف ولا ينزع من البيضة قال فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك يدعى أنه

قتله . فطرح رأسه وقال :

نطيع ملوك الأرض ما قسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فوقع عبد الملك ساجدا فتحامل عبيد الله على ركابه ليضرب عبد الملك بالسيف . فرفع عبد الملك رأسه وقال والله يا عبيد الله لولا منتك لألحقتك سريعا به . قال فبايعه الناس ودخل الكوفة فبايعه أهلها

(ذكر حرب ابن الزبير وقتله)

قال وذكروا انه لما تمت البيعة لعبد الملك ابن مروان من اهل العراق وأتاه الحجاج ابن يوسف فقال يا أمير المؤمنين انى رأيت فى المنام كأنى أسلخ عبد الله بن الزبير فقال له عبد الملك انت له فاخرج اليه . فخرج اليه الحجاج فى الف وخمسمائة رجل من رجال أهل الشام حتى نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا حتى توافى الناس عنده قدر ما يظن أنه يقدر على قتال عبدالله بن الزبير وكان ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فسار الحجاج من الطائف حتى نزل منى فحج بالناس وعبد الله بن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبى قبيس ونواحى مكة كلها فرمى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها جمع عبد الله بن الزبير القرشيين فقال لهم ماترون؟ فقال رجل منهم من بنى مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقاتلا والله لئن صبرنا معك ما نزيد على ان نموت معك وانما هو احدى خصلتين اما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لأنفسنا ولك واما أن تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله قد كنت عاهدت الله أن لا يبايعنى أحد فأقيله بيعته الا ابن صفوان قال ابن صفوان والله انا لنقاتل معك ما وفيت لنا بما قلت ولكن تأخرى فى الحفيظة ان أدعك عند مثل هذه حتى أموت معك . فقال رجل آخر اكتب الى عبد الملك فقال له عبد الله وكنت اكتب اليه من عبد الله ابى بكر امير المؤمنين فوالله لا يقبل هذا منى ابداً أو اكتب اليه لعبد الملك امير المؤمنين من عبد الله بن الزبير فوالله لأن تقع الخضراء على الغبراء احب الى من ذلك! قال عروة اخوه: يا امير المؤمنين قد جعل الله لك اسوة. فقال عبد الله من هو اسوتى قال الحسن بن على ابن ابى طالب خلع نفسه وبايع معاوية

فرفع عبد الله رجله وضرب عروة حتى ألقاه ثم قال ياعروة قلبي اذا مثل قلبك والله لو قبلت ماتقولون ماعشت الا قليلا وقد أخذت الدنية وما ضربة بسيف الا مثل ضربة بسوط لاأقبل شيئا مما تقولون. قال فلما أصبح دخل بعض نسائه فقال أصنعي لى طعاما فصنعت له كبدا وسناما قال فأخذ منها لقمة فلاكها ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقوني لبنا فأتى بلبن فشرب ثم قال صبوا على غسلا قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول:

ولا ألين لغير الحق أسأله
حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق وهى عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة فقال لها: ياأماه ما ترين قد خذلني الناس وخذلني أهل بيتي فقالت: يابنى لا يلعبن بك صبيان بنى أمية عش كريما ومت كريما. فخرج واسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام فيهزمهم وهو يقول: ويل أمه فتح لو كان له رجال. قال فجعل الحجاج يناديه قد كان لك رجال ولكنك ضيعتهم. قال فجاء حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشى فأصاب قفاه فسقط فما درى أهل الشام انه هو حتى سمعوا جارية تبكى وتقول. واأمير المؤمنين فاحتزوا رأسه فجاؤا الى الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية وعمارة بن عمرو ابن حزم ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين. قال أبو معشر ثم أقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلى مكة والطائف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون. قال فلما مات بشر بن مروان وكان على الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك أن سر الى العراقين واحتل لقتالهم فانه قد بلغنى عنهم ما أكره، واستعمل عبد الملك على المدينة يحيى بن حكيم بن أبى العاص

(ولاية الحجاج على العراقين) قال وذكروا أن عبد الملك لما كتب الى الحجاج يأمره بالمسير الى العراقين ويحتال لقتالهم توجه ومعه الف رجل من مقاتلة أهل الشام وحماتهم وأربعة آلاف من اخلاط الجنسين وتقدم بألفى رجل وتحرى دخول البصرة فى يوم الجمعة فى حين أوان

الصلاة فلما دنا من البصرة أمرهم أن يتفرقوا على أبواب المسجد على كل باب مائة رجل بأسيافهم تحت أرديتهم . وعهد اليهم أن اذا سمعتم الجلبة فى داخل المسجد والوقيعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه الى الارض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه . فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الى الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد بردائه وسيفه قد أفضى به الى داخل ازاره فقال لهم انى اذا دخلت فسأكلم القوم فى خطبتى وسيحصبونى فاذا قد رأيتمونى قد وضعت عمامتى على ركبتى فضعوا أسيافكم واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين . فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله ثم قال : أيها الناس ان أمير المؤمنين عبد الملك أمير استخلفه الله عز وجل فى بلاده وارتضاه اماما على عباده وقد ولانى مصركم وقسمة فيئكم وامرنى بانصاف مظلومكم وامضاء الحكم على ظالمكم وصرف الثواب الى المحسن البرىء . والعقاب الى العاصى المسىء ، وأنا متبع فيكم أمره ومنفذ عليكم عهده ، وأرجو بذلك من الله عز وجل المجازاة ومن خليفته المكافأة ، وأخبركم انه قلدنى بسيفين حين توليته اياى عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة ، فأما سيف الرحمة فسقط منى فى الطريق وأما سيف النقمة فهو هذا . فحصبه الناس . فلما أكثروا عليه خلع عمامته فوضعها على ركبته فجعلت السيوف تبرى الرقاب فلما سمع الخارجون الكائنون على الابواب وقيعة الداخلين ورأوا تسارع الناس الى الخروج تلقوهم بالسيوف فأرجعوا الناس الى جوف المسجد ولم يتركوا خارجا يخرج فقتل منهم بضعا وسبعين الفا (؟) حتى سالت الدماء الى باب المسجد والى السكك . قال أبو معشر : لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو معتجر بعمامته متقلد سيفه وقوسه. قال فنعس على المنبر وكان قد أحيى الليل ثم تكلم بكلام فحصبوه فرفع رأسه . ثم قال انى أرى رؤوساء قد أينعت وحان قطافها . فهابوه وكفوا ثم كلهم فحصبوه وأكثروا فأمر بهم جندا من أهل الشام وكانوا قد أحاطوا

به من حوله ومن حول أبواب المسجد قال فلما فرغ منهم وأحكم شأنه فيهم فبعث عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان عاملا ومعه جيش . فكتب اليه الحجاج ان يقاتل حصن كذا وكذا فكتب الى الحجاج : انى لا أرى ذلك صوابا ان الشاهد يرى مالا يرى الغائب . فكتب اليه الحجاج : أنا الشاهد وأنت الغائب فانظر ماكتبت به اليك فامض له السلام

(خروج بن الاشعث على الحجاج)

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لما خرج على الحجاج جمع أصحابه وفيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل وبنوه عون بن عبد الله وعمرو بن موسى ابن معمر بن عثمان بن عمرة وفيهم محمد بن سعد بن أبى وقاص فقال لهم ماترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فان خلعه من أفضل أعمال البر فخلعه وأظهر خلعه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له أنا قد حسبنا أنفسنا عليك فما الرأى قال الرأى أن تكفوا عما تريدون فان الخلع فيه الفتنة والفتنة فيها يسفك الدماء واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا .

فقالوا انه الحجاج وقد فعل مافعل فذكروا أشياء ولم يزالوا به حتى صار معهم وهو كاره ، قال وانتهى الخبر الى الحجاج فقيل له أن عبد الرحمن قد خلعك ومن معه فقال إن معه سعيد بن جبير وأنا أعلم أن سعيداً لا يخرج وان أرادوا ذلك سيكفهم عنه . فقيل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتى فتنوه وصار معهم . فبعث الحجاج الغضبان الشيبانى ليأتيه بخبر عبد الرحمن ابن الاشعث من كرمان وتقدم اليه أن لايكتمه من أمره شيئا فتوجه الغضبان الى الى عبد الرحمن . قال له عبد الرحمن ماوراءك ياغضبان قال : شر طويل تغد الحجاج قبل أن يتعشاك . ثم انصرف من عنده فنزل رملة كرمان وهى أرض شديدة الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبينا هو كذلك اذ ورد اعرابى من بكر ابن وائل على قعود فوقف عليه وقال : السلام عليك . فقال له الغضبان . السلام كثير وهى كلمة مقولة . فقال الاعرابى من أين أقبلت ؟ قال: من الارض الذلول . قال وأين تريد ؟ قال أمشى فى مناكبها وآكل من رزق الله الذى أخرج لعباده

منها ، قال الاعرابى فمن عرض اليوم ؟ قال الغضبان المنقول . قال فمن سبق ؟ قال حزب الله الفائزون . قال الاعرابى ومن حزب الله ؟ قال هم الغالبون . فعجب الاعرابى من منطقه وحضور جوابه . ثم قال اتقرض ؟ قال الغضبان انما تقرض الفأرة . قال افتنشد ؟ قال انما تنشد الضالة قال افتسجع ؟ قال انما تسجع الحمامة . قال أفتنطق ؟ قال انما ينطق كتاب الله . قال أفتقول ؟ قال انما يقول الامير ، قال الاعرابى بالله مارأيت مثلك قط . قال الغضبان بلى ولكنك نسيت. قال الاعرابى فكيف أقول ، قال أخذك القول فى العاقول وانت قائم تبول . قال الاعرابى اتأذن لى ان ادخل عليك ؟ قال الغضبان وراءك أوسع لك . قال الاعرابى قد احرقتنى الشمس . قال الغضبان الآن يفىء عليك الفىء اذا غربت. قال الاعرابى ان الرمضاء قد أحرقت قدمى . قال الغضبان بل عليها يبردان . قال الاعرابى ان الوهج شديد . قال الغضبان مالى عليه سلطان. قال الاعرابى انى والله ما أريد طعامك ولا شرابك . قال الغضبان لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما.

قال الاعرابى وما عليك لوذقتهما ؟ قال الغضبان تأكل وتشبع فان فضل شىء من الاكرياء والغلمان فالكلب أحق به منك. قال الاعرابى سبحان الله. قال الغضبان نعم من قبل أن يطلع رأسك واضراسك الى الدنيا . قال الاعرابى ماعندك الا ماأرى؟ قال الغضبان بل عندى هراوتان أضرب بهما رأسك حتى تنتثر دماغك . قال الاعرابى انا لله وانا اليه راجعون قال الغضبان اظلمك أحد ؟ قال الاعرابى ماأرى ؟ ثم قال يا آل حارث ابن كعب. قال الغضبان بئس الشيخ ذكرت . قال الاعرابى ولم ذلك؟ قال الغضبان لان ابليس يسمى حارثا. قال الاعرابى انى لأحسبك مجنونا . قال الغضبان اللهم اجعلنى من خيار الجن . قال الاعرابى انى لأظنك حروريا . قال الغضبان اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير. قال الاعرابى انى لاراك منكرا . قال الغضبان انى لمعروف فيا أوتى . فولى عنه وهو يقول : انك لبذخ أحق وما انطق الله لسانك الا بما أنت لاق وما قليل تلتف ساقك بالساق. فلما قدم الغضبان على الحجاج قال له أنت شاعر

قال لست بشاعر ولكني حائر . قال أفعراف أنت ؟ قال بل وصاف . قال كيف وجدت أرض كرمان ؟ قال الغضبان : أرض ماؤها وَشل ، وسهلها جبل ، وثمرها دَقَل ، ولصها بطل ، وان كثر الجيش بها جاعوا ، وان قل بها ضاعوا قال صدقت. أعلمت من كان الاعرابي ؟ قال لا . قال ملك خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك . اذهبوا به الى السجن فانه صاحب المقالة : تغد الحجاج قبل أن يتعشاك . وانت يا غضبان قد أنذرت خصمك على نطق لسانك فما الذي به دهاك ؟ قال الغضبان جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين اما انها لاتنفع من قيلت له ولا تضر من قيلت فيه . فقال الحجاج : أجل ولكن أتراك تنجو مني بها والله لأقطعن يديك ورجليك ولأضربن بلسانك عينيك. قال الغضبان: أصلح الله الامير قد آذاني الحديد وأوهن ساقي القيود فما يخالف من عدلك البريء ولايقطع من رجائك المسيء ، قال الحجاج انك اسمين . قال الغضبان القيد والرتعة ومن كان ضيف الامير يسمن . قال إنا حاملوك على الادهم. قال الغضبان مثل الامير أصلحه الله يحمل على الادهم والاشقر . قال الحجاج : انه لحديد. قال الغضبان لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا . قال الحجاج اذهبوا به الى السجن . قال الغضبان : «فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون» فاستمر في السجن الى أن بنى الحجاج خضراء واسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا ما رأينا مثلها قط . قال الحجاج: اما أن لها عيبا فما هو ؟ قالوا ما نرى بها عيبا ، قال سأبعث الى من يخبرني به فبعث فأقبل الغضبان وهو يرسفُ في قيوده فلما مثل بين يديه قال له يا غضبان كيف قبتي هذه ؟ قال أصلح الله الامير نعمت القبة حسنة مستوية . قال أخبرني بعيبها . قال بنيتها في غير بلدك لايسكنها ولدك ومع ذلك فانه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لا يبقى ولايدوم فكأنه لم يكن . قال الحجاج صدق ردوه الى السجن . فقال الغضبان أصلح الله الامير قد أكلني الحديد وأوهن ساق القيود وما أطيق المشي . قال احملوه فلما حمل على الايدي قال : « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » قال انزلوه قال « رب أنزلني منزلا مباركا

وانت خير المنزلين » قال الحجاج جروه قال الغضبان وهو يجر « بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم » قال الحجاج اضربوا به الارض فقال :«منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى » فضحك الحجاج حتى استلق على قفاه . ثم قال ويحكم قد غلبنى والله هذا الخبيث اطلقوه الى صفحى عنه قال الغضبان «فاصفح عنهم وقل سلام» فنجا من شره باذن الله وكانت براءته فيما انطلق على لسانه

(حرب الحجاج مع ابن الاشعث وقتله) قال وذكروا ان الحجاج لما قدم العراق اميرا زوج ابنه محمدا ميمونة بنت محمد بن الاشعث بن قيس الكندى رغبة فى شرفها وماكانت عليه من جمالها وفضلها فى جميع حالاتها وأراد من ذلك استمالة جميع اهلها وقومها الى مصافاته ليكونوا له يدا على من ناوأه . وكان لها اخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى له أبهة فى نفسه وكان جميلا بهيا منطيقا مع ما كان له من التقدم والشرف فازدهاه ذلك وملأه كبرا وفخرا وتطاولا فألزمه بنفسه وألحقه بأفاضل أصحابه وخاصته واهل سره واجرى عليه العطايا الواسعة صلة لصهره وحبا لاتمام الصنيعة اليه والى جميع اهله فأقام عبد الرحمن كذلك حينا مع الحجاج لا يزيده الحجاج الا اكراما ولا يظهر له الا قبولا وفى نفس الحجاج من عجبه ما فيها لتشمخه زاهيا بنفسه حتى انه كان ليقول اذا رآه مقبلا : أما والله ياعبدالرحمن انك لتقبل على بوجه فاجر وتدبر عنى بقفا غادر وأيم الله لنبتلين حقيقة امرك على ذلك . فمكث بهذا القول منه دهرا حتى اذا عيل صبر الحجاج على ما يتطلع من عبد الرحمن اراد ان يبتلى حقيقة ما يتفرس فيه من الغدر والفجور وأن يبدى منه ما يكتم من غائلته فكتب اليه عهده على سجستان . فلما بلغ ذلك اهل بيت عبد الرحمن فزعوا من ذلك فزعا شديدا فأتوا الحجاج فقالوا له أصلح الله الامير انا أعلم به منك فانك به غير عالم ولقد أدبته بكل أدب فأبى أن ينتهى عن عجبه بنفسه ونحن نتخوف ان يفتق فتقا او أن يحدث حدثا يصيبنا فيه منه ما يسوءنا فقال الحجاج القول كما قلتم والرأى كالذى رأيتم ولقد استعملته على بصيرة

فان يستقم فلنفسه نظر وان يفترج سبيله عن بصائر الحق يُهـدَ ان شاء الله . فلما توجه عبد الرحمن الى عمله توجه وهو مصر لخلعان طاعة الحجاج وسار بذلك مسيره أجمع حتى نزل مدينة سجستان ثم مر على خلعانه عاما كاملا فلما أجمع عبد الرحمن على اظهار خلعان الحجاج كتب الى أيوب بن القرية التميمى وهو مع الحجاج فى عسكره خاص المنزلة منه وكان مفوها كليما يسأله أن يصدر اليه رسالة الى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج فكتب له ابن القرّية رسالة فيها . « بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالرحمن بن محمد ابن الاشعث الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله وأوليائه الذين يحكمون بعدله ، ويوفون بعهده ، ويجاهدون فى سبيله ، ويتورعون لذكره ولا يسفكون دما حراما، ولا يعصون للرب احكاما ، ولا يدرسون له أعلاما ، ولا يتنكبون النهج، ولا يرمون السيء، ولا يسارعون فى الغي، ولا يدللون الفجرة، ولا يتراضون الجورة بل يتمكنون عند الاشتباه ويتراجعون عند الاساءة ، أما بعد فانى احمد الله حمدا بالغا فى رضاه منتهيا الى الحق فى الامور الحقيقة لله علينا ، وبعد فان الله أنهضنى لمصاولتك وبعثنى لمناضلتك حين تحيرت امورك، وتهتكت ستورك، فأصبحت عريان حيران مهينا لا توافق وفقا ولا ترافق رفقا ، ولا تلازم صدقا ، أؤمل من الله الذى ألهمني ذلك أن يصيرك فى حبالك وأن يجيء بك فى القرن ، ويسحبك للذقن ، وينصف منك من لم تنصفه من نفسك ويكون هلاكك بيدى من أتهمته وعاديته . فلعمرى لقد طال ما تطاولت وتمكنت وأخطيت وخلت أن لن تبور ، وانت فى فلك الملك تدور ، وأظن مصداق ما أقول ستخبره عن قريب فسر لأمرك ولاق عصابة خافك من حيالها خافها نعالها وتدرعت جلالها تدرعها مطالها لا يحذرون منك جهدا ولا يرهبون منك وعيدا يتأملون خزاينك ويتجرعون امارتك عطاشا الى دمك يستطعمون الله لحمك . وايم الله ليناقفك منهم الابطال الذين بينهم فيما يحاولونك به على طاعة الله شروا أنفسهم تقربا الى الله فامض عن عن ذلك يا ابن أم الحجاج فستحمل عليك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله والسلام على اهل طاعة الله » . فلما قدم

الكتاب على الحجاج خرج موائلا قد أخذ بطرف ردائه وألقى الطرف الآخر يجره من خلفه حتى صعد المنبر ونودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال :

نقاتلكم ولم نشتم عدوا
وشر عداوة المرء السباب

امرؤ وعظ نفسه بنفسه، امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتفقدها جهده ، امرؤ وعظ بغيره فاتعظ ، قد تبين لكم ماتأتون وما تبغون. العجب العجيب وما هو أعجب من الصير الابتراني وجهته ومن معه من المنافقين سبعمائة وزن سبعة سواء فانطلقوا فى نحور العدو ثم أقبلوا على راياتهم لقتال أهل الاسلام من أجل عير أبتر. ومن كيده ماهو أعجب العجب على حين اننا قد أمنا الخوارج وأطفأنا الفتن وتتابعت اليهم فكان من شكركم يا أهل العراق ليد الله فيكم ونعمته عليكم واحسانه اليكم جرأتكم على الله وانتهاككم حرمته واغتراركم بنعمة الله ألم يأتكم شبيب مهزوما ذليلا وقد توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيش ليس منهم من أمير جيش الا وهو فى جنده بمنزلة العروس التى يزف بها الى خدرها فيقتل أميرهم وهم وقوف ينظرون اليه لا يرون له حرمة فى صحبة ولا ذماما فى طاعة فقبحت تلك الوجوه فما هذا الذى يتخوف منكم يا أهل العراق أما هذا الذى يتقى والله لقد أكرمنا الله بهوانكم واهانكم بكرامتنا فى مواطن شتى تعرفونها وتعرفون اشياء حرمكم الله اتخاذها وما الله بظلام للعبيد ، ثم خذلانكم لهذه الملوجاء المقصصة انحرافا أو لهذه الملوجاء واخلاطها من أهل العراق، لقد هممت ان اترك بكل سكة منها جيفا منتفخين شائلة أرجلهم تنهشهم الطير من كل جانب يا أهل الشام احدوا اقلوبكم واحدوا سيوفكم ثم قال :

قد جد أشياعكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد
مثل ذراع البكر أو أشد

هيهات ترك الخداع من أجرى من المائة ، ومن لم يذد عن حوضه يهدم ، وأدى الحزام قد بلغ الطبيين ، والتقت حلقتا البطان ، ليس سلامان كهدان ، أنا ابن العرقة وابن الشيخ الأغر، كذبتم ورب الكعبة ما الرأى كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فافطنوا لعيوبكم واياكم

ان اكون انا وانتم كما قال القائل :

انك ان كلفتنى ما لم أطق
ساء ما سرك منى من خلق

والمخبر بالعلم ليس كالراجم بالظنون، فالتندم قبل التقدم ، واخو المرء نصيحته ثم قال :

لذى العلم قبل اليوم ما تقرع العصا
وما علم الانسان الا ليعلما

ثم قال : احمدوا ربكم ثم صلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم . ثم نزل وقال : اكتب يانافع وكان نافع مولاه كاتبا يكتب بين يديه : بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى عبد الرحمن ابن الاشعث سلام على أهل النزوع من التزبيغ وأسباب الرداء لا الى معادن السيّ والتقحم فى الغى ، فانى احمد الله الذى خلاك فى حيرتك اذ بهتك فى السير، ورهلك للضرورة ، حتى أقحمك أمورا أخرجك بها عن طاعته ، وجانبت ولايته، وعسكرت بها فى الكفر ، وذهلت بها عن الشكر ، فلا تشكر فى السراء ، ولا تصبر فى الضراء ، أقبلت مستنا بحريم الحرّة تستوقد الفتنة لتصلى بحرها وجلبت لغيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج ، ألا بل لامك الهبل وعزة ربك لتُكبن لنحرك ، ولتقلبن لظهرك ، ولتخبطن فريصتك ، ولتدحضن حجتك ، ولتذمن مقامك ، ولتشغلن سهامك ، كأنى بك تصير الى غير مقبول منك الا السيف هوجاهوجا عند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة أبطالها والسلام على من أناب الى الله وسمع وأجاب » ثم قال: من ها هنا من فتية بنى الاشعث بن قيس ؟ قيل سعيد بن جبير قال فأتى به قال انطق بهذا الكتاب الى هذا الطاغية الذى قد فتن فأردعه ما انتهك عدو الله الى ما فى ذلك من سفك الدماء واباحة الحريم وانفاق الاموال فانى لولا معرفتى بأنك قد حويت علما وأصبت فهما أخاف ان يكون عليك لا لك لعهدت لك به عهداً تقفل به ولكن انطلق سرتك هذه قبل الكتاب اليه واحمله على البريد . فخرج سعيد به متوجها حتى انتهى اليه . فلما قرأ عبد الرحمن الكتاب تبينت رعشته جزعا منه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهو كالذى هوى ، وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للناس وكتم الكتاب وجعل يستخلى بابن جبير فى

الليل فيسمر معه ويسأله عبد الرحمن الدخول معه فيما رأى هو من خلع الحجاج فأبى سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهرا كريتا فأسعفه سعيد بن جبير بطلبته وسارع معه فى رغبته وخلعا طاعة الحجاج ثم ان عبد الرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقود من يقوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج اليه الحجاج بمن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتى لقيه بدير من أديار الاهواز يسمى بتيسيور فناصبه القتال ستة أشهر كريتة لا له ولا عليه حتى اذا كان فى جوف ليلة من الليالى خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص ويزيد بن أبى مسلم مولاه وحاجبه على ما وراء بابه واما يحيى فوكله بالقيام خلف ظهره اذا هو نسى أو غفل نخسه بمنخسه ثم قال اذكر الله ياحجاج فيذكر ما بدا له ان يذكر. واما زياد فكان ذا رأى ومشهورة وأدب وفقه ونصيحة. واما عنبسة فكان بعيد الهمة طويل اللسان بديه الجواب فاصل الخطاب موفق الرأى فاستشارهم لما طال به وبعبد الرحمن القتال لا يظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبد الرحمن سعيد بن جبير والشّعْبى فكان هذا فقيه اهل الكوفة وهذا فقيه أهل البصرة فى ان يبيته فكره ذلك مواليه وأشار عنبسة أن يبيته. فقال الحجاج أصبت أصاب الله بك الخير وما الامر الا النصيحة والرأى شعوب فمخطىء منها ومنها مصيب. غدا الاثنين فصوموا ونصوم واستعينوا الله بالخيرة ونبيتهم الليلة المقبلة ليلة الثلاثاء فسوف أترجل ويترجل اهل مودتى ونصيحتى من ولدى وغيرهم. ففعل واصبح صائما وبينهم ليلة الثلاثاء وهو يقول: اللهم ان كان الحق لهم فلا تمتنا على الضلالة وان كان الحق لنا فانصرنا عليهم. فحمل عليهم والنيران توقد فأصاب منهم وأصيب منه وانهزم ابن الاشعث فى سواد الليل وأصاب الحجاج عسكره وأسر سعيد بن جبير وأفلت عامر ابن سعيد الشعبى مع ابن الاشعث فلما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال له: ويحك ياسعيد أما تستحى منى ومدك الشيطان فى طغيانك الا استحييت من المراقب لحولك والحافظ علىّ وعليك؟ فقال: أصلح الله الامير وأمتع به هى بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال

الامير وكما نسبه اليه وأضافه اليه الا انى اتيت رجلا قد أزهى وطغى ولبسته الفتنة وركب الشيطان كتفيه ونفث فى صدره وأملى على لسانه فخفته وأتقيته بالذى فعلت فان تعاقب فبذنب وان تعف فسجية منك . فقال له الحجاج فانا قد عفونا عنك وسنردك اليه تارة أخرى ثم كتب كتابا ووجهه مع سعيد بن جبير الى عبد الرحمن . فلما كان سعيد ببعض الطريق خرق الكتاب وقدم على عبد الرحمن فأخبره فنفر عبد الرحمن وخرج موائلا الى أهل البصرة وقد قدمت عليه كتبهم يستبطئونه ويستعجلونه حتى قدم عليهم وبلغ الحجاج فسبقه الى البصرة فدخل الحجاج المسجد مكبا قوسه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وحرض الناس على قتال ابن الاشعث وحضهم على طاعة عبد الملك وتكلم رجل من أهل البصرة يقال له سلمة المنقرى من بنى تميم وكان رجلا منطيقا وله هوى فى الخوارج وكان الحجاج به خابرا فلما رآه عرف أنه يريد الكلام فقال له ادن ياسلمة فدنا . فقال له قل فقال : قد رضينا بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبأمير المؤمنين خليفة وبالحجاج بن يوسف واليا والله لو كنا زمما وبقى زمع مارضينا أن نكون تبعا لهذا الحائك . أمير المؤمنين أعزه الله وأعز أمره أقرب قرابة وأوجب حقا ونحن ألزم لطاعة الأمير أكرمه الله من أن نسارع له فى معصية أو نبطىء عنه فى طاعة . فأجابه الحجاج فقال ياسلمة هذا قول حسن لا أدخله صدرى ولا أرده فى تحرك حتى نبتلى حقيقته ان شاء الله وكان قوله هذا على المنبر وقد عسكر بأجناده فى الزاوية والزاوية فى طريق من ناحية البصرة فى طرف بنى تميم . ثم إنه خرج من المسجد وحشد الناس من كان فى الطاعة يومئذ من أهل العراق وقد كان انهزم لابن الاشعث غير مامرة وقتل له ابن الاشعث خلقا لا تحصى كثرة قبل هذه المرة حتى يئس من نفسه وقال أترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتنى يعنى أسماء بنت ابى بكر الصديق لئن صدقت اسماء لا أقتل اليوم . وكان لما فرغ من قتال عبد الله بن الزبير بعث الى امه اسماء بنت ابى بكر الصديق ان تأتيه فأبت ان تأتيه . فقال والله لئن لم تأتنى لأبعثن اليها من يجر بقرن رأسها

ويسحبها حتى تصل الى . فقيل لها ذلك فقالت والله لاأسير اليه حتى يبعث الى من يجر بقرون رأسى . فأقبل الحجاج حتى وقف عليها فقال لها كيف رأيت مافعل الله تعالى بابنك عدو الله الشاق لعصا المسلمين المغنى لعباده والمشتت لكلمة أمة نبيه ؟ فقالت . رأيته اختار قتالك فاختار الله له ماعنده اذ كان اكرامه خيرا من اكرامك. ولكن ياحجاج بلغنى انك تنتقصنى بنطاق هذين أو تدرى مانطاق ؟ أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر وأما النطاق الآخر فأوثقت به خطام بعيره فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان لك به نطاقين فى الجنة . فانتقص على بعد هذا أودع ؟ ولكن لاأخالك. ياحجاج أبشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم يبيد الخلق ويقذف الكعبة بأحجارها ألا لعنة الله عليه. فأفحم الحجاج ولم يجد جوابا. قال وسار ابن الاشعث بعد ماهزم الحجاج الى الكوفة حتى نزل دير الجماجم فقتل للحجاج فيه خلق كثير وكتب الى عبد الملك بن مروان ان امددنى بالرجال فأمده بمحمد بن مروان فى أناس من بنى أمية كثير وجعل الحجاج أميرا عليهم فسار الحجاج الى ابن الاشعث فاقتتلوا أياما بدير الجماجم حتى كثر القتل فى الفريقين جميعا . ثم ان ابن الاشعث لما حشد والحجاج بالبصرة عسكر على مسير ثلاثة أيام من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر فكتب ابن الاشعث يسأله أن يتنحى عنهم لما كرهوا ولايته حتى يستعمل عليهم أمير المومنين غيره من هو أحب اليهم منه . فلما انتهى اليه رسوله قال الحجاج أدخلوه فلما دخل سلم عليه بالامارة . قال من أنت ؟ قال رجل من خزاعة . قال من أهل البصرة انت أم من أهل الكوفة ؟ قال لا بل من أهل سجستان. قال هل تأخذ لامير المؤمنين ديوانا ؟ قال لا ، قال أفمن وزراء ابن الاشعث أنت علينا فى هذه الفتنة ياأخا خزاعة ؟ قال والله ماهويتها ولقد جلبنى اليك مكرها . قال فكيف تسليمك على صاحبك اذا انصرفت اليه ؟ قال بالامرة. قال فهل ترى فى ذلك انك صادق ؟ قال

الله أعلم بأى الامرين هو فى نفسك على الصواب أم على الخطأ ؟ قال الله أعلم أى الامرين فى نفسى . قال أما انك ياأخا خزاعة قد رددت الامر اليه وهو تعالى أعلم انطلق الى صاحبك بكتابك كما جئت به وأعلمه بالذى كان من ردنا عليك فانه جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكوه الى الله من يوم الاربعاء ان شاء الله . فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين اتقو والذين هم محسنون . وذلك يوم الاحد . فلما أنصرف رسوله اليه ناوله الكتاب فلما رآه بخاتمه (أى مثل ماأقفله) كف فلم يسأله امام من حضر حتى ارتفع الناس ثم دعاه فأخبره الخبر . قال ماوراء ظهرك الاهذا ؟ قال له فى دون ماجئتك به مايكفيك فقدرأيت أمراً صعباً ليس وراءه الاالمناجزة . ثم أن الحجاج هتف هتفة أن اجتمعوا للعطية ففرق العطية فى ثلاثة مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة : سفيان بن الابتر الكلبى على ميمنته وسعد بن عمرو الجرشى على القلب وعبد الرحمن بن عبد الله العكى على ميسرته فأعطى الناس على هذا . أقام فى عسكره متربصاومنتظرا

ليوم الاربعاء . فلما رأى ابن الاشعث انه لا يتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الاربعاء بعث رجلا من معسكره حتى دنا من معسكر الحجاج فنزل قريبا منه على مقدار حضر الفرس رجاء أن يتحرش له من أحد معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الاربعاء فرارا منه وتطيرا به . فلما رأى الحجاج ذلك علم ماأراده والذى توقعه فتقدم الى أمراء أجناده وقواده والى اهل عسكره عامة الا يكلم أحد منهم احداً من عسكر ابن الاشعث ولا يعرضه نفسه وان أمكنته الفرصة منه الى يوم الاربعاء . فلما كان صبيحة يوم الاربعاء وهو يوم يتطير به اهل العراق فلا يتناكحون ولا يسافرون فيه ولايدخلون من سفرولا يبايعون فيه بشىء ولابالبغل الاغر الاشقر فدعا الحجاج ببغلة مشقرة محجلة فركبها خلافا لرأيهم واستشعارا بطيرتهم وتوكلا على الله ونادى مناديه فى عسكره ان انهضوا الى قتال ابن الاشعث وامر خاصته فركبوا معه وقدم رجالته وأخر لحلفه مقاتليه حتى اذا كانوا من عسكر ابن الاشعث على منال السهم وقف

فصف أصحابه وعبأهم للقتال وفعل مثل ذلك ابن الاشعث وترجل الحجاج وخاصته ووضع له منبر من حديد فجلس عليه وتراءى الناس حتى اذا كاد القتال ينشب خرج رجل من أصحاب ابن الاشعث وهو ينادى ألا مبارز فقام اليه عنبسة بن سعيد القرشى وهو يمشى مشية كان قد لامه الحجاج عليها وكرهها له فلما رآه الحجاج وهو يمشى تلك المشية قال الحجاج ظلمتك ياعنبسة لو كنت تاركها يوما من دهرك لتركتها يومك هذا . ولما دنا من الرجل قال له عنبسة فمن أنت ياشيخى ؟ فقال رجل من تميم ثم من بنى دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ، ثم انصرف الى مجلسه فجلس وقد تبين للناس حسن طعنه ثم زحف الفريقان بعضهم الى بعض واشتد قتالهم وانتحى سفيان على مركزه لم يرم والجرشى على مركزه لم يرم وكانت ميلتهم على الميسرة فنحوا عبد الرحمن العكى فلما رأى الحجاج قد انكسرت ناحيته وزال عنها بعث اليه ابن عمه الحكم بن أيوب فى خيل فقال انطلق الى عدو الله فاضرب وجهه بالسيف حتى ترده (أى ترجعه) الى مقامه ففعل وبعث الى سفيان بن الابرد يأمره بقتال القوم ومحاربتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون بالميسرة قد طمعوا فيها وكان باذن الله الفتح والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث اليه الجرشى يستأذنه القتال فمنعه الحجاج وقال له لا الا أن ترى أمراً مقبلا وتمكننا من فرصة فاجتمع الامر وثاب العكى وانهزم ابن الاشعث واستحقت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مترجلا معه بعد سجود ودعاء وشكر كان منه على ماصنع الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالى كثيرا وكبروه تكبيرا عاليا ثم انتهوا الى ربوة فأوماً اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تأخذهم وحسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع رأسه بخيزران فى يده وهو يتمثل بهذه الابيات وهى من قول عبيد بن الابرص أومن قول اليشكرى :

كيف ترجون سقاطى بعدما
جلل الرأس بياض وصلع
ساء ماظنتوا وقد أوريتهم
عند غايات المدى كيف أقع

رب من أنضجت غيظا قلبه
قد تمنى لى موتا لم يطع
ويرانى كالشجى فى حلقه
عسرا مخرجه ماينتزع
مزبد يهدر ما لم يرنى
فاذا أسمعته صوتى انقمع
ويحيينى اذا لاقيتـه
واذا يخلو له لحمى رتع
ورث البغضاء عن والده
حافظا منه الذى كان استمع
ولسان صيرفى صارم
كذباب السيف ما مس قطع

قال فلما فرغ الحجاج من هذه الابيات كبر ثم حمد الله بما هو أهله للذى كان من صنعه فبينما هو كذلك اذ أتاه من يخبره ان ابن الاشعث قد انخذل من أصحابه فى نفر يسير متوجها الى ناحية خراسان فدعا الحجاج ابن عم له كان يعرفه بالنصيحة والهوى فقطع معه ليلا وأرسله فى طلب ابن الاشعث الى مواضع شتى وعهد اليهم أن لايدركوا أحداً الا أتوا به أو برأسه أو يموت فوقف طويلا فى مكانه ذلك المرتفع ينظر الي معسكر ابن الاشعث واصحابه ينتهبونه ثم رجع الى معسكره فنزل ودخل فسطاطه فدخل وأذن لاصحابه فدخلوا عليه فقام كل واحد منهم يهنئه بالفتح وجعل ابن جبل يأتيه بالاسرى فكلما أتى بأسير أمر به فضربت عنقه فكان ذلك فعله يومه ذلك الى الليل فلما أصبح وتراجع اليه اكثر خيله أمر مناديه ينادى بالقتل فقتل وقتلت معه أجناده وجميع أصحابه الى مدينة واسط فكان فيها وهو الذى بناها وضرب ابن الاشعث ظهرا لبطن ليلا ونهارا حتى لحق بخراسان ورجا فى لحوقه بها النجاة من الحجاج والحذر لنفسه ولم يشعر بالخيل التى فى طلبه حتى غشيته فلم تزل تطلبه من موضع الى موضع حتى استغاث بقصر منيف فحصره ابن عم الحجاج فيه وأحاطت به الخيل من كل جانب حتى ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه فى القصر فلما رأى ابن الاشعث انه لامحيص له ولاملجأ وخاف النار فرمى بنفسه من بعض علالى القصر وطمع أن يسلم ولايشعر به فيدخل فى غمار الناس فيخفى أمره ويكتم خبره فسقط وانكسرت ساقه وانخذل ظهره ووقع مغشيا عليه فشعر به أصحاب

الحجاج فأخذوه وقد افاق بعض الافاقة ولايقدر على النهوض فأتوا به الى ابن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال ايقن انه لايقدر على ان يبلغ الحجاج حتى يموت فأمر به فضربت رقبته وانطلق برأسه الى الحجاج فلما قدم عليه احدث لله شكرا وحمدا فيما كان من تمام الصنع وما هيأ له من التأييد والظفر واقام كذلك لايمر عليه يوم الا وهو يؤتى فيه بأسرى فلما رأى كثرتهم ازداد حنقا وغيظا لمسارعتهم فى اتباع ابن الاشعث ومخالفتهم عن الحجاج فيأمر بقتلهم حردا على الخوارج ورجاء ان يستأصلهم فلا يخرج عليه خارج بعدها فلما رأى كثرة من يؤتى به من الاسرى تحرى فجعل اذا أتى بأسير يقول له أمؤمن أنت أم كافر ؟ ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء على نفسه بالكفر والنفاق عفا عنه ؛ ومن قال انا مؤمن ضرب عنقه ، واسر عامر بن سعيد الشعبى فيمن أسر وكان مع ابن الاشعث فى جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس لاحد منه مثلها الذى كان عليه من حاله الا سعيد بن جبير ، وافلت سعيد بن جبير فلحق بمكة وأتى بالشعبى الى الحجاج فى سورة غضبه وهو يقتل الاسرى الاول فالاول الا من باء على نفسه بالكفر والنفاق فلما سار عامر بن سعيد الشعبى الى الدخول عليه لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له يزيد بن أبى مسلم وكان مولاه وحاجبه فقال : ياشعبى لهفى بالعلم الذى بين دفتيك وليس بيوم شفاعة اذا دخلت على الامير فبؤ له بالكفر والنفاق عسى أن تنجو .

فلما دخل على الحجاج صادفه واضعا رأسه لم يشعر ؟ فلما رفع رأسه رآه قال له وأنت أيضا ياشعبى فيمن أعان علينا وألب ؟ قال أصلح الله الامير انى أمرت بأشياء أقولها لك أرضيك بها وأسخط الرب ولست أفعل ولكن أقول أصلح الله الامير وأصدقك القول فان كان شىء يقع بين يديك فهو فى الصدق ان شاء الله . احزن بنا المنزل واجدب واكتحلنا السهر واستحلسنا الخوف وضاق بنا البلد العريض فوقعنا فى حرب لم يكن فيه بررة اتقياء ، ولا فجرة أقوياء . فقال له الحجاج كذلك ؟ قال نعم اصلح الله الامير وأمتع به . قال فنظر الحجاج الى اهل الشام فقال صدق والله يا أهل

الشام ما كانوا بررة أتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا فجرة أقوياء فيقووا علينا . ثم قال انطلق ياشعبي فقد عفونا عنك فأنت أحق بالعفو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول كان وكان . قال وكان قد حضر بالباب رجلان أحدهما من بكر بن وائل والآخر من تميم وكانا سمعا ماقيل للشعبي بالباب ان يقوله فلما أدخلا قال الحجاج للبكرى أمنافق انت ؟ قال نعم أصلح الله الامير لكن اخو بنى تميم لا يبوء على نفسه بالنفاق . قال التميمى : انا على دمى اخدع اصلح الله الامير منافق مشرك ، فتبسم الحجاج وامر بتخلية سبيلهما ، قال الشعبي فوالله ماأتى لذلك الامر الا نحو من شهرين حتى رفعت اليه فريضة اشكلت عليه وهى : ام وجد واخت فقال من هاهنا نسأله عنها ، قال فدل على ، فأرسل الى فقال ياشعبي ماعندك فى هذه الفريضة ام واخت وجدة ؟ فقلت اصلح الله الامير قال فيها خمسة من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : من قال ، قلت : قال فيها على بن ابى طالب وامير المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت ، قال هات ماقال فيها على . فأخبرته . قال فماقال فيها ابن مسعود ؟ فأخبرته . قال فماقال فيها ابن عباس فوالله لقد كان متقفا ؟ فأخبرته قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان ؟ فاخبرته . قال فما قال زيد بن ثابت قلت أخذها من تسعة أسهم فأعطى الام ثلاثة أسهم وأعطى الجد أربعة أسهم واعطى الاخت سهمين . قال فلما سمع ماكان من قول كل واحد منهم وعرف رأيهم فيها قال ياغلام قل للقاضى يقضيها على ما قال امير المؤمنين عثمان

قال الشعبى ودخلت عليه الترك وقد شدوا اوساطهم بعمائم وانتزعت السيوف من اعناقهم واخذوا الطوامير بأيمانهم ودخل عليه رجل من قبل امير المؤمنين عبد الملك فقال له الحجاج كيف تركت امير المؤمنين واهله وولده وحشمه فنبأه عنهم وعنه بصلاح . فقال ماكان وراءك من غيث ؟ قال نعم اصلح الله الامير اصابتنى سحابة فى موضع كذا فوادسائل وواد نازع ، فأرض مدبرة، وارض مقبلة حتى صدعت عن الكمأة : اما سكنها فما اتيتك الا فى مثل مجرى الضب . فقال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل

اتاه من قبل نجد ، فقال لهما كان وراءك من غيث ؟ فقال كثير الاعصار ، اغبر البلاد واكل ما اشرف من الحشيشة فاستيقنا انه عام سنة . فقال بئس المخبر انت فقال اخبرتك بالذى كان ، فقال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل اتاه من قبل اليمامة فقال هـل كان وراءك من غيث ؟ قال نعم وسمعت الرواد يدعون الى ريادها وسمعت رائدا يقول هلموا اطعمكم محلة تطفأ فيها النيران وتشتكى فيها النساء وتنافس فيها المعز ، فقال له ويحك انما تحدث أهل الشام فافهمهم فقال اصلح الله الامير اما تطفأ النيران فيستكثر فيها الزبد واللبن والتمر فلا توقد نار واما ان يشتكى النساء فانه من جذبها على ابريق لبنها فتظل تمخض لبنها فتبيت ولها أنين من عضديها ، وأما تنافس المعز فانها ترأم من نوار النبات ولوان التمر مايشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت أكراشها من الكظلة شره تنزل به الدرة

ثم قال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل من الموالى كان اشجع الناس فى زمانه يقال له عمرو بن الصلت فقال له الحجاج هل كان وراءك من غيث قال نعم اصلح الله الامير اصابتنى سحابة بموضع كذا وكذا فلم ازل اطلب اثرها حتى دخلت على الامير فقال الحجاج أما والله لـئن كنت فى المطر اقصرهم خطبة انك بالسيف لاطولهم خطوة

ولما انهزم ابن الاشعث قام بعده عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة فقاتل الحجاج ثلاثة ايام ثم انهزم فوقع بأرض فارس ثم سار الى السند فمات هناك وتحصن ناس من اصحاب ابن الاشعث فى قلعة بأرض فارس منهم عبدالرحمن بن الحارث بن نوفل والفضل بن عياش وعمرو ابن موسى التميمى ومحمد بن سعد بن ابى وقاص وعبيد الله ومحمد واسحاق وعون ابن عبد الله بن الحارث فى ناس من قريش ولحق سعيد بن جبير بمكة فأشعر به الحجاج فغفل عنه ولم يهيجه فبعث الحجاج يزيد بن المهلب فحاصرهم بفارس قال ابو معشر حدثنى عون قال كتب الينا يزيد بن المهلب ان اخبرونى بآية بينى وبينكم حتى اخرجكم . قال فكتب اليه عبد الله بن الحارث كنت يوم كذا وكذا فى دارنا قال فأخرجته

وبنيه فسكناه عمان وأسر من بقى وأسروا اثنى عشر رجلا من وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسى التميمى ومحمد بن سعد بن أبى وقاص فبعث بهم الى الحجاج فحبسهم عنده وكتب الى عبد الملك يخبره بأسرهم وجعل يذكر فى كتابه ان سعيدا قد انكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب اليه عبد الملك يأمره بضرب أعناقهم ويقول فى كتابه لم أبعثك مشفعا وانما بعثتك منفذا مناجزا لاهل الخلاف والمعصية . فأبرزهم الحجاج فقال لعمرو بن موسى ياعاتق قريش وكان شابا جميلا ما لك أنت وللخروج انما أنت عاتق صاحب ثياب ولعب . فقال عمرو أيها الرجل امض لما تريد فانما نزلت بعهد الله وميثاقه فان شئت فأرسل يدى وقد برئت منى الذمة. فقال له الحجاج كلا حتى أقدمك الى النار . فضربت رقبته ثم جىء بمحمد ابن سعد ، فقال له يا ظل الشيطان وكان رجلا طويلا ألست بصاحب كل موطن ، أنت صاحب الحرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الجماجم ، فقال له انما نزلت بعهد الله وميثاقه أرسل يدى وقد برئت منى الذمة . قال لا حتى أقدمك الى النار . ثم قال لرجل من أهل الشام اضرب لى مفرق رأسه فضرب فقال نصفه ها هنا ونصفه ها هنا ثم قتل الباقين

(ذكر قتل سعيد بن جبير) قال وذكروا أن مسلمة بن عبد الملك كان واليا على أهل مكة فبينما هو يخطب على المنبر اذ أقبل خالد بن عبد الله القسرى من الشام واليا عليها فدخل المسجد فلما قضى مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقى فى الدرجة الثالثة تحت مسلمة أخرج طومارا مختوما ففضه ثم قرأه على الناس فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى أهل مكة ، أما بعد فانى وليت عليكم خالد ابن عبد الله القسرى فاسمعوا له وأطيعوا ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلا فانما هو القتل لا غير وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام . ثم التفت اليهم خالد وقال : والذى نحلف به ونحج اليه لا أجده فى دار أحد الا قتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام . ثم نزل ودعا مسلمة برواحله

ولحق بالشام . فأتى رجل الى خالد فقال له ان سعيد بن جبير بواد من أودية مكة مختفيا بمكان كذا فأرسل خالد فى طلبه فأتاه الرسول فلما نظر اليه الرسول قال انما أمرت بأخذك وأتيت لأذهب بك اليه وأعوذ بالله من ذلك فالحق بأى بلد شئت وأنا معك قال له سعيد بن جبير . ألك ها هنا اهل وولد ؟ قال نعم قال انهم يؤخذون وينالهم من المكروه مثل الذى كان ينالنا . قال الرسول فانى أوكلهم الى الله فقال سعيد لايكون هذا . فأتى به الى خالد فشده وثاقا وبعث به الى الحجاج فقال له رجل من أهل الشام : ان الحجاج قد انذر به واشعر قبلك فما عرض له فلو جعلته فيما بينك وبين الله لكان أزكى من كل عمل يتقرب به الى الله . فقال خالد وقد كان ظهره الى الكعبة قد استند اليها . والله لو علمت ان عبدالملك لايرضى عنى الا بنقض هذا البيت حجرا حجرا لنقضته فى مرضاته

فلما قدم سعيد على الحجاج قال له ما اسمك؟ قال سعيد. قال ابن من ؟ قال ابن جبير ؟ قال بل انت شقى ابن كسير. قال سعيد أمي اعلم باسمى واسم ابى . قال الحجاج شقيت وشقيت أمك . قال سعيد الغيب يعلمه غيرك . قال الحجاج لأوردنك حياض الموت . قال سعيد أصابت اذا أمى اسمي . فقال الحجاج لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى . قال سعيد ولو أنى أعلم أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها . قال الحجاج فما قولك فى محمد ، قال سعيد نبى الرحمة ورسول رب العالمين الى الناس كافة بالموعظة الحسنة . قال الحجاج فما قولك فى الخلفاء ؟ قال سعيد لست عليهم بوكيل كل امرىء بما كسب رهين . قال الحجاج أشتمهم أم أمدحهم . قال سعيد لا أقول ما لا أعلم انما استحفظت أمر نفسى . قال الحجاج أيهم أعجب اليك ؟ قال : حالاتهم يفضل بعضهم على بعض . قال الحجاج صف لى قولك فى على أفى الجنة هو أم فى النار ؟ قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ولو رأيت من فى النار علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب ؟ قال الحجاج فأى رجل أنا يوم القيامة ؟ فقال سعيد أنا أهون على الله من ان يطلعنى على الغيب. قال الحجاج أبيت أن تصدقنى . قال سعيد بل لم ارد ان أكذبك . قال

الحجاج فدع عنك هذا كله أخبرنى مالك لم تضحك قط . قال: لم أرشيئا يضحكنى وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه الى الجزاء واليوم يصبح ويمسى فى الابتلاء . قال الحجاج فأنا أضحك . فقال سعيد كذلك خلقنا الله أطوارا . قال الحجاج هل رأيت شيئا من اللهو ؟ قال لاأعلمه . فدعا الحجاج بالعود والناى قال فلما ضرب بالعود ونفخ فى الناى بكى سعيد قال الحجاج مايبكيك ؟ قال : ياحجاج ذكرتنى أمرا عظيما والله لاشبعت ولارويت ولا اكتسيت ولازلت حزينا لما رأيت . قال الحجاج وماكنت رأيت هذا اللهو ؟ فقال سعيد : بل هذا والله الخرق، أما هذه النفخة فذكرتنى يوم النفخ فى الصور ، وأما هذا المصران فمن نفس ستحشر معك الى الحساب . وأما هـذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق . قال الحجاج أنا قاتلك . قال سعيد قد فرغ من تسبب موتى . قال الحجاج أنا أحب الى الله منك . قال سعيد لايقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه ، الله بالغيب أعلم . قال الحجاج كيف لاأقدم على ربى فى مقامى هذا وأنا مع أمام الجماعة وأنت مع امام الفرقة والفتنة . قال سعيد ماأنا بخارج عن الجماعة ولا أنا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لامرد له . قال الحجاج كيف ترى مانجمع لامير المؤمنين . قال سعيد لم أر . فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه . قال سعيد: هذا حسن ان قمت بشرطه . قال الحجاج وماشرطه قال . أن تشترى بما تجمع الآمن من الفزع الاكبر يوم القيامة والافان كل مرضعة تذهل عما أرضعت ويضع كل ذى حمل حمله ولا ينفع الا ماطاب منه . قال الحجاج : فترى جمعنا طيبا . قال برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه . قال الحجاج تحب أن اك منه شيئا . قال لا أحب مالا يحب الله . قال الحجاج ويلك قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فأدخل النار . قال الحجا لااذهبوا به فاقتلوه . قال انى أشهدك ياحجاج أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله استحفظكهن ياحجاج حتى ألقاك

فلما أدبر ضحك . قال الحجاج ما

يضحك ياسعيد ؟ قال عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك . قال الحجاج انما أقتل من شق عصا الجماعة ومال الى الفرقة التي نهى الله عنها ، أضربوا عنقه . قال سعيد حتى أصلي ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وماأنا من المشركين ، قال الحجاج : أصرفوه عن القبلة الى قبلة النصارى الذين تفرقوا واختلفوا بغيا بينهم فانه من حزبهم ، فصرف عن القبلة فقال سعيد : فأينما تولوا فثم وجه الله المكافي بالسرائر . فقال الحجاج لم نوكل بالسرائر وانما وكلنا بالظواهر . قال سعيد : اللهم لاتترك له ظلمي واطلبه بدمي واجعلني آخر قتيل يقتل من أمة محمد . فضربت عنقه ثم قال الحجاج هاتوا من الخوارج فقرب منهم جماعة فأمر بضرب أعناقهم وقال ماأخاف الادعاء من هو في ذمة الجماعة من المظلومين فأما أمثال هؤلاء فانهم عالمون حين خرجوا عن جمهور المسلمين وقائد سبيل المتوسمين . وقال قائل ان الحجاج لم يفرغ من قتله حتى خولط في عقله وجعل يصيح : قيودنا قيودنا يعني القيود التي كانت في رجل سعيد بن جبير . ويقال متى كان الحجاج يسأل عن القيود اويعبأ بها وهذا يمكن القول فيه لأهل الاهواء في الفتح والاغلاق »

انتهى مانقلناه من كتاب ابن قتيبة من تاريخ عبد الملك بن مروان وانما عمدنا الى نقله بحروفه ليرى القارىء صورة الحوادث على ما كانت عليه في ذلك العصر فيتبين تركيب حكوماته وأساليب أهله . وانما عمدنا الى النقل عن ابن قتيبة لانه أقرب الى تلك الحوادث ممن خالفه من المؤرخين فيكون تصوير لها أقرب الى الحقيقة

﴿ عبدالملك بن صالح ﴾ هو ابن علي ابن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب أبو عبد الرحمن

تولى المدينة والصوائف لهرون الرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للامين . وأخذ الحديث عن أبيه ومالك بن انس وكان افصح الناس واخطبهم ولم يكن في عصره مثله في فصاحته وصيانته وجلالته

قيل ليحيى بن خالد البرمكي وقد ولى الرشيد عبد الملك المدينة وكيف ولاه

المدينـة من بين عماله ؟ قال أحب أن يباهى به قريشا ويعلمهم ان فى بنى العباس مثله

ودخل على الرشـيد يوما وقد توفى له ولد وجاءه ولد : فقال يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعل هـذه بهذه جزاء للشاكر وثوابا للصابر

قيل له ان أخاك عبد الله يزعم انك حقود. فقال:

اذا ما امرؤ لم يحقد الوتر لم تجد
لديه لدى النعماء حمدا ولا شكرا

ووجه الى الرشيد فاكهة فى أطباق الخـيزران وكتب اليه أسـعد الله أمير المؤمنين وأسعد به انى دخلت الى بستان لى افادنيه كرمـك ، وغمرته لى نعمتك قد اينعت اشجاره ، وآنت ثماره فوجهت الى أمـير المؤمنين منه شيئا على الثقـة والامكان ، فى أطباق القضبان ؛ ليصل الىّ من بركة دعائه ، مثل ما وصل الى من كـثرة عطائه

فقال رجل يا أمير المؤمنين لم أسمع بأطباق القضبان . فقال الرشيد يا أبله انه كنى عن الخيزران اذ كان اسما لامنا

ولما ودعه الرشيد وقد وجهـه الى الشام فقال له الرشـيد ألك حاجة ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين بينى وبينك بيت يزيد ابن الدثنة حيث يقول:

فكونى على الواشى لدى شعوبة
كما أنا للواشى ألد شعوب

ثم أن الرشيد جعل ابنـه القاسم فى حجر عبد الملك بن صالح فقال عبد الملك يحض الرشيد على أن يوليه العهد بعد أخويه الامين والمأمون :

يا أيها الملك الذى
لو كان نجما كان سعدا
للقاسم اعقد بيعـة
واوقد له فى الملك زندا
الله فرد واحد
فاجعل ولاة العهد فردا

فجعله الرشيد ثالثهما . ثم وشى به بعد ذلك وتتابعت الاخبـار عنه بفساد نيته للرشيد ، فدخل عليه فى بعض الايام وقد امتلأ قلب الرشيد غيظا فقـال له أنكراً بالنعمة وغدراً بالامام ؟ فقال عبد الملك قد بؤت اذن باعباء الندم ، واستحلال النقم ، وما ذاك ياأمير المؤمنين الا بغى حاسد نافس فيك وفي

تقديم الولاية ومودة القرابة . يا امير المؤمنين انك خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امته ، واميته على عترته ، لك عليها فرض الطاعة واداء النصيحة ولها عليك العدل فى حكمها ، والتثبت فى حادثها

فقال الرشيد هذا ثمامة كاتبك يخبر بفساد نيتك وسيرتك ، ثم امر باحضاره وقال له الرشيد تكلم غير خائف ولا هائب. فقال أقول انه عازم على الغدر بك يا أمير المؤمنين والخلاف عليك . فقال عبد الملك وكيف لا يكذب على من خاق من يبهتنى فى وجهى

فقال الرشيد هذا ولدك عبد الرحمن يقول بقول كاتبك ويخبر عن سوء ضميرك ، وفساد نيتك ، وانت لو أردت أن تحتج بحجة لم تجد أعدل من هذين ؟ فقال يا أمير المؤمنين عبد الرحمن بين مأمور أو عاق . فان كان مأموراً فمعذور. وان كان عاقاً فهو عدو خبر الله بعداوته وحذر منها فقال جل ثناؤه فى محكم كتابه، (ان من أولادكم وازواجكم عدواً لكم فاحذروهم)

فنهض الرشيد فقال أما امرك فقد وضح ولكن لا أعجل حتى أعلم ما الذى يرضى الله فيك فانه الحكم بينى وبينك

فقال عبد الملك رضيت بالله حكما وبأمير المؤمنين حاكما فانى أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه

ثم أنه دخل عليه فى مجلس آخر وسلم فلم يرد عليه الرشيد فلم يزل يعتذر ويحتج لنفسه بالبراءة حتى أقبل عليه بوجهه وقال ما هذا الامر الا كما قلت يا أبا عبد الرحمن وانك لحسود وأمير المؤمنين يعلم انك على سريرة صالحة غير مدخولة ولا خسيسة ثم عاد عبد الملك لشربة ماء . فقال له الرشيد ما شرابك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال سحيق الطبرزذ بماء الرمان

فقال الرشيد بخ بخ عضوان لطيفان يذهبان الظماء ، ويلذان المذاق

فقال عبد الملك صفتك لها يا أمير المؤمنين ألذ من فعلها . ثم أن الرشيد تنكر له بعد ذلك فحبسه عند الفضل بن الربيع ولم يزل محبوسا عند الفضل بن الربيع سنين حتى توفى الرشيد فأطلقه الامين وعقد له بالشام وجعل للأمير عهد الله وميثاقه لئن قتل وهو

حتى لا يعطى للمأمون طاعة فمات ودفن بدار الامارة بالرقة

فلما قتل الامين وخرج المأمون يريد الروم أرسل الى ابن عبد الملك حول اباك من دارى فنبشت عظامه وحولت

ومن شعر عبد الملك بن صالح ما كتبه الى الرشيد وقد تغير عليه :

اخلاى لى شجو وليس لكم شجو
وكل امرىء من شجو صاحبه خلو
من أى نواحى الارض أبغى رضاكم
وأنتم اناس مالمرضاتكم نحو
فلا حسن نأتى به تقبلونه
ولا ان أسأنا كان عندكم عفو

فلما وقف عليها الرشيد قال والله ان كان قالها فقد احسن . وان كان رواها فقد احسن ، وكتب اليه من السجن رحمه الله :

قل لأمير المؤمنين الذى
يشكره الصادر والوارد
ياواحد الاملاك فى فضله
مالك مثل فى الورى واحد
ان كان بى ذنب ولا ذنب لى
حقا كما قد زعم الحاسد
فلا يضق عفوك عنى فقد
فاز به المسلم والجاحد

ومن شعره وهو فى السجن :

أئن ساءنى سجنى لقد أحبنى
وانى فيهم لا أمر ولا أحلى
لقد سرنى عزى بترك لقائهم
وما مشتكى من حجابى ومن ذلى

ولما اخرجه الامين من السجن دفع اليه كاتبه وابنه فقتل ابنه وهشم وجه كاتبه بعمود

توفى سنة (١٩٦)

﴿مالك بن دينار﴾ هو أبو يحيى مالك ابن دينار البصرى وهو من موالى بنى سامة لؤى القرشى

كان عالما زاهدا كبير الورع لا يأكل الا من كسب يده ، فكان يكتب المصاحف بالاجرة . روى انه قال : قرأت فى التوراة ان من يعمل بيده طوبى لمحياه ومماته . وكان يوما فى مجلس وقد قص فيه قاص فبكى القوم ثم ما كان بأوشك من ان أتوا برؤوس فجعلوا يأكلون منها فقالوا لمالك كل فقال ، انما يأكل الرؤوس من بكى وانا لم ابك فلم يأكل منها

لمالك المذكور مناقب عديدة وآثار

مشهورة فمن ذلك ما حكاه ابو القاسم خلف ابن بشكوال الاندلسى فى كتابه الذى سماه كتاب المستغيثين بالله تعالى فانه قال بينما مالك بن دينار يوما جالس اذ جاءه رجل فقال يا أبا يحيى ادع الله لامرأة حبلى منذ اربع سنين قد اصبحت فى كرب شديد . فغضب مالك واطبق المصحف ثم قال ما يرى هؤلاء القوم الا اننا انبياء . ثم قرأ ثم دعا فقال اللهم هذه المرأة ان كان فى بطنها جارية فابدلها بها غلاما فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب . ثم رفع مالك يده ورفع الناس ايديهم وجاء رسول الى الرجل وقال ادرك امرأتك فذهب الرجل فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد وعلى رقبته غلام جعد قطط ابن اربع سنين وقد استوت اسنانه فأقطع سراره

كان مالك بن دينار من كبار السادات توفى سنة (١٣١) بالبصرة

مالك بن أنس هو الامام ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن ابى عامر بن عمر بن الحارث بن غيمان وقيل عثمان بن جنبل وقيل خثيل بن عمرو ابن ذى اصبح واسمه الحارث الاصبحى المدنى

هو امام دار الهجرة وأحد الائمة الاعلام اخذ القراءة عرضا من نافع بن أبى نعيم وسمع الزهرى ونافعا مولى ابن عمر رضى الله عنهما وسمع عنه الاوزاعى ويحيى بن سعيد واخذ العلم عن ربيعة الرأى وأفتى معه عند السلطان

قال مالك قل رجل كنت أتعلم منه ما مات حتى يجيئنى ويستفتينى

وقال ابن وهب سمعت مناديا ينادى بالمدينة ألا لا يفتى الناس الا مالك بن أنس وابن ابى ذؤيب

وكان مالك اذا اراد ان يحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن فى جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . فقيل له فى ذلك فقال أحب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به الا متمكنا على طهارة وكان يكره ان يحدّث على الطريق او قائما او مستعجلا ويقول احب ان تفهم ما أحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لا يركب فى المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول لا أركب فى

مدينة فيها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفونة

وقال الشافعى قال لى محمد بن الحسن أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعنى أبا حنيفة ومالكا رضى الله عنهما ؟ قال قلت على الانصاف ؟ قال نعم. قلت ناشدتك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال اللهم صاحبكم ؟ قال قلت ناشدتك الله من اعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا ام صاحبكم ؟ قال اللهم صاحبكم. قال الشافعى فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا على هذه الاشياء فعلى اى شيء نقيس

وقال الواقدى كان مالك يأتى المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويقضى الحقوق ويجالس فى المسجد ويجتمع اليه اصحابه ثم ترك الجلوس فى المسجد فكان يصلى وينصرف الى مجلسه . وترك حضور الجنائز فكان يأتى أهلها فيعزيهم . ثم ترك ذلك كله فلم يكن يشهد تلك الصلوات فى المسجد ولا الجمعة ولا يأتى أحدا يعزيه ولا يقضى له حقا واحتمل الناس له ذلك حتى مات عليه وكان ربما قيل له فى ذلك فيقول ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره

وسعى به الى جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما وهو عم ابو جعفر المنصور وقالوا له انه لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشيء . فغضب ابو جعفر ودعا به وجرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفه وارتكب معه امرا عظيما فلم يزل بعد ذلك الضرب فى علو ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حلياً حلى به

وذكر ابن الجوزى فى شذوذ العقود فى سنة (١٤٧) وفيها ضرب مالك بن انس سبعين سوطا لاجل فتوى لم توافق غرض السلطان والله اعلم

ولد مالك سنة (٩٥) للهجرة وحمل به ثلاث سنين وتوفى فى شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة رضى الله عنه فعاش اربعا وثمانين سنة وقال الواقدى مات وله تسعون سنة

وقال ابن الفرات فى تاريخه المرتب على السنين توفى مالك بن انس الاصبحى لعشر مضين من شهر ربيع الأول سنة

تسع وتسعين ومائة وقيل انه توفى سنة ثمان وسبعين ومائة وقيل ان مولده سنة تسعين للهجرة

وقال السمعانى فى كتاب الانساب فى ترجمة الاصبحى انه ولد فى سنة ثلاث أو أربع وتسعين والله أعلم

(وحكى) الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتاب جذوة المقتبس قال حدث القعنبى قال دخلت على مالك بن أنس فى مرضه الذى مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكى فقلت يا أبا عبدالله ما الذى يبكيك ؟ فقال لى يا ابن قعنب ومالى لا أبكى ، ومن أحق بالبكاء منى ، والله لوددت انى ضربت بكل مسألة أفتيت فيها برأيى بسوط سوط وقد كانت لى السعة فيما قد سبقت اليه وليتنى لم أفت بالرأى . أو كما قال

وكانت وفاته بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن بالبقيع وكان شديد البياض الى الشقرة طويلا عظيم الهامة أصلع يلبس الثياب المدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة ولا يغير شيبه ورثاه أبو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج بقوله:

سقى جدثا ضم البقيع لمالك
من المزن مرعاد السحائب مبراق

امام موطاه الذى طبقت به
أقاليم فى الدنيا فساح وآفاق

أقام به شرع النبى محمد
له حذر من أن يضام واشفاق

له سند عال صحيح وهيبة
فللكل منه حين يرويه اطراق

وأصحاب صدق كلهم علم فسل
بهم انهم ان انت ساءلت حذاق

ولو لم يكن الا ابن ادريس وحده
كفاه ألا ان السعادة أرزاق

والاصبحى بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة هذه النسبة الى ذى اصبح واسمه الحرث بن عوف بن مالك بن يزيد ابن شداد بن زرعة وهو من يعرب بن قحطان وهى قبيلة كبيرة باليمن واليها تنسب السياط الاصبحية

وقال هشام بن الكلبى فى جمهرة النسب ذو أصبح هو الحرث بن مالك ابن زيد بن غوث بن سعد بن عوف ابن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم

ابن عبد شمس بن وائل بن الغـوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب قحطان واسمه يقطن بن عابر بن شالخ بن ارفخشـذ بن نوح عليـه السلام

﴿مالك بن طوق﴾ هو التغلبي صاحب الرحبة احد الاشراف والفرسان الاجواد في عهد بني العباس

تولى إمرة دمشق للمتوكل وكلف ينادي على باب داره بالخضراء وكانت دار الامارة بعد المغرب: الافطار يرحمكم الله. قال والابواب اذذاك تكون مفتحة يدخلها الناس

وهو الذي بنى الرحبـة التي على الفرات واليـه تنسب . وسبب ذلك ان هرون الرشيد ركب في حراقة مع ندمائه في الفرات ومعهم مالك بن طوق فلـما قرب من الدواليب قال ياامير المؤمنـين لو خرجت الى الشط لنجوز هذه الدواليب . قال أحسبك تخـاف هذه . قال الله يكفى امير المؤمنين كل محذور. قال الرشيد قد تطيرت بقولك ثم صعد الى الشط فلما بلغت الحراقة الى الدواليب داوت دورة ثم انقلبت بما فيهـا فتعجب الرشيد من ذلك وسجد شكرا لله تعالى وتصدق بأموال كثيرة وقال لمالك وجبت لك علينا حاجة فسل ماتحب . قال يعطيني امير المؤمنين هنا ارضا ابنيها فتنسب الى . قال قد فعلنا وساعدنا بالاموال والرجال فلـما عمرها واستوثق اموره فيها وتحول الناس اليها انفذ اليـه الخليـفة يطلب منـه مالا فتمالل ودافع ومانع وتحصن وجمع الجيوش وطالت الوقائع بينه وبين عسكر الرشيد الى ان ظفر به قائد جيش الرشيد وحمله مكبـلا فمكث في السجن عشرة أيام ثم أمر باحضـاره في جمع من الرؤسـاء وارباب الدولة فقبل الارض ولم ينطق. فتعجب الرشيد من صمتـه واغاظه ذلك وأمر بضرب عنقه وبسط النطع وجرد السيف وقدم مالك. فقال الوزير يامالك تـكلم فان امير المؤمنين يسمع كلامك . فرفع رأسه وقال يا امير المؤمنين اخرست عن الـكلام دهشة وقد ادهشت عن السلام والتحية . فاما اذ أذن امير المؤمنين فاني اقول السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الحمد لله الذي خلق الانسان

من سلالة من طين. ياامير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين، ولم بك شعث الامة، واخمد بك شهاب الباطل، واوضح بك سبل الحق، ان الذنوب تخرس الالسنة الفصيحة وتصدع الافئدة، وأيم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة ولم يبق الا عفوك أو انتقامك. ثم أنشأ يقول بعدما التفت يمينا وشمالا :

أرى الموت بين النطع والسيف كامنا
يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي
واى امرىء مما قضى الله يفلت
يعز على الاوس بن تغلب موقف
يهز على السيف فيه واسكت
واى امرىء يدلي بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه يصلت
ومابي من خوف اموت واني
لأعلم ان الموت شيء مؤقت
ولكن خوف صبية قد تركتهم
واكبادهم من حسرة تتفتت
كأني اراهم حين انعى اليهم
وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا آمنين بغبطة
أذود الردى عنهم وان مت موتوا
فكم قائل لا يبعد الله داره
وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى هرون الرشيد وقال لقد سكت على همة، وتكلمت عن علم وحكمة، وقد عفوت لك عن الصبوة، ووهبتك للصبية، فارجع الى ولدك ولاتعاود

فقال سمعا وطاعة. وانصرف

توفى سنة (٢٥٩) ه

﴿ مالك بن نويرة ﴾ بن حمزة بن شداد ابو المغوار اليربوعي اخو متمم

كان يلقب بالجفول لكثرة شعره اسلم في مدة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ثم ارتد مع من ارتد بعد وفاته فقتل في حروب اهل الردة التي قام بها ابو بكر الصديق امير المؤمنين

قال ابو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني : كان ابو بكر رضي الله عنه لما جهز خالد بن الوليد لقتال اهل الردة قد اوصاهم انهم اذا سمعوا الاذان في الحي واقامة الصلاة نزلوا عليهم فان اجابوا الى اداء الزكاة والا الغارة. فجاءت السرية حي مالك وكان في السرية ابو قتادة الانصاري وكان ممن شهد أنهم أذنوا واقاموا وصلوا فقبض عليهم وكانت

ليلة باردة فأمر خالد مناديا ينادي أدفئوا أسراكم ،وكان لغة كنانة اذا قال ادفئوا الرجل يعنون اقتلوه ،فقتل ضرار بن الازور مالكا . وسمع خالد الداعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال اذ اراد الله أمرا أصابه. فقال أبو قتادة هذا عملك . فزبره خالد . فغضب ومضى حتى اتى ابا بكر ، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه فيه عمر فلم يرض الا أن يرجع الى خالد ويقيم معه فرجع اليه ولم يزل معه حتى قدم خالد المدينة . وكان خالد قد تزوج بزوجة مالك .فقال عمر ان فى سيف خالد رهقا وحق عليه ان يقيده . وأكثر عليه فى ذلك وكان أبو بكر لا يقيد عماله . فقال ياعمر ان خالدا تأول فأخطأ فارفع لسانك عنه . ثم كتب الى خالد أن يقدم عليه فقدم وأخبره بخبره فقبل عذره فعنفه بالتزويج.وقيل أن خالدا كان يهوى امرأة مالك فى الجاهلية،وكان خالد يعتذر فى قتله فيقول انه قال لى وهو يراجعنى ما إخال صاحبكم الا قد كان يقول كذا وكذا . فقال خالد أو ماتعده صاحبك . ثم قدمه فضرب عنقه . ومما يؤيد خالدا ان مالكا صار مرتدا ان متمما أخاه لما أنشد عمر مراثيه فى مالك قال عمر والله لوددت انى احسن الشعر فأرثى اخى زيدا بمثل مارثيت اخاك . فقال متمم لو ان أخي مات على ما مات عليه أخوك مارثيته .فقال عمر رضى الله عنه ماعزانى أحد على أخى بأحسن مما عزانى به متمم .وقال الرياشى صلى متمم بن نويرة مع ابى بكر رضى الله عنه الصبح ثم انشده :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت
فوق المضاه قتلت يا ابن الازور

الابيات، ثم بكى حتى سالت عينه العوراء. ثم انحرط على سية قوسه مغشيا عليه وقيل لمتمم مابلغ من وجدك على اخيك . فقال اصبت باحدى عيني فما قطرت منها قطرة عشرين سنة فلما قتل أخى استهلت فما ترقأ

ويقال فى المثل : (فتى ولا كمالك ومرعى ولا كالسعدان) يعنون به مالكا هذا

وقيل لمتمم صف لنا مالكا ،فقال : كان يركب الجمل الثقال فى الليلة القرة يرتمى لاهله بين المزادتين ، عليه الشملة الفلوت يقود الفرس الحرون ثم يصبح ضاحكا

ومن شعر متمم فى اخيه مالك:

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت
فوق العضاه قتلت يا ابن الازور
ادعوته بالله ثم غدرته
بل لو دعاك بذمة لم يغدر
لايلبس الفحشاء تحت ثيابه
صعب مقادته عفيف المئزر
فلنعم حشوا الدرع كنت وحاسرا
ولنعم مأوى الطارق المتنور

وقال يرثيه من ابيات:

وكنا كندمانى جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير فى الحياه وقبلنا
اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فان تكن الايام فرقن بيننا
فقد بان محمودا اخى يوم ودعا
اقول وقد طار السنا فى ربابه
وجون يسح الماء حتى تريعا
سقى الله ارضا حلها قبر مالك
ذهاب الغوادى المدجنات فأمرعا
تحيته منى وان كان نائيا
وامسى ترابا فوقه الأرض بلقعا

وقال ايضا رحمه الله تعالى:

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
لقد لامنى عند القبور على البكا
رفيقى لتذراف العيون السوافك
فقلت لهم ان الشجا يبعث الشجا
دعونى فهذا كله قبر مالك

وقال عمر رضى الله عنه لمتمم أكان مالك يحبك مثل محبتك اياه ؟ فقال أين انا من مالك ، والله يا أمير المؤمنين لقد أسرنى حى من العرب فشدونى وثاقا وألقونى بفنائهم فبلغه خبرى فأقبل على راحلته حتى انتهى الى القوم وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر الى أعرض عنى وقصد الى القوم فعرفت ما أراد فوقف عليهم فسلم وحادثهم وضاحكهم فوالله مازال حتى ملأهم سرورا وأحضروا غداءهم فسألوه النزول يتغدى معهم فنزل ثم نظر اليهم وقال لقبيح بنا أن نأكل ورجل ملقى بين ايدينا لا يأكل معنا وأمسك عن الطعام فقام القوم وصبوا الماء على قيدى حتى لان وحلونى ثم جاؤا بى وأجلسونى معهم على الغداء . فلما أكلنا قال لهم ماترون تحرم هذا منا

وأكل معنا وانه لقبيح بكم ان تردوه الى القيد . فخلوا سبيلي وأطلقونى بغير فداء

﴿ابن مالك النحوى﴾ هو محمد بن عبد الله بن مالك الامام العلامة الاوحد جمال الدين الطائى الجيانى الشافعى النحوى نزيل دمشق

ولد سنة (٦٠٠) وسمع بدمشق وتصدر بحلب لاقراء العربية وصرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين . وكان اماما فى القراءات وعللها وصنف فيها قصيدة فى قدر الشاطبية . وأما اللغة فكان اليه المنتهى فيها . وكان اماما فى العادلية فكان اذا صلى فيها يشيعه قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان مؤلف وفيات الاعيان الى بيته تعظيما له . وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحرا لاساحل له . وأما اطلاعه على أشعار العرب التى يستشهد بها فكان فيه غاية وكان أكثر ما يستشهد بالقرآن فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث ، فان لم يكن فيه شىء عدل الى أشعار العرب . هذا غير ما كان عليه من الدين والعبادة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال النقل وأقام بدمشق مدة يصنف ويشتغل بالجامع وبالتربية العادلية وتخرج به جماعة وكان نظم الشعر عليه سهلا وصنف كتابا لتسهيل الفوائد مدحه سعد الدين بن عربى بأبيات وهى :

ان الامام جمال الدين جمله
رب العلى ولنشر العلم أهله
أملى كتابا له يسمى الفوائد لم
يزل مفيدا لذى لب تأمله

ومن تصانيفه سبك المنظوم ، وفك المختوم ، وكتاب الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها ، والخلاصة ومختصر الشافية ، واكمال الاعلام بمثلث الكلام ، وفعل وأفعل ، والمقدمة الاسدية صنفها باسم ولده الاسد ، وعدة اللافظ وعمدة الحافظ ، والنظم الاوجز فيما لا يهمز ، والاعتضاد فى الظاء والضاد ، واعراب مشكل البخارى . توفى سنة (٦٧٢)

رثاه شرف الدين بقوله :

ياشتات الاسماء والافعال
بعد موت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط
منه فى الانفصال والاتصال

مصدرا كان للعلوم باذن الـ
له من غير شبهة أو محال
عدم النعت والتعطف والتو
كيد مستبدلا من الابدال
ألم إعتراه أسكن منه
حركات كانت بغير اعتلال
يالها سكنة لهمز قضاء
أورثت طول مدة الانفصال
رفعوه فى نعشه فانتصبنا
نصف تمييز كيف سير الجبال
صرفوه ياعظم ما فعلوه
وهو عدل معرف بالجمال
أدغموه فى الترب من غير مثل
سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدفـ
ـن وقوفا ضرورة لامثال
ومددنا الاكف نطلب قصرا
مسكنا للنزيل من ذى الجلال
آخر الآى من سبا حظنا منه
حظه جاء أول الانفال
يالسان الاعراب ياجامع الاعـ
ـراب يامفهما لكل مقال
يافريد الزمان فى النظم والنـ
ـثر وفى نقل مسندات العوالى
كم علوم بثثتها فى أناس
علموا مابثثت عند الزوال

﴿ملك النحاة﴾ هو أبو نزار الحسن ابن ابى الحسن صافى بن عبد الله بن نزار ابن أبى الحسن النحوى المعروف بملك النحاة

قال العماد الكاتب فى الخريدة : كان من الفضلاء المبرزين ، وحكى ماجرى بينهما من المكاتبات بدمشق ، وبرع فى النحو حتى صار أنحى اهل طبقته وكان فهما فصيحا ذكيا الا انه كان عنده عجب بنفسه وتيه لقب نفسه ملك النحاة وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك

خرج من بغداد وسكن واسط مدة وأخذ عنه جماعة من أهلها أدبا كثيرا واتفقوا على فضله ومعرفته

وذكر أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ اربل فقال ورد اربل وتوجه الى بغداد وسمع بها الحديث وقرأ مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وأصول الدين على أبى عبد الله القيروانى والخلاف على أسعد المهينى واصول الفقه على ابى الفتح بن برهان صاحب الوجيز والوسيط

في اصول الفقه . وقرأ النحو على الفصيحي وكان الفصيحي قد قرأ على عبد القاهر الجرجاني صاحب الجمل الصغرى . ثم سافر الى خراسان وكرمان وغزنة ثم رحل الى الشام واستوطن دمشق وتوفى بها سنة (٥٦٨) وقد ناهز الثمانين ودفن بمقابر باب الصغير. اما مولده فكان في سنة (٥٨٩) بالجانب الغربي من بغداد بشارع دار الدقيق وله مصنفات كثيرة في الفقه والاصول والنحو وله ديوان شعر ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة ومن شعره :

سلوت بحمد الله عنها فأصبحت
دواعي الهوى من نحوها لا اجيبها
على انني لا شامت ان اصابها
بلاء ولا راض بواش يعيبها

وله اشياء حسنة وكان مجموع فضائل

﴿ملّ﴾ فلان يملّ اصابه الملال و (مل الشيء يمله) سئمه . و (أملّ الكتاب واملاه عليه) اى قاله له فكتب و (الملال) السآمة والضجر و (الملّة) الشريعة والدين والطريقة . و (الملأل) ذو الملل . و (تململ الرجل) تقلب على فراشه مرضا او غما . و (ململه) جعله يتململ

﴿المليمتر﴾ هو جزء من الف من المتر وجزء من مئة من الديسمتر وجزء من عشرة من السنتيمتر

﴿ملي﴾ يقال (أملى له في الغي) أطال له . و (تملّى فلان عمره) استمتع منه . و (تملاّه) عاش معه متمتعا به . و (الملا) الصحراء والمتسع من الارض جمعه أملاء . و (الملوان) الليل والنهار و (الملوة) البرهة من الدهر

قوله تعالى حكاية عن بعض خلقه « واهجرني مليا » اى دهرا طويلا

و (الاملاء) الامهال والتأخير في المدة . و (الأمالي) جمع أمليّة وهو ما يمليه المعلم على تلاميذه من العلوم

﴿المليم﴾ جزء من عشرة من القرش المصري

﴿المليون﴾ كلمة اعجمية معناها الف الف

﴿ابن مماتي﴾ هو القاضي الاسعد ابو المكارم اسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن ابي قدامة بن ابن مليح مماتي المصري الكاتب الشاعر

كان ناظرا للدواوين فى الديار المصرية معروفا بالفضائل . له مصنفات جمة وقد نظم سيرة السلطان صلاح الدين ونظم كتاب كليلة ودمنة وله ديوان شعر جيد منه :

تعاتبنى وتنهى عن أمور
سبيل الناس ان ينهوك عنها
أتقدر أن تكون كمثل عينى
وحقك ما على أضر منها

وله قصيدة طويلة :

لنيرانه فى الليل أى تحرق
على الضيف ان أبطا واى تلهب
وما ضر من يعشو الى ضوء ناره
اذا هو لم ينزل بآل المهلب

وله فى كتمان السر :

واكتم السر حتى عن اعادته
الى المسر به من غير نسيان
وذاك ان لسانى ليس يعلمه
سمعى بسر الذى قد كان ناجانى

قال العماد الاصفهانى فى كتاب الخريدة لقيته بالقاهرة يتولى ديوان جيش الملك الناصر وكان هو وجماعته نصارى فأسلموا فى ابتداء الملك الصلاحى

ثم حدث ان الاسعد المذكور خاف على نفسه من الوزير صفي الدين بن شكر فهرب من مصر مستخفيا وقصد مدينة حلب لائذا بجانب السلطان الملك الظاهر وأقام بها حتى توفى سنة (٦٠٦) وعمره اثنان وستون سنة

قيل سمى القاضى الاسعد المذكور مماتى لأنه وقع فى مصر غلاء عظيم وكان كثير التصدق والاطعام وخصوصا لصغار المسلمين فكانوا اذا رأوه ناداه كل واحد منهم مماتى فاشتهر به

رثاه ابو طاهر بن مكنسة المغربى الشاعر بقوله :

طويت سماء المكرما
ت وكورت شمس المديح
من ذا أؤمل أو أرجى
بعد موت أبى المليح

وكان لابى طاهر المذكور مدائح جليلة فى ابن مماتى المذكور

﴿ دولة المماليك ﴾ انظر كلمة (مصر)

﴿ داء الملوك ﴾ انظر (نقرس)

﴿ مَنْ ﴾ اسم شرط جازم يجزم فعلين نحو (مَن يجدّ يجدْ) وتكون اسم استفهام نحو (من فعل هذا ؟) . واسم موصول نحو (جاء كل من فى البيت)

﴿مِن﴾ حرف جر ومن معانيه ابتداء الغاية نحو (جاء من البيت) . ومن معانيه التبعيض نحو (منهم من كلنا)

﴿منحه﴾ الشيء يمنحه اياه اعطاه اياه و(استمنحه) طلب عطيته واسترفده و(المنحة) العطية . و(المنيح) عند العرب سهم بلا نصيب فى المقامرة

﴿ابن مندة﴾ هو ابو عبد الله محمد كان من كبار الحفاظ توفى سنة (٣١٠)

﴿ابن مندة﴾ هو ابو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن الامام ابى عبد الله بن اسحق بن محمد بن يحيى بن مندة بن الوليد ابن مندة بن بطة بن استندار بن جهار بخت ابن فيرزان

كان من الحفاظ المشهورين واحد اصحاب الحديث المبرزين حفيد المتقدم فهو محدث بن محدث بن محدث بن محدث بن محدث بن محدث . وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة حافظا مكثرا صدوقا كثير التصانيف بعيدا عن التكلف . خرج التاريخ لنفسه ولجماعة من الشيوخ والاصبهانيين وسمع ابا بكر بن عبد الله بن زيد الضبى وابا طاهر محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحيم الكاتب وابا منصور محمد بن عبد الله بن فضلويه الاصبهانى واباه وابا عمرو وعمه ابا الحسن عبد الله وابا القاسم عبد الرحمن وابا العباس احمد بن محمد ابن احمد بن النعمان القضاعى وابا عبدالله محمد بن على بن الحسين الجوردانى وابا طاهر احمد بن محمود الثقفى

ورحل الى نيسابور وسمع ابا بكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد النهاوندى والى البصرة وسمع بالقاسم ابراهيم بن محمد بن احمد الشاهد وعبدالله بن الحسن السعدانى وجماعة كثيرة سواهم

صنف تاريخ اصبهان وغيره من المجموع ودخل بغداد حاجا وحدث بها واملى بجامع المنصور وكتب عنه الشيوخ منهم ابو الفضل محمد بن ناصر وعبد القادر بن صالح الجيلى وابو محمد عبد الله بن احمد بن احمد بن احمد بن الخشاب النحوى فى خلق كثير لشهرته وتثبته

وروى عنه ابو البركات عبد الوهاب ابن المبارك الانماطى الحافظ وابو الحسن على بن ابى تراب الرنكوى الخياطه البغدادى وابو طاهر يحيى بن عبد الغفار ابن الصباح بن هبة الله بن العلاء الحافظ

وجماعة كثيرة

وذكر الحافظ ابن السمعانى فى كتاب الذيل وقال كتب لى الاجازة بجميع مسموعاته

ثم قال سألت عنه ابا بكر محمد بن أبى نصر بن محمد الكفتوانى الحافظ فقال بيت ابن منده بدىء بيحيي وختم بيحيي يريد فى معرفة الحديث والعلم والفضل

وذكره الحافظ عبد الغافر بن اسماعيل ابن عبد الغافر الفارسى فى مساق تاريخه بنيسابور فقال ابو زكريا يحيي بن عبد الوهاب بن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور فى الدنيا ، سافر وأدرك المشايخ وسمع منهم وصنف على الصحيحين . وكان يروى باسناده المتصل الى بعض العلماء انه قال (كثرة الضحك امارة الحمق ، والعجلة من ضعف العقل ، وضعف العقل من قلة الرأى ، وقلة الرأى من سوء الادب ، وسوء الادب يورث المهانة ، والمجون طرف من الجنون ، والحسد طرف لادواء له ، والتمائم تورث الضغائن)

وكان يروى بالاسناد المتصل الى الاصمعى أنه قال دخلت فى البادية الى مسجد فقام الامام يصلى فقرأ (انا أرسلنا نوحا الى قومه) وارتج عليه فجعل يكررها ويقول (انا أرسلنا نوحا الى قومه) فقال اعرابى من ورائه وهو قائم يصلى: ياهذا ان لم يذهب نوح فأرسل غيره

وكان يحيي المذكور كثيرا ماينشد :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى
وللمشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه
بدنيا سواه فهو من ذين أخيب

ولد بأصبهان فى شوال سنة (٤٣٤) وتوفى بها يوم عيد النحر سنة (٥١٢) ولم ينبغ فى بيت ابن منده بعده مثله

وقال ابن نقطة فى كتابه اكمال الاكمال توفى فى ١٦ ذى الحجة من سنة (٥١١) وذكر أن مولد أبيه عبد الوهاب سنة (٣٨٦) وتوفى سنة (٤٧٥)

﴿منذ ومذ﴾ حرفا جر بمعنى من ان كان الزمان ماضيا ، وبمعنى فى ان كان الزمان حاضرا ، وبمعنى من والى ، ان كان معدودا نحو (مارأيته مذ يوم الجمعة أومذ يومنا او مذ ثلاثة أيام)

﴿المنصورة﴾ مدينة مصرية هى قاعدة مديرية الدقهلية وهى مدينة جميلة

جيدة الهواء واقعة على الشاطىء الايمن لفرع دمياط تعتبر من مدن مصر التجارية فى القطن والحبوب وبها معاصر للزيوت كثيرة ومعامل لحلج القطن وتصنع فيها أيضا أقمشة قطنية وكتانية. وقد يبلغ الآن عدد سكانها نحو (١٠٠٠٠٠) نسمة

بناها الملك الكامل ناصر الدين الايوبى فى سنة (٦١٦) هجرية عند مادخل الفرنج دمياط . وحصلت بقربها سنة (٦٤٨) هجرية أى (١٢٥٠) ميلادية وقعة دموية بين الصليبيين تحت قيادة الملك لويز التاسع ملك فرنسا الملقب سان لويزاى القديس لويز وبين المصريين تحت قيادة الملك طوران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب . فدارت الدائرة على المهاجمين وأسر الملك لويز ووضع هو وأركان حربه بدار بها يقال لها دار ابن لقمان لم تزل آثارها باقية الى الآن. ثم حدث صلح وافتدى ملك الفرنسيين نفسه بمال عظيم

(انظر دقهلية)

المنصورة قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان فى مواضع متعددة من كتابه :

منها المنصورة بأرض السند وهى قصبتها مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير سواريه ساج ولهم خليج من نهر مهران أصل اسمها همنابذ . قيل لها المنصورة لان عمير ابن حفص المهلبى بناها فى أيام المنصور من بنى العباس وخليجها يحيط بها فهى منه فى شبه الجزيرة . وهى شديدة الحر بينها والديبل ست مراحل، وبينها والملتان اثنتى عشرة مرحلة من المنصورة الى أول حد البرسة

ومنها المنصورة كانت بالبطيحة

ومنها المنصورة وهى مدينة خوارزم كانت فى شرق جيحون

ومنها المنصورة كانت بقرب القيروان من نواحى افريقية

ومنها المنصورة بلدة أنشأها الملك الكامل بن الملك العادل (هى التى بمصر)

ومنها المنصورة باليمن بين الجند وبقيل الحمراء أنشأها طغتكين الايوبى

وقال ابن حوقل عند الكلام على السند :

« والمنصورة وهى مدينة مقدارها

فى الطول والعرض نحو ميل فى مثله يحيط بها خليج من نهر مروان واهلها مسلمون وملكها من قريش وهى مدينة حارة بها نخيل وليس بها من الفواكه غير الليمون الا انه شديد الحموضة وفاكهة تشبه الخوخ تسمى الانبج واسعارهم رخيصة وفيها خصب» انتهى

المعروف باسم المنصورة الآن قريتان فى الجزائر احداهما فى ولاية وهران تبعد عن مدينة تلمسان بنحو ٣ كيلومترات وهى مبنية على اطلال المدينة التى كانت تسمى بهذا الاسم ولم يبق فيها الا أثر السور ومنارة متهدمة

والمنصورة الثانية بولاية قسطنطينية وهى صغيرة لا يبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة

﴿منعه﴾ الامرَ يمنَعه حرمه اياه . و(مَنُع الحصن يمنُع مَناعة) اشتد و(مانعه) نازعه ومنعه منه . و(تمنّع عنه وامتنع) كف عنه . و (المَنَعَة) العز . (المَمنوع) الشديد المنع .و(المنيع) العزيز القوى

﴿منّ﴾ عليه يمُن منا أنعم عليه و(منّ على فلان بما صنع مِنة) عد له ما فعله .و(امتنّ عليه) قرعه بمنه.و(المَن) كل ما يمن الله به

﴿المَن﴾ هو عصارة متجمدة سكرية ذات طبيعة خاصة تسيل من شجر لسان العصفور وقيل ان لفظ مَنّ عبرانى معناه المغذى الالهى . وكان المن يسمى ايضا ندى السماء وعسل الهواء والعسل السماوى لانه يشاهد نقطا على أوراق بعض الاشجار فكانوا يظنون فى الماضى انه ناتج من ندى يتجمد على هذه النباتات وكان العرب يقولون بذلك ايضا وهو خطأ عظيم

ويظهر انه لافرق بين المن والشيرخشك الذى كان معروفا عند العرب وهو لفظ فارسى معناه حلاوة يابسة . وكان العرب يدعون انه طل يقع على الاشجار وخصوصا شجر الخلاف فى أواخر الربيع

وظن بعضهم انه مادة حيوانية ناشئة من بعض الحشرات حيث شوهد سقوط تلك الحشرات على أوراق النباتات ولاسيما فى الصيوف الحارة بحيث تحصل منها عليه طبقة طلائية عذبة الطعم عسلية . ولكن هذه الطبقة تختلف

عن المن الذى يكون أولا سائلا ثم يتجمد الى حبوب متميزة بعضها عن بعض

المن الطبيعي كما تقرر الآن هو عصارة خاصة لاشجار من جنس الدردار وهى محوية فى قنوات تخرج منها بانتفاخها بذاتها او من شقوق تعمل فى قشورها أو بفوهات تحدث فيها بفعل بعض الحشرات فهو ليس بندى سماوى ولا بمادة حيوانية وانما هو عصارة نباتية للنبات المذكور

وقد ثبت ذلك بالتجربة فان العالم (بليا) غطى ذلك الشجر بأغطية حتى لا يصل اليه الندى فرأى أن المن يكون عليه كما يكون فى العادة

شوهد أن الدردار لا يفرز المن الا مدة تختلف بين ٣٠ و ٤٠ سنة ولا يبتدىء خروجه الا اذا بلغ عمر النبات ١٠ سنين ويزيد مقداره كلما تقدم النبات فى السن وقد ذكر العالم بروس أن هذا الافراز النباتى يكثر فى اسبانيا الى درجة يمكن معها أن يكون من الصنوف التجارية ولكنه مهمل فيها

للمن أصناف وهى المن الدمعى والمن العام والمن الدسم : فالاول يخرج على هيئة حبوب مستديرة صلبة خفيفة لونها ابيض وطعمها سكرى ويكاد لا يكون مغثيا

والمن العام كثير الوجود ويكون على شكل قطع مكونة من حبوب متضامة بواسطة عصارة لينة مسمرة تلوث الاصابع ويكون لونه مصفرا وطعمه أقل سكرية تغفها حمضيا اذا كان جديدا

والمن الدسم يكون على شكل كتل رخوة دبقة تعلق باليد لونها احمر وطعمها اكثر كراهية تختلط بها أجزاء غريبة

يجنى المن باحاطة الشجر بطبقة من أوراقه وتعمل شقوق فى القشرة فتسيل منها عصارة تتجمد فجزء عظيم منها يسيل من ساق الشجر و الباقى من فروعه ويحصل هذا الجنى ة فى كل يومين من وسط يونيه الى آخر يوليه ويسيل من وسط النهار الى المساء وخصوصا اذا كان الجو صحوا على شكل سائل صاف يجمد شيأ فشيأ ولا يجمع الا فى الصباح اذا تجمد من رطوبة الليل . فاذا كان الزمن غير صحو كضباب عارض او مطر فقد المن .

والذى يبقى على الشجر يجنى مع الانتباه ويقوم منه مايسمى بالمن الدمعى . والذى ينزل على الارض ينفصل الى جزئين

أنظفهما هو المن العام والجزء الاكثر لينا واختلاطا بالاجسام الغريبة هو المن الدسم وذكروا ان المن الدمعى يجنى فى يوليه واغسطس والمن المشترك فى سبتمبر واكتوبر والمن الدسم فى الخريف . وقد يجنى المن العام من أسطحة الاوراق بذاته ويسمى بمن السوق وكل مايسيل بواسطة الشق يسمى بالمن القهرى . ويجمعون المن الدمعى بعضه على بعض فيكون قطعا مستطيلة منشورية بيضاء خفيفة ويسمى حينئذ من أصابع. وكثيرا ما توجد فى باطنها تجاويف يوجد فيها أحيانا نوع من الشراب وذلك يدل على ان المن جديد

واذا أريد أن يجنى نقيا وعلى هيئة قطع أجل فيوضع أنابيب من سوق القمح مثلا فى الشقوق فيسيل فى جوفها . وهذا النوع اكثر سكرية بل يؤكل كما تؤكل الحلوى وهو لنقائه تصنع منه اللعوقات والمربيات والعجينيات والاقراص ويكون أقل اسهالا بل لا يسهل أصلا وانما يكون صدريا ملطفا مسهلا للنفث فى النزلات والتهاب الطرق التنفسية وسدد الرئة واتهم صناع ايطاليا بعمل المن بالصناعة واتهم الصيدلانيون بأنهم يضيفون اليه مساحيق مسهلة كسحوق السنا المكى والجلابا والسقمونيا ليزيدوا في خواصه المسهلة مع ان ذلك خطر لانه يكون شديد الاسهال

(تركيبه الكيماوى) قال العالم تينار أنه مركب من قاعدة خاصة تسمى مانيت تختلف مقاديرها فيه باختلاف أنواعه ، ومن سكر قابل للتبلور ومن مادة غير قابلة للتبلور مغثية الطعم يظهر أن فيها خاصة الاسهال

ووجد غيره أن فيه جسما سكريا قابلا للتبلور فاذا خرج من قنوات الشجر كان على هيئة عصارة سكرية يتكون منها المن يدخلها فى التخمر الخلى

ووجد غيره فى المن مادة خلاصية نسب اليها خاصة ارخائه وقال انها هى سبب خاصته الملينة وأنكر أنه يحتوى على سكر حقيق

وقد صنع العالم لوكتسويس جدولا أبان فيه المقادير الموجودة من المواد المختلفة فى أنواع المن الثلاثة وهو :

	من دمعى	من عام	من دسم
ماء	١١ر٦	١٣ر٠	١١ر٤
مادة غير قابلة للذوبان	٠ر٤	٠ر٩	٣ر٢
سكر	٩ر١	١٠ر٣	١٥ر٠
مانيت	٤٢ر٦	٣٧ر٠	٣ر٠
جوهر لعابى وراتينج وحمض آلى ومادة آزوتية	٤٠ر٠	٤٠ر٨	٤٢ر١
رماد	١ر٣	١ر٩	١ر٩

هذا المن يذوب الكحول الحار ولكنه يرسب منه بالتبريد كتلة متبلورة شديدة البياض خفيفة اسفنجية . ويتكون منه مع الحمض النترى الحوامض التى تتكون من الحمض والصمغ وذلك لا يحصل فى العسل الذى ذكر بعضهم أن بينه وبين المن مشابهة عظيمة

(استعمال المن فى الطب) كان المن معروفا فى فن العلاج منذ عهد طويل ولكن يظهر ان جالينوس لم يكن يعرفه . ذكره ديسقوريدس باسم اليوميلى وقال انه مسهل يسهل الصفراء والاخلاط الفجة . وأول من استعمله الايطاليون كغذاء فى أماكن كثيرة من ايطاليا ولا غرابة فى ذلك فانه اذا كان جديدا لا يكون مسهلا ويكون كالسكر ولكنه مع طول مكثه تحدث فيه تفاعلات كيماوية يكتسب منها خاصة التليين وكلما كان أقدم كانت نتائجه أوضح ويسهل يقينا اذا صار زنخا وكانت رائحته مغثية

أقل أنواع المن اسهالا المن الدمعى بل ربما لا يسهل أصلا وانما يستعمل صدريا ملطفا مسهلا للنفث فى النزلات والتهاب الطرق التنفسية وتلبك الرئة ونحو ذلك

والمن العام ملين ملطف واذا دخل فى الجرعات المسهلة كان تعديله للمسهلات أكثر من زيادته فى فعلها والمن الدسم هو الاكثر تليينا ولا يدخل غالبا الا فى المسهلات السود كالسنا وفى الحقن . والمن كثيرا ما ينهضم وان

أعطى باسم دواء فلا يسهل الأذازال منه
وصف التغذية

ينقسم فعل المن على الجسم الحى الى قسمين . فعل موضعى وفعل عام ، فالاول يحصل فى الطارق الهضمية بعد ازدراد الجواهر بيسير فكثيرا ما يشعر متناوله بثقل فى الجسم المعدى وأحيانا بقولنجات خفيفة ورياح ثم تحصل بعد بضع ساعات استفراغات ثفلية تنشأ كثرتها من الحالة التى تكون عليها القناة الغذائية وقت استعمال الدواء فيظهر انه مر من المعدة الى الامعاء بصفاته الطبيعية وفجاجته فلم يتغير الى كيموس فى المعدة فيكون فى الامعاء كجسم متعب لها فتشتد حركاتها الانقباضية وتندفع بذلك المواد الثفلية الموجودة فى باطنها ومع ذلك فلا يحصل منه حرارة بطنية ولاعطش ولاثوران فى الدم ولافى النبض ولاغير ذلك مما يسببه المسهل الحقيقى ولاينتج ظاهرات تفيد تغير حالة المراكز العصبية كما تفعل ذلك المسهلات القوية

اما الفعل الثانى أى النتائج العامة فهو تأثير مرخ يمتد على المجموع كله فترتخى المنسوجات الحية وتضعف حركاتها ولذا كان مناسبا فى الدور الاول من الحميات ليلطف العطش والاحتراق الحمى ويعين على سيلان البول ويسكن اضطراب الدم وغير ذلك ويناسب أيضا فى الآفات الالتهابية البطنية كالقولنجات الالتهابية والالتهابات المعوية والدوسنطاريات وجميع الاحوال التى يظن فيها وجود تهيج أو التهاب مبهم الصفات . وكثيرا ما يستعمل مع النجاح لتخليص القناة الهضمية من المواد المخاطية المتراكمة فيها . وكذا للاستواء والنزلات والسعال التشنجي وآفات القناة البولية المصاحبة لحرارة فى المثانة والكليتين ويعطى كثيرا فى الآفات الاندفاعية كالجدرى المتجمع حيث يلازمه التهيج المعوى غالبا اذا لايسمح حينئذ باستعمال المسهلات القويه وكذا يعطى بكثرة فى الآفات العصبية المصاحبة للتهيج فى القنوات الغذائية . والغالب أن يكون هو المسهل للاطفال والارقاء المزاج . وينبغى الاحتراس من استعماله فى التلبكات المعدية والآفات التى يحتاج فيها للتقايؤ لانه قد ينقذف بالقىء فلا يؤثر الا اذا كانت المواد المراد

استفراغها خارجة عن المعدة

(المقدار وكيفية الاستعمال) يستعمل هذا الجوهر ذائبا فى الماء او اللبن او فى مصله او فى مغلى مناسب من ٤٨ غراما الى ٦٤ فى ١٢٥ غراما من سائل من السوائل المذكورة اذا أريد منه الاسهال ويظهر أن الحرارة تظهر رائحته المغثية فاذا حل على البارد فى أى حامل كان قليل الاحساس بتلك الرائحة ولا بأس باذابته على النار لكن بدون اغلاء لأنهم قالوا انه يفقد خاصته المسهلة اذا أغلى . وهذا رأى مخالف لتجارب بعض العلماء اذا شاهدوا حفظه فى الماء المغلى مدة أيام بدون أن تفقد منه تلك الخاصية مع أن المن ليس فيه شىء طيار واذا ترك محلوله المائى ونفسه فى حرارة ١٥ درجة فانه يعطي مقدار الحمض الخلى فاذا زيد فى السائل شىء من خميرة الفقاع وعرض للهواء الحار نيل من ذلك سائل كحولى

والماء الملين الوبائى يصنع بأخذ ٨ غرامات من المن و ٦ من السنا المكى وجزء واحد من الطرطرات الحمضى للبوتاسا و ١٨ من الماء ويستعمل من أوقيتين الى أربعة أوفى الجرعة المستحلبية للمن وتصنع بأخذ أوقيتين من المن الدمعى و ٤ من كل من اللوز الحلو وماء زهر البرتقال وأوقية من شراب زهر الخوخ و ٤ من منقوع عرق السوس ويستعمل ذلك فى ثلاث مرات ومعجون المن يصنع بأخذ ١٦ غراما من كل من المن والسكر والماء المقطر للشمار وجزء من ايرسا فلورنس و ٨ من دهن اللوز الحلو ويستعمل ذلك بالملاعق الصغيرة كل يوم ٣ ملاعق أو ٤

وشراب المن يصنع بأخذ ٤٠ غراما من المن وجزء من كل من الشمار والزنجبيل و ١٧٦ من السكر و ١٩٢ من الماء والمقدار لاجل الاستعمال من نصف أوقية الى أوقية

وأقراص المن تصنع بمزج ٢٠ غراما منه مع ١٤٠ غراما من مسحوق السكر وتعمل أقراصا بواسطة جسم لعابى من صمغ الكثيراء بماء زهر البرتقال وتنفع تلك الاقراص فى الالتهابات الشعبية المصاحبة لصعوبة النفث المادة الطبية

﴿ المانيت ﴾ هو قاعدة خاصة توجد فى المن الدمعى حيث يكون الجزء الاكبر المكون له ويكفى لاستخراجه

أن يسخن المن على حمام مارية مع الكحول الذى فى درجة ٣٣ من مقياس كوتيير ثم يرشح المحلول المغلى ويترك ونفسه فيتبلور المانيت بالتبريد ولكن يبقى فى خلاله معظم مياه الام الكحولية فيسيل منها مقدار يسير اذا أميل الاناء الذى فعل فيه التبلور ثم تؤخذ الكتلة وتعصر ليفصل منها الكحول ثم تجفف فى محل دفء وتحول بعد جفافها الى مسحوق. فاذا أريد الحصول على المانيت مبلورا وذلك غير نافع للاستعمال الطبى لزم أن يحل من جديد فى الكحول ثم يبلور غير انه يمسك معه بذلك مقدارا من الكحول لانه كالاسفنج لايمكنه ازالته منه الا بالعصر . ويمكن أيضا أن يتحصل من مياه الام على مقدار من المانيت أقل جودة فلأجل تنقيته يعصر ثم يبلور من جديد. وكثيرا ما يضطر لتبييض البلورات الاخيرة بالفحم. وهذا الجوهر ابيض خفيف مسامى قابل للتبلور الى ابر نصف شفافة عادمة الرائحة وطعمه رطب سكرى ولا يتغير من الهواء ويعطى بالاحراق رائحة السكر المحرق ويذوب بسهولة فى الماء بجميع درجات الحرارة . وتلك خاصة أسس عليها استخراجه وعدم تأثير المنصر المخمر عليه أى أنه لايكابد تخمرا كحوليا وبذلك يتميز عن أصناف السكر الغريبة منه أما على حسب تجريبات (بالاس) فهو كالسكر قابل لان يتخمر تخمرا كحوليا وانما يكون هذا فى درجة ٢٠ فوق الصفر وبذلك يقرب له. وهذا المانيت مركب من ٦ من الكربون و ٤ من الاوكسيجين و ٥ من الايدروجين ووجد فيه (سوسور) قليلا من الازوت ومنه ماعدا ذلك جزآن من الماء يفقدان منه اذا اتحد بأوكسيد الرصاص. وكما يوجد هذا الجوهر بمقادير مختلفة فى أنواع مختلفة من المتجر يظهر أنه يتكون من ذاته فى السوائل المعروضة للتخمر الخلى وذلك يحمل على ظن أن المن نفسه يمكن أن يكون نتيجة عصارة بعض أنواع الدردار ولذلك وجده (وكلين وفور كروا) فى عصارات البصل والقاوون المتخمر. ووجده (براكونوت) فى عصارة السلجم و(لوجيير) فى عصارة الجزر التى حصلت فيها تلك الحالة . ووجده (جلبير) فى العسل المتخمر وكذا فى عصارة القصب المتخمر وعلى مقتضى

تحليل (مسكرليك) لايوجد فى زمن طورسيناء الذى هو كسكر لعابى ينتج من نوع شجر نمركسى جاليكا

ويوجد فى القرفة البيضاء جوهر شبيه بالمانيت ولكنه أقل سكرية منه ويعطى بالحرق أبخرة بلسمية وذكروا أيضا قواعد أخر من هذا النوع فى أوراق الكرفس البستانى وجذره وأوراق وقشور شجر الزيتون وكذا فى المادة البيضاء التى ترسب على أوراق النبات الاوروبى المسمى بالافرنجية فوزين من نوع من الحشرات يسمى (افيس ايفونيمسى) وذلك يؤدى الى ظن وجوده فى أنواع أخر من الحشرات المختلفة المسلية التى ترسب منها على الاوراق

وقد ذكرنا أن هذا المانيت ليس الذى تنسب له خاصة الاسهال التى فى المن ورائحته وطعمه الكريهان وخاصة جذبه للرطوبة وانما ذلك منسوب لجوهر مخاطى مغث غير قابل للتبلور ولذا كان المن أقل فاعلية وكراهية فى الطعم كلما كان أنقى أعنى محتويا على مقدار من المانيت أكثر ويفقد كثيرا من فعله اذا أغلى زمنا ما محلوله المائى وأعطى الدكتور (ارسال) هذا المانيت بمقدار ٦ دراهم للطفلين وبمقدار أوقية ونصف للبالغين فلم يحصل منه اسهال محسوس مع أن العالم (الجرنج) جعل هذا المانيت هو القاعدة الفعالة للمن ؛ ولكنه لم يذكر تجاربه فى ذلك ، ولم يثبت ذلك بتجارب غيره

وقال العالم (سوبيران) المانيت هو الجزء المسهل من المن ويستعمل بمقدار ١٦ الى ٣٢ غراما فى مقدار من الماء من ٦٤ الى ٢٥ غراما

ويوجد فى قاموس المفردات البسيطة والمركبة انه يسهل بلطف

وقال (سوبير) أيضا أنه دواء مقبول مناسب للنساء والاطفال فيسقى محلوله الحار لانه يتبلور بالتبريد ويعمل منه مرهم مكون من ٤ دراهم منه وأوقية من القيروطى أى المرهم البسيط ويستعمل ذلك مروخا على البطن فيحصل منه بدون قولنج اسهال خفيف ومهما كان فالاطباء متوافقون على أن يقصد منه التأثير الصدرى وان هذا التأثير يكون أوضح كلما كان هذا الجوهر أنقى وان الظاهر ان هذا الفعل ينسب للمانيت

لاغير . فبالنظر لذلك اذا استعمل المانيت لزم تجزئته اما اقراصا بمجموعامع وزنه سكرا واما محلولا فى الجرع الصدرية واما قائما مقام المن فى مربى طرنشين اذا لم يرد من هذا الدواء الفعل المسهل الذى يطلب من المن ولا توجد فيه الرائحة ولا الطعم الكريهان اللذان فى المن . ويظهر أنه الى الآن قليل الاستعمال فى الطب وانما يقال ان الغشاشين يغشون به كبريتات الكنين لرخص ثمنه (المادة الطبية)

﴿ المُنّة ﴾ القوة جمعها مُنَن. و (المَنُون) الدهر و (رَيْب المنون) حوادث الدهر و (المنون) أيضا الموت. و (الممنون) المقطوع من مَنَّه أى قطعه

﴿ المنوفية ﴾ هى اقليم مصرى واقعة بين فرعى النيل فى جنوب اقليم الغربية الى القناطر الخيرية مساحة اراضيها الزراعية تبلغ (٣٦٧٨٠٣) فدانا ويبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة . قاعدتها شبين الكوم يزيد عدد أهلها عن ٧٠ الف نسمة وهى مدينة على بحر شبين ومن الاسواق المهمة لتجارة القطن والحبوب . تبعد عن القاهرة ١١٤ كيلو مترا وتنقسم الى خمسة مراكز وهى :

(١) تلا ويتبعه ٦٦ ناحية و١٠٨ عزب وغيرها وقاعدته تلا

(٢) شبين الكوم ويتبعه ٦٧ ناحية و ٥٠ عزبة ومقره شبين الكوم

(٣) منوف ويتبعه ٦٧ ناحية و ٥٧ عزبة وغيرها ومقره منوف

(٤) أشمون ويتبعه ٦٦ ناحية و١١٧ عزبة وغيرها ومقره أشمون

(٥) قويسنا ويتبعه ٦٦ ناحية و١١١ عزبة وغيرها ومقره قويسنا

﴿ مَنَاه ﴾ به يَمنوه مَنوا ابتلاه وخبره فهو ممنو أى مبلى به

و(مَنَاة) موضع بالحجاز وصنم لبنى هزيل وخزاعة بين مكة والمدينة .

﴿ المنى ﴾ هو المادة التى تنفرز من الخصيتين ويكون بها التلقيح والحمل. وهو نجس عند أبى حنيفة ومالك والاصح من مذهبى الشافعى واحمد أنه طاهر وستتكلم عنه علميا فيما يلى

(أمنى الدماء) أراقها . و (تمنّى الرجل) أراد . و (تمنى الكتاب) قرأه و (المَنَى) الموت وقضاء الله . و (المِنَى) القصد . و (مِنى) موضع

بمكة سيأتى بعد فى هذه المادة. و (المُنية) بضم الميم وكسرها البغية ومايتمنى جمعها مُنى و(المَنِيّة) الموت جمعها مَنايا . و (الاُمْنِيّة) البغية وما يتمنى. والكذب. وما يقرأ

﴿المنى﴾ هو كما قدمنا المادة التى تفرز من الخصيتين ويكون بها التلقيح والحمل وقد كتب حضرة الدكتور المفضال حسين افندى الهراوى بحثاً تحت هذا العنوان وأهداه لدائرة معارف القرن العشرين ننشره لحضرته شاكرين له خدمته أكثر الله من امثال المجتهدين

﴿ مقدمة ﴾

لم تتجه الانظار الى ان أسباب العقم قد يكون من الرجل الا فى الازمان الاخيرة ولا يخفى نتيجة تأثير هذا على نمو عدد سكان البلدان . والاحصاءات القليلة التى عملت عن هذا تدل على أن نسبة الزواج العقيم الذى منشأة من الرجل يقدر بنحو عشرة الى خمسة وعشرين فى المئة وربما كانت النسبة الحقيقية أكبر من ذلك

وأول من استلفت الانظار الى أهمية هذه المسألة هو الدكتور (ماتيوس انكان) فى محاضرته بحو لستون سنة ١٨٨٣ ثم فى سنة ١٨٨٦ كتب ما يأتى:

« ان الخبرة والبحث تزيد الاعتقاد الراسخ فى نفسى ان للرجل نصيبا عظيما وان الطريقة المثلى ان لانطيل على المرأة علاجا مؤلما خطرا لمداواة العقم ما لم تتأكد من سلامة الرجل من وجهى السائل المنوى والجماع ، ولكن الى الآن نرى ان البعض ينبذ هذه الطريقة المثلى وكثيرا مايحدث ان الذنب ينسب الى المرأة فتعالج طويلا على غير جدوى فيضطر الطبيب الى الافتكار فى الرجل ما لم تكن حالة الرجل ظاهرة لاتحتمل الشك فى مسئوليته»

(السائل المنوى)

لأهمية السائل المنوى فى مسألتى النسل والعقم نكتب عنه كلمة اجمالية:

المنى الطبيعى السليم من الامراض اذا خرج من المجرى البولى كان سائلا مركبا من افراز الخصيتين والقناة الناقلة للمنى والحويصلات المنوية والبروستاتة وغدد كوبر وافراز مخاطى من غشاء المجرى البولى وهو سائل لزج ويكون اما قلويا أو متعادلا لاقلوى ولا حامض . وشكله

كشكل مطبوخ النشا ورائحته خاصة به تغنى عن وصفها وعلى رأى (لاندو) ان المنى الطبيعى يحتوى على ٧٢ فى المئة من ماء زلال المصل وزلالات قلوية وتيوكانين وليستين وكولسترين وشحم فسفورى وقلويات وسلفات وكربونات وكلوريدرات

واذا برد المنى بعد خروجه يتحول الى شكل هلامى . واذا لم يحرك فى أنبوبة اختبار ينفصل الى طبقتين متساويتين فى المقدار السفلى منهما كثيفة سميكة وتحتوى على خليات ، والمرتفعة رقيقة ليست بالكثيفة ولا الشفافة ومحتوياتها قليل من الخليات

ومن الصعب تقدير مقدار مايخرجه الرجل فى المرة الواحدة ويدلنا على ذلك الاختلاف العظيم وهو اختلاف الحالات الفردية واختلاف المقادير المنفرزة باختلاف الاحوال وتعدد الوقاع والانهماك التناسلى والمدة بين الوقاعين وهلم جرا

وأقرب الآراء صحة ان المقدار يختلف مابين درهم ودرهمين فاذا تعدد الوقاع وكثر الانهماك قلت هذه المقادير ... تحيل الى نقط يسيرة ار ... الافراز مطلقا

وأهم عناصر المنى الحيوانات المنوية والواحد منها عبارة عن خلية صغيرة تتحرك بواسطة أهداب دقيقة وطول الواحد منها جزء من ٢٠ من المليمتر

والحيوان منها له رأس ورقبة وجسم وذنب ومؤخرة فالرأس ذو شكل بيضى وله غطاء ، وعلى رأسه جزء محدد يشبه الرمح أو السكين ويستعمله الحيوان فى قطع جزء من البويضة فى حالة التلقيح والرأس هى نواة الخلية وبقية الخلية نفسها

وكما يرى القارىء فى شكله بالبحث الميكروسكوبى ان الحيوانات المنوية كثيرة جدا وكلها تجرى وتتحرك بواسطة ذيلها اذ تسير بسرعة مليمتر فى الثانية وهى أسرع ماتكون عند خروج المنى مباشرة فيعوج الرأس مدفوعا بحركة الذيل الثعبانية ورأى الاستاذ (الترمان) ان المنى الصحيح اذا امتحن بعدسة العين الميكروسكوبية نمرة ٣ والنظارة نمرة ٧ يرى الناظر منه حيوانا على أقل تقدير ولكن فى العادة أكثر من ذلك بكثير

وخلاف الحيوانات فان المنى يحتوى على خليات منوية أخرى مختلفة الاشكال والانواع من مجرى البول ونوعين من البلورات الاول عديم الاون ذو اربعة جوانب ترى فى أكثر الاحيان فى المنى الطبيعى والحيوانات لاتزال حية ، والنوع الثانى متوازى الاضلاع يعرف ببلورات (بوتشروشربنر) ويرى بعد مضى زمن كثير على خروج المنى فى مدة بين ثلاثة أيام أو اربعة الى يومين واذا كان المنى عديم الحيوانات المنوية أوقليلها تكونت هذه البلورات فى مدة أقرب ومن رأى (شربنر) أنها أجسام فسفاتية مع مركبات عضوية تعتبر كقاعدة والمعروف أن هذه الحيوانات لا تتكون قبل البلوغ ويستمر خروجها بعده بمدة كبيرة . وقد وجدها الدكتور (كرلنج) عدة مرات فى خصيات رجال أربوا على السبعين وفى رجل بعد السابعة والثمانين والاستاذ (كاسبر) والدكتور (ايل) وجداها بعد السادسة والتسعين والذى يغلب على الظن أن هذه الحيوانات مع وجودها فى منى هؤلاء الشيوخ فهى قليلة الجدوى غير قادرة على التلقيح وهذا ما عارض به (باجوت دبوبلاى) وقال ان الاخير غلط فى قوله أن الرجال قادرون على التلقيح فى أى سنة من سني حياتهم ولو أنه يوافق على وجود الحيوانات بكثرة ولكنها تختلف تماما عن الموجودة منها فى الشبان اذ ان طول الواحد منها يوازى نصف طول السليم وهى ارفع وقليلة الحركة جدا اذ جعل سيرها أن تهتز وهى مكانها ولا تسبح سبحا مستمرا مثل السليم منها فى الشبان والذى يجعل (باجوت) يصمم على رأيه انه وجد أمثال هذه الحيوانات الضعاف فى صغار الشبان المتزوجين زوجات خاليات من الامراض ولم يعقبوا ومن نتيجة الانهماك الكثير والتكرار قد ينقطع مؤقتا وجود الحيوانات وقد امتحن (لنجوا) مادة أحد الطلبة وكان جامع ثلاث او اربع مرات يوميا مدة عشرة أيام متوالية فلم يجد أثراً الحيوانات المنوية ثم ظهرت ثانية بعد ثلاثة أسابيع حيث انقطع الطالب عن كل عمل تناسلى

يوجد بعض التغير من الوجهة الفسيولوجية ومن وجهتى العدد والحجم فى الحيوانات ومباحث الاستاذ كاسبر فى كتابه

الطب الشرعى على رجل قوى البنيـة فى الستين من عمره تظهر ذلك بجلاء ووضوح

ففى احـدى المرات بعـد ثلاثة أيام مضت على جماعه وجد عدداً كبيراً من الحيوانات الصغيرة وفى اليوم الرابع وجدها قليلة جدا وبعد يومـين لم يجد شيئا وكان السائل المنوى أشبه بالماء وبعد فترة خمسة أيام وجدها ثانية بكمية كبيرة وبعد مضى ستة أيام وجدها بكمية اقل ولكنها أكبر من نظيراتها المتقدمة

يرى بعض العلماء الحيوانات المنوية لا تتحرك الا اذا وصلت الى الحويصلات المنوية . ويرى (فوربرنجر) أن حركتها ناتجة عن الافراز البروستاتى . ويرى بعض الثقات خلاف ذلك

وتختلف المدة التى تعيشها الحيوانات خارج الجسم اختلافا عظيما باختـلاف الاحوال

روى الاستاذ (الترمان) ان المنى المحفوظ من الضوء والبرد تعيش حيواناته مدة ٤٨ ساعة والدكتور (كوبر) وجدها بعد ٢٤ ساعة فى منى حفظ فى زجاجة عادية غير محكمة فى برد شـهر ابريل

ويستمر تحرك الحيوانات تحت نظارة الميـكروسكوب عـدة ساعات وتستمر حركة الاهتزاز مدة ٧٣ ساعة ويجب بحث السائل فى أقرب فرصـة بعد خروجه مع الاحـتراس التام فى تقـدير الحيوانات فالبرد له تأثير شديد على الحيوانات فانها تسكن بوضعها على زجاجة ميكروسكوب باردة وتتحرك ثانيـة اذا سخنت تلك الزجاجة وفى بعض الاحيان يكون السائل لزجا غليظا فلا يمـكن الحيوانات الحركة فيه بسرعة وتمنـع حركة الحيوانات اذا أضفنا اليها حمضا أو قلويا شديدا أو ماء غزيرا . وبعض الاغشـية التى يلبسهـا الرجال تحرزا من الحمل يكون فى مطاطها مواد مؤثرة على حيـاة الحيوانات كما شاهدنا ذلك غير مرة ومن النادر أن نجد الحيوانات المنوية فى البول . وانى قـد وجدتها مرة فى بول شخص فيه قليل من المخاط ربما كان السبب فى حمايتها أو ربما كانت الكثافة النوعيـة لهذا البول موافقة لها وبالتأكيد لايمكن اكتشاف الحيوانات فى البول بالعين المجردة ولـكن اذا وجدت كمية من السائل المنوى فمن السهل أن ترى على شكل هلامى يرسب

فى الزجاج بعد زمن يسير

ومن المباحث الجليلة التى قررها الاستاذ (الترمان) ان الحيوانات المنوية التى تموت بعد خروجها من العضو التناسلى يرى انها منبسطة والتى تموت قبل خروجها تظهر ملتفة على نفسها وهذه نقطة هامة يجب ان نذكرها عند اختبار كل سائل منوى فانها طريقة لا يشك أحد فى صدقها وصحتها

ويرى أيضا الاستاذ ان هذا الالتواء يكون فى الحيوانات التى تموت من تأثير شىء ضار لها كالبول الحمضى وافرازات المهبل وقد يتأتى من تأثير الماء الغزير

وكما هو قانون الطبيعة ان لكل شىء شواذ فكذلك فى الحيوانات فمنها ذوات الرأسين وذوات الذيلين أو ضخام الرأس أوطوال الذنب أو قصارها

واذا جف المنى على زجاجة ميكروسكوبية انضمت الحيوانات بعضها الى بعض على شكل غير منتظم فيتعسر معرفتها بغير التدقيق التام

واذا ماتت الحيوانات على مثل هذه الزجاجة حفظت شكلها بعد موتها مدة أعوام فلدى الدكتور كوبر زجاجة ميكروسكوبية محفوظة منذ سنة ١٨٩١ حافظة شكلها الى الآن ولم يضف اليها اى شىء كيماوى ومع ذلك فحيواناتها واضحة تمام الوضوح

والجزء الباقى من السائل المنوى مركب من افرازات مختلفة وهو قليل الاهمية وأشهرها المذى المعروف وهو افراز غدد كوبر

(الفصل الثانى)

التغيرات فى الكمية والمحتويات

يطرأ على السائل المنوى عدة تغيرات اما ناشئة عن وظائف الاعضاء او تأثير منوى

كثرة الكمية — أسلفنا الكلام عليها وقال الاستاذ الترمان انه وجدها تربو على ٢٥ غراما فى أحد المرضى العصبى المزاج وليس فى أعضائه التناسلية مرض مطلقا والمظنون ان امثال هذا قليل ولكن الذى يستلفت الانظار ان الكمية الزائدة فى الجزء السائل لا فى الحيوانات المنوية ومنشأ ذلك الغدد التى أسلفنا الكلام عليها

قلة الكمية — ربما كانت الكمية

قليله جدا وأسبابها يتعذر تحديدها تحديدا تاما . وقلة الكمية أمر طبيعى فى سن الشيخوخة وفى أحوال الضعف العام ومن الجائز أن تكون القلة ناشئة عن عدم افراز احدى الغدد أو بعضها وعلى ذلك يجب بحث كل غدة على حدة

(انعـدام المنى) هذا أهم تغير يطرأ على السائل المنوى وهو اما ناشىء من عدم الافراز مطلقا أو خروج الافراز من غير الطريق الطبيعى . وانعدام المنى اما ناشىء عن تكوين الشخص نفسه أو طارىء جديد حدث له بعد ولادته وهو أيضا اما دائم أو مؤقت

فما كان منه ناشئا عن نقص فى التكوين يكون منشأه زوغانا عن الحالة الطبيعية لاعضاء التناسل . وانعدام المنى بدون وجود نقص طبيعى ضرب من النادر وقد وقعت حالتان تحت أنظار الاستاذ (الترمان) الحالة الآتية هى للدكتور كوبر قال : استشارنى شاب فى العشرين من عمره لم يحدث له انزال منى مطلقا سواء فى الحلم أو اليقظة ولم يأت امرأة قط ولكنه كان كثير الانهاك في جلد عميرة ولم يظفر مرة في حياته بالانزال وكان شديد الميل التناسلى وأحلامه فى هذا القبيل كانت كثيرة مصحوبة بانتصاب شـديد وكان يشعر فى بعض الاحيان بحاسة الانزال ولكنه اذا استيقظ لايجد شيأ ولم يصبه أى مرض ولا التهاب الغدة التكفية وبالفحص لم نجـد فيه الا غاية الصحـة وكل شىء على غاية مايرام وكان من السهل ادخال عـدة قساطر الى مثانته وبوله طبيعى من كل الوجوه

أما انعدام المنى النسبى فهو الناشىء أحيانا متفرقة فبعض الأوقات يحدث الانزال وأخرى لايكون . ولهذا النوع عدة أشكال فتارة يكون هذا الانعدام فى حالة النوم أو اليقظة ولايوجد السائل على أى شكل كان مع انه يكون فى حالة النوم بغزارة تامة ومحتوياته تكون طبيعية وقال :

استشارنى شاب فى الثامنة والعشرين من عمره شديد الميل التناسلى وذو صحة تامة الا فى تتميم وظيفة الجماع بالانزال مهما طال به الزمن ولم يفز بالانزال فى حالة الصحو سـواء بالاجتماع بالنساء أو بجلد عميرة مادام فى حالة الصحو ولكنه

مع ذلك كثير الاحلام التناسلية المصحوبة بالانزال واذا استيقظ قبل تمام الانزال انقطع الباقى منه وليس لديه اى ضعف فى الانتصاب واذا طال به الزمن فى الجماع ضعف الانتشار وهبطت الحرارة الاولى وانكمش القضيب من غير انزال واعطانى هذا الشاب نموذجا من السائل الذى ينزل منه فى الاحتلام فوجدته طبيعيا من كل الوجوه وبفحصه لم أجد فى أعضائه التناسلية أقل تشويه غير قليل من الاتساع فى مجرى البول الخلقى وهذا لا يفسر بالطبع هذه الظواهر كلها وكان المريض عصبى المزاج أمه مصابة بالهستريا

وفي حالة أخرى لشاب له من العمر احدى وعشرين سنة كانت حالته أغرب لانه يحدث له الانزال فى حالة جلد عميرة ولكنه يتعذر فى حالة الجماع الطبيعى وتفسير هذا من الصعوبة بمكان

والانعدام الكسبى ليس من الانواع النادرة وهو اما دائم او مؤقت واسبابه اما ميكانيكية او تابعة لتاثير فى النفس

فالتهاب البروستاتة والتهاب القناة الناقلة للسائل المنوى او التحام يحدث بعد التهاب شديد فيسد قناة الحويصلات كل يسبب انعدام المنى

وربما كان أكبر سبب لانعدام المنى هو السيلان اذ هو المسبب لاكثر هذه الالتهابات . ومن نتيجة الالتهابات المتقدمة أن تنسد المسالك بالمرة فيمنع مطلقا او يحصل تضايق فى مجرى البول فيتحول السائل الى المثانة . ودون المثانة والقناة البولية وما يصيبها من الجروح والقطوع كل ذلك يؤثر على مجرى المنى

وعملية استخراج حصيات المثانة من العجان بين السبيلين كانت فى الماضى مصدرا كبيرا للعقم عند الرجال . اما الآن فقد استبدلت بما هو اصلح منها، ولكن بعض الثقات يضاد هذا الرأى باحصاءات جمة كانت فيها الزوجة مصدر العقم

اما عملية استئصال البروستاتة فقد لاحظ (فنويك) ان تأثيرها على وظيفة التناسل لا يمكن للطبيب أن يؤكد بقائه ولكن فى العادة أن تكون هذه العملية فى سن الشيخوخة حيث لا مطمع للمريض ببقاء خصوبته ، والنتيجة تتعلق بما يطرأ على قنوات الافراز من جراء ضخامة

البروستاتة ومقدار مايتعرض به الجراح لها أثناء العملية

وهذا النوع من الانعدام دائم ولكن من الجائز ان يكون مؤقتا بعد علاج . أما النوع المؤقت فناشيء من اضطراب فى المجموع العصبى منشأه الخوف او الهيبة او التهيج الشديد وفى هـذا النوع ربما يتأثر الانتصاب ايضا

وهنا نذكر سببا هاما وهو مايسمونه العزلة وهو عدم تتميم الجماع والاكتفاء بالانزال خارج المهبل تحرزا من الحمل . ووقع تحت مشاهداتى عدة أفراد من هذا القبيل. وقد يذهب التطرف فى بعض الرجال الى حد بعيد وهو أن يضع أحدهم خاتما من المطاط حول القضيب ومن تأثير الضغط الشديد يدخل المنى الى المثانة بدلا من خروجه المعتاد وقد أصبحت ذلك عادة فيهم حتى بعد نزع هذا الخاتم المطاطى كما روى ذلك الدكتور (همند) فى ثلاث حالات . والتقرح العميق المرضى فى رأس القضيب من اسباب الانعدام كما هو حال القرحة الزهرية وقد يكون هـذا أيضا فى بعض الامراض العصبية وحصيات البروستاتة

أيضا من أسباب الانعدام المشهورة

(الانعدام الكاذب)

يكون هذا اذا جرى المنى فى القناة البولية وامتنع عن الخروج منها من تأثير عدة مؤثرات منها تضيق القناة من أثر التحام السيلان او فتحة غير طبيعيـة فى القناة اما على ظهر القضيب او تحتـه او ناسور بولى فى العجان او لمستقيم. وهذه الاسباب تغير مجرى المنى عند سيره الطبيعي فلا يدخل الرحم ولا يحصل اللقاح من جراء ذلك

وعلى ذكر تضيق القناة البولية نقول : انه ليس من الضرورى ان تكون هذه الاماكن ضيقة جـدا لانه فى حالة ارتخاء القضيب تكون المضايق اكثر اتساعا من حالة الانتصاب وفضـلا عن ذلك فالتضايق الناتج عن أثر التحام جرح تمنع نزول المنى على الحالة الطبيعية وانا لنذكر على سبيل المثال ان احد مرضانا شاب فى الثالثه والعشرين من عمره أصيب بعدوى السيلان وتركه فأزمن معه ذلك ونتج عدة خراريج فى العجان وقد شاهد ان المنى يقل نزوله بالتدريج واستشارنى عند انقطاع الانزال عند الجماع

منـذ شهرين وفى بعض الاحيان كان ينساب منه الافراز على غير الحالة الطبيعية وكان مجرى البول ضيقا وملتهبا وبه عدة مضايق وكل هذا شفى بالعلاج . وعدم الختان من دواعى الانعدام اذا كانت القلفة ضيقة

وأخيرا نقول ان الانتصاب الشديد من دواعى الانعدام وعلاج ذلك قليل من البرومور

{ الفصل الثالث }

«التغيرات الداخلية فى»

(السائل المنوى)

قلنا ان شكل السائل المنوى يشبه مطبوخ النشا ويترك اثرا على الملابس ذا لون سنجابى فيتصلب بعد جفافه ويطرأ بعض الاعراض على هذا السائل فيتغير كالآتى :

اما ان يكون ذا لزوجة اكثر من المعتاد وذلك بافراز سوائل اكثر غلظا عن العادة تفرزها الحويصلات المنوية أو قلة افراز البروستاتة وقد يكون ذلك فى الاصحاء عند الامتناع التناسلى عدة أيام وقد يكون السائل كالماء سيولة واكثر ما يكون ذلك فى حالة انعدام الحيوانات المنوية

ومن التغيرات ايضا وجود دم أو صديد فى السائل فاذا اختلط السائل بالدم تغير لونه تغيرا مناسبا لكمية الدم أو التأثيرات الكيماوية المؤثرة فيه والمنبع الذى خرج منه . وأكثر الاسباب احداثا لنزول الدم هو التهاب مجرى البول الخلفى خصوصا فى الحالات التى تصيب الحويصلات المنوية واذا افرط الانسان فى الاعمال التناسلية حدث احتقان فى البروستاتة ومجرى البول الخلفى وتسبب عن ذلك نزول الدم وعليه فكثيرا ما يكون هذا النوع شكوى المتزوجين حديثا أو أصحاب جلد عميرة ومن الاسباب الاخرى التهاب البروستاتة الناشىء عن ضخامتها عند الشيوخ وسل البروستاتة والحويصلات المنوية

ويتغير لون السائل ولون البقع التى يتلون بها السائل على حسب مصدره وقد رأى الاستاذ (الترمان) أن الدم الناتج من التهاب خلفى فى القناة البولية يكون غير مستوى الاختلاط بالسائل المنوى ويرى على شكل عدة نقط متفرقة بعضها عن بعض ولون السائل نفسه يكون كلون صدأ

الحـديد أما الناتج من الحويصلات فانه يكون مختلطا بالسائل وممتزجا به امتزاجا متساويا واذا كان فى السائل صـديد فان لونه يتحول الى أصفر على حسب كميـة الصديد الموجودة به واذا لطخت به ثياب وجدت البقع صفراء فاقعة وتضرب الى الخضرة

واكثر الاسباب شيوعا فى وجود صديد بالمنى هو السيلان واذا وجـد مع ذلك دم فان بقع المنى على القماش تكون غير مستوية الوضع بمعنى انه يكون هناك كثير من البقع الدموية فى بقعة واحـدة من المنى وان كان من الحويصلات فشأنه تقـدم واذا اختلط الصديد بالدم فى المنى تغير لونه باختلاف الكمية والمحتويات ولايجوز الخطأ فى هذا اللون وفى المنى المصبوغ بالصفراء من تأثير مرض اليرقان والميكروسكوب خير حكم فى هذا السبيل فاذا احتوى السائل المنوى على صديد أودم وكان البول خاليا منهما حكمنا أن منشأ الصديدهى أعضاء التناسل لاالجهاز البولى

ومما لفت الاستاذ (الترمان) الانظار اليه هو صبغة المنى بلون نيلي بعد الاكثار من الاعمال التناسلية خصوصا فى أصحاب المزاج العصبى واللون الاحمر فيـه لا يفرق عن لون الدم الا بالميكروسكوب وغير اللون الاحمر فقـد صادف اللون الاخضر اما الازرق فلم يصادفه

قال الدكتور (كوبر) ونحن لم يقع تحت مشاهداتنا شىء من ذلك

﴿الفصل الرابع﴾

« التغيرات الميكروسكوبية »

ناشئـة عن الامراض الطارئة على الحيوانات من موت أوقـلة أو انعدام كلى

ومما لاشك فيه أن لكل غدة من الغدد التناسلية إفرازا ولكل إفراز تأثيرا على حياة الحيوانات وعليه فاذا فقـد أو مرض أحد هذه الافرازات ماتت الحيوانات

فاذا وجدنا أن الحيوانات خرجت ميتة من الجسم كان ذلك ولاشك ناتجا عن مرض فى البروستاتة أوالحويصلات المنوية أو القناة بينها وبين الخصية نفسها أو مجرى البول

وانعدام الحيوانات بالمرة ناشىء عن

انسداد القناة المنوية نفسها ويرى (سرتلون) أن هذا الانسداد قد لا يكون كليا بل أن أى الالتهاب يصيب القنوات يورث الانعدام وقد أجرى عدة تجارب على كلاب وحقن فيها مواد محدثة للالتهاب فنشأ عنها انعدام الحيوانات أما (نيسر) فيرى أن السيلان هو الطامة الكبرى التى تولد ذلك

والحيوانات قد تكون قليلة أو ضعيفة أو منعدمة فى حالات التهاب القناة البولية الخلفية اذا وجدت مع البروستاتة أو الحويصلات المنوية أيضا

واذا حدث التهاب فى القناة من جهة الخصية فليس من الواجب أن يكون هناك أى تناسب بين شدة الالتهاب وانعدام الحيونات وليس من الضرورى أيضا أن يحدث العقم اذا لم تلتهب القناتان

وعلى ذلك قد يحدث انسداد فى مجرى المنى بدون أعراض اكلينيكية نعم اننا نشك اذا كان الرجل عقيما أن يكون السبب فى ذلك الالتهاب سيلانى فى مؤخرة المجرى البولى مالم يظهر ما يخالف ذلك وفى بعض الاحيان قد ينحبس انزال المنى ويكون هناك أول عهد المريض باستشارة الاطباء ولكن فى حالة انعدام الحيوانات فقط فان المريض يقذف النطفة ولا يعرف أى تغير فيها وقوته الحيوية فى نضرتها لم تتأثر ولا يشك فى نفسه انها هى سبب العقم ولا ذنب للمرأة فيه ومن الظلم أن نتهمها فى كل الحالات دون بحث الزوج أيضا ولا يجوز أن نقول ان بعض الزواج العاقر منشأه عدم اتفاق الزوجين حيويا واذا كان هناك ورم فى أى جزء من أجزاء الجهاز التناسلى وجب فحص المنى ميكروسكوبيا ولكن بالنظر المجرد نجد له هناك فرقا عظيما فان السائل يكون كالماء والراسب الذى يحدث بعد عدة ساعات هو قليل جدا وربما لا يمكن رؤيته بخلاف الطبيعى فان الراسب يكون نصف السائل وفى بعض الاحيان يحتوى المنى على كرات صغيرة من المخاط وفى بعض الاحيان يكون المنى العقيم له تفاعل مع حمض الازوتيك يضرب لونه الى الصفرة بخلاف الأصفر الفاقع مع الطبيعى

وتحت الميكروسكوب نجد أن هذا الراسب عباره عن بعض خلايا تحركت

الى التحول الشحمى وبعض كرات دم بيضاء وبللورات بوتشر

وتوجد هناك أسباب أخرى غير السيلان داعية لانحباس الحيوانات وهذه هى أى حاجز يمنع نزولها فالزهرى مثلا لايؤثر فى الخصيتين والقناة فينشأ منه ذلك

وفى بعض الاحيان لايمكن ايجاد أى عرض مرضى فى الخصيتين ومن المعلوم أيضا أنه ليس من الضرورى حدوث ذلك ولكن هذا المرض لايمنع العلوق ولكنه يقتل الجنين

وأما الامراض الاخرى التى ينشأ عنها ذلك فهى التهاب الغدد النكفية وحمى الملاريا والنزلة الوافدة (الانفلوينزا) والجدرى والتيفويد وطرق تأثيرها هو حدوث التهاب فى الخصيتين يحدث بعده ضمورها والاكثر فى هذه الحالات اصابة خصية واحدة

والاصابات التى تحدث فى الخصية مثل الضرب أو العمليات الجراحية أو غيرها ربما مست الخصية أو القناة بسوء كقطعها أو قطع الاوعية الموصلة اليها

وضغط القيلة المائية المزمنة والقيلة الدموية والاورام التى فى الكيس تحدث ضمورا فى الخصيتين وانعداما فى الحيوانات

وأمراض أوردة الخصيتين (فاريكوسيل) قد تؤثر في الخصيتين ولكن من المشاهد ان واحدة منهما فقط تكون مريضة بهذا الداء والاخرى سليمة ولذلك يجب البحث فى هذه المسألة قبل الشروع فى العمليات الجراحية اللازمة لهذا المرض

واذا نظرنا نظرة عامة لجميع الاسباب التى أوضحتها نجد ان حوادث الالتهاب السيلانى وأمثاله هى أكثر شيوعا وأكثر عرضة فى التأثير على القناتين المنويتين ولو أن كثيرا من الحالات تؤثر كل واحدة فقط كما ان فوهتى القناتين قريبتين احداها من الاخرى حتى ان الكثير من الاحيان لايمكن الحكم على سلامة واحدة فى حالة مرض الأخرى ومن الغرائب أن تكون العدوى الواصلة الى الخصيتين بواسطة الدم كحالات التهاب الغدد النكفية مثلا كثيرا ماتصيب واحدة فقط وفى مثل ذلك لايحدث عقم

وعلى كل ما تقدم ففحص السائل المنوى هو خير واسطة لمعرفة الحقيقية واليك البيان :

استشارنى رجل عمره ٣٥ سنة وليس به ما يشكو منه من الوظيفة التناسلية ولكنه لم يعقب بعد مضى ١٤ سنة على زواجه وليس لديه ما يستحق الذكر غير أنه حدث له جرح فى الصفن من الجهة اليمنى فأطلت منه الخصية أما الجهة اليسرى فما زالت فى أحسن حالات الصحة ومنذ احدى عشرة سنة أصيب بالتهاب الغدة النكفية وحلل منيه هذه الآونة فوجد طبيعيا وبه حيوانات وبعد مضى هذه المدة وقعت الشبهة على الزوجة وأتى هو لعرض حالته على فوجدت به فتقا فى الجهة الشمالية وخصية هذه الجهة صغيراً جداً أما الجهة الاخرى فكانت الخصية أكبر من أختها ولكنها أقل من الطبيعي وما عدا ذلك فقد كان طبيعيا وبعد مضى أسبوع مضى عليه بغير جماعه امتحنت منيه فوجدته خاليا من الحيوانات وليس به غير كرات دم بيضاء . ومن هذه الحالة نجد أنه قد تكون الخصية السليمة صغيرة قليلا لكنها عقيمة وقد قرر هذا الجراح (شرشمان) فى التقرير الثالث عشر من كتاب مستشفى جون هوبكن قد أصيبت خصية بضربة ضمرت بعدها الى حجم نواة البلح ولكنها مع ذلك كانت طبيعية فى محتوياتها

والتعرض لأشعة رنتجن سببت عقما فى بعض المرضى والاطباء المتوطين بالعمل

ومن الاشياء المتكررة الحدوث أن السمن وضخامة البدن تحدث ضعفا فى القوى التناسلية فى كلا النوعين وقد تتحول الخصية الى استحالة شحمية ومن احصائيات كيس أن الزواج العقيم يكون بنسبة واحدة فى العشرة اذا كانت الزوجة سمينة جداً وبنسبة واحد الى خمسة اذا كان الزوجان سمينين

أما الادمان على الخمر فهو من مسببات العقم ومن المعلوم أن السكيرين أكثر ما يكونون سمانا

وقد كتب مانيلوس دنكان عن عقم المرأة فى محاضراته قصة فتاة مدمنة ظلت عدة أعدام بلا حمل ولم يكن فى جسمها ما يدعو الى هذه العاهة وعولجت

بالامتناع عن الخمر مدة عام فحملت ومن المشاهد ان الادمان من مسببات التهاب المبيضين فى الانثى

نقول انا نشرنا هذا الرأى عن النساء برغم ان بحثنا فى الرجل لاحتمال علاقة بين الاثنين وهـذا ما يعززه رأى فوريل من تقليل الخمر النسل وضرب الامثال بعدة مناطق من الروسيا فأكثرها ادمانا على الخمر أقلها سكانا

أما العقاقير الداعية للعقم فهى :

الافيون والزرنيخ والرصاص واليودور والبرومور اذا أخذت بمقادير كبيرة

(الفصل الخامس)

(العلاج)

تعالج الاسباب باختلاف أنواعها اما كثرة المنى وقلته فلا أهمية له مادامت الحيوانات حية فاذا ماتت يبحث عن كل الاعضاء التناسلية ومعرفة انها أصـل الداء

انحباس الحيوانات يكون :

(١) اما ان تكون موجودة فى الجسم ولكنها لا تخرج ويعالج أى سبب داع الى الفعل الانعكاسى . وكثيرا ما رأينا ان مجرى البول الخلفى يـكون أكثر حساسية فتنكمش جميع العضلات عنـد ادخال المجس وشفيت بالكهرباء (التيار المتقطـع) وادخال المجسات واستعمال المهبطات

الانعدام العكسى:

مثل اقتحام جروح داخل المجرى البولى فتسد مدخل المنى فيكون الأمل ضعيفا فى الشفاء وتتغير النتيجة بتغير العلاج وسير المرض فى مثل احوال السل الموضعى أو ضخامة البروستاتة

أما الاحوال النفسية من خوف أو جزع أو رهبـة فيزول بزوال السبب ما دام المجرى خاليا من أمراض أخرى كالسيلان الآخر

أما الانعدام الكاذب فيعالج بتوسيع الضيق العارض ومداواة الالتهابات وحالات انفتاح مجرى البول فى غير الموضع الطبيعى تزول بالعملية الجراحية واذا وجدت الحيوانات ميتة فتعالج لامراض المسببة وهذه تكون فى الخصية والبروستاتة والحويصلات ولا ننسى كثرة لزوجة افراز الذين مضى عليهم زمن كبير بدون جماع وتكون الحيوانات أقل قوة

ووجود دم أو صديد شرحنا علاجه

وحالات الافراط تعالج بالاقلال

موت الحيوانات وضعفها وقلة الحيوانات وإنعدامها

دائماً تكون موجودة فى المنى العموى والصديدى وكذلك أسبابها وعلاجها وإذا لم يكتشف لها سبب يلتفت إلى الصحة العامة

وفى حالة قلتها وضعفها يجب البحث إذا كان السبب فسيولوجى أومرضى مؤقت أودائم

نعم أنه يختلف عدد الحيوانات باختلاف الاشخاص ولذلك يجب ملاحظة تاريخ المريض إذ ربما كان سبب الانعدام ناشىء عن الافراط فقط كالشبان المتزوجين حديثا أو جماعة المفرطين الذين لاينفكون ليلة عن هذا العمل

ويرى بعض الباحثين أن أطفال شهر العسل أقل قوة من الاطفال الذين بعده لان الرجل فى هذا الشهر يكون منهوك القوى وحيواناته أقل قوة من غيرها

أما التشويهات الخلقية فلا يكون من ورائها العقم

أما السيلان فيعالج بالعلاج الخاص به لئلا يهدد فوهات الحويصلات المنوية

ومرهم الزئبق نافع فى التهاب البربخ

أما فى التهابات البربخ والخصية المزمن فاستعمال الاربطة الضاغطة على طريقة (بير) مفيد جداً فيوضع المطاط على عنق الكيس ١٢ ساعة ولايجوز اليأس فى حالات التهاب البربخ السيلانى فان العلامة (جوادرد) عالج عقماً منشأه التهاب سيلانى بعد مضى سنتين ولا يعزب على الاذهان أن إزالة الاورام شىء ووجود الحيونات المنوية شىء آخر فهبوط الاورام ليس معناه وجود الحيوانات

وأما الضغط الناشىء عن قيلة مائية أو دموية أو فتق فيستدعى عمل عملية

والاحتفاظ واجب من أشعة رونتجن ولكن الآلات الحديثة والحواجز قد تمنع حدوث ذلك ومع ذلك فالانعدام وقتى وقد تعود وحدها بعد ثلاثة شهور

والسمن وضخامة الجسم يعالج بعلاجها الخاص بها وكذلك أدمان الخمر يعالج بالامتناع

(الدكتور حسين الهراوى)

مِنَى هو موضع بقرب مكة يقصده الحجاج للنحر ورمى الجمار . فان المؤدين لفريضة الحج بعد أن يقفوا بعرفات يقصدون مِنى ويكون مع كل منهم تسعة وأربعون حصاة من الوديان القريبة من عرفة فاذا نزلوا منى باتوا ليلتهم فيها حتى إذا أصبحوا كان يوم العيد الاكبر ويكون المحمل المصرى نازلا شمال المصطبة التى فيها مخيم الشريف الى جوار مسجد الخيف وهو مسجد كبير ذو فضاء واسع مربع يحيط به سور متسع والى حائطه الغربى رواق على طوله ، قام سقفه على أعمدة من البناء ، وباب هذا المسجد الى الشمال وفى وسط صحنه تجاه الباب قبة كبيرة أقيمت على مكان يصلى الناس فيه وهو المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجوار هذه القبة مأذنة صغيرة بناها السلطان قايتباى سنة (٨٨٤) وبنى بجانب هذا المسجد دارا كان ينزل اليها أمير الحج المصرى فاندثرت ولكن المسجد باق على حاله

عند وصول الحجاج الى منى يقصدون من فورهم جمرة العقبة فيرمونها وينحرون ويحلقون أو يقصرون ثم يلبسون ملابسهم وعندها يحل لهم كل شىء ماعدا النساء والطيب

وتذبح القرابين شرق منى وتلقى فى حفر هناك لهذا الغرض وكلما إمتلأت حفرة بتلك الجثث ردمت وحفر غيرها وهكذا ويكون لها بعد الحج رائحة كريهة جدا

تقيم الحجاج بمنى الى عصر اليوم الثالث عشر من ذى الحجة ثم ينزلون الى مكة لأداء الركن الباقى من أركان الحج وهو طواف الافاضة والسعى لمن لم يكونوا سعوا بعد طواف القدوم . ومن الناس من ينزل الى مكة أول يوم بعد رمى جمرة العقبة لاستكماله جميع مناسك الحج ثم يرجعون من يومهم الى منى فيقيمون فيها مع إخوانهم ثانى وثالث أيام التشريق ويرمون فى كل يوم منها الجمرات الثلاث وفى عصر اليوم الثالث ينزلون الى مكة

يوجد فى منى قريب مسجد الخيف غار قريب فى الجبل الجنوبى يسمى بغار المراسلات كان يتعبد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت عليه فيه سورة

المرسلات ويقصده الناس للزيارة والتبرك به . وفي الجبل الشمالي منها مغارة يقولون ان ابراهيم عليه السلام سكن فيها مع هاجر ويبلغ طولها اربعة أمتار وعرضها مترين ونصف متر وعلى يمين الداخل فيها كهف نقر في جوف الجبل وفي خارجها مصلى يقولون عنه انه مذبح اسماعيل وبجوارها صخرة كبيرة في جوف الجبل فيها شق كبير يزعمون ان تلك السكين التي أراد أن يذبح بها ابراهيم ولده أفلتت من يده رحمة بالذبيح فغاصت في هذا الصخر فشقته . وبقرب هذه المغارة يقيم حجاج الهنود ولهم فيها اعتقاد عظيم . قال محمد بك لبيب البتانوني الذي ننقل عنه هذه التفصيلات: «فترى الهنود هناك وقد فرشوا على الحصباء وخارج خيامهم وداخلها شطرات نيئة من لحم الاضحية وبعد جفافها في الشمس يحتفظون عليها ويأخذونها معهم الى بلادهم هدية مباركة مقدسة لمن كان عزيزا عليهم . وأظن ان هذه عادة قديمة للعرب كانوا يقومون بها في أيام منى ومنها سميت بأيام التشريق أي التقديد وهي الثلاثة الايام التي تعقب يوم النحر . وقد مر بك

في باب القربان مثل ذلك في عوائد الرومان ولعلهم أخذوها من اليونان وهؤلاء أخذوها ضمن العوائد الكثيرة التي أخذوها عن الهنود أنفسهم فيكون أصلها منهم ومرجعها اليهم »

وبمناسبة ذكر الرجم في منى ننقل هنا عن الفاضل محمد بك لبيب البتانوني ما ذكره في رحلته الحجازية عن أصل الرجم عند الأمم قال حضرته :

(الرجم)

« الرجم في اصطلاح الحجيج رمي غرض مخصوص في منى بسبع حصيات في حجم الفولة ، وهذا الغرض يسمى جمرة والجمرات ثلاث : جمرة العقبة ، والجمرة الوسطى ، والجمرة الصغرى (ويسميها العامة ابليس الكبير والوسطاني والصغير) ولكل جمرة مكان مخصوص (موصوف في وسط الطريق الى عرفة) ، ورميها واجب باتفاق المذاهب . فيرمي الحجاج في أول أيامه بمنى (يوم الاضحية) جمرة العقبة وحدها ، ثم يرمي ثلاثتها في كل يوم من اليومين التاليين ، فيكون جملة ما يرميه سبع حصيات في سبع (٤٩ حصاة) ومكان الجمرات تراه على الدوام غاصا

بالرامين فلا تصل اليـه الا بمشقة عظيمة وكثيرا ماتشاهد بين هؤلاء الرماة أناسا يَجْسُرون بتَشَفٍّ شديد ، ومنهم من يغلو فى ذلك فيرمى هذا الغرض برصاصة طبنجته كأنما يرمى عدواً ألد ، والـكل يتخيل أنه يرمى ذلك الشيطـان الرجيم الذى لاتخفى عداوته لبنى الانسان ،فكأنما هم بهذا الرمى يشهرون عليه حربا عوانا لما سبق من اغوائه لهم،ويقطعون كل صلة بينهم وبينه

«والعرب كانوا يرجمون هذه الجمرات الثلاث فى حجهم قبل الاسلام ، لانهم كانوا يعتقـدون أن الله تعالى أوحى الى ابراهيم وهو فى تلك الجهة بذبح ولده اسماعيل . فأخذه وسار ليصدع بأمر ربه فوسوس له الشيطان بأن لا يفعل ، فأخذ حصيات ورماه بها وكان ذلك فى المكان الذى به الجمرة الأولى ، فتركه، وسار الى هاجر وأخـذ يقبح لها عـمـل ابراهيم ، فأخذت حجارة ورمته بهـا ، وكان ذلك فى مـكان الجمرة الثـانية ، فذهب الى اسماعيل يشنع له عمل أبيه ، فأخـذ قبضة من الحصى ورماه بها ، وكان ذلك فى مكان الجمرة الثالثة . لذلك كانت ترجم العرب هذه الامكنة مشخصين بذلك الشيطان ، وتابعهم عليه الاسلام ولاغرابة فى ذلك لان النـاموس الطبيعى يقضى بأن يكون كل معنى من المعانى مصدره المادة ، وعليه فهذا الرمى المادى يوصل بلا شك لمعنى دقيق جليل فى ذاته : هو تربية ملكة جديدة فى شخص الرامى وهى مخالفة شيطان النفس الابتعاد عن مسالك الشرور

«والرجم أمر قديم فى الامم: قال الله تعالى فى سورة الشعراء فى اجابة قوم نوح على نصائحه لهم« لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين » وقال تعالى فى سورة هود فى جواب أهل مدين على نصيحـة نبيهم شعيب لهم « وقالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول وأنا لنراك فينـا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وماأنت علينـا بعزيز»

«وكان الرجم فى بنى اسرائيل، وقد ورد فى الآية ٢٤و٢٥من الاصحاح السابع لسفر يشوع مانصه:« فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء واسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع اسرائيل

معه ، وصعدوا بهم الى وادى عحور ، فقال يسوع كيف كدرتنا يكدرك الرب فى هذا اليوم ، فرجمه جميع بنى اسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة »

«والنصارى يرجمون مكان شجرة التين التى لعنها المسيح حينما اراد أن يأكل منها ولم يجد فيها ثمرا ، أنظر آية ١٩ من الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى ، وكان هذه الشجرة على طريق الذاهب من بيت المقدس الى نهر الاردن فى الوادى الذى ينزل على يسار جبل الزيتون

«والعرب كانوا يرجمون فى الجاهلية من سخطوا عليه حيا وميتا ، فكانوا يرجمون الزانى المحصن حيا لشناعة عمله، تابعتهم عليه الشريعة الغراء ، كما كانوا يرجمون قبور من ينقمون عليهم وهم يرجمون من القرن الاول قبل الهجرة الى الآن قبر أبى رغال في المغمس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش أبرهة الى مكة ، فمات فى هذا المكان قبل وصوله اليها ، قال جرير يهجو الفرزدق :

اذا مات الفرزدق فارجموه
كما ترمون قبر أبى رغال

«والمسلمون يرمون قبر أبى لهب خارج مكة لأنه عدو نبيهم صلى الله عليه وسلم ويرمون قبر أبى جهينة فى طريق العمرة لأنه كان من حكام مكة الظالمين ويرمون قبر يزيد بن معاوية لسوء سيرته وشناعة فعلته مع آل البيت رضوان الله عليهم ، ويرجمون قبر مسلم بن عقبة فى ثنية المشلل بين مكة والمدينة ، لأنه فتك بأهل المدينة ولم يراع حرمة رسول الله فى صحابته وجيرته وقد ذكر المسعودى فى مروج الذهب عند ذكر اليمن وملوكها انه يوجد فى طريق العراق الى مكة نحو النظامية موضع يعرف بقبر العبادى ترجمه المارة »

منيوق هو شجيرة متسلقة غليظة الجذر أصلها من افريقا وكانت تستعمل غذاء لدى الزنوج . فان جذرها لحى درنى لونه سنجابى او احمر أو اخضر من الظاهر وباطنه ابيض يمكن ان يبلغ وزنه ٣٠ رطلا وهو مملوء بعصارة بيضاء لبنية شديدة الحرافة . أما ساقها فقائمة تعلو من ٦ الى ٨ أقدام اسطوانية عقدية

جزؤها العلوى مزين بأوراق متعاقبة طويلة الذنيب مشققة تشققا عميقا الى ٣ فصوص او ٥ او ٧ بيضية سهمية متموجة الحافات لونها اخضر قاتم فى وجهها العلوى ومبيضة مغبرة فى الوجه السفلى وأزهارها عنقودية فى آباط الاوراق العليا و يتركب العنقود من ازهار مذكرة وازهار مؤنثة

هذه الاشجار تنبت بالاقاليم الحارة من امريكا واستنبتت هناك فى أقاليم أخرى

اما جذرها فتتركب مادته من النشاء مع عصارة بيضية حريفة تشبه العصارة الموجودة فى أغلب النباتات الفربيونيـة ومع ذلك فيسهل اخلاؤه من قاعدته الحريفـة السامة اما بفعل الحرارة واما بالغسل المتكرر فيصير ذلك الجذر غذاء سليا كثير الاستعمال. فلاجل ذلك يكفى ان يبشر وهو رطب ويحول الى عجينة غليظة تغسل بالماء جملة مرات مع الانتباه لتجديد الماء فى كل مرة فاذا غسلت جيداً تجفف على هيئة أقراص غير منتظمة تسمى حينئذ خبز كساف

فاذا اريد أكلهـا عمل منها فطائر مفرطحة تخبز فى النار وتلك الفطائر جيدة التغذية مقبولة الطعم وهى الغذاء الرئيسى لقسم كبير من القبـائل الساكنة بأمريكا الجنوبية ؛ وماء غسل عجينـة المنيوق يرسب فى قعر أوانيها مسحوقا ابيض وهو دقيق غذائى نقى جدا وهو الذى يجفف ويباع باسم تيبوكا وبالحقيقة خبز كساف مصنوع من هذا الدقيق بل يمكن تحويله قبل خبزه الى دقيق بأن يجفف فى تنور مع التحريك فيحصل ذلك الدقيق المسمى أيضا عندهم كواك بضم الكاف الاولى . ودقيق المنيوق عذب لزج أى لعابى تفه محبب مغـذ ابيض مصفر وأوقيتان منه تكفى لأكلة كاملة لأنه ينتفخ كثيرا اذا طبخ ورطل واحد منه يغذى رجلا مدة ٢٤ ساعة مهما كانت شهيته وقد يسمى ذلك الدقيق موساش وهى لفظة من اللغة الاندلسية معناها طفل كأنه يقال عنه طفل المنيوق ويسمى فى كيان سيبيا بكسر السين والباء الاولى ويستعمل لتنشية الخرق ونحوها ويصنع منه باوربا شوربات للمرضى

وقد يشتبه بدقيق اروفروت ولكن هذا أخف منه فان العلبة التى تسع ١٦ اوقية من الاروفروت لا تسع من الموساش الا

١٤ ولكن المخصوص باسم تيبوكا دقيق المنيوق مجفف على صفائح حارة وذلك يعطيه منظرا متحببا

وأما عصارة الجذر فهى حريفة قوية السمية تقتل الطيور وذوات الاربع بل والانسان بمقدار يسير وذلك بأن تسبب قيئا وتشنجات وعرقا باردا ثم ينتفخ الجلد ثم يحصل الموت والحيوانات التى تموت بذلك لا يوجد فى أمعائها ولا فى معدتها أثر التهاب وانما تأثيرها كتأثير الحمض ادروسيانيك مع أنه لا يوجد فى تركيبها أثر منه على حسب ماذكر سوبيران الذى شبه رائحتها برائحة اللوز المر والقاعدة القتالة لتلك العصارة شديدة التطاير والتصاعد لان تلك العصارة اذا عرضت للهواء ٣٨ ساعة كانت غير سامة كما أكد ذلك باجون بتجريبات أكيدة وكذلك اذا عرضت للغليان وتمر تلك القاعدة بالتقطير فمن الثابت أن تلك العصارة يتحصل منها سائل قوى الشدة بحيث ان نصف ملعقة قهوة منها تقتل كلبا فى اقل من دقائق واتفق أن عبدا سم آخر فحكم عليه بالموت وأمر بازدراد ٣٥ نقطة منها فمات فى أقل من ٦ دقائق فى هاتين الحالتين لم يوجد أثر لهذا السم فى المعدة ولا فى الامعاء وريكور الذى نال هذه القاعدة الفعالة لهذا النبات شاهد ان وضع نقط منها على لسان كلب كاف لموته فى أقل من ١٠ دقائق ولا يشاهد الا امتلاء القلب بالدم وزعم بعضهم ان استعمال السكر بمقدار كبير وماء البحر والمغرة أى التراب الأحمر المعروف وحمض المجهول والنبات المسمى ستيزوس كاجات هى مضادات التسمم بلبن المنيوق. وأثبت ريكور منفعتها فى ذلك وعصارة فنديرو القلبية الشكل إذا أعطيت حالا أضعفت نتائج هذا الجوهر . وثبت أن القلويات المخلوطة به بمقدار خمس وزنة تمنع فعله القتال ويقال أن الوحشيين يستعملون هذه العادة لتسميم سنان رماحهم ويقال أيضا ان الماء الذى طبخ فيه المنيوق الاعتيادى مسمم ويستعمل فى بعض أماكن من البريزيل لصيد الطيور بأن يوضع فى أماكن من الرطوبة فتأتى الحيوانات وتشرب منه فحالا ترتبك وتنحل قواها ويمكن مسكها باليد ويدخل المنيوق فى عمل مشروب متخمر يسمى هناك أويكو بضم الهمز وكسر

الواو بدلا عن النبيذ والفقاع فى الاقاليم الأخر . وهناك صنف أعذب من المنيوق يسمى قنبوق وتنشأ عذوبته من طول مدة استنباته فعصارته ليست سامة ويؤكل بدون أن يقشر مطبوخا بالماء . ومن أنواعه يطروفا مايسمى باللسان النباتى يطروفا ايلستيكا أى المرن وقد يسمى سينوفيا ايلستيكا وهو المنتج للصمغ المرن وهناك أنواع اخر من هذا الجنس تنتج ذلك كما قال دوقنطول. ومن أنواعه يطروفا غلندلوز أى الغددى وقد يسمى قروطون ويلوزوم أى الخلى .ذكر بركال ان العصارة الجديدة لهذه الشجيرة توضع فى بلاد العرب على الدماميل مع أنها تأكل الحديد وتوضع عساليجه أى براعيمه على الاورام لاجل تليينها وتسكين آلامها ومن أنواعه يطروفاغلوكوس أى الاخضر يستعمل فى بلاد الهند دهنه المستخرج من بزوره مروخا فى علاج الوجع الروماتزمى المزمن والشلل ومن أنواعه يطروفا جوسيفزليا أى القطنى يستعمل بأمريكا الجنوبية مطبوخ أوراقه علاجا للقولنج والتلبكات الصفراوية ونحو ذلك كمسهل وذلك هو السبب فى تسميته حشيشة وجع البطن وينبت على جذعه درنات تكون مسهلة ايضا ومعطشة ويظهران بزوره حلوة لأن الطيور تأكله حسبما ذكر برون وذكر لبات الذى أقام مدة بجزائر انتيلة ان ثمارة تؤكل دائما وذلك موجود فى ميدسنيير أيضا ولذلك يشتبهان ببعضهما . ومن أنواعه يطروفا ملتفيدا أى المتضاعف الشق وهذا النوع عظيم الاعتبار بأوراقه الاصبعية الخيطية وأزهاره الحمر وينبت فى البريزيل والهند وغير ذلك واستعمل فى اسبانيا ثماره كمسهل وميدسنيير اسبانيا والميدسنيير الصغير ويستخرج منه دهن مسهل قوى ولم يجد سوبيران فرقا فى التركيب الكيماوى بين هذه البزور وبزور الميدسنيير العادى وعلى رأى دوقندول يمكن أكل لوز هذا الثمر اذا طرح جنينه كما فى الميدسنيير ومن أنواعه يطروفا أوبيفيرا أى المسف وهذا النبات ينبت بالبريزيل وجذره أبيض لحمى تجهز منه خلاصة راتينجية تستعمل فى هذه البلاد بمقدار من نصف درهم الى درهم كمسهل وخصوصا فى الاستسقاء كما ذكر ذلك مرتيوس

(المادة الطبية)

﴿المُهْجة﴾ الدم وقيل دم القلب و(مُهجة كل شيء) خالصه جمعه مُهَج ومُهَجات

﴿مَهَد﴾ لنفسه يَمهَد مَهْدا كسب . و (مَهَد الفراش) بسطه. و (مَهَّد له الفراش) أيضا بسطه. و(تمهّد له الامر) تسهل له . و (المِهاد) الفراش جمعه أمْهِدة ومُهُد. و(المَهْد) الارض ومرقد الصبيّ جمعه مهُود

﴿المهدى والمهدية﴾ أنظر مادة هدى

﴿مَهَر﴾ المرأة يَمهَرها جعل لها مَهرا و(المَهْر) الصداق. و(مَهَر الرجل فى الشيء) مهارة حذق فهو ماهر ، و(أمهر المرأة) سمى لها مهرا . و(المُهْر) ولد الفرس جمعه مِهار . و (الابل المَهْرية) منسوبة الى مَهْرة وهو حى من قضاعة من عرب اليمن

﴿مهر المرأة﴾ هو صداقها أى المال الذى يقدمه الرجل لمن يريد التزوج بها . وله أحكام فى الشريعة الاسلامية وقد رأينا أن أحسن من كتب فيها العلامة الفيلسوف ابن رشد فى كتابة (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) فانه قد ألم بالمسألة من جميع أطرافها وأتى على جميع الاختلافات فيها فنرى ان ننقل هذا الفصل عنه لما فيه من العلم والفائدة ، قال رحمه الله :

والنظر فى الصداق فى ستة مواضع الاول فى حكمه وأركانه . الموضع الثانى فى تقرر جميعه للزوجة . الموضع الثالث فى تشطيره . الموضع الرابع فى التفويض وحكمه. الموضع الخامس فى الاصدقة الفاسدة وحكمها . الموضع السادس فى اختلاف الزوجين فى الصداق

(الموضع الاول)

وهذا الموضع فيه أربع مسائل ، الاولى فى حكمه ، الثانية فى قدره ، الثالثة فى جنسه ووصفه ، الرابعة فى تأجيله

﴿المسئلة الاولى﴾

أما حكمه فانهم اتفقوا على أنه شرط من شروط الصحة وأنه لا يجوز التواطؤ على تركه لقوله تعالى: «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة» وقوله تعالى «فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن »

﴿المسئلة الثانية﴾

وأما قدره فانهم إتفقوا على أنه ليس لاكثره حد واختلفوا فى أقله فقال

الشافعي وأحمد واسحق وأبو ثور وفقهاء المدينة من التابعين ليس لاقله حد وكل ماجاز أن يكون ثمنا وقيمة لشيء جاز أن يكون صداقا . وبه قال ابن وهب من أصحاب مالك وقالت طائفة بوجوب تحديد أقله وهؤلاء اختلفوا فالمشهور فى ذلك مذهبان : أحدهما مذهب مالك وأصحابه ، والثانى مذهب أبى حنيفة وأصحابه . فأما مالك فقال أقله ربع دينار من الذهب أو ثلاثة دراهم كيلا من فضة أو ماساوى الدراهم الثلاثة أعنى دراهم الكيل فقط فى المشهور ، وقيل أو مايساوى أحدهما . وقال أبو حنيفة عشرة دراهم أقله ، وقيل خمسة دراهم ، وقيل أربعون درهما وسبب اختلافهم فى التقدير سببان أحدهما تردده بين أن يكون عرضا من الاعراض يعتبر فيه التراضى بالقليل كان أو بالكثير كالحال فى البيوعات وبين أن يكون عبادة فيكون مؤقتا وذلك أنه من جهة أنه يملك به على المرأة منافعها على الدوام يشبه العوض ، ومن جهة أنه لايجوز التراضى على اسقاطه يشبه العبادة . والسبب الثانى معارضة هذا القياس لمقتضى التحديد لمفهوم الاثر الذي لا يقتضى التحديد . أما القياس الذى يقتضى التحديد فهو كما قلنا انه عبادة والعبادات مؤقتة . وأما الاثر الذى يقتضى مفهومه عدم التحديد فحديث سهل بن سعد الساعدى المتفق على صحته وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يارسول الله انى قد وهبت نفسى لك ، فقامت قياما طويلا . فقام رجل فقال يارسول الله زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك من شيء تصدقها اياه فقال ما عندى إلا ازارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أعطيتها إياه جلست لا ازار لك فالتمس شيأ . فقال لا أجد شيأ . فقال عليه الصلاة والسلام التمس ولو خاتما من حديد . فالتمس فلم يجد شيأ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك شيء من القرآن ؟ قال نعم سورة كذا وسورة كذا من السور سماها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحتكها بما معك من القرآن. قالوا فقوله عليه الصلاة والسلام التمس ولو خاتما من حديد دليل على أنه لا قدر لاقله لانه لو كان له قدر لبينه اذ لايجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة وهذا استدلال بين كما ترى مع أن القياس

الذى اعتمده القائلون بالتجديد ليس تسلم مقدماته . وذلك انه انبنى على مقدمتين أحداهما ان الصداق عبادة والثانيـة ان العبادة موقتة ، وهى كليهما نزاع للخصم وذلك انه قديلفى فى الشرع من العبادات ماليست موقتة بل الواجب فيها هو أقل ماينطبق عليه الاسم وأيضـا فانه ليس فيه شبه العبادات خالصا وانما صار المرجحون لهذا القياس على مفهوم الاثر لاحتمال ان يكون ذلك الاثر خاصا بذلك الرجل لقوله فـيه قد انكحتهابمـا معك من القرآن ، وهذا خلاف للاصول وان كان قد جاء فى بعض رواياته انه قال قم فعلمها لما ذكر انه معه من القرآن فقام فعلمها فجاءنكاحا باجازة لكن لما التمسوا أصلا يقيسون عليه قدر الصداق لم يجدوا شيأ أقرب شبها به من نصـاب القطع على بعد مابينهما وذلك ان القياس الذى استعمـلوه فى ذلك هوانهم قالوا عضو مستباح بمال فوجب ان يكون مقدار أصله القطع . وضعف هذا القياس هو من قبل ان الاستباحة فيهما هى مقولة باشتراك الاسم وذلك ان القطع غير الوطء وأيضا فان القطع استباحة على جهة العقوبة والاذى ونقص خلقة ، وهـذا استباحة على جهة اللذة والمودة ومن شأن قياس الشبه على ضعفه ان يكون الذى به تشابه الفرع والاصل شيأ واحدا لا باللفظ بل بالمعنى ، وأن يكون الحكم انما وجد للاصل من جهة الشبه ، وهذا كله معدوم فى هذا القياس ، ومع هذا فانه من الشبه الذى لم ينبه عليـه اللفظ وهذا النوع من القياس مردود عند المحققـين لكن لم يستعملوا هذا القياس فى اثبات التجديد المقابل لمفهوم الحديث اذهو فى غاية الضعف وانما استعملوه فى تعيين قدر التجديد

وأما القيـاس الذى استعمـلوه فى معارضة مفهوم الحـديث فهو أقوى من هذا يشهد لعدم التجديدماخرجه الترمذى ان امرأة تزوجت على نعلين ، فقال لها رسول الله صلى عليه وسلم أرضيت من نفسك ومالك بنعلين ،فقالت نعم. فجوز نكاحها وقال هو حديث حسن صحيح .
ولما اتفق القائلون بالتجديد على قياسـه على نصـاب السرقة اختلفوا فى ذلك بحسب اختلافهم فى نصاب السرقه فقال مالك هو ربع دينار او ثلاثة دراهم لانه

النصاب فى السرقة عنده، وقال أبو حنيفة هو عشرة دراهم لانه النصاب فى السرقة عنده . وقال ابن شبرمة هو خمسة دراهم لانه النصاب عنده ايضا فى السرقة . وقد احتجت الحنفية لكون الصداق محددا بهذا القدر بحديث يروونه عن جابر عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال لا مهر الا بعشرة دراهم . ولو كان هذا ثابتا لكان رافعا لموضع الخلاف لانه كان يجب لموضع هذا الحديث ان يحمل حديث سهل بن سعد على الخصوص ، ولكن حديث جابر هذا ضعيف عند أهل الحديث فانه يرويه قالوا مبشر بن عبيد عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء عن جابر ومبشر والحجاج ضعيفان وعطاء ايضا لم يلق جابرا ولذلك لا يمكن أن يقال ان هذا الحديث معارض لحديث سهل بن سعد

﴿المسألة الثالثة﴾

اما جنسه فكل ما جاز أن يتملك وأن يكون عوضا واختلفوا من ذلك فى مكانين فى النكاح بالاجازة وفى جعل عتق أمته صداقها . أما النكاح على الاجازة فى المذهب فيه ثلاثة أقوال قول بالاجازة وقول بالمنع وقول بالكراهة والمشهور عن مالك الكراهة ولذلك رأى فسخه قبل الدخول وأجازه عن أصحابه أصبغ وسحنون وهو قول الشافعى ومنعه ابن القاسم وأبو حنيفة الا فى العبد فان ابا حنيفة أجازه وسبب اختلافهم سببان احدهما على أن شرع من قبلنا لازم لنا حتى يدل الدليل على ارتفاعه أم الامر بالعكس ؟ فمن قال هو لازم أجازه بقوله تعالى « انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج » الآية . ومن قال ليس بلازم قال لا يجوز النكاح بالاجارة . والسبب الثانى هل يجوز ان يقاس النكاح فى ذلك على الاجارة وذلك ان الاجارة هى مستثناة من بيوع الغرر المجهول ولذلك خالف فيها الاصم وابن علية ولذلك ان أصل التعامل انما هو على عين معروفة ثابتة فى عين معروفة ثابتة والاجارة هى عين ثابتة فى مقابلتها حركات وأفعال غير ثابتة ولا مقدرة بنفسها ، ولذلك اختلف الفقهاء متى تجب الاجرة على المستأجر . وأما كون العتق صداقا فانه منعه فقهاء الامصار ماعدا داود واحمد . وسبب اختلافهم معارضة الاثر الوارد فى ذلك للاصول أعنى

ماثبت من أنه عليه الصلاة والسلام أعتق صفية وجعل عتقها صداقها مع احتمال أن يكون هذا خاصا به عليه الصلاة والسلام لكثرة اختصاصه فى هذا الباب . ووجه مفارقته للاصول ان العتق إزالة ملك والازالة لاتتضمن استباحة الشىء بوجه آخر لانها إذا أعتقت ملكت نفسها فكيف يلزمها النكاح ؟ ولذلك قال الشافعى انها إن كرهت زواجه غرمت له قيمتها لأنه رأى انها قد أتلفت عليه قيمتها اذ كان انما أتلفها بشرط الاستمتاع بها . وهذا كله لايعارض به فعله عليه الصلاة والسلام ولوكان غير جائز لغيره لبينه عليه الصلاة والسلام . والاصل ان افعاله لازمة لنا الا ماقام الدليل على خصوصيته. وأما صفة الصداق فانهم اتفقوا على انعقاد النكاح على العرض المعين الموصوف أعنى المنضبط جنسه وقدره بالوصف واختلفوا فى العرض الغير موصوف ولا معين مثل أن يقول انكحتها على عبد اوخادم من غير ان يصف ذلك وصفا يضبط قيمته . فقال مالك وأبوحنيفة يجوز وقال الشافعى لايجوز واذا وقع النكاح على هذا الوصف عند مالك كان لها الوسط مما سمى . وقال

ابو حنيفة يجبر على القيمة . وسبب اختلافهم هل يجرى النكاح فى ذلك مجرى البيع من القصد فى التشاح او ليس يبلغ ذلك المبلغ بل القصد منه اكثر من ذلك المكارمة . فمن قال يجرى فى التشاح قال كما لا يجوز البيع على شىء غير موصوف ، كذلك لايجوز النكاح . ومن قال ليس يجرى مجراه اذ المقصود منه انما هو المكارمة ، قال يجوز . وأما التأجيل فان قوما لم يجيزوه اصلا وقوم أجازوه واستحبوا أن يقدم شيأ منه اذا أراد الدخول ، وهو مذهب مالك والذين اجازوا التأجيل منهم من لم يجزه الالزمن محدود وقدر هذا البعد وهو مذهب مالك . ومنهم من أجازه لموت اوفراق وهو مذهب الاوزاعى وسبب اختلافهم هل يشبه النكاح البيع فى التأجيل اولا يشبهه ؟ فمن قال يشبهه لم يجز التأجيل لموت اوفراق . ومن قال لايشبهه اجاز ذلك . ومن منع التأجيل فلكونه عبادة

﴿الموضع الثانى فى النظر فى التقرر﴾

واتفق العلماء على ان الصداق يجب كله بالدخول او الموت . اما وجوبه كله بالدخول فلقوله تعالى : « وان اردتم

استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » الآية . وأما وجوبه بالموت فلا أعلم الآن فيه دليلا مسموعا الا انعقاد الإجماع على ذلك . واختلفوا هل من شرط وجوبه مع الدخول المسيس أم ليس ذلك من شرطه بل يجب بالدخول والخلوة ؟ وهو الذى يعنون بارخاء الستور. فقال مالك والشافعى وداود لا يجب بارخاء الستور الا نصف المهر مالم يكن المسيس . وقال أبو حنيفة يجب المهر بالخلوة نفسها إلا ان يكون محرما أو مريضا أو صائما فى رمضان أو كانت المرأة حائضا . وقال ابن ابى ليلى يجب المهر كله بالدخول ولم يشترط فى ذلك شيأ . وسبب إختلافهم فى ذلك معارضة حكم الصحابة فى ذلك لظاهر الكتاب . وذلك انه نص تبارك وتعالى فى المدخول بها المنكوحة انه ليس يجوز أن يؤخذ من صداقها شىء فى قوله تعالى «وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض » ؟ ونص فى المطلقة قبل المسيس ان لها نصف الصداق فقال تعالى «وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم »

وهذا نص كما ترى فى حكم كل واحدة من هاتين الحالتين أعنى قبل المسيس وبعد المسيس ولا وسط بينهما فوجب بهذا إيجابا ظاهرا ان الصداق لا يجب الا بالمسيس والمسيس ههنا الظاهر من أمره انه الجماع وقد يحتمل ان يحمل على اصله فى اللغة وهو المس ولعل هذا هو الذى تأولت الصحابة، ولذلك قال مالك فى العنين المؤجل انه قد وجب لها الصداق عليه إذا وقع الطلاق لطول مقامه معها فجعل لها دون الجماع تأثيراً فى إيجاب الصداق . واما الاحكام الواردة فى ذلك عن الصحابة فهو ان من أغلق بابا أو أرخى سترا فقد وجب عليه الصداق لم يختلف عليهم فى ذلك فيما حكموا واختلفوا من هذا الباب فى فرع وهو اذا اختلفا فى المسيس ، أعنى القائلين باشتراط المسيس وذلك مثل أن تدعى هى المسيس وينكره هو ، فالمشهور عن مالك ان القول قولها . وقيل ان كان دخول بناء صدقت وان كان دخول زيارة لم تصدق . وقيل ان كانت بكرا نظر اليها النساء . فيتحصل فيها فى المذاهب ثلاثة اقوال . وقال الشافعى وأهل الظاهر

القول قوله . وذلك لأنه مدعى عليه ومالك ليس يعتبر فى وجوب اليمين المدعى عليه من جهة ما هومدعى عليه بل من جهة ما هو أقوى شبهة فى الاكثر ولذلك يجعل القول فى مواضع كثيرة قول المدعى اذا كان أقوى شبهة . وهذا الخلاف يرجع الى هل ايجاب اليمين على المدعى عليه معلل أو غير معلل ؟ وكذلك القول فى وجوب البينة على المدعى وسيأتى هذا فى مكانه

(الموضوع الثالث فى التشطير)

واتفقوا اتفاقا مجملا انه اذا طلق قبل الدخول وقد فرض صداقا انه يرجع عليها بنصف الصداق لقوله تعالى : « فنصف ما فرضتم » الآية والنظر فى التشطير فى أصول ثلاثة فى محله من الانكحة وفى موجبه من أنواع الطلاق . أعنى الواقع قبل الدخول وفى حكم ما يعرض له من التغيرات قبل الطلاق . أما محله من النكاح عند مالك فهو النكاح الصحيح أعنى أن يكون يقع الطلاق الذى قبل الدخول فى النكاح الصحيح. واما النكاح الفاسد فان لم تكن الفرقة فيه فسخا وطلق قبل الفسخ ففى ذلك قولان . وأما موجب التشطير فهو الطلاق الذى يكون باختيار من الزوج لا باختيار منها مثل الطلاق الذى يكون من قبل قيامها بعيب يوجد فيه واختلفوا من هذا الباب فى الذى يكون سببه قيامها عليه بالصداق أو النفقة مع عسره ولا فرق بينه وبين القيام بالعيب وأما الفسوخ التى ليست طلاقا فلا خلاف أنها ليست توجب التشطير اذا كان فيها الفسخ من قبل العقد أو من قبل الصداق وبالجملة من قبل عدم موجبات الصحة وليس لها فى ذلك اختيار أصلا . وأما الفسوخ الطارئة على العقد الصحيح مثل الردة والرضاع فان لم يكن لأحدهما فيه اختيار أو كان لها دونه لم يوجب التشطير وان كان له فيه اختيار مثل الردة أوجب التشطير والذى يقتضيه مذهب أهل الظاهر إن كل طلاق قبل البناء فواجب أن يكون فيه التنصيف سواء كان من سببها أو سببه . وان ما كان فسخا ولم يكن طلاقا فلا تنصيف فيه وسبب الخلاف على هذه السنة معقولة المعنى أم ليست بمعقولة فمن قال انها معقولة المعنى وانه انما وجب لها نصف الصداق عوض ما كان لها

لمكان الجبر على رد سلعتها وأخذ الثمن كالحال في المشترى فلما فارق النكاح في هذا المعنى البيع جعل لها هذا عوضا من ذلك الحق . فاذا كان الطلاق من سببها لم يكن لها شيء لأنها أسقطت ما كان لها من جبره على دفع الثمن وقبض السلعة ومن قال انها سنة غير معقولة واتبع ظاهر اللفظ قال يلزم التشطير في كل طلاق كان من سببه أو سببها . فأما حكم ما يعرض للصداق من التغيرات قبل الطلاق فان ذلك لا يخلو أن يكون من قبلها أو من الله . فما كان من قبل الله فلا يخلو من إربعة أوجه . اما أن يكون تلفا للكل واما أن يكون نقصا واما أن يكون زيادة واما أن يكون زيادة ونقصانا معا. وما كان من قبلها فلا يخلو ان يكون تصرفها فيه بتفويت مثل البيع والعتق والهبة ، أو يكون تصرفها فيه في منافعها الخاصة فيما تتجهز به الى زوجها . فعند مالك أنها في التلف وفي الزيادة وفي النقصان شريكان وعند الشافعي أنه يرجع في النقصان والتلف عليها بالنصف ولا يرجع بنصف الزيادة. وسبب اختلافهم هل تملك المرأة الصداق قبل الدخول أو الموت ملكا مستقراً أولا تملكه فمن قال انها لا تملكه ملكا مستقرا قال هما فيه شريكان ما لم تتعد فتدخله في منافعها. ومن قال انها تملكه ملكا مستقرا والتشطير حق واجب تعين عليها عند الطلاق وبعد استقرار الملك أوجب الرجوع عليها بجميع ما ذهب عندها . ولم يختلفوا أنها اذا صرفته في منافعها ضامنة للنصف . واختلفوا اذا اشترطت به ما يصلحها للجهاز مما جرت به العادة هل يرجع عليها بنصف ما اشترته أم بنصف الصداق الذي هو الثمن فقال مالك يرجع عليها بنصف ما اشترته وقال ابو حنيفة والشافعي يرجع عليها بنصف الثمن الذي هو الصداق . واختلفوا من هذا الباب في فرع مشهور متعلق بالسماع وهو هل للأب أن يعفو عن نصف الصداق في ابنته البكر أعنى اذا طلقت قبل الدخول وللسيد في أمته ؟ فقال مالك ذلك له . وقال ابو حنيفة والشافعي ليس ذلك له . وسبب اختلافهم هو الاحتمال الذي في قوله تعالى « الا ان يعفو او يعفو الذي بيده عقدة النكاح » وذلك في لفظة يعفو فانها تقال في كلام العرب مرة بمعنى يسقط ومرة بمعنى يهب . وفي قوله الذي

بيده عقدة النكاح على من يعود هذا الضمير هل على الولى أو على الزوج فمن قال الزوج جعل يعفو بمعنى يهب ومن قال على الولى جعل يعفو بمعنى يسقط . وشذقوم فقالوا لكل ولى أن يعفو عن نصف الصداق الواجب للمرأة ويشبه أن يكون هذان الاحتمالان اللذان فى الآية على السواء . لكن من جعله الزوج فلم يوجب حكما زائدا فى الآية أى شرعا زائدا لان جواز ذلك معلوم من ضرورة الشرع . ومن جعله الولى إما الاب وإما غيره فقد زاد شرعا . فلذلك يجب عليه أن يأتى بدليل يبين به ان الآية أظهر فى الولى منها فى الزوج وذلك شىء يعسر والجمهور على ان المرأة الصغيرة والمحجورة ليس لها ان تهب من صداقها النصف الواجب لها . وشذقوم فقالوا يجوز ان تهب مصيرا لعموم قوله تعالى «الا ان يعفون» واختلفوا من هذا الباب فى المرأة اذا وهبت صداقها لزوجها ثم طلقت قبل الدخول ، فقال مالك ليس يرجع عليها بشىء ، وقال الشافعي يرجع عليها بنصف الصداق ، وسبب الخلاف على النصف الواجب للزوج بالطلاق هو فى عين الصداق أو فى ذمة المرأة . فمن قال فى عين الصداق قال لا يرجع عليها بشىء لانه قد قبض الصداق كله . ومن قال هو فى ذمة المرأة قال يرجع وإن وهبته له كما لو وهبت له غير ذلك من مالها وفرق أبو حنيفة فى هذه المسئلة بين القبض ولا قبض . فقال ان قبضت فله النصف وان لم تقبض حتى وهبت فليس له شىء كأنه رأى أن الحق فى العين مالم تقبض فاذا قبضت صار فى الذمة

(الموضع الرابع فى التفويض)

وأجمعوا على أن نكاح التفويض جائز وهو أن يعقد النكاح دون صداق لقوله تعالى «ولا جناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة» واختلفوا من ذلك فى موضعين أحدهما اذا طلبت الزوجة فرض الصداق واختلفوا فى القدر. الموضع الثانى اذا مات الزوج ولم يفرض هل لها صداق أم لا؟

(فأما المسئلة الاولى)

وهى اذا قامت المرأة تطلب أن يفرض لها مهرا ، فقالت طائفة يفرض لها مهر مثلها وليس للزوج فى ذلك خيار فان طلق بعد الحكم فمن هؤلاء من قال لها

نصف الصداق؟ومنهم من قال ليس لها شيء لان أصل الفرض لم يكن فى عقد النكاح وهو قول أبى حنيفة وأصحابه وقال مالك وأصحابه الزوج بين خيارات ثلاثة إما أن يطلق ولا يفرض ، واما أن يفرض ماتطالبه المرأة به ؛وأما أن يفرض صداق المثل ويلزمها ، وسبب اختلافهم اعنى بين من يوجب مهر المثل من غير خيار للزوج اذا طلق بعد طلبها الفرض ومن لا يوجب اختلافهم فى مفهوم قوله تعالى « لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة » هل هذا محمول على العموم فى سقوط الصداق سواء كان سبب الطلاق اختلافهم فى فرض الصداق أو لم يكن الطلاق سببه الخلاف فى ذلك وايضا فهل يفهم من رفع الجناح عن ذلك سقوط المهر فى كل حال أولا يفهم ذلك فيه احتمال وان كان الاظهر سقوطه فى كل حال لقوله تعالى « ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره » ولاخلاف أعلمه فى انه اذا طلق ابتداء انه ليس عليه شيء وقد كان يجب على من أوجب لها المتعة مع شطر الصداق اذا طلق قبل الدخول فى نكاح غير التفويض وأوجب لها مهر المثل فى نكاح التفويض أن يوجب لها مع المتعة فيه شطر مهر المثل لان الآية لم تتعرض بمفهومها لاسقاط الصداق فى نكاح التفويض وانما تعرضت لاباحة الطلاق قبل الفرض فان كان يوجب نكاح التفويض مهر المثل اذا طلب فواجب ان يتشطر اذا وقع الطلاق كما يتشطر فى المسمى ولهذا قال مالك انه ليس يلزم فيه مهر المثل مع خيار الزوج

(وأما المسئلة الثانية)

وهى اذا مات الزوج قبل تسمية الصداق وقبل الدخول بها فان مالكا وأصحابه والاوزاعى قالوا ليس لها صداق ولها المتعة والميراث . وقال أبو حنيفة لها صداق المثل والميراث ، وبه قال أحمد وداود ، وعن الشافعى القولان جميعا الا أن المنصوص عند أصحابه هو مثل قول مالك وسبب اختلافهم معارضة القياس للاثر ، أما الاثر فهو ماروى عن ابن مسعود انه سأل عن هذه المسئلة فقال أقول بها برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ، أرى لها صداق امرأة من نسائنا لا وكس ولاشطط وعليها العدة

ولها الميراث. فقال معقل بن يسار الأشجعي قال أشهد لقضيت فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق. خرجه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وأما القياس المعارض لهذا فهو ان الصداق عوض فلما لم يقبض المعوض لم يجب العوض قياسا على البيع وقال المزني عن الشافعي في هذه المسئلة ان ثبت حديث بروع فلا حجة في قول أحد مع السنة والذي قاله هو الصواب والله أعلم

﴿ الموضع الخامس ﴾

(في الاصدقة الفاسدة)

والصداق يفسد أما لعينه وأما لصفة فيه من جهل أو عذر . فالذي يفسد لعينه فمثل الخمر والخنزير وما لا يجوز أن يتملك. والذي يفسد من قبل العذر والجهل فالاصل فيه تشبيهه بالبيوع وفي ذلك خمس مسائل مشهورة

(المسئلة الاولى)

اذا كان الصداق خمراً او خنزيرا او ثمرة لم يبد صلاحها او بعيرا شاردا . فقال ابو حنيفة العقد صحيح اذا وقع وفيه مهر المثل . وعن مالك في ذلك روايتان احداهما فساد العقد وفسخه قبل الدخول وبعده ، وهو قول أبو عبيدة . والثانية انه ان دخل ثبت ولها صداق المثل وسبب اختلافهم هل حكم النكاح في ذلك حكم البيع أو ليس كذلك ؟ فمن قال حكمه حكم البيع قال يفسد النكاح بفساد الصداق كما يفسد البيع بفساد الثمن ومن قال ليس من شرط صحة عقد النكاح صحة الصداق بدليل ان ذكر الصداق ليس شرطا في صحة العقد قال يمضي النكاح ويصحح بصداق المثل والفرق بين الدخول وعدمه ضعيف والذي تقتضيه أصول مالك أن يفرق بين الصداق المحرم العين وبين المحرم لصفة فيه قياسا على البيع ولست أذكر الآن فيه نصاً

(المسئلة الثانية)

واختلفوا اذا اقترن بالمهر بيع مثل ان تدفع اليه عبدا ويدفع الف درهم عن الصداق وعن ثمن العبد ولا يسمى الثمن من الصداق فمنعه مالك وابن القاسم وبه قال أبو ثور وأجازه أشهب . وهو قول أبي حنيفة وفرق عبد الله فقال ان كان الباقي بعد البيع ربع دينار فصاعدا بأمر

لايشك فيه جاز . واختلف فيه قول الشافعى فمرة قال ذلك جائز ومرة قال فيه مهر المثل . وسبب اختلافهم هل النكاح فى ذلك شبيه بالبيع أم ليس بشبيه فمن شبهه فى ذلك بالبيع منعه ومن جوز فى النكاح من الجهل مالا يجوز فى البيع قال يجوز

(المسئلة الثالثة)

واختلف العلماء فيمن نكح امرأة واشترط عليه فى صداقها حباء يحابى به الاب ، على ثلاثة أقول : فقال أبو حنيفة وأصحابه الشرط لازم والصداق صحيح وقال الشافعى المهر فاسد ولها صداق المثل وقال مالك اذا كان الشرط عند النكاح فهو لابنته ، وان كان بعد النكاح فهو له. وسبب اختلافهم تشبيه النكاح فى ذلك بالبيع فمن شبهه بالوكيل يبيع السلعة ويشترط لنفسه حباء قال لا يجوز النكاح كما لا يجوز البيع . ومن جعل النكاح فى ذلك مخالفا للبيع قال يجوز وأما تفريق مالك فلأنه اتهمه اذا كان الشرط فى عقد النكاح أن يكون ذلك الذى اشترطه لنفسه نقصانا من صداق مثلها ولم يتهمه اذا كان بعد انعقاد النكاح والاتفاق على الصداق.

وقول مالك هو قول عمر بن عبد العزيز والثورى وأبى عبيد . وخرج النسائى وأبو داود وعبد الرزاق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة نكحت على حباء قبل عصمة النكاح فهو لها ، وما كان بعد عصمة النكاح فهو لمن أعطيه وأحق ما أكرم الرجل عليه ابنته واخته ، وحديث عمرو بن شعيب مختلف فيه من قبل انه صحفه ولكنه نص فى قول مالك . وقال أبو عمر بن عبد البر اذا روته الثقات وجب العمل به

(المسئلة الرابعة)

واختلفوا فى الصداق يستحق أو يوجد به عيب فقال الجمهور النكاح ثابت واختلفوا هل ترجع بالقيمة أو بالمثل أو بمهر المثل . واختلف فى ذلك قول الشافعى ، فقال مرة بالقيمة وقال مرة بمهر المثل . وكذلك اختلف المذهب فى ذلك فقيل ترجع بالقيمة وقيل ترجع بالمثل . قال أبو الحسن اللخمى ولو قيل ترجع بالأقل من القيمة أو صداق المثل لكان ذلك وجها . وشذ سحنون فقال النكاح

فاسد ومبنى الخلاف هل يشبه النكاح فى ذلك البيع أو لايشبهه فمن شبهه قال ينفسخ ومن لا يشبهه قال لاينفسخ

(المسألة الخامسة)

واختلفوا فى الرجل ينكح المرأة على أن الصداق ألف ان لم يكن له زوجة وان كانت له زوجة فالصداق الفان . فقال الجمهور بجوازه واختلفوا فى الواجب فى ذلك . فقال قوم الشرط جائز ولها من الصداق بحسب ما اشترط. وقالت طائفة لها مهر المثل وهو قول الشافعى وبه قال أبو ثور الا انه ان طلقها قبل الدخول لم يكن لها الا المتعة . وقال ابو حنيفة ان كانت له امرأة فلها الف درهم وان لم تكن له امرأة فلها مثلها ما لم يكن أكثر من الالفين أو أقل من الالف . ويتخرج فى هذا قول ان النكاح مفسوخ لمكان الغرر . ولست أذكر الآن نصا فيها فى المذهب . فهذه مشهور مسائلهم فى هذا الباب وفروعه كثيرة . واختلفوا فيما يعتبر به مهر المثل اذا قضى به فى هذه المواضع وما أشبهها فقال مالك يعتبر فى جمالها ونصابها ومالها . وقال الشافعى يعتبر بنساء عصبتها فقط . وقال أبو حنيفة يعتبر فى ذلك نساء قرابتها من العصبة وغيرهم ومبنى الخلاف هل المماثلة فى المنصب فقط أو فى المنصب والمال والجمال لقوله عليه الصلاة والسلام تنكح المرأة لدينها وجمالها وحسبها الحديث

﴿ الموضع السادس ﴾

(فى اختلاف الزوجين فى الصداق)

واختلافهم لايخلو أن يكون فى القبض أو فى القدر أو فى الجنس أو فى الوقت أعنى وقت الوجوب . فأما اذا اختلفا فى القدر فقالت المرأة مثلا بمائتين وقال الزوج بمائة فان الفقهاء اختلفوا فى ذلك اختلافا كثيرا فقال مالك انه ان كان الاختلاف قبل الدخول وأتى الزوج بما يشبه والمرأة بما يشبه أنهما يتحالفان ويتفاسخان وان حلف أحدهما ونكل الآخر كان القول قول الحالف وان نكلا جميعا كان بمنزلة ما اذا حلفا جميعا ومن أتى بما يشبه منهما كان القول قوله. وان كان الاختلاف بعد الدخول فالقول قول الزوج . وقالت طائفة القول قول الزوج مع يمينه . وبه قال ابو ثور وابن ابى ليلى وابن شبرمة وجماعة . وقالت طائفة القول قول الزوجة الى مهر مثلها وقول

الزوجة فيما زاد على مهر مثلها . وقالت طائفة اذا اختلفا تحالفا ورجع الى مهر المثل ولم تر الفسخ كالك وهو مذهب الشافعى والثورى وجماعة . وقد قيل انها ترد الى صداق المثل دون يمين ما لم يكن صداق المثل أكثر مما ادعت وأقل مما ادعى هو . واختلافهم مبنى على اختلافهم فى مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . هل ذلك معلل أو غير معلل ؟ فمن قال معلل قال يحلف أبداً أقواهما شبهة فان استويا تحالفا وتفاسخا ، ومن قال غير معلل قال يحلف الزوج لانها تقر له بالنكاح وجنس الصداق وتدعى عليه قدرا زائداً فهو مدعى عليه ، وقيل أيضا يتحالفان أبداً لأن كل واحد منهما مدعى عليه وذلك عند من لم يراع الاشياء . والخلاف فى ذلك فى المذهب . ومن قال القول قولها الى مهر المثل والقول قوله فيما زاد على مهر المثل رأى أنهما لا يستويان أبداً فى الدعوى بل يكون أحدهما ولا بد أقوى شبهة . وذلك . انه لايخلو دعواها من أن يكون فيما يعادل صداق مثلها فادونه فيكون القول قولها أو يكون فيما فوق ذلك فيكون القول قوله . وسبب اختلاف مالك والشافعى فى التفاسخ بعد التحالف والرجوع الى صداق المثل هو . هل يشبه النكاح بالبيع فى ذلك أم ليس يشبه ؟ فمن قال يشبه به قال بالتفاسخ . ومن لا يشبهه لأن الصداق ليس من صحة العقد قال بصداق المثل بعد التحالف . وكذلك من زعم من أصحاب مالك أنه لايجوز لهما بعد التحالف أن يتراضيا على شىء ولا أن يرجع أحدهما الى قول الآخر ويرضى به فهو فى غاية الضعف . ومن ذهب الى هذا فانما يشبه باللعان وهو تشبيه ضعيف مع أن وجود هذا الحكم اللعان مختلف فيه . وأما اذا اختلفا فى القبض فقالت الزوجة لم أقبض وقال الزوج قد قبضت . فقال الجمهور القول قول المرأة الشافعى والثورى واحمد وابو ثور . وقال مالك القول قولها قبل الدخول والقول قوله بعد الدخول . وقال بعض اصحابه انما قال ذلك مالك لأن العرف بالمدينة كان عندهم أن لايدخل الزوج حتى يدفع الصداق . فان كان بلد ليس فيه هذا العرف كان القول قولها أبدا والقول بأن القول قولها أبداً أحسن لأنها

مدعى عليها . ولكن مالك راعى قوة الشبهة حتى اذا دخل بها الزوج واختلف أصحاب مالك اذا طال الدخول هل يكون القول قوله بيمين أو بغير يمين احسن، واما اذا اختلفا فى جنس الصداق فقال هو مثلا تزوجتك على هذا العبد وقالت هى تزوجتك على هذا الثوب . فالمشهور فى المذهب أنهما يتحالفان ويتفاسخان ان كان الاختلاف قبل البناء وان كان البناء ثبت وكان لها صداق المثل ما لم يكن اكثر مما ادعت او اقل مما اعترف به . وقال ابن القصار يتحالفان قبل الدخول والقول قول الزوج بعد الدخول وقال اصبغ القول قول الزوج ان كان يشبه سواء كان أشبه قولها أو لم يشبه فان لم يشبه قول الزوج فان كان قولها مشبه كان القول قولها وان لم يكن قولها مشبها تحالفا وكان لها صداق المثل، وهو الشافعى فى هذه المسألة مثل قوله عند اختلافهم فى القدر أعنى يتحالفان ويتراجعان الى مهر المثل وسبب قول الفقهاء بالتفاسخ فى البيع ستعرف اصله فى كتاب البيوع ان شاء الله وأما اختلافهم فى الوقت فانه يتصور فى الكالىء والذى يجىء فن أصل قول مالك فى المشهور عنه ان القول فى الاصل قول الغارم قياسا على البيع وفيه خلاف ويتصور أيضا متى يجب على قبل الدخول أو بعده فمن شبه النكاح بالبيع قال لايجب الا بعد الدخول قياسا على البيع اذ لايجب الثمن على المشترى الا بعد قبض السلعة . ومن رأى ان الصداق عبادة يشترط فى الحلية قال يجب قبل الدخول ولذلك استحب مالك أن يقدم الزوج قبل الدخول شىء من الصداق

﴿الركن الثالث﴾

(فى معرفة محل العقد)

وكل امرأة فانهـا تحل فى الشرع بوجهين اما بنكاح او بملك يمين . والموانع الشرعية بالجملة تنقسم أولا الى قسمين موانع مؤبدة وموانع غير مؤبدة والموانع المؤبدة تنقسم الى متفق عليها ومختلف فيها ، فالمتفق عليها ثلاث نسب وصهر ورضاع والمختلف فيها الزنا واللعان . والغير مؤبدة تنقسم الى تسعة أحدها مانع العدد والثانى مانع الجمع والثالث مانع الرق، والرابع مانع الكفر، والخامس مانع الاجرام، والسادس مانع

المرض والسابع مانع العدة على اختلاف في عدم تأبيده ، والثامن مانع التطليق ثلاثا للمطلق ، والتاسع مانع الزوجية فالموانع الشرعية بالجملة اربعة عشر مانعا »

﴿ المهرجان ﴾ معناها بالفارسية محبة الروح وهي عيد عندهم

﴿ مهك ﴾ يمهكه مهكا سحقه فبالغ في سحقه

﴿ مهل ﴾ في عمله يمهل مهلا عمل برفق وسكينة . و (مهّله وأمهله) أنظره وأخره . و (تمهّل في عمله) اتأد . و (المهْل) التؤدة . و (المهْل) اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة ونحوها و (المهل) القطر والسم والقيح ودردي الزيت . و (المهَل) التؤدة ومثلها المهلة

﴿ مهما ﴾ اسم شرط جازم يجزم فعلين ، أولهما فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه نحو (مهما تخف الحقد يظهر)

﴿ مهنه ﴾ يمهنه مهنا خدمه . و (مهن يمهن مهنا) عمل في صنعته . و (مهن يمهن مهانة) كان مهينا . و (ماهنه) مارسه . و (امتهنه فامتهن هو) اى استعمله للمهنة فاستعمل لذلك

و (امتهنه) ابتذله واحتقره .

و (الماهن) المملوك والخادم جمعه مُهّان ومَهَنة و (المِهْنة والمُهنة) الحذق في العمل و (المهين) الحقير

﴿ المهمة ﴾ المفازة جمعها مهامه

﴿ المهاة ﴾ البقرة الوحشية وهي أشبه بالمعز الاهلية تشبه بها المرأة في مشيها وجمالها وحسن عينيها

﴿ مهيار ﴾ هو ابو الحسين مهيار ابن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور كان مجوسيا فأسلم على يد الشريف الرضي وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر . وكان شاعرا جزل القول مقدما على أهل وقته

من شعره قوله :

وقد قاله يرثي أبا الحسين احمد بن عبد الله وكان من معادن الفتوة العربية ومظان الكرم الصحيبة ، واتفق بينه وبين مهيار مودة قبل موته بسنين قلائل وقد توفي اواسط شوال سنة (٤١٣)

نعم هذه يا دهر أم المصائب
فلا توعدني بعدها بالنوائب
هتكت بها ستر التجامل بيننا
ولم تلتفت فينا لبقيا المراقب

ومازلت ترمى صفحتى بين قاصد
ومنحرف حتى رميت بصائب
فرأيك فى فودى فقد ذل مسحلى
وشأنك فى غمزى فقد لان جانبى
سددت طريق الفضل من كل وجهة
وملت على العلياء من كل جانب
فلا مَنْنٌ الا محجبة تائه
ولا أمل الا مطية خائب
أبعد ابن عبد الله أحظى براجع
من العيش أو آسى على إثر ذاهب
وأرسل طرفى رائداً فى خميلة
من الناس أبغى نجعة لمطالبى
واقدح زَنداوار يا من هوى أخ
واكشف عن ودخبيئة صاحب
وأدفع فى صدر الليالى بمثله
فترجع عنى داميات المناكب
أبى ذاك قلب عنه غير مخالط
برجم وحلم بعده غير عازب
وان خروق المجد ليست لراقع
سواه وصدع الجود ليس لشاعب
طوى الموت منه بردة فى دروجها
بقية أيام الكرام الاطايب
محبرة سدى وألحم وشيها
صناع بحوك المكرمات الرغائب
كما الله عطف الدهر حينا جمالها
فلما طغى قبضت لها يدُ سالب
لئن درست فيها الحظوظ فانها
ليبقى طويلا عرفها فى المساجد
وجوهرة فى الناس كانت يتيمة
وهل من أخ للبدر بين الكواكب
أاالآن لما اشتد متنى بوده
ورُدت ملاء من نداه حقائبى
فجعت بمغض الهوى حاضر الجدى
جديدَ قميص الود سهل المجاذب
سددت فم الناعى بكفى تطيرا
ولويت وجهى عنه لى مُغاضب
وقلت تبين ماتقول لعلها
تكون كتلك الطائرات الكواذب
فكم غاب من أخباره ثم أقشعت
سحابته عن صالح الحال ثائب
فلما بدا لى الشر فى حكر قوله
ربطت نوازى أضلعى بالرواجب
وملت الى ظل من الصبر قالص
قصير وظن بالتجمل كاذب
ونفس شجاع قد أخلّ وقارها
بعادته فى النازلات الصعائب
أسائل عنه المجد وهو معطل
سؤالَ الاجب عن سنام وغارم

واستروح الاخبار وهي تسوءني
علائق منها في ذيول الجنائب
فيفصح لي من كان عنه مجمجما
ويصدقني من كان فيه مواربي
فقيد بعيسان استوت في افتقاده
مشارق آفاق العلى بالمغارب
تنافث عن جمر الغضا نادباته
كأن فؤادي في حلوق النوادب
بكت ادمعا بيضا ودمت جباهها
فتحسبها تبكي دما بالحواجب
هوت هضبة المجد التليد وعطلت
رسوم الندى وانقض نجم الكواكب
وردت ركاب المحسنين بظمئها
تكد الدلاء في ركايا نواضب
فلم يذرع السفار بعدك نفنفا
عريضا على أيدي المطي اللواغب
برغمي ان هب النيام وانني
دعوتك وجه الصبح غير مجاوبي
وان لا ترى مسترضا حاج رفقة
ولا سائلا من أين مقدم راكب
سرى الموت من أوطانه في مآلفي
وقبب من أخلاقه عن حبائبي
عجبت لهذي الارض كيف تلمنا
وتصدعنا والارض ام العجائب

نطارد عن أرواحنا برماحنا
ونطرب في أيامنا للحرائب
وتسحرنا الدنيا بشبمة طاعم
هي السقم المردي ونهلة شارب
أحدث نفسي خاليا بخلودها
فأين ابي الادنى وأين أقاربي
وما كنت الا واحدا من عشيرة
ولا باقيا في الناس الا ابن ذاهب
فهل انا اجبى من مقاول حمير
وأمنع ظهرا من مشيد مأرب
وهل أخذت عهد السموءل لي يد
من الموت أو عندي حنية حاجب
ولا علم لي من أي شقّ مصرعي
وفي ايما ارض يخط لجانبي
إذا كان سهم الموت لابد واقعا
فياليتني المرمى من قبل صاحبي
ويا ليت مقبورا بكوفان شاهد
جواي وان كانت شهادة غائب
وليت طريف الود بيني وبينه
وان طاب يوم لم يكن من مكاسبي
سلام على الارواح بعدك انها
وان عشت ليست اربة من مآربي
اذا دنس الحزن السلو غسلته
فعاد جديدا بالدموع السواكب

وان أحدثت عندى يد الدهر نعمة
ذكرتك فيها فاغتدت من مصائبى
سقتك بمعتاد الدعاء مرشة
افاويق لم تخدج بلمعة خالب
يلوث خطاف البرق فى جنباتها
بهام الهضاب السود حمر العصائب
اذا عمت جلحاء ارض بوبلها
غدت روضة وفراء ذات ذوائب
وان كان بحرا فى ضريحك فانيا
بجماته عن قاطرات السحائب

وقال يرثى الشريف الرضى ذا الحسبين ابا الحسن محمد بن الحسين الموسوى وتوفى فى السادس من المحرم سنة ٤٠٦ وكان رثاه بقصيدة ميمية فشقت على جماعة ممن كان يحسده فى حياته كيف يرثى بمثلها بعد وفاته وتكلموا فى ذلك فقال يلوح بذكرهم :

أقريش لا لفم أراك ولا يد
فتواكلى غاض الندى وخلا الندى
خلاك ذو الحسبين انقاضا متى
تجذب على حبل المذلة تنقد
فاذا تشادقت الخصوم فلجلجى
وان تصادمت الكماة فردى
يا ناشد الحسنات طوف فاليا
عنها وعاد كأنه لم ينشد
اهبط الى مصر فسل حراءها
من صاح بالبطحاء يا دار أحمدى
بكر النبى فقال اردى خيرها
ان كان يصدق فالرضى هو الردى
عادت أراكة هاشم من بعده
خورا لفأس الحاطب المتوقد
فجعت بمعجز آية مشهودة
ولرُبَّ آيات لها لم تشهد
كانت اذا هى فى الامامة نوزعت
ثم ادعت بك حقها لم تجحد
رضى الموافق والمخالف رغبة
بك واقتدى الغاوى برأى المرشد
ما احرزت قصباتها وتراهنت
الا ظهرت بفضلة من سؤدد
تبعتك عاقدة عليك أمورها
وعرى تميمك بعد لما تعقد
ورآك طفلا شيبُها وكهولها
فتزحزحوا لك عن مكان السيد
أنفقت سرك ضائعا فى حفظها
وعققت عيشك فى صلاح المفسد
كالنار للسارى الهداية والقرى
من ضوئها ودخانها للموقد

من راكب يسع الهموم فؤاده
وتناط منه بقارح متمود
يطوى المياه على الظما وكأنه
عنها يضل وانه للمهتدى
صلب الحصاة بشورغير مودع
عن اهله ويسير غير مزود
قرب قربت من التلاع فانها
ام المناسك مثلها لم يقصد
دأبا به حتى تريح بيثرب
فتنيخه نقضا بباب المسجد
واحث التراب على شحوبك حاسرا
وانزل فعز محمدا بمحمد
وقل انطوى حتى كأنك لم تلد
منه الهدى وكأنه لم يولد
بكت السماء له وودت انها
فقدت غزالتها ولما يفقد
وبكاك يومك اذجرت اخباره
برحا وعمى بالعبوس الانكد
صبغت وفاتك فيه ابيض فجره
باللعيون من الصباح الاسود
ولئن غمزت من الزمان بلين
عن عجم مثلك او عضضت بأدرد
فالسيف يأخذ حكمه من مغفر
وطلى ويأخذ منه سن المبرد

لو كان يعقل لم تنلك له يد
لكن اصابك منه مجنون اليد
يامشكلا ام الفضائل مورثا
يتما بنات القاطنات الشرد
خلفتهن بما رضينك ناظما
ما بين كل مرجز ومقصد
اشكو انفرادالواحد السارى بلا
انس وان احرزت سبق الاوحد
واذا حفظتك باكيا ومؤبنا
عابوا عليك تفجعى وتلددى
كانوا الصديق رددتهم لى حسدا
صلى الاله على مكثر حسدى
يغتر فيك الشامتون وانه
يوم هم رهن عليه الى غد
لا غيرتك جنادب تحت البلى
وكساك طيب البيت طيب الملحد
وقربت لا تبعد ولن علالة
للنفس زورا قولتى لا تبعد
﴿مَهْيَم﴾ كلمة استفهام بلغة اهل
اليمن أى ما حالك أى ما وراءك وهو اسم
فعل معناه اخبرنى
﴿ماء﴾ القط يَمُوء مَوءا صاح
﴿المُوبَذان﴾ كاهن الفرس
وحاكم المجوس

موت مات يموت ويمات موتا ضد حيي و (موّته) جعله يموت ومثله (أماته). و (تماوت) ادعى الموت و(استمات الرجل) طلب الموت . وذهب فى طلب الشيء كل مذهب. و(الموَات) مالاروح فيه والارض الخالية. و(المُوتان) موت يقع فى الماشية. و(المَوَتان) الموت وخلاف الحيوان. يقال (فلان يبيع المَوَتان) أى الامتعة التى لاروح فيها. و (المَيْتة) الحيوان الذى يموت حتف أنفه. و (المِيتة) الحال والهيئة. يقال (مات مِيتة الصالحين) و(المَيْت) الميّت . و (الممات) الموت

الموت هو نهاية كل حى فى هذا الوجود مظهره خمود الشعور وتلاشى الادراك ودخول الجسد الحيوانى فى حالة تحلل واستحالته الى الاصول التى تكوّن منها. لايخلو حي مهما سفل فى درجة الحيوانية من الشعور بثقل الموت وشناعته فتراه يهرب منه جهده ، ويدافعه بكل ما أوتيه من الوسائل ولكنه يضطر للخضوع له فى النهاية لان عوامله تحتاط به من كل مكان فتعجزه عن المقاومة فيستسلم لمكرها ويموت كما شاء له القدر

لم يطرح مسألة الموت والحياة على بساط البحث من أنواع الحيوان غير الانسان لاتساع دائرة فكره وعجز تلك الكائنات عن متابعة النظر والتأمل فى الأمور المعقولة. فنى بهذه المسألة من زمان بعيد أى الزمان الذى أقام فيه الدين ، ولكنه حل هذه المشكلة على ضروب شتى على حسب مدركاته فى كل جيل وذهب فى ذلك كل مذهب حتى جاءت الأديان الكبرى البرهمية والبوذية واليهودية والمسيحية والاسلامية فجعلت هذه المشكلة من أمهات مسائلها وأسست عليها كثيرا من طقوسها وليس هنا موضع لتفصيل مرامى كل منها وانما نقول انها كلها أجمعت (فى شكلها الحاضر) على ان الموت ليس بشيء غير انتقال الروح من غلافها الطينى الى عالم وراء هذا العالم كانت فيه قبل دخولها فى الجسد، وانها هنالك تثاب أو تعاقب على حسب أعمالها فى هذا العالم الذى دفعت اليه لتبتلى فيه

قلنا كل هذه الاديان (فى شكلها الحاضر) بهذا القيد لان البوذية فى شكلها الاول على بعض الاقوال كانت لاتقول بحياة بعد الموت بل كان الموت هو المخلص للانسان

من شقاء هذا العالم لا لما يكون وراءه من الحياة الابدية فى عالم أرقى من هذا العالم بل لانه باب الفناء الابدى الذى لاشعور بعده

والديانة اليهودية فى عهدها الاول لم تعن بخلود الروح ولم تذكره بحرف، وما نشأ فيها ذلك الا بعد دخولها فى دور جديد فى الاجيال التالية

وكانت الفلسفة العقلية تشايع هذه الاديان وتواتيها على اعتبار الموت حالة انتقالية من عالم الى عالم، فكان فيثاغورس وافلاطون وارسطو من أقطاب هذه الفلسفة . ولكن نشأ بجانبهم مفكرون آخرون كانوا يذهبون غير هذا المذهب ويعتبرون الموت نهاية الحياة منكرين كل وجود وراء هذا الوجود المحسوس فكان الصراع شديدا بين هذين المذهبين حتى جاءت الفلسفة الحسيه فى أوروبا منذ القرن السادس عشر فنصرت ملحدة الفلسفة اليونانية وأخذت فى مناقضة الديانات ومكافحتها وكاد يتم لها الغلب فى النصف الاول من القرن التاسع عشر لولا ان الخالق الذى خلق الموت والحياة وقدر لكل منهما دائرة من الوجود لم يرد أن يضل الناس ضلالا نهائيا ففتح للمستبصرين بابا الى عالم الروح ظهرت بمظهر التنويم المغناطيسى والمباحث الروحية التجريبية المسماة بالاسبرتزم فكانت سدا منيعا دون غلبة المذهب المادى فوقف حيث وصل اليه ، ثم اضطر للنكوص على عقبه أمام المشاهدات المحسوسة التى كانت تتالى تتالى الغيث الدافق بواسطة علماء من أولى العزم أمثال الاساتذة الاعلين وليم كروكس الكيماوى وروسل ولاس الفزيولوجى وأولفر لودج الطبيعى وبار كس الجيولوجى وفارلى الكهربائى وغيرهم من الانجليز ، والدكتوران اوليفيه وجيبيه والاستاذان شارل ريشيه وكاميل فلامريون وغيرهم من الفرنسيين ، والعلماء الكبار زولنر وفيشنر وويبر والتريسى وغيرهم من الالمان ، والجهابذة مابس وهير وهزلوب وادموندس واليوت وسواهم من الامريكان وغيرهم ممن لايحصون كثرة فأثبتوا ان الموت ليس هو الا حالة انتقال من حياة أرضية ضيقة مشوبة بالاكدار ، الى حياة علوية راقية حافلة بأنواع الجمال، وكتبوا فى ذلك كتبا ومباحث نقلنا بعضها هنا فى كلمة

روح وسننشر غيرها فى كلة نوم مغناطيسى ونشرنا مقدارا كبيرا منها فى مجلة الحياة وسنوالى نشر هذه المباحث كلما سنحت الفرصة لانها اكبر معول يستخدمه حماة الحياة لهدم تعاليم الالحاد واخراس الملحدين الذين قنعوا من الجهاد العلمى بأن يكونوا رسل الفناء ، ونُذُر التلاشى والثبور ، وما دروا أن مذهبهم هذا لو صح لكان أحسن مايفعله الثبور المحب لخيره وخير ذويه ان يلقى بنفسه من حالق تخلصا من هذه الحياة المشوبة بالاكدار ، أو يقذف نفسه بين احضان البهيمية منغمسا فى حمأة الشهوات والملاذ البدنية حتى ينتهى وجوده على مالا يتفق ومصلحته ومصلحة العائشين معه فى صعيد واحد . ولكن الله جلت قدرته لم يترك لهؤلاء النذر المشؤمين مجالا يجولون فيه بعد ظهور هذا النور العلوى فقبعوا حيث هم يتحينون الفرص لنفث سمومهم فى الاذهان ، وهيهات «جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق، أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد»

(الخوف من الموت) يتخذ القائلون بخلود الروح اعتمادا على الادلة العقلية الخوف من الموت وحب الخلود من الادلة على بقاء الروح بعد الموت قائلين ان الخالق جلت قدرته لم يكن ليوجد هذا الحب للخلود عبثا ، فلو لم يكن الخلود مقدرا للروح لما شعرت به ، ولو شعرت به لما مالت اليه ، فيلها اليه هذا الميل الشديد وذعرها من الفناء الذعر العظيم من الادلة القاطعة على أنه مقدر لها لامحالة والا فان هذا الشعور منها يكون جزافا والجزاف لايصح أن يوجد فى صنع الله ولا فى صنع النواميس الحكيمة التى تقود هذا الوجود

هذه بعض حجج الفلاسفة العقليين ولكن الفلاسفة الماديين كانوا يردون عليهم بأن الخلود هوى من أهواء النفس لا يرتكز على حقيقة وان الذعر من الموت لايكون الا فى الادوار التى لايحسن الموت فيها من عمر الانسان ولكنه متى بلغ العمر غايته وجد الانسان فى نفسه نزوعا الى الراحة الابدية فضعف حبه للحياة وتمنى الموت كما يتمنى المتعب النوم وفقد الاحساس الى حين . ولكن

اعتراف كبار المفكرين وأقطاب العلماء الذين بلغوا الشيخوخة ينقض هذا الزعم فقد أجمعوا على أنهم يخافون الموت ويحبون الخلود ولا يرغبون فى تلك الحالة التى يذهب فيها الشعور ويتلاشى معها الادراك

من هـذه الاعترافات ماكتبـه الفيلسوف الفرنسى الكبير شارل دينوفييه قبل موته بأيام وقد بلغ من العمر ٨٨ سنة قال :

« انى لاأجهـل حالتى اليوم وأعلم انى ميت بعـد أسبوع أو أسبوعين وفى نفسى أشياء أحب أن أقولها تمس موضوع فلسفتنا . ولا يحق لانسان وهو فى مثل سنى أن يفكر فى شىء لان الايام بل الساعات التى بقيت له أصبحت معدودة فيجب علينا الاذعان لما هو واقع

« انى أموت ولكن ليس بدون أسف ، وآسف خصوصا لانى لا أعرف ماستؤول اليه اصولى . سأزول قبـل أن أقول كلمتى الاخيرة ، وكل انسان يموت قبل أن يكمل عمله وهذا منتهى درجات الشقاء فى هذه الحياة

« عند مايكون الانسان شيخا كبيرا وقد اعتاد الحياة يصعب عليه كثيرا ان يموت ، وأرى ان الشبان اكثر خضوعا للموت من الشيوخ . فانه عند مايجوز الانسان الثمانين يصبح جبانا ويكره ان يموت ومتى تحقق دنو أجله تحزن نفسه وتتململ . وقد درست هذه المسئلة من كل وجوهها وراجعت فى ذهنى مرارا على بدنوا أجـلى ومع ذلك لم أتمكن من ان أقنع نفسى بأنى ميت عـا قليل . ليس الذى يهلع فىّ من الموت هو الفيلسوف لان الفيلسوف لايصح ان يهاب الموت، بل الرجل القديم هو الذى يهابه . فهذا الرجل لاشجاعة فيه ليذعن ، مع انه يجب ان يذعن لما لا مناص له منه » انتهى

قال الاستـاذ متشنيكوف خليفـة العلامة باستور البكتريولوجى المشهور والبحاث فى الهرم وأسبابه: « نعرف امرأة عمرها مئة سنة وستتان وكانت تخاف كثيراً من الموت حتى اضطر أقاربها أن يكتموا عنها موت أى كان من معارفها. وأما مدام روبينو فلم تكن تتأثر من ذكر الموت القريب وهى بين ١٠٤ و١٠٥ سنين من عمرها وكانت تظهر غالبا ميـلا اليه لانها كانت تحس أنها لانفع منها فى هذا العالم »

فقول لعل عدم اكتراث مدام روبينو بالموت كان ناشئا من عقيدتها بالخلود ولم يذكر الاستاذ منشنيكوف اذا كانت متدينة ام ملحدة

الخلاصة ان الخوف من الموت عام لان الموت اذا فهم بمعنى الفناء قبيح منكر وكل قبيح منكر مكروه ببداهة العقل. واذا وجد من الشيوخ من يملون الحياة ويتمنون الموت فاذلك الا لشدة مايقاسونه في هذا العالم من آلام الهرم . كما قال أبو الطيب المتنبي:

واذا الشيخ قال أف فامل
حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب
فاذا وليا عن المرء ولى

وقد جاءت المباحث النفسية اليوم مثبتة بالتجارب وجود الروح وخلودها وقيام الارواح بأجسادها اللطيفة في عالم وراء هذا العالم بعد ان تتجرد من هذا الغلاف الطيني الثقيل

وقد وقفنا على رسالة كتبها العلامة الفيلسوف ابن مسكويه في علاج الخوف من الموت نذكرها هنا بنصها لفائدتها، قال رحمة الله تعالى :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين وصلواته على محمد وآله الطاهرين

«لما كان أعظم مايلحق الانسان من الخوف هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه أشد وأبلغ من جميع المخاوف وجب ان اقول: ان الخوف من الموت ليس يعرض الالمن لا يدرى ما الموت على الحقيقة أو لا يعلم الى اين تصير نفسه او لأنه يظن انه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور وان العالم سيبقى بعده كان هو موجودا او ليس هو موجودا كما يظنه من جهل بقاء النفس وكيفية معادها ، أو لانه يظن ان للموت ألما عظيما غير ألم الامراض التى ربما تقدمته وأدت اليه وكانت سبب حلوله ، أو لانه يعتقد أن عقوبة تحل به بعد الموت ، أو لانه متحير لا يدرى الى اى شىء يقدم الموت ، او لانه يأسف على مايخلفه من المال والقنيات وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها

« أما من جهل الموت ولم يدر ماهو فانا أبين له ان الموت ليس بشىء اكثر

من ترك النفس استعمال آلاتها وهى الاعضاء التى مجموعها يسمى بدنا كما يترك الصناع مثلا استعمال آلاته . فان النفس جوهر غير جسمانى وليست عرضا وانها غير فاسدة وهذا البيان يحتاج الى علوم تتقدمه وذلك مبين مشروح فى موضعه . فاذا فارق الجوهر البدن بقى البقاء الذى يخصه ولقى من كدر الطبيعة وسعد السعادة التامة ، ولاسبيل إلى فنائه وعدمه . فان الجوهر لايفنى من حيث هو جوهر ولاتبطل ذاته ، وانما تبطل الاعراض والخواص والنسب والاضافات التى بينه وبين الاجسام بأضدادها . فأما الجوهر فلا ضد له وكل شىء يفسد فانما يفسد من ضده . وأنت ان تأملت الجوهر الجسمانى الذى هو أخص من ذلك الجوهر الكريم واستقرأت حاله وجدته غير فان ولا يتلاشى من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه الى بعض فيبطل خواص شىء شىء منه وأعراضه . فأما الجوهر نفسه فهو باق ولا سبيل الى عدمه وبطلانه . أما الجوهر الروحانى الذى لايقبل استحالة ولا تغيرا فى ذاته وانما يقبل كمالاته وتمام صورته فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشى ؟

«اما من يخاف الموت لانه لايعلم الى اين تصير نفسه ، أو لانه يظن بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية السعادة فليس يخاف الموت على الحقيقة وانما يجهل ماينبغى ان يعلمه فالجهل اذن هو المخوف اذ هو سبب الخوف . وهذا الجهل هو الذى حمل الحكماء على طلب العلم والتعب فيه وتركوا لاجله لذات الجسم وراحات البدن واختاروا عليه النصب والسهر ورأوا أن الراحة الحقيقية التى يستراح بها من الجهل هى الراحة بالحقيقة وأن التعب الحقيقى هو لقب الجهل لانه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة أبدية . فلما تيقن الحكماء ذلك واستبصروا به وهجموا على حقيقته ووصلوا الى الروح والراحة ، هانت عليهم أمور الدنيا كلها واستحقروا جميع مايستعظمه الجمهور من المال والثروة الخسيسة والمطالب التى تؤدى اليها اذ كانت قليلة الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء ، كثيرة الهموم اذا وجدت ، عظيمة

الغموم اذا فقدت ، فاقتصروا فيها على المقدار الضروري في الحياة وتسلوا من فضول العيش التي فيها ما ذكرت من العيوب وما لم أذكره ولأنها مع ذلك بلا نهاية. وذلك ان الانسان اذا بلغ منها غاية تداعت الى غاية أخرى من غير وقوف على حد ولا انتهاء الى أمد . وهذا هو الموت لا مخافة منه، والحرص عليه هو الحرص على الزائل، والشغل به هو الشغل بالباطل . ولذلك جزم الحكماء بأن الموت موتان موت ارادي وموت طبيعي وكذلك الحياة حياتان حياة ارادية وحياة طبيعية، وعنوا بالموت الارادي اماتة الشهوات وترك التعرض لها ، وعنوا بالحياة الارادية ما يسعى لها الانسان في الحياة الدنيا من المآكل والمشارب والشهوات ، وبالحياة الطبيعية بقاء النفس السرمدي في الغبطة الابدية بما تستفيده من العلوم وتبرأ به من الجهل، ولذلك وصى افلاطون الحكيم طالب الحكمة بأن قال له : مت بالارادة تحي بالطبيعة

« على أن من خاف الموت الطبيعي من الانسان فقد خاف ما ينبغي أن يرجوه وذلك أن هذا الموت هو حد الانسان لأنه حي ناطق مائت فالموت تمامه وكماله وبه يصير الى أفقه الأعلى . ومن علم أن كل شيء مركب من حده ، وحده مركب من جنسه وفصله ؛ وان جنس الانسان هو الحي وفصوله هو الناطق والمائت، علم انه مستحيل الى جنسه وفصوله لأن كل مركب لا محالة يستحيل الى الشيء الذي منه تركب فمن أجهل ممن يخاف تمام ذاته ، ومن أسوأ حالا ممن يظن أن فناءه بحياته ونقصانه بتمامه ؟ وذلك أن الناقص اذا خاف أن يتم فقد حل من نفسه على غاية الجهل . فاذن يجب على العاقل أن يستوحش من النقصان ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله ويشرفه ويعلي منزلته ويحل رباطه من الوجه الذي يأمن به الوقوع في الاسر لا من الوجه الذي يشد وثاقه ويزيده تركيبا وتعقيدا ويثق بأن الجوهر الشريف الالهي اذا تخلص من الجوهر الكثيف الجثماني خلاص نقاء وصفو لا خلاص مزج وكدر فقد سعد وعاد الى ملكوته وقرب من بارئه وفاز بجوار رب العالمين وخالطه بين الارواح الطيبة من أشكاله وأشباهه ونجا من أضداده وأغياره . من ها هنا

تعلم أن من فارقت نفسه بدنه وهي مشتاقة اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهي في غاية الشقاء والألم من ذاتها وجوهرها سالكة الى أبعد جهاتها من مستقرها طالبة قرارها ولا قرار لها

« أما من يظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الامراض التي ربما قدمته وأدت اليه فقد ظن ظنا كاذبا لأن الألم انما يكون للحي والحي هو القابل أثر النفس وأما الجسم الذي ليس فيه أثر النفس فانه لا يألم ولا يحس فاذن الموت الذي هو مفارقة النفس البدن لا يألم له لأن البدن انما كان يألم ويحس بالنفس وحصول أثرها فيه فاذا صار جسما لا أثر فيه للنفس فلا حس له ولا ألم فقد تبين أن الموت حال للبدن غير محسوس ولا مؤلم فانه كان يحس ويألم به

« وأما من خاف الموت لاجل العقاب فليس يخاف الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شيء باق منه بعد الموت فهو لا محالة يعترف بذنوب وأفعال سيئة يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات فهو اذن خائف من ذنوبه لا من الموت ومن خاف عقوبته على ذنب وجب عليه أن يحترز من ذلك الذنب ويجتنبه والافعال الرديئة التي تسمى ذنوبا انما تصدر عن هيئات رديئة والافعال الرديئة هي الرذائل التي أحصيناها وذكرنا أضدادها من الفضائل فاذن الخائف من الموت على هذه الوجوه وهذه الجملة هو جاهل وما ينبغي أن يخاف منه وخائف مما لا أثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد وثق ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها ومن سلك طريقا مستقيما الى غرض أفضى اليه لا محالة وهذه الثقة التي تكون بالعلم هي اليقين وهي حال المستيقن في دينه المستكمل بحكمته

« وأما من زعم أنه ليس يخاف الموت وانما يحزن على ما يخلفه من اهل وولد ومال ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي ان يبين له أن الحزن لأجل ألم ومكروه على مالا يجدي عليه الحزن طائلا وان الانسان من جملة الامور الكائنة وكل كائن فاسد لا محالة فمن أحب ان لا يفسد فقد أحب أن لا يكون ومن أحب لا يكون فقد أحب

فساد ذاته وكأنه يحب أن يفسد وأن لا يفسد ويحب أن يكون وأن لا يكون وهذا محال

«وأيضا لو جاز أن يبقى الانسان لبقى من كان قبلنا ولو بقى الناس على ماهم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الارض وأنت تتبين ذلك مما أقول : ترى لو أن رجلا واحدا ممن كان منذ اربعمائة سنة هو موجود الآن وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن أن يحصى أولاده الموجودين كأمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه . ثم ولد له أولاد ولأولاده أولاد وبقى كذلك يتناسلون ولا يموت منهم أحد كم مقدار من يجتمع منهم فى وقتنا هذا ؟ فانك تجد أكثر من عشرة آلاف رجل وذلك أن بقيتهم الآن مع ما أصابهم من الموت والقتل أكثر من مائة الف رجل . واحسب كل من فى ذلك العصر كذلك فانهم اذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة . ثم امسح بسيط الارض فانه محدود معروف المساحة لتعلم ان الارض لا تسعهم قياما متراصين فكيف قعودا أو متفرقين ولا يبقى موضع لعمارة تفضل عنهم ولا مكان لزراعة ولا مسير لاحد وذلك فى مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد الزمان ؟

فهذه حال من يتمنى الحياة الأبدية ويكره الموت ويظن ان ذلك ممكن من الجهل . فاذن الحكمة البالغة والعدل المبسوط بالتدبير الالهى هو الصواب الذى لا معدل عنه وهو غاية الجود الذى ليس وراءه غاية . فالخائف من الموت هو الخائف من عدل الله وحكمته بل هو الخائف من جوده وعطائه فالموت اذن ليس برديء وانما الرديء هو الخوف منه فالخائف منه هو الجاهل به وبذاته وحقيقة الموت هى مفارقة النفس البدن وهو ليس فساداً للنفس وانما هو فساد للتركيب

«فأما جوهر النفس الذى هو ذات الانسان ولبه وخلاصته فهو باق وليس بجسم فيلزمه مالزم فى الاجسام بل لا يلزم شىء من أعراض الاجسام أى لا يتزاحم فى المكان لانه لا يحتاج الى مكان ولا يحرص على البقاء الزمانى لاستغنائه عن الزمان وانما استفاد هذا الجوهر بالخواص والاجسام كمالا . فاذا كمل بها ثم تخلص منها صار الى عالمه الشريف القريب الى بارئه ومنشئه عز

وجل . والرجل الذى يتصدق عن أخيه الميت ويقتضى عنه الدين يسعد بذلك الميت وذلك ان النفس ان كانت واحدة كما زعم جماعة فالمتصدق نفسه وتلك الاخرى وسائرها شيء واحد وان كانت غير واحدة فلا يفصل المتصدق ذلك الفصل الا بمشاكلة تلك النفس وعلى هذا أيضا شبه بشيء واحد والسلام

« تمت الرسالة والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبى بعده وآله وصحبه وسلم

﴿الصلاة على الميت﴾ هى فرض كفاية وعن أصبغ من أصحاب مالك انها سنة والصلاة على الميت فى المسجد جائزة اتفاقا وهى غير مكروهة فيه عند الشافعى وأحمد ، وقال أبو حنيفة ومالك بكراهتها

ومن شرط الصلاة على الميت الطهارة

وقال محمد بن جرير الطبرى تجوز بغير طهارة

وأجمع الأئمة على ان الاستغفار والدعاء والصدقة والحج والعتق تنفع الميت وقراءة القرآن عند القبر مستحبة وكرهها أبو حنيفة والمشهور من مذهب الشافعى ان لا يصل الى الميت من ثواب القراءة

ونرى ان ننقل هنا كل ما كتبه الفيلسوف الكبير ابن رشد فى كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد فى أحكام الميت فقد جمع كل ما يجب أن يعلم فى هذا الباب بعبارات غاية فى البيان قال رحمه الله :

﴿ كتاب أحكام الميت ﴾

والكلام فى هذا الكتاب وهى حقوق الاموات على الاحياء ينقسم الى ست جمل . الجملة الأولى فيما يستحب ان يفعل به عند الاحتضار وبعده . والثانية فى غسله . والثالثة فى تكفينه . والرابعة فى حمله واتباعه . والخامسة فى الصلاة عليه والسادسة فى دفنه

﴿الباب الاول﴾

ويستحب أن يلقن الميت عند الموت شهادة أن لا إله الا الله لقوله عليه الصلاة والسلام لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله الا الله ، وقوله من كان آخر قوله لا إله الا الله دخل الجنة . واختلفوا فى استحباب توجيهه الى القبلة فرأى ذلك قوم ولم يره آخرون . روى عن مالك انه قال فى التوجيه ماهو من الامر القديم

وروى عن سعيد بن المسيب انه أنكر ذلك . ولم يرو ذلك عن أحد من الصحابة ولا من التابعين أعنى الامر بالتوجيه . فاذا قضى الميت غمض عينه ويستحب تعجيل دفنه لورود الآثار بذلك الا الغريق فانه يستحب فى المذهب تأخير دفنه مخافة أن يكون الماء قد غمره فلم تتبين حياته . قال القاضى واذا قيل هذا فى الغريق فهو أولى فى كثير من المرضى مثل الذين يصيبهم انطباق العروق وغير ذلك مما هو معروف عند الاطباء حتى لقد قال الاطباء ان المسكوتين لاينبغى أن يدفنوا الا بعد ثلاث

﴿الباب الثانى فى غسل الميت﴾

ويتعلق بهذا الباب فصول أربعة منها فى حكم الغسل ومنها فيمن يجب غسله من الموتى ومن يجوز أن يغسل وما حكم الغاسل ومنها فى صفة الغسل

(الفصل الاول)

فأما حكم الغسل فانه قيل فيه انه فرض على الكفاية وقيل سنة على الكفاية والقولان كلاهما فى المذهب والسبب فى ذلك انه نقل بالعمل لا بالقول والعمل ليس له صيغة تفهم الوجوب أو لا تفهمه وقد احتج عبد الوهاب لوجوبه بقوله عليه الصلاة والسلام فى ابنته اغسلنها ثلاثا أو خمسا وبقوله فى المحرم اغسلوه فمن رأى ان هذا القول خرج مخرج تعليم لصفة الغسل لا مخرج الامر به لم يقل بوجوبه ومن رأى انه يتضمن الامر والصفة قال بوجوبه

﴿الفصل الثانى﴾

وأما الاموات الذين يجب غسلهم فانهم اتفقوا من ذلك على غسل الميت المسلم الذى لم يقتل فى معترك حرب الكفار واختلفوا فى غسل الشهيد وفى الصلاة عليه وفى غسل المشرك . فأما الشهيد أعنى الذى قتله فى المعترك المشركون فان الجمهور على ترك غسله لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتلى أُحُد فدفنوا بثيابهم ولم يصل عليهم . وكان الحسن وسعيد بن المسيب يقولان بغسل كل مسلم فان كل ميت يجنب ولعلهم كانوا يرون أن مافعل بقتلى أحد كان لموضع الضرورة أعنى المشقة فى غسلهم وقال بقولهم من فقهاء الامصار عبيد الله ابن الحسن العنبرى . وسئل أبو عمر فيما حكى ابن المنذر عن غسل الشهيد فقال قد غسل

عمر وكفن وحنط وصلى عليه وكان شهيداً يرحمه الله . واختلف الذين اتفقوا على أن الشهيد فى حرب المشركين لايغسل فى الشهداء من قتل اللصوص أوغير أهل الشرك فقال الاوزاعى واحمد وجماعة حكمهم حكم من قتله أهل الشرك وقال مالك والشافعى يغسل. وسبب اختلافهم هو هل الموجب لرفع حكم الغسل هى الشهادة مطلقا أو الشهادة على أيدى الكفار فمن رأى ان سبب ذلك هى الشهادة مطلقا قال لايغسل كل من نص عليه النبى عليه الصلاة والسلام انه شهيد ممن قتل. ومن رأى ان سبب ذلك هى الشهادة من الكفار قصر ذلك عليهم

وأما غسل المسلم الكافر فكان مالك يقول لايغسل المسلم والده الكافر ولايقبره الا ان يخاف ضياعه فيواريه . وقال الشافعى لابأس أن يغسل المسلم قرابته من المشركين ويدفنهم . وبه قال أبو ثور وأبو حنيفة وأصحابه . قال أبو بكر بن المنذر ليس فى غسل الميت المشرك سنة تتبع . وقد روى ان النبى عليه الصلاة والسلام أمر بغسل عمه لما مات . وسبب الخلاف هل الغسل من باب العبادة أو من باب النظافة فان كانت عبادة لم يجز غسل الكافر وان كانت نظافة جاز غسله

﴿الفصل الثالث﴾

واما من يجوز أن يغسل الميت فانهم اتفقوا على أن الرجال يغسلون الرجال والنساء يغسلن النساء واختلفوا فى المرأة تموت مع الرجال أو الرجل يموت مع النساء مالم يكونا زوجين على ثلاثة أقوال فقال قوم يغسل كل واحد منهما صاحبه من فوق الثياب وقال قوم ييمم كل منهما صاحبه وبه قال الشافعى وأبو حنيفة وجمهور العلماء . وقال قوم لايغسل واحد منهما صاحبه ولاييممه وبه قال الليث بن سعد بل يدفن من غير غسل . وسبب اختلافهم هو الترجيح بين تغلب النهى على الامر أو الأمر على النهى وذلك ان الغسل مأمور به ، ونظر الرجل الى بدن المرأة والمرأة الى بدن الرجل منهى عنه فمن غلب النهى تغليبا مطلقا أعنى لم يقس الميت على الحى فى كون طهارة التراب له بدلا من طهارة الماء عند تعذرها قال لايغسل الواحد منهما صاحبه ولا ييممه ومن غلب الامر على النهى قال يغسل كل واحد منهما صاحبه أعنى غلب

الامر على النهى تغليبا مطلقا ومن ذهب الى التيمم فلأنه رأى أنه لا يلحق الامر والنهى فى ذلك تعارض وذلك ان النظر الى مواضع التيمم يجوز لكلا الصنفين ولذلك رأى مالك أن ييمم الرجل المرأة فى يديها ووجهها فقط لكون ذلك منها ليس بعورة وأن تيمم المرأة الرجل الى المرفقين لأنه ليس من الرجل عورة الامن السرة الى الركبة على مذهبه فكان الضرورة التى نقلت الميت من الغسل الى التيمم عند من قال به هى تعارض الامر والنهى فكأنه شبه هذه الضرورة بالضرورة التى يجوز معها للحى التيمم وهو تشبيه فيه بعد ولكن عليه الجمهور. فأما مالك فاختلف قوله فى هذه المسألة فمرة قال ييمم كل واحد منهما صاحبه قولا مطلقا ومرة فرق فى ذلك بين ذوى المحارم وغيرهم ومرة فرق فى ذوى المحارم بين الرجال والنساء فيتحصل عنه ان له في ذوى المحارم ثلاثة أقوال أشهرها انه يغسل كل واحد منهما صاحبه على الثياب والثانى انه لا يغسل أحدهما صاحبه لكن ييممه مثل قول الجمهور فى غير ذى المحارم والثالث الفرق بين الرجال والنساء أعنى

تغسل المرأة الرجل ولا يغسل الرجل المرأة فسبب المنع ان كل واحد منهما لا يحل له أن ينظر الى موضع الغسل من صاحبه كالأجانب سواء وسبب الاباحة أنه موضع ضرورة وهم أعذر فى ذلك من الأجنبى وسبب الفرق ان نظر الرجال الى النساء أغلظ من نظر النساء الى الرجال بدليل ان النساء حجبن عن نظر الرجال اليهن ولم يحجب الرجال عن النساء وأجمعوا من هذا الباب على جواز غسل المرأة زوجها واختلفوا فى جواز غسله اياها والجمهور على جواز ذلك وقال ابو حنيفة لا يجوز غسل الرجل زوجته وسبب اختلافهم هو تشبيه الموت بالطلاق فمن شبهه بالطلاق قال لا يحل أن ينظر اليها بعد الموت، ومن لم يشبهه بالطلاق وهو الجمهور قال انما يحل له من النظر اليها قبل الموت يحل له بعد الموت وانما دعا أبا حنيفة أن يشبه الموت بالطلاق لأنه رأى انه اذا ماتت احدى الاختين حل له نكاح الاخرى كالحال فيها اذا طلقت . وهذا فيه بعد فان علة منع الجمع مرتفعة بين الحى والميت ولذلك حلت الا أن يقال ان علة منع الجمع غير معقولة

وان منع الجمع بين الاختين عبادة محضة غير معقولة المعنى فيقوى حينئذ مذهب أبي حنيفة وكذلك أجمعوا على أن المطلقة المبتوتة لا تغسل زوجها واختلفوا في الرجعية فروى عن مالك انها تغسله وبه قال أبو حنيفة وأصحابه

وقال ابن القاسم لا تغسله وان كان الطلاق رجعيا وهو قياس قول مالك لانه ليس يجوز عنده أن يراها وبه قال الشافعي وسبب اختلافهم هو هل يحل للزوج أن ينظر الى الرجعية أولا ينظر اليها وأما حكم الغاسل فانهم اختلفوا فيما يجب عليه فقال قوم من غسل ميتا وجب عليه الغسل وقال قوم لا غسل عليه وسبب اختلافهم معارضة حديث أبي هريرة لحديث أسماء وذلك أن أبا هريرة روى عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال من غسل ميتا فليغتسل ومن حمله فليتوضأ خرجه ابو داود وأما حديث أسماء فانها لما غسلت ابا بكر رضي الله عنه خرجت فسألت من حضرها من المهاجرين والانصار وقالت اني صائمة وأن هذا يوم شديد البرد فهل علي من غسل؟ قالوا لا. وحديث أسماء في هذا صحيح وأما حديث ابي هريرة فهو عند أكثر اهل العلم فيما حكى ابو عمرو غير صحيح لكن حديث اسماء ليس فيه في الحقيقة معارضة له فان من أنكر الشيء يحتمل أن يكون ذلك لأنه لم تبلغه السنة في ذلك الشيء وسؤال أسماء والله أعلم يدل على الخلاف في ذلك في الصدر الأول ولهذا كله قال الشافعي رضي الله عنه على عادته في الاحتياط والالتفات الى الاثر لا غسل على من غسل الميت إلا أن يثبت حديث ابي هريرة

﴿ الفصل الرابع في صفة الغسل ﴾

وفي هذا الفصل مسائل أحداها هل ينزع عن الميت قميصه اذا غسل أم يغسل في قميصه؟ اختلفوا في ذلك فقال مالك اذا غسل الميت تنزع ثيابه وتستر عورته وبه قال أبو حنيفة وقال الشافعي يغسل في قميصه . وسبب اختلافهم تردد غسله عليه الصلاة والسلام في قميصه بين أن يكون خاصا به وبين أن يكون سنة فمن رأى انه خاص به وانه لا يحرم من النظر الى الميت الا ما يحرم منه وهو حي قال يغسل عريان الا عورته فقط التي يحرم النظر اليها في حال الحياة ومن رأى أن ذلك سنة يستند الى باب الاجماع أو الى

الامر الالهى لانه روى فى الحديث أنهم سمعوا صوتا يقول لهم لاتنزعوا القميص وقد القى عليهم النوم قال الافضل أن يغسل الميت فى قيصه

(المسئلة الثانية)

قال أبو حنيفة لايوضأ الميت وقال الشافعى يوضأ قال مالك انوضى فحسن. وسبب الخلاف فى ذلك معارضة القياس للاثر وذلك أن القياس يقتضى ألا وضوء على الميت لان الوضوء طهارة مفروضة لموضع العبادة واذا سقطت العبادة عن الميت سقط شرطها الذى هو الوضوء ولولا أن الغسل ورد فى الآثار لما وجب غسله. وظاهر حديث أم عطية الثابت ان الوضوء شرط فى غسل الميت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه في غسل ابنته ابدأ بميامنها ومواضع الوضوء منها وهذه الزيادة ثابتة خرجها البخارى ومسلم ولذلك ليس يجب أن تعارض بالروايات التى فيها الغسل مطلقا لان المقيد يقضى على المطلق اذ فيه زيادة على مايراه كثير من الناس ويشبه أيضا ان يكون من اسباب الخلاف فى ذلك معارضة المطلق للمقيد وذلك انه وردت آثار كثيرة فيها الامر بالغسل مطلقا من غير ذكر وضوء فيها فهؤلاء رجحوا الاطلاق على التقييد لمعارضة القياس له فى هذا الموضع والشافعى جرى على الأصل من حمل المطلق على المقيد

(المسئلة الثانية)

اختلفوا فى التوقيف فى الغسل فنهم من أوجبه ومنهم من استحسنه واستصحبه والذين أوجبوا التوقيت منهم من أوجب الوتر اى وتر كان وبه قال ابن سيرين ومنهم من أوجب الثلاثة فقط وهو أبو حنيفة ومنهم من حد أقل الوتر فى ذلك لاينقص عن الثلاثة ولم يحد الاكثر وهو الشافعى. ومنهم من حد الاكثر فى ذلك فقال لايتجاوز به السبعة وهو أحمد ابن حنبل. وممن قال باستحباب الوتر ولم يحد فيه حدا مالك بن أنس وأصحابه وسبب الخلاف بين من شرط التوقيف ومن لم يشترط بل استحبه معارضة القياس للاثر وذلك ان ظاهر حديث أم عطية يقتضى التوقيت لان فيه اغسلنها ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك أن رأيتن وفى بعض رواياته أو سبعا وأما قياس الميت على الحى فى الطهارة فيقتضى ان لاتوقيت فيها كما ليس فى طهارة الحى توقيت فمن رجح

الاثر على النظر قال بالتوقيت ومن رأى الجمع بين الاثر والنظر حمل التوقيت على الاستحباب وأما الذين اختلفوا فى التوقيف فسبب اختلافهم اختلاف الفاظ الروايات فى ذلك عن أم عطية. أما الشافعى فانه رأى ان لا ينقص عن ثلاثة لأنه اقل وتر نطق به فى حديث ام عطية ورأى ان مافوق ذلك مباح لقوله عليه الصلاة والسلام او اكثر من ذلك ان رأيتن وأما أحمد فأخذ بأكثر وتر نطق به فى بعض روايات الحديث وهو قوله عليه الصلاة و السلام أو سبعا . وأما أبو حنيفة فصار فى قصره الوتر على الثلاث لما روى عن محمد بن سيرين كان يأخذ الغسل عن ام عطية ثلاثا يغسل بالسدر مرتين والثالثة بالماء والكافور وايضا فان الوتر الشرعى عنده انما ينطبق على الثلاث فقط . وكان مالك يستحب أن يغسل فى الأولى بالماء القراح وفى الثانية بالسدر والماء وفى الثالثة بالماء والكافور واختلفوا اذا خرج من بطنه حدث هل يعاد غسله ام لا فقيل لايعاد وبه قال مالك وقيل يعاد والذين رأوا انه يعاد اختلفوا فى العدد الذى تجب به الاعادة أن تكرر خروج الحدث فقيل يعاد الغسل عليه واحدة وبه قال الشافعى وقيل يعاد ثلاثا وقيل يعاد سبعا وأجمعوا على انه لايزاد على السبع شىء واختلفوا فى تقليم اظفار الميت والاخذ من شعره فقال قوم تقلم اظفاره ويؤخذ منه وقال قوم لاتقلم اظفاره ولايؤخذ من شعره وليس فيه أثر

وأما سبب الخلاف فى ذلك الخلاف الواقع فى ذلك الصدر الأول ويشبه أن يكون سبب الخلاف فى ذلك قياس الميت على الحى فمن قاسه أوجب تقليم الاظفار وحلق العانة لانها من سنة الحى باتفاق وكذلك اختلفوا فى عصر بطنه قبل أن يغسل فمنهم من رأى ذلك ومنهم من لم يره فمن رآه رأى ان فيه ضربا من الاستنقاء من الحدث عند ابتداء الطهارة وهو مطلوب من الميت كما هو من الحى ومن لم ير ذلك رأى انه من باب تكليف مالم يشرع وان الحى فى ذلك بخلاف الميت

﴿الباب الثالث فى الاكفان﴾

والأصل فى هذا الباب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة اثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة . وخرج ابوداود عن ليلى بنت

قائف الثقفية قالت كنت فيمن غسل أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أول ما أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقو ثم الدرع ثم الخمار ثم الملحفة ثم أدرجت بعد في الثوب الآخر قالت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس عند الباب معه أكفانها يناولناها ثوباً ثوباً ، فمن العلماء من أخذ بظاهر هذين الاثرين فقال يكفن الرجل في ثلاثة أثواب والمرأة في خمسة أثواب . وبه قال الشافعي واحمد وجماعة . وقال أبو حنيفة أقل ماتكفن فيه المرأة ثلاثة أثواب والسنة خمسة أثواب وأقل مايكفن فيه الرجل ثوبان والسنة فيه ثلاثة أثواب . ورأى مالك انه لاحد في ذلك وانه يجزىء ثوب واحد فيهما الا انه يستوجب الوتر . وسبب اختلافهم في التوقيت اختلافهم في مفهوم هذين الاثرين فمن فهم منهما الاباحة لم يقل بتوقيت الا أنه استحب الوتر لاتفاقهما في الوتر ولم يفرق في ذلك بين المرأة والرجل وكأنه فهم منها الاباحة الا في التوقيت فانه فهم منه شرعيا لمناسبته للشرع ومن فهم من العدد انه شرع لا اباحة قال بالتوقيت اما على جهة الوجوب واما على جهة الاستحباب وكله واسع ان شاء الله وليس فيه شرع محدود ولعله تكلف شرع في ليس فيه شرع وقد كفن مصعب ابن عمير يوم أحد بنمرة فكانوا اذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه واذا غطوا بها رجليه خرج رأسه فقال يارسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الاذخر واتفقوا على ان الميت يغطى رأسه ويطيب الا المحرم اذا مات في احرامه فانهم اختلفوا فيه . فقال مالك وابو حنيفة المحرم بمنزلة غير المحرم . وقال الشافعي لا يغطى رأس المحرم اذا مات ولا يمس طيباً وسبب اختلافهم معارضة العموم للخصوص فأما الخصوص فهو حديث ابن عباس قال أتى للنبي صلى الله عليه وسلم برجل وقصته راحلته فمات وهو محرم فقال كفنوه في ثوبين واغسلوه بماء وسدر ولا تخمروا رأسه ولا تقربوه طيباً فانه يبعث يوم القيامة يلبي. واما العموم فهو ماورد من الامر بالغسل مطلقاً فمن خص من الاموات المحرم بهذا الحديث كتخصيص الشهداء بقتلى احد جعل الحكم منه عليه الصلاة والسلام على الواحد حكما على الجميع وقال لايغطى رأس المحرم ولا يمس طيبا

ومن ذهب مذهب الجمع لا مذهب الاستثناء والتخصيص قال حديث الاعرابى خاص به لا يعدى الى غيره

﴿ الباب الرابع ﴾

(فى صفة المشى مع الجنازة)

واختلفوا فى سنة المشى مع الجنازة فذهب أهل المدينة الى ان من سنتها المشى أمامها . وقال الكوفيون ابو حنيفة واصحابه وسائرهم ان المشى خلفها أفضل وسبب اختلافهم اختلاف الآثار التى روى كل واحد من الفريقين عن سلفه وعمل به . فروى مالك عن النبى عليه الصلاة والسلام مرسلا المشى امام الجنازة وعن أبى بكر وعمر وبه قال الشافعى . واخذ اهل الكوفة بما رووا عن على بن ابى طالب من طريق عبد الرحمن بن ابزى قال كنت أمشى مع على فى جنازة وهو آخذ بيدى وهو يمشى خلفها وابو بكر وعمر يمشيان أمامها فقلت له فى ذلك فقال ان فضل الماشى خلفها على الماشى امامها كفضل صلاة المكتوبة على صلاة النافلة وانهما ليعلمان ذلك ولكنهما سهلان يسهلان علي الناس . وروى عنه رضى الله عنه انه قال قدمها بين يديك واجعلها نصب عينيك فانما هى موعظة وتذكرة وعبرة ؛ وبما روى ايضا عن ابن مسعود انه كان يقول سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السير مع الجنازة فقال الجنازة متبوعة وليست بتابعة وليس معها من يقدمها . وحديث المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الراكب يمشى امام الجنازة والماشى خلفها وامامها وعن يمينها ويسارها قريبا منها وحديث ابى هريرة ايضا فى هذا المعنى قال امشوا خلف الجنازة ، وهذه الاحاديث صار اليها الكوفيون وهى أحاديث يصححونها ويضعفها غيرهم

واكثر العلماء على ان القيام لاجل الجنازة منسوخ بما روى مالك من حديث على بن ابى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى الجنائز ثم جلس . وذهب قوم الى وجوب القيام تمسكوا فى ذلك بما روى من أمره صلى الله عليه وسلم بالقيام لها كحديث عامر بن ربيعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الجنائز فقوموا اليها حتى تخلفكم أو توضع ، واختلف الذين رأوا ان القيام منسوخ فى القيام على القبر فى وقت الدفن

فبعضهم رأى انه لم يدخل تحت النهى وبعضهم رأى انه داخل تحت النهى على ظاهر اللفظ ومن أخرجه من ذلك احتج بفعل على فى ذلك وذلك انه روى الفسخ وقام علىّ على قبر ابن المكفف فقيل لا تجلس ياامير المؤمنين فقال قليل لاخينا قيامنا على قبره

﴿الباب الخامس﴾

(فى الصلاة على الجنازة)

وهذه الجلة يتعلق بها بعد معرفة وجوبها فصول أحدها فى صفة صلاة الجنازة والثانى على من يصلى ومن أولى بالصلاة والثالث فى وقت هذه الصلاة والرابع فى موضع هذه الصلاة والخامس فى شروط هذه الصلاة

﴿الفصل الاول﴾

فأما صفة الصلاة فانه يتعلق بها مسائل :

(المسئلة الاولى)

اختلفوا فى عدد التكبير فى الصدر الاول اختلافا كثيرا من ثلاث الى سبع أعنى الصحابة رضى الله عنهم ولكن فقهاء الامصا على التكبير فى الجنازة اربع الا ابن أبى ليلى وجابر بن زيد فانهما كانا يقولان إنها خمس وسبب الاختلاف اختلاف الآثار فى ذلك وذلك انه روى من حديث أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشى فى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات وهو حديث متفق على صحته ولذلك أخذ به جمهور فقهاء الامصار وجاء فى هذا المعنى أيضا من انه عليه الصلاة والسلام صلى على قبر مسكينة فكبر عليها أربعاء وروى مسلم أيضا عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال كان ابن زيد بن أرقم يكبر على الجنائز أربعا وانه كبر على جنازة خمسا فسألناه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكبرها وروى عن أبيه خيثمة عن أبيه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يكبر على الجنائز أربعا وخمسا وستا وسبعا وثمانيا حتى مات النجاشى فصف الناس وراءه وكبر اربعا ثم ثبت صلى الله عليه وسلم على اربع حتى توفاه الله وهذا فيه حجة لائمة للجمهور

واجمع العلماء على رفع اليدين فى أول التكبير على الجنازة واختلفوا فى سائر التكبير فقال قوم يرفع وقال قوم لا يرفع

وروى الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر فى جنازة فرفع يديه فى أول التكبير ووضع يده اليمنى على اليسرى فمن ذهب الى ظاهر هذا الاثر وكان مذهبه فى الصلاة انه لا يرفع الا فى أول التكبير قال الرفع فى أول التكبير ومن قال يرفع فى كل تكبير شبه التكبير الثانى بالاول لانه كله يفعل فى حال القيام والاستواء

(المسئلة الثانية)

اختلف الناس فى القراءة فى صلاة الجنازة فقال مالك وأبو حنيفة ليس فيها قراءة انما هو الدعاء . وقال مالك قراءة فاتحة الكتاب فيها ليس بمعمول به فى بلدنا بحال . قال وانما يحمد الله ويثنى عليه بعد التكبيرة الاولى ثم يكبر الثانية فيصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يكبر الثالثة فيشفع للميت ثم يكبر الرابعة ويسلم وقال الشافعى يقرأ بعد التكبيرة الاولى فاتحة الكتاب ثم يفعل فى سائر التكبيرات مثل ذلك ، وبه قال احمد وداود. وسبب اختلافهم معارضة العمل للاثر وهل يتناول ايضا اسم الصلاة صلاة الجنائز املا . اما العمل فهو الذى حكاه مالك عن بلده . وأما الاثر فما رواه البخارى عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب فقال لتعلموا انها السنة فمن ذهب الى ترجيح هذا الاثر على العمل وكان اسم الصلاة يتناول عنده صلاة الجنازة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بفاتحة الكتاب رأى قراءة فاتحة الكتاب فيها . ويمكن أن يحتج لمذهب مالك بظواهر الآثار التى نقل فيها دعاؤه عليه الصلاة والسلام على الجنائز ولم ينقل فيها انه قرأ وعلى هذا فتكون تلك الآثار كأنها معارضة لحديث ابن عباس ومخصصة لقوله لاصلاة الا بفاتحة الكتاب . وذكر الطحاوى عن ابن شهاب عن أبى امامة ابن سهل بن حنيف قال وكان من كبراء الصحابة وعلمائهم وأبناء الذين شهدوا بدرا أن رجلا من اصحاب النبى عليه الصلاة والسلام أخبره ان السنة فى الصلاة على الجنائز ان يكبر الامام ثم يقرأ فاتحة الكتاب سرا فى نفسه ثم يخلص الدعاء فى التكبيرات الثلاث . قال ابن شهاب فذكرت الذى اخبر به أبو امامة من ذلك

لمحمد بن سويد الفهرى فقال وأنا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة فى الصلاة على الجنائز بمثل ما حدثك به أبو امامة

(المسئلة الثالثة)

واختلفوا فى التسليم من الجنازة هل هو واحد أو اثنان فالجمهور على انه واحد وقالت طائفة وأبو حنيفة يسلم تسليمتين واختاره المزنى من اصحاب الشافعى وهو أحد قولى الشافعى . وسبب اختلافهم فى التسليم من الصلاة وقياس صلاة الجنائز على الصلاة المفروضة فمن كانت عنده التسليمة واحدة فى الصلاة المكتوبة وقاس صلاة الجنازة عليها قال بواحدة ومن كانت عنده تسليمتين فى الصلاة المفروضة قال هنا بتسليمتين وان كانت عنده تلك سنة فهذه سنة وان كانت فرضا فهذه فرض وكذلك اختلف المذهب هل يجهر فيها أو لا يجهر بالسلام

(المسئلة الرابعة)

واختلفوا أين يقوم الامام من الجنازة فقال جملة من العلماء يقوم فى وسطها ذكرا كان او انثى وقال قوم آخرون يقوم من الانثى وسطها ومن الذكر عند رأسه. ومنهم من قال يقوم من الذكر والانثى عند صدرهما وهو قول ابن القاسم وقول أبى حنيفة. وليس عند مالك والشافعى فى ذلك حد وقال قوم يقوم منها أين شاء والسبب فى اختلافهم اختلاف الآثار فى هذا الباب وذلك انه خرج البخارى ومسلم من حديث سمرة بن جندب قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم كعب ماتت وهي نفساء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة على وسطها . وخرج أبو داود من حديث همام بن غالب قال صليت مع أنس بن مالك على جنازة رجل فقام حيال رأسه ثم جاؤا بجنازة امرأة فقالوا يا أبا حمزة صل عليها فقام حيال وسط السرير فقال العلاء بن زياد هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على الجنائز كبر أربعا وقام على جنازة امرأة مقامك منها ومن الرجل مقامك منه . قال نعم فاختلف الناس فى المفهوم من هذه الافعال فمنهم من رأى ان قيامه فى هذه المواضع المختلفة يدل على الاباحة وعلى عدم التحديد . ومنهم من رأى ان قيامه

على أحد هذه الاوضاع انه شرع وانه يدل على التحديد وهؤلاء انقسموا قسمين فمنهم من أخذ بحديث سمرة بن جندب للاتفاق على صحته فقال المرأة فى ذلك والرجل سواء لأن الاصل ان حكمها واحد الا أن يثبت فى ذلك فارق شرعى ومنهم من صحح حديث ابن غالب وقال فيه زيادة على حديث سمرة بن جندب فيجب المصير اليها وليس بينهما تعارض أصلا واما مذهب ابن القاسم وأبى حنيفة فلا أعلم له من جهة السمع فى ذلك مستند الا ماروى عن ابن مسعود من ذلك

(المسألة الخامسة)

واختلفوا فى ترتيب جنائز الرجال والنساء اذا اجتمعوا عند الصلاة فقال الاكثر يجعل الرجال مما يلى الامام والنساء مما يلى القبلة وقال قوم بخلاف هذا أى النساء مما يلى الامام والرجال مما يلى القبلة وفيه قول ثالث انه يصلى على كل على حدة ء الرجال مفردون والنساء مفردات وسبب الخلاف ما يغلب على الظن باعتبار أحوال الشرع من انه يجب أن يكون فى ذلك شرع محدود مع أنه لم يرد فى ذلك شرع يجب الوقوف عنده ولذلك رأى كثير من الناس انه ليس فى امثال هذه المواضع شرع أصلا وانه لو كان فيها شرع لبين الناس وانما ذهب الا كثر لما قلناه من تقديم الرجال على النساء رواه مالك فى الموطأ من ان عثمان بن عفان وعبدالله ابن عمر وأباهريرة كانوا يصلون على الجنائز بالمدينة الرجال والنساء معا فيجعلون الرجال مما يلى الامام ويجعلون النساء مما يلى القبلة وذكر عبدالرازق عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر انه صلى كذلك على جنازة فيها ابن عباس وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وابو قتادة والامام يومئذ سعيد بن العاصى فسألهم عن ذلك أو أمر من سألهم فقالوا هى السنة وهذا يدخل فى المسند عندهم ويشبه أن يكون من قال بتقديم الرجال شبههم امام الامام بحالهم خلف الامام فى الصلاة ولقوله عليه الصلاة والسلام أخروهن حيث أخرهن الله وأما من قال بتقديم النساء على الرجال فيشبه ان يكون اعتقد ان الاول هو المقدم ولم يجعل التقديم بالقرب من الامام واما من فرق فاحتياطا من ان لا يجوز ممنوعا لأنه لم ترد سنة بجواز الجمع فيحتمل أن يكون على اصل الاباحة ويحتمل ان يكون

ممنوعاً بالشرع واذا وجد الاحتمال وجب التوقف اذا وجد اليه سبيلا

(المسئلة السادسة)

واختلفوا فى الذى يفوته بعض التكبير على الجنازة فى مواضع منها هل يدخل بتكبير ام لا ومنها هل يقضى مافاته ام لا وان قضى فهل يدعو بين التكبير أم لا فروى أشهب عن مالك انه يكبر أول دخوله وهو أحد قولى الشافعى وقال ابوحنيفة ينتظر حتى يكبر الامام وحينئذ يكبر وهى رواية ابن القاسم عن مالك ، والقياس التكبير ، قياساً على من دخل فى المفروضة واتفق مالك وابو حنيفة والشافعى على انه يقضى مافاته من التكبير الا ان أبا حنيفة يرى أن يدعو بين التكبير المقتضى ومالك والشافعى يريان أن يقضيه نسقاوانما اتفقوا على القضاء لعموم قوله عليه الصلاة والسلام ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا فمن رأى ان هذا العموم يتناول التكبير و لدعاء قال يقضى التكبير ومافاته من الدعاء ومن أخرج الدعاء من ذلك اذ كان غير مؤقت قال يقضى التكبير فقط اذ كان هو المؤقت فكان تخصيص الدعاء من ذلك العموم هو من باب تخصيص العام بالقياس فأبو حنيفة أخذ بالعموم وهؤلاء بالخصوص

(المسئلة السابعة)

واختلفوا فى الصلاة على القبر لمن فاته الصلاة على الجنازة . فقال مالك لا يصلى على القبر ، وقال ابو حنيفة لا يصلى على القبر الا الولى فقط اذا فاتته الصلاة على الجنازة وكان الذى صلى عليها غير وليها . وقال الشافعى واحمد وداود وجماعة يصلى على القبر من فاته الصلاة على الجنازة واتفق القائلون باجازة الصلاة على القبر ان من شروط ذلك حدوث الدفن وهؤلاء اختلفوا فى هذه المدة واكثرها شهر . وسبب اختلافهم معارضة العمل للاثر . أما مخالفة العمل فان ابن القاسم قال قلت لمالك فالحديث الذى جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه صلى على قبر امرأة ، قال قد جاء هذا الحديث وليس عليه العمل والصلاة على القبر ثابتة باتفاق من اصحاب الحديث . قال احمد بن حنبل رويت الصلاة على القبر عن النبى عليه الصلاة والسلام من طرق ستة كلها حسان وزاد بعض المحدثين ثلاثة طرق فذلك تسع . وأما البخارى

ومسلم فرويا ذلك من طريق أبي هريرة وأما مالك فخرج مرسلا عن ابى امامة ابى سهل . وقد روى ابن وهب عن مالك مثل قول الشافعى . واما ابوحنيفة فانه جرى فى ذلك على عادته فيما احسب اعنى من رد اخبار الآحاد التى تعم بها البلوى اذا لم تنتشر ولا انتشر العمل بها وذلك ان عدم الانتشار اذا كان خبرا كان الانتشار قرينة توهن الخبر وتخرجه عن غلبة الظن بصدقه الى الشك فيه أو الى غلبة الظن بكذبه اونسخه . قال القاضى: وقد تكلمنا فيما سلف من كتابنا هذا فى وجه الاستدلال بالعمل وفى هذا النوع من الاستدلال الذى يسميه الحنفية عموم البلوى وقلنا انها من جنس واحد

﴿الفصل الثانى﴾

(فيمن يصلى عليه ومن أولى بالصلاة)

واجمع اكثر اهل العلم على اجازة الصلاة علي كل من قال لااله الا الله وفى ذلك اثر انه قال عليه الصلاة والسلام صلوا على من قال لااله الا الله وسواء كان من اهل الكبائر او من أهل البدع الاان مالكا كره لاهل الفضل الصلاة على اهل البدع ولم ير أن يصلى الامام على من قتله حداً . واختلفوا فيمن قتل نفسه فرأى قوم انه لايصلى عليه وأجاز آخرون الصلاة عليه ومن العلماء من لم يجز الصلاة على اهل الكبائر ولا على اهل البغى والبدع ، والسبب فى اختلافهم فى الصلاة اما فى اهل البدع فلاختلافهم فى تكفيرهم ببدعهم فمن كفرهم بالتأويل البعيد لم يجز الصلاة عليهم ومن لم يكفرهم اذا كان الكفر عنده انما هو تكذيب الرسول لاتأويل قوله عليه الصلاة والسلام قال الصلاة عليهم جائزة وانما أجمع المسلمون على ترك الصلاة على المنافقين مع تلفظهم بالشهادة لقوله تعالى (ولاتصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) الآية. وأما اختلافهم فى اهل الكبائر فليس يمكن ان يكون له سبب الا من جهة اختلافهم فى القول بالتكفير بالذنوب لكن ليس هذا مذهب اهل السنة فلذلك ليس ينبغى ان يمنع الفقهاء الصلاة على اهل الكبائر واما كراهية مالك الصلاة على اهل البدع فذلك لمكان الزجر والعقوبة لهم وانما لم ير مالك صلاة الامام على من قتله حدا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل

على ما عز ولم ينه عن الصلاة عليه خرجه أبو داود وانما اختلفوا فى الصلاة على من قتل نفسه لحديث جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أن يصلى على رجل قتل نفسه ، فمن صحح هذا الأثر قال لا يصلى على قاتل نفسه ومن لم يصححه رأى ان حكمه حكم المسلمين وان كان من اهل النار كما ورد به الاثر لكن ليس هو من المخلدين لكونه من اهل الايمان وقد قال عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال حبة من الايمان. واختلفوا أيضا فى الصلاة على الشهداء المقتولين فى المعركة فقال مالك والشافعى لا يصلى على الشهيد المقتول فى المعركة ولا يغسل وقال أبو حنيفة يصلي عليه ولا يغسل . وسبب اختلافهم اختلاف الآثار الواردة فى ذلك . وذلك أنه خرج أبو داود من طريق جابر انه صلى الله عليه وسلم أمر بشهداء أحد فدفنوا بثيابهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا. وروى من طريق ابن عباس مسندا انه عليه الصلاة والسلام صلى على قتلى أحد وعلى حمزة ولم يغسل ولم ييمم. وروى أيضا وذلك مرسلا من حديث ابى مالك الغفارى وكذلك روى أيضا ان اعرابيا جاءه سهم فوقع فى حلقه فمات فصلى النبى صلى الله عليه وسلم عليه وقال ان هذا عبدك خرج مجاهداً فى سبيلك فقتل شهيداً وانا شهيد عليه . وكلا الفريقين يرجح الاحاديث التى أخذ بها وكانت الشافعية تعتل بحديث ابن عباس هذا وتقول برواية ابن أبى الزناد وكان قد اختل آخر عمره وقد كان شعبة يطعن فيه . وأما المراسيل فليست عندهم بحجة. واختلفوا متى لا يصلى على الطفل ، فقال مالك لا يصلى على الطفل حتى يستهل صارخا وبه قال الشافعى وقال أبو حنيفة يصلى عليه اذا نفخ فيه الروح وذلك اذا كان له فى بطن أمه اربعة أشهر فأكثر وبه قال ابن أبى ليلى وسبب اختلافهم فى ذلك معارضة المطلق للمقيد وذلك انه روى الترمذى عن جابر بن عبد الله عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال الطفل لا يصلى عليه ولا يرث ولا يورث حتى يستهل صارخا . وروى عن النبى عليه الصلاة والسلام من حديث المغيرة بن شعبة انه قال الطفل يصلى عليه فمن ذهب مذهب حديث جابر قال ذلك عام وهذا مفسر فالواجب أن يحمل ذلك

العموم على هذا التفسير فيكون معنى حديث المغيرة أن الطفل يصلى عليه اذا استهل صارخا ومن ذهب مذهب حديث المغيرة قال معلوم ان المعتبر فى الصلاة هو حكم الاسلام والحياة والطفل اذا تحرك فهو حى وحكمه حكم المسلمين وكل مسلم حى اذا مات صلى عليه فرجحوا هذا العموم على ذلك الخصوص لموضع موافقة القياس له ومن الناس من شذ وقال لا يصلى على الاطفال اصلا . وروى ابو داود أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يصل على ابنه ابراهيم وهو ابن ثمانية أشهر وروى فيه أنه صلى عليه وهو ابن سبعين ليلة واختلفوا فى الصلاة على الاطفال المسبيين فذهب مالك فى رواية البصريين عنه ان الطفل من أولاد الحربيين لا يصلى عليه حتى يعقل الاسلام سواء سبى مع أبويه أو لم يسب معهما وان حكمه حكم أبويه الا أن يسلم الأب فهو تابع له دون الام ووافقه الشافعى على هذه الا أنه ان أسلم أحد أبويه فهو عنده تابع لمن أسلم منهما لا الأب وحده على ما ذهب اليه مالك . وقال أبو حنيفة يصلى على الاطفال المسبيين وحكمهم حكم من سباهم . وقال الاوزاعى اذا ملكهم المسلمون صلى عليهم يعنى اذا بيعوا فى السبى قال وبهذا جرى العمل فى الثغر وبه الفتيا وأجمعوا على أنه اذا كانوا مع آبائهم ولم يملكهم مسلم ولا أسلم أحد أبويهم ان حكمهم حكم آبائهم . والسبب فى اختلافهم فى أطفال المشركين هل هم من اهل الجنة أو من اهل النار وذلك انه جاء فى بعض الآثار أنهم من آبائهم أى أن حكمهم حكم آبائهم ودليل قوله عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة ان حكمهم حكم المؤمنين

وأما من أولى بالتقدم للصلاة على الجنازة فقيل الولى وقيل الوالى فمن قال الوالى شبهه بصلاة الجمعة من حيث هى صلاة جماعة ومن قال الولى شبهها بسائر الحقوق التى الولى بها أحق مثل مواراته ودفنه وأكثر أهل العلم على ان الوالى بها أحق قال ابو بكر بن المنذر وقدم الحسين بن على على سعيد بن العاص وهو والى المدينة ليصلى على الحسن بن على وقال لولا أنها سنة ما تقدمت قال ابو بكر وبه أقول . واكثر العلماء على انه لا يصلى الا على الحاضر وقال بعضهم يصلى على

الغائب لحديث النجاشي والجمهور على أن ذلك خاص بالنجاشي وحده واختلفوا هل يصلى على بعض الجسد والجمهور على انه يصلى على أكثره لتناول اسم الميت له ومن قال انه يصلى على أقله قال لان حرمة البعض كحرمة الكل لاسيما ان كان ذلك البعض محل الحياة وكان ممن يجيز الصلاة على الغائب

﴿الفصل الثالث﴾

(فى وقت الصلاة على الجنازة)

واختلفوا فى الوقت الذى تجوز فيه الصلاة على الجنازة فقال قوم لايصلى عليها الا فى الاوقات الثلاثة التى ورد النهى عن الصلاة فيها وهى وقت الغروب والطلوع وزوال الشمس على ظاهر حديث عقبة بن عامر ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نصلى فيها وأن نقبر موتانا الحديث . وقال قوم لايصلى فى الغروب والطلوع فقط ويصلى بعد العصر مالم تصفر الشمس وبعد الصبح مالم يكن الاسفار وقال قوم لايصلى على الجنازة فى الاوقات الخمسة التى ورد النهى عن الصلاة فيها وبه قال عطاء والنخعى وغيرهم وهو قياس قول أبى حنيفة وقال الشافعى يصلى على الجنازة فى كل وقت لان النهى عنده انما هو خارج على النوافل لا على السنن على ماتقدم

﴿الفصل الرابع﴾

(فى مواضع الصلاة)

واختلفوا فى الصلاة على الجنازة فى المسجد فأجازها أكثر العلماء وكرهها بعضهم منهم أبو حنيفة وبعض أصحاب مالك. وقد روى كراهية ذلك عن مالك وتحقيقه اذا كانت الجنازة خارج المسجد والناس فى المسجد وسبب الخلاف فى ذلك حديث عائشة وحديث أبى هريرة أن حديث عائشة فما رواه مالك من انها أمرت أن يمر عليها بسعد بن أبى وقاص فى المسجد حين مات لتدعو له فأنكر الناس عليها ذلك فقالت عائشة ماأسرع مانسى الناس ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهل بن بيضاء الا فى المسجد . وأما حديث أبى هريرة فهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على جنازة فى المسجد فلا شىء له . وحديث عائشة ثابت وحديث أبى هريرة غير ثابت أو غير متفق على ثبوته لكن انكار

الصحابة على عائشة يدل على اشتهار العمل بخلاف ذلك عندهم ويشهد لذلك بروزه صلى الله عليه وسلم للمصلى لصلاته على النجاشي وقد زعم بعضهم أن سبب المنع في ذلك هو أن ميت بنى آدم ميتة وفيه ضعف لان حكم الميتة شرعى ولا يثبت لابن آدم حكم الميتة الا بدليل وكره بعضهم الصلاة على الجنائز فى المقابر للنهى الوارد عن الصلاة فيها وأجازها الاكثر لعموم قوله عليه الصلاة والسلام جعلت لى الارض مسجدا وطهورا

﴿ الباب الخامس ﴾

(فى شروط الصلاة على الجنازة)

واتفق الاكثر على أن من شروطها القبلة واختلفوا فى جواز التيمم لها اذا خيف فواتها فقال قوم يتيمم ويصلى لها اذا خاف الفوات وبه قال أبو حنيفة وسفيان والاوزاعى وجماعة وقال مالك والشافعى وأحمد لا يصلى عليها بتيمم وسبب اختلافهم قياسها فى ذلك على الصلاة المفروضة فمن شبهها بها أجاز التيمم أعنى من شبه ذهاب الوقت بفوات الصلاة على الجنازة ومن لم يشبهها بها لم يجز التيمم لانها عنده من فروض الكفاية أو من سنن الكفاية على اختلافهم فى ذلك وشذ قوم فقالوا يجوز ان يصلى على الجنازة بغير طهارة وهو قول الشعبى وهؤلاء ظنوا ان اسم الصلاة لا يتناول صلاة الجنازة وانما يتناولها اسم الدعاء اذا كان ليس فيها ركوع ولا سجود

﴿ الباب السادس ﴾

(فى الدفن)

وأجمعوا على وجوب الدفن والاصل فيه قوله تعالى (ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا) وقوله (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض) وكره مالك والشافعى تجصيص القبور وأجاز ذلك أبو حنيفة وكذلك كره قوم القعود عليها وقوم أجازوا ذلك وتأولوا النهى عن ذلك انه القعود عليها لحاجة الانسان والآثار الواردة فى النهى عن ذلك منها حديث جابر بن عبد الله قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور والكتابة عليها والجلوس عليها والبناء عليها ومنها حديث عمرو بن حزم قال رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبر فقال انزل عن القبر لا تؤذى صاحب القبر ولا يؤذيك. واحتج من أجاز القعود على القبر بما روي عن

زيد بن ثابت انه قال انما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على القبور لحدث غائط أو بول . قالوا ويؤيد ذلك ماروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس على قبر يبول اليه اويتغوط فكأنما جلس على جمرة نار . والى هذا ذهب مالك وأبو حنيفة والشافعى اه

﴿المورفين﴾ هو جوهر ازوتى قلوى يستخلص من محلول الخلاصة المائية للافيون . أو يقال هو قاعدة تستخرج من بعض النباتات الخشخاشية تكون حاصلة على خواص الافيون القوية الفعل فتوجد فى الافيون وفى خلاصة الخشخاش متحدة بحمض الميكونيك . اكتشف سنة (١٦٨٨) ولكنه لم يشرح شرحا وافيا الا فى سنة (١٨٠٤) فى رسالة قدمها العالم (سيجن) لمجمع العلماء الفرنسى . ثم أحسن درسه العالم (سرتونير) وهو أول من أكد قلويته الخاصة

وقد بحث عنه فى خلاصة الخشخاش الاوربى فلم يوجد . ووجده العالم (وكلين) وسواه فى حقاق الخشخاش الاسود والابيض حتى استخرجوا من الاوقية منها عشرة قمحات منه

وعلم من تحليل الكياوى الانجليزى (انيل) ان الافيون الشرقى يحتوى من المورفين على نحو ١ على ١٤ من وزنه ويحتوى الافيون البلدى اى الاوروبى على ١٠ على ٢١ ويكون فيه متحدا بحمض المكونيك

(صفاته الطبيعية) اذا كان المورفين نقيا كان ابرا منشورية شفافة ذوات مسطحات اربعة مقطوعة بانحراف أو غير ذلك ولا رائحة له ولا طعم بسبب عدم قابليته للذوبان . ولكنه اذا أذيب كان محلوله شديد المرارة وهو لا يتغير من الهواء ولكنه يتسرب منه الحمض الكربونى

(صفاته الكيماوية) هو على رأى بلتيير دوملس مركب من ٠٢ و ٧٢ من الكربون و ٥٣ ره من الازوت و ٧ر٠١ من الادروجين و ١٤ر١٤ من الاوكسيجين وكل ١٠٠ منه تحتوى على ٩ وثلث من الماء وهو لايكاد يذوب فى الماء البارد ولا فى الاتير وأما الماء المغلى فيذيب من وزنه ١ من ٩٢ ويتبلور منه بالتبريد وهو

يذوب فى ٤٠ غراما من الكؤل البارد الخالى من الماء وفى ٣٠ غراما من الكؤول المغلى الخالى أيضا من الماء ويذوب فى الزيوت الشحمية والطيارة ومحلوله الكؤلى يخضر شراب البنفسج ويحمر الكركم ويذوب المورفين أيضا فى القلويات الكلوية وأوضح صفاته هو انه يذوب فى الحمض النترى ويحمره بحمرة كحمرة الدم لكن ليس هذا وصفا خاصا به لان مثله فى ذلك البروسين والاستركنين لكن على حسب تجريبات سيرولاس يكون الحمض يوديك هو الجوهر الكشاف له لانه يتحلل تركيبه به وبأملاحه فيأخذ أكسيجينه ويجعل اليود خالصا يتضح وجوده بواسطة جليدية النشا ويتصاعد رائحة يودية شديدة مع تلون الحمض بالحمرة المسمرة والصبغة الكؤلية للعفص ترسب المرفين من جميع محلولاته ولو فى الماء وان كان ذوبانه فيه يسيرا . واذا خلط المرفين بملح حديدى كثير الاوكسيجينية ككبريتات الحديد فان المخلوط يكتسب لونا جميلا ازرق يزول اذا أضيف له مقدار مفرط من حمض . ويظهر اذا حصل الشبع ينتج من هذا التفاعل كما قال بلتيير كبريتات المرفين ومرفيت الحديد ويتحد هذا الجوهر بالحوامض فتتكون منه أملاح وتحت أملاح وأغلبها قابل للتبلور وكلها سمية ويتحلل تركيبها بالقلويات المعدنية وبموجب ذلك لاتجمع معها

(تحضير المورفين) يلزم قبل تحضيره أن يختار أفيونها ولا بأس أن يؤخذ أفيون أزمير أو القسطنطينية وأحسن من ذلك الافيون النقى الخالى من الغش اذا وجد ومن اللازم تجربته تجربة كيماوية ليتحقق المقدار الذى فيه من المورفين فاذا حصل من محلول الافيون راسب أبيض كثير بروح النوشادر رجى جودة الناتج وهناك طرق كثيرة لتحضيره وطريقة الدستور هى المختارة وهى فى الحقيقة طريقة سرطرنير فيؤخذ من الافيون الخام ١٠٠٠ غرام ومن روح النوشادر السائل مقدار كاف فينزع من الافيون بالماء البارد جميع أجزائه القابلة للذوبان فيه ويفعل مثل هذا العلاج أربع مرات مع كونه يستعمل فى كل مرة عشرة غرامات من الماء بجزء من الافيون فذلك كاف اذا انتبه لنقع الافيون مدة ساعات وهرسه باليدين ثم ترشح السوائل وتبخر لترجع لربع حجمها

فحينئذ يضاف لها من روح النوشادر مقدار يصير به السائل قلويا محسوسا ثم يغلى مدة دقائق مع كونه محفوظ دائما فيه مقدار مفرط يسيرا من روح النوشادر فبالتبريد يرسب المورفين الذى لم يزل ملونا وغير نقى على هيئة بلورات محببة تغسل بالماء البارد ويحول هذا المورفين الملون الى مسحوق وينقع فى الكؤول الذى فى ٢٤ درجة من مقياس كرتيير أى ٦٥ من مقياس جيلوساك وبعد ١٢ ساعة من النقع يصفى عنه السائل الكؤولى ثم يذاب فى الكؤول المغلى الذى فى ٢٣ درجة من مقياس كرتيير أى ٨٥ من مقياس جيلوساك فالمرفين الباقى يكون قد زل سابقا جزء عظيم من لونه بالكؤول البارد فيضاف للمحلول قليل من الفحم الحيوانى ويرشح فالمرفين يتبلور بالتبريد الى ابر عديمة اللون وبيان ذلك انه اذا عولج الافيون بالماء البارد أذاب ذلك الماء أملاح المورفين والقودئين وجزء من النركوتين وأما القواعد الاخر فلا تقبل الاذابة ولا توجد فيه مع أن بعضا منها ينجذب معه بمساعدة القواعد القابلة للاذابة فاذا عولج السائل بروح فالنوشادر من

ذلك الروح يرسب المورفين مع النركوتين ويتكون منه مع الحمض ميكونيك وكبريتيك أملاح قابلة للاذابة ويترك فى مياه الأم القودئين فى حالة ملح مزدوج قاعدته روح النوشادر والقودئين ثم الطبيثين والنرسئين والميكونين كالمواد الخلاصية والملونة والصمغية ثم أن المورفين اذا رسب يجذب معه الملونة والنركوتين الذى يصحبه بمقدار يختلف عظمه فى كل علاج ويكون على شكل راسب محبب لان الراسب يحصل على الحار فيوضع مقدار مفرط من النوشادر وليؤكد رسوب جميع المورفين ثم يغلى لاجل طرد هذا المقدار المفرط من روح النوشادر الذى يذيب جزءا يسيرا من المورفين يبقى فى مياه الام اذا لم يطرد المقدار المفرط من القلوى وغاية العلاج الاول الكؤولى فصل المورفين عن المادة الملونة ويستعمل الكؤول الذى فى ٢٤ درجة من الكثافة لأجل ان لا يذوب الا أدنى مقدار من المورفين حسب الامكان وغاية العلاج بالكؤول القوى هو فصل المورفين عن المواد الغير القابلة للاذابة فى هذا الحامل وقد يصحبه فى سير العملية والمورفين المنال بذلك

يحتوى دائما على النركوتين وأحسن الوسائط لاخلائه منه هو أن يعالج بالاتير الذى يذيب النركوتين وقليلا جدا من المورفين والاحسن أن يكون ملح مرفينى ويرسب بمقدار مفرط من البوطاس الكاوى فهذا يرسب أولا القاعدتين ولكن المقدار المفرط يذيب المورفين ويترك النركوتين غير مذاب فاذا فصل هذا بالترشيح ثم أشبع السائل بحمض يذيب البوطاس والمورفين ثم صب عليه روح النوشادر فان المورفين يرسب حينئذ خاليا عن النركوتين فاذا اجتنى الراسب بعد غسله ثم جفف نيل بذلك المورفين نقيا . وقد تنوعت طرق تحضير المورفين تنوعا عظيما فروبكيت أبدل روح النوشادر بالمغنيسيا وأوصى بعضهم بتقسيم النوشادر اللازم لترسيب المورفين الى مقدارين فنتيجة الاول فصل المادة الندفية التى لا تحتوى احتواء محسوسا على المورفين وبعضهم عرض مذاب الافيون الى تخمير كؤولى وبعضهم عالج الافيون بالماء المحمض بالحمض ادروكلوريك ونقى السوائل بالفحم الحيوانى ويمكن اذالة المرفين بدون استعمال الكؤول وبعضهم صير المورفين كبريتاتيا وأزال لون الملح القابل للذوبان بالفحم الحيوانى وبعضهم أخذ الصبغة الكؤولية المصنوعة من خلاصة الافيون مقدارا من روح النوشادر ثم تركها ساكنة فبعد زمن ما توجد جدران الاناء وعمقه مغطاة ببلورات غليظة من المورفين

(التأثير والاستعمال) المورفين يؤثر على البنية الحيوانية تأثيراً مخدرا واضحا جدا اذ هو القاعدة القوية الفعالة للافيون وفيها منافعه بدون حصول اخطار منها كما قال ماجندى وما يقال فى تلك القاعدة يقال مثله فى أملاحها التى تتكون منها ومن الحوامض ولقلة ذوبانها فى الماء لم تستعمل الا فى تلك الاحوال الاتحادية فلا يستعمل وحده غالبا وانما المستعمل أملاحها

وعلى رأى بالى هذا المورفين هو منشأ خواصها وليس أقل خاصية منها فيمكن أن يعطى مثلها فى نفس الاحوال وبنفس المقادير أعنى فى الاحوال التى يعطى فيها الافيون وفى الاختصار يظهر أن المورفين وأملاحه متمتعة بخواص واحدة وبدرجة واحدة تقريبا فنقتصر هنا على ذكر الاستحضار والصفات لتلك الاملاح

(أملاح المورفين) هذه الاملاح يحصل فيها التفاعلات التى تحصل فى المورفين بالحمض نتريك وبالحمض يوديك وأملاح الحديد الكثيرة الاوكسيجينية ومعظمها قابل للتبلوروطعمها مر ويرسب فيه راسب بالكربونات القلوية ويذوب هذا الراسب بالمقدار المفرط من القلويات الكاوية ويرسب فيها راسب بالعفص والراسب يذوب ثانيابالحوامض ويرسب فيها من يودور البوطاسيوم اليودورى راسب اسمر والراسب يتحول الى صفائح جميلة ارجوانية والمستعمل من تلك الاملاح فى الطب هو يودور كلورات وكبريتات وخلاتوسترات اى ليمونات المورفين

(الاول خلات المورفين) هو ملح متعادل ينتج من تأثير الحمض الخلى على المورفين

(صفاته الطبيعية) هو ابيض عديم الرائحة وطعمه شديد المرار وقابل جدا لتشرب الرطوبة وعسر التبلور ومع ذلك يمكن اقالته كتلامبلورةمكونة من ابر بهيئة أشعة متباعدة عن بعضها

(صفاته الكيماويه) هوشديد الذوبان فى الماء واذا سخن بقوة تحلل تركيبه وانتشرت منه رائحة مخصوصة كريهةجدا واذا عولج بالحمض الكبريتى الممدود حصل منه بخار الحمض الخلى وبالجملةهو يحتوى على الخواص الاخر للمورفين

(تحضيره) يؤخذ من المورفين ١٠٠ غرام ومن الحمض الخلى مقدار كاف فيسحق المورفين سحقا ناعما ويداف فى مقدار كثير من الماء الحار ثم يصب عليه المقدار المراد اذابته فيه من الحمض الخلى ثم يبخر الكل على حرارة هادئة الى الجفاف ثم تسحق الكتلة الباقية بدستج من زجاج أى يد هاون زجاجية مسخنة قليلا ويحفظ المسحوق فى قنينة جديدة الجفاف وجيدة السد

(الاستعمال) أول من جرب استعمال هذا الملح ماجندى وذكر أنه أحسن من كبريتات المورفين الذى هو أحسن من مريانه أى كلدروكلوراته مع أن هذا مشكوك فيه الآن وبالجملة خواصه كخواص المورفين ولكنه يؤثر بقوة أسرع منه بسبب قابليته للذوبان وهو الآن كثير الاستعمال فى الاحوال

التي تستعمل فيها الافيون ومركباته

(الثاني كبريتات المورفين) هو ملح ناتج من فعل الحمض الكبريتي الضعيف على المورفين

(صفاته الطبيعية) هو يتبلور الى ابر منضمة بعضها على هيئة شوش حريرية ولا يتغير في الماء وهو عديم الرائحة وطعمه شديد المرار

(صفاته الكيماوية) هو مركب من ١٠٠ غرام من المورفين و٤٦ و١٢ من الحمض الكبريتي وذلك ماء التبلور وهو قابل للذوبان في مقدار وزنه مرتين من الماء المقطر المغلي ويسهل تحليل تركيبه بفعل النار ويكتسب بذلك لونا احمر بنفسجيا ويصح ان يتحد بمقدار جديد من الحمض ليتكون من ذلك بيكبريتات وكل ١٠٠ من الكبريتات تحتوى على ٢٠ غراما من القاعدة ويمثل ذلك تقريبا من ماء التبلور فلا يكون المورفين فيه الا بمقدار ٢ على ٥ تقريبا

(الاجسام التي لا تتوافق معه) أغلب الاكاسيد المعدنية

(تحضيره) يؤخذ من المورفين ١٠٠ غرام ومن الحمض الكبريتي مقدار كاف فيسحق المورفين سحقا ناعما ثم يداف في مقدار يسير من الماء الحار ثم يضاف له من الحمض الكبريتي الممدود مثله ٣ مرات أو ٤ من الماء المقدار اللازم لاذابة المورفين ويبخر السائل على حرارة لطيفة حتى يكتسب قوام الشراب الصافي ثم يوضع في محل رطب مدة ٢٤ ساعة أو ٣٦ فكبريتات المورفين يتبلور الى الابر الحريرية البيض المعتمة والغالب انها تنضم الى نجوم أو الى كتل حلمية فتترك لتنقط وتجفف بين ورقتين من أوراق الكرونة في درجة حرارة من ٢٤ الى ٣٦

(الاستعمال) يستعمل فيه الكبريتات وفضله بلتيير على الخلاف لسهولة تبلوره وانالته نقيا ولذلك كثر الآن استعماله في بلاد الانكليز والامريكان وفضله على بقية أملاح المورفين جيرار الذي هو من جملة المجربين لمستحضرات تلك القاعدة

(الثالث ليمونات المورفين) الانجليز والامريكيون يستعملون هذا الملح كثيرا ويسمونه بالقطرات السود ويركبونه من حمض نباتي غير نقي (حمض ليموني أو خلي) وأفيون وقاعدة عطرية

وعسل أو سكر ويظن أن فيه الخواص الوحيدة المسكنة للافيون وسائل لميونات المورفين للطبيب برتير مكون من ٤ أوقيات من الافيون الخام ٢ من الحمض الليمونى المبلور محلولة فى لترمن الماء المغلى ثم يرشح بعد ٢٤ ساعة من نقعه ويقال ان فيه نفس منافع الافيون أعنى اللودنوم بسرعة تأثيره أى فى ١٠ دقائق ومع ذلك عده بعض الاطباء أقل فاعلية من الافيون فى الدوسنطاريا وذلك المستحضر يحتوى على النركوتين ومقدار مفرط من الحمض وليس فى الحقيقة ملحاً حقيقيا وأراد ماجندى ابداله بليمونات نقية مركبة من ١٦ قمحة من المورفين و٨ قمحات من الحمض الليمونى المتبلور وأوقية من الماء المقطر الذى يتلون قليلا بيسير من الدودة ويكون ذلك أكثر تسكينا بمقدار من ٨ نقط الى ٢٤ نقطة تسمى ذلك بالنقط الوردية

(الرابع ادرو كلورات المورفين)

هوملح أكثر ذوبانا فى الماء من كبريتات المورفين ويذوب أيضا فى الكئول ويتبلور الى ابر مشععة شديدة المرار وكما يذوب جيداً فى الماء يذوب فى الكئول ولكن استعماله فى الطب قليل وان كان شبيها بالكبريتات كما هو قريب للعقل ومع ذلك خواصه كخواص الخلاصة الكثيرة الاستعمال الآن ومقاديره مثله

(وأما ميكرونات المورفين) فظن سوطرنير الذى يعتبر النركوتين تحت ميكرونات المورفين أن هذا الملح قابل للتبلور وقليل الذوبان فى الماء ولكن أثبت بالتجريبات روبكيت الذى هو أول من حقق وجود قاعدتين مبلورتين متميزتين عن بعضهما فى الافيون وهما النركوتين والمورفين خلاف ذلك أى ان هذا الملح كثير الذوبان فى الماء وغير قابل للتبلور وهويتلون بمحلول بيروكسيد الحديد بالحمرة الشديد واليه ينسب عموما خواص الافيون وبالجملة انه الى الآن غير مستعمل فى الطب

(النتائج الصحية للمورفين وأملاحه)

قد كان المورفين معروفا قديما بأنه قديم الفعل واذا كان فى حالة ملحية كان مهيجا ولكن كان فى ذلك الزمن غير نقى أى مخلوطا بكثير من النركوتين وأما الآن فقد علم انه هو القاعدة المسكنة والمخدرة

التى فى الافيون ومع ذلك لا تنسب له وحده الخواص الفعالة التى فى تلك الخلاصة كما كان يظن سابقا وعورض ذلك بمناقضات كثيرة ويكفى لنقض ذلك ما يشاهد من أن المرفين الذى هو كما سبق ١ على ١٤ تقريبا من الافيون يكون أقوى فاعلية بمرتين أو ٣ من الخلاصة المائية للافيون حتى أن أورفيلا ساوى بين اقل الاملاح الذاتية للمرفين وفعل هذه الخاصة .وأما بالى فجعل نسبة فعل المرفين للافيون الخام كنسبة أربعة لواحد . ومهما كان ينبغى أن تنسب خواص هذا الافيون لملح المرفين الذى هو قاعدة ديزون للمادة المخدرة التى يحتوى عليها الافيون وتتصاعد منه اذا قطر مع الماء وبموجب ذلك يكون فعل الافيون ناتجا من اجتماع فعل هذين معا وأول من جرب بفرنسا املاح المرفين ماجندى فوجد فيها جميع منافع الافيون بدون أخطار أصلا وشاهد متابعوه انها اذا أعطيت بمقدار يسير لم تنتج طلاء عجينيا على اللسان ولا قطعا للمواد المندفعة ولا عرقا ولا صداعا ولا امساكا مستعصيا وكثيرا ما تتحملها المرضى جيدا مع أن الافيون يؤذيهم بل اعتبر بعضهم خلات المورفين أحسن من الافيون للمسلولين اذا كان قطعه قليل الخطر أى لا يخاف منه لأن المادة ان يبدل العرق بالاسهال . وأما سندراس فاستنتج من مشاهداته ان المرفين لا يرجح على الافيون وفيه دائما الاخطار التى فيه ولا نقول شيئا فى الخاصة التى نسبها بلتان لخلات المرفين من كونه معدلا اليود وأسس ذلك على مشاهدة امرأة مصابة بغدة استيروسية ثديية واحتقان فى الرحم ووجدت ضرراً من استعمال اليود وحده باستعمال مرهم مكون من أوقية من الشحم الحلو و٦ قمحات من أول يودور الزئبق و ٨ قمحات من خلات المرفين وربما أيد ذلك أمر واقعى للطبيب جردنير وهو ان آفة تشنجية شديدة الثقل فى المعدة والامعاء نشأت من استعمال غير قانونى لليود وشفيت من تأثير خلات المرفين وهناك مشاهدات تفيد أن هذا الجوهر مضاد للتسمم بجوز القىء بحيث ان قمحتين من هذا الملح وضعتا على محل نفاطة فأزالت عوارض تيتنوسية نتجت من ذلك الجوز ولكن لا نقول

على النتائج العامة التى شاهدها بالى من المرفين وأملاحه حيث أعطاها بدون تمييز بينهما لا كثر من الف مريض وذكر أن هذه النتائج غير منازع فيها ومجردة من العوارض التى قد تنشأ من المقادير الزائدة عن العادة وعن التنوعات التى قد تتولد من الاستعدادات وطبيعة الامراض وتلك النتائج هى التأثرات الدوائية الحقيقية للمرفين فعلى رأى هذا الطبيب لاينتج المرفين اصلا جفافا فى الفم ولا طلاء على اللسان ولا حرافة فى الحلق ولا عطشا ولا تكدرا فى الهضم ولو هيج المعدة كما يحصل كثيرا ويسلن بهذا التهيج جشاء وغثيان وأوجاع فى القسم المعدى ثم قىء من مواد خضراء كراثية دائما وذلك يحوج لنقص مقدار الدواء أو قطع استعماله بالكلية . وفعله المقىء أوضح من فعل الافيون فقد يكفى لذلك قمحة فى الابتداء وقمحتان يعطيان بعض الأيام وهو يسبب الامساك أولا وكثيرا مايعرض بعد ذلك فيضان اسهالى وقتى وكثيرا ماتشاهد قولنجات طويلة المدة وقد يعرض لكن على سبيل الندرة عسر بول بل احتباسه لكن بدون تغير فيه ولا يحصل ذلك للنساء اصلا وذلك يحمل على ظن أن سبب ذلك فى البروستتا الا فى عنق المثانة وأما الاعضاء الصدرية فلا تتأثر من المرفين بل كونه مسكنا لمجموعه الشريانى أولى من كونه منبها له وقد يبطىء النبض ولا يتحرض منه بواسير وليس مدرا للطمث ولا ينبه نزيفا ولا عرقا ولا يزيد فى الحراره الموضعية أو العامة ولا يحدث تكدرا فى التنفس ولا يسكن السعال تسكينا كافيا وربما نفع الربو العصبى ولا يشاهد من تأثيره تلون ولا حرارة فى الوجه وان كانت الاعين أكثر لمعانا ولا اعراض اختناق وانما يعرض بعد بضعة أيام أكلان عام أو جزئى فى الجلد يصحبه اندفاع ازرار صغيرة مخروطية قليلة البروز تارة حمراء وتارة عديمة اللون وتلك الظاهرة أى الأكلان مستدامة وتشاهد احيانا مع الافيون ولا تشاهد اصلا مع النركوتين ونتائج المرفين وأملاحه على المخ هى العظيمة الاعتبار فمقدار من ثمن الى ربع من القمحة قد يعرض النوم ولاسيما فى الفصول الممطرة ويندر أن يكون هذا النوم هادئا ولكن أغلب الاطباء لم يوافقوا بالى على ذلك

فاذا زيد المقدار نبه المخ وساعد على السكتة وعلى الانزفة المخية فليس المرفين فى الحقيقة مسبتا لان النعاس الذى يسببه كثيرا ماتصحبه ظاهرات تنبه كدر ودوار وأحلام مفزعة رؤية شرر وظلمة فى العينين ودوى فى الاذنين وانزعاج فجائى مع حس لغط فى الرأس وتعرض تلك النتائج سريعا وتنقطع بنفسها فاذا زيد فى المقدار أكثر مما سبق ظهرت أيضا ظاهرات غريبة وهى نعاس يقظى أوسبات وعدم انتظام فى المشى واهتزازات واضطرابات كاضطرابات الكهربائية واختلاط فى الحواس ونحو ذلك ومع هذا لايحصل هذيان حقيقى ولاتغير فى القوى العقلية وسوى ذلك خدر وضعف عضلى بدون عاهة فى الحساسية وارتعاش وكثيرا مايظلم الابصار وتنقبض الحدقة بحسب مقدار الدواء وتلك صفة مخصوصة بهذا السم النباتى ولا تفقد الانادرا ويحصل عكس ذلك فى الحيوانات على حسب تجريبات أورفيلا وماجندى ودبوى فاذا أعطى الدواء حقنة لتنتج بحسب الظاهر اتساع الحدقة وهذه الظاهرات المذكورة التى هى

أثر الفعل الفسيولوجى للمرفين المستعمل فى حالة المرض إما أن تكون موضعية أى حصلت بالمباشرة كالغثيان والقىء ونحو ذلك وإما أن تكون ناشئة من السنباتيا أى الاشتراك أو الامتصاص كاحتباس البول والأكلان والاعراض المخية . وحقق أورفيلا من تجريباته أن المرفين النقى اذا أدخل وهو صلب فى معدة الانسان أثر بقوه كتأثير خلات المرفين ورأى انه يتحول الى ملح يذوب باتحاده مع الحوامض الموجودة فى تجويف المعدة وعلم من الظاهرات أنه مشابه تقريبا للافيون فى أفعاله فيسبب تغيرات فى المخ وفى النخاعين ونتائج الخلات والكبريتات لايختلف فى كل ذلك عن نتائج الافيون ويشتد تأثيرها على المخ اذا كان فيه تهيج أو التهاب أو كان مجلسا لتيبس جزئى أو انصباب دموى أو نحو ذلك كما تختلف أيضا تلك النتائج اذا كان فى عضو مهم من الجسم آفة مرضية كما شوهد فى امرأة مصابة بآفة فى الرحم انه كان يحصل لها من استعمال قمحتين الى ٤٠ قمحة فى اليوم من هذه الخلات اشتداد فى الاعراض الرحمية مع قلس كربه ثم نعاس مع أحلام رديئة وتظن أنها

سقطت من السماء للارض وتصير فى حالة سكر مع دوار وقىء ولاتستشعر بالآلام التى كانت مع دائها القديم لانها مستورة بتكدر المخ ولا تنس أن فعل الافيون على الجزء الحى يكون بقوتين متضادتين احداهما منبهة والاخرى مسبتة وهنا كذلك فمن تأثير المنبهة تحصل نتائج التنبيه كامتلاء النبض وتلون الوجه والحركات التشنجية والقىء والعرق والاندفاع الجلدى ومن تأثير القوة المسبتة يحصل النوم والهبوط والخدر وعدم الاستشعار بالالم وبالجملة فالمرفين يحصل منه على حسب المقدار المستعمل جميع النتائج التى يمكن أن تحصل من عصارة الخشخاش أعنى نتائج مسكنة فقط ونتائج مسكنة مخلوطة بنتائج منبهة بحسب الظاهر ونتائج منبهة فقط بدون حصول شىء من النتائج الاخر وسيأتى لنا ان التركوتين يؤثر فى المراكز العصبية تأثيرا مخصوصا به فلا يكون الحاصل فى تلك الاعضاء مجرد تنبه فقط . فالمرفين ليس محتويا على القوة المسكنة الافيونية فقط فلا تجد فيه دائما صناعة الشفاء فاعلا توقف به حركة منخرمة أو تقطع به جذبا

مؤلما او نحو ذلك وانما المرفين كالافيون يغير الحالة الاعتيادية للمراكز العصبية وذلك التغيير يسبب ارتخاء نافعا فى المنسوجات المريضة فيطفئ الحركات وجذبات الحبيلات العصبية المولدة للألم ولكن قد يحصل مع ذلك ثقل فى الرأس ودوران وأحلام وخدر واهتزازات تشنجية وقىء ونحو ذلك وتلك عوارض لاتنفك عن نقص الالم وانما هى مستنتجات مرتبطة ببعضها لايمكن انعزالها عن الفعل العضوى الواحد فاذا وضع مثلا خلات المرفين على جزء متعرّ عن البشرة ترى ان تأثيره لاينقسم الى زمنين ففى الزمن الاول يحصل من التأثير الموضعى الوخز والألم الشديد وحس الاحتراق الذى يحرض الصياح والبكاء من أرقاء المزاج وفى الزمن الثانى يتأثر الجهاز العصبى من امتصاص الجوهر ويبتدىء تقريبا بعد الوضع بربع ساعة أو نصف ساعة فتنتج جميع الظاهرات التى يحرضها هذا الملح اذا استعمل من الباطن ولكن نتائج الوضع من الظاهر ليست دائمة الحصول فقد لايمتص الجوهر أصلا أو لايمتص باستواء ولو فعل جميع مايساعد

على الامتصاص ولم تعرض من ذلك ظاهرة قط يظن منها دخول الجوهر فى دورة الدم بل قد يشاهد تخالف فى المريض الواحد ففى يوم تظهر ظاهرات تدل على امتصاصه وفى اليوم التالى لا يظهر شىء وفى الثالث تظهر بعض ظاهرات فيتضح من ذلك أن هذا الخلات قد ينفذ فى دورة الدم فيؤثر فى المراكز العصبية وقد لا يمتص الا بعضه وكثيرا مالا يمتص أصلا بل يبقى على الجلد المتعرى وربما نتج من ذلك أن الوضع من الظاهر على الادمة المتعرية غير أكيد مع انه هو الكثير الاستعمال الآن وقد اشتهرت أمثلة للتسمم بذلك فمن ذلك امرأة عصبية استعملته مع النجاح ثم قطعت استعماله ثم عادت اليه لا على التدريج بعد القطع فأخذت نصف قمحة فحصل لها فى الليل كله اضطراب لا سكون فظننت عدم كفاية المقدار فاستعملت فى الصباح ثلاثة أرباع قمحة فى مرة واحدة فبعد نصف ساعة حصلت العوارض المخية والعصبية مع تعب وعرق بارد وغثيان وقلس وانتقاع فى الوجه وسقوط فى حالة عدمية ومكثت كذلك فى هبوط زائد مدة ٣ أيام ولم تستعمل لذلك الا منقوعا مضادا للتشنج محضا بعد ابتداء الاعراض بست ساعات وشوهد حصول مثل تلك الاعراض مع وضع نصف قمحة فقط من الخلات فى جرح كى . وأما ماجندى فلم يشاهد أن هذا الملح أنتج شيئا من هذه العوارض بل شك فى الفعل الخطر للمرفين حيث قال أن ذلك لا يحصل الا بشرط عظم المقدار جدا وعدم وجود القىء مع أن هذا ربما كان عسرا فهو يعتبر هذا الملح أقل فاعلية مما يظن عموما . ولكن تجربيات بالى تفيد غير ذلك كما علمت وأنه قد يحصل منه تأثير محزن وتقوى ذلك بمشاهدات حتى أن شفلير الاقرباذينى تجاسر وعرض نفسه لتأثير هذا الخلات ليشاهد نتائجه فاستعمله ٤ أيام متتابعه مبتدئا بربع قمحة حتى وصل الى قمحة وحصلت له الاعراض المتبعة مثل الصداع والعطش المحرق والقولنج والجذب فى المعدة واتساع الحدقة وقوة النبض وتعب التنفس مع أوجاع فى الصدر والبطن وطول السلسلة ونوم شاق متقطع مفزع وتكسر فى الاطراف وازراد محمرة بهيئة طفحات وفقد القوى العقلية

وتكدر فى البول ولما وصل الى قمحة اشتدت تلك الاعراض وصار النوم عميقا وبالجملة اذا استعملت املاح المرفين بمقادير كبيرة أنتجت فى الانسان العوارض التى يحدثها الافيون وستأتى فتسبب اولا نقصا فى الفعل العضوى ثم يقف مقدار كبير من الدم فى المراكز المصبية فتكدر القوى العقلية ويحصل هذيان وانخرام فى التأثير العصبى يعرض انقباضات فى العضلات فجائية وتشنجات وتيبسات فى الاطراف وتوباتيتنوسية وكذلك انخرام فى انقباضات القلب والحجاب والعضلات التنفسية وذلك بعرض القىء ونحوه ثم من تراكم الدم فى المخ يحصل فيه مايسمى بالاحتقان الدموى فيعرض انتفاع الوجه وانتفاخه وبطء النبض وعدم انتظامه وفقد الحس والحركة ثم حالة سكتية ثم الموت . وأكد بعضهم انهذه الاملاح لايحصل منها فى الحيوانات الا النوعان الاولان من النتائج ولا يتكون فيها الاحتقان الدموى المخى الذى يحدثه الافيون فى الانسان ولعل ذلك لهيئة تشريحية فى المخ تفيد اختلافا فى نتائج الافيون اذا قوبل فيها الانسان بالحيوانات . وفى كتاب السموم لاورفيلا ان تأثير المرفين ومركباته أقل شدة على الحيوانات من تأثيرها على الانسان وأنزل جدا من فعل الافيون فالكلاب القوية تتحمل منها مقادير كبيرة بدون ان تموت واما الكلاب الصغار سنا وقدا فتقتلها فى بعض ساعات ٤٠ او ٦٠ قمحة مع ان ١٢ قمحة من الخلاصة المائية للافيون تسبب للكلاب تسمما قويا وربما الموت والتأثر بها يكون واحدا تقريبا سواء أدخلت فى الطرق الهضمية أو فى الاوردة اوفى المنسوج الخلوى اووضعت على الاعصاب اوالنخاع الشوكى او المخ واذا حلت فى الكؤول كان فعلها أشد على الانسان ولعدم اعتياد الكلاب الكؤول يحصل لها من هذا السائل وحده نتائج مهلكة واذا فتحت الجثة لايوجد فى التسمم الحاد تغير فى القناة الهضمية ولا فى اعضاء اخر اما فى التسمم البطىء الحاصل من ازدياد كميات خلات المرفين كل يوم فانه يوجد التهاب فى القناة الهضمية المعدية خصوصا فى ستة قراريط من ابتدائها وفى المستقيم وتوجد جميع الاعضاء لينة ضامرة وعلاج هذا النوع

من التسمم مثل علاج التسمم بالافيون وهو ان يدفع الجوهر بالمقيئات ثم تستعمل المشروبات المحمضة والمنقوع القوى لبن القهوة ثم المحولات والحقن المسهلة وسيما الفصد اذا كان هناك احتقان مخى وهو آخر علاج يفعل واعتبر البير الايبا كاكوانا ومطبوخ القهوة قوى الفعل جدا وأما جعل بعضهم الحمض الخلى علاجا ذاتيا لهذا التسمم فان المشاهدات تؤيد أن ذلك فى الابتداء يزيد فى العوارض

(الاستعمال العلاجى) يستعمل المرفين وأملاحه فى الاحوال التى يستعمل فيها الافيون حتى فى الاحوال التى لا يتحمل فيها هذا الجوهر واختصاصها بأمراض مخصوصة أقل من اختصاصها بالاعراض كالالآم فنى الحقيقة أكثر استعمالاتها للحساسية العصبية والسهر والآفات المؤلمة من جميع الانواع فهى فى ذلك أنفع منه وتنال منها نتائج جيدة وأمثلة ذلك عند الاطباء كثيرة وسيما تجريبات بالى وماجندى وجيرار وغيرهم وأكثر استعمال المرفين وأحسن منه املاحه وضعا على الادمة فى الوجع الروماتزمى المزمن والاوجاع العصبية المختلفة الانواع كالآلام القطنية والنسائية حيث قال بالى من استعمالها فى ذلك نتائج جليلة فجائية وبلغ بعضهم بالكمية الى ٦ قمحات من الباطن فى وجع عصبى قطنى متقطع قوى الشدة فزال بذلك حالا

واستعمل جيرار وضع الخلات والكبريتات من الظاهر على الجلد ووجد فعلها قويا بمقدار نصف قمحة الى قمحتين بل ٣ قمحات تزدرد من الباطن لتدخل فى الطرق الاولى وشفى كثيرا بهذه الادوية من الباطن أوجاع عصبية وجبهية وأوجاع معدية مزمنة ونجح استعمال الخلات فى آلام استيروس الرحم وفى الاوجاع التى تحصل فى النساء بمجىء الحيض وشوهد أن مقدارا منه من قمحتين الى ٦ قامت فى النفع مقام ٣٠ بل ٤٠ قمحة من الافيون فى مصابة بسرطان رحمى مصحوب بأوجاع شديدة وأن صداعا مصحوبا بسهر شفى بمقدار من ثمن قمحة الى قمحة وعلى رأى ريكود انه اذا أعطى منه ربع قمحة كل ساعة فى ملعقتين من ماء سكرى فى ابتداء الشقيقة فانه يقطع نوبها وحقق ذلك جملة من الاطباء واتفق ان مريضا كان

يحصل له عسر ازدراد مصحوب بتشنجات وفواق وفقد معرفة متى اراد ان يأكل ومكث على هذه الحالة خمسة عشر يوما فانقاد ذلك لوضعين من نصف قمحة من كبريتات المرفين تحت الحنجرة على الادمة المتعرية وقد ذكرنا ان قمحتين وضعتا على نفاطة فأبرأتا تيتنوسا نتج من استعمال جوز القيء وشوهد كثيراً شفاء تيتنوسات ناشئة من اسباب اخر كالفزع والاعمال الجراحية وشفى هذيان مهول قوى الشدة باستعمال ٨ قمحات قسمت اربع كميات وبالجملة ثبت بالتجريبات نفع الخلات فى آفات عصبية مختلفة وفى التهابات مزمنة فى الجهاز التنفسى والهضمى وثبت فعله المسكن فى الآفات المزمنة فى القلب وفى الاستعداد السرطانى ووجدوه أحسن من المستحضرات الافيونية الاخر فى الآفات النزلية للصدر . وشفيت أيضا اوجاع بلوراوية بوضع نصف قمحة منه الى قمحتين على الادمة العارية من بشرتها . ونفع ايضا فى انورسما الاورطى الصدرية المصحوبة بآلام وسهر فسكنت تلك الاعراض باستعماله ومدحه بعضهم فى الانزفة الرحمية وسيما المصحوبة بأوجاع فى الرحم أى بعد استعمال الفصد فى الاول

(المركبات الاقرباذينية للمرفين وأملاحه) ينبغى ان يكون مقدار المرفين وأملاحه فى الابتداء من ثمن أو ربع قمحة ونادرا نصف قمحة ويكرر حسب الحاجة مرتين او اكثر فى اليوم والاعتياد لايزيل من التأثير الا شيئا يسيرا كما شاهد ذلك ماجندى وبالى ولذ لايزاد المقدار الا بعد كثير من الايام حتى يبلغ قمحة اوقمحتين فى اليوم مع الانتباه لنتائجه . وحبوب المرفين تتكون فى العادة من سنتغرام واحد أو ٢ من المرفين أوخلاته أو أدروكلوراته وكبريتاته ويقسم هذ المقدار فى كمية كافية من مدة لعابية ومسحوق عديم الفعل ومن حيث ان المرفين قل ذوبانا من املاحه يكون تأثيره أقل شدة منها وكبريتات المرفين تسهل اذابته نقيا فهو المختار فى العادة ومع ذلك قد يكون من النافع تغيير تلك الاملاح بعضها ببعض اذا اعتادها المريض

وشراب المرفين يصنع بأخذ ٥٠٠ غرام من شراب السكر و ٢٠ سنتغرام من خلات المرفين فيصنع ذلك بمقتضى

الصاعة شرابا يمكن ان يقوم مع المنفعة مقام شراب الخشخاش والمقدار منه ملعقة قهوة في كل ٣ ساعات فاذا أبدل خلات المرفين بكبريتاته نيل شراب كبريتات المرفين الذى يستعمل كما ذكر . والجرعة المضادة للوجع المعدى (سندراس) تصنع بأخذ ٤٠ غراما من الماء و٥ غرامات من السكر و١٠ سنتغرام من كلورادرات المرفين ويستعمل من ذلك ملعقة قهوة متى استشعر بالوجع ويجدد استعمال تلك الملعقة كثيراً أو قليلا على حسب شدة الوجع وتقله عند الاحتياج الى أن تفرغ الجرعة مع أن الغالب سكون الوجع وخلاص المريض من الداء بعد استعمال بعض ملاعق وبين كل ملعقة وأختها ١٠ دقائق . ومرهم المرفين يصنع بأخذ ديسغرام واحد من كلورادات المرفين و٦ غرامات من الشحم الحلو البلسمى بمزجان ويدلك به الجزء المتألم وهذه الواسطة مستعملة فى معظم الاوجاع العصبية عند سندراس واستظهر أنها إما مساعد قوى للمرفين أو قائمة مقامه فى الوضع على البشرة المتعرية ولقد حصل من إستعمال هذا المرهم نجاح عظيم بوضعه على أجزاء الوجه المتألمة بالاوجاع العصبية التى يجلسها فى الزوج الخامس وكذا على مسير العصب التسوى فى أوجاعه العصبية وعلى القسم القلبى فى الاوجاع العصبية التى تحصل فى القلب وعلى مسير الاعصاب التى بين الاضلاع إذا كانت تلك الاعصاب مجلسا للداء وعلى القسم القدمى أو الاربى أو المعدى إذا لزم الوضع على تلك الاقسام

(الخلاصة الطبية)

﴿المورو﴾ هو نوع من السمك يستخرج من كبده الزيت المعروف بزيت السمك وهذا الزيت لشيوعه نرى أن ننقل هنا عنه ماذكرته المادة الطبية فقد جمعت خواصه فأوعت مما يهم معرفته والاطالة فى هذا الموضوع خير من الايجاز :

قد يقال له أيضا دهن كبد مورو بضم الميم والراء وهو دهن يستخرج من كبد حيوان بحرى يقال له بالافرنجية مورو وباللسان الطبيعي غادوس مورو وقد يقال مرلوسيوس بكسر الميم وكما يستخرج من كبد مورو يستخرج أيضا من كبد أنواع أخرى من جنس غادوس مثل كبد السمك المسمى بالافرنجية ربه

بفتح الراء واللسان الطبيعي رابا يستناكا وجنس غادوس يحتوى على أنواع كثيرة يقل الاهتمام بها فى الطب وانما المهم منها فيه هـذا الحيوان المسمى مورو والنوع المسمى مولان أى البورى المهم فى المأكل وتعيش تلك الحيوانات فى أوقيانوس متجمعة مع بعضها فتكون فى البحر بهيئة قطائع وهى جزء مهم من صـيد السمك لحمها أبيض مورق وسـليمة غالبا ولذيذة فى المأكل والنوع الذى نحن بصـدد دهنه سمك يطول جملة أقدام ويسكن بالأكثر البحر الشمالى وسيما صخور الارض الجديدة التى هى جزيرة بأمريكا الشماليـة حيث يصـاد بكثرة ويكون للارلنديين غذاء اعتاديا كما يكون لغيرهم من الاغذية العظيمة النفع واذا كان طريئا سمى أيضا بالافرنجية قابليو ويسمى بذلك عند الهولنديين وهو جيد للأكل واذا جفف وملح كان فى الغالب قشريا عسر الهضم غالبا ولكنه نافع واذا قلل ملحه ولطف بالزبد الطـرى ونحوه كان قاعدة لمآكل فاخرة يسئل عنها . وجلده دسم لذيذ الطعم وكبده جيـدة المأكل وكانوا سابقا يستعملون مسحوق اسنانه والحجارة التى فى رأسه بمقـدار من ١٠ قمحات الى ٣٠ كدواء ماص نافع للصرع والاسهال وسلامورته كدواء محلل ويجفف اذا وضعت من الظاهر وكملين لطيف اذا اعطيت حقنة ولكن النافع منـه الآن بالنظر العلاجى دهن كباره وهو المهم لنا وكما يسمى دهن كبد السمك وهو غير الدهن الاعتيادى للسمك الذى يغش به غيره من الادهان

(تحضير هـذا الدهن وصـفاته)

تستخرج اكباد تلك الاسماك بعد صـيدها وتلقى فى دنان معرضة للشمس فيسيل منها دهن صاف قليـل الرائحة يسئل عنه فى المتجر ولكن خاصته الدوائية قليلة بل معدومة ثم يحصل فى تلك الاكباد بعض تعفن وينفصل منها مقدار جـديد من دهن أسمر شـفاف طعمه سمكى واذا ازدرد حدث عنه احساس غض فى عمق الحلق فهذا نوع ثان معروف أيضا فى المتجر وهو فى الطب أقوى فاعلية من الاول ويتم استخراج الدهن بالقاء هـذه الاكبـاد المتعفنة فى طنجـير من مخلوط المعادن وينفصل منها بالغلى ودهن ثالث اسمر فيه بعض شـفافية ورائحته

سمكية كريهة شياطية وطعمه حريف قوى وهذا هو الذى يلزم استعماله فى الطب دون غيره من الصنفين الآخرين ولكن بعد اجتنائه منعزلا عن الحبوب التى تتكون من المواد الازوتية يلقى على خرقة أو منخل من الصوف فاذا سال معظمه يضغط على ما فى منخل الصوف بملوق ثم يترك بعد ٢٤ ساعة والدهن المنال بذلك حيث لم يبق فيه ماء يترك ونفسه بعض ايام لترسب منه مادة بيضاء متجمدة فاذا انقطع الراسب يرشح ويحفظ للاستعمال واكباد السمك المسمى ريه يخرج منها اكثر من ربع وزنها زيتا مرشحا واذا فعل الطبخ من أول الامر فى الاكباد كان الجزء منها اصفر ذهبيا ورائحته كرائحة دهن القيطس أى البالين أو السردين الطرى وبالجملة فالزيت الموجود بالمتجر ثخين اسمر وثقله الخاص ٩٢٨ر٠ واذا سخن الى ١٥٠ درجة لم يتحال تركيبه واذا نزلت حرارته الى ١٥ تحت الصفر لم يرسب منه راسب كما قال مردير

(صفاته الكيماوية) هو مركب من ١٣٠ر٠ من راتينج رخو اسمر يذوب فى الاتير و ١٥٦ر٠ من راتينج صلب اسود و ٩٣١ر٠ من الملام و ٥٩٠ر٠ من الحمض اونتيك أى الدهنى و ٨٠٠ر٠ من الحمض مرجريك أى اللؤلؤ و ٠٠ر١٨ من جلسرين و ٢٥٠٠ر٠ من مادة ملونة ويحتوى ما عدا ذلك على يود لكن بمقدار يسير فقد استخرج من لتر من دهن مورو ١٥ سنتغراما من يودور البوطاسيوم ومن دهن ريه ١٨ سنتغراما. انتهى من بوشرده

وقال تروسوتوم الطبيب (كلب) سابقا وجود اليود فى هذا الدهن فترجى مبغير الاقرباذينى بمدينة أورم أن يحقق ذلك فحصلت التجربة بالكيفية الآتية وذلك انه أخذ رطلا من دهن اكباد هذه الحيوانات الذى هو اصفر مسمر محمر وصوبنه بمحلول الصودا الكاوى المفرط المقدار ثم كرر الصابون المنال وغسل الفضلة غسلا قلويا ثم أضيف للمحلول الحمض الكبريتى لكن لم يصل به الى الشبع التام ثم بلور كبريتات الصودا وبخرت مياه الام الى الجفاف ووضعت الفضلة فى قنينة صغيرة مع يسير من الماء وأضيف لها الحمض الكبريتى المركز مع يسير من بيروكسيد المنغنيز فحينئذ أخذت ورقة

منشاة وثبتت فى السدادة فتلونت بزرقة جميلة وعولج جزء آخر من الفضلة بالنشا والحمض النترى فحصل منه أيضا يودور النشا الازرق ونتج من عمل آخر ان الدهن القاتم اللون يحتوى على يود أزيد بقليل من الدهن الزاهى اللون . وتبحث عن قريب فى الدهن المسمى دهن برجان بكسر الباء المأخوذ من أنواع مختلفة من جنس غادوس فعلم أن دهن مورو هو الاحسن والاكثر فنتج مما ذكر أن لهذا الدهن ٣ أصناف الدهن الابيض الذى ينفصل بنفسه من الاكباد المتراكمة فى الدنان والدهن الاسمر الذى ينفصل فيما بعد والدهن الاسود الذى يسبح على سطح الماء الذى غليت فيه الاكباد التى تجهز منها قبل ذلك الدهن الابيض والدهن الاسمر . انتهى وقال ميره فى الذيل ذكر هوس أن الأجود هو الاسود وان الابيض عديم الفعل وان الاسمر فيه بعض خواص ولكن لاتبلغ خواص الاسود انتهى . وفى تروسوان الاصناف الثلاثة حللت تحليلا كيماويا ونتج من تلك التحاليل أن دهن الاكباد بقطع النظر عن أجسامه الدسمة ومواده الصفراء التى يتكون منها أعظمه وعن اليود الذى انكشف فيه من زمن طويل يحتوى على كلورو وبروم وفصفور ومن وجود هذه الاجسام الثلاثة التى لها خواص قوية يتضح لنا التأثير الخاص لهذه الادهان فى بعض الامراض وكان ذلك التأثير منسوبا قديما لليود ولكن لاينبغى أن ينسب له وحده وانما الفعل الجليل المخصوص بهذه الادهان فى لين السلسلة ينسب للفصفور كما هو قريب للعقل وثبت من التحاليل الجديدة القواعد الفعالة وهى اليود والفصفور وغير ذلك تكون فى الدهن الاسود بمقدار أكبر مما فى النوعين الآخرين وأن هذا الاسود يحتوى خلاف هذا على مقدار يسير من الحديد وبالجملة استحق دهن مورو أن يعد الآن من الجواهر الدوائية التى تذكر فى المادة الطبية

(التأثير الصحى) علم من ٧١ مشاهدة استخرج رستير نتائجها انه شوهد غثيان فى ٣ أحوال وقىء فى ٣ أيضا وحصل فى حالة واحدة فقد شهية وحس احتراق وشوهد نقص الشهية فى المصابين بلين السلسلة وشوهد فى ١٧ زيادة استفراغ

معوى وفى ٨ زيادة افرازبولى مع رسوب فيه وشوهد ايضا فيضان طمثى وفى ٩٢ تعريق وأحيانا ظهرت رائحة الدهن فى العروق وفى ٧ حرارة فى الجسم يسبقها احيانا أكلان محرق فى الجلد وأحيانا أخر اندفاع نكت صغيرة حمر مع أكلان وبالجملة فالتأثير الصحى قليل

(التأثير العلاجى) تأثير هذا الدواء فى داء السلسلة واضح بحيث يستحق أن يأخذ له محلا جليلا فى صناعة العلاج فقد اتفق أن طفلا عمره سنتان لانت سلسلته فاستعمل فى الصباح وفى المساء نصف ملعقة من الدهن وتم شفاؤه حينما استكمل ٢٥٠ غراما وطفل آخر كذلك شفى بعد استكمال ٣٠٠ غرام وتكررت أمثلة من ذلك فى الصغار وكان مقدار مايستعملون من نصف ملعقة الى ملعقة من هذا الدهن وليس ظهور فاعلية الدواء من تغيير التدبير الغذائى أو دخول الفصل الجيد أو ابتداء دور النمو والغالب ظهور الجودة بعد أسبوع أو أسبوعين من استعماله بالاسنان تنظف وتتصلب بعد إسودادها وتحركها وتبتدىء الاطفال فى استمساك الساقين بل يمشون إذ كانوا فى سن المشى وتحسن حالة هضمهم وتصير أبدانهم أكثر ارتخاء وسيما فى القسم الكبدى ويزول منهم الجوع الكلبى أو فقد الشهية الذى كان مع حموضة المعدة ويعود الشكل الطبيعى للاضلاع التى كانت ملتوية واشتهرت مشاهدات كثيرة فى بلاد النمسا من هذا القبيل حتى فى البالغين . وأعاد تروسو تلك التجريبات فأكد انه يؤثر تأثيرا سريعا نافعا فى الاطفال المصابين بذلك ونال نجاحا بسرعة كانت غير مؤملة . قال وشاهدنا أحيانا بعد أربعة أيام أو خمسة من العلاج قطع الأوجاع الحادة التى تكون مع الاطفال فى جميع أطرافهم وكثيراً ما اكتسبت العظام التى كانت سهلة الانثناء من اللين صلابة عظيمة بعد خمسة عشر يوما واتفق ان امرأة مصابة بلين العظام في أعلى درجة ولا يمكنها أن تحرك طرفا من اطرافها أن هيكلها رجع لصلابته ومتانته بعد شهرين من العلاج وصارت ممتعة بصحة جيدة قال وقبل أن نعتاد على ممارسة أمراض الاطفال وتشخيصها كان يشتبه علينا كما كان يشتبه على غيرنا داء السلسلة بالخنازير مع ان داء الخنازير

كثيراً مايتضح بآفات درنيـة وأما لين السلسلة فلا تظهر فيه درنات أو أقله أن مصاحبته لذلك نادرة على أن هذه التولدات العارضية توجد فى معظم الاطفال الذين يموتون بمرض مزمن.وكان يشتبه علينا مرضان متميزان عن بعضهما أحدهما الاستحالة الدرنية فى العقد المساريقية والاستسقاء السمباتوى أى الاشتراكى لداء السلسلة فمن المهم ان يعرف أن أغلب الاطفال المصابين بالراشيتس يعظم فيهم الكبد ويحصل فى بريتونهم انصباب مصل يكون فى الغالب كثيرا وذلك الانصباب يمتص مواده بأسهل وجه مع شفاء داء السلسلة ويظن الاطباء الغير المجربين انهم ابرأوا بدهن مورو هذا الداء المهول الذى يندر شفاؤه أى الاستسقاء البريتونى. ويقول أيضا أن الراشيتس داء يبتدىء غالبا فى خلال السنة الثانية من الحياة وأما الاستحالة الدرنيه المساريقية فهى آفة نادرة فى الاطفال الرضع بحيث تكاد لاتشاهد بالمارستانات مدة سنين فلا يفتح فيها الاجثة طفل أو طفلين ماتا بداء المساريقا أى استحالتها الدرنية ونحن

ماأردنا بذلك المنازعة فى منفعة هذا الدهن فى علاج الخنازير المحقق فانا نعلم انه شفى به عقد محتقنة جداً درنية أى باستعمال مقادير كبيرة منه أى من ٢٠ إلى ٣٠ غراما فى اليوم ولما نجح على يد كثير شفاء الخنازير العقدية بهذا الدواء تجاسروا على تجربته فى داء أثقل جداً من الاستعداد الخنازيرى وهو السل الرئوى فكان بريز من أشد الناس حماية لذلك التداوى وعرض لديوان العلماء مؤلفا نسب فيه له أحوالا كثيرة من الشفاء . قال تروسو وقد أعدنا كثيرا تجريباته فوجدناه فى معظم الاحوال عديم النفع كغيره من المداواة التجريبية والمعقولة التى تستعمل كل يوم فى هذا السبيل وأما نفعه فى الروماتزم المزمن فلم يتوافقوا عليه مع أن مشاهدات سنك تفيد نفعه فى ذلك نفعا جيلا لكن تلك المشاهدات التى ذكر أن موضوعها داء روماتزمى ربما كان موضوعها أمراضا فى النخاع والعمود الفقرى لا أوجاعا روماتزمية حقيقية . على أن أحوالا من البربلجيكيا المؤلمة (أى شلل ماهو أسفل الحجاب الحاجز) متى مكثت مدة سنين وأحوالا من عرق النسا المفرد

أو المزدوج الناشىء كما هو قريب العقل من مرض فى طرف النخاع الفقرى انقادت سريعا لتأثير هذا الدهن بعد أن كان غيره من الادوية عديم النفع وذكرت مشاهدات تثبت فاعليته فى الامراض المزمنة أو الخنازير فى المجموع العظمى لكن فى كثير من الاحوال قد تزيد الاوجاع الروماتزمية من الكميات الأولى وبالجملة حصلت منازعات بين الاطباء فى هذا الدهن فأنكر كثير من أطباء البلجيق والنمسا خواصه الدوائية وقالوا أن مثله فى الخواص الدهن المسمى فى المتجر بدهن السمك المستخرج من الاسماك القشرية الكبيرة واستحسن هذا الرأى بريطونو وأمر لمرضاه بدهن القيطس أو دهن السمك بدون فرق بينهما ويقال انه نال من ذلك نجاحا واستعاض دبواس عن دهن مورو بدهن الخشخاش نتاكول واستعمل دهن القرنفل فى ١٤ من الراشيتس وفى ١٠ من أمراض خنازيرية مختلفة ولكن نتائجه لم تكن انفع من نتائج دهن مورو وأمر بوفان فى أحوال من الآفات الخنازيرية كالتيبسات العقدية والقروح الخنازيرية وانتفاخ العظام مع

تسوس أو بدونه باستعمال شحم الخنزير وأعطائه للمرضى على الحواء بمقدار ٨ غرامات وبعد الازدراد حالا يأكل المريض فى أى شوربة كانت الجزء الشحمى الذى سال من الشحم بفعل الحرارة وبعد ساعة يستعمل طاس قهوة مع شقق من الخبز مدهونة بالزبد فاذا كان الداء خفيفا كفى ٤ أسابيع أو ٦ لاتمام الشفاء واذا كانت الاعراض ثقيلة أدمن استعمال ذلك ٣ أشهر ». الى أن قال بعد ذكر امكان مساعدة فعل الزيت بأكل اللحم وهو رأى قد ظهر بطلانه. وجرب بوير فى كثير من الامراض ادهانا مختلفة الانواع كزيت الزيتون وزيت الخشخاش وزيت الكتان وزيت السمك وتلك الزيوت لم تستعمل الا من الظاهر دلكا على جميع سطح الجسم بواسطة اسفنجة رقيقة فتسخن تسخينا لطيفا وتفعل الدلكات عادة فى المساء ثم يلف المريض فى رداء من الصوف ويترك كذلك مدة ساعتين وأول ظاهرة تشاهد حينئذ عرق كثير ينتشر على سطح الجسم وكثيرا مايصحب ذلك فى الاطفال اندفاع شبيه

فى المنظر بالحرة . والنتيجة الثانية العظيمة الاعتبار هى سكون المجموع العصبى الذى لايلبث قليلا حتى يظهر بنوم هادىء عميق . والنتيجة الثالثة هى ازدياد جميع الافرازات وسهولة النفث أى التنخم وكثرة البول وفاعلية جيدة فى وظائف الكبد . وآخر النتائج هو مايشاهد سريعا فى الاطفال وهو ان البراز الذى كان اخضر حمضى الرائحة يصير أصفر فى منظره الاعتيادى . فانه يصح أن تؤمل نتيجة جيدة فى الدلكات الزيتية فى جميع الآفات والاوجاع العصبية والتشنجات والروماتزمات ونحو ذلك حيث تكون من الظاهرات المذكورة دلالات رئيسية على الحالة المرضية وماعدا ذلك يصح ان يعتبر الدهن دواء ذاتيا حقيقيا للامراض التى طبيعتها خنازيرية وتلك الدعوى مبنية على تجربيات عديدة فعلها الطبيب المذكور فى أشكال مختلفة من الآفات الدرنية ويظهر منها أن الدلكات الدهنية تؤثر فى الأحوال التى من هذا النوع بأن تصير الهضم الاثنى عشرى أقوى فاعلية ويزيد فى مقدار الكيلوس ويجعل البنية فى أحوال مخالفة للاحوال التى تعين على ظهور الخنازير وينبغى أن يعلم أن استعمال هذا الدهن سواء من الباطن أو الظاهر لايخلو من اخطار فاذا دخل فى المعدة خيف من الغثيان وعدم الهضم واستعماله دلكا يلوث الخرق والملابس ومع ذلك قد يكون تحمل القذارة بالاستعمال من الظاهر أسهل مما ينتج من الازدراد ولذا كانت تجربيات برير كلها بالدلك ويمكن فى الاحوال التى كانت منشأ المرض فيها ارتفاعا جزئيا الى الباطن أو غيبوبة مرض خنازيرى أن الدلكات تعيد الآفة للجلد بعد أن يجرب غيرها من الوسائط بدون منفعة ونال بريز نتيجة واضحة فى حالتين من الاندفاع القوباوى فى البالغين الذين كانوا عرضوا لمعالجات أخر وكذا فى حالتين من السل الدرنى المؤكد مع حمى دقية فى احداها فساعدته المقادير على شفائهما بذلك فى زمن يسير ومع ذلك اعترف بأنه يلزم فى هذا الداء المهول إعادة التجربيات وكان فى الاحوال التى من هذا القبيل لم يقتصر على استعمال الزيت من طريق الدلك بل أمر أيضا باستعماله حماما مع

استنشاق الابخرة الزيتية المعلقة بأجزاء الهواء المحيط بالحمام . قال تروسووهذاغير معلوم لنا إذ لايخفى ثبات هذه الاجسام أى الزيوت وامتد النجاح مع هذا الطبيب للاستسقاء الحاد فى الاطفال المختزرين فاستعمل أولا العلاج الاعتيادى المعقول لهذا الداء منضما مع الزيت ثم استعمل هذا الجوهر الاخير وحده من إبتداء العلاج الى انقطاع العوارض انقطاعا تاما . انتهى . فتلخص مما ذكرنا أن هذا الدهن قوى التنبيه يستعمل علاجا للين السلسلة والاورام البيض وتسوس العظام الحاصل من آفة خنازيرية وجميع الآفات الخنازيرية والدرن والروماتزم المفصلى وبقية الاوجاع الروماتزمية والنقرسية والامساك المستعصى وسلس البول ولكن شهرته الكبيرة فى لين السلسلة والعظام فبتقويته يقهر اللين . ومدحوه أيضا لازالة نكت القرنية واستعملوه حقنا علاجا للديدان الصغيرة

(المقدار وكيفية الاستعمال) هذا الدهن يمزج عادة بشراب أو بمربى للاطفال الذين عمرهم سنة أو سنتان والمقدار من غرام إلى ١٠ ولم يجاوز تروسى هذا المقدار ولكن يزاد للمتقدمين فى السن وقد تكرهه الاطفال فى اليومين أو الثلاثة الاول ثم يستطعمونه بل يتطلبونه وهناك من يرفض تعاطيه . وأما الغثيان والقىء والاسهال التى قد تسببها المقادير الاول فتزول بنفسها . ولكن هناك عارض متعب وهو الاندفاع الاجزنياوى أو الحوصلى الذى يحصل منه للاطفال أكلان شديد ويدوم ذلك مدة استعمال الدواء والمقدار منه للاستعمال من الباطن خالصا من نصف ملعقة قهوة إلى ملعقتى فم أو ٣ تكرر مرتين فى اليوم ويستعمل بعد كل مرة قليل من منقوع القهوة أو كاس من منقوع عطرى ثم تعتاد المرضى على طعمه بعد كراهتهم له . ويستعمل أيضا من الظاهر خالصا دلكات تكرر مرتين أو ٣ فى اليوم على محل الآفة ويوضع منه نقط بين الاجفان فى أمراض الاعين . انتهى بوشرده . وقال ميره يعطى من الباطن فى اليوم بمقدار من ٣ ملاعق إلى ٤ من ملاعق الفم للبالغين ومثل ذلك العدد من ملاعق القهوة للاطفال ويمزج لهم شراب أو لعوق أبيض بحيث تأخذه الاطفال مع اللذة . أما البالغون فمن حيث

انه قد يسبب قلسا كريها ينبغى مضمضة الفم بعد ازدراده ومضغ بعض خبز أو تعاطى بعض أجسام عطرية أو روحية بمقدار يسير . وقال انه كثيرا ما يجمع للاطفال مع تحت كربونات البوطاس وقليل من دهن طيار . انتهى . ثم انهم أدخلوه فى مركبات وجعلوه أساسا لها وخصوصا فى الاستعمال من الداخل لأجل اخفاء طعمه فصابون دهن كبد مورو يصنع بأخذ ٩٠٠ غرام من دهن مورو و ٨٠ غراما من الصود الكاوى و ٢٠ غراما من الماء يذاب الصود فى الماء ثم يمزج حسب الصناعة المحلول مع الدهن ويصح ان يستعمل ذلك الصابون بكيفية استعمال اللصوقات ويخدم للتغيير على الجروح لأنه غير قلوى وكل ٨ غرامات منه تحتوى على ٥ غرامات ونصف من الزيت . وصوبنة يودور البوطاسيوم مع صابون دهن مورو تصنع بأخذ ٤ غرامات من يودور البوطاسيوم و ٤ غرامات من الماء العام و ٣٠ غراما من ماء صابون دهن مورو تمزج حسب الصناعة بحيث ينال من ذلك مخلوط متجانس الطبيعية جيدا . وبلسم دهن مورو يصنع بأخذ ٦٠ غراما من كل من صابون دهن مورو ومن الكؤول الذى فى ٩٠ من المقياس المئينى لجيلوساك . يذاب الصابون فى الكؤول على درجة حمام مارية ثم يصب المحلول فى قنانى يلسم أوبورلدوك تسد بعد ذلك مع الانتباه فاثنان وثلاثون غراما من هذا البلسم تحتوى على ١١ غراما من دهن كبد مورو وحبوب صابون دهن كبد مورو يصنع بأخذ ١٠ غرامات من صابون كبد مورو يحبب الصابون فى مسحوق صمغ الكثيراء ثم يقسم حسب الصناعة ٢٠ حبة متساوية تستر رائحتها بتغطيتها بطبقتين متواليتين من عسل وصمغ فلأجل ذلك يذاب على الحرارة ٦٠ جزءا فى الوزن من عسل ابيض صلب فى ٦ أجزاء من الماء ويستخدم المحلول المنال لأجل تندية سطح الحبوب ثم تترك هذه الحبوب لتسقط على مسحوق صمغ الكثيرا فاذا انغتات بالمناسب فى هذا المسحوق تترك ونفسها حتى تجف ثم تعالج مرة ثانية بالكيفية التى ذكرناها بالماء المعسل ومسحوق الصمغ وهاتان الطبقتان تكفيان لمنع الرائحة والطعم الخاصين بالصابون بحيث لا تدركهما

حاسة الشم ولا حاسة الذوق فى المريض وكل حبة من تلك الحبوب يوجد فيها ٤٠ سنتغراما من الصابون وتحتوى على ٢٧٥ مليغرام من الدهن . وجرعة دهن مورو تصنع بأخذ ٩٠ غراما من الدهن و١٥ غراما من الصمغ العربى و٦٠ من كل من الماء ومن شراب الافيون تمزج حسب الصناعة . واستعمل رابير هذه الجرعة ٤ أيام بثلاث كميات علاجا للالتهابات الرئوية المزمنة والمعدية المزمنة وشراب دهن مورو يصنع بأخذ ١٢ جزء من السكر وجزء من كل من اللوز المر ومسحوق الصمغ و٢ من الدهن و٦ من الماء النقى يجروش اللوز مع الصمغ ويقصر السكر ثم يضاف اليه شيئا فشيئا الدهن مخلوطا قبل ذلك بالماء ويصوّل ذلك زمنا طويلا ثم يضاف له شيئا فشيئا باقى الماء اللازم دخوله فى الشراب ثم يصفى السائل المستحلب ثم يذاب السكر على حرارة لا تتجاوز ٤٠ مئينية لأجل التحرس من تجمد الجزء الزلالى الذى فى اللوز . ومرهم دهن مورو يصنع بأخذ ٢ جزء من خلاصة المبياب ومثلها من دهن مورو وجزء من المرهم اليمونى و ٤٨ من مخاع العجول تمزج حسب الصناعة واستعمله قارون فى بعض الارماد المزمنة ومرهم آخر يصنع بأخذ ١٥ جزء من الدهن و٨ من تحت خلات الرصاص الذائب و ١٢ من مح البيض يمزج ذلك ويستعمل فى التنيير على الجروح الخنازيرية التابعية وفى التهاب وتقرح العقد الليمفاوية

﴿الموز﴾ جاء فى كتاب الزراعة المصرية التى أصدرته الحكومة:

يطلق اسم الموز والطلح فى كثير من البلاد على نوع واحد من الفاكهة بلا تمييز الا اذا دققنا فى القول فان الطلح يطلق على النبات الكبير ذى الثمر الاطول والاصلب والاقل عطرا عادة ولبه نشوى اما الموز فانه متى نضج يكون أكثر سكرا وأقل نشاء واطيب رائحة

ويزرع فى مصر كل من الموز والطلح فأما الموز فمنه نوعان احدهما الموز الحقيق والموز الصينى

وهناك أنواع أخرى منه مثل النوع المسمى انست والنوع المسمى رؤساسيا الا أن هذين النوعين يزرعان بقصد الزينة لحسن أوراقهما والموز من بين

النباتات الحشيشية الغزيرة الكثيرة الانتشار فى الاقاليم الحارة والتى تليها التى تستدعى عادة التفاتا خصوصيا لانه من الامثال العجيبة التى تدل على فخار المزروعات فى الاقاليم الحارة ومع ذلك فمن هذا الشجر الشبيه بالنخل ليس خاصا بالاقاليم الحارة بل هو أيضا فى كثير من الممالك الاقل حرارة فى كل من نصف الكرة فانه يزرع فى أنحاء منطقة عظيمة ممتده بين درجات العرض ٣٧ أو ٣٨ شمالا و ٣٥ جنوبا ولو أن زراعته ليست متواصلة

وليس لهذه الفاكهة فى افريقا أهمية تضاهى أهميتها فى آسيا وأمريكا الا فى غينيا وجزائر كناريا وجزائر مادير وجزائر مدغشقر حيث يزرع كثير من الموز الوطنى

ولايوجد الموز على الشواطىء الشرقيـة الا قليـلا فى الحبشة والنوبة ومصر ويوجد أيضا فى الجزء الشمالى من افريقا حيث أدخـل زراعته العرب الا أنهم لم يعتنوا إعتناء عظيما أبدا بهذه الزراعة . أما فى أوربا فان زراعته خاصة بالجنوب وعلى الاخص فى جنوب اسبانيا وصقلية

وقد ذكر مسيودى كاندولى أن موطن هذا النبات هو جنوب آسيا ولكن زراعته الآن تكاد تكون عامة فى المناطق الحارة التى تليها لانه من أسهل الفواكه زرعا وأكثرها فائدة إذا نجحت زراعته إلا أن الريح الشمالية الشديدة قد تهلك محصول العام فى ليلة واحدة إذا لم تحصن الاشجار من تأثير الرياح خصوصا إذا كانت مزرعة بقرب شاطىء البحر

وقد ذكر كل من الموز والطلح عند اليونان والرومان إلا أنه من المدهش أن المصريين واليهود لم يعرفوها فان هناك جملة أسماء باللغة الهندية القديمة لفواكه يطلق العرب عليها إسم موز الذى هو إسم جنس مفرده موزة

(أوصافه النباتية) الموز مع أنه فى الواقع نجم إلا أنه فى الظاهر يشبه الاشجار وأعظم وجه الشبه بينه وبين النجم هو أن ساقه الشبيهة بسيقان الشجر يتكون أسفلها من جملة أوراق يغلف بعضها بعضا وهى لينة أسفنجية خالية من التركيب الخشبى وارتفاعها من متر ونصف الى تسعة أمتار بحسب الانواع المختلفة

وتنشأ السيقان الجديدة من البراعيم على جذر النبات أو فى القسم الداخل فى الارض وهذه السيقان المعروفة فى العادة بالفسائل هى التى ينشأ منها التوليد أى تكوّن نباتات جديدة وقد تكون الاوراق عديمة العنق نادرة جدا الا انها فى الغالب يكون لها ساق سفلى قوى سميك وعصب بارز

وتنشق الازهار من سنابل كبيرة طرفية من مركز تاج الاوراق وهى مرتبة على السنابل على شكل عنقود شبه حلقية والازهار موضوعة بحيث تنتهى ببراعيم ورقية بيضاوية تحمل على محاورها الازهار التى لم تفتح

وطول الثمرة يختلف بين ٥ سنتيمترات و ٣٠ سنتيمترا كما تختلف أيضا فى المذاق وفى مقدار المادة السكرية وغير ذلك ولونها من الخارج أصفر غالبا خالية من الحبوب عادة

ويزرع الموز والطلح فى مصر كثيرا منذ قرون عديدة خصوصا فى شمال الدلتا حول الاسكندرية ودمياط ورشيد وانما يزرع على مقربة من شاطىء البحر أكثر من الجهات البعيدة عنه إلا أنه لم تبذل همة لتحسين نوعه

وكلا النوعين نبات عالى الساق ولا تنجح زراعتها قرب شاطىء البحر لااذا أحيطا بسياج أو حائط عال ليقيهما من الريح الشمالى الشديد المتوالى وقد ترك زرعها فى الازمنة الاخيرة

ومنذ سنين قليلة أدخلت زراعة الموز القصير المسمى بالموز الصينى أو الموز الكافانديشى أو الموز المسمى سنيسيس الذى يبلغ ارتفاعه الى مترين ونصف ويعطى محصولا وافرا فينجح نجاحا عظيما خصوصا قرب الاسكندرية عند القبارى والرمل وغيرها والاراضى التى على الترعة المحمودية . ويجود زرعه كثيرا فى شمال الدلتا ويعطى فاكهة جيدة جدا ولها خاصية المكث طويلا ونظراً لقصر قامته فهو أقل تعرضا للتلف بالريح الا انه لسوء الحظ قد اصبح اخيراً فريسة الدودة المسماة (نيماتود) أو الدودة الخيطية التى تسرى فى الجذر فتهلك مساحة واسعة من الموز

وأهم أنواع الموز الذى يزرع فى مصر الانواع الآتية :

١ — الموز البلدى أو الموز الحقيق

٢ – أصبع الست
٣ – الهندى او الصيف
٤ – الامريكى
ويسمى أيضا موز آدم أو تين آدم

والبلدى مرتفع وكثيراً مايصل الى ارتفاع عظيم فقد يكون نحو ٤ أمتار ونصف ويزرع على الخصوص بعيدا عن البحر وهو أكثر الانواع انتشاراً فى حدائق القاهرة وثمره قصير نوعا غليظ خال من حب وطوله من ١٠ الى ١٥ سنتيمتراً وهو من الخارج اخضر مصفر واللب يشتمل على مقدار عظيم من المواد السكرية طيب الرائحة جداً لذلك الطعم يطلب كثيرا ويثمر من أوائل الخريف لغاية الربيع

أما أصبع الست فهو ذو فاكهة صغيرة رفيعة خالية من الحبوب منحنية نوعا طولها نحو سبعة أو ثمانية سنتيمترات ولونها من الخارج أصفر ذهبى جميل وهو أقل من سابقه من كل وجه والطلب عليه قليل ويكون فى تمام اينا عه فى الخريف

والنوع الهندى هو نوع عظيم جداً ويستحق زيادة العناية ونظرا لموافقة مصر له فسيصبح قريبا هو الموز المصرى الوحيد ولو فى شمال الدلتا فقط ويصل ارتفاع شجره الى مترين أو الى مترين ونصف وساقه غليظة قصيرة ويعطى محصولا وافراً وتعيش فاكهته زمنا طويلا بلا تلف وهو أحسن الانواع للتصدير وهو أصفر طوله من اثنى عشر الى خمسة عشر سنتيمترا غليظ الجلد منحن قليلا ولبه خال من الحبوب جيد الطعم ذكى الرائحة وهو أروج الانواع فى التجارة ويطلب كثيراً وهو موجود فى جميع أوقات السنة ولكنه يكون أحسن مايكون فى أواخر الصيف وفى فصل الربيع من حيث الاعراض العامة فانه أحسن الانوع المزروعة

والنوع الامريكى شجره عال كثير الفاكهة جدا وكثيرا مايصل طولها الى ٢٥ سنتيمترا الا ان العادة ان يكون بنصف ذلك الحجم والثمر مستدير الزاوية وذو لون أصفر جميل ولبه صلب الا انه خال من السكر بالكلية ضعيف الطعم والرائحة مشتمل على بعض حبوب جنينية الا أنه وافر المحصول كبير المراجين

ونباته جميل المنظر جداً حتى انه كثيرما يزرع فى الحدائق لهذا الغرض

وثمره رخيص الثمن قليل الطلب لانه لا يصلح للأكل الا مطبوخا

وزراعة الموز فى مصر رابحة جداً الا انها فى الوقت الحاضر قاصرة على الجناين تقريبا ولا يزرع منه فى مصر ما يكفى لاسواقها بل ترد مقادير عظيمة من جزائر ماديرة وكناريا

(الارض) — ينمو الموز فى جميع أنواع الاراضى تقريبا ماعدا الارض المكونة من الرمل وحده وأوفق أرض له هى الدفئة المستوفية الصرف ويحسن أن تكون رطبة عميقة سامية صفراء خصبة مشتملة على كثير من الدبال فاذا كانت الارض كما ذكر وكان الجو جيداً فان محصول الموز يكون عظيما

(التوليد) — ان ساق الموز الذى تحت الارض ينبت جملة فروع جانبية أو فسائل اذا تركت ونفسها فانها تنتج جملة سيقان وهى التى يتكاثر بها النبات فتفصل هذه عن الجذع الاصلى بسكين او مقطع او فأس حاد وذلك بأن يزال التراب أولا باحتراس لكشف محل اتصال الصنو بالجذع

أوفق طول الفسائل التى تزرع متر أو متر ونصف تقريبا على حسب الانواع الا أن عادة المزارعين هنا أن يستعملوا جذوعا أكبر والغالب أن تكون الفسائل ضعيفة سهلة الكسر جدا وان الكبيرة منها لاتنبت بسهولة ويجب أن تكون سميكة قوية وهذه أفضل مما لو كانت رفيعة طويلة ويلزم أن تنتخب من أصل سليم قوى جيد الفاكهة مبكر المحصول

(النقل) — تحضر الارض جيداً ثم تحفر حفر فيها صفوف متباعدة بقدر ٣ أمتار أو ٤ وتكون صفوفها متباعدة مثل ذلك والابعاد تتعلق بالانواع المزروعة وتحفر الحفر على طول قناة تستعمل للرى بحيث يكون عمقها ٤٠ سنتمترا وتنعم أسافلها جيدا ويوضع فيها سماد بلدى معطن جيداً

ويفضل ان تكون الفسائل ضاربة فى الارض بقدر ٣٠ سنتمترا على ان تكون قريبة من سطح الارض ثم يدك التراب حولها بالاقدام لمنع تخلل كثير من الهواء الذى يجفف الجذور حينما تخرج الساق

أما من حيث زمن الزرع فكل

وقت في السنة لا يوافقه الاان الاحسن ان يكون من ١٥ فبراير الى آخر مارس

(الخدمة بعد الزرع) — متى زرعت هذه الفسائل فانها تنمو نموا حسنا وتعطى محصولا في أواخر العام الثاني وربما تعطى في العام الاول الا أنه عادة يكون قليلا غير جيد

وقبل أن يتكون الساق المزهر تظهر الفسائل فوق الارض وهذا أمر يحتاج للعناية التامة فيجب ان تقطع الفسائل الا واحدا في اول امر النبات وبهذه الطريقة تتجه قوة الانبات كلها الى اثمار الساق الاول وتظهر عراجين قوية جميلة وبعد ذلك متى بلغ الساق الموجود في الارض أشده يمكن ابقاء ثلاثة أو اربعة جذوع على حسب قوة ذلك الساق الا أنه لا يجوز بحال من الاحوال ابقاء عدد اكبر من ذلك متى أريد الحصول على عراجين ذات محصول جيد

وتحتاج الارض الى تفكيك خصوصا حول سيقان النبات مع تسميدها سنويا بسماد بلدى معفن جيدا حينما تكون الفاكهة على الشجر وذلك لأجل حفظ قوة النبات ودوام انتاجه ومتى ظهرت علامات الضعف على احد الجذوع كما يحصل غالبا بعد بضع سنوات فيلزم ان يقطع ويزرع مكانه فسائل جديدة

قد قلنا ان هذا النبات يعطى محصولا جيداً فى الارض الرطبة وعليه فلابد من تكرار الرى فيجب سقى الشجر بعد زرعه مباشرة ثم بعد أزمنة قصيرة الى أن تنبت جذور النبات جيداً وبعد ذلك يقل الاحتياج للماء ويستحسن اطالة المدة بين السقية والاخرى عند ما يثمر النبات خصوصا عند قرب استواء الثمر لأن الرطوبة الكثيرة في هذا الوقت مضرة فاذا رشحت الارض بالرطوبة فيجب الصرف حتما لأجل الحصول على ثمر جيد كبير الحجم سليم

(المحصول) ـ يتعلق الزمن الذى يمضى بين زرع الفسائل والاثمار بالاحوال الجوية والموضع والنوع المزروع وغير ذلك فبالنظر لحالة مصر الجوية والانواع التى تزرع فيها تثمر النباتات عادة فى السنة الثانية وبما أن بعض الاشجار تتأخر فى النمو وبعضها يتقدم فالموز يوجد فى جميع فصول السنة

وعراجين الجذوع الثانية عادة أدق

من عراجين الجذوع الاولى ولذا لا ترسخ زراعة هذا الشجر جيدا قبل السنة الثالثة أو الرابعة فيجب ان لا يثمر الجذع الواحد أكثر من مرة واحدة ومتى أعطى الجذع فاكهته يجب قطعه ويجب ان تجنى الثمرة بقطعها مع جزء من الفرع الحامل لها حتى يمكن تعليقها نحو ثمانية أيام أو عشرة قبل استوائها وذلك عند اصفرارها قليلا لأنها اذا تركت حتى تستوى على الشجرة فانها تفقد كثيراً من حسن طعمها وتتعفن غالبا واذا قطعت قرب استوائها تعلق باعتناء فى مكان مظلم واذا قطعت قبل ذلك يجب حفظها فى وسط طبقات من التبن وأحيانا يوضع فوقها ثقل الى أن تستوى وتصير ناعمة وتكتسب الطعم السكرى والرائحة الطيبة ويتم نضج الفاكهة فى مدة بين ٧٥ و ٨٥ يوما

ويجب أن يعتنى كثيراً بنقل الفاكهة باحتراس ولطف منذ جنيها الى حين بيعها والا قلت قيمتها كثيرا

ومن الصعب تقدير محصول الفدان لأن ذلك يتعلق بأحوال كثيرة وثقل العرجون الواحد يختلف كثيرا على حسب النوع المزروع والسماد المستعمل والموسم وغير ذلك فيكون بين ٢٥ و ٧٥ رطلا والمتوسط من ٣٥ الى ٤٠ رطلا ويختلف الثمن على حسب الموسم والنوع والموضع وغير ذلك

(استعمالاته) الموز من بين المحاصيل الخضرية فى العالم ربما كان أعجبها من حيث بهاء المنظر والنفع فهو ذو قوة انبات عظيمة ومفيد للانسان من وجوه شتى وهو أحد الاغذية الاساسية فى الاقطار الحارة وقد يقوم مقام الغلال فى المناطق الاكثر اعتدالا وتستعمل جميع أجزاء النبات تقريبا وأهمها الفاكهة وجميع أجزاء النبات تكثر فيها الخيوط التى لم تستعمل بانتظام

والفاكهة مغذية جداً وسهلة الهضم للغاية وتؤكل خضراء غالبا وقد تجفف وتحفظ فى علب فى بعض الجهات خصوصا فى امريكا الجنوبية أو ينفصل منها الدقيق ويصنع منه البسكويت

والدقيق معتبر ذا قيمة عظيمة لانه لذيذ وسهل الهضم ويوافق الاطفال والمرضى

وتصلح الاوراق والسيقان لصناعة الورق والاوراق الجافة تستعمل كثيرا

فى حزم البضائع الصغيرة الحجم خصوصا الفواكه واذا شرح الساق فانه يستخرج منه خيوط خشنة . انتهى

(خواص الموز الغذائية واستعمالاته الطبية) نهاية ماتقول فى هذه الثمار انها غذاء سليم مقبول ولكنها مولدة للرياح قليلا وللسدد ، مضعفة للهضم ويصلحها العسل أو السكر ومتى انهضمت حصل منها غذاء كثير وهى تسمن لانه لايبقى منها فضلة لجذب الاعضاء لها بالطبع ثم هو لايؤكل في العادة الاناضجا ويصح أن يطبخ قبل نضجه كاللفت باللحم والسمك ولحم الترسة . ويصح أيضا شيه ويستعمل حينئذ متبلا بالسكر وعصارة النارنج . وتعمل منه خبائص ومقلوات ويجفف فى التنانير أو فى الشمس لاجل حفظه والسودان يعملون منه عجينة مع السكر والعطريات ويتخذون منها فى الاسفار وتصنع منه مربيات وغير ذلك وذكر أطباء العرب انه ينفع من السعال وأوجاع الصدر وخشونة القصبة فاذا طبخ فى السيرج أو دهن اللوز وحسى أصلح الصدر

وأما موز العقلاء المسمى بالافرنجية بما معناه تين الموز وتين الهنود فاعتبره ديفوس صنفا من لاول وتسميته العقلاء مبنية على ماقيل ان الاشخاص العدول أصحاب السيرة الجيدة من فلاسفة الهنود المتقشفين يقضون حياتهم فى مشاهدته ويتغذون من ثمره وهو ينبت فى الاماكن التى ينبت فيها النوع السابق وهو شبيه به فى قوامه وقامته وانما يتميز عنه باوراقه التى زاويتها أحد وخصوصا بثماره التى هى أصغر أى أقصر ولكنها أكثر عدداً وأقوى سكرية وألذ وأقبل وشحمها أكثر لينا وذوبانا فى الفم وهو شبيه بالتين وهذا هو سبب تسمية الافرنج له بتين الموز لانه سهل الذوبان فى الفم ويصح أن يستخرج منه سكر قابل للتبلور ويعمل منه سائل كؤولى يحفظ قليلا ويعطى بالتقطير كؤولا واذا تخمر تين الموز حصل منه حمض كما يحصل ذلك فى جميع الثمار السكرية وتلك المنافع توجد أيضا فى النوع السابق.قال ميره وتين الموز أصناف عديدة وقد اعتبروه عظيم النفع للصدر وفى آفات الطرق البولية وعلاجا للحميات الحادة وغير ذلك انتهى . وبالجملة منافعه الطبية وغير الطبية كالسابق فالسائل الذى يؤخذ من أى

واحد منها يحمض بسهولة فلذا يلزم أن لا يحضر منه الا مقدار يسير اذا أريد فاذا هرس الموز النضيج من أى نوع كان ونخل من منخل ليستخرج منه الجزء الليفي تكونت من ذلك عجينة يصح أن يحضر منها خبز جيد التغذية ومعظمها مكون من النشا ويمكن حفظها جافة زمنا طويلا فاذا أذيبت في الماء أو في مرقة تكون من ذلك غذاء جيد (أنظر المادة الطبية)

﴿موسى﴾ هو الرسول المشهور صاحب الدين الموسوى وقد رأينا فى الكلام عليه أن نأتى أولا على تاريخه ونشأته ووظيفته من المصادر العربية ثم نتبعه بما قيل عنه فى المصادر العلمية العصرية مع بيان قيمة الوظيفة التى اداها للعالم على الاسلوب النقدى التاريخى فنقول: جاء عنه فى المصادر العربية:

أرسل الله تعالى موسى بن عمران ابن قاهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم الخليل عليه السلام رسولا بشريعة الى بنى اسرائيل وكان من امره انه لما ولدته أمه كان قد أمر فرعون مصر واسمه الوليد بقتل الاطفال فخافت عليه أمه وألقى الله تعالى فى قلبها أن تلقيه فى النيل فجعلته فى تابوت وألقته فالتقطته آسية امرأة فرعون وربته فكبر فبينما هو يمشى فى بعض الايام اذ وجد اسرائيليا وقبطيا يختصمان فوكز القبطى فقتله ثم اشتهر ذلك وخاف موسى من فرعون فهرب وقصد نحو مدين واتصل بشعيب فزوجه ابنته واسمها صفوره وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين ثم سار موسى باهله فى زمن الشتاء وأخطأ الطريق وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق فى ليلة شاتية فأخرج زنده ليقدح فلم تظهر له نار واعيا مما يقدح فرفعت له نار فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون. فلما دنا منها رأى نورا ممتدا من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب فتحير وخاف ورجع فنودى منها ولما سمع الصوت اطمأن وعاد فلما أتاها نودى من جانب الطور الايمن من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين . ولما رأى تلك الهيبة علم إنه ربه فخفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته ثم شد الله تعالى قلبه ولما عاد عقله نودى أن أخلع

نعليك انك بالواد المقدس وجعل الله عصاه ويده آيتين ثم أقبل موسى الى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا واجتمع به هرون وسأله من أنت فقال أنا موسى فاعتنقا وتعارفا ثم قال موسى ياهرون أن الله أرسلنا الى فرعون فانطلق معي اليه فقال هرون سمعا وطاعة فانطلقا اليه وأراه موسى عصاه ثعبانا فاغرافاه حتى خاف منه فرعون فأحدث في ثيابه . ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها وهي بيضاء لها نور تكل منه الابصار . فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها الى جيبه وأخرجها فاذا هي على لونها الاول ثم أحضر لها فرعون السحرة وعملوا الحيات وألقى موسى عصا فلقفت ذلك وآمن به السحرة فقتلهم فرعون عن آخرهم ثم أراهم الآيات من القمل والضفادع وصيرورة الماء دما فلم يؤمن فرعون ولا أصحابه وآخر الأمر اطلق فرعون لبني اسرائيل ان يسيروا مع موسى فسار موسى ببني اسرائيل ثم ندم فرعون وسار بعسكره حتى لحقهم عند بحر القلزم فضرب موسى بعصاه البحر فانشق ودخل فيه هو وبنو اسرائيل وتبعهم فرعون وجنوده وغرقوا عن آخرهم . ومن جملة المعجزات التي أعطاها الله عزوجل موسى

قضيته مع قارون

قالوا : كان قارون بن عم موسى وكان الله تعالى قد رزق قارون المذكور مالا عظيما يضرب به المثل على طول الدهر قيل ان مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلا وبنى دارا عظيمة صفحها بالذهب وجعل أبوابها ذهبا وقد قيل عن ماله شيء يخرج عن الحصر فتكبر قارون بسبب كثرة ماله على موسى واتفق مع بني اسرائيل على قذفه والخروج عن طاعته وأحضر امرأة بغيا من البغايا وجعل لها جعلا وأمرها بقذف موسى بنفسها واتفق معها على ذلك . ثم أتى موسى فقال أن قومك ياموسى قد اجتمعوا فخرج اليهم موسى عليه السلام وقال من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى رجمناه . فقال له قارون وان كنت انت قال موسى نعم وان كنت أنا . قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة . قال موسى ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى أقسمت عليك بالذي انزل التوراة الا صدقت انا فعلت بك مايقول هؤلاء؟ قالت لاكذبوا ولكن

جعلوا لى جعلا على ان أقذفك . فأوحى الله تعالى الى موسى مر الارض بما شئت تطعك . فقال ياأرض خذيهم فجعل قارون يقول ياموسى ارحمنى وموسى يقول ياأرض خذيهم فابتلعتهم الارض ثم خسف بهم وبدار قارون . ولما أهلك الله تعالى فرعون وجنوده قصد موسى المسير ببنى اسرائيل الى مدينة الجبارين وهى أريحا فقالت بنو اسرائيل ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، ياموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون . فغضب موسى ودعا عليهم فقال رب انى لاأملك الا نفسى واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . فقال الله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض . فبقوا فى التيه وانزل الله عليهم المن والسلوى

ثم اوحى الله تعالى الى موسى انى متوف هرون فأت به الى جبل كذا وكذا فانطلقا نحوه فاذا هما بسرير فنام عليه واخذ هرون الموت ورفع الى السماء ورجع موسى الى بنى اسرائيل فقالوا له انت قتلت هرون لحبنا إياه . قال موسى ويحكم أفترونى اقتل اخى ؟ فلما أكثروا عليه سأل الله فأنزل السرير وعليه هرون وقال لهم انى مت ولم يقتلنى موسى . ثم توفى موسى واختلف فى صورة وفاته فقيل كان هو ويوشع يتمشيان فظهرت غمامة سوداء فخافها يوشع واعتنق موسى فانسل موسى من قماشه وبقى يوشع معتنق الثياب وعدم موسى وأتى يوشع بالقماش الى بنى اسرائيل فقالوا انت قتلت موسى ووكلوا به فسأل يوشع الله تعالى أن يبين براءته فرأى كل رجل كان موكلا عليه فى منامه ان يوشع لم يقتل موسى وان الله رفعه اليه فتركوه . وقيل بل تنبأ يوشع وأوحى الله تعالى اليه وبقى موسى يسأله فلم يخبره . فعظم ذلك على موسى وسأل الله الموت فمات . وقيل غير ذلك وكانت وفاة موسى فى التيه فى سابع اذار لمضى الف وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان فى أيام منوجهر الملك وكان موت موسى بعد هرون اخيه باحد عشر شهرا وكان هرون اكبر من موسى بثلاث سنين وكان مولد موسى لمضى اربعمائة وخمس وعشرين سنة من مولد ابراهيم وكان بين وفاة ابراهيم ومولد موسى مئتان وخمسون سنة وولد موسى لمضى الف وخمسمائة وست سنين من الطوفان وكان عمره لما خرج

بنى اسرائيل من مصر ثمانين سنة وأقام فى التيه أربعين سنة فيكون عمر موسى مائة وعشرين سنة وأما بنو اسرائيل فكانوا قبل أن يخرجهم موسى من تحت حكم فراعنة مصر رعية لهم وكانوا على بقايا من دينهم الذى شرعه يعقوب ويوسف عليهما السلام . وكان أول قدومهم الى مصر لمضى تسع وثلاثين سنة من عمر يوسف فأقاموا فى مصر بقية عمر يوسف وهو احدى وسبعون سنة لأن عمر يوسف كان مائة وعشر سنين فاذا نقصنا منها تسعا وثلاثين سنة بقى احدى وسبعون سنة وأقاموا أيضا مدة ما كان بين وفاة يوسف ومولد موسى وهو اربع وستون سنة وأقاموا أيضا ثمانين سنة من عمر موسى حتى خرج بهم فيكون جملة مقام بنى اسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسى مائتين وخمس عشرة سنة

(موسى فى نظر الفلسفة التاريخية)

ذكرنا فيما تقدم ما تقوله الكتب الاسلامية وأكثره يوافق ما ورد عنه فى القرآن الكريم وما ذكرته عنه الكتب الاسرائيلية ولكن لنقدة التاريخ مجالا لا يجوز اغفاله فى مثل هذا البحث فان المسئلة من أمهات المسائل التاريخية لتعلقها بحياة رجل عظيم كان مؤسسا لدين عظيم وموجدا لشعب كبير له أثر يذكر فى الحركة الانسانية العامة

يقول نقدة التاريخ أن موسى عليه السلام ولد فى سنة (١٥٧١) قبل الميلاد وتوفى على جبل ينبو من بلاد العرب سنة (١٤٥١) فيكون قد عمر مئة وعشرين سنة

قالت دائرة معارف (لاروس):

« اتفق قدماء المسيحيين وقدماء الوثنيين على مدح مؤسس الديانة الموسوية ولو أنهم لم يعلموا من أعماله شيئا كبيرا . فانه من الثابت انه وان كان قد أسس مدنية ودينا فاننا لا نملك الكتاب الحقيقى لشريعته . ولقد نسبت اليه التوراة أو الخمسة الكتب الاولى من الكتاب المقدس ولكن هذه التوراة حاملة لآثار لا نزاع فيها من الحواشى والتنقيحات ومن علامات أخرى تدل على أنها ألفت بعد الزمان الذى مات فيه موسى بعهد طويل . فقد ذكرت فيه أسماء مدن لم توجد الا بعد موسى . ويجد القارىء ان موسى قد ذكر وفاة نفسه فيه . ويلاحظ تالى التوراة

ان مؤلفه الذى لم يذكر اسمه ينوه عن موسى كما ينوه عن رجل مات منذ قرون كثيرة . وقد لوحظ أيضا ان التوراة لم تُذكر فى المزامير ولا فى الكتب المعزوة الى سليمان ولا فى كتب جريمى واسحق ولا فى القوانين الكنسية الاخرى . وزيادة على ما تقدم فان الخمسة الاسفار التى تؤلف التوراة وهى سفر الخليقة وسفر الخروج وسفر الاعداد واللفيتيك وسفر التثنية أسماؤها يونانية وتاريخها هو تاريخ الترجمة السبعينية

« وقد جمع فولتير فى قاموسه الفلسفى اعتراضات القرن الثامن عشر على وجود موسى . وكان قد أنكر وجوده قبل ذلك (هويه) المشهور مطران افرانش وأتى فولتير أيضا على الشكوك التى تحوم حول صحة الكتب المنسوبة اليه

« فلقد تساءل فولتير قائلا بأى لغة أمكن موسى ان يكتب ما كتبه فى تلك الصحراء الموحشة ؟ لا يمكن أن يكون قد كتب بغير اللغة المصرية . لأن الكتاب المعزو اليه ينص على ان موسى وشعبه كله قد ولدوا بمصر . ويرجح انه لم يكن يتكلم بغير تلك اللغة . وقد كان المصريون لذلك العهد لم يعرفوا ورق البردى فكانت كتابتهم بالهيروغليفية على الرخام والخشب وقد قيل ان الالواح الموسوية كتبت على الاحجار . واذا صح ذلك وجب أن يكون قد نقش الكاتبون للتوراة أسفارها الخمسة على الاحجار المصقولة وهو أمر يقتضى زمنا طويلا ومجهوداً غريبا فهل يعقل أن يوجد رجال من المهارة بحيث ينقشون خمسة اسفار التوراة على الرخام والخشب فى فلاة لم يكن فيها مع الشعب الاسرائيلى حذاؤن ولا خياطون وتكلف فيها خالق الكون أن يحفظ ثيابهم وأحذيتهم من البلى من طريق الاعجاز المستمر

ثم قالت دائرة معارف لاروس بعد ايراد هذه الشبهات :

« ان هذه الشبهات وغيرها استخرجت من نصوص الكتاب المقدس فان المعلومات اللغوية المصرية عن الشرق والتاريخ القديم للامم التى سكنت الشواطىء السورية للبحر الابيض المتوسط قد ولدت شبهات ليست بأقل قيمة من الشبهات المتقدمة والواقع انه عرف الآن بما يكاد يصل لحد الاجماع فى العالم العلمى

بأن التوراة قد حررها السدارس بعد رجوعه من أسر بابل بمساعدة مستندات قد ضاعت الآن وأساطير عربية كان لها تأثير مستمر فى طباع الشرق

« والاساليب التى تخيلت لبيان حال موسى هى أشد جرأة ومجازفة من شبهات النقد والعلم . فقد حاول (هويه) المتقدم ذكره أن يخلط بين موسى وباخوس (البطل اليونانى) وقد اخترع الأب (جيرين دروشيه) نظرية أشد غرابة أيضا . وقد هجر كلا هذين الفرضين اليوم . والآن اذا كان وجه موسى العظيم لايزال محجوبا بظلام حالك فان للعمل الذى ينسب اليه والشرع المعزوله معجبين متحمسين . فقد قال جان جاك روسو فى كتابه العقد الاجتماعى: «القانون الموسوى الباقى للآن يدل على عظم الرجل الذى املاه واذا كانت الفلسفة المتكبرة وروح التعصب الاعمى لاتعتبر موسى الا كاذبا سعيد الطالع فان السياسة الحقة تعجب بالنظامات التى سنها بتلك الروح العظيمة القوية وهى لاتزال موجودة فى النظامات الخالدة »

(نظرة على ماسبق) لانزاع فى أن موسى كان رجلا من رجال التاريخ العظماء لقيامه بأمرين خطيرين لايتسنيان للمتصدرين لهما عفو أو بمجهود ما ، وهما تخليص أمته من سلطة الفراعنة الجبارين وتحليتها بدين وشريعة . وهذان الامران عينهما يسوغان لنا ان نعترف له بالنبوة التى ادعاها لنفسه وقد كان فى استطاعته أن يدعى الاعتزاء الى الله تعالى فى تلك العصور المظلمة التى كان الناس فيها يميلون الى تأليه عظمائهم ونسبة صفات الربوبية لهم . فاكتفاء موسى بادعاء النبوة وتأسيسه لدين توحيدى خالص من شوائب الوثنية ولا سيما فى ذلك العصر المشحون بالاساطير والاوهام ونجاحه فى ذلك وعدم حيده عن مذهبه ذلك طول حياته واجماع المصادر التاريخية على أنه كان هينا لينا وادعا لم تغره ابهة السلطان قط، ولم تستخفه جلالة الملك كما استخفت أكثر القادة الذين سبقوه فحملتهم على ادعاء الربوبية كالاسكندر وغيره كل هذا يدل على أنه كان صادقا فى دعواه ، مخلصاً فيما رمى اليه من اقامة حكم الله . وقد جاء القرآن الكريم مقراً على هذه العقيدة فكان الدليل على نبوته معززاً

بالدليل النقلى أيضا فتظاهر العقل والنقل فى الشهادة، وليس بعد هذا فى تقوية مركزه مرمى

نعم أن موسى تلمذ للكهنة المصريين القدماء وأخذ عنهم العلوم اللاهوتية والفلسفة العقلية ، وأصول الشريعة المصرية ، فلم يكن لما دعا الى تخليص قومه يجهل معنى النظام الاجتماعى ، ومرمى الروح القومى لشعبه ، وأركان التشريع الحافظ لقوام الجماعات ، ولكن كل هذ لا يصح أن يضعف من أدلة نبوته بل هو يقربها من العقل فان انفتاق حجب الكثافات البشرية ، وإطلال الروح على عوالم الغيب من عارف بمعنى الحجب والكثافات أقرب حصولا وأسهل منالا منها لجاهل بمعناها . وليس نجاح موسى فى دعوته يرجع لمعرفته بالنظامات والشرائع واسرار اللاهوت المصرى بل يرجع الى سمو روحه وكفاءتها للتأثير على الغير وقيادته الى مايهواه أحب ذلك أم كره ، وهذا السمو لا يتفق لروح كاذبة خادعة مرائية تكذب على الله والناس تجعل الدين آلة للاذلال والاستعباد

ولو كان مجرد تعلم الشرائع ، والوقوف على أسرار المعارف يؤهل الانسان لبلوغ امثال هذه الدرجات العليا بين الامم لساد كل عالم قومه وقادهم الى حيث يريد ، والواقع أن السيادة والقيادة حفظتا لافراد معدودين هم الذين ادعوا أنهم أنبياء ودلت الحوادث على صدق دعاويهم بطهارة سيرهم ، واستقامة أمورهم وتجردهم عن حب الدنيا ومضيهم على وتيرة واحدة من الورع من يوم وجودهم لى يوم وفاتهم . ولو اتفق فادعى النبوة من ليس من أهلها وساد قومه بمزاعمه حينا من الاحيان افتضح أمره بعد ذلك واسقطه قومه شر اسقاط ولفظه الوجود كما تلفظ الحثالة الضارة ، وباد كما تبيد الترهات امام الحق الصراح

فالذى يجعل النبى نبيا ليس مايكون قد حصله من العلم بالشرائع ، أو بالاصول الدينية ، ولكن الذى يجعله جديرا بهذا اللقب روحه العالية ، وقواه الادبية التى لاتكون لغير الصادقين أولى العزم من أفراد يرسلهم الله الى هذا النوع كلما أراد أن يحدث فى الناس حوادث ذات شأن عظيم

ويمكن أن يقال أن مهمة موسى التى قام بها لاتكفى فى الدلالة على نبوته فقد

كان بنو اسرائيل فى أسر الفراعنة يتنسمون نسمة الخلاص ويرجون أن يرسل الله من يقودهم بيد من حديد الى ماينجيهم من هذا الشر العظيم ، وكانوا شعبا لهم عصبية ووحدة قومية ، ومرام اجتماعية، فنبوغ رجل فيهم كان أمرا منتظرا ، فلما آنس موسى من نفسه القدرة على قيادتهم انتحل لنفسه هذه الوظيفة فتبعه قومه مقودين بدوافع قهرية ذاتية فلم يجاهدهم كما جاهد محمد صلى الله عليه وسلم قومه، ولم يجد منهم من النفور والاضطهاد ماوجده خاتم الانبياء بل هب معه قومه مجيبين لدعوته فسار بهم إلى حيث أراد ، ثم أوهمهم انه نبي وان الله يكلمه وجها لوجه الى آخر مافى هذا الباب

نقول ليست هذه الشبهة وان كان ظاهرها قويا مما يثبت على النقد الفلسفى أيضا فان موسى وان كان قد وجد قومه متضامنين متضامنين يرجون أن ينبغ فيهم من ينقذهم من محن الفراعنة الا أن هذا الرجاء فيهم كان من قبيل الامانى بدليل مكثهم قرونا طويلة فى مصر يرزحون تحت كلاكل الظلم والاضطهاد فلماذا لم يتفق لهم ذلك الخلاص الا على يد موسى ، ولماذا يدعى لهم انه نبي ولم يدع لهم انه قائد ، وكيف يتفق له النجاح مع اضماره الكذب، والتخافه بالرياء والخديعة، وكيف يظل حافظا لهذا الثوب العارى طول حياته ولم يفتضح أمره ؟

ثم لاتنس أن وجود الامة على حالة نظام اجتماعى قد يكون سببا كبيرا فى رفضها دعوى الدعاة الى قيادتها لما يكون فى مجموعها من أصحاب المطامع الى مثل هذه الخطط السامية فيفسدون على صاحب الدعوة قلوب الامة فقيادة مثل هذا الشعب وحفظ مركزه بين ظهرانيه عشرات من السنين مسموع الصوت نافذ الكلمة ليس من الهنات الاجتماعية

أما تأسيس موسى عليه السلام لدين توحيدى فى وسط تلك الوثنية الشائعة في العالم كله وذهابه فى ذلك مذهب الانبياء الذين سبقوه فأدل دليل على انه واحد منهم فانه ليس من السهل المقام على التوحيد والدعوة اليه فى مثل تلك الازمان البعيدة. فلو لم يكن متلقيا لذلك التوحيد من طريق الوحى لما استطاع أن يصر عليه بل لنعا الناس الى نفسه وكان روح العصر يساعده على ذلك . ولكنه على

العكس من ذلك أصر على دعوة الناس الى الله الواحد مجرداً نفسه من الالوهية والشركة لله، مقراً بالعبودية البحتة لمولاه. وهذا من ضبط النفس وأدب القلب بالمكان الذى لا يصح لغير الانبياء

يقولون ان التوراة كتاب اثار عليه النقد العلمى الشكوك والريب من كل قبيل، وفيه من الآراء العلمية والنظامات الاجتماعية مالا يتفق مع العلم ولا ينطبق على العدالة المعروفة بين الناس، فقد جاء فيه عن خلق السموات والارض مالا سبيل للتعويل عليه ونص على أن موسى كان يحارب المدينة فيستبيحها بعد فتحها فيقتل جميع سكانها حتى حيواناتها فلا يبقى ولا يذر. وورد فيه ايضا أن الله بكته على ابقائه على بعض اهل مدينة من المدائن التى فتحها. وكل هذا لا يمكن أن يسند الى الله ولا يعقل أن ينسب اليه بحال من الاحوال

نقول: أما وقد أريت ما يقوله النقد العلمى فى التوراة فلا نقبل الاحتجاج به على موسى عليه السلام وليس فى التاريخ العام أثارة تدل على أن موسى كان من القسوة بحيث كان يجتاح المدائن التى يفتتحها ولو كان كذلك لعده الناس واحدا من الطواغى أمثال بختنصر وقمبيز ونيرون وجنكيز خان وتيمورلنك فلم يحصون على هؤلاء أعمالهم ولا يحصون على موسى عمله فيحشروه معهم

الخلاصة ان الادلة العقلية والتاريخية كلها متظاهرة على أن موسى كان واحدا من الانبياء الكرام أولى العزم، الذين أرسلوا لنقل النوع البشرى الى مرحلة جديدة من مراحل المدنية فأقام دولة موحدة ذات مدنية راقية وسط أمم عريقة فى الوثنية فساعد بحركته هذه على وجود الديانة المسيحية بتمهيده السبيل لها كما مهدت المسيحية السبيل للديانة الاسلامية خاتمة الاديان السماوية

(الآيات القرآنية الواردة فى موسى عليه السلام) يجدر بنا هنا أن نأتى على قصة موسى من النص القرآنى نفسه لتتم الفائدة من هذا الفصل. وقد ذكر الله موسى كثيرا فى كتابه وأجمع ماجاء عنه هو ماذكره فى سورة القصص فننقله برمته وهو:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طسم تلك آيات الكتاب المبين

نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . أن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون . وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لايشعرون . وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون .

ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين . ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين . قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم. قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين . فأصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين . فلما أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جباراً فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين . وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجنى من الظالمين . ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون . ووجد من دونهم

امرأتين تذودان ، قال ماخطبكما ؛ قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير. فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير. فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين . قالت احداهما ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين . قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشراً فمن عندك وما اريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين . قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل. فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما اتاها نودى من شاطىء الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ، ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين . اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملأه انهم كانوا قوما فاسقين . قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون . وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءاً يصدقنى انى أخاف أن يكذبون. قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا ، أنتما ومن اتبعكما الغالبون . فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين . وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الظالمون . وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى إله موسى وانى لأظنه من الكاذبين. واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون .

وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين . ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون. وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين . ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون».

﴿ موسى ﴾ بن على اللخمى البصرى من علماء الحديث النبوى توفى سنة(١٧٢) ه

﴿ موسى ﴾ بن نصير هو أبو عبد الرحمن . كان من التابعين روى عن تميم الدارى وكان عاقلا كريما شجاعا وربما تقيا وكان احد كبار قواد الدولة الاموية لم يهزم له جيش قط وهو فاتح بلاد الاندلس ولما خرج معاوية لقتال على بن أبى طالب لم يخرج معه فقال له معاوية ما منعك من الخروج معى ولى عندك يد لم تكافئنى عليها ؟ فقال لا يمكننى أن اشكرك بكفر من هو أولى بشكرى. فقال ومن هو؟ قال الله عز وجل . فقال وكيف لا أم لك ؟ قال وكيف لا أعلمك هذا فاغمض وامض. قال فأطرق معاوية مليا ثم قال استغفر الله ورضى عنه

تولى افريقية والمغرب سنة (٧٧) ه ولم يسمع فى الاسلام بمثل سباياه وغنائمه حارب البربر وسكان بلاد المغرب الاصليين حتى وصل الى طنجة فولى عليها مولاه طارق بن زياد ثم رجع وكتب بعد ذلك الى طارق بغزو الاندلس . فامتثل وركب البحر ونزل بالاندلس وصعد الى الجبل الذى سمى باسمه وهو جبل طارق وكان معه (١٢) الفا من البربر وقليل من العرب. فلما علم به رودريك ملك الاندلس داهمهم بجيش جرار يبلغ سبعين الفا فعمد طارق الى أسطوله فأحرقه وخطب فى أصحابه وقال لهم : أيها الناس أين المفر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم فى هذه الجزيرة أضيع من الايتام فى مأدب اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم

غير سيوفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخلصون من أيدى أعدائكم الخ . ثم هجموا على عدوهم فانهزم أعداؤهم ووقعت فى أيدى العرب بلاد كثيرة ثم لحق به مولاه موسى ابن نصير لتتميم الفتح

ولد سنة (١٩) هـ وتوفى سنة (٩٩) هـ

وقد رأينا اتماما للفائدة فى هذا ان نأتى على تفصيل استيلاء موسى بن نصير على المغرب والاندلس بلسان مؤلف قريب من تلك العصور وهو العلامة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٠) فى كتابه (الامامة والسياسة) فان فيه تفصيلا عن سير الامور فى ذلك العهد وبيانا عن الاسلوب الاستعمارى الذى كان يجرى عليه العرب ، وهذا البيان قيمته من الوجهة التاريخية عظيمة يجب امعان النظر فيه . قال أبو محمد عبد الله بن مسلمة بن قتيبة :

﴿ تولية موسى بن نصير البصرة ﴾

قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولى مسلم ان عبد الملك بن مروان لما أراد أن يولى أخاه بشر بن مروان على العراق كتب الى أخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر وبشر معه يقود الجنود وكان يومئذ حديث السن : انى قد وليت أخاك بشرا البصرة فأشخص معه موسى بن نصير وزيرا ومشيرا وقد بعثت اليك بديوان العراق فادفعه الى موسى وأعلمه أنه مأخوذ بكل خلل وتقصير. فشخص بشر من مصر الى العراق ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلها دفع الى موسى بن نصير خاتمه وتخلى عن جميع العمل . فلبث موسى مع بشر ما لبث ثم ان رجلا من اهل العراق دخل على بشر بن مروان فقال له هل لك ان اسقيك شرابا لا تشيب معه ابداً بعد أن أشترط عليك شروطا ؟ قال بشر وما هى قال . لا تغضب ولا تركب ولا تجامع امرأة فى اربعين ليلة ولا تدخل حماما . فقبل ذلك بشر وأجابه وشرب ما سقاه واحتجب عن قريب الناس وبعيدهم وخلا مع جواريه وخدامه فكان كذلك حتى أتته ولاية الكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فأتاه من ذلك مالم يحتمل فرحه ولا السرور به فدعا بركاب ليركبها فأتاه الرجل فناشده لا يخرج ولا يركب وان لا يتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الى كلامه ولم يقبل ما أمره به فلما رأى

الرجل عزمه قال اشهد لى على نفسك بأنك قد عصيتنى. ففعل بشر ذلك وأشهد انه قد أبرأه . فركب وهو يريد الكوفة فلم يسر الا أميالا حتى وضع يده على لحيته فاذا هى فى كفه قد سقطت من وجهه . فلما رأى ذلك انصرف الى البصرة فلم يلبث الا قليلا حتى هلك. فلما بلغ عبد الملك موته وجه الحجاج بن يوسف واليا عليها فقال لموسى بن نصير ما فاتك فلا يفوتك وكان عبد الملك قد أراده لامر عتب عليه منه . فكتب خالد بن ابان من الشام الى موسى بن نصير : انك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد أمر فيك بأغلظ أمر فالنجاة النجاة والوحا الوحا فاما أن تلحق بالفرس فتأمن او ان تلحق بعبد العزيز ابن مروان مستجيرا به ولا تمكن ملعون ثقيف من نفسك فيحكم فيك . فلما أتاه الكتاب ركب النجائب ولحق بالشام وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان وقد وفد بأموال مصر فكتب الحجاج من العراق . يأمير المؤمنين انه لاقدر لما اقتطعه موسى بن نصير من أموال العراق وليس بالعراق فابعث به الىّ

(دخول موسى بن نصير على عبد الملك بن مراون) قال وذكروا أن عبد الرحمن بن سالم حدثت عن أبيه انه حضر يومئذ شأن موسى ودخوله على عبد الملك . قال وكانت لموسى يد عظيمة عند عبد العزيز بن مروان يطول ذكرها . قال سالم قال لى موسى لما قدمت الشام لقيت بها عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فأدخلنى على عبد الملك فلما رآنى عبد الملك قلت موسى قال ماتزال تعرض لحيتك علينا ؟ قال قلت لم يأمير المؤمنين ؟ قال لجرأتك على واقتطاعك الفىء . قال فقلت مافعلت يأمير المؤمنين وما آلوتك نصحا واجتهادا واصلاحا. قال اقسم لتؤدين دينك خمسين مرة قال قلت لم يأمير المؤمنين ؟ قال فما تركنى أتمها حتى قال قم لتؤدينها مائة مرة . فذهبت لأتكلم فأشار على عبد العزيز ان قل نعم ، فقلت نعم يأمير المؤمنين ؟ ثم خرجت فأعاننى عبد العزيز بخمسين الفا وأديت خمسين الفا فى ثلاثة اشهر نجمها على

(تولية موسى بن نصير على افريقية)

قال وذكروا أن عبد العزيز لما رجع الى مصر سار موسى معه فكان من أشرف

الناس عنده فأقام بها ما أقام حتى قدم حسان بن النعمان من افريقية يريد الشام الى عبد الملك وقد فتح له بها فتحا وقتل الكاهنة فأجازه عبد الملك وزاده برقة ورده اليها (الى افريقيـة) واليا فأقبل حتى نزل مصر وبعث معه بعثا من هناك فأخذوا اعطياتهم منهم ثم ساروا حتى نزلوا ذات الجاجم قال فبلغ عبد العزيز ان حسان بن النعمان يطلب برقة من عند عبد الملك وانه قد ولاه اياها فبعث اليه فقال له أولاك أمير المؤمنين برقة؟ قال نعم فقال له عبد العزيز لا تعرض وكان عليها مولى لعبد العزيز فقال حسان ما أنا فاعل فغضب عبد العزيز وقال له ائت بعهدك عليها ان كنت صادقا . قال فأتى به حسان فلما قرأه عبد العزيز وجدها فيه فالتفت الى حسان فقال ما انت بتاركها ؟ قال والله لا انعزل عما ولانيه أمير المؤمنين. قال فاقعد في بيتك فسيولى هذا الامر من هو خير منك وأولى به منك في تجربته ومعرفته وسياسته ويغني الله أمير المؤمنين عنك ثم أخذ عبد العزيز عهده ومزقه ودعا بموسى بن نصير فعقد له على افريقية يوم الخميس في صفر سنة تسع وسبعين فتجهز موسى بن نصير وحمل الاموال الى ذات الجاجم وبها الجيوش ينتظرون واليهم فقدم عليهم موسى بن نصير فلما صار على الجيش الاول أتى عصفور حتى وقع على صدره فأخذه موسى فدعا بسكين فذبحه موسى ولطخ بدمه صدره من فوق الثياب ونتف ريشه وطرحه على صدره وعلى نفسه . ثم قال الفتح ورب الكعبة والظفر ان شاء الله

(خطبة موسى بن نصير رحمه الله)

قال وذكروا أن موسى لما قدم ذات الجاجم وقد توافت الجيوش بها جمع الناس فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس أن أمير المؤمنين أصلحه الله رأى رأيا في حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه أميرا عليكم وانما الرجل في الناس بما أظهر والرأي فيما أقبل وليس فيما ادبر فلما قدم حسان بن النعمان على عبد العزيز أكرمه الله كفر النعمة وضيع الشكر ونازع الامر أهله فغير الله ما به . وانما الامير أصلحه الله صنو أمير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ولم يأل ان اجهد نفسه في الاختيار لكم

وانما أنا رجل كأحدكم فمن رأى منى حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن رأى منى سيئة فلينكر هافانى اخطىء كاتخطئون واصيب كما تصيبون . وقد أمر الامير أكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثا فخذوها هنيئا ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها على ماعز وهان من المواساة ان شاء الله ولا حول ولاقوة الا بالله

(دخول موسى بن نصير افريقية)

قال وذكروا ان موسى لما سار متوجها الى المغرب بقية صفر ثم ربيع وربيع ودخل فى جمادى الاولى يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسبعين فأخذ سفيان بن مالك الفهرى واباصالح فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجهما الى عبد الملك فى الحديد . قال وكان قدوم موسى افريقية وما حولها خوف بحيث لايقدر المسلمون ان يبرزوا فى الصيدين لقرب العدو منهم وأن عامة بيوتها الخصوص وافضلها القباب وبناء المسجد يومئذ بالحظير غير انه قد سقف ببعض الخشب وقد كان ابن النعمان بنى القبلة وما يليها بالمدر بنيانا ضعيفا وكانت جبالها كلها محاربة لاترام وعامة السهل

(خطبة موسى بافريقية) قال وذكروا ان موسى لما قدم افريقية ونظر الى جبالها والى ماحولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس انما كان قبلى على افريقية أحد رجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره أن يكلم ويحب ان يسلم أورجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهونى . وليس اخو الحرب الا من اكتحل السهر وأحسن النظر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أويكلم ويبلغ النفس عذرها فى غير خرق يريده ولاعنف يقاسيه متوكلا فى حزمه، جازما فى ماعزمه مستزيداً فى علمه ، مستشيراً لاهل الرأى فى إحكام رأيه ، متحنكابتجاربه ، ليس بالمتجابن افحاما ، ولا بالمتخاذل احجاما ان ظفر لم يزده الظفر الاحذراً ، وان نكب اظهر جلادة وصبراً ، راجيا من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياه لقول الله تعالى إن العاقبة للمتقين أى الحذرين . وبعد فان كل ماكان قبلى كان يعمد

الى العدو الاقصى ويترك عدوا منه ادنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العورة ويكون عونا عليه عند النكبة وأيم الله لاارىم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أو جميعها أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين

(فتح زعوان) قال وذكروا أنه كان بزعوان قوم من البربر يقال لهم عبدوه، عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانو يغيرون على سرح المسلمين ويرصدون غرتهم والذى بين زعوان وبين القيروان يوم الى الليل فوجه اليهم موسى خمسمائة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله على موسى فبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس وانه كان أول سبي دخل القيروان فى ولاية موسى ثم وجه ابناله يقال له عبد الرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فأتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابناله يقال له مروان فأتاه بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين الف رأس

(قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز بن مروان) قال وذكروا أن موسى بن نصير كتب الى عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذى فتح الله عليه وأمكن له ويعلمه ان الخمس بلغ ثلاثين الفا وكان ذلك وهما من الكاتب فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب وقال له ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قرأه قال هذا وهم من الكاتب فراجعه . فكتب اليه عبد العزيز : انه بلغنى كتابك وتذكر فيه انه قد بلغ خمس ماأفاء الله عليك ثلاثين الف رأس فاستكثرت ذلك وظننت أن ذلك وهم من الكاتب فاكتب الى بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم . فلما قدم الكتاب على موسى كتب اليه : بلغنى أن الامير أبقاه الله يذكر انه استكثر ماجاءه من المدة التى افاء الله على وانه ظن أن ذلك وهم من الكاتب فقد كان ذلك وهما على ماظنه الامير والخمس ايها الامير ستون الفاً حقا ثابتا بلاوهم . قال فلما أتى الكتاب الى عبد العزيز وقرأه ملأ مسروراً

(انكار عبد الملك تولية موسى ابن نصير) وذكروا ان عبد العزيز لما ولى موسى وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسى بلغ ذلك عبد الملك بن مروان

فكره ذلك وأنكره ثم كره رد رأى عبد العزيز ثم هم بعزل موسى لسوء رأيه فيه ثم رأى أن لا يرد ماصنع عبد العزيز فكتب عبد الملك الى عبد العزيز . اما بعد فقد بلغ امير المؤمنين ما كان من رأيك فى عزل حسان وتوليتك موسى مكانه وعلم الامر الذى له عزلته وقد كنت أنتظر منك مثلها فى موسى وقد أمضى لك امير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت فاستوص بحسان خيراً فانه ميمون الطائر والسلام .

(جوابه)

فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب الى اخيه عبد الملك . أما بعد فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين فى عزل حسان وتوليتى موسى بن نصير وقد كان لمثلها منى منتظراً فى موسى ويعلمنى أنه قد أمضى لى من رأيى ماأمضيت وولايتى من وليت وقد علمت ان أمير المؤمنين يتفاءل بحسان الذى فتح الله على يديه ولم أعد مع نظرى لامير المؤمنين بأن عزلت حساناً ووليت موسى فى يمن طائره وحسن أثره . فأما قول أمير المؤمنين قد كنت أنتظرها منك فى موسى فلعمرى لقد كنت لها فيه مرصدا ولامير المؤمنين ان يسبق بها اليه منتظرا حتى حضر أمر جهدت فيه نفسى لامير المؤمنين ولنفسى الرأى والنصيحة والسلام

(كتاب عبد العزيز بالفتح الى عبد الملك) وذكروا ان عبد العزيز كتب الى عبد الملك: أما بعد فانى كنت وانت ياامير المؤمنين فى موسى وحسان كالمتراهنين ارسلا فرسيهما الى غايتهما فأتيا معاً وقد مدت الغاية لاحدهما ولك عنده مزيد ان شاء الله وقد جاءنى ياأمير المؤمنين كتاب من موسى وقد وجهته اليك لتقرأه وتحمد الله عليه والسلام

(جوابه)

فكتب اليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم المثل الذى مثلته فى حسان وموسى ويقول لك عند أحدهما مزيد وكل قد عرف الله على يده خيرا ونصرا وقد أجريت وحدك وكل مجر بالخلاء مسرور والسلام . ثم وجه عبد الملك رجلا الى موسى ليقبض ذلك منه على ماذكر موسى وعلى ما كتب به فلما قدم الرسول على موسى دفع اليه ما ذكر وزاده الفا للوفاء

(فتح هوارة . وزناته . وكتامة)
قال وذكروا ان موسى ارسل عياش بن أخيل الى هوارة وزناته فى الف فارس فأغار عليهم وقتلهم وسبام فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس وكان عليهم رجل منهم يقال له كامون فبعث به موسى الى عبد العزيز فى وجوه الاسرى فقتله عند البركة التى عند قرية عقبة فسميت بركة كامون فلما أوجع عياش فيهم دعوا الى الصلح فقدم على موسى بوجوههم فصالحوهم وأخرجوهم وكانت كتامة قد قدمت على موسي فصالحته وولى عليها رجلا منهم وأخذمنهم رهونهم وكتب احدهم الى موسي انا نحن عبدانك قتل احدنا صاحبه وانا خير لك منه فلم يشك موسى انذلك انه كان ممالأة من كتامة وقد كانت رهون كتامة استأذنوا موسى قبل ذلك بيوم ليتصيدوا فأذن لهم فلما أتاه ماأتاه تحقق ظنه فيهم وأنهم انما هربوا فوجه الخيول فى طلبهم فأتى بهم فأراد صلبهم فقالوا لاتعجل أيها الامير بقتلنا حتى يتبين أمرنا فان آباءنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا فى خلاف أبداً ونحن فى يدك وانت على البيان أقدر منك على استحيائنا بعد القتل فأقرهم حديداً وأخرجهم معه الى كتامة وخرج هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسى تلقاه وجوه كتامة متنذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيى رهونهم

(فتح صناجة)قال وذكروا أن الجواسيس أتوا موسى فقالوا له أن صناجة بغرة منهم وغفلة وأن ابلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فأغار عليهم موسى بأربعة آلاف من اهل الديوان والفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا على أثقال المسلمين وعيالهم بظبية فى الفي فارس وعلى مقدمة موسى عياض بن عقبة وعلى ميمنته المغيرة بن ابى بردة وعلى ميسرته زرعة بن أبى مدرك فسار موسى حتى غشى صناجة ومن كان معها من قبائل البربر ولايشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم يومئذ مائة الف رأس ومن الابل والبقر والغنم والخليل والحرث والثياب مالا يحصى ثم انصرف قافلا الى القيروان وهذا كله فى سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله على موسى وما أصابه معه المسلمون من الغنائم رغبوا فى الخروج الى الغرب فخرج نحو مما كان

معه فالتقى المغيرة وصنهاجة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم ان الله منحه أكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين الف رأس ثم انصرف قافلا

(فتح سجوما) قال وذكروا انه لما كانت سنة ثلاث وثمانين قدم على موسى نجدة ابن موسى فى طالعة أهل مصر فلما قدم عليه أمر الناس بالجهاد والتأهب ثم غزا يريد سجوما وما حوها واستخلف عبد الله بن موسى على القيروان ثم خرج وهو فى عشرة آلاف من المسلمين وعلى مقدمته عياض بن عقبة وعلى ميمنته ذرعة بن أبى مدرك وعلى ميسرته المغيرة ابن أبى بردة القرشى وعلى ساقته نجدة ابن مقسم فأعطى اللواء ابنه مروان فسار حتى اذا كان بمكان يقال له سجن الملوك خلف به الاثقال وتجرد فى الخيول وخلف على الاثقال عمرو بن اوس فى الف وسار بمن معه حتى انتهى الى نهر يقال له ملوية فوجده حايلا فكره طول المقام عليه خوفا من نفاد الزاد وان يبلغ العدو مخرجه ومكانه فأحدث مخاضة غير مخاضة عقبة ابن نافع وكره أن يجوز عليها فلما أجاز وانتهى اليهم وجدهم قد أنذروا بهو تأهبوا وأعدوا للحرب فاقتتلوا قتالا شديدا فى جبل منيع لا يوصل اليهم الا من أبواب معلومة فاقتتلوا يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت الى العصر فخرج اليهم رجل من ملوكهم فوقف والناس مصطفون فنادى بالمبارزة فلم يجبه أحد فالتفت موسى الى مروان ابنه فقال له أخرج اليه أى بنى فخرج اليه مروان ودفع اللواء الى أخيه عبدالعزيز بن موسى فلما رآه البربرى ضحك ثم قال له ارجع فانى أكره ان اعدم منك اباك وكان حديث السن قال فحمل عليه مروان فكرده حتى ألجأه الى جبله ثم انه زرق مروان بالمزراق فتلقاه مروان بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه وزرقه به زرقة وقعت فى جنبه ثم لحقت حتى وصلت الى جوف برذونه فمال فوقع به البرذون ثم التقى الناس عليه فاقتتلوا قتالا شديدا أنساهم ما كان قبله ثم ان الله هزمهم وفتح للمسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة بن لمزم وبلغ سبيهم مائتى الف رأس فيهم بنات كسيلة وبنات ملوكهم ومالا يحصى من النساء السلسيات اللاتى ليس لهن ثمن ولا قيمة . قال فلما وقفت بنات الملوك بين يدى موسى قال

علىّ بمرو ن ابنى قال فأتى به قال له أى بنى خير قال فاختار ابنة كسيلة فاستسرها فهى أم عبد الملك بن مروان هذا . قال قاتل يومئذ زرعة بن أبى مدرك قتالا شديداً أبلى فيه حتى اندقت ساقه قال فآلى موسى أن لايحمل الا على رقاب الرجال حتى يدخل القيروان وأن يحمله خمسون رجلا كل يوم يتعاقبون بينهم ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب الى عبد العزيز بفتح بعد فتح وملأت سباياه الاجناد وتمايل الناس اليه ورغبوا فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيرا مايقول اذا جاءه فتوح موسى . لتهنئك الغنيمة أبا الاصبغ ثم يقول وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا . قال وبعث موسى الى عياض وعثمن والى عبيدة بن عقبة فقال اشتفوا وضعوا أسيافكم فى قتله قال فقتل منهم عياض ستمائة رجل صبرا من خيارهم وكبارهم فأرسل اليه موسى أن أمسك فقال : أما والله لوتركتنى ماأمسكت عنهم ومنهم عين تطرف

(قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان) قال وذكروا أن موسى لما قدم وجه بذلك الفتح الى عبد العزيز بن مروان مع على بن رباح فسار حتى قدم على عبد العزيز بمصر فأجازه ووصله ووجهه الى عبد الملك بن مروان أخيه فلما قدم عليه أجازه أيضا وزاد فى عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبد العزيز كم زادك أمير المؤمنين قال عشرين قال ولولا انى أكره أن افعل مثل مافعل لزدتك مثلها ولكن تعد لها زيادة عشرة وكتب عبد الملك الى موسى يعلمه انه قد فرض لجميع ولده فى مائة وبلغ به هو الى المائتين وفرض فى مواليه وأهل الجزاء والبلاء ممن معه خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة الف التى اغرمها لك فخذها من قبلك من الاخماس قال فلما قدم على موسى كتاب عبدالملك بن مروان يأمره بأخذ المائة الف مما قبله قال فانى اشهدكم انه رد على المسلمين ومعونة لهم وفى الرقاب وكان موسى اذا أفاء الله عليه شيئا اشترى من ظن منهم انه يقبل الاسلام وينجب فيعرض عليه الاسلام فان رضى قبله من بعد أن يمحص عقله ويجرب فطنة فهمه فان وجده ماهراً أمضى عتقه

وتولاه وان يجد فيه مهارة رده فى الخمس والسهام . قال وكتب موسى الى عبدالعزيز ببلاء زرعة بن أبى مدرك وماأوصله وانه لولا ذلك اوفده الى أمير المؤمنين ففرض له عبد العزيز فى مائة وفرض لثلاثين رجلا من قومه وانصرف موسى قافلا وذلك فى سنة أربع وثمانين

(غزوة موسى فى البحر) قالوا وذكروا ان موسى اقام بالقيروان بعد قفله شهر رمضان وشوال فأمر بدار صناعة بتونس وجر البحر اليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا أمر لا نطيقه فقام الى موسى رجل من مسنمة البربر ممن حسن اسلامه فقال له : أيها الامير قد مر علّى مائة وعشرون سنة وان ابى حدثنى ان صاحب قرطاجنة لما اراد بناء قماتها اتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام اليه رجل فقال له أيها الملك ان وضعت يدك بلغت منها حاجتك فان الملوك لا يعجزها شيء لقوتها وقدرتها فضع يدك أيها الأمير فان الله تعالى سيعينك على ما نويت ويؤجرك فيما توليت . فسر بذلك موسى وأعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبنى دار صناعة بتونس وجر البحر اليها مسيرة اثنى عشر ميلا حتى اقحمه دار الصناعة فصارت مشتى للمراكب ذاهبت الانواء والارياح ثم أمر بصناعة مائة مركب فأقام بذلك بقية سنة اربع وثمانين وقدم عطاء بن أبى نافع الهذلى فى مراكب أهل مصر وكان قد بعثه عبد العزيز يريد سردانية فأرسى بسوسة فأخرج اليه موسى الاوساق وكتب اليه ان ركوب البحر قد فات فى هذا الوقت وفى هذا العام فأقم لا تغرر بنفسك فانك فى تشرين الآخر فأقم بمكانك حتي يطيب ركوب البحر . قال فلم يرفع عطاء بكتاب موسى رأسا وشحن مراكبه ثم رفع فسار حتى آتى جزيرة يقال لها سلسلة وافتتحها وأصاب فيها مغانم كثيرة وأشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلا فأصابته ريح عاصف فغرق عطاء واصحابه واصيب الناس ووقعوا بساحل أفريقية فلما بلغ ذلك موسى وجه يزيد بن مسروق فى خيل الى سواحل البحر يفتش على ما يلقى البحر من سفن عطاء وأصحابه فأصاب تابوتا منحوتا قال فمنه كان أصل غناء يزيد بن مسروق . قال ولقد لقيت شيخا متوكئا على قصبة فذهبت لأفتشه

فنازعنى فأخذت القصبة من يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ والجوهر والدنانير. ثم ان موسى أمر بتلك المراكب ومن نجا من التوتية فأدخلهم دار الصناعة بتونس . ثم لما كانت سنة خمس وثمانين امر الناس بالتأهب لركوب البحر وأعلمه انه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب حتى اذا ركبوا فى الفلك ولم يبق أحد الا أن يرفع دفها يرمح فعقده لعبد الله بن موسى ابن نصير وولاه عليهم وأمره ثم أمره ان يرفع عن ساعته وانما أراد موسى بما أشار من مسيره ان يركب اهل الجلد والنكاية والشرف فسميت غزوة الأشراف ، ثم سار عبد الله بن موسى فى مراكبه وكانت تلك أول غزوة غزيت فى بحر افريقية قال فأصاب فى غزوته تلك صقلية فافتتح مدينة فيها فأصاب ما لا يدرى فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهبا وكان المسلمون ما بين الالف الى التسعمائة ثم انصرف قافلا سالما . فأتت موسى وفاة عبد العزيز ابن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين فبعث اليه بالبيعة وبفتح عبد الله بن موسى وما أفاء الله على يد ثم ان موسى بعث زرعة بن أبى مدرك الى قبائل من البربر فلم يلق حربا منهم ورغبوا فى الصلح فوجه رؤوسهم الى موسى فأعطاهم الامان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن أخيل على مراكب أهل أفريقية فشتى فى البحر وأصاب مدينة يقال لها سرقوسة ثم قفل فى سنة ست وثمانين ثم ان عبد الله بن مرة قام بطالعة أهل مصر على موسى فى سنة تسع وثمانين فعقد له موسى على بحر افريقية فأصاب سردانية وافتتح مدائنها فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضة والحرث وغيره

(غزوة السوس الاقصى) قال وذكروا ان موسى وجه مروان ابنه الى السوس الاقصى وملك السوس يومئذ مزدانة الاسوارى فسار فى خمسة آلاف من اهل الديوان . فلما اجتمعوا ورأى مروان ان الناس قد نخلوا الى قتال العدو وان فى يده اليمنى القناة وفى يده اليسرى الترس وأنه ليشير بيده الى الناس أن كما أنتم.فلما التقى مروان ومزدانة اقتتل الناس اذ ذاك قتالا شديدا ثم انهزم مزدانة

ومنح الله مروان اكتافهم فقتلوا قتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال أهل السوس على أيدي مروان فبلغ السبي اربعين الفا وعقد موسي على بحر افريقية حتى نزل بميورقه فافتتحها

(قدوم الفتوحات على الوليد بن عبد الملك) قال وذكروا أن خادما للوليد ابن عبد الملك بن مروان أخبرهم قال انى لقريب من الوليد بن عبد الملك وبين يديه طشت من ذهب وهو يتوضأ منه اذ أتى رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان بفتح من فتوحاتها فأعلمته قال خذ الكتاب منه فأخذه فقرأه فما أتي على آخره حتى أتى رسول آخر من قبل موسى نصير بفتح السوس من قبل مروان بن موسى . فأعلمته قال هاته فقرأه فحمد الله وخر ساجداً لله حامداً ثم التفت الى وقال امسك الباب لا يدخل أحد قال وكان عنده ابن له يحبو بين يديه فلما خر الوليد ساجد شاكراً لله جاء الصبي الى الطشت فاضطرب فيه وصاح فما التفت اليه قال وصرت لا أستطيع ان أغيثه لما أمرني به من امساك الباب وأطال السجود حتى صوت الصبي ثم رفع رأسه فصاح بي فدخلت وأخذت الصبي وانه لما به روح

(فتح قلعة ارساف) قال ثم ان صاحب قلعة ارساف اغار على بعض سواحل أفريقية فنال منهم وبلغ موسى خبره فخرج اليه بنفسه فلم يدركه فاشتد ذلك على موسى قال قتلني الله ان لم اقتله وانا مقيم هنا . قال فأقام موسى ما أقام ثم انه دعا رجلا من أصحابه فقال له انى موجهك فى امر وليس عليك فيه بأس ولك عندى فيه حسن الثواب خذ هذين الاذنين فسر فيهما بمن معك حتى تأتى موضع كذا وكذا فى مكان كذا فانك تجد كنيسة وتجد الروم قد جعلوها لعيدهم فاذا كان الليل فادن من ساحلها ودع احدى هذين الاذنين بما فيها ثم انصرف الى بالاذن الاخرى وبعث معه موسى قبة من الخز والوشى ومن طرائف أرض العرب شيئا مليحا وكتب كتابا بالرومية جوابا لكتاب كانه كان كتب به الى موسى يسأله الامان على أن يدله على عورة الروم وكتب فيه امان من موسى مطبوع . فسار حتى انتهى الى الموضع الذى وصف له موسى فترك الاذن

بما فيها وانصرف رجع فى الاذن الاخرى حتى قدم على موسى . وان الروم لما اعترضوا على ذنب موسى استنكروها فرفع أمرها الى بطريق تلك الناحية فأخذ ما فيها فلما رأى ما فيها من الكتب والهدية هاب ذلك فبعث بها كما هى الى الملك الاعظم فلما أفضت اليه وقرأ الكتب تحقق ذلك عنده فبعث الى أرسف رجلا وملكه عليها وأمر أن يضرب عنق صاحبها الذى أغار على ساحل افريقية ففعل فقتله الله بحيلة موسى

(فتح الاندلس) قال وذكروا أن موسى وجه طارقا مولاه الى طنجة وما هنالك فافتتح مدائن البربر وقلاعها ثم كتب الى موسى انى قد أصبت ست سفن فكتب اليه موسى أتممها سبعا ثم سر بها الى شاطىء البحر واستعد لشحنها واطلب قبلك رجلا يعرف شهور السريانيين فاذا كان يوم احد وعشرين من شهر اذار بالسريانى فاشحن على بركة الله ونصره فى ذلك اليوم فان لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهور العجم فانها موافقة لشهور السريان وهو شهر يقال له بالاعجمية مارس فاذا كان يوم أحد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما أمرتك ان شاء الله فاذا أجريت فسر حتى يلقاك جبل احمر وتخرج منه عين شرقية الى جانبها صنم فيه تمثال صور فاكسر ذلك التمثال وانظر فى من معك الى رجل طويل اشقر بعينيه قبل وبيده شلل فاعقد له على مقدمتك ثم أقم مكانك حتى يغشاك ان شاء الله . فلما انتهى الكتاب الى طارق كتب الى موسى : انى منته الى ما أمر الامير ووصف غير انى لم أجد صفة الرجل الذى أمرتنى به الا فى نفسى فسار طارق فى الف رجل وسبعمائة وذلك فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وقد كان لوذريق ملك الاندلس قد غزا عدوا يقال له البشكيس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب الي لوذريق : انه قد وقع بأرضنا قوم لا ندرى أمن السماء نزلوا أم من الارض نبعوا: فلما بلغ لوذريق ذلك أقبل راجعا الى طارق فى سبعين الف عنان ومعه العجل تحمل الاموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة باللؤلؤ والياقوت

والزبير جد ومعه الجبال ولا يشك في اسرهم فلما بلغ طارقا دنوه منهم قام في اصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم في الشهادة وبسط لهم في آمالهم ثم قال أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس ثم والله الا الصدق والصبر فانهما لا يغلبان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة . أيها الناس ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ان حملت فاحملوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال الا واني عامد الى طاغيتهم بحيث لا انهيه حتى اخالطه أو اقتل دونه فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا أو تذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبددوا بين قتيل وأسير واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ولا تعطوا بأيديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهانة والذلة وما قد أحل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله معكم ومعيذكم تبوءون بالخسران المبين وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين وها أنا ذا حامل حتى أغشاه فاحملوا بحملتي . فحمل وحملوا فلما غشيهم قتلوا قتالا شديدا ثم ان الطاغية قتل وانهزم جميع العدو فاحتز طارق رأس لوذريق وبعث به الى موسى بن نصير وبعث به موسى مع ابنه وجهز معه رجالا من أهل افريقية فقدم به على الوليد بن عبد الملك ففرض له في الشرف وأجاز كل من كان معه ورده الى أبيه موسى . وان المسلمين قد أصابوا مما كان مع لوذريق مالا يدرى ماهو ولا ماقيمته . قال وكتب طارق الى مولاه موسى : ان الامم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث ، فلما أتاه الكتاب نادى في الناس وعسكره وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين . وكان أحب الخروج اليه يوم الخميس أول النهار فاستخلف عبد الله ابن موسى على افريقية وطنجة والسوس وكتب ساعة قدم عليه كتاب طارق الى مروان يأمره بالمسير فسار مروان بمن معه حتى أجاز الى طارق قبل دخول أبيه موسى وخرج موسى بن نصير والناس معه حتى أتى المجاز فأجاز بمن زحف معه في جموعه وعلى مقدمته طارق مولاه فوجد الجموع قد شردت اليه من كل مكان فسار حتى

فتتح قرطبة ومابايها من حصونها وقلاعها ومد ثتم' فقتل الناس يومئذ غلولا لم يسمع بمثله ولم يسلم من الغلول يومئذ الا أبو عبد الرحمن الجبلى . ثم ان موسى سار لا يرفع له شيء الا هذا يفتتح له المدائن يمينا وشمالا حتى انتهى الى مدينة الملوك وهى طليطلة فوجد فيها بيتا يقال له بيت الملوك وجد فيه أربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولى الاندلس كان كلما ملك ملك جعل تاجه فى ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وابن كم هو يوم مات ويوم ولى ووجد فى ذلك البيت أيضا مائدة سليمان اسم سليمن ابن داود عليه السلام ومائدة من جزع فعمد موسى الى التيجان والآلات والموائد فقطع عليها الاغنياء وجعل عليهم الامتاع ليس منهم شيء يدرى ما قيمته فمن الذهب والفضة والمتاع فيما يمكن يحصيه أحد

(اتهام الوليد موسى بالخلع) قال وذكروا ان الوليد بن عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير الى الاندلس ظن انه يريد أن يخلع ويقيم فيها ويمتنع بها وقبل ذلك له وأبطأت كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو توطئة لفتح البلاد فأمر الوليد القاضى ان يدعو على موسى اذا قضى صلاته وان موسى لما دخل طليطلة بعث على بن رباح بفتحها وأوفد معه وفدا فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فألفى القاضى يدعو على موسى فقال : أيها الناس الله الله فى موسى والدعاء عليه والله ما نزع يدا من طاعة ولا فارق جماعة وانه لفى طاعة أمير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين والجهاد للمشركين وانى لاحدثكم عهدا به وما قدمت الآن الا من عنده وان عندى خبره وما أفاء الله على يده لامير المؤمنين وما أيد به المسلمين ما تقر به أعينكم ويسر به خليفتكم

(دخول وفد موسى على الوليد بن عبد الملك) قال وذكروا ان الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسى أرسل اليه فأدخل عليه ثم قال له ما وراءك ؟ فقال كل ما تحب يا أمير المؤمنين تركت موسى بن نصير فى الاندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه ما لم يفتح على يد أحد وقد أوفدنى الى أمير المؤمنين فى نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه

فدفع اليه الكتاب من عند موسى فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجدا فلما رفع رأسه أتاه فتح آخر فخر أيضا ساجدا ثم رفع رأسه فأتاه آخر بفتح آخر وخر ساجدا حتى ظننت انه لا يرفع رأسه

(ذكر ما وجد موسى فى البيت الذى وجد فيه المائدة القديمة مع صور العرب)

قال وذكروا أن هرم بن عياض حدثهم عن رجل من أهل الغزو أنه كان مع موسى بالاندلس حين فتح البيت الذى كانت فيه المائدة التى ذكروا انها كانت لسليمان ابن دواد عليه السلام قال. كان بيتا عليه أربعة وعشرون قفلا كان كلما تولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى اذا كانت ولاية لوذريق القرطبى الذى افتتحت الاندلس على يديه وفى ملكه قال والله لا أموت بغم هذا البيت ولأفتحنه حتى أعلم ما فيه فاجتمعت اليه النصرانية والاساقفة والشمامسة وكل منهم معظم له فقالوا له ما تريد بفتح هذا البيت ؟ فقال والله لا أموت بغمه ولا علمت ما فيه. فقالوا أصلحك الله انه لا خير فى مخالفة السلف الصالح وترك الاقتداء بالاولياء فاقتد بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك لا يحملك الحرص على مالم يحملهم عليه فانهم أولى بالصواب منا ومنك. فأبى الا فتحه فقالوا له انظر ما ظننت أن فيه من المال والجوهر وما خطر على قلبك فانا ندفعه اليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فانهم كانوا أهل معرفة وعلم. فأبى الا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه: اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها. فكان دخول المسلمين من العرب اليه فى ذلك العام

(ذكر ما أفاء الله من الغنائم على العرب)

قال وذكروا عن الليث بن سعيد ان موسى لما دخل اندلس ضربوا الاوتاد لخيولهم فى جدار كنيسة من كنائسها فتلفت الاوتاد فلم تلج فنظروا فاذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام. قال وذكروا أن رجلا كان مع موسى ببعض غزواته بالاندلس وانه رأى رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة والجوهر والياقوت. فلما أثقلتهما أنزلاها ثم حلا عليها الفأس فقطعاها نصفين فأخذا نصفا وتركا الآخر قال فلقد رأيت الناس يمرون

يمينا وشمالا مايلتفتون اليها استغناء عنها بما هو أنفس منها وأرفع . قال وأقبل رجل الى موسى فقال ابعث معى أدلكم على كنز . فبعث معه موسى رجالا فقال الذى دلهم انزعوا هاهنا فنزعوا فسال عليهم من الزبرجد والياقوت ما لم يروا مثله قط فلما رأوه بهتوا وقالوا لا يصدقنا موسى ، أرسلوا اليه . فأرسلوا حتى جاء ونظر قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد . قال وكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيضربا وسطها ويأخذا منها ما أمكنهما اشتغالا بغير ذلك مما هو أنفس منها . قال الليث وبلغنى أن رجلا غل فى غزوة عطاء بن نافع فحمل ما غل حتى جعله فى مزفت بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح المزفت المزفت . وحدثنا بن أبى ليلى التجيبى عن حميد عن أبيه انه قال لقد كانت الدابة تطلع فى بعض غزوات موسى فينفذ فى حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة . قال وكتب موسى حين افتتح الاندلس إلى أمير المؤمنين : انها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر . وأخبرنى عن عبد الحميد بن حميد عن أبيه انه قال قدمت الاندلس امرأة عطارد فخرجت بخمسمائة رأس فأما الذهب والفضة والآنية والجوهر فذلك لا يحاط بعلمه . قال وحدثنى ياسين بن رجاء انه قدم عليهم رجل من أهل المدينة شيخ فجعل يحدثنا عن الاندلس وعن دخول موسى اياها . فقلنا له فكيف علمت هذا ؟ قال انى والله من سبيه ولأخبرنكم بعجيب . والله ما اشترانى الذى اشترانى الا بقبضة من فلفل لمطبخ موسى بن نصير . فقلنا لما أقدمك ؟ فقال أبى كان من وجوه الاندلس فلما سمع بموسى بن نصير عمد الى عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغير ذلك فدفنه فى موضع قد عرفته فتقدمت أنا للخروج الى ذلك الموضع لاستخراجه . قلنا له وكم لك منذ فارقته قال سبعون سنة . قلنا له أفنسيته ؟ قال نعم ، فلم ندر بعد ما فعل

(غزوة موسى بن نصير البشكيس والافرنج) قال وذكروا ان موسى خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتح المدائن جميعا حتى دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم

وغزا البشكيس فدخل فى بلادهم حتى اتى قوما كالبهائم ثم مال الى افرنجة حتى انتهى الى سرقسطة فافتتحها وافتتح مادونها من البلاد الى الاندلس قال فأصاب فيها ما لا يدرى ما هو ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة وبين سرقسطة وقرطبة شهر أو اربعون ليلة قال وذكروا أن عبد الله ابن المغيره بن أبى بردة قال كنت ممن غزا مع موسى اندلس حتى بلغنا سرقسطة وكانت من أقصى ما بلغنا مع موسى الا يسيرا من ورائها فأتينا مدينة على بحر ولها اربعة ابواب قال فبينا نحن محاصروها اذا أقبل عياش بن اخيل صاحب شرطة موسى قال أيها الامير انا قد فرقنا الجيش ارباعا من نواحى المدينة وقد بقى الباب الاقصى وعليه رتبة. قال له موسى بن نصير دع ذلك الباب فانا سننظر فيه قال ثم ان موسى التفت الى وقال لى كم معك من الزاد؟ قلت مابقى معى غير تليس قال فأنت لم يبق معك غير تليس وانت من امراء الجيش فكيف غيرك؟ اللهم أخرجهم من ذلك الباب قال المغيرة فأصبحنا من تلك الليلة وقد خرجوا من ذلك الباب فدخلها

موسى منه ووجه ابنه مروان فى طلبهم فأدركهم فأسرع القتل فيهم وأصابوا مما كان معهم ومما فى المدينة شيئا عظيما. قال وذكروا ان جعفر بن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع موسى فحاصرنا حصنا من حصونها عظيما بضعا وعشرين ليلة لم نقدر عليه فلما طال ذلك عليه نادى فينا ان اصبحوا على تعبئة؛ وظننا انه قد بلغه مادة من العدو قد دنت منا وانه يريد التحول عنهم فأصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال: أيها الناس انى متقدم امام الصفوف فاذا رأيتمونى قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا. فقال الناس سبحان الله ترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه؛ يأمرنا نحمل على الحجارة وما لا سبيل اليه؟ قال فتقدم بين يدى الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة فأطال ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستعددنا ثم ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فانهدمت ناحية الحصن التى تلينا فدخل الناس منها وما راعنى الا خيل المسلمين تمزع فيها وفتحها الله علينا فأصبنا منها من السبى والجوهر ما لا يحصى. قال وحدثنى

مولاة لعبد الله بن موسى وكانت من اهل الصدق والصلاح ان موسى حاصر حصنها الذى كانت من أهله وكان تلقاءه حصن آخر قالت فأقام لنا محاصرا حينا ومعه اهله وولده . وكان لا يغزو الا بهم لما يرجو فى ذلك من الثواب . قالت ثم ان اهل الحصن خرجوا الى موسى فقاتلوه قتالا شديدا ففتح الله عليه . قالت فلما رأى ذلك اهل الحصن الآخر نزلوا على حكمه ففتحها موسى فى يوم واحد فلما كان فى اليوم الثالث أتى حصنا ثالثا فالتقى الناس فاقتتلوا قتالا شديدا أيضا حتى جال المسلمون حوله . قال فأمر موسى بسرادقه فكشطه عن نسائه وبناته حتى برزن قال فلقد كسرت بين يديه من اغماد السيوف ما لا يحصى وحمى المسلمون واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له . وقال عبد الرحمن بن سلام كنت فيمن غزا مع موسى فى غزواته كلها فلم نرد له راية قط ولا هزم له جمع قط حتى مات . وقال ابن صخر لما قدم موسى الاندلس قال له اسقف من أساقفتها انا لنجدك فى كتب الحدثان عن دانيال بصفتك صيادا تصيد بشبكتين رجل لك فى البر ورجل فى البحر تضرب بهما هاهنا وها هنا فتصيد . قال فسر بذلك موسى وأعجبه . وقال عبد الحميد بن حميد عن ابيه ان موسى لما أوغل وجاوز سرقسطة اشتد ذلك على الناس وقالوا أين تذهب بنا حسبنا ما فى أيدينا . وكان موسى قال حين دخل افريقية وذكر عقبة بن نافع لقد كان غرر بنفسه حين أوغل فى بلاد العدو والعدو عن يمينه وعن شماله وأمامه وخلفه ، اما كان معه رجل رشيد؟ فسمعه حيش الشيبانى قال فلما بلغ موسى ذلك المبلغ قام حيش فأخذ بعنانه ثم قال : أيها الامير انى سمعتك وانت تذكر عقبة ابن نافع تقول لقد غرر بنفسه وبمن معه اما كان معه رجل رشيد؟ وانا رشيدك اليوم. اين تذهب تريد ان تخرج من الدنيا أو تلتمس أكثر وأعظم ما آتاك الله عز وجل وأعرض مما فتح الله عليك ودوخ لك ؟ انى سمعت من الناس ما لم تسمع وقد ملأوا أيديهم وأحبوا الدعة . قال فضحك موسى ثم قال ارشدك الله وكثر فى المسلمين مثلك . ثم انصرف قافلا الى الاندلس . فقال موسى يومئذ أما والله لو انقادوا الى لقدتهم الى رومية ثم يفتحها

الله على يدى ان شاء الله

(خروج موسى بن نصير من الاندلس) قالوا وذكروا ان عبد الرحمن ابن سلام أخبرهم وكان مع موسى بن نصير بالاندلس ، قال أقام موسى بقية سنته تلك وأشهرا من سنة أربع وتسعين ثم خرج وافدا إلى الوليد بن عبد الملك وكان ماأقام بها موسى عشرين شهرا واستخلف عبد العزيز بن موسى فجاز موسى البحر على الاندلس فغزا بالناس حتى بلغوا اربونة ومعه أبناء الملوك من الافرنج وبالتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضة والوصفاء والوصائف وما لا يحصى من الجوهر والطرائف وخرج معه وجوه الناس . قال وذكروا عن صفة المائدة عن عبد الحميد انه قال : كانت مائدة خوان ليست لها أرجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهى تتلون صفرة وبياضا مطوقة بثلاثة أطواق طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق من زمرذ . قال قلت : فاعظمها ؟ قال : كنا بموضع والناس معسكرون اذ أقلت بغل لرجل من موالى موسى يقال له صالح أبو ريشة على رمكة فكردها فى العسكر فقام الناس اليه بأعمدة الاخبية وجال فى العسكر جولة فتطلع موسى قال ماهذا ؟ وتطلع الجوارى فاذا هو بالبغل يكرد الرمكة وقد أدلى فثار موسى وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها الا منقلة حتى تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها على هذا البغل القوى

(قدوم موسى افريقية) قال وذكروا أن يزيد بن مسلم مولى موسى اخبرهم انه لما جاز موسى الحصن أمرهم بصناعة العجل فعملت له ثلاثون ومئة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجوهر وأصناف الوشى الاندلسى حتى أتى افريقية فلما قدمها بقى بها سنة أربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبد الله على افريقية وطنجة والسوس وخرج معه ولده مروان بن موسى وعبد الاعلى بن موسى وعبد الملك بن موسى وخرج معه مائة رجل من اشراف الناس من قريش والانصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبة وعبد الجبار بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة بن ابى بردة وزرعة بن أبى مدرك وسليمان بن نجد ووجوه من وجوه الناس وأخرج معه من

وجوه البربر مئة رجل فيهم بنو كسيلة وبنو قصدو وبنو ملوك البربر وملك السوس ومزدانة وملك قلعة ارساف وملك ميورقة وخرج بعشرين ملكا من ملوك جزائر الروم وخرج معه مئة من ملوك الاندلس ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه أيضا بأصناف ما فى كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها ومالا يحصى فأقبل بجر الدنيا وراءه جرا لم يسمع بمثله ولا بمثل ما قدم به

(قدوم موسى الى مصر) قال وذكروا أن يزيد بن سعيد بن مسلم أخبرهم قال لما أتى موسى مصر وانتهى ذلك الى الوليد بن عبد الملك كتب الى قرة بن شريك أن ادفع الى موسى من بيت مال مصر ما أراد فأقبل موسى حتى اذا كان فى بعض الطريق لقيه خبر موت قرة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلى عند باب الصوال وكان قرة استخلف ابن رفاعة على الجند حتى توفى فلما سمع بموسى خرج مبادرا حتى لحقه حين استولى على دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسى من انت يا ابن أخى؟ فانتسب له فقال مرحبا وأهلا؛ فسار معه حتى نزل منية عمرو بن مروان فعسكر بها موسى فكلمه حينئذ رفاعة فى المال الذى كان استخرجه من سفيان بن مالك الفهرى وذلك بعد مهلك سفيان. فقال هولك. قال فأمر بدفع عشرة آلاف دينار الى ولد سفيان بن مالك. قال فأقام موسى ثلاثة أيام تأتيه أهل مصر فى كل يوم فلم يبق شريف الا وفد أو صل اليه موسى صلة ومعروفا كثيرا وأهدى لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ثم سار متوجها حتى أتى فلسطين فتلقوه آل روح بن زنباع فنزل بهم فبلغنى أنهم نحروا له خمسين جزورا وأقام عندهم يومين وخلف بعض أهله وصغار ولده عندهم وأجاز آل مروان وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف وغير ذلك من الطرف

(قدوم موسى على الوليد رحمهما الله تعالى) قال وذكروا أن محمد بن سليمان وغيره من مشائخ أهل مصر اخبروهم ان موسى لما قدم على الوليد وكان قدومه عليه وهو فى آخر شكايته التى توفى منها وقد كان لسليمان بن عبد الملك بعث الى موسى من لقيه فى الطريق قبل قدومه

على الوليد يأمره بالتثبط فى مسيره وان لايعجل فان الوليد بآخر رمقه . فلما اتى موسى بالكتاب من سليمان وقرأه قال: حييت والله ماغدرت وما وفيت والله لاتربصت ولاتأخرت ولا تعجلت ولكن أسير بمسيرى فان اوافه حيا لم اتخلف عنه وان عجلت منيته فأمره الى الله. فرجع الرسول الى سليمان فأعلمه فقال لئن ظفر بموسى ليصلبنه أو ليأتين على نفسه . قدم موسى على الوليد وكان الوليد لما بلغه قدوم موسى واقترابه منه وجه اليه كتابا يأمره اليه بالعجلة فى مسيره خوفا أن تعجل به منيته قبل قدوم موسى وانه اراد أن يراه وان يحرم سليمان ماجاء به فلم يكن لموسى شىء يثبطه حين اتاه كتاب الوليد فاقبل حتى دخل عليه وقدم تلك الطرائف من الدرر والياقوت والزبرجد والوصفاء والوصائف والوشى ومائدة سليمان ابن داود عليه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وامر بالمائدة فكسرت وعمد الى افخر ما فيها والتيجان والجزع فجعله فى بيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد أن مات رحمه الله .

(خلافة سليمان بن عبد الملك وما صنع بموسى بن نصير) قال وذكروا أن عبد الرحمن أخبرهم ان سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة اليه بعث الى موسى فأتى به فعنفه بلسانه وكان فيما قال له يومئذ . أعلى اجترأت أمرى خالفت والله لأقلن عددك ولافرقن جمعك ولأبددن مالك ولاضعن منك ماكان يرفعه غيرى ممن كنت تمنيه امانى الغرور وتخدعه من آل ابى سفيان وآل مروان . فقال له موسى . والله يا أمير المؤمنين ماتمتل على بذنب سوى انى وفيت للخلفاء قبلك وحافظت على ولى النعمة عندى فيه. فاما ماذكر امير المؤمنين من انه يقل عددى ويفرق جمعى ويبدد مالى ويخفض حالى فذلك بيد الله والى الله وهو الذى يتولى النعمة على والاحسان الى وبه استعين ويعيذ الله عز وجل امير المؤمنين ويعصمه ان يجرى على يديه شيئا من المكروه لم استحقه ولم يبلغه ذنب اجترمته فأمر به سليمان فوقف فى يوم صائف شديد الحر على طريقه قال وكان موسى نسمة فلما اصابه حر الشمس واتعبه الوقوف هاجت عليه. قال وجعلت

قرب العرق تمتوره فما زال كذلك حتى سقط وعمر بن عبد العزيز حاضر الى ان نظر سليمان الى موسى وقد وقع مغشيا عليه قال عمر بن عبد العزيز: ما مر بى يوم كان أعظم عندى ولا كنت فيه أكرب من ذلك اليوم لما رأيت من الشيخ موسى وما كان عليه من بعد اثره فى سبيل الله وماقدح الله على يديه . قال فالتفت الىّ سليمان فقال ياأبا حفص ما أظن إلا قد خرجت من يمينى قال عمر فاغتنمت ذلك منه فقلت ياأمير المؤمنين شيخ كبير بادن وبه نسمة قد اهلكته وقد اتيت على مافيه من السلامة لك من يمينك وهو موسى البعيد الاثر فى سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين . قال عمر الذى منعنى من الكلام فيه ماكنت اعلم من يمينه وحقده عليه : فخشيت ان ابتدأته ان يلج عليه وهو لحوح . قال فلما قال لى ماقال حمدت الله على ذلك وعلمت أن الله قد أحسن اليه وان سليمان قد ندم فيه فقال سليمان من يضمه ؟ فقال يزيد بن المهلب انا اضمه ياأمير المؤمنين . قال وكانت الحال بين يزيد وموسى لطيفة خاصة قال سليمان فضمه اليك يا يزيد ولا تضيق عليه. قال فانصرف به يزيد وقد قدم اليه دابة ابنه مخبر فركبها موسى فأقام أياما قال ثم انه تقارب ما بين موسى وسليمان فى الصلح حتى افتدى منه موسى بثلاثة آلاف الف دينار

(عدد موالى موسى بن نصير) قال وذكروا عن بعض البصريين أن رجلا منهم اخبرهم ان يزيد قال لموسى ذات ليلة وقد سهر طويلا ياأبا عبد الرحمن كم تعد مواليك وأهل بيتك فقال كثير قال يكونون الفا قال له موسى نعم والفا والفا حتى ينقطع النفس لقد من خلفت من الموالى مالا أظن أحدا خلف مثلهم قال له يزيد انك لعلى مثل ماوصفت وتعطى يدك؟ ألا أقمت بدار عزك وموضع سلطانك وبعثت بما قدمت به فان اعطيت الرضا أعطيت الطاعة والا كنت على التخيير من امرك ؟ فقال موسى والله لو أردت ذلك ماتناولوا طرفا من اطرافى الى ان تقوم الساعة ولكنى آثرت حق الله ولم أر الخروج من الطاعة والجماعة. ثم خرج يزيد من عنده فنظر اليه موسى وقال لمن عنده والله ان فى رأس أبى خالد لنفرة وليأتين عليها

(ذكر ما رآه موسى بالمغرب من العجائب) قال وذكروا عن محمد بن سليمان من مشائخ اهل مصر قال لما بعث موسى رحمه الله بالخمس الذى أفاءالله عليه وكان مائة الف رأس فنزلوا بالاسكندرية ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت كنيسة الرقيق الى اليوم ونزلوا موضعا بالفسطاط فتسوقوا فيه فسمى سوق البربر الى اليوم قال محمد بن سليان ومحمد بن عبد الملك ان موسى اتخذ لنفسه دارا وسكنا حتى كان من أمر سليان ما قد ذكر وهو الذى أخرجه وأهله من المغرب . قال وحدثنا بعض اهل افريقية ان موسى ركب يوما حتى خرج من القيروان فوقف قريبا من افريقية على رأس أميال فأخذ بيده ترابا فشمه ثم أمر بحفر بئر وابتنى داراً واتخذ فيها خيلا فسميت بئر منية الخيل فليس يعلم بالمغرب بئر أعذب منها ، وحدثنا الكريز أبو بكر عبد الوهاب بن عبدالغفار شيخ من مشايخ تونس قال ان موسى انتهى الى صنم يشير بأصبعه خلفه ثم تقدم الى صنم امام الصنم الاول فاذاهو يشير بأصبعه الى السماء ثم تقدم فاذا بصنم على نهر ماء جار يشير بأصبعه تحت قدميه فلما انتهى موسى الى الصنم الثالث قال موسى احفر فاذا بمحدث مختوم الرأس قد أخرج فأمر به موسى فكسر فخرجت ريح شديدة فقال موسى للجيش أتدرون ما هذا ؟ قالوا لا والله أيها الامير ما ندرى . قال ذلك شيطان من الشياطين التى سجنها نبى الله سليان بن داود . قال وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب ان موسى أرسل ناسا فى مراكب فأمرهم ان يسيروا حتى ينتهوا الى صنم يشير بأصبعه أمامه فى جزيرة فى البحر ثم يسيروا حتى يأتوا صنما آخر فى جزيرة يشير بأصبعه أمامه ثم يسيروا الليالى والايام ويجدوا فى السير حتى يأتوا صنما آخر فى جزيرة فى البحر فيها أناس لا يعرف كلامهم قال فاذا بلغتم ذلك فارجعوا وذلك فى أقصى المغرب ليس وراءه احد من الناس الا البحر المحيط وهو أقصى المغرب فى البر والبحر . قال وحدثنا بعض المشايخ من اهل المغرب ان موسى لما بلغ نهرا من أقصى المغرب فاذا عليه فى الشق الايمن اصنام ذكور وفى الايسر اصنام اناث وان موسى لما انتهى الى ذلك الموضع خاف الناس فلما رأى ذلك منهم رجع

بالناس ثم مضى فى وجهه ذلك حتى انتهى الى أرض تيد بأهلها ففزع الناس وخافوا فرجع بهم قالوا وحدثنا عبد الله بن قيس قال بلغنى ان موسى لما جاوز الاندلس أتى موضعاً فاذا فيه قباب من نحاس فأمر بقبة منها فكسرت فخرج منها شيطان فنفخ ومضى فعرف موسى انه شيطان من الشياطين التى سجنها سليمان بن داود فأمر موسى بالقباب فتركت على حالها وسار بالناس . قال وحدثنا عمارة بن راشد قال بلغنا ان موسى كان يسير فى بعض غزواته وهو بأقصى المغرب اذ غشى الناس ظلمة شديدة فعجب الناس منها وخافوا وسار بهم موسى فى ذلك فهجم على مدينة عليها حصن من نحاس فلما أتاه أقام عليها وطاف فلم يقدر على دخولها فأمر بنبل ورماح وندب الناس فجعل يقول من يصعد هذه وله خمسمائة دينار فصعد رجل فلما استوى على سورها تردى فيها . ثم ندب الناس موسى ثانية وقال من يصعد وله الف دينار فصعد آخر ففعل به مثل ذلك . ثم ندب الناس ثالثة قال من يصعد وله الف وخمسمائة دينار؟ فصعد رجل ثالث فأصابه ما أصاب صاحبه فكلم الناس موسى فقالوا هذا أمر عظيم أصيب اخواننا وغررت بهم حتى هلكوا فقال لهم على رسلكم يأتيكم الامر على ما تحبون ان شاء الله ثم أمر موسى بالمنجنيق فوضعت على حصن المدينة ثم هم أن يرمى الحصن فلما علم من فى الحصن ما عمل موسى ضجوا وصاحوا وقالوا يا أيها الملك لسنا نغنيك ولا نحن ممن تريد نحن قوم من الجن فانصرف عنا . فقال لهم موسى أين أصحابى وما فعلوا ؟ قالوا هم عندنا على حالهم. فقال أخرجوهم الينا قالوا نعم فاخرج الثلاثة نفر فسألهم موسى عن أمرهم وما صنع بهم؟ فقالوا مادرينا ما كنا فيه وما أصابنا شوكة حتى اخرجنا اليك فقال موسى الحمد لله كثيراً . ثم تقدم بالناس سائراً يفتح كل ما مر به ثم نرجع الى حديث سليمان بن عبد الملك

(تولية سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة وما أشار به موسى عليه) قال وذكروا ان سعيد بن عبد الله أخبرهم قال ان سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة الى أرض الروم ووجه معه خمسمائة وثلاثين الف رجل وخمسمائة رجل ممن قد ضمه الديوان واكتسب فى العطاء وتقلب فى

الارزاق ثم دعا سليمان بموسى بعد ان رضى عنه على يد عمر بن عبد العزيز فقال سليمان له أشر على ياموسى فلم تزل مبارك الغزوة فى سبيل الله بعيد الاثر طويل الجهاد . فقال له موسى :أى ياأمير المؤمنين ان توجه بمن معه فلا يمر بحصن الا صير عليه عشرة آلاف رجل حتى يفرق نصف جيشه ثم يمضى بالباقى من جيشه حتى يأتى القسطنطينية فانه يظفر بما يريد ياأمير المؤمنين . قال فدعا سليمان مسلمة فأمره بذلك من مشورة موسى وأوعز اليه فلما علم مسلمة بالمشورة فكأنه كره ذلك وكان فى مسلمة بعض الاباية ثم رجع الى قول موسى فما صنع بأرض الروم حين ظفر ببطريق ليس فوقه الا ملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمنى على نفسى واهلى ومالى وولدى وأنا آتيك بالملك ؟ فأمنه ومضى البطريق الى الملك الاعظم فأعلمه بما فعل مسلمة وما ظفر به منه ومن حصون الروم فلما رأى ذلك ملك الروم أعظم ذلك وسقط فى يده فقال البطريق له عند ذلك مالى عليك أن صرفت مسلمة عنك وجميع من معه فقال الملك اجعل تاجى على رأسك وأقعدك مكانى فقال البطريق أنا أكفيك ذلك فرجع البطريق الى مسلمة فقال أخرنى ثلاثا حتى آتيك بالملك . فبعث البطريق الى جميع الحصون فأمرهم باللجأ الى الجبال وحمل ماقدروا عليه من الطعام وأمر باحراق الزرع وغير ذلك مما يؤكل وينتفع به مما كان خلفه مسلمة وجنده ومابين المسلمين وملك الروم فلما فعلوا ما أمروا به وعلم انه أحكم أمره بعث الى مسلمة فقال له :لوكنت أمرأة لفعلت بك كما يفعل الرجل بامرأته . قال فتغيظ مسلمة وآلى الا يبرح حتى يظفر بملك الروم

(سؤال سليمان موسى عن المغرب)

قال وذكروا ان محمد بن سليمان أخبرهم أن سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت على الاندلس ؟ قال له عبد العزيز ابن موسى . قال ومن خلفت على افريقية ؟ وطنجة والسوس ؟ قال عبدالله ابنى قال له سليمان لقد انجبت ياموسى . فقال موسى ومن انجب منى ياأمير المؤمنين ان ابنى مروان أتى بملك الاندلس وابنى عبدالله أتى بملك ميورقة وصقلية وسردانية وان ابنى مروان أتى بملك السوس الاقصى فهم متفرقون فى الامصار وغيرهم يغيرون

فيأتون من السبي بما لا يحصى فمن أنجب مني ياأمير المؤمنين ؟ قال فغضب سليمان فقال ولا أمير المؤمنين ليس بأنجب منك فقال موسى شأن أمير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وان عظم دونه لأنه به ومنه وعلى يديه وأمره . قالوا وحدثنا عبد الله بن شريح قال بلغني ان موسى لما نزل الحيرة عند قدومه من المغرب أتاه رجل من بني أمية فقال له ياموسى أنت ملك المغرب وأعلم الناس، تخرج الى الوليد وتعلم من سليمان ؟ فقال له موسى : يا ابن أخي حسبك من قريش ثم من بني أمية ماتعلم ألا ترى يا ابن أخي ان الصبي يأخذ العظم فيمتقه بحبل ثم ينصبه ويهيئه ويضع فيه حبة بر أو ذرة فينصب للهدهد العالم بما تحت الارض ثم تدفعه المقادير الى الوقوع فيه فاحذر يا ابن أخي ان تراك الشام أو تراها . فخرج موسى الى الوليد بدمشق فمات الوليد واستخلف سليمان أخاه فلقي منه موسى ماذكرنا وأخرج القرشي الى الشام فضربت عنقه

(ذكر قدوم موسى على الوليد)

قال وذكروا ان موسى لما قدم على الوليد وذلك يوم الجمعة في حين جلوس الوليد بن عبد الملك على المنبر وكان موسى قال لبعض من وفد معه بأن يلبس كل رجل من الاسرى تاجا وثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه المسجد قال فألبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهيأهم هيئة الملوك وأمر بأبناء ملوك البربر فهيئوا وأمر بأبناء ملوك الجزائر والروم فهيئوا كذلك ولبسوا التيجان وأمر بأبناء ملوك الاسبان فهيئوا بمثل ذلك وأمر بالاموال والجوهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرش باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد وأبناء ملوك افرنجة وأقبل موسى بالذين ألبسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق والوليد على المنبر فحمد الله وهو موهون قد أثرت فيه العلة وأنهكه المرض وانما كان متحملا لأجل قدوم موسى ومن معه فلما رآهم بهت القوم وقال الناس موسى موسى ثم أقبل حتى سلم على الوليد ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين المنبر وشماله ثم أن الوليد أخذ في حمد الله تعالى والثناء عليه والشكر لما أيده الله ونصره فتكلم بكلام

لم يسمع منه وأطال حتى فات وقت الجمعة ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس ثم دعا بموسى فصب عليه الوليد الخلع ثلاث مرات واجازه بخمسين الف دينار وفرض لولده جميعا فى الشرف وفرض لخمسمائة من مواليه ثم أدخل عليه موسى ملوك البربر وملوك الروم وملوك الاسبان وملوك افرنجة ثم ادخل عليه رؤوس أهل البلاد ممن كان معه من قريش والعرب فأحسن جوائزهم وفرض لهم فى الشرف ثم أقام موسى عند الوقد أربعين يوما ثم ان الوليد هلك

(ذكر اختلاف الناقلين فى صنع سليمان بموسى) قالوا لما استخلف سليمان بعد أخيه الوليد فكان احنق الناس على الحجاج وموسى بن نصير وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبنهما وكان حنقه عليهما لامر يطول ذكره . قال فأرسل سليمان الى عمر بن عبد العزيز فأتاه. فقال انى صالب غداً موسى بن نصير فبعث عمر الى موسى فأتاه فقال له : يا ابن نصير انى أحبك لاربع : الواحدة بعد اثرك فى سبيل الله وجهادك لعدو الله ، والثانية حبك لآل محمد صلى الله عليه وسلم ، والثالثة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأيى فيه ، وكان عياض من عباد الله الصالحين ، والرابعة ان لأبى عندك يداً وصنيعة وأنا أحب أن تتم يده وصنيعته حيث كانت . وقد سمعت أمير المؤمنين يذكر انه صالبك غداً فأحدث عهداً وانظر فيما أنت فيه ناظر من أمرك . فقال له موسى قد قبلت وأسندت ذلك اليك . فقال له عمر لو قبلت ذلك من أحد قبلت منك ولكن اسند الى من أحببت . فانصرف فلما أصبح اغتسل وتحنط وراح ولم يشك فى الصلب فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك فى حمارة الصيف دعا سليمان موسى فأدخل عليه متعبا وكان بادنا جسيما به نسمة لا تزال تعرض له فلما وقف بين يديه شتمه وخوفه وتوعده فقال له موسى : أما والله يا أمير المؤمنين ما هذا بلائى ولا قدر جزائى ، انى البعيد الاثر فى سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين مع قدمة آبائى مع آبائك ونصيحتى لهم . قال فيقول له سليمن كذبت قتلنى الله ان لم أقتلك. فلما أكثر على موسى قال له موالله لمن فى بطن الارض أحب الى ممن على ظهرها . فقال سليمان ومن أولئك ؟ واستطير . فقال له

موسى مروان وعبد الملك والوليداخوك وعبد العزيز عمك . قال فكاد سليمان ينكسر ثم يقول قتلني الله ان لم اقتلك . فيقول له موسى ما انت بفاعل يا أمير المؤمنين . فيقول ولم لالام لك؟ فيقول له موسى انى لأرجو ان لايكرم موسى بهوان امير المؤمنين وموسى حينئذ قائم فى الشمس قد ارتفع نفسه وعظم بهره . ثم التفت سليمان الى عمر بن عبد العزيز فقال ما أرى يمينى الا قد برت يا عمر . قال عمر فاغتنمتها منه ولم ابال ان يحنث باحياء رجل من المسلمين . فقلت اجل يا أمير المؤمنين امرؤ كبرت سنه وكثر لحمه وبه نسمة وبهر سقم فما اراه الاميتا . قال ثم التفت سليمان الى جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه هذه الاموال؟ فقال يزيد بن المهلب انا يا أمير المؤمنين . قال فخذه ولا تمسه وضع العذاب على ابنيه مروان وعبد الاعلى. فخرج به يزيد فحمله على دابة ابنه ثم انصرف به الى منزله فأكرمه وبره وقال له : اطع أمرى واجب أمير المؤمنين الى مقاضاته عن نفسك وعن ابنيك وحملني كما قاضيته عليه . فقال موسى اما اذا كنت انت صاحب هذا الشأن فأنا غير مخبرك فيما ضمنت لأمير المؤمنين وايم الله لو أمر سواك بى وامره بالبسط على لكان أحب الى أن التقى الله عز وجل واقرب الىّ من أن يأخذ منى ديناراً واحدا ولكن اديا يابنى عن نفسيكما وعن ابيكما . فقالا نعم فغدا يزيد بن المهلب الى سليمان فأعلمه بذلك وبرضاء موسى بمقاضاته. فأدخله سليمان عليه . فقال موسى أرأيت لولم أقاضك ما كنت فاعلا ؟ فقال سليمان اضع العذاب عليك وعلى ابنيك حتى ابلغ ما أريد أو آتى على أنفسكم . فقال موسى الآن طابت نفسك يا أمير المؤمنين فأعطنى اربع خصال ولك ما دعوتنى اليه من هذا المال . فقال وما هن ؟ قال لا تعزل عبد الله بن موسى عن افريقية وجميع عمله سنتين وان كل ما جباه عبد الله بافريقية وعبد العزيز بالاندلس فهو لى فيما قاضيت عليه أمير المؤمنين . وان تدفع الى طارقا مولاى واكون اعلى به عينا وبماله . فقال له سليمان اما ما سألتنى من اقرار عبد العزيز وعبد الله علي مكانهما فذلك . وما ما سألت من دفع طارق اليك فتكون اعلى عينا به وبماله فليس

هذا جزاء أهل النصيحة لامير المؤمنين فلست بفاعل ولا تخل بينك وبين عقوبته ولا اخذ ماله . فقاضاه موسى على مال فأجله فى ذلك وخلى سبيله

(نسخة القضية) هذا ماقاضى عليه عبد الله سليمان أمير المؤمنين موسى بن نصير قاضاه على اربعة آلاف الف دينار وثلاثين الف دينار وخمسين دينارا ذهبا طيبة يؤديها الى أمير المؤمنين وقد قبض منها أمير المؤمنين مائة الف وبقى على موسى سائر ذلك أجله أمير المؤمنين الى سير رسول أمير المؤمنين الى ابن موسى الذى بالاندلس يمكث شهرا بالاندلس وليس له أن يمكث وراء ذلك يوما واحدا حتى يقبل راجعا بالمال الا مايكون من افريقية وما دونها وليس لموسى ان يتكثر بشىء على ما كان عليه من العمل منذ استخلص الله أمير المؤمنين من ذمة أو فىء أو امانة فهو لامير المؤمنين يأخذه ويقتضيه ولا يحسبه موسى من غرامته فان أدى موسى الذى سمى أمير المؤمنين فى كتابه هذا من المال الى ماقد سمى أمير المؤمنين من الاجل فقد برىء موسى وبنوه وأهله ومواليه : ليس عليهم تبعة ولا طلبة فى المال ولا فى العمل يترون حيث شاءوا وما كان قبض موسى أو بنوه من عمال موسى الى قدوم رسول أمير المؤمنين افريقية فهو من الذى على موسى من المال يحسب له من الذى عليه ومالم يقبض قبل وصول رسول أمير المؤمنين فليس منه فى شىء وقد خلى أمير المؤمنين بين موسى وبين أهله ومواليه ليس له أن يظلم أحدا منهم .غير أن امير المؤمنين لايدفع اليه طارقا مولاه ولا شيئا من الذى قد أباه عليه أول يوم . شهد أيوب بن أمير المؤمنين وداود ابن أمير المؤمنين وعمر ابن عبد العزيز وعبد العزيز بن الوليد وسعيد ابن خالد ويعيش بن سلامة وخالد ابن الريان وعمر بن عبد الله ويحيى بن سعيد وعبد الله بن سعيد وكتبه جعفر بن عثمان فى جمادى سنة تسع وتسعين . فلما تقاضيا أمر سليمان يزيد بن المهلب بتخلية موسى وابنيه والكف عنه . فأعانه يزيد ابن المهلب بمائة الف دينار فأهدى اليه موسى حقا فيه ثلاث خرزات فبعث بهن الى ابن المهلب فقومهن فقومن بثلاثمائة الف دينار. فقال ابن المهلب لموسى تدرى لم قلت لامير المؤمنين أنا اضمه ؟ قال لا

قال خفت ان يجيبه قبلى من لا يرى فيك ما أنا عليه لك وكانت لك يد عند المهلب رحمه الله فأحببت ان اجزيك بها عنه وبالله لو لم تفسح وابيت عن المقاضاة ما شاكتك عندى شوكة حتى لا يبقى لآل المهلب مال ولا ثوب . قال فجزاه موسى خيرا

(ذكر يد موسى الى المهلب) قال وذكروا ان مخبرا أخبرهم من شيوخ الشام ممن ادرك القوم وصحبهم قال كانت اليد التى أسداها موسى الى المهلب ان عبد الملك بن مروان لما ولى العراق بشرا اخاه جعل معه موسى بن نصير وزيرا ومدبرا لامره وقد كانت الازارقة افسدت ماهنالك فأمر عبد الملك بشر بن مروان أن يولى المهلب قتالهم وكان بشر للمهلب مبغضا فلما قدم بشر العراق وعلم المهلب برأيه اعتزل بشرا فلم يأته فولى بشر بن مروان قتال الازارقة الوليد بن خالد فانهزم وافتضح ثم ولى بشر رجلا آخر فلم يصنع شيئا فكتب عبد الملك الى بشر اخيه يفند رأيه فيما صنع ويوبخه لما خالف رأيه . فصمم بشر على رأيه فلما استغلظ أمر الازارقة استشار بشر بن مروان اسماء بن خارجة وعكرمة بن ربعي وموسى بن نصير فى أمر المهلب فأما عكرمة وأسماء فوافقا هواه فيه، وأما موسى فقال له أن امير المؤمنين لا يحتملك على المعصية وليس مثل المهلب فى فضله وشرفه وقدره فى قومه ومعرفته أقصيت أو جفوت. فان كان مابلغك أمر يقال انه أتاه فاكشفه عنه حتى تعلم عذره فيه أو ذنبه . فلم يزل موسى يردد أمر المهلب على بشر ويعطفه عليه بعد ان كان هم بقتله أن ظفر به حتى أرسل اليه بشر يستقدمه فجاءه المهلب فتنصل اليه المهلب فقبل منه بشر وولاه ما كان يلى فبعث اليه موسى بخمسين فرسا وبمائة بعير وقال له استعن بها على حربك ثم لم يزل موسى قائما بأمره عند بشر حتى هلك بشر . قالوا وأخبرنا محمد بن عبد الملك ان المهلب فى الايام التى كان يخاف فيها بشر بن مروان على نفسه خرج الى مال له فكان فيه وحده فأتى رجل الى بشر وعنده موسى فقال له ان كان لك أيها الامير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الى موضع كذا وكذا فانه فيه فى غار وحده وليس معه فيه رجل من قومه . فبعث بشر خيلا

قال فنهض من مجلسه موسى فوجه اليه غلاما له ثم قال له انت حر لوجه الله ان انت سبقت هذه الخيل حتى تنتهى الى موضع كذا وكذا فتأتى المهلب فتقول له ان موسى يقول لك النجاة بنفسك . فخرج غلام موسى حتى انتهى الى المهلب فأعلمه فاستوى على فرسه فذهب وأتت الخيل فلم تجد أحدا هناك فانصرفوا راجعين الى بشر فأعلموه بذلك

(ذكر قتل عبد العزيز بن موسى بالاندلس) وذكروا أن محمد بن عبد الملك اخبرهم قال قام موسى بن نصير مع سليمان بن عبد الملك يطلب رضاه حتى رضى عنه وابنه عبد الله بن موسى على افريقية وطنجة والسوس وابنه عبد العزيز على الاندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذى فعل سليمان بأبيه موسى تكلم بكلام خفيف حملته عليه حمية لما صنع بأبيه على حسن بلائه فنمت الى سليمان فخاف سليمان ان يخلع فكتب الى حبيب بن عبيد وابن وعلة التميمى وسعد بن عثمان ابن ياسر وعمرو بن زياد اليحصبى وعمر ابن كثير وعمرو بن شرحبيل كتب الى كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذى بلغه من عبد العزيز بن موسى وما هم به من الخلع وانه قد كتب الى عبد الله بن موسى يأمره باشخاصهم الى عبد العزيز وأعلمه انما دعاه الى ذلك الذى احب من مكانتكم لانه بإزاء العدو واعظام العهود ان من قتله منهم فهو امير مكانه وكتب الى عبد الله بن موسى انى نظرت فاذا عبد العزيز بإزاء عدو يحتاج فيه الى الغناء والبلاء فسأل امير المؤمنين فأخبر ان معك رجالا منهم فلان وفلان فأشخصهم الى عبد العزيز بن موسى . وكتب سليمان الى عبد العزيز . اما بعد فان أمير المؤمنين علم ما أنت بسبيله من العدو وحاجتك الى الرجال اهل النكاية والعناية فذكر له ان بافريقية رجالا منهم فكتب امير المؤمنين الى عبد الله بن موسى يأمره باشخاصهم اليك فولهم اطرافك وثغورك واجعلهم اهل خاصتك . وكتب اليهم سليمان انى قد بعثت لكم بكتاب الى أهل الاندلس بالسمع والطاعة لكم والعذر فى قتله فاذا اولادكم أطرافه فأقروا عهدى على من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا اليه حتى تقتلوه . فلما قدم الكتاب على عبد الله بن موسى بافريقية أشخص القوم

فخرجوا حتى قدموا على عبدالعزيز بالاندلس بكتاب سليمان فى الطائفهم واكرامهم فقربهم عبد العزيز واكرمهم وحياهم وقال لهم اختاروا اى نواحى وثغورى شئتم فضربوا الرأى فقالوا انكم ان فعلتم ما أنتم فاعلون ثم رجعتم اليه من اطرافه لم تأمن أن يميل معه معظم الناس فان فى يديه الاموال والقوة من مواليه وغيرهم ولكن اعملوا رأيكم فى الفتك به قالوا فان هاهنا رجلا ان دخل معنا استقام لنا الامر ووصلنا الى ما أردنا وهو أيوب بن حبيب بن اخت موسى قال فلقوه ودعوه الى انه ان قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم انهم أتوا عبدالله بن عبدالرحمن الغافقى وكان سيد اهل الاندلس صلاحا وفضلا فأعلموه ثم أقرأوه كتاب سليمان . فقال لهم قد علمتم يد موسى عند جميعكم صغيركم وكبيركم وانما بلغ أمير المؤمنين أمر كذب عليه فهو والرجل لم ينزع يدا من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل وانتم ترون وامير المؤمنين لا يرى فأعينونى ودعوا هذا الأمر فأبوا ومضوا على رأيهم فأجمعوا على قتله فوقفوا له فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبلة وأحرم وقرأ بأم القرآن الكريم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضربه حبيب بن ابى عبيدة ضربة فدهش ولم يصنع شيئا فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله بن وعلة التميمى وأصبح الناس فأعظموا ذلك فأخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبل اهل الاندلس وولوا عليهم عبدالله ابن عبد الرحمن الغافقى ووفد حبيب بن أبى عبيدة برأس عبدالعزيز بن موسى رحمهما الله . انتهى

﴿الموسوية أو المفضلية﴾ فرقة من الشيعة قالت بامامة موسى بن جعفر نصا عليه بالأسم حيث قال الصادق سابعكم قائمكم وقيل صاحبكم قائمكم الا وهو سمى صاحب التوراة ولما رأت الشيعة ان اولاد الصادق على تفرق فمن ميت فى حال حياة أبيه ولم يعقب ومن مختلف فى موته ومن قائم بعد موته مدة يسيرة ميت غير معقب وكان موسى هو الذى تولى الامر وقام بعد موت أبيه رجعوا اليه واجتمعوا عليه مثل المفضل بن عمرو وزرارة بن أعين وعمارة السباطى وروت الموسوية عن الصادق عليه السلام انه قال لبعض اصحابه عدد الايام فعدها من الاحد حتى بلغ السبت

قال له كم عددت ؟ فقال سبعة فقال جعفر سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور من لا يلهو ولا يلعب وهو سابعكم قائمكم هذا، وأشار الى موسى . وقال فيه ايضا أنه شبيه بعيسى . ثم أن موسى لما خرج وأظهر الامامة حمله هرون الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسى بن جعفر ثم أشخصه الى بغداد فحبسه عند السندى ابن شاهك وقال ان يحيى بن خالد بن برمك سمه فى رطب فقتله وهو فى الحبس ثم أخرج ودفن فى مقابر قريش ببغداد . واختلف الشيعة بعده فمنهم من توقف فى موته وقال لا ندرى أمات أم لم يمت . ويقال لهم الممطورة ، سماهم بذلك على بن اسماعيل قال ما أنتم الا كلاب ممطورة . ومنهم من قطع بموته ويقال له القطعيــة ومنهم من توقف عليه وقال انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة . ويقال لهم الوقفية . أسامى الائمة الاثنا عشر عند الامامية المرتضى والمجتبى والشهيد والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضى والتقى والنقى والزكى والحجة والقائم والمنتظر

﴿الموشكانية﴾ من اليهود أصحاب موشكا على مذهب يوذعان غير انه كان يوجب الخروج على مخالفيه ونصب القتال معهم فخرج فى تسعة عشر رجلا فقتل بناحية قم وذكر عن جماعة من الموشكانية أنهم أثبتوا نبوة المصطفى عليه السلام الى العرب وسائر الناس سوى اليهود لانهم أهل ملة وكتاب . وزعمت فرقة من (المقاربة) ان الله تعالى خاطب الانبياء بواسطة ملك اختاره وقدمه على جميع الخلائق واستخلفه عليهم قالوا فكل ما فى التوراة وسائر الكتب من وصف الله عز وجل فهو خبر عن ذلك الملك والا فلا يجوز ان يوصف البارى تعالى بوصف ، قالوا فان الذى كلم موسى عليه السلام تكليما هو ذلك الملك والشجرة المذكورة فى التوراة هو ذلك الملك ويتعالى الرب سبحانه عن ان يكلم بشرا تكليما وحمل جميع ماورد فى التوراة من طلب الرؤية وشافهت الله وجاء الله وطلع الله فى السحاب وكتب التوارة بيده واستوى على العرش قرارا وله صورة آدم وشعر قطط ووفرة سوداء وانه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وانه ضحك الجبار حتى بدت نواجذه الى غير ذلك على ذلك الملك قال ويجوز فى العادة ان يبعث ملكا واحدا من جلة خواصه ويلقى عليه اسمه

ويقول هذا هو رسولى ومكانه فيكم مكانى وقوله وأمره قولى وأمرى، وظهوره عليكم ظهورى ؛ كذلك يكون حال ذلك الملك. وقيل ان اريوس قال فى المسيح انه هو الله وانه صفوة العالم اخذ قوله من هؤلاء. وهم كانوا قبل اريوس بأربعمائة سنة وهم اصحاب زهد وتقشف وقيل صاحب هذه المقالة هو بنيامين النهاوندى قرر لهم هذا المذهب واعلمهم أن الآيات المتشابهة فى التوراة كلها مؤولة وانه تعالى لايوصف بأوصاف البشر ولا يشبه شيئا من المخلوقات ولايشبهه شىء منها وانما المراد بهذه الكلمات الواردة فى التوراة ذلك الملك المعظم وهذا كما يحمل فى القرآن المجىء والاتيان على اتيان ملك من الملائكة وهو كما قال فى حق مريم عليها السلام ونفخنا فيها من روحنا وفى مواضع اخر فنفخنا فيه من روحنا وانما النافخ جبريل حين تمثل لها بشراً سويا ليهب لها غلاما زكيا

الموصل قال ياقوت بفتح الميم وكسر الصاد المدينة المشهورة العظيمة احدى قواعد بلاد الاسلام قليلة النظير كبرا وعظمة وكثرة خلق وسعة رقعة فهى باب العراق ومفتاح خراسان منها يقصد اذربيجان قال وكثيرا ماسمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة نيسابور لانها باب الشرق ودمشق لانها باب الغرب والموصل لان القاصد الى الجهتين قل مايمر بها وسميت الموصل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات وقيل لانها وصلت بين بلد سنجار والحديثة وقيل بل الملك الذى أحدثها كان يسمى الموصل وهى مدينة قديمة الاس على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقى نينوى وفى وسط مدينة الموصل قبر جرجيس النبى وفى داخل سورها جامعان أحدهما وسط السوق جديد بناه نور الدين محمود والآخر عتيق قيل بناه مروان بن محمد آخر ملوك بنى امية وهو الذى عظمها وألحقها بالأمصار وجعل لها ديوانا مفردا ونصب جسرها وبنى سورها وزادت بعد ذلك عمارتها وتضاعف حاصلها وبينها وبغداد أربعة وسبعون فرسخا

وقال ابن حوقل وأما مدينة الموصل فعلى غربى دجلة صحيحة التربة والهواء وشربهم من ماء دجلة وفيها نهر يقطعها وبين مائه ووجه الارض نحو الستين ذراعا ولم يكن فيها شجر وبساتين الا الشىء

القليل فلما كان فى وقتنا هذا (القرن الرابع) غرست فيها الاشجار وكثرت الكروم والفواكه والنخيل والخضر وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها وجبى أموالها ولها أقاليم ورساتيق ومدن كثيرة مضافة اليها وارتفاع جبايات زادت على ما كان فى سالف الزمان بالظلم والعدوان وذلك لان ابن حمدان اغتصبهم ضياعهم الخراجية واشترى منها القليل بسهم من أعشار ثمنها واستملك رباعها وداخلها وخارجها. الى أن قال وهى مدينة أبنيتها بالجبس والحجارة كبيرة غناء ، أهلها عرب ولهم بها خطط وأكثرهم ناقلة الكوفة والبصرة وكان بها من كل جنس من الاسواق الى الاربع مما يكون فى السوق مائة دكان وبها من الفنادق والحمامات والحال مارغب اليه سكان البلاد النائية فقطنوها وجذبهم اليها رخص أسعارها فسكنوها وهى فرضة لاذربيجان وارمينية ولها بوادر واحياء كثيرة تصيف فى مصائفها وتشتو فى مشاتيها الى أن قال وكانت بها بيوت فاخرة وقوم أهل مروءة ظاهرة ففرقهم جور بنى حمدان بعد انتزاع املاكهم ثم مهد لوصف ما كان عليه البلد من التناد والعدد وكثرة ارتفاعه (ايراده) بقوله « والعبرة فى الدلالة على قوة البلد وقوة اهله بارتفاعه وجباته اذ قوام الدنيا بالمال وهذه عبرة لجميع العقلاء ومرآة لسائر الفهماء » وأخذ يسرد انواع الايرادبابا بابا مما تجده مفصلا فى كتابه من صفحة ١٤٥ . نقول ولا تزال مدينة الموصل قاعدة لولايته تنسب اليها ويكاد لايزيد عدد سكانها اليوم عن خمسين الف نسمة وتجارتها ضعيفة فى البسط وبعض الاقمشة

﴿ الموصلى ﴾ هو ابو محمد اسحق ابن ابراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمى بالولاء الارجانى الاصل المعروف بابن النديم الموصلى وقد سبق ذكر أبيه والكلام فى نسبته ونسبه فأغنى عن الاعادة

وكان من ندمان الخلفاء وله الظرف المشهور والخلاعة والغناء اللذان تفرد بهما وكان من العلماء باللغة والاشعار واخبار الشعراء وأيام الناس وروى عنه مصعب ابن عبد الله الزبيرى والزبير بن بكار وغيرهما وكان له يد طولى فى الحديث والفقه وعلم الكلام . قال محمد بن عطية العطوى الشاعر كنت فى مجلس القاضى يحيى بن أكثم فوافى اسحق بن ابراهيم الموصلى

واخذ يناظر اهل الكلام حتى انتصف منهم ، ثم تكلم فى الفقه فأحسن وقاس واحتج ، وتكلم فى الشعر واللغة ففاق كل من حضر ، ثم اقبل على القاضى يحيى فقال له أعز الله القاضى أفى شىء مما نظرت فيه وحكيته نقص او مطعن ؟ قال لا . قال فما بالى أقوم بسائر هذه العلوم قيام اهلها وانسب الى فن واحد قد اقتصر الناس عليه ؟ يعنى الغناء . قال العطوى فالتفت الىّ القاضى يحيى وقال لى الجواب فى هذا عليك . وكان العطوى من أهل الجدل فقال للقاضى يحيى أعز الله القاضى الجواب علىّ ثم أقبل على اسحق فقال يا أبا محمد انت كالفراء والاخفش فى النحو ؟ فقال لا . قال فأنت فى اللغة ومعرفة الشعر كالاصمعى وأبى عبيدة ؟ قال لا . قال فأنت فى علم الكلام كأبى الهذيل العلاف والنظام البلخى ؟ قال لا . قال فأنت فى الفقه كالقاضى واشار الى القاضى يحيى ؟ قال لا . قال فأنت فى قول الشعر كأبى العتاهية وأبى نواس ، قال لا : قال فمن ههنا نسبت الى ما نسبت اليه لأنه لا نظير لك فيه وانت فى غيره دون رؤساء اهله . فضحك وقاموا انصرف فقال القاضى يحيى للعطوى لقد وفيت الحجة حقها وفيها ظلم قليل لاسحق وانه ممن يقل فى الزمان نظيره . وذكر صاحبنا عماد الدين أبو المجد اسماعيل بن باطيش الموصلى فى كتابه الذى سماه التمييز والفصل ان اسحق بن ابراهيم الموصلى كان مليح المحاورة والنادرة ظريفا فاضلا كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن انس وهشيم بن بشير وابى معاوية الضرير وأخذ الادب عن الاصمعى وابى عبيدة وبرع فى علم الغناء فغلب عليه ونسب اليه . وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه . وكان المأمون يقول لولا ماسبق لاسحق على ألسنة الناس واشتهر بالغناء لوليته القضاء فانه أولى وأعطف وأصدق وأكثر دينا وامانة من هؤلاء القضاة ولكنه اشتهر بالغناء وغلب على جميع علومه مع أنه أصغرها عنده ولم يكن له فيه نظير . وله نظم جيد وديوان شعر فمن شعره ما كتبه الى هرون الرشيد :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى
فليس الى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى
بخيلا له فى العالمين خليل

وانى رأيت البخل يزرى بأهله
فأكرمت نفسى ان يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته
اذا قال شيأ ان يكون ينيل
عطاءى عطاء المكثرين تكرما
ومالى كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى
ورأى أمير المؤمنين جميل

وكان كثير الكتب حتى قال أبو العباس ثعلب رأيت لاسحق الموصلي الف جزء من لغات العرب وكلها سماعه وما رأيت اللغة فى منزل أحد قط اكثر منها فى منزل اسحق ثم منزل ابن الاعرابى ونقلت من حكاياته انه قال كان لنا جار يعرف بأبى حفص ويتبز بالوطى فرض جار له فعاده فقال له كيف تجدك أما تعرفنى؟ فقال له المريض بصوت ضعيف بلى انت ابو حفص الوطى. فقال له تجاوزت حد المعرفة لارفع الله جنبك. وكان المعتصم يقول ماغنانى اسحق بن ابراهيم قط الا خيل لى أنه قد زيد فى ملكى . وأخباره كثيرة وكان قد عمى فى أواخر عمره قبل موته بسنين . ومولده فى سنة خمسين ومائة وهى السنة التى ولد فيها الامام الشافعى رضى الله عنه كما تقدم فى ترجمته فى مادة شفع . وتوفى فى شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلة الذرب وقيل فى شوال سنة ست وثلاثين والاول أشهر. وقيل توفى يوم الخميس بعد الظهر لخمس خلون من ذى الحجة سنة ست وثلاثين رحمه الله تعالى ورثاه بعض اصحابه بقوله:

أصبح اللهو تحت عفر التراب
ثاويا فى محلة الاحباب
اذ مضى الموصلى وانقرض الانـ
ـس وبحت مشاهد الاطراب
بكت الملهيات حزنا عليه
وبكاه الهوى وصفو الشراب
وبكت آلة المجالس حتى
رحم العود عبرة المضراب

وقيل ان هذه المرثية فى ابيه ابراهيم والصحيح الاول

﴿الموصلى﴾ هو محمد بن دانيال بن يوسف الموصلى الحكيم الفاضل الاديب شمس الدين صاحب النظم الحلو والنثر العذب والطباع الداخلة والنكت الغريبة والنوادر العجيبة

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى

هو ابن حجاج عصره وابن سكرة مصره
وضع كتاب طيف الخيال فأبدع طريقه
وأغرب فيه فكان هو المطرب والمرقص على
الحقيقة . من شعره:

قلت لمولاى السنى الحسن المتحسن
من قال انك مائن فان عبدك مائى

(وقال ايضا رحمة الله تعالى)

ورب ليل بالخليج قطعته
اذبت منه ساهرا بالشاطى
ومعى الصناء منادمى وحشاشنى
محشوة بغرائب الاخلاط
ولشقوتى بتنا معا فى مضجع
متردبين على الثرى ببساط
عصفت على رياحه فوجدتها
أقوى هبوبا من رياح شباط
قد كنت أنمس لانتشاق فسائه
غشيا فيوقظنى بصوت ضراط
مازالت انشق منه ريحا منتنا
حتى استحال الى الخراء مخاطى

(وقال ايضا رحمه الله تعالى فى برذونه)

قد كمل الله برذونى لمنقصة
وشانه بعد ماأعماه بالعرج
أسير مثل أسير وهو يعرج بى
كأنه ماشيا ينحط من درج
فان رمانى على ما فيه من عرج
فما عليه اذا ما مت من حرج

وقال فى الشيخ ابن ثعلبة وقد ترك
الغناء واللهو وتصوف فى المشتهى من روضة
مصر:

لطمت بعدك الخدود الدفوف
وتحامت تلك الصروف الكفوف
وتساوى عند الرفاق وقد ما
ت لدينا ثقيلها والخفيف
وعلت ضجة المواصل حزنا
والندامى على السرور عكوف
وجرت أدمع الرواويق حتى
عاد منها النزيف وهو نزيف
وبدا الشمع وهو من سيلان الد
مع انسان عينه مطروف
ياامام الملاح دعوة قاض
فى قضايا المجون ليس يحيف
كيف ذقت الخشوع هل هو حلو
يا حريفى بالله او يا حريف
تبت لله توبة الشيخ ان الز
هد لا يحتوى عليه الضعيف
لا تكن راسب القر فما ير
سب فى القر الا الكثيف

واذا قمت للصلاة فقم ته
لبة ناشقا فأنت نظيف
واذا ماخلوت فى خلوة الما
جد قل للمريدعندى ضيوف
واذا ما اخرجت كيسك بالمه
لوم قل للحضور هذا سقوف
حبذا زهدك التليد فما اذ
ت به فى الشيوخ الاظريف
قسما ياقلية البين انى
قرم الشوق اقلا ملهوف
أترجى منك الرجوع قريبا
طمعا فيك والمحب عطوف

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

اصبحت افقر من يروح ويغتدى
ما فى يدى من فاقة الايدى
فى منزل لم يحو غيرى قاعدا
فاذا رقدت رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة
ومخدة كانت لام المهتدى
ملقى على طراحة فى حشوها
قمل كمثل السمسم المتبدد
والفار يركض كالخيول تسابقت
من كل جرداء الاديم واجرد
هذا وكم من ناشر طاوى الحشا
يبدو كمثل الفاتك المتردد
هذا ولى ثوب تراه مرقعا
من كل لون مثل ريش الهدهد

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

قد عقلنا والعقل أى وثاق
وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلى
فاضلا عند قسمة الارزاق

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

ماعاينت عيناى فى عطلتى
أدبر من حظى ولا بختى
قد بعت عبدى وحمارى وقد
أصبحت لا فوقى ولا تحتى

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

ياسائلى عن حرفتى فى الورى
وصنعتى فيهم واقلاسى
ماحال من درهم انفاقه
يأخذه من أعين الناس

(وقال ايضا رحمه الله تعالى)

رأيت سراج الدين للصفع صالحا
ولكنه فى علمه فاسد الذهن
وأستره بالكف خوف انطفائه
وآفته فى طفئه كثرة الدهن

وقال وقد صلبوا ابن الكاروني وفى
عنقه جرة خمر فى الايام الظاهرية شعرا :
لقد كان حد الخمر من قبل صلبه
خفيف الاذى اذ كان فى شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصاحبى
ألا تب فان الحد قد جاوز الحدا
(وقال أيضا رحمه الله تعالى)
لقد منع الامام الخمر فينا
وصير حدها حد اليمانى
فما جسرت ملوك الجن خوفا
لاجل الخمر تدخل فى القنانى
(وقال أيضا رحمه الله تعالى)
كم قيل لى اذ دعيت شمسا
لابد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء
سما الى السطح من ضلوعى
(وقال أيضا رحمه الله تعالى)
فسر لى عابر مناما
احسن لى فى قوله وأجمل
وقال لابد من طلوع
فكان ذاك الطلوع دمل
(وقال ايضا رحمه الله تعالى)
يارشا لحظه الصحيح العليل
كل صب بسيفه مقتول
لك ردف خادرته رهن خصر
وهو رهن كما علمت ثقيل
(وقال ايضا سامحه الله تعالى)
يالائمى فى العذار مهلا
فأنت بالعذل لى مهيج
الحسن قد زادنى غراما
اذا رقم الورد البنفسج
وكل ديباج خد ظبى
ان لم يكن معلما قد حرج
(وقال ايضا سامحه الله تعالى)
وقد أبطلت المسكرات فى أيام حسام
الدين لاجين .
احذر نديمى أن تذوق المسكرا
أو أن تحاول قط أمرا منكرا
لاتشرب الصهباء صرفا قرقفا
وتزور من تهواه الا فى الكرى
انا ناصحك أن قبلت نصيحتى
اشرب اذا ماومت سكرا سكرا
والرأى عندى ترك عقلك سالما
من أن تراه بالمدام تغيرا
ذى دولة المنصور لاجين الذى
قهر الملوك وكان سلطان الورى
اياك تأكل اخضرا فى عصره
ياذا الفقير يصير جسمك أحمرا

والمزر يامسعود دعه جانبا
واشرب من اللبن المخيس مبكرا
وبى حرام احفظوا ايديكم
فالوقت سيف والمراقب قددرى
توبوا وصلوا داعين لملكه
فيه تنالون النعيم الا كبرا
(وقال سامحه الله وقد دعى الى عرس) :
دعـونى للعرس ياسيـدى
فكدت ان احضر من امس
وهاأنا الليلة فى داركم
فالـكلب مايهرب من عرس
وقال فى البرهان الفاحشة وقد صفع وهو ارمد :
صفع الـبرهان وما رحما
فبكى من بعد النبع دما
قد كان شكا رمدا صعبا
فازداد بذاك الصفع عمى
ورمى النوروز أخادعه
حتى باتت تشكو ورما
ادماه القـوم بآجرة
كانت حورا لا بل ادما
نزلوا سحرا فى ساحله
فرأى الاصباح بهم ظلما
من كل فتى بالنطع بدا
مثل القصار اذا احتزما
فسقاه بها صرفا سبعا
وسقاه بها سبعين بما
(وقال أيضا سامحه الله تعالى)
فى وصف حسنكم تكل الالسن
وجمالـكم فهو الجمال الاحسن
ياسادة غابوا فمات تصـبرى
وبكيتهم حتى بكانى المسكن
لى فيكم ظبى ذكرت لحسنه
عين الجنان اجم احور اعين
قاسى الفؤاد على لكن عطفه
مثل عى غمز الصبابة لين
باد ولكن فى الضمير محجب
سهل ولكن بالرماح محصن
حلفوا بأن الورد زهرة خـده
صدق الوشاة وعارضاه سوسن
متلون الميثاق لكن وجهه
بسوى الحياء الطلق لا يتلون
فى خط عارضـه ونقطة خاله
شكل يصادر فى الهوى ويبرهن
(قال ايضا سامحه الله فى شرح حاله وشكوى زوجته)

قل لقاضى الفسوق والادبار
عضـد الله عمـدة الفجار
والذى قد عدا سفينة جهل
وله من قرنه كالصوارى
بك أشكو من زوجة صيرتنى
غائبا بين سائر الحضار
غيبتنى عنى بما أطعمتنى
فأنا الدهر منكر فى انتظار
عبت حتى لو انهم صفعونى
قلت كفوا اباالله عن صنع جارى
فنهارى من البلادة ليل
فى التساوى والليل مثل النهار
دار رأسى عن باب دارى فبالله
اخبرونى ياسادتى أين دارى
مكنتنى عيـارة وعيارا
حين زادت بالدرديس عيارى
أين مسخ الجمال من طبع مخى
فى التساوى وأين مسخ الحمار
ظفر الله لى بما رحت للبـ
ـحر من البرد أصطلى بالنار
وتجردت للسباحة فى الآ
ل لظنى به الزلال الجارى
ولكم قد عصبت رجلى برؤيا
اوطأتنى حله على مسمار
ولكم رمت قلع ضرس ضروب
بعد ما ضر غاية الاضرار
فاذا بى قلعت بعد عنائى
واجتهادى القول من أوزارى
ورحى حزتها لطحن فما زا
ت ضلالا ادور حول المدار
وانادى وقد سئمت من الركـ
ـض الى أين منتهى مضمارى
أنا أختار لو قعدت من الجهـ
ـد ولكن امشى بغير اختيار
أنا أنسى انى نسيت فلا يخـ
ـشى ضميرى اذاعة الاسرار
أنا سطل السرائحى بما أو
دعت من عجة ومن ابزار
ولكم قد رأيت فى الماء شيخا
وهو جاث فى الجب كالعيار
شيخ سوء كالثلج ذقنا ولكن
وجهه فى سواده كالقار
أشبه الناس بى وقد يشبه التيـ
ـس أخاه فى حومة الجزار
فاعترانى رعب وناديت ماكنـ
ـت اخال اللصوص فى الازيار
ابن ترسى وابن درعى الحقيقى
ام عمرو بصارمى البتار

ان امت كنت فى الغزاة شهيدا
او اعش كنت شاطر الشطار
ثم أثخنت ذلك الزير ضربا
بحسامى حتى هوى لانكسار
وجرى الماء فاحتسيت والا
كنت أقفو الآثار فى التيار
انه كالبان فى قوامى وان اذ
ردتنى كنت فى التهاوش ضارى
أنا مثل الخروف قرنا وان أسـ
قطت فانى أعد فى الاقذار
أنا لو رمت للعلاج طبيبا
ماتعديت دكة البيطار
بعد ما كنت من ذكائى أدرى
ان بابى من صنعة النجار
أحزر البيض قبل مايكسروه
ان فيه البياض فوق الصفار
وبعينى نظرت كوز نحاس
كان عندى أقوى من الفخار
وكثير منى على شيب رأسى
حفظ هذى الاشياء مثل الكبار
(وقال موشحا يعارض به احمد
الموصلى رحمه الله)
غصن من البان مثمر قمرا
يكاد من لينه اذا خطرا
بديع حسن سبحان خالقه
مسك ذكى أشذ لناشقه
ابيض ثغر يبدى لعاشقه
نمل عذار يحير الشعرا
وفرق شعر يستوقف النظرا
بأبى شادن فتنت به
يهواه قلبى على تقلبه
مذ زاد فى التيه من تجنبه
أحرمنى النوم عند ما نفرا
حتى لطيف الخيال حين سرا
جوى أذاب الحشى فحرقنى
ونيل دمعى جرى فغرقنى
لكنه بالدموع خلفنى
فرحت أمشى فى الدمع منحدرا
ذاك لانى غدوت منكسرا
(وأما موشح الموصلى فانه قوله)
بى رشأ عندما رنا وسرى
باللحظ لعاشقين اذ أسرا
بما بأجفانه من الوطف
وما بأعطافه من الهيف
وما بأردافه من الترف
ذا الاسمر اللدن ردنى سمرا
وفى فؤادى من قده سمرا

السحر من لحظه ومقلته
والرشد من فرقه وغرته
والتى من صدغه وطرته
بدرلصبح الجبين قد ستترا
بليل شعر فانظر له سترا
ان قلت بدر فالبدر ينخسف
أوقلت شمس فالشمس تنكسف
أوقلت غصن فالغصن ينقصف
وسنان جفن ساهن النظرا
وكل طرف اليه قد نظرا
يزهو بثغر كالدهر والشهب
والطلع والاقحوان والحبب
رصع شبه اللجين فى الذهب
حوى الثريا من ثغره أثرا
له الذى ادمعى به نثرا
حاجبه مشرف على شفقى
عارضه شاهد على أسفى
ناظره عامل على تلفى
به غرامى قد شاع واشتهرا
وسيفه فى الحشا اذا شهرا
عذاره النمل فى الفؤاد سعى
والنحل من ثغره الاقاح رعى
ويوسف أيدى النسا قطعا
بالنور من وجهه سبى الشعرا
وردنى بالجفا وما شعرا

﴿الموصلى﴾ هو على بن عدلان بن حماد بن على الامام العلامة عفيف الدين أبو الحسن الربعى الموصلى المترجم

ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وتوفى سنة ست وستين وستمائة وكان علامة تصدر بجامع الصالح وكان من أذكياء بنى آدم انفرد بحل المترجم والالغاز وله فى ذلك تصانيف منها كتاب عقلة المجتاز فى حل الالغاز ومصنف فى حل المترجم للملك الاشرف وكتب لعلم الدين السخاوى وهو بدمشق بالبادين قول الحسين بن عبد السلام فى المعمى :

ربما عالج القوافى رجال
فى القوافى فتلتوى وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين
وعصتهم نون ونون ونون

فحلها ابن الحاجب فقال قوله عين وعين وعين يعنى نحو غد ويد ودد لانها عينات مطاوعات فى القوافى مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة لان وزن غد فع ووزن يد فع ووزن دد فع وقوله عصتهم نون ونون ونون الحوت يسمى نونا والدواة لانها تسمى نونا والنون الذى هو الحرف

وكلها نونات غير مطاوعة فى القوافى اذ لا يتم واحد منها مع الآخر. ونظم ابن الحاجب:

اى غد سم يد ودد حروف
وطاوعت فى الروى وهى عيون
ودواة والحوت والنون نونا
ت عصتهم وأمرها مستبين

وقال عفيف الدين أنشدنى اسماعيل المسمول الذى ينسب الى صلاح الدين الاربلى رحمه الله تعالى:

وما بيت له فى كل عضو
عيون ليس تنكرها العقول
اذا بسطوه تلقاه قصيرا
وان قبضوه تبصره طويل

فقلت هذه شبكة صياد طيور فأخذ يباحث فقلت قد تركته ولا يلزمنى اكثر من هذا فأخذ فى المباحثة فقلت هذا فى جركاه فاعترف انه هو. وكتب اليه ناصر الدين بن النقيب ملغزا فى سيف:

ياعفيف الدين يامن
رق فى الفهم وجلا
والذى سموه فى النا
س عليا وهو اعلى
ياأخا الفضل الذى في
ه لنا القدح المعلى
أى شىء طعمه م
ر وان كان حلى
وهو شيخ لا يصلى
ولكم بالضرب صلى
ماله عقل وكم منـ
ه استفاد الناس عقلا
جفنه من غير سهد
ما يذوق النوم اصلا
وهو لا يحسن قولا
وهو قد يحسن فعلا
وهو ان تعكسه فيـ
ـس فصحفه والا
وهو مطبوع نحيف
عند ما يلقاك بسلا
ولكم بدد جمعا
ولكم شتت شملا
ولكم قد سبق العذ
ل وكم قطع وصلا
فأبن عنه بأجلى
منه فى اللفظ وأحلى
وابق فى ايوان عز
وبناء ليس يبلى

فكتب عفيف الدين الجواب :

ناصر الدين الذى فا
ق جميع الناس فضلا
والذى وافق فى الاسـ
ـم الذى وافق فعلا
والذى اشعاره اشـ
ـهى من الحلو واحلى
هو حلو فى فم النا
س وفى العينين يحلى
ان تسلنى عن رفيق
لك تجلى حين يجلى
هو أنثى فى زمان
ويرى فى ذاك فحلا
يشرب الماء ولا يأ
كل الا اللحم أكلا
والندى يؤذيه والنا
ر له الف فيصلى
وهو يعمى العين لاشك
متى ما كان كحلا
محرم فى كل وقت
ما رآه الناس حلا
عجمى وفصيح
جمع الوصفين كلا
وهو كالمرآة يبدى
مثل رأى الشكل شكلا
ولموع برقه الخـ
ـلب لا يمطر وبلا
وعليه أبد الدهـ
ـر ذباب ما تولى
هو مثل الناس فى النشـ
ـأة مذ قد كان طفلا
ويرى شرخا وشيخا
بعد ما قد كان كهلا
سبق التصحيف ذا الشى
ـشنف الآذان حلى
قلت لما جاءنى اهـ
ـلا بذا اللغز وسهلا
لغز كالشمس قد
دقت معانيه وجلا

﴿الماء﴾ قد بقى الماء زمنا طويلا وهو معدود من الاجسام البسيطة مع أن العلامة كافنديف شاهد تكونه عند احتراق الايدروجين واستمر تركيبه مجهولا الا ان ابان لافوازيه انه مركب من اوكسيجين وايدروجين وعين نسبة مقدارها

وتوصل لمرفة تركيب الماء بطريق

التحليل أى بفصل عناصره بعضها عن بعض وبطريق التأليف أى بتكوينه من عناصره التى دل التحليل عليها

يمكن تحليل الماء بعدة طرق منها تحليله بطريقة لافوازييه وهى أن ينفذ بخار الماء على الحديد المسخن لدرجة الاحمرار فى جهاز فيأخذ الحديد اوكسيجين الماء ويترك ايدروجينه يتصاعد فيجئ فى مخبار مملوء بالزئبق منكس على حوض مملوء بالزئبق أيضا فاذا قيس حجم الايدروجين وما ازاداه الحديد من الوزن تعرف مقادير الاكسيجين والايدروجين المركبين للماء. ومنها تحليله بالتيار الكهربائى ويستعمل لهذه الطريقة جهاز يسمى فولتا متر

وهو جهاز مركب من آنية من زجاج مملوءة بماء يذاب فيه قليل من ملح الطعام ليصير الماء اكثر توصيلا للكهربائية ومن مخبارين مملوئين أيضا بالماء المملح وهذان المخباران منكسان على سلكين من البلاتين مارين فى الآنية ومتصلين بقطبى عمود كهربائى فيتحلل الماء بمرور التيار ويتصاعد على السلكين اللذين من البلاتين فقاقيع غازية ترتفع الى قمتى المخبارين وتطرد مافيهما من الماء ويكون الايدروجين فى المخبار المنكس على السلك المتصل بالقطب السالب والاوكسيجين فى المخبار الآخر.

وبهذه الطريقة يشاهد ان حجم الايدرجين ضعف حجم الاوكسيجين ، أى ان الماء مكون من حجمين من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين وبما ان كثافة هذين الغازين معلومة فيستدل منها على الوزن النسبى لهما

فكثافة الاوكسيجين ١٠٥٦ و ١ وكثافة الايدروجين ٠٦٩٢٦ر٠ اى ان الحجم الواحد من الجسم الاول يزن قدر مايزن حجم مساو له من الثانى ١٦ مرة

فالماء اذاً مكون من حجمين من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين وبالوزن من ٢ من الايدروجين و١٦ من الاوكسيجين وبعبارة أخرى ان ١٨ جزءاً من الماء النقى تحتوى على غرامين من الايدروجين و ١٦ غراما من الاوكسيجين

وتركيب الماء بطريق التأليف يؤيد هذه النتيجة التى دل عليها تحليل الماء ويستعمل لتأليف الماء جهاز يسمى اديومتر وهو عبارة عن انبوبة من

زجاج سميكة الجدران مسدودة أحد الطرفين مدرجة يمر فيها سلكان من البلاتين تملأ بالزئبق وتنكس على الحوض الزئبق ويدخل فيها وهى فى هذا الوضع حجمان من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين ثم يوصل سلكا البلاتين بقطبى عمود كهربائى فيتحد حجما الايدروجين بحجم الاوكسيجين من غير ان يبقى شىء بدون اتحاد

واذا ادخل فى هذا الاديومتر حجوم متساوية من الايدروجين والاوكسيجين ١٠٠ سنتى متر مكعب مثلا من كل منهما فبعد الاتحاد يشاهد انه زال نصف الاوكسيجين فقط أى ان تكون الماء حصل من اتحاد ١٠٠ سنتى متر من الايدروجين بخمسين سنتى مترا مكعبا من الاوكسيجين وبعبارة أخرى ان الماء تكوّن من اتحاد حجمين من الايدروجين بحجم من الاوكسيجين ومن تعيين حجوم الايدروجين والاوكسيجين المركبين للماء استخرج غيلوساك وهومبولد وزن هذين الجسمين فى الماء

وقد عين هذا الوزن دوملس مباشرة بطريقة خاصة مؤسسة على ما لاوكسيد النحاس من الخواص فهذا الاوكسيد جسم مركب من اوكسجين ونحاس لونه اسود اذا سخن على درجة حرارة الاحرار ونفذ عليه تيار من الايدروجين الجاف النقى فان هذا الاخير يتحد مع ما فيه من الاوكسيجين فيتكون الماء ويتركب الجهاز الذى استعمله دوملس من آنية يتصاعد منها الايدروجين بتأثير حمض الكبريتيك على الخارصين ومن عدة انابيب معدة لتنقية وتجفيف الايدروجين فالانبوبة الاولى من هذه الانابيب تحتوى على أزوتات الرصاص لتخليص الايدروجين مما يكون فيه من الايدروجين المكبرت والثانية تحتوى على كبريتات الفضة لتخليصه من الايدروجين المفسفر والثالثة والرابعة تحتويان على البوتاسا لتخليصه من الايدروجين المكربن والايدروجين السليسى والخامسة والسادسة تحتويان على حجر الخفاف المندى بحمض الكبريتيك موضوعتان فى مخلوط مبرد وهاتان الانبوبتان معدتان لتجفيف الايدروجين والانبوبة السابعة محتوية على حجر الخفاف المندى بحمض

الكبريتيك ليتحقق أن الايدروجين جف جفافا تاما قبل نفوذه على اوكسيد النحاس وذلك بعدم ازديادوزنها . ويتركب ايضا من دورق وضع فيه اوكسيد النحاس ووزن بما فيه بعد استفراغ الهواء منه ومن دورق آخر متصل بعدة أنابيب محتوية على مواد ذات شراهية عظيمة للماء وهذا الدورق والانابيب توزن خالية من الهواء وتبرد بعد الوزن فاذا سخن الدورق المحتوى على اوكسيد النحاس ونفذ الايدروجين فيه فان أوكسيد النحاس يتحلل ويتحد اوكسيجينه بالايدروجين فيتكون الماء ويتكاثف فى الدورق الثانى ومالا يتكاثف منه تمتصه المواد الشرهة للماء والفرق بين وزن الدورق المحتوى على أوكسيد النحاس قبل التحليل وبعده هو وزن مادخل فى الاتحاد من الاوكسيجين والفرق بين وزن الدورق الثانى ومايتبعه من الانابيب قبل الاتحاد وبعده هو مقدار ماتكون من الماء والفرق بين وزن الاوكسيجين الداخل فى الاتحاد والماء الناتج عن هذا الاتحاد هو مقدار الايدروجين الذى كون باتحاده مع الاكسيجين هذا الماء

وقد أثبتت هذه التجربة للعالم دوماس ان الماء مكون بالوزن من

ايدوجين	١١و١١
اوكسيجين	٩٩و٨٨
	٠٠و١٠٠

اى ان نسبة مقدار الايدروجين للاوكسيجين فى الماء هى كنسبة ١:٨ أو ١٦:٢

(تنقية الماء) المياه التى تشاهد فى الكون لاتكون نقية بل تكون مذيبة أو معلقة لمواد غريبة كالمواد العضوية والاملاح والغازات فمياه المطر المأخوذة مباشرة تكون موسخة بآثار من النوشادر والاملاح القلوية وحمض الكربونيك ، ومياه المطر اقل وسخا من المياه الجارية على سطح الارض وأوساخ هذه تختلف باختلاف الارض التى تمر فيها وينقى الماء بتقطيره والجهاز المستعمل لعمل هذا التقطير يسمى (انبيقا) وهو يتركب من جزء معد لتسخين الماء واحالته الى بخار يسمى (قرعة) وهى عبارة عن قدر من نحاس ذى غطاء يوضع على فرن ومن جزء معد لتكاثف بخار الماء يسمى (الملتوى) وهو عبارة عن انبوبة من رصاص ملتوية

على نفسها ليا حلزونيا موضوعة فى آنية من النحاس يخرج طرف هذا الملتوى من الجزء السفلى منها الى الخارج ومنه يجنى الماء المقطر فى آنية ومن أنبوبة معدة لتوصيل ماتكوّن من البخار فى القرعة الى الملتوى أحد طرفيها مثبت على ثقب فى فتحة القرعة والطرف الآخر مثبت على الملتوى

ولاجل ان يكون تبريد الملتوى مستمرا يوجه اليه سلسول مستمر من الماء البارد ولهذا الغرض يوجد فى الآنية النحاسية انبوبة مجوفة موضوعة فيها وضعا عموديا طرفها العلوى متصل بينبوع مائى وطرفها السفلى ينتهى قرب قاع الآنية النحاسية فبسبب هذا الوضع يطرد الماء البارد الواصل لقاع الآنية مافوقه من الماء الساخن فيخرج من فتحة جانبية توجد فى الجزء العلوى من الآنية النحاسية

ويرمى ما تقطر من الماء فى ابتداء العمل لانه يكون محتويا على حمض الكربونيك ولا يقطر لا ثلثا ماوضع من الماء فى القرعة ولا يكون الماء نقيا الا اذا كانت فيه الاوصاف الآتية :

١ — اذا سخن جزء منه على صفيحة من البلاتين فانه يتطاير بتمامه بدون ان يترك باقيا

٢ — انه لا يرسب بمحلول كلورور الباريوم لان المياه التى ترسب بهذا المحلول تكون محتوية على كبريتات

٣ ـ انه لا يرسب بمحلول نترات الفضة لان الذى يرسب بمحلول هذا الجوهر يكون محتويا على كلورور

٤ ـ انه لا يرسب بمحلول اوكسالات النوشادر لان الذى يرسب بهذا الجسم يكون محتويا على املاح جيرية

٥ ـ انه لا يرسب منه بالغلى مع محلول كلورور الذهب راسب اسود يكتسب بالدلك اللون الخاص بالذهب الفلزى فان رسب كان محتويا على مواد عضوية

٦ ـ انه لا يتعكر بماء الجير فان تعكر به كان محتويا على حمض الكربونيك

٧ ـ انه لا يرسب منه راسب اصفر مسمر بمحلول ثانى يودور الزئبق فى السليمانى المضاف اليه بعض نقط من محلول البوتاسا والا كان محتويا علي النوشادر

٨ ـ انه لا يؤثر فى ورق عباد الشمس سواء أكان احمر أو أزرق

(أوصافه) : الماء لا لون له اذا

نظر لقليل منه ويظهر له لون ازرق جميل اذا نظر لمقدار عظيم منه واللون الاحمر أو الاخضر اللذان يشاهدان فى مياه الانهر يأتيان من المواد المعلقة فيها . ولا طعم ولا رائحة للماء ومنتهى كثافته تكون فى درجة ٤ فوق الصفر وينقبض بتبريده ويستمر انقباضه الى أن تصير درجة حرارة ٤ فوق الصفر فاذا انخفضت الحرارة عن ذلك أخذ فى التمدد فيكبر حجمه فيخف ولذلك يطفو الجليد على سطح مياه الانهر زمن الشتاء فيبقى ما تحته من الماء من البرد فلا تنخفض درجة حرارته عن ٤ فيستمر جريان الماء تحت الجليد وتستمر حياة ما فيه من الحيوانات لتحملها هذه الدرجة

ويتجمد الماء على درجة الصفر فيستحيل جليدا واذا كان الماء خاليا من الهواء وكان فى حالة سكون تام أمكن خفض درجة حرارته الى درجة الصفر بدون تجمده والماء الذى وصلت حرارته الى هذه الدرجة يتجمد بمجرد اهتزازه وحينئذ ترتفع حرارته الى درجة الصفر

ويصهر الجليد أى يصير سائلا على الصفر وتبقى هذه الدرجة ثابتة الى أن يستحيل جميع الجليد الى سائل وقد جعل الطبيعيون درجة صهر الجليد احدى النقط الثابتة فى درجة الترمومترات وهى تقابل درجة الصفر فى الترمومتر المئينى وترمومتر ريومور ويمتص الجليد لاستحالته من الصلابة الى السيولة كمية من الحرارة وكذلك فى استحالة الماء الى بخار يمتص كمية من الحرارة والحرارة الممتصة فى استحالة الماء من الصلابة الى السيولة ومن السيولة الى البخارية تسمى بالحرارة الكامنة وتقاس بكمية الحرارة التى يمتصها كيلوغرام واحد من الماء لترتفع حرارته درجة واحدة (من درجة الصفر الى درجة واحد مثلا) وهذه الكمية المأخوذة وحدة تسمى (السعر) والحرارة الكامنة لصهر الجليد تساوى ٧٩ سعرا أى أنه لاحالة كيلوغرام من الجليد الذى حرارته فى درجة الصفر الى ماء حرارته فى درجة الصفر أيضا يلزم كمية من الحرارة يمتصها الجليد فتصير فيه كامنة ومقدار هذه الكمية هو مقدار ما يلزم من الحرارة لاحالة كيلوغرام من الماء من درجة حرارة الصفر الى درجة ٧٩ وبعبارة أخرى أن الحرارة التى يمتصها الجليد تكفى لرفع حرارة ٧٩ كيلو غراما من الماء درجة واحدة

واستحالة الماء الى جليد هو تبلور حقيق فان الجليد مكون من اجتماع بلورات منشورية ذات ستة سطوح والثلج الذى هو عبارة عن ماء متجمد بالبرودة الكائنة فى الطبقات العليا من الجو يكون فى هيئة ندف شبيهة بالقطن مكونة من اجتماع نجوم ذات ستة أشعة جميلة

وتتأخر درجة تجمد الماء بوجود املاح فيه ومتى تجمد تخلص مما فيه من الاملاح فانه يتركها فى (المياه الامية أى التى حصل فيها التجميد ولم تتجمد)

وفى الصنائع يجمد الماء بالبرودة الناشئة عن تمدد الهواء فجأة فان الغازات والهواء اذا ضغطت أنتشرت منها كمية من الحرارة فاذا تركت مضغوطة بردت فتصير درجة حرارتها هى درجة حرارة الوسط الذى هى فيه وذلك بسبب مايحصل بينها وبين هذا الوسط من التشعع فاذا زال الضغط الواقع عليها دفعة واحدة فانها تمتص ما تركته من الحرارة وقت ضغطها وبامتصاصها هذه الحرارة من الاجسام المجاورة لها تبرد تلك الاجسام فاذا كان الماء فى اناء محاط بكتلة عظيمة من الهواء مضغوطة ضغطا قويا ثم ازيل هذا الضغط فان الهواء يتمدد ويأخذ مايلزم من الحرارة لتمدده من اقرب الاجسام اليه وهو الماء المحيط به فيبرد هذا الماء برودة كافية لأن يتجمد

ويغلى الماء النقى على درجة ١٠٠ اذا كان الضغط الجوى يساوى ٧٦٠ مليمترا والحرارة الكامنة فى استحالة الماء الى بخار تساوى ٥٧٦ سعراً اى انه يلزم لاحالة كيلوغرام من الماء من درجة ١٠٠ الى بخار درجته ١٠٠ كمية من الحرارة كافية لرفع حرارة ٥٧٦ كيلوغراما من الماء درجة واحدة وفى مدة غليان الماء تكون درجة حرارته واحدة فالحرارة المعرض لها الماء حال اغلائه تصير كامنة فيه بها يستحيل من سائل الى بخار ولكون درجة غليان الماء ثابتة جعلت هى النقطة الثانية للترمومتر وهى نقطة ١٠٠ فوق الصفر فى الترمومتر المئوى

ووجود املاح فى الماء يرفع درجة غليانه فالماء المشبع بكلورور الكالسيوم لا يغلى الا على درجة ١٧٩

وازدياد الضغط الواقع على سطح الماء يرفع درجة غليانه فالماء المضغوط

بضغط جوّين أى بضغط يساوى ضغط الهواء مرتين لايغلى الا على درجة ١٢٠ وبانخفاض الضغط تنخفض درجة غليان الماء فالماء الموضوع فى الفراغ يغلى على درجة ٢٠

ويتصاعد من الماء بخار على جميع درجات الحرارة ويسمى (تبخرا) ومن الجليد يتصاعد بخار أيضا

ويذيب الماء عددا عظيما من الاجسام ولايذيب المواد الدهنية ولاغالب الاجسام المحتوية على كثير من الكربون

ويتحلل الماء بالتيار الكهربائى وبالحرارة ببعض الاجسام ايضا كالكلور والبروم والبوتاسيوم والصوديوم

والمياه المذيبة لكثير من الانديد كربونيك تذيب مقدارا عظيما من كربونات الجير بمرورها فى أرض جيرية وكلما تصاعد شىء من حمض الكربونيك المذاب فيها رسب مايكون ذائبا به فى الماء من كربونات الجير وهذه المياه بمرورها من شقوق المغارات تسيل نقطة بعد نقطة وهذه النقط تبقى معلقة فى سقف المغارة برهة ثم تسقط وفى أثناء هذا التعلق يتصاعد بعض الانديد كربونيك فيرسب فى سقف المغارة ماكان مذيبا له من كربونات الجير وما يسقط من الماء فى قاع المغارات يتبخر فيترك مافيه من الاملاح ومنها كربونات الجير فتنتهى هذه الرواسب بعد مضى أعوام بأن تكون عمودين أحدهما متدل من سقف المغارة والآخر قائم من أرضها ويسميان بالاستلكتيت والاستلجميت

وتنقسم المياه الى مياه (صالحة الشرب) وهى مياه الامطار والانهر والينابيع ومياه لاتصلح للشرب وهى مياه البحار والمياه المعدنية

(المياه الصالحة للشرب) المياه التى تصلح للشرب تحتوى على العناصر الداخلة فى البنية ولا تحتوى الاغذية على مقدار كاف منها أما الاجسام التى لادخل لها فى البنية فوجودها فى مياه الشرب مضر بالصحة ومن الاملاح التى يلزم وجودها فى المياه الصالحة للشرب ثانى كربونات الكالسيوم وثانى كربونات المغنيسيوم ومقدار قليل من الفلورور والكلورور وآثار من السليس ولاجل أن تكون المياه صالحة للشرب يلزم أن تكون فيها الصفات الآتية:

١ ـ أن تكون صافية بارحة لارائحة لها

٢ ـ أن يكون طعمها خفيفا ليس بملح ولا حلو ولا تفه

٣ ـ أن تكون مذيبة لمقدار من الهواء

٤ ـ أن تذيب الصابون بدون أن يكون حبوبا وأن تنضج البقول فيلزم أن تكون حرارة المياه مابين ٨و١٥ والمياه العكرة والتى لها رائحة كريهة تكون محتوية فى الغالب على مواد عضوية متعلقة بها أو متعفنة ومثل هذه لاتصلح للشرب وينبغى أن لايتعدى مقدار المادة العضوية فى اللتر الواحد من الماء مليغراما واحدا

والمياه المحتوية على مادة عضويه فى حالة تحلل أو على مادة متعفونة تكون مضرة بالصحة

والمياه المجردة عن الهواء تكون تفهة عسرة الهضم ومقدار مايكون من الهواء فى المياه الصالحة للشرب هو بين ٣٠ و ٨٠ سنتى متر مكعب لكل لتر من الماء

وليس مقدار الاجسام المكونة للهواء المذاب فى الماء عين مقدار المكونة للهواء الجوى فيكون الاوكسيجين أكثر ذوبانا فى الماء من الازوت فمقداره فى هواء الماء أكبر منه فى الهواء الجوى فالمائة الحجم من الهواء المذاب فى الماء تحتوى على ٣٤ر٩ من الاوكسيجين والمائة الحجم من الهواء الجوى لاتحتوى الا على ٢١ ومن هذا تعرف كيف تجد الاسماك التى لاتتنفس الا بالهواء المذاب فى الماء المقدار الكافى من الاوكسيجين لحياتها

وينبغى أن تكون المياه محتوية على مقدار من الاملاح لايتعدى ٥٠ سنتى غراما فى اللتر الواحد فاذا زادت كمية الاملاح عن ذلك صارت لاتصلح للشرب ولا للاستعمال المنزلى فان كان مقدار الاملاح الجيرية فيها عظيما صارت لاتذيب الصابون من غير أن تكون حبوبا لان الاملاح الجيرية تكون مع الحوامض الدسمة الداخلة فى تركيب الصابون مركبات لا تذوب ولا تنضج البقول كالعدس والفول والبسلة لانها تصير غلافها صعبا لايلين بالطبخ لان مافى الماء من الجير يكون فى غلافها مركبا عديم الذوبان ولاتصلح هذه المياه المحتوية على كثير من الاملاح الجيرية للاستعمال فى الآلات البخارية بسبب الرواسب التى تتكون

من الاملاح الجيرية فى قدورها فتكون سببا للاخطار

(المياه المعدنية) بعض المياه يحتوى على اجسام ملحية بسببها يكون فيها خواص طبية تصيرها نافعة فى معالجة بعض الامراض فهذه المياه هى المسماة (المياه المعدنية) واحيانا ينتفع بهذه المياه لاستخراج املاح منها نافعة فى الصنائع وقد تكون درجة حرارة هذه المياه مرتفعة عن درجة الحرارة الاعتيادية لكونها آتية من اغوار عميقة فى الارض او لكونها بالقرب من براكين . فهذه المياه تسمى (بالمياه المعدنية الحارة) وذلك كماء فيشى التى درجة حرارتها ٤٥

وتسمى المياه المعدنية بأسماء مختلفة بحسب الاجسام الموجودة فيها فمن المياه المعدنية مايكون معظم مافيها من حمض الكربونيك ذائبا وتكون أيضا محتوية على كربونات قلوية وقليل من كلورور الصوديوم واحيانا على كربونات حديد ويحصل منها فوران بتعريضها للهواء فهذه المياه تسمى (المياه الغازية والمياه الحمضية) ومثالها ماء سدلتس ومنها مايكون معظم مافيها من الكربونات الحمضية القواعد القلوية والترابية وخصوصا كربونات الصوديوم فهذه تسمى (المياه القلوية) ومثالها ماء فيشى . ومنها مايكون معظم مافيها من الكلورات خصوصا كلورور الصوديوم مع قليل او كثير من كلورور البوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم فهذه المياه تسمى (المياه الكلورورية) ومثالها ماء بلربك . ومنها مايكون معظم ما فيها من الكبريتورات القلوية او من حمض الكبريت ايدريك والاولى تكون فى العادة حارة والثانية باردة فهذه تسمى (المياه الكبريتورية) ومثالها مياه حلوان ومنها مايكون معظم مافيها من الكبريتات اما من كبريتات الصوديوم كماء كرلسباد اومن كبريتات المغنيسيوم كماء بولندا وسدلتس وهذه المياه تسمى (المياه الكبريتاتية) كربونات الحديد على الحديد على حالة كربونات الحديد او على حالة كربنات الحديد وهذه تسمى (المياه الحديدية) ومثالها مياه ارتز ومنها ما يكون محتويا على برومورات قلوية ويودورات قلوية وهذه المياه تسمى (المياه البرومورية واليودرية) ومياه كروزناخ ومياه البحر تحتوى على ملح الطعام

ومقداره يختلف بين ٣٣ و ٣٨ غراما فى اللتر منها وتحتوى كذلك على كبريتات وبرومورات ويودورات قلوية واملاح جيرية ومغنيسية (انظر الدروس الابتدائية فى الكيمياء العمومية)

﴿الاستعمالات الطبية للماء﴾ الماء يستعمل كثيرا واسطة من وسائط العلاج فى امراض كثيرة بل في اوروبا وامريكا اليوم مذهب لا يعول فى علاج الامراض الا على الماء فيجدر بنا ان نأتى على بيان شاف لهذه الطرق وكيفية تطبيقها وعلى تاريخ ظهور هذا المذهب الى غير ذلك مما يهم الالمام به وليس لدينا مما قرأناه عن هذا الموضوع اكمل وادق مما كتبه الطبيب المصرى الكبير احمد افندى الرشيدى فى مادته الطبية فنورد ماقاله فى ذلك فهو أوفى بالغرض، وألم بأطراف الموضوع الذى نحن بصدده . قال رحمه الله:

(ادروتيرابيا أى العلاج بالماء) قال تروسو والطب التجريبى أسس هذه الطريقة العلاجية على فعل صدر من فلاح من سيليزيا ببلاد الاوتريش يسمى ابريسنيت واشتهر اسمه الآن بالاوربا واذا عرفت التعسرات الباطنة والظاهرة للطب اعنى كثرة عدد الامراض المعضلة الغير القابلة للشفاء المهلكة والغير المهلكة وندرة المرضى العقلاء وندرة الاطباء القادرين على توجيه علاج مرض مزمن توجيها ادبيا وسياسيا وطبيا اتضحت لك بذلك شهرة ابريسنيت والازدحام الذى اكتسبه هذا الشخص فى جرافنبرغ وهذا حال كل من الامور العلاجية الجديدة . فالادروتيرابيا اجتمع فيها مايلزم لهيجان الناس ومن المعلوم ان الماء والبرد فاعلان طبيعيان لا يظن منهما سوء لان الماء ينقى الدم والبارد يقوى الاعصاب وغير ذلك والاعراق الكثيرة والاندفاعات الدملية ونحوها يحصل منها البحران واستفراغ الاخلاط الفاسدة وغير ذلك وهذا هو الذى اوقع الناس فى الغش وأكد عند ابريسنيت وعند مرضاه أنه لاشىء اسهل من الطب وان الاطباء مهووسون بل هم اشخاص مضرون للناس وانه هو افضل منهم بابرائه داءات وامراضا عجزوا عنها ابراء حقيقيا . ومن الشفاء الحقيق لتلك الامراض ظهر لك سبب هذا الهيجان العلاجى بالماء الذى ينسب له اعظم غلط للمذهب العلاجى المسمى او ميوباتيا اى

احداث مرض مماثل للداء القديم فى الشخص واكتسبت هذا المذهب سمعة وشهرة فاذن لابد من ذكر فصل فى ذلك نافع فى صناعة العلاج ولا يتأتى لنا الاستغناء عن توسيع المقام قليلا فى هذا الاستعمال الجديد للماء البارد ولاشىء احسن من ذكره هنا . انتهى

وقبل ان ننقل ماذكره تروسو نقدم ماذكره ميره فى مبحث الماء فى ذيل كتابه حيث قال: استعمال الماء النقى على طريقة ادروصدباتيك موضوع جديد للدراسة لا باعتبار كونه واسطة علاجية فقط بل ايضا باعتبار حالته الطبيعية اذ جميع الاخطار التى زعموا وجودها من البرد الوقتى ومن استعمال الماء البارد من الباطن وتخوفت منها الاطباء وفزعت منها الاعتيادات تزول بالكلية امام التجربه التى جهزت لذلك كيفية عملها كوضع فوطة أو ملاءة مبتلة بالماء البارد على أوجه لاجل اثالة شفائه كما شوهد أن الماء البارد المشروب بكثرة يسبب عرقا كثيرا ثم شوهد ان الآلام تزول باستعمال الماء البارد بأى شكل كان مخالف التعقلات التى قيلت الى الآن ولكن بدون خطر فى ذلك الاستعمال مع المنفعة انتهى

وقال فى مبحث اد وتيرابيا هى كيفية علاج الامراض المزمنة بالاستعمال الباطن والظاهر للماء البارد بمساعدة العرق الناتج من ذلك الماء ولذا كان التعبير بادروصدوباتيا انسب لفهم المعنى أكثر مما يفهم من ادروتيرابيا الموضوع لذلك واستعمال الماء البارد فى علاج بعض الامراض الجراحية معروف عند القدماء واستعملوا الماء فى الطب نحو آخر القرن السادس عشر واوئل السابع عشر وآخر الامر ان فلاحا من بلاد الاوتريش بأنما يسمى اربسنيت اخترع طريقة جديدة لعلاج الامراض المزمنة بالماء البارد قال بوشرده وأسسها على قاعدة وهى ان جميع الامراض حاصلة من اخلاط معيبة ممسوكة فى باطن الجسم وانه يكفى لحصول تبخير مناسب لتندفع به تلك الاخلاط الى الخارج وترجع الصحة للشخص ووجد هذا الفلاح محلا فى ضيعة فى حول مدينة ويانة تسمى جريفنبرغ على جبل سليسيا الاوتريشى قال ميره وكان هذا المحل ولا قليل المورد ثم صار فى بضع سنين موردا كبيرا يرد عليه كثير من المرضى حتى من بيوت

المالك ويعالجهم بتلك الطريقة مع النفع كما قال. وأول علاج فعله ابريسنيت بالماء البارد كان فى مرضى بخانات والده فى جريفنبرغ ثم اشتهر امره فى اقليمه سنة ١٨٣٥ وأسس مواضع مثل ذلك فى جملة محال من هذا البلد وحصل فيها الشفاء لامراض عولجت بغير ذلك من الادوية بدون نفع .قال بوشرده وهذا الشخص ممتع بحاسة جيلة يعرف بها كيف يختار من المرضى من تؤثر طريقته فيه ويبرأ من مرضه . وقال ايضا انهم اضعفوا وقللوا مصائب هذه الكيفية وبالغوا فى الاهتمام بالاحوال الجيدة حتى صار العلاج بالماء صالحا قويا غير انه لايستعمل فى جميع الاحوال ويستدعى استعماله تأملات كثيرة . وقال ميره رغب كثير من الفرنساويين فى تحقيق تلك الكيفية العلاجية مثل جيبر ودوفرجى ولاطور وغيرهم ولم يمكنهم منع الاعتراف بأن هذه الكيفية متبوعة بالنجاح فى كثير من الاحوال نعم وغيرهم من الاطباء مثل روش وفلبوس وبليار وغيرهم عابوا هذا الاستعمال التجريبى حتى فى الامراض المزمنة المخصوص بها غالبا هذا الاستعمال

(كيفية العلاج بالماء البارد على طريقة ابريسنيت) كيفية العمل ببلاد النمسا أن يعرى المريض من ملابسه الاعتيادية ويلف فى رداء أو حرام من الصوف الغليظ النسيج ولا يكشف منه الى الوجه والرأس الذى يحاط بفوطة قال بوشرده ويعمل ذلك فى الساعة الرابعة أو الخامسة فى النهار أى بعد نصف الليل بأربع ساعات أو خمس ويغطى بأغطية أخرى من منسوجات زغبية أو فراء ثم من المرضى من يتغمر بالعرق فى نصف ساعة ومنهم من لايبتدىء العرق فيه الا بعد ٣ ساعات أو ٤ فاذا كان الجلد مستعصيا على العرق استعمل له على التعاقب دلكات جافة وغسلات باردة وملاءات سرير مبتلة باردة حتى ان العضو الكاسر للشماع أى الجلد ينتهى دائما بالانقياد ويحصل منه استفراغ عظيم للعرق ومتى حكم الطبيب الموضوع قرب مريضه بأن هذا التنفيس كان وضعه حالا بسرعة ماأمكن في حمام بارد محضر من قبل قرب سريره فأول انطباع يحصل للمرضى هو أن يستشعروا غالبا براحة عظيمة تامه ومدة ذلك الحمام تختلف

ونستدعى التقدير من الطبيب فبعض المرضى لا يمكثون فى الحمام البارد الا دقيقة واحدة ومنهم من يبقى فيه الى ظهور القشعريرة الثانية والاشخاص الذين هم فى غاية الرقة واللطافة ترفع لهم درجة الحرارة قليلا وغيرهم بالعكس اى تخفض بالصناعة ما أمكن ثم بعد الحمام الخارج يستعمل الحمام الداخل اى الباطن أى يبتدىء المريض فى الرياضة التى فى مدتها يشرب ماء كثيراً حتى يحس بثقل متعب للمعدة ويشاهد من اعتيادات المرضى ان منهم من يشرب فى العادة قليلا من الماء ومنهم من يشرب بسرعة من ٢٠ الى ٣٠ كوبا فى اليوم ثم تتبع الرياضة بالغذاء فيتغذى المريض بدون أن يشرب مشروبات مهيجة وتكون قاعدة المآكل اجساما صلبة مغذية ومن السار حقيقة مشاهدة ان المرضى حتى من كان منهم سابقا عسر هضم وفقد شهية ينهشون الاغذية التى تقدم لهم بشهية عظيمة فهذه هى الكيفية التى تؤخذ من بوشرده . واما ما يفهم من ميره فهو انه بعد ان يعرى المريض من ملابسه يلف فى حرام الصوف حتى يكون له كالقماط ماعدا الوجه والرأس الذى يحاط بفوطة ثم يوضع على السرير ويغطى بأغطية أخرى ويكون ذلك فى حجرة يوجد فى حرارتها بعض ارتفاع فحينئذ لابد من ان تظهر الحرارة شيئاً فشيئاً ويتلون الوجه وغير ذلك ومتى ظهر العرق يفتح الشباك ويسقى المريض فى كل ربع ساعة ماء بارد أى ربع كوب أولا ثم يزاد المقدار تدريجا حتى يشرب كوبا كبيراً فى كل مرة بحيث ينفذ العرق حالا من السرير ويمكن اجتناؤه منه بالاتار قال ويصح ان يعمل منه للمريض مجلسان فى اليوم بدل مجلس كبير فى ٤ و٥ ساعات اذا كان المريض ضعيفا ثم يحل القماط ويغمس المريض فى حوض من ماء بارد حالة كونه عارقا ناهجا ويمكث فيه من ٨ دقائق الى ١٠ مع اعطائه فيه زيادة حركة ما أمكن ثم يخرج من الحوض ويمسح جسمه ويدلك ثم يلبس ملابسه سريعا ويريض فى هواء واسع مطلق فيحصل رد فعل نحو الجلد وحرارة لطيفة واحساس براحة ظاهرة وغير ذلك وبعد ذلك بساعة يدخل فى قاعة الأكل ويجلس على المائدة ويأكل . قال والمرضى الضعاف هم الذين يغمسون فى الماء البارد

وأما المسترخون القليلو القوة فلايعرضون لذلك وانما يبدل الغمس لهم بوضع خرق مبتلة على أجسامهم وقد ذكرت تنوعات مختلفة وزيادة فى الشرح كتبها الطبيب طريفيت فى التفتيشات الطبية فى شهر مارس سنة ١٨٤٤ فراجعها ، وانما نقول فقط ان هذه الطريقة تستدعى لاجل انالة النجاح منها هواء نقيا فى محل مرتفع وتيارا هوائيا فى الحجرة التى يفعل فيها هذا العلاج وممارسة كثيرة من جانب المريض ونحو ذلك وكما يستعمل الماء البارد فى هذه الطريقة مشروبا وحماما يستعمل ايضا نصف حمام وحماما قدميا وصبوبات وزروقات وحقنا ونحو ذلك ويدفع فى الخياشيم من ذلك الماء ويتغرغر منه وغير ذلك وتغذية المرضى تكون على حسب شهية المريض فيأكل مايشتهيه انتهى . ويستفاد نحو ذلك من كلام بوشرده حيث قال ان هذا العمل المستعمل زمن العلاج الى اليوم الاخير يكون الضعفاء اللطفاء ومن يسهل انقياد وجهم الى الممارسات الرياضية ، وأما الاقوياء المصابون بأوجاع مزمنة مستعصية فيبتدؤن بالتعرض لتأثير الماء البارد المستعمل تارة بهيئة مطر أو غبارا وتارة صبوبات ومنهم من يأخذ انصاف حمامات أى حمامات مقعدية أو حمامات قدمية قال وينبغى لاجل ان يسمح للمرضى بالاستدامة على استعمل هذه الوسائط العلاجية والرغبة فى السكون والراحة أن يكون عشاؤهم بعد الزوال بيسير ويمنع عنهم الماء البارد فى مدة الهضم الا اذا كانوا مصابين بالسمن المفرط ثم يعودون لاستعمال الوسايط العلاجية فى الصباح مالم تكن بنيتهم شديدة الضعف ومن الاشخاص من يحدد لهم التنفيس والحمام التابع له كل يوم وبعد عشائهم الذى تتطلبه شهيتهم يفتشون على سكون يحتاجون اليه فى الحقيقة . قال وهناك شرطان مهمان لحصول النتيجة من هذا العلاج المائى الذى دلالته الحكمة تفيد نتائج جيدة أولها أن تكون الطرق الهضمية فى حالة جيدة أو ان تصير كذلك باستعمال الماء ، وثانيهما أن يكون الماء المستعمل للحمامات والشرب هوائيا جدا وجيد الصفة مقبولا وسليما بقدر الامكان من أنواع الكبريتات التى تسهل وتخدم الهضم ولكن أيضا تلك المياه شديدة

البرودة . ويسهل عليه ان يعلم ان هذه الكيفية العلاجية لا يمكن ممارستها فى جميع الاماكن اذ لا توجد كثيراً فى كل الجهات مياه جيدة الصفات ومياه باريس وان لم تكن مناسبة لهذا العلاج الا أنه تيسر لهم استعمالها مع النجاح فى مارستان سنت لويس سواء لمعالجة بسريازس مستعص أو جذام عام قديم . انتهى

ويوجد بفرنسا كما قال مسيو جملة محال من هذا النوع حتى قرب باريس تعالج فيها المرضى بهذا العلاج المائى بطريقة الفلاح النمساوى وجرب الطبيب ورطين هذا العلاج بالماء فى مارستان سنت لويس تجاه أعين الطبيبين جنير ودوفرجى علاجا لأمراض الجلد الغير القابلة للشفاء غالبا واللاكتيوز الاعمر اى الداء السمكى الذى تتغطى فيه البشرة بفلوس ثخينة وحصل من ذلك شفاء ظاهرى وفى الحكة المستعصية وفى بسريازس وغير ذلك (انظر الجرنال السنوى لبوشرده فى سنة ١٨٤٣) انتهى وقال تروسو نحن وان لم نجعل للادروتيرابيا استعمالا ثابتا قانونيا قد استعملنا هذا العلاج بالماء أحيانا ولكن لا بد أن نذكر رأينا باختصار مشبع واظن انه لأجل ذكر قواعد هذه الكيفية فى العلاج يلزم أن نستعير من الكتاب الشهير الذى يظهر لنا أنه أليق بالموضوع وهو المؤلف الجديد للطبيب سيديل بفتح السين والدال المهملة وعنوانه مبحث كلينكى فى الادروتيرابيا ويكفينا بعض صفحات من مقدمته وذكرت فى هذا الكتاب الكيفيات الرئيسة لهذا العلاج الجديد المائى ومؤلفه قبل أن يذكر عمليات أبريسنيت نفسه ذكر أن جملة من الاطباء لهم تفتيشات مهمة فى استعمال الماء البارد فى آخر القرن الأخير مثل جكسون وقورى وبوه . قال تروسو نقلا عن سيديل ان جملة من الاطباء يعنى هان وجكسون ووريج بعد استعمالهم مع نجاح عظيم صبوبات باردة فى الحميات الثقيلة التى طبيعتها تيفوسية أشهروا ان هذا العلاج ممتع بفاعلية جليلة فى علاج هذه الآفات وقورى وسع دائرته توسيعا جديدا فهو أول من وضع قواعد علمية للادروتيرابيا وهو بواسطة مقياس الحرارة الذى فى يده أثبت أن التركيب للمرضى المحرور والذى يقوم منه العنصر الرئيسى لكل توازن

حمى يخرج بأسرع ما يكون اذا وضع الماء البارد على سطح الجسم ثم انه بقواعده الطبية وتجريباته اشهر هذا الابراز للحرارة بواسطة الماء البارد وجعله دواء جليلا فى علاج الآفات الحمية بل مقدما فعله على الاستفراغات الدموية . وعلى رأى هذا الطبيب هناك واسطة وحيدة وهى الطرطير المقىء يمكن أن يستعمل مع النفع عوضا عن هذين الفاعلين القويين المسكنين فالماء البارد والاستفراغات الدموية والطرطير المقىء يقوم منها عنده القواعد الثلاث للصناعة فى علاج جميع الآفات الالتهابية مع أن قورى بعيد جداً عن أن يعتبر الحمى الحقيقية مجرد تراكم للحرارة فى البنية لكن كانت هذه الظاهرة هى التى يتكون منها العرض المتسلطن فى هذه الداءات وان اخراجها يلطف دائما الخطر بل قد يزيل سريعا كل عرض مرضى بدون فقد لقوى المريض ظن هذا الطبيب أنه أسس اعتبار هذا الاخراج أحسن واسطة للعلاج ومع ذلك اطلب مع الاطباء أن يتأملوا تأملا مخصوصا فى هذا الرأى فان قورى وان اعتبر ذلك عملا عظيم الاهتمام لم يقصر الجسم على تأثيره بل ظن أيضا ان الصدمة الفجائية الشديدة الوقتية المنطبعة فى البنية كلها من الماء البارد تقطع التقلص المرضى الذى فى المجموع العصبى وفى خلافه الخصوصى وينتج من تلك الحالة المزعجة سرعة رجوع هذا الغشاء لوظائفه الاعتيادية ويعلن بهذا الرجوع اعراق تحصل من ذاتها كأنها بحرانية وكان نتيجتها منع التراكم المرضى للحرارة الآتى فيما بعد أن يدوم حصوله فى البنية . وقال وجمسون الذى نازع نزاعا معقولا قورى ووريج فى أولية استعمال الماء البارد فى علاج الآفات الحمية جعل النتيجة الاخيرة للماء البارد هى نتيجة تنوع المجموع العام بخلاف رأى قورى فانه اختار كما قلنا شيئين احدهما ابراز الحرارة وتلك نتيجة لم يلتفت اليها غيره من الاطباء وانما أثبتها بمقياس الحرارة الذى فى يده وثانيهما التنوع المنطبع فى جميع المجموع العصبى فينتج منه أيضا نتيجة مخصوصة جاذبة معها قطع التراكم الآتى بعد للحرارة وبموجب ذلك قطع الحمى ويظهر لى ان الادرتيرابيا الجديدة اهملت هذه النتيجة الاخيرة من استعمال الماء البارد ولم تعتبر

فى علاج الآفات الالتهابية لابراز الحرارة وظهور الاعراق والنتيجة التحويلية للدلك وهناك أمر ثالث صحيح اساسى مهم جدا ذكره قورى وهو استعمال الماء البارد من الظاهر ومن الباطن ويكون أولا خطراً كلما كانت حرارة الجسم أرفع وتلك قاعدة معارضة للرأى العلمى المعروف عموما وهو أن وضع البارد من الباطن ومن الظاهر يكون أخطر كلما كانت الحرارة أرفع وقد عرف جيانينى حقيقة هذه القاعدة فى العلاج بالماء وعاب على قورى فى قصره تأثير الماء البارد على البنية حيث لم يوص باستعماله الا فى الاحوال التى تكون الحرارة فيها زائدة وأما جيانينى فوجده جيد الاستعمال فى الادوار الاخيرة للتيفوس اذا صارت الحرارة الحيوانية ناقصة لا زائدة . ومن الغريب أن قورى عرض هذه المشاهدة للطبيب دوران الذى عاب هو عليه فى كونه لم يعتبر الا اخراج الحرارة أى فلم يعتبر الماء البارد الا النتيجة العدمية أى المسكنة ناسيا ان هذه الواسطة يمكن ان يحدث منها أنفعال قوى جدا يقاوم مع الشدة النتيجة المسكنة للبارد وهذا القانون الذى ذكره قورى باعتبار كون السلامة أعظم فى استعمال البارد كلما كان الجسم أشد حرارة يتأكد كل يوم باستعمالات مختلفة للادروتيرابيا الجديدة والمذهب الجديد الذى يبعد عن أن يجمع جميع الآراء الطبية المقبولة لم يحصل منه الا تأكيد الرأى الذى ذكره قورى . وهناك قانون رابع للادروتيرابيا الجديدة ذكره ايضا الطبيب المذكور وهو أن الاستعمال الموضعى الظاهر للماء البارد المفسول بكيفية مايبعد أن ينتج نتيجة مسكنة وانما يوقظ الفعل الحيوى فى هذه الاعضاء وينتج فى المحال البعيدة نتيجة محولة وبذلك يوضع التحويل الذى ينال من الادروتيرابيا فى بعض الاحوال بواسطة الحمامات الموضعيـة والحمامات القدمية بالمـاء البارد وذاك التحويل اعتبره كثيرون معارضا بالكلية للقوانين الصحية المعروفة وهذه القواعد التى ذكرها قورى ليست فرضية وانما هى مؤسسة على أمور واقعية مقنعة وتقوم منها القواعد العلميـة للادروتيرابيا وسيا التى تستعمل فى علاج الآفات الحارة ويمكن اختصارها الى ماسيذكر فأولا اخراج الحرارة المتراكمة

تراكما مرضيا وتلك هي النتيجة التي تنال على رأي قوري اما بواسطة الاستعمال مباشرة للماء البارد واما بواسطة التبخير الذي يحصل من سطح الجسم باستعمال غسل الأعضاء بالماء البارد وثانيا عظم قدر الماء البارد بسبب فعله المخصوص الذي ينتجه في المجموع العصبي فينتج من ذلك قطع الحركة الالتهابية وثالثا أن السلامة والمنافع تكون أعظم في استعمال الماء البارد كلما كانت حرارة الجسم أرفع ورابعا ازدياد حيوية الاعضاء حيث نيل ذلك بالاستعمالات الموضعية للماء البارد فينتج من ذلك نتائج محولة تستحق زيادة الانتباه وفضل قوري الماء المالح على الماء البسيط لاستعمال الصبوبات والانغماسات وكان هذا الرأي مؤسسا على النجاح النير المنتظر الذي ناله رويج بهذه الوسايط وسوى ذلك ظن أن الانفعال حينئذ يلزم أن يكون أسهل وآكد وهذا كان عظيم الاهمام الا أنه لاينسى ان التسكين لم يكن هو الغاية الوحيدة التي تقصد من أفعاله المنيفة وأما طبيب ليفربول فلم تكن الغاية الوحيدة لاشغاله وتفتيشاته الانتساب لتأكيد النتائج المذكورة وجعلها كقواعد

أصليـة وانما هي اثبات منافع الماء البارد في آفات كثيرة عصبية وتشنجية فجملة من الامور الواقعية العظيمة الاهمام هنا تؤكد الفاعلية الزائدة للماء البارد في هذه الامراض المستعصية . وهناك عدد كثير من آفات تشنجية يدخل فيها التيتنوس عولجت وشفيت بالماء البارد وان ظن قوري أنه يلزم عموما في هذه الآفة الأخيرة ان يضم للصبوبات والانغماسات استعمال النبيذ والافيون مع أنه ذكر أحوالا أنجحت فيها الانصبابات الباردة وحدها عندما أكد أن الوسايط القوية المرقدة عديمة القوة ووضع قوري في علاج هذه الامراض بالماء البارد كقانون أساسي أن يستعمل دائما الانصبابات أو الانغماسات مدة أدوار النوب التشنجية واستنبط هذا الطبيب أعظم المنافع من استعمال الماء البارد من الباطن في كثير من الامراض المزمنة وظن ككثير من مشاهير الاطباء ان أعظم جزء من فاعلية المياه المعدنيـة آت اما من خاصة التحليل التي في نفس الماء وأما من الفعل المقوى الذي وصل الى المعدة من الماء المزدود ومن هناك انتقل لجميع البنية والامراض التي حصل

لها بالاكثر منافع عظيمة من استعمال الماء من الباطن هى الاستيريا أى اختناق الرحم والايبوخندريا والآفات المختلفة المزمنة فى الطرق الهضمية واما الآفات الحادة التى أمر قورى فيها باستعمال الماء البارد من الظاهر فهى الحميات الاندفاعية كالجدرى والحصبة والقرمزية فالحرارة الشديدة التيرالطبيعية فى الجلد منضمة لحالة الجفاف يقوم منها على رأيه الدلالات التى تستدعى الاستعمال بدون أمهال ولايلتجأ اليها أصلا فى أحوال الالتهابات الحادة الحشوية ومع ذلك ذكروا أحوالا اقادت فيها للصبوبات الباردة الاعراض انواضحة التى لالتهاب الرئتين كالأوجاع الصدرية ونفث الدم العارض فى سير الحميات التيفوسية ونحو ذلك من الاعراض وقد تلطف قورى جدا فى التوضيح وظهر له أن يذهب هتيز أحسن لتوضيح منافع الماء البارد فعلى هذا الرأى لايمكن أن يوجد معا تأثيران مرضيان فى بنية واحدة أوفى محل واحد من الجسم ولذلك اعتبر قورى التأثر المخصوص الناتج فى مجموع البنية من الفعل الفجائى الحاصل من الماء البارد على سطح الجسم غير موافق للحالة المرضية الموجودة من قبل فلذلك تنسب النتائج الجيدة للفعل المزعج الحاصل من الدواء مثل ماتنسب لأخراج الحرارة. ونقول مع ذلك أن المستثنيات العديدة من القانون الذى وضعه هتيز تسقط كثيرا منه هذه القاعدة العامة والكيفية التى فعلتها الطبيعية لاجل التخلص من الحرارة الز ئدة استدعت أيضا انتباه قورى فجميع الناس ومنهم فرنكلين يظنون أن تبخير العرق من سطح الجسم تقوم منه الواسطة الرئيسية التى تستخدم لأجل تحصيل تلك الغاية ومع ذلك يظنون أن فعل الأعضاء المفرزة للعرق له دخل فى هذه النتيجة ويعرفون أيضا أن هذا الفعل العام الذى حصل فى جميع سطح الجسم وبه استخرج من الدم السائل المائى يلزم أن يكون مصحوبا كغيره من الافرازت بتنبه مفرط موضعى أو عام وتلك نتيجة مخالفة بالكلية للنتيجة التى فرضوها ولذلك لايجتهد فى كشف السر غالبا وإنما يعرض للشكوك والظنون ويذكر شىء من هذا المبحث المهم من علم الصحة عند مايذكر الكيفية المعرقة

للادوتيرابيا . وذكر قورى بالارقام العددية النتائج الترمومترية لخروج الحرارة الحاصل بالماء البارد فكان يجد دائما أن الجودة تكون أوضح كلما كان هذا الاخراج أبين فى الترمومتر وانما يوضع فى الابطين وتحت اللسان هذا القياس الذى ينتهى بانتفاخ مفرطح يسمح بسهولة الاستعمال ودرجة الحرارة الزائدة الارتفاع (التى وجدها) كانت فى القرمزية فانها كانت من ٣٤ الى ٣٥ من مقياس ريومور وأما الحرارة الاعتيادية فهى من ٢٦ الى ٣٠ من مقياس ريور فلذا يلزم من الآن وصاعدا أن يعمل بالترمومتر الاعمال والاشغال والادروتيرابيا ولأجل ذلك تجهزت الآن مستحضرات ثمينة من الاعمال والتفتيشات الجيدة من كثير من الاطباء مثل بكريل وبريشيت واندرال وغيرهم ولا سيا أشغال روجير وابراز الحرارة بواسطة الماء البارد له حد وايضاح هذه المسئلة يؤخذ من بعض تجريبات قورى فانها تدل على أنه يمكن فى حالة الصحة أن يحصل الانفعال حتى مع استدامة استعمال الواسطة المبردة فالحرارة الخارجة التى كانت ٣ درجات من مقياس ريو ور بعد ٣ دقائق مكثت فى الماء البارد الذى درجة حرارته ٤ درجات من مقياس ريومور لم تكن بعد ٦ دقائق إلا درجة واحدة ونصف درجة ومن تلك اللحظة صعد الترمومتر تدريجا بحيث أنه بعد إقامة مدة من ٢٠ دقيقة إلى نصف ساعة فى الماء البارد لم يكن نقص الحرارة المدلول عليها بالترمومتر الموضوع تحت اللسان إلا درجة واحدة فهل هذه التجريبات جيدة الانتاج أقول لاأظن ذلك لان الرأس يبقى خارجا عن الماء والدم يندفع اليه بالضرورة فالحرارة الناشئة فيه تكون أعظم كلما صار الاحتقان أكثر ولنذكر الآن القواعد المستخرجة من تجريبات قورى الموافقة للامور الواقعية التربية التى للادروتيرابيا الجديدة ولكنها مخالفة لآراء هذا الطبيب المتعلقة بوضع الماء البارد على سطح الجسم عند ما يكون هذا الجسم مغموراً بالعرق فاستعمال هذا الفاعل العلاجى سواء من الباطن أو من الظاهر يكون أقوى تأثيراً كلما كانت الحرارة أعلى من الحالة الاعتيادية ويمتنع إستعماله إذا استدام التفتيش الجارى زمنا فلذا

ظن ان الغمس البارد المفعول مدة العرق أو بعد العرق حالا يمكن أن يكون خطراً لأن التنفيس المستطيل المدة حيث أحدث فى الشخص بردا كثيرا وابرازا جديدا للحرارة بهذه الواسطة يمكن أن يسبب اخطارا ثقيلة . وقد وضح قورى العوارض التى شوهدت فى أحوال من هذا النوع على فرض ان حرارة الجسم فى هذه الاحوال ناقصة من قبل العرق الغزير فالتبريد الجديد المضعف البنية جدا المعارض للانفعال اللازم يمكن ان ينتج مرضا أو الموت وظهر له ان الخطر يكون أعظم كلما كان الشخص الذى حصل له التنفيس زمنا طويلا أضعف والتجريبات اليومية فى جريفنبرغ تدل على ان هذا الرأى خطأ قال وسنتكلم عند مبحث العرق المحرض بالادروتيرابيا على هذه المسئلة المهمة كلاما واسعا بقدر اللازم . قال المؤلف الذى نقل عنه تروسو هذا المبحث ان جميع ما رقمه قلم الطبيب قورى يستفاد منه عظم معارفه الطبية وتوفيره اكثر من غيره من الاطباء الذين كتبوا فى هذا المبحث ورغبوا فى استعمال الماء فى علاج الامراض لأن كتاباتهم لا تخلو عن نقص

وأما الطبيب بوم البعيد جدا عن غيره فى استعمال هذا الدواء فانه استعمل لمرضاه حمامات مدتها ٦ ساعات و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٨ و ٢٤ ساعة وحرارة تلك الحمامات الطويلة تكون أحيانا من ٨ درجات الى ١٠ فقط من مقياس ريومور وتحفظ تلك الدرجة الحرارة باضافة الماء البارد أو الجليد كلما رفعت حرارة الجسم حرارة الحمام ويندر أن يستعمل هذا الحمام فى درجة أعلى من ٢٦ أو أنقص من ١٠ درجات من مقياس ريومور ومدح هذا الطبيب نفسه باستخراجه منافع من استعمال الماء البارد من الخارج بهيئة انغماسات وصبوبات وغسلات وحمامات ومن الباطن بهيئة ماء الدجاج الذى يصنع بغلى دجاجة صغيرة بقدر قبضة اليد مدة ربع ساعة فى ٦ لترات أى ١٢ رطلا فهذا الطبيب الجسور وان استخرج نتائج نافعة من الماء فى الامراض الالتهابية وسيما أمراض المخ الان نجاحه بالأكثر فى الآفات العصبية كالايبوخندريا والاستيريا بجميع أشكالها والرعشة والامراض الأخر التشنجية وتجاسر بوم

أحيانا على استعمال الماء البارد حقنا وحمامات حتى مدة دوام السيلان الطمثى وبذلك كان موافقا لابريسنيت . وأما بيانه التعليمى فلا أذكره الا لتوضيح المدة الغير المحدود للحمامات التى غمس فيها مرضاه حتى نال الاسترخاء الطبيعى للاعضاء المتيبسة بالرشح المائى وذلك انه ما عدا الاسهال الذى يعرض غالبا للاشخاص المعرضين للعلاج الادروتيرابى عند الطبيب بوم لم أجد فى الظاهرات المشاهدة فيهم ما يمكن أن يقرب للظاهرات التى تظهر فى البنية المعالجة بالعلاج المائى الجديد ويظهر ان من الخطأ الحقيقى فى الحس سباحة المرضى على سطح الماء والبروفات اللفظية حيث أكد بوم أنه كثيراً ما سمعها فى أطراف الاشخاص الذين طالت مدة مكثهم فى الحمام زمنا طويلا فاذن الاستعمال العلمى لقورى والتجربة الجنونية لبوم حيث اختصر جميع ما فعله متقدموهما فى هذا الموضوع لم يوجد فى شىء منهما مشابهة تامة للمذهب الجديد الذى سلكه ابريسنيت وانما الفاعلية والاستدامة لهذا الشخص هما اللذان لهما فى العلم مدحة حيث أمكن بهما اتالة أمور واقعية تعطى للادروتيرابيا اتساعا جليلا

وهذه الشروح القصيرة التى ذكرناها لاستعمال قورى وبوم يستفاد منها حقية فاعلية الدواء الذى وضعته المصادفة بين يدى ابريسنيت ويتعجب من النجاح الخاص الذى حصل على يد هذا الشخص حيث سعى بتجربته شيئا فشيئا فلم يجد واسطة للاستعمال الا الماء فاستعمله بجسارة فى كثير من الاحوال التى لم يخطر ببال أحد من أهل الصناعة استعماله فيها . قال وعلى حسب الاستخبار الذى استفدته بمدينة جريفنبرغ من أشخاص من عائلة ابريسنيت ظهر لى ان هذا الشخص حصر انتباهاته فى خارة صغيرة رديئة فى طرف جريفنبرغ وقطع من أرض كانت له ميراثا ورثه من آبائه وعرف انه يحصل له نفع من دلالات مبهمة أعطاها له راع من الرعاة الهائمة فى الخواص الشفائية للماء ومن المحقق ان الراعى زاد له كلمات مضحكة ولكن ابريسنيت فعل كما فعل برسى ولازمه زمنا طويلا وذلك ان برسى المذكور الشهير حكى ان طحانا أبرأ فى اسطرسبرغ جملة مجاريح بما يظهره للناس كأنه ماء كرامة اى خارق للعادة فجرب

برى الماء البسيط ونال منه مثل هذا النجاح فكذلك حمار جريفنبرغ ظن حالا أن الماء هو الذى حصل منه شفاء الداء لا أن الشفاء حاصل من الانبساط الشخصى فاستعمل هذا الدواء فى جميع العوارض التى تحصل له نفسه ولعائلته واحبابه ولبهائم جيرانه فاشتهر بذلك اشتهارا عظيما فى علاج أنواع الهرس واللىّ والحرق ثم فى الكسور حتى انه نفسه أبرأ من معه كسر فى أضلاعه واقتصر فى ذلك الزمن الذى وصل الى سنة ١٨٢٦ على أن يضع من الظاهر الماء البارد بواسطة رفائد أو بهيئة غسلات بالاسفنج الغليظ ولما كان عنده وثوق بخواص الماء أمعن فى ذلك اتباعاته الطبية واستصحب معه شخصا من أقاربه مسمى باسمه وأخذت هذا الشرح منه وقبل اشتهاره بشفاء الامراض بالماء واستعمال الاسفنج على الظهر جال فى الجبال الفاصلة بين جريفنبرغ وسليسيا البروسية وهناك أخذ فى اعطاء مشورات واستعمال دوائه فى تلك البلاد والضيعات وصار المرضى يأتون زمراً زمراً للمحال التى أعدت لذلك ولما سمع الوالى بذلك ذهب الى الارياف لينظر ذلك فذهبت الأبريسنيتيون من قبل فحملوا أثقالهم الخفيفة حتى جاوزوا حدود مملكتهم ووصلوا الى جريفنبرغ والى بعض قرى قريبة لها وأشهروا هناك دواءهم المذكور وجهزوه من جديد لانواع الهرس والاوجاع وآلام الاسنان وأوجاع الرأس التى تصيب الفلاحين كأوجاع بهائمهم أيضا وسيما الخيل العرج فكانت النتيجة للماء البارد محللة جدا تنتج نتائج جيدة فى اليدين والرجلين المختنقات لذوات الاربع وكثير من المرضى الذين عجز الاطباء عن معالجتهم وتقوا بهذا الفلاح أكثر من وثوقهم بالاطباء فقصدوه فابتدأ لهم باستعمال دوائه من الباطن مع نجاح لم يزل دائما آخذا فى التقدم وكما رضى هؤلاء المرضى بجميع مايستدعيه منهم تفاءلوا أيضا فى طلبهم وعرضوا أنفسهم عليه مع الرغبات أن يجرب لهم طريقة كذا وكذا فلذلك استعملوا مع التتابع الحمام الكبير البارد والتنطيل والتنفيسات القهرية الجلدية وهذه الواسطة الاخيرة كانت مستعملة فى الازمنة السالفة بالمدينة كدواء عام ذى فاعلية عظيمة وذلك الظن فى اندفاع الاخلاط الفاسدة

بواسطة الاعراق القهرية أو تسمم فى اذهان العامة وخصوصا أهالى جريفنبرغ وما حواليها وعرف الروسيون والبلونيون لغة فلاحى هذه الاقسام حتى تيسر لهم أن يبتاعوا منهم مايحتاجونه بدون أن يعرفوا لغة النمساويين قدم اربسنيت يعلن بطريقته والمرضى منقادون للرأى الخلقى اتماى بحيث يبادرون بعد استعمال العرق القهرى باستعمال الماء البارد حيث ظهر لهم منه نفع عظيم فبعد تجريض العرق الغزير فيهم يغمسون انفسهم فى حمام كبير بارد أو يصب عليهم الماء البارد عند الخروج حالا من تحت أغطية الصوف وذلك امتثالا للاعتيادات العامية . ولا يستغرب من جمع هذه الطرق كلها اذا تذكرنا ان سليسيا التى هى اقليم كبير من البروسيا تسلطن فيها مدة طويلة تصور منهم للخواص العلاجية التى للماء البارد ونجى تحتها المسمى بريسلو بهذا الدواء من رعب الوباء المخرب الذى حصل فيها سنة ١٧٣٧ ونقول من جهة أخرى كان العرق القهرى ثم الغسلات بعده بالماء البارد من اعتيادات العامة هناك قبل بجىء هذا الدواء لهم وأما السبب الذى أرشدوه لابدال حمام البخار بالاحاطة بأغطية الصوف هو أن الفلاحين كانوا معتادين فعل التنفيس بذلك من زمن قديم وأما التنفيس بالصوف المبتل فهو بالكلية من اختراعه أى نتيجة تعقله الجيد المشاهدة وهذه الوسايط المختلفة كانت منه تدريجية حتى صارت كلها جملة تستعمل فى المحل اللائق بها ثم أخذ من هذا الاستعمال طريقة عامة فجعل الدلكات بالجوخ المبتل وباليدين المبتلين بالماء البارد وبدل الدلكات الاولية بالاسفنج ثم اخترع لف المريض كله الا أجزاء منه فقط بملاءة من جوخ مبتلة بالماء البارد وزيادة على ذلك انه شاهد أن بعض الاشخاص تنقطع أوجاع اسنانهم من الماء المنعش قليلا بالحرارة وهو لهم أحسن بكثير من الماء البارد مع أن أشخاصا أخر بعكس ذلك فاخترع امتداد هذه التجربة لاوجاع مختلفة من الماء على سطح الجسم فكانت نتائج ذلك مساعدة جدا . ومن الواضح ان انضمام جميع هذه الطرق انما كانت من نتائج الزمن وغالبا بالمصادفة التى أخذت منها فطانة اربسنيت منفعة جليلة وكذلك

الطبيب ورتيل أوصاه بأن يسق المرضى كثيرا من الماء البارد حيث عرف نجاح ذلك وهو أول من ألف كتابا فى هذه الطريقة ونتج من مدحه الزائد لها نتيجة قاطعة مساعدة لعلاج ابريسنيت فعلى رأى هذا الطبيب أن الشرب الكثير من الماء البارد ودلك الجسم به يقوم منهما جميع الطلب المطلوب وهذا الكتاب نبه الالمانيين على هذه الطريقة الجديدة ومن حينئذ ظهر لابريسنيت تاريخ جديد ويظهر أن نتيجة هذا العلاج لم تزل آخذة فى زيادة النفع حتى جاوز عدد المرضى فى السنة ١٢٠٠ وفى كل سنة يزيد عدد المرضى الذين يأتون لجريفنبرغ للتفتيش على صحتهم وبنيت على الحارة العتيقة طبقة من المساكن وبنيت الاماكن الخربة التى كانت حولها وتبدلت بأبنية جميلة وعمل فى معظم بلاد الاوربا أماكن مخصوصة لهذا العلاج الذى على شكل مكان جريفنبرغ واحتقرت الادوية والمركبات واعتبرت كأنها سموم قتالة وأقر الاطباء بشرف مخترع هذه الطريقة وأن الخير والصلاح الذى حصل على يده لم يعادله فيه غيره وأطباء المدن والقرى المجاورة لجريفنبرغ كانوا أولا ينكرون فاعلية الماء فى كثير من الاحوال ولكن غلطهم انما ينسب للآراء التى بيت قوانينها خالية عن المنافع التى يمكن أخذها من هذا الدواء يعنى انهم لما رأوا نفع استعمال الاسفنج لهؤلاء المرضى قطعوه بأيديهم من الاحجار ليستعملوه فى ذلك وعولج فى جريفنبرغ جملة أشخاص عظام من أهل المملكة فبعضهم من آفات مزمنة فى المعدة وبعضهم من احتقانات نقرسية فى المفاصل وبعضهم من آفات عصبية ثم أن ابريسنيت لم يكتب شيئا وقال لم يكن عندى زمن لذلك مع أن طريقته اشتهرت واستعملت ببلاد النمسا وانكلترة وغيرهما وكما استعملها الاغراب عن الطب استعملها أيضا كثير من الاطباء أرباب الصناعة والى الآن لم يحكم بمناسبة دراستها فى مدرسة من المدارس ولم تدخل فى كلينيك من الكلينيكات المنتظمة ومبالغات المتعصبين لها يتضح منها هذا التشكك الذى هو طبيعي يقينا ولكن الامل أن هذه المبالغات الخارجة من العقل توصل أهل العلم للبحث بتأكيد وبدون غرض نفسانى على كيفية هذا

العلاج الذى كانت قواعده موجودة فى العلم قبل ذلك وآراؤه القائمة على علاج الضد بالضد وربما استندت على قواعد بقراط وكثير من مشاهير الاطباء

(طرق مؤسسة على ما تستدعيه هذه الطريقة من الدلالات) قال وانا نختار لاجل تسهيل دراسة الادروتيرابيا الطرق الخمسة الآتية المؤسسة على الدلالة التى تتمها هذه الطريقة الجديدة . فالاولى الطريقة الصحيـة أى الجارية على قانون الصحة اى الحافظة للصحة والثانية الطريقة المضادة للالتهاب والثالثة الطريقة المضادة للتشنج والرابعة الطريقة المغيرة والخامسة الطريقة الاضافية أو المساعدة . والطرق الثلاثه الاولى تشتمل على أشياء كثيرة معروفة سابقا ولكن أهملها الاطباء. والرابعة تقوم منها بالاكثر طريقة ابريسنيت والخامسة تحتوى على الاستعمالات الادروتيرابية فى الداءات التى يعرف عدم امكان شفائها غير أن الاستعمال قد يكون نافعا بقصد عرض أو جملة اعراض

فأما الطريقة الاولى الصحية فنقول فيها ان التنوعات الموجودة هنا فى القواعد الاعتيادية لقوانين الصحة تقوم من كثرة استعمال الماء البارد مشروبا ووضعه على سطح الجسم بالكيفيات الادروتيرابيـة الجديدة التى يسهل استعمالها عند كل طبيب ولكن من اللازم أن يضاف لهذه الوسايط الصحية الخالصة وسايط صحية أقوى فاعلية كالاعراق القهرية والصبوبات الباردة والحمامات الكبيرة الباردة ويستعمل ذلك أيضا فى فترات نوب النقرس وللاشخاص الذين يظن أن معهم جرثومة الداء الزهرى أو تكون بنيتهم مائـلة للخنازير أو السل أو نحو ذلك

وأما الطريقة الثانية المضادة للالتهاب فهى التى ذكر فورى قواعدها العلمية فهى هنا واسطة للتسكين الذى ينتج من استخراج الحرارة ومما ينتج فى المجموع العصبى من الوضع الفجائى للماء البارد الذى تستعين به الادروتيرابيا على قطع كل آفة حمية والتهابية وتلك نتيجة تضاف على التحويل الحاصل بالعرق القهرى وبالتمريخات القوية المفعولة على سطح الجسم بالماء المنعش كثيرا أو قليلا أى الفاتر قليـلا وتلك الطريقة تستعمل بكيفيات أدروتيرابية مختلفة الاحتقانات

والانزفة والحميات الاصلية خفيفة كانت او ثقيلة وفى الحميات الاندفاعية والآفات الرومانزمية الحادة وجميع الالتهابات الحادة الظاهرة والباطنة ويقال انه شفيت بهذه الطريقة التهابات مخية وسكتات والتهابات رئوية ونحو ذلك فالماء البارد مطلقا او المنعش احيانا هو الفاعل الوحيد العلاجى والاستعمال يحصل بواسطة الالتفاف أى التغطية بملاءات مبتلة تجدد بكثرة او بقلة واحيانا بواسطة الصب اوالغمس والماء البارد يؤمر به مع ذلك بكثرة من الباطن فاذا شوهد بعد التسكين القوى والاستعمال المستدام نقص الحركة الحمية العامة ووجد فى الجلد علامات التندية يجتهد فى اعانة هذا التنفيس بأعمال مخصوصة ومن المعلوم ان هذا التنفيس القهرى لايستعمل فى الالتهابات الحادة الا اذا نقص اعظم جزء من الالتهاب الشديد بنتيجة التسكين الحاصل من الوسايط التى استعملت سابقا

واما الطريقة الثالثة المضادة للتشنج فتستعمل فى كثير من الامراض العصبية التى تكون من ادنى تضايق الى الايبوخندريا وكذا فى العوارض الاسترية الاشد مايكون وقد رأينا ان فورى استنبط أكثر من غيره من الاطباء منافع من هذه الواسطة وشاهدنا أن الطبيب بوم لم يمدح نفسه مدحا كافيا بنيل نتائج جيدة الا من الماء البارد المستعمل فى هذه الآفات المستعصية وذلك مع المنع التام لجميع الوسايط الاخر الاقرباذينية وربما كان مدح فاعلية الماء عند الادروتيرابيين فى علاج بعض الآفات العصبية كالمانيا والصرع اقل من مدحها عند قدماء الاطباء لأن الغالب أن الادروتيرابيين المحدثة تقتصر على أن يستعمل فى الامراض العصبية الخاصة علاجها مغيرا لاينسب عندهم فذا ظهر أن العلاج بالماء ضرر لانافع فى علاج لهذيان الجنونى والصرع فذلك لأنه يستعمل فى هذه الامراض طرق كثيرة التنبيه ففى هذه الطريقة تستعمل وسايط مسكنة ومقوية فى آن واحد كغطاء واحد أو غطاءين بأردية مبتلة والماء البارد من الباطن بكثرة والدلكات بخرق مبتلة وعلى حسب الاحوال الصبوبات والانغماسات والغسلات والدلكات بالماء البارد والمفعولة باليد المبتلة والنطولات القصيرة المدة

والرياضة المنتظمة فى الهواء الواسع ومنفعة هذه الطريقة واضحة فى كثير من الآفات العصبية التى فى المحور المخى الفقرى ولا سيما النخاع الشوكى وفى الاعتقالات وآفات الحرق والآفات التشنجية والرعشة وغير ذلك ويظهر أيضا أنها تنفع نفعا جليلا فى بعض أحوال عصبية غريبة فى بعض الاعضاء كالرحم والاثداء والخصيتين (يقول جامعه احمد الرشيدى كان لى صاحب يعتريه زمنا فزمنا صداع شديد مزعج لم ينتفع فيه شىء من الادوية الا صب الماء البارد على الرأس فيسكنه حالا)

والرابعة وهى الطريقة المغيرة أو المحللة هى التى اخترعها على الخصوص ابريسنيب فى درجات الشدة كثيرا ما نستعمل كيفيات تنوع البنية تنوعا عميقا كالتنفيسات المتحرضة اما من أغطية الصوف الجافة واما من الملاءات المبتلة وعقبها حالا تغمس المرضى فى حمام كبير بارد او تستعمل دلكات فى حمامات جزئية ومثل ذلك أيضا النطولات الباردة والصبوبات المختلفة القوة وحمامات المقعدة المختلفة برودة واستطالة والتمريخات القوية باليد المبتلة على سطح الجسم والوضعيات المنبهة المختلفة السعة وجميع الوسايط التى تنضم لاستعمال الماء البارد من الباطن بكثرة تنوع الحيوية تنويعا عميقا وغايتها انتاج انفعالات تسمى بالبحرانات وجميع الآفات المزمنة تعالج بهذه الاعمال التى تساعد بتدبير غذائى مخصوص كثير التغذية وبممارسة جميع المجموع العضلى بحسب الطاقة فى هواء واسع مع المنع التام عن جميع الوسايط الاقرباذينية ففى جريفنبرغ يعالج كل آن مع النفع الزايد احيانا بالطريقة المغيرة المذكورة بعض الآفات المزمنة فى المخ وكثير من آفات الصدر وجميع آفات البطن والنقرس والوجع الروماتزمى المزمن والآفات الباسورية والاعراض الزهرية الاولية او الثانوية أو الثلثية والامراض المزمنة الجلدية والقروح المزمنة فى الاطراف السفلى والنواصير البولية وتضايق مجرى البول والاورام العظمية والامراض الاخر المزمنة فى العظام والآفات الخنازيرية والاورام البيض ونحو ذلك فبواسطة الانفعال القوى والتنوع العميق الذى يطبعه هذا العلاج فى جميع الوظائف

العضوية يمكن أن يوضح التحلل وزوال كثير من الاحتقانات المزمنة بالعلاج المائى فاخراج جميع مايظن غريبا ومؤذيا للجسم هو الذى ينتج الشفاء وبالاصل انه إذا لم يوصل لاماله هذا الاخراج التام بالتنبه والثوران العاملين المنطبعين فى البنية فأقله أن يقف سير المرض العضوى بل يمكن أن يحصل منه حركة رجوع نحو الشفاء والانفعالات المختلفة الناتجة مدة استعمال الطريقة المعلة تسمى بالبحرانات وتعتبر كأنها أفعال شديدة من الطبيعة ليحصل عنها اندفاع السبب المرضى فعلى حسب هذه الآراء الخلطية أى المتعلقة بالاخلاط يوضح المعالجون بالماء التحليل والزوال لجميع أنواع الاحتقانات سواء فى الاحشاء البطنية المختلفة أو فى المفاصل المختلفة ويوضحون أيضا بهذه الكيفية شفاء الامراض التى توضع تحت تمدد مجموع الوريد الباب والاوردة الدوالية فى المستقيم وبالجملة تنال على رأيهم بواسطة استعمال هذه الطريقة جميع النتائج التى يشاهد عروضها بعد استعمال المياه الحديدية الشهيرة جدا ومدة العلاج تطول فى الغالب وأساس هذه التجربة الصعبة تجسر المرضى وصبرهم غالبا

وأما الطريقة الخامسة الاضافية أى المساعدة فهى التى تستعمل فى الامراض التى لايرجى شفاؤها شفاء تاما ولكن إذا استعمل فيها العلاج بالماء استعمالا مناسبا جاز أن يحصل منه نفع مهم فى أمراض القلب وبعض الآفات الرئوية المزمنة وأنواع الشلل يمكن أن يجد الطبيب مساعدة ثمينة من استعمال هذه الطريقة العلاجية . قال قد رأيت فى جريفنبرغ مريضا مصابا بآفة عضوية ثقيلة فى القلب مصحوبة بنزلة رئوية مزمنة وربو أحوج المريض لملازمة السرير مدة ١٥ يوما بسبب الازدياد الوقتى للعوارض النزلية والرئوية فترك حجرته فى آخر هذا الزمن حيث كان الفضل للادروتيرابيا التى صيرت المريض فى غاية الراحة وترك سريره بعد أن لازمه هناك نحو عشرة أيام بسبب ازدياد النزلة أو الربو وكان ممتقع اللون ضعيفا هزيلا نحيفا لايمكنه الزحف إلا بعسر ثم لما حصل له النجاح من هذا العلاج بالغ فى مدحه كثيرا . والوسائط المستعملة فى جريفنبرغ وإن كانت بسيطة يمكن اعتبارها

مفزعة بباريس فاستعمالها يستدعى من المريض وثوقا كبيرا ولذا كان هذا المريض الذى ذكرته شخصا عمره ٦٠ سنة وكان فى كل صباح يجلس بجانب سرير على كرسى ليس له مسند ويدلك جسمه كله برداء مبتل بالماء البارد مدة دقيقتين أو ٣ ثم ينشفه جيدا ونوضع له رفائد منبهة على سوقه المختلفة وهو موضوع على سريره وأحيانا يوضع فى حمام جزئى حرارته ١٢ درجة من مقياس ريومور ويمكث فيه بضع دقائق ويدلك وهو فيه جميع جسمه بقوة

وأما المصابون بالسل الذى لا يؤمل شفاؤهم ويكونون فريسة لحمى بطيئة تحلتهم وهم مكدرون بأعراق ليلية هزلتهم فالعلاج الادرونيرابى يكون واسطة مساعدة لهم من أعظم مايكون بشرط التشجع من المريض والاحسن فى هذه الاحوال أن يلف المريض مرات فى رداء مبتل فان ذلك يسكن هذه الحمى ويوصل للجلد قوة شديدة لا ينتجها غيره من أنواع التداوى سوى الصب البارد وكذلك الفالج وبربليجيا أى شلل النصف الاسفل يجدان فى هذا العلاج واسطة مساعدة من أنفع مايكون حتى ولو منع ثقل المرض الوثوق بالشفاء التام ولذلك شاهدنا فى جريفنسبرغ أشخاصا مصابين ببربليجيا يعتبرهم ابريسنيت غير قابلين للشفاء فاستعملوا مع النفع الجليل بمباشرته دلكات بملاءات من جوخ مبتلة فى جميع سطح جسمهم مدة بضع دقائق وكان ينبههم بنطولات باردة مفتولة على جميع أجزائهم ماعدا العمود الفقرى مدة دقيقة أودقيقتين فلذا نمدح هذه الواسطة حيث أن الصحة العامة التى كانت فاسدة رجعت بها مزهرة وحركات الاطراف السفلى وان كانت غير تامة الا أن المريض لم يزل عنده رجاء الشفاء والانزعاج الزائد الذى يشاهد غالبا فى المرضى المصابين بشبه هذه الآفات كان فى هذا الشخص نفسه يسكن سكونا عظيم الاعتبار بالتفافه فى ملاءة مبتلة . والادرونيرابيون يعتبرون العلاج بالماء واسطة مساعدة فى علاج الرعاف الذى لا يوجد فى ذاته ثقل ولا يحتاج لعلاج عام وخطر مجىء الداء دفعة لا يقاوم بمنفعة من المنافع الاخرى وهذه الطريقة على رأيهم تساعد فى علاج الحميات الاندفاعية وسيما الجدرى والافعال

القوية الطبيعة وتجتاز بالداء أوجهه المختلفة مع قصر مدتها لكن من الواضح أن الحمى الاندفاعيـة اذا كانت خفيفة ترك الحال لفعل الطبيعة اذا التجىء الى الادروتيرابيا فذلك لانه يوجد اذ ذاك أمراض تستدعى الاستعانة بها ففى تلك الاحوال كلها أثبت قورى انما حصل النفع باخراج الحرارة وبالنتيجة المضادة للتشنج التى للدواء فتولد من ذلك كله السكون وزالت الاحتقانات الباطنـة بالعـلاج بالمـاء فى هذه الاحوال لم يكن مساعدا وانما كان مسكنا ومضادا للالتهاب والادروتيرابيـا اذا استعملت بتعقل فى النقاهات كواسطة اضافية جاز أن يحصل منها نفع عظيم وكذلك الغسلات العامة القصيرة المدة بالماء البارد أو الذى درجة حرارته مناسبة والدلكات المفعولة بجوخ مبتل تعين مع الرياضة على تقوية المريض وتعيد له صحته سريعا والحركات الحسية الواضحة والانزعاجات العصبية التى تتعب الناقهين تعالج مع نجاح بالالتفاف فى الجوخ المبتل وتلك واسطة يحصل منها نفع جليل فى تقوية المريض فى الوقت الذى يكون من المهم توفير قواه

وهذا التقسيم للادروتيرابيا الى الطرق المذكورة يستدعى غاية الاهتمام وأقل نفعه اعتبار هذا الفرع من العلوم الطبية وتأكيد سعه وضمياته اذ فى الحقيقة لايوجد من القواعل العلاجية ما هو واسع الاستعمال الا المسهلات مع ان استعمالها ليس متسعا كاتساع العلاج المائى والتقارب بين المسهلات والايدروتيرابيا يكون اضبط واصح عند من ينسب لهما القدرة على استفراغ الاخلاط الفاسدة فى البنية وطردها عنها فالفضل فى الحقيقة فى شفاء الامراض خاصتها المنقية وهذا الرأى له اعتبـار وان لم يكن هو الرأى المشهور الآن ونقول هل تكون المسهلات هنـا قاعدة للعلاج فاذن يلزم من طرف ابريسنيت ثبـات شىء وهو أن جميع الامراض ينتج منها وجود خلط يكون من المهم استفراغه وتلك الكيفية فى توضيح نتيجة الادوية بكونه ينسب لهـا خواص منقية كما هو المشهور عنـد العامة معروفة ايضا عند أرباب المعارف وتساعد مساعدة قوية على شهرة طرق العـلاج المؤسس على هذا الرأى فابريسنيت فعل هذه التنقية بلف

المريض من الخارج وبالمسهلات التى تفعل فعلها على الجلد الباطن وكل حزب منهم يذكر شفاءات عديدة أكيدة عنده عظيمة الاعتبار ثم فى التأمل فى المبدء الذى ذهب منه ابريسنيت وفى بعض القضايا المبهمة فى الخواص الشفائية للماء مصحوبا ذلك بدلك الجزء المريض بالماء البارد ووضع رفائد مبتلة عليه ومقابلة هذا المبدأ الذى بالاستعمال الكثير الزائد النفع غالبا حينما عرف هذا الشخص أنه دواء أوقعته المصادفة بين يديه لايمنع التعجب من استدامته وشدة فاعليته فتوضح هذه النتيجة بالفاعلية الحقيقية للماء فى كثير من الاحوال وبجسارة ابريسنيت وبالتجريبات التى تفوت مبالغات المرضى فى مدحهم له ومدح نجاح فعله واذا لم تتجاسر الاطباء على فعل هذه الكيفية نرى أن المرضى تمارسها بأنفسهم فتكون نتيجة ذلك زيادة الشهرة لتجربته سواء كانت تلك النتائج التابعة جيدة أو سيئة . ولم يكتف ابريسنيت بالنتائج المنالة بل كان يشتغل أيضا بتصورات جديدة فيترك الطريق الذى سلكه أولا حتى شاهد طريقا آخر يوصله بسرعة للمقصد المطلوب له ولذا ترك من نفسه عمل التنفيس اى التبخير بعد أن كان يستعمله مرتين فى اليوم فالتفاف المرضى بالاردية المبتلة كان عوضا عن الاعراق التى كانت تستعمل منذ سنتين والآن مال بأكثر الانغماسات المتعاقبة فأولا فى حمام جزئى من ماء فاتر يدلك فيه جسم المريض بضع دقائق ثم يخرج منه لينغمس فى حمام كبير بارد ثم يرجع المريض من هذا الحمام الى الحمام الجزئى والى الدلكات ومن ذلك الى الحمام الكبير وهكذا حتى يحصل للمريض أحيانا حالة غشى تحوج لوضعه على سريره والآن هذه الحمامات المتعاقبة مع الالتفاف فى الجوخ المبتل لما تقدم على التنفسات القهرية . انتهى مما نقله تروسو من كتاب سيديل باختصار . ثم قال تروسو وهذا الشرح اللطيف الذى ذكرته برمته عنه كاف يقينا لمن أراد أن يستفيد تصورا صحيحا للادروتيرابيا فالعلاج بالماء وان ظهر بمقتضى هذه النبذة القصيرة انه شىء سهل الا أن الطبيب قد يعسر عليه اتمام الشروط اللازمة للنجاح فعليه أن يعرف تفصيلا شرح كل من هذه الطرق ومايتعلق

بدلالتها المخصوصة وأن يدرس ماسطر فى المؤلفات الصحية التى كتبت فى هذا المبحث ككتاب اوقربيير واسطوطيطان فاذا أريد بالعلاج بالماء التداوى المقوى تكون حمامات البحر هى الانفع فى ذلك (وقد ذكرنا لها فى كتابنا هذا مبحثا مخصوصا) فاذا اريد ان يضاف للفعل المقوى نتيجة مغيرة اومنقية فالادروتيرابيا يوجد فيها الينابيع التى لاتوجد فى حمامات البحر فان من القريب للعقل أن نفوذ مقدار كبير من الماء مدة طويلة فى الجهاز الدورى وفى جميع الاعضاء المفرزة يكون شيأ موافقا للبنية وبنوع الاحوال المرضية تنويعا عميقا كالنقرس والوجع الروماتيزمى والقوابى المستعصية على العلاج ونحو ذلك وتلك آفات علاجها بحمام البحر ضعيف القوة وهنا حصل تقدم آخر ادخله فى العلم فلاح جريفنبرغ من التداوى بالماء البارد حيث استعمل أوضاعا غريبة الشكل مفصولة مع التعقل والضبط فاكتسبت رتبة مميزة عن غيرها فى صناعة العلاج فاما كواسطة مسكنة اومقوية او محللة فيلزم الانتباه فى استعمالها فلا يستعملها الاطبيب نبيه. انتهى

﴿موقان﴾ قال ياقوت موقان بضم أوله ولاية فيها قرى ومروج كثيرة يحتلها التركمان للرعى فأكثر أهلها منهم وهى من أذربيجان يمشى القاصد اليها من اردبيل الى تبريز فى الجبال

﴿ميافارقين﴾ قال ياقوت ميافارقين بتشديد الياء وكسر الراء والقاف أشهر مدينة بديار بكر قيل مابنى منها بالحجارة فهو بناء أنوشروان وما بنى منها بالآجر فهو بناء ابرويز والذى يعتمد عليه أنها من بناء الروم لانها فى بلادهم الى ان قال وأحكم بانيها تحصينها حتى يقال انها لم تؤخذ عنوة قط حتى ٦٢٠هـ. وآمد بالقرب منها وهى أحصن منها وأحسن وقد أخذت بالسيف مرارا وأمر الملك قسطنطين وزراءه الثلاثة فبنى كل واحد منهم برجا فيها وجعل لها ثمانية ابواب وقيل أنه كان مدة عمارتها حتى كملت ثمان عشرة سنة الى أن قال : وما زالت ميافارقين بأيدى الروم الى أيام قباذ بن فيروز ملك الفرس فانه غزا ديار بكر وربيعة وافتتحها وسبا اهلها ونقلهم الى بلاده وبنى لهم مدينة بين فارس والاهواز فأسكنهم فيها وجعل اسمها أبرقباذ ثم ملك بعده ابنه أنوشروان

ابن قباذ ثم ابرويز بن هرمز وكان ابرويز مشتغلا بلذاته غافلا من مملكته فخرج هرقل فافتتح هذه البلاد وأعادها الى مملكة الروم وملكها بأسرها ثمان سنين آخرها سنة ثماني عشرة للهجرة وبعد ان فتحت الشام وجاء طاعون عمواس ومات ابو عبيدة بن الجراح انفذ عمر رضى الله عنه عياض بن غنم بجيش كثيف الى أرض الجزيرة فجعل يفتحها موضعا موضعا وقيل ان خالد بن الوليد والاشتر النخعى سارا الى ميافارقين فى جيش كثيف فنازلاها فيقال انها فتحت عنوة وقيل صلحا على خمسين الف دينار على كل محتلم اربعة دنانير وقيل ديناران وقفيز من حنطة ومد زيت ومد خل ومد عسل وان يضاف كل من اجتاز بها من المسلمين ثلاثة ايام وجعل للمسلمين بها محلا وقرر اخذ العشر من اموالهم وكان كل ذلك بعد اخذ آمد. قال وكان المسلمون لما نزلوا عليها نزلوا بمرج هناك على عين ماء فنصبوا رماحهم هناك بالمرج فسمى ذلك الموضع عين البيضة الى الآن

﴿ ميان ﴾ قال ياقوت ميان فى المشترك ميانج من اعمال اذربيجان وهى على مسيرة يومين من مراغة واهل اذربيجان يسمونها ميانة وهى مدينة كبيرة وقال فى اللباب ميانة بلد باذربيجان خرج منها جماعة من اهل العلم منهم القاضى ابو الحسن الميانجى المشهور فى اخباره وشان عند همذان

وقد عد ابن حوقل مدينتى موقان والميانج ضمن بلاد اذربيجان حيث قال واما الميانج وخوى ومرند وتبريز وموقان فهى مدن صغار متقاربة فى الكبر لطاف وجميع ذلك معموم بالشجر معمور بالخيرات والثمر غير مخصوص منه مكان دون مكان بالانهار والبساتين وعمارة الارضين بل كل مملوء بالبركات

﴿ ميانروذان ﴾ قال ياقوت الحموى بفتح الميم كلمة فارسية معناها وسط الانهار وهى جزيرة تحت البصرة فيها عبادان تحيط بها دجلة من جانبيها وتصب فى البحر الاعظم فى موضعين احداهما يركب فيه الراكب القاصد الى البحرين وبر العرب والآخر يركب فيه القاصد الى كيس بر فارس فهذه الجزيرة مثلثة الشكل من جانبيها دجلة والجانب الثالث البحر الاعظم وفيها نخل وعمارة وقرى

من جملتها الجرزى التى هى مرفأ سفن البحر وميان روذان أيضا ناحية فى اقصى ماوراء النهر قرب اوزكندا

﴿ماح﴾ فلانا يميحه نفعه و(امتاح الماء) غرفه . (استماحه) سأله العطاء

﴿ماد﴾ يميد ميدا تحرك و(تميد) تمايل مهتزا و(المائدة) الطعام والخوان عليه الطعام جمعه مائدات وموائد

﴿الميدانى﴾ هو ابو الفضل احمد ابن محمد بن احمد الميدانى النيسابورى كان أديبا عارفا باللغة له فيها التصانيف المفيدة منها كتاب الامثال

توفى بنيسابور سنة ٥١٨)

﴿مار﴾ فلانا عياله يميرهم ميرا أتاهم بميرة . و(الميرة والمير) الطعام . و(امتار) مثل مار

﴿مازه﴾ يميزه ميزا عزله وفرزه من غيره و (ميزه تمييزا وأمازه) بمعنى مازه و (تميز الشيء وامتاز) انفصل عن غيره

﴿التمييز﴾ هو اسم يذكر لبيان عين المراد من اسم سابق يصلح لان يراد به اشياء كثيرة نحو (اشتريت رطلا مسكا) فان مايذكر بعد رطلا يصح أن يكون خبزا وحريرا الخ فاذا قلت مسكا ميزته فصار مسكا تمييزا . والمميز اما ملفوظ اوملحوظ فالاول كاسماء الوزن والكيل والمساحة والعدد كارأيت والملحوظ مايفهم من الجملة نحو (طاب محمد نفسا ، وانا اكثر منك علما) فذلك متى قلت انا اكثر منك احتمل ان تقول مالا او ماشية ، فلما قلت علما صار تمييزا

﴿ميس﴾ ماس الرجل يميس ميسا تبختر و(تميس الرجل) تبختر و(الميسان) المتبختر

﴿ميسان﴾ قال ياقوت هى كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان وفى هذه الكورة قرية فيها قبر عزير النبى المشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور

﴿ميط﴾ ماطه يميطه أبعده و(أماطه) أبعده ونحاه و(المياط) الادبار و (المياط) أيضا الاقبال

﴿ميع﴾ ماع يميع سال وجرى . و(ماع السمن) ذاب فهومائع . و(أماعه)

أسـاله . و (تميّع الشيء) تسيّل . و (المائع) خلاف الجامد و (ميْعة الشباب) أوله

﴿الميعة السائلة﴾ هي عصارة بلسمية سائلة تسمى بالافرنجية اصطركس ليكيد اى الميعة السائلة وبوم قويلغ أى بلسم قويلغ وقويلغ ليكيد اى القويلغ السائل وليكيد أمبر اى العنبر السائل ويسمى النبات باللسان النباتى ليكيد امبر اصطراسفلو اوليكيد أمبر اورينتال وهما نوعان من الجنس تخرج منهما هذه العصارة فجنسها ليكيد أمبر كان موضوعا فى الفصيلة التناسية والآن وضع فى الفصيلة الشمعية وصفاته النباتية انه كثير الذكور وحيد الحال اى ان ازهاره المذكرة والمؤنثة على شجرة واحدة منفصلتان عن بعضهما فالازهار المذكرة يتكون منها عناقيد صغيرة متفرعة وتتركب من عدد كثير من ذكور خالية بالكلية من الكاس والتويج بل ومن الفلوس التى تكون فى محلها وتلك العناقيد مصحوبة بمحيط رباعى الورق يسقط فيما بعد والازهار المؤنثة يتكون منها سنابل هرمية كرية مصحوبة ايضا بمحيط فلوسى مركب من ٤ وريقات وهذه الازهار ملززة جدا وملتصقة ببعضها وكأنسها منسغ وحيد القطعة مقطوع وغير متساوى الحافة وهى محتوية على مبيضين وحيدى المسكن وملتصقين بقاعدتيهما مع الكاس وينتهى كل منهما بطرف حاد منحنى القمة وينفتح من جانبه الباطن ويحتوى على جملة بذور ملتصقة بجدرانه ومجنحة واسم هذا الجنس مركب من كلمتين احداهما ليكيد اى سائل وثانيتهما امبر اى عنبر فمعناها عنبر سائل وهو مأخوذ من المستنتج البلسمى الخارج من أنواعه الداخلة فيه

(الصفات النباتية) الازهار يتكون منها عناقيد صغيرة متفرعة فالمذكرة فيها ذكور كثيرة وخالية من الكاس والتويج بل ومن الفلوس التى تكون فى محلها وتلك العناقيد مصحوبة بمحيط رباعى الورق يسقط فيما بعد والمؤنثة يتكون منها سنابل كرية مصحوبة ايضا بمحيط فلوسى مركب من أربع وريقات وبقية الصفات كصفات الجنس المتقدمة والنوع الاول المسمى ليكيدامبر اصطراسفلو شجر كبير ينبت بامريكا الشمالية ككسيك ورجينى وريف اونيون ويسمى

هناك شجر قوبلر واستنبت أيضا استنباتا جيدا فى الاراضى الممتلئة من اقليم باريس وهو بمنظره وتوريقه يشبه النبات المسمى اريل وبلا كثر الجميز المسمى بالافرنجية سيقومور ولكن اوراقه متعاقبة غالبا ذنيبية ذوات ٥ فصوص سهمية عميقة ومسننة تسنينا غير متساو وتستخرج الميعة منه بنفسها أو بشقوق تعمل فيه والنوع الثانى المسمى ليكيدامبر اورينتال أى المشرقى ينبت بالمشرق بالنسبة لاوروبا نحو البحر الاحمر وبلاد العرب وبلاد الاثيوبيين ويسيل منه بلسم سائل شبيه ببلسم النوع السابق ويعطى أحدهما بدلا عن الآخر ويمكن أن يكون هو المسمى روزمالا أوروزمالوس الذى أكد بعضهم انه مستنتج بلسمى عليه هيئة عجين سائل يجنى من نبات سماه بعضهم بذلك وينبت بجزيرة قبرس قرب قاديس وفى طرف البحر الاحمر على ٣ أيام من السويس وينقل من هناك الى جدة ونسبه آخرون لغير ذلك مثل ليكيدامبر ايطسيا والطنجيا اكسلزا من الفصيلة المخروطية قال ميره وهو بعيد لان النباتات المخروطية انما تعطى تربنتينات لا بلاسم وذلك هو ما رأيناه فى جنس الطنجيا لان الطنجيا اكسلزا المسمى عند رمفيوس ضماراً ألبا شجر من الفصيلة المخروطية ينبت فى ملوك ويتصاعد من جذعه بالطبيعة او بشقوق تعمل فيه راتينج يكون أولا رخوا لزجا ثم يتيبس على الشجر فى ايام فيكون كتلا غليظة فى بعض الاحيان وحينئذ يكون فى بياض البلور ولكن اذا عتق أصفر كالكهرباء وقد يقطر قطرة قطرة على الارض ويتجمد عليها ويتوسخ فاذا كان هذا الراتينج سائلا كانت رائحته كرائحة الصنوبر والمصطكى واذا كان جافا لم يكن له رائحة أصلا واذا وضع على الفحم المتقد حصل منه ما يحصل من راتينجات الصنوبر وليس لهذا الراتينج استعمال طبى ولكن ذكر رمفيوس أنه يمكن استعماله فى تلحيم الجراح وفى جراح القدمين ونحو ذلك وانما يخدم فى ملوك لطلاء السفن ولذا كان موضوعا لمتجر كبير ويسمى بلسان المليزيين ضمارابوتى أى الراتينج الابيض فعلم من ذلك أنه لا يصلح نسبة الميعة لجنس الطنجيا الذى هو من الفصيلة المخروطية ثم قال وقد أوصل لنا

بعض العلماء انموذجا من عصارة بلسمية ثخينة لزجة قوية الرائحة جدا وراتينجيتها أقوى من ذكاوتها وهى فى مصر مسماة باسم عصارة العنبر السائل (شك ليكيد أمبر) ويمكن كونها ناتجة من روزمالاقال وحيث أنها عتيقة جدا تحولت تقريبا الى دهن شحمى وذلك تغيير يحصل كثيرا فى الراتينجيات كما يشاهد حصول ذلك فى راتينج الصنوبر

(الصفات الطبيعية للميعة السائلة) هى ثخينة فى قوام العسل فاذا كانت جديدة نقية كانت قابلة التلون ولذلك هى تسمى بالعنبر السائل الابيض وقد تكون سنجابية مسمرة معتمة ورائحتها ذكية هى رائحة الحمض الجاوى قابلة للانتشار وطعمها حار عطرى غير حريف أو فيه بعض حرافة وهذا المستنتج صار الآن نادر الوجود بل لايوجد أصلا فى المتجر ويستخرج منه بالتصفية أو بالعصر الجزء الاكثر سيلانا المسمى بدهن العنبر السائل فاذا تيبس هذا البلسم وذلك يحصل فيه مع طول الزمن سمى براتينج قويلم وهو غير الراتينج المسمى راتينج قوبال أما فى أمريكا الشمالية فلا يخرج منه بلسم وانما تغلى أغصانه وتجتنى المادة التى تسبح على الماء فتكون هو القويلم الاسود عند بعض الصيادلة وتعطى أحيانا بلسم عصارة اصطركس أوفستال أى الطبى أى المسمى أصطوركس ويسهل حصول هذا الغلط اذا كان المستنتجان متحدين فى التركيب والخواص ولكن الاصطيركس الصادق هو الذى بامريكا وأما الاصطوركس فبأوروبا وهناك مستحضر من هذا الاخير يظهر كونه صناعيا ويأتى من البلاد الشرقية مسمى بالاصطوركس السائل وهو ناتج من اذابة الاسطوركس فى الدهن أو فى النبيذ مخلوطا بالتربنتينا واعتبره بعضهم ناتجا من اغلاء أغصان وفروع الاصطيركس الطبى حيث يفصل ذلك بالبلاد الشرقية ويقوم مقام العصارة النقية التى لانعرف الآن لهذه الاصطركس الطبى وانما الموجود عصارة صلبة هى المسماة بالميعة اليابسة

(الصفات الكيماوية) هى مركبة من دهن طيار وراتينج واسطراسين وحمض سيناميك بالدهن الطيار المسمى اصطيرول لم يكن متكونا الا من كربون وايدروجين وهو سائل يعطى مع الحمض النترى

مستنتجات غريبة من جملة نانج أزوتى طيار حريف كالدهن الطيار الخردل والراتينج مركب من راتينجين احدهما صلب والآخر رخو وربما كان هذا الرخو شبيها بالسينامئين واما الاصطراسين فاكتشفه بونسطر ودرسه الاكثر سيمون وهو يكون على شكل ابر جيلة مستطيلة بيض تميع فى ٥٠ درجة وهى مركبة من ٢٤ من الكربون و ٤١ من الايدروجين و٢ من الاوكسيجين وهو لا يذوب فى الماء ويذوب فى ٣ غرامات من الكؤول المغلى و ٢٢ من الكؤول البارد ويذوب فى ٣ غرامات من الاتيرواذا ضم الحمض النترى حصل مثل ما يحصل من الحمض سيناميك الذى يشبهه كثيرا ويعطى من مستنتجاته الحمض سيانذريك وادرور البنزويل ومع القلويات الكلوية يتغير الى راتينج وحمض سيناميك وزيت ثقيل يسماه سيمون اصطرافون يغلى فى٢٢٠ورائحته كرائحة الوردمقبولةواللوزوالقرفةويحتوى هذا الزيت على ٩ من الاوكسيجين فى المائة وينال الاصطراسين بأن يقطر البلسم مع كربونات الصودا ليستخرج الدهن الطيار ثم يغسل الراتينج بالماء ويذاب فى الكؤول فاذا قطر ذلك الى ثلثيه رسب الاصطراسين الغير النقى بالتبريد فيغسل بالكؤول ثم يذاب فى الاتير ثم يبخر الاتير ويذاب ثانيا حارا فى الكؤول ليحصل من ذلك بالتبلور الاصطراسين

(الاستعمال) الميعة السائلة الصادقة المسماة أيضا بلسم قوبلم فيها خواص البلاسم عوما فهى منبهة للمجموع الخاطى فتعطى فى النزلات المزمنة فى الصدر والامعاء والطرق البولية ونحو ذلك فيكون ذلك الجوهر مقويا للمعدة ومنبها للعرق والبول وكثيراً ما يستعمل من الظاهر وضميات فى مستحضرات مرهمية فيوضع على الجروح الغنغرينية النتنة الرديئة الطبيعة ونحو ذلك وكان العطريون يستعملونه سابقا وسيما دهنه العطرى . كذا ذكر ميره وقال بوشرده استعمل هبرتير الاصطيوركس السائل فى ليقوريا النساء والبلينوراجيا أى السائل الزهرى بدل بلسم القوبار فيجهز منه بلوعا سنذكرها اى فيحصل منافع هذا الجوهر كمنافع بلسم القوبار . وذكر أطباء العرب ان هذه الميعة حارة طيبة الرائحة تدخل فى الطيب

وفيها قبض وتجفيف وقيل انها تسخن وتنضج وتلين فتشفى السعال والزكام وفيها جميع ما قلناه عنهم فى الميعة اليابسة

(المقدار وكيفية الاستعمال) يلزم قبل استعمالها من الباطن تنقيتها بتصفيتها من خرقة مثلا وبلوع الاصطيركس تصنع بأخذ المقدار المراد من الاصطيركس السائل النقي والمقدار الكافى من مسحوق عرق السوس ويحبب ذلك حبوبا كل حبة من ٣٠ الى ٤٠ سنتى غرام يستعمل منها ٦ فى اليوم ٣ فى الصباح و٣ فى المساء وقد يصل المقدار فى اليوم الى ١١ وأوصى لوباج بتجهيز هذه الحبوب بأخذ ثمن من المغنيسيا المكلسة تجمع مع البلسم المذكور على حمام مارية مدة نصف ساعة وشراب الاصطيركس يصنع بأخذ غرامين من الاصطيركس النقي و١٥ من الكؤول الذى فى ٤٠ درجة من الكثافة و ٩٠ جزءا من السكر و ٣ من مسحوق الصمغ العربى فيذاب الاصطيركس فى الكؤول ثم يصب المحلول مغليا ويرشح على السكر ثم يجفف فى محل دفىء . ثم يسحق السكر ويذاب فى ١٠٠ غرام من الماء على حمام مارية ثم يضاف له الصمغ العربى المذاب فى ٥٠ غراما من الماء ويصفى. وهذا الشراب منظره كمنظر المستحلب ويحتوى كل ٢٠ غراما منه على ٣٠ سنتى غرام من اصطيركس كذا قال لوباج . وجهز هرتيير شراب الاصطيركس بهضمه فى الماء . قال سو بيران وانا اختار التركيب الذى ذكره لوباج لأن شراب الاصطيركس ليس شرابا مقبولا للالتذاذ لأنه يحتوى على مقدار كبير من الراتينج وبالضرورة يكون أقوى فاعلية وأما طلاء الاصطيركس ففى بوشرده يصنع بأن يذاب على نار لطيفة ١٠ غرامات من القلفونيا و ٨ من راتينج اللاعى و ٨ من الشمع الاصفر ثم يضاف على ذلك مع الاحتراس ٨ من الاصطيركس السائل ثم ١٢ غراما من زيت الجوز ثم يصفى ويحرك الى أن يبرد ويتمرهم ويستعمل هذا المرهم مجففا وكثيرا ما يجمع ايضا مع مرهم جالينوس ولودنوم شيدنام وتركيب هذا الطلاء فى سوبيران يختلف عن ذلك فانه قال فى تركيبه يؤخذ من القلفونيا ٤ غرامات ومن كل من راتينج اللاعى والشمع الاصفر والاصطيركس السائل غرامان

ومن زيت الجوز ٣ غـرامات ثم تمزج القلفونيا وراتينج اللاى والشمع مع بعضها فى قدر فتذاب على نار هادئة ثم يضاف لها الاصطيركس السائل ولـكن مع غاية الاحتراس خوفا من نتائج شدة الغلى حيث ينتج تبخـير ماء الاصطيركس اذا كان المخلوط الراتينجى شـديد الحرارة فاذا ذاب الاصطيركس يضـاف له زيت الجوز ثم يصفى من خرقة ويحرك الطـلاء حتى يقرب للبرودة فيحصـل على سطح الطلاء الاصطيركسى شبه قشرة ناشئة من ثخن زيت الجوز فى الطبقات السطحية بسبب الخاصة المجففة فى هذا الزيت وتفصل هذه الطبقـة اذا أريد استعمال الطلاء وأما الميعة المنقاة المتجمدة فتصنع بأخذ ١٢٠ غراما من الميعة المنقاة و ١٠ غرامات من الـكلس المائى يمزجان ويسخنان من ساعة على حمام مارية ويعمل ٢٤٠ بلعة ويصح أن يستعمل منها كل يوم من ٥ الى ٢٠ بلعة فى البليتوراجيا (انظر المادة الطبية)

الميعة اليابسة — لفظة ميعة اسم عـربى مشتق من الميعان لانه اذا أطلق فانما يراد به السائلة وتسمى هذه العصارة أيضا اصطيرك بضم الطاء وكسرها وهو اسمها بالافرنجية ويسمى النبات الخارجة منه بالعربيـة لبنى بضم اللام وسـكون الباء باللسان النباتى اصطرك اوفسنالس والاسم العامى عند الاوربيين اصطوركس أو اصطيركس قلاميت وباللسان الاقرباذينى اصطيرك قلاميتا ويقـال له أيضا البيوفير والبيوسيير واصطيركس فجنسه اصطيركس أو اصطوركس عشرى الذكور أحادى الاناث من الفصيلة الميعية أو الآبنوسية

(الصفات النباتية للنوع المذكور)

هو نبات فى برونسة وايطاليا واسبانيا وبلاد الروم واليونان وآسيا الصغرى ومعظم بلاد الشرق بالنسبة لاوروبا كما يوجد أيضا فى جنوب فرنسا ويألف المحال اليابسة . قال ريشـار ويعلو من ١٥ قدما الى ٢٥ ويتـوج بفروع أوراقها متعاقبة بيضـاوية كاملة ذنيبية رخوة زغبيـة الوجهين وسيما من الاسفل بث تكون بيضاء قطنية . وقال ميرهان الا اق قطنية مبيضة من الاسفل وخضر من الاعلى وتشبه أوراق السفرجل والازهار بيض عنقودية . وقال ريشار الازهار بيض

تنضم ٣ أو ٤ مع بعضها فى طرف الاغصان وهى فى العظم والشكل كأزهار البرتقال وكأسها قصير يقرب لان يكون ذنىّ الشكل والتويج ذو ٥ أو ٦ فصوص ضيقة والذكور يختلف عددها من ١٠ الى ١٦ وأعشابها وحيدة الاخوة من قاعدتها والثمر كرى فى غلظ ثمر الكرز وغلافه الخارج جاف قطنى ذو مسكن واحد يحتوى على بزور من ٢ الى ٤ يختلف شكلها جدا فيستخرج من جذعه بالشقوق فى البلاد الحارة من آسيا الصغرى وجزائر اليونان عصارة تتجمد فتسمى بالميعة ولا يستخرج منه شىء بفرنسا انتهى .قال ميره ذكره دوماميل أنه رأى سيلان هذه العصارة من شجرة موضوعة فى متريو بفرنسا وذكر برنار جوسيو انها تنفرز مما سماه لينوس لكيد أمبر أوريئتال أى المشرق وهو رأى غير مختار أصلا ولا يشتبه هذا النبات بشجر الميعة السائلة الذى سماه لينوس ليكيد أمبر اصطير اسفلو وسنذكره ومع ذلك نقول كما قال جيبور ندرة هذا البلسم تقل موافقتها مع كثرة الشجر المنتجة له حيث يكثر طبيعة بإيطاليا الى بروونسة وهذا ربما أوقعنا فى الشك فى أصل هذا البلسم وسيما أن جوسيو نسبه لغير النبات المذكور وقال ميره فى الذيل ينبغى تمييز النبات المسمى بالافرنجية اليوسيبر عن المنتج للعصارة السائلة أى ان المسمى ليكيد أمبر اصطو اسفلو فالبلسم المسمى اصطيركس أوفيسنال أى الطبى هو المسمى اسطوركس والآن قد تشكك جوسيو فى الاسطوركس الآتى من هذا الشجر ولم يوضح هذا التشكك ثم ان الاسطيركس الشبكى والحديدى والذهبى التى تنبت فى اقليم بايا وفى البريزل تعطى راتينجا بلسميا يقرب كثيرا لما يخرج من الاصطيركس الطبى فى الرائحة والخواص ويتسلط على قشورها حشرات معروفة الانواع فتخزها فيسيل البلسم منها نقطة نقطة تجمعه الاهالى مع الاحتراس وتستعمله فى الكنائس ويوضع فى اللصوقات المقوية وغير ذلك. كذا نقل ميره عن مرتيوس ولاطبائنا كلام فيه أيضا ومنهم من يميل أيضا الى أنهما من شجرة واحدة فقد نقلوا عن ديسقوريدس أن الميعة السائلة هى دسم الطوسى المستخرج بالعصر والميعة اليابسة هى الاصطرك ويقال لها

بالسريانية سطركا هو صمغ شجرة كالسفرجل وهو ضرب من الميعة أشقر الى البياض دسم طيب الرائحة شبيه بالراتينج أى صمغ الصنوبر الى آخر ماقالوا . وقال اسحق بن عمران الميعة شجرة جلية لها خشب يشبه خشب التفاح ولها ثمرة بيضاء أكبر من الجوز ويؤكل الظاهر منها وفيه مرارة التى فى داخل النوى دسمة يعتصر منها دهن وقشرها هو الميعة اليابسة ومنه تستخرج الميعة السائلة وصمغ هذه الشجرة هو اللبنى وهو ميعة الرهبان وهو صمغ أبيض شديد البياض وهو الحبر وهو لبنى الرهبان وقال أبو جريج الراهب الميعة صمغة تسيل من شجرة تكون ببلاد الروم فمنها ما يخرج منها بنفسه ومنها مايؤخذ بالطبخ وقد يعتصر من لحاء تلك الشجرة فما عصر يسمى ميعة سائلة والثخين هو الميعة اليابسة وقال صاحب المنهاج الميعة السائلة هى اللبنى والرطبة منها ماتتحلل بنفسها صمغا ومنها ما يستخرج بطبخ اللحاء وتلك الشجرة والمتحلب بنفسه اصفر والمستخرج بالطبخ اسود والثفل الثخين هو اليابسة وقال فى مبحث لبنى : اللبنى هو الميعة السائلة ويقال لعسله السائل عسل اللبنى فقد علمت أن معظمهم يميل الى ان اليابسة والسائلة يستخرجان من شجرة واحدة وهو خلاف ما علم الآن عند محققى النباتيين

(الصفات الطبيعية لميعة اليابسة) ميزها جيبور الى ٣ انواع الاول الاصطوركس الابيض وهو حبوب بيض معتمة كبيرة الحجم رخوة منضمة مع بعضها لى كتلة وحيدة بسبب التصاقها بنفسها ورخاوتها تتشكل بشكل انائها وتشبه حينئذ لابيض القناوشق الكتلى ورائحة هذا النوع قوية ذكية وطعمه عذب عطرى وينتهى بمرارة ثم مرارة والثانى الاصطوركس اللوزى وهو كتل جافة قابلة للكسر مكونة كالسابق من حبوب ملتصقة ببعضها وتتشكل مع الزمن بشكل الاوانى الحاوية لها ومكسرها يوجد فى عمقه الأحمر حبوب لوزية الشكل بيض مصفرة وذلك يعطيها شبها بالقناوشق الجيل العتيق والاجزاء السمر التى من الزمن تسيل وتملأ الخلو الذى بين الاجزاء السفلى للكتلة وجدار الاناء يتكون منها طبقة زجاجية شفافة حمراء

زاهية ورائحته أشد ذكاء وتشبه رائحة الفانيلا وطعمه أحلى من النوع السابق فهو فى ذلك أعلى من البلاسم الاخر والثالث الاصطوركس الاحمر المسمر وهو كتل مختلطة بنشارة من الخشب وفيها بعض لزوجة وتلين تحت الاسنان ولونها أحمر مسمر وطعمها عذب ورائحتها مقبولة جدا وهى أقل قوة من الاول وتنبذر فيها حبوب محمرة. وأماميره فجعل الانواع ٤ أيضا باعتبار الاشكال التى توجد بالمتجر أولها الحبوبى وهو معروف من مدة طويلة وثانيها الشبكى لكونه يحفظ شبكات وهو الانقى ولذا كان نادرا وهو القلاميت ويكون قطعا يختلف حجمها ولونها الاشقر مسود وهى لامعة جافة سهلة الكسر نصف شفافة فى الجافة وسهلة التفتت خفيفة شديدة العطرية من رائحة الجاوى أو الفانيلا وتلين تحت الاسنان وطعمها مر راتينجى وتحترق مع شعلة خفيفة وثالثها هو القرصى وهو أكثر سوادا ووساخة ومصّم فى جميع أجزائه وأقل عطرية وقال فى أنواع جيبور أن أحدها ابيض وهذا لانعرفه وربما كان هو الحبوبى وثانيها اللوزى وهو القلاميت وحجمه كاللوز وثالثها الاحمر المسمر وهو المعروف بالمتجر بالاحمر ونقل ميره أن مرتيوس جعل اصطيركس البريزيل ٣ أنواع أحدها اصطيركس أوريوم أى الذهبى وثانيها فيروجينوم أى الحديدى وثالثها ريطقولابوم أى الشبكى وذكر أن الانواع الثلاثة تجهز بالشق فى القشر مثل مايجهز من اصطوركس أو فستالس أى الطبى ولتعلم أن الموجود الآن بالمتجر بكثرة هو الاصطوركس الاحمر الذى هو عصارة الشجر المعروفة ونشارة خشبها حيث يجهز ذلك فى البلاد المشرقية ويباع بثمن مرتفع وأما المصنوع فى بعض البلاد من النشارة والجاوى العام ويباع بثمن واه فردى.

(الخواص الكيماوية) هذه الميعة مستنتج نباتى من طبيعة البلاسم أى تحتوى على حمض جاوى ولم يقع لها تحليل صحيح لكن من المعلوم كونها مركبة من الحمض الجاوى ومن راتينج وصمغ ودهن طيار وقاعدة زيتية ثابتة واذا وضعت فى الماء صيرته لبنيا ووصلت له رائحتها وهى تذوب فى الكؤول وغير ذلك

(الاستعمال) هذا الدواء منبه ولاسيما

للاغشية المخاطية ومغو فيشبه الراتينج فى فعله وكان سابقا يستعمل فى الربو الرطب وبحة الصوت والسعال والمستعصى والاحتقانات الرئوية بل والسل وأوصوا به فى الامراض العصبية المختلفة وفى غير ذلك ومدحها مورطون بالاكثر فى شفاء قروح الرئتين ولكن المشاهدات لم تؤكد ذلك غير أن عدم قابلية الداء للشفاء تكفى عذرا لعدم تأثيره فيه لأن شفاء مثل هذا الداء هو بمحض تأثير الله وكانوا يستعملونها تبخيرا فى الاوجاع الرومتيزمية فى أى محل كان من الجسم وفى الصداع وفى الرعاف وبعض أحوال من عسر التنفس ونحوه كما تستعمل لذلك من الباطن أيضا فكانوا يعرضون الاطراف التى هى مجلس تلك الآفات لبخار هذا الجوهر المقذوف على الفحم المتقد ولكن الآن ترك استعماله . وتدخل الميعة فى الترياق وبغروذبطوس وديسقردبون وغير ذلك ويعطر بها كثير من المركبات كالشكولاتا ونحوها بدل الفانيلا التى هى غالية الثمن وبالجملة هى من المعطريات والطيوب التى كانت كثيرة الاستعمال وسياق الثياب . والمشرقيون يكثرون التبخير بها وكانوا يحنطون بها موتاهم وفى كتب أطباء العرب عن جالينوس انها مسخنة ملينة منضجة فلذا تشفى السعال والزكام والنوازل والبحوحة وتدر الطمث شربا وحمولا وتدخينا وقد تحرق فيؤخذ منها دخان كدخان الكندر وعن ديسقوريدس نحو ذلك وانها اذا شربت أو احتملت وافقت انضمام الرحم والصلابة العارضة فيها وأدرت الطمث واذا ابتلع منها شىء يسير مع صمغ البطم لينت البطن تليينا خفيفا وتخلط ببعض المراهم المحللة وبالادهان للاعياء وتعجن بها ضمادات النقرس والمفاصل فيتقوى عملها وان طبخت بالزيت ومرخ بها دفعت الاعياء والنافض والرعشة والخدر والكزاز مجرب وتنفع أمراض الاذن قطورا وأرياح الغليظة والاستسقاء والطحال والكلى والمثانة وأوجاع الظهر والوركين والجذام وان استحكم مضغا ولو بخورا ورائحة بخورها تقطع رائحة العفونة كيف كانت وتنفع من الوباء

(المقدار وكيفية الاستعمال) مقدارها عند المتأخرين من ٥٠ سنتى غرام الى غرامين بلوعا أو حبوبا ويصنع شرابها

بجزء منها و١٦ من الشراب والاستعمال من ٦٠ غراما الى ١٠٠ فى جرعة اما من الظاهر فيؤخذ منها جزآن لثلاثة أجزاء من الزيت فيكون طلاء جيدا (المادة الطبية)

﴿أبو الفضل الميكالى﴾ هو عبد الرحمن بن احمد بن على بن اسماعيل بن عبدالله بن محمد بن ميكال بن عبدالواحد ابن جبريل بن القاسم بن بكر بن سور بن سور بن سور بن سود اربعة من الملوك بن فيروز بن يزدجرد بن بهرامجور أبو الفضل الميكالى

مات يوم عيد الاضحى سنة ست وثلاثين وأربعمائة كان أوحد خراسان فى ذلك العصر أدبا وفضلا ونسبا وحسن خلق مليح الوجه والشمائل كثير القراءة دائم العبادة زكى النفس سمع بخراسان من الحاكم أبى أحمد الحافظ وأبى عمرو بن حمدان وعقد له مجلس للاملاء وأبوه مشهور جليل القدر

وله من التصانيف كتاب المنتخل وكتاب مخزون البلاغة وديوان رسائله وديوان شعره وكتاب ملح الخواطر ومنح الجواهر ومن شعره :

إذا ماجاد بالاموال ثنى
ولم تدركه فى الجود الندامة
وان هاجت خواطره بجمع
لريب حوادث قال الندامة

وقال أيضا :

مبدع فى شمائل المجد خيما
ما اهتدينا الا لنحو اقتباسه
فهو فيض بالمال وقت نداه
وجواد بالعفو فى وقت باسه

وقال :

ألا رب أعداء لئام قريتهم
متون سيوف أو صدور عوالى
إذا كلبهم يوما عوى لى رميتهم
بكلب إذا عاوى الرجال عوى لى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

عجبت لوغد قد جذبت بضبعه
فأصبح يلقانى بتيه وبيسما
يريد مساماتى ومن دونها السما
وكيف يبارينى سموا وبى سما

وقال :

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده
ووكل أجفانى برعى كواكبه
فيا جزعى مهلا عساه يعود لى
ويا كبدى صبرا على ما كواك به

وله:

صلى محيا أعياه وصف هواه
فضناه ينوب عن ترجمانه
كلما رامه سواك تصدت
مقلتاه بدمعة ترجمانه

وله:

ياذا الذى أرسل من طرفه
على سيفا قدنى لوفرا
شفاء نفسى منك تخميشة
تغرس فى خدك نيلوفرا

وقال:

أما حان أن نشفى المستهام
بزورة وصل وتأوى له
يجمجم عن سؤله هيبة
ويعلم علمك تأويله

وله:

سقيا لدهر جوى والوصل يجمعنا
ونحن نحكى عناقا شكل تنوين
فصرت اذ علقت نفسى حبائلكم
بسهم هجرك ترمى ثم تنوين

وقال ايضا سامحه الله تعالى:

ان كنت تأنس بالحبيب وقربه
فاصبر على حكم الرقيب وداره
ان الرقيب اذا صبرت لحكمه
بوثت فى مثوى الحبيب وداره

وقال:

شكوت اليه ما ألاقى فقال لى
رويدا فى حكم الهوى أنت مولى
فلو كان حقا ما ادعيت من الهوى
لقل بما تلقى اذا أن تموت لى

وقال:

ومعشوق يتيه بوجه عاج
شبيه الصدغ منه بلام زج

وقال:

ظبى يحار البرق فى بريقه
غنيت عن ابريقه بريقه
فلم أزل أرشف من رحيقه
حتى شفيت القلب من حريقه

قال:

ان لى فى الهوى لسانا كتوما
وجنانا يخفى حريق جواه
غير أنى أخاف دمعى عليه
ستراه يفشى لدى ستراه

وقال:

تفرق قلبي هواه فعنده
فريق وعندى شعبة وفريق
اذا ظمئت نفسى أقول له اسقنى
وان لم يكن راحا لديك فريق

وقال :
أهدت جفونك للفؤا
د من الغرام بلابلا
فالشوق منه بلا مدى
والوجه فيه بلا بلا

ومن شعره رحمه الله تعالى :
روض يروض هموم قلبى حسنه
فيه لكاس اللهو أى مساغ
ان تنثنى قضبان ريحان به
حيث بمثل سلاسل الاصداغ

ومنه :
تصوغ لنا كف الربيع بدائعا
كعقد عقيق بين سمط لآلى
وفيهن أنوار الشقائق قد حكت
خدود عذارى نقطت بغوالى

وقال فى اقتران الزهرة والهلال :
أما ترى الزهرة قد لاحت لنا
تحت هلال لونه يحكى اللهب
ككرة من فضة مجلوة
أوفى عليها صولجان من ذهب

وقال فى طلوع الفجر :
أهلا بفجر قد نضى ثوب الدجى
كالسيف جرد من سواد قراب
أو غادة شقت ازارا ازرقا
مابين ثغرتها الى الاقراب

وقال :
يامهديا لى بنفسجا أرجا
يرتاح قلبى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه
بأن ضيق الامور ينفسح

وقال فى ذمه :
يامهديا لى بنفسجا سمجا
وددت لو أن أرضه سبخ
بشرنى عاجلا مصحفه
بأن عقد الحبيب ينفسخ

وقال :
ومدامة زفت الى سلسال
تختال بين ملابس كالآل
قد نالها حتى اذا ماافتضها
بالمزج أمهرها عقود لآل

التزم الميكالى الجناس فى كل ما تقدم وهذا النوع من البديع يضطر صاحبه للتكلف كما رأيت

وقال أيضا :

لنا صديق بجيد لقا

راحتنا فى أذى قفاه

ماذاق من كسبه ولكن

أذى قفاه أذاق فاه

ميكائيل اسم ملك كريم (انظر ملك)

الميكروبات هذه الكلمة تطلق على أجسام حية غاية فى الدقة ولا ترى الا بالآلات المكبرة للمرئيات، وهى مكونة من خلايا مستديرة أو مستطيلة أو معقدة أو غير ذلك. هذه الكائنات بين حيوانية ونباتية توجد فى كل مكان وتنمو اذا وافقتها شروط الحياة نموا مدهشا حتى لقد يصل نسل الواحدة منها فى أربع وعشرين ساعة الى نحو خمسة ترليونات وهو عدد يكاد لا يعقل ولكنه هو الواقع كما دلت عليه أبحاث المجربين . ولولا أن العوامل الطبيعية من الضوء والبرودة والحرارة مبيدة لهذه الكائنات لملأت بتكاثرها الارض فى عشية أو ضحاها . وهى تسمى بأسماء مختلفة مثل خمير وبكتريا وباسيل وميكروكولوس وبروزوييت ولم يتفق على تسميتها باسم من هذه الاسماء لعدم استيعاب واحد منها الصفات المميزة لهذه الحيوانات الدقيقة ولكن يظهر أن كلمة ميكروب تغلبت على متناظراتها وانتشرت بين رجال العلم وهذه الكلمة اقترحها الدكتور سديو فى مجمع العلماء الفرنسى فى سنة (١٨٧٨)

هذه الكائنات رغما عن دقتها لها أثر كبير فى عالم الاحياء فهى منتشرة فى الهواء والماء وعلى سطح الارض وفى باطنها وفى باطن الحيوانات دائرة فى دمها . وهى اسباب التخمر وتحلل الاجساد الحية فلولاها لما تخمرت مادة ولا تعفنت جثة ولا تحللت مادة عضوية ولا يخفى أن التخمر والتعفن والتحلل من ضروريات عالم الكون والفساد ولولاها لوقفت حركة تبادل المادة وهلك العالم الحى كله وباد . فهذه الميكروبات اذن ضرورية للحياة وان كان منها ما هو العامل الاول فى توليد الامراض المعدية ونشرها على سطح الارض وقد ثبت الآن أن العدوى ليست بشىء غير انتقال هذه الحيوانات من جسم المصاب بواسطة مبرزاته من بصاق وعرق وبول وغائط الى جسم آخر فتصيبه بذات المرض الذى أصيب به الاول . فكان اكتشاف هذا السر

سببا عظيما لتوقى الامراض المعدية بسبب التحوطات الصحية . وقد كان هذا السر محجوبا عن القدماء حتى عن الذين كانوا عائشين فى مقدمة النصف الثانى من القرن التاسع عشر فكان اذا حل بأمة طاعون أو كوليرا أو نوع من الحميات الخبيثة انتشر بسرعة بين افرادها فاجتاح الملايين منها وربما انتشر فيما يجاورها ويبعد عنها من البلدان محمولا على بضائعها فأحدث فيها عين الاثر الذى يحدثه فى البلاد التى ظهر فيها

فلما جاء العلامة باستور فى النصف الاول للقرن التاسع عشر ودرس خصائص هذه الحيوانات وحذا حذوه كوخ فى ألمانيا وتندل فى انجلترة وغيرهم أدركوا سر حياة هذه الكائنات وأطوار نموها وعوامل ابادتها وميزوا بين أنواعها واستطاعوا بهذه المباحث ايجاد المطهرات التى تبيدها فأفادوا النوع البشرى فوائد عظيمة بل كانوا سببا لنجاة حياة عدد لايحصى من الناس

وأهم ما عرفوا أن الرطوبة والحرارة المعتدلة تساعد على نموها وزيادة تكاثرها وتفاقم شرها ، وعلموا أن بعضها يحتاج فى معيشته الى الهواء ، والبعض الآخر لا يعيش الا بمعزل عنه . وان الضوء والشمس من مبيداتها العظيمة . وتحققوا أيضا ان وجود بعض الميكروبات يعيق نمو البعض الآخر أو يبيده فأسسوا على هذه المعلومات الثمينة فنونا من التحوطات الصحية ، وأصولا من الوسائل العلاجية كان لها أعظم تأثير فى حفظ الصحة العامة

أحسن أثر فى اكتشاف هذه الحيوانات ظهر فى الاعمال الجراحية فان الجراح كانت لا تبرأ الا بصعوبة بسبب تكاثر الميكروبات فيها وعدم معاملتها بما يزيلها فكانت الجراحة تعجز عن أداء وظيفتها بسبب تعفن الجراح وتسممها . ولكن لما اكتشف هذا الحيوان أمكن الجرّاح أن يعمل عمله بكل طمأنينة فيفتح فى الجسم الانسانى فتحات تختلف اتساعا وعمقا على حسب ما يهديه اليه العلم وهو آمن شر هذه الآفات بتسليطه عليها المطهرات من محلول السليمانى وماء الاوكسيجين وغيرها فتبيد تلك الميكروبات وتندمل الجراح بعيدة عن الاخطار والمعاطب

وكان اكتشاف هذه الميكروبات ومعرفة أطوارها سببا فى اختراع عدة أنواع من المصل تحقن فى الدم فتساعد البنية على قتل ما انتشر فى الدم من الميكروبات . وقد أسس مصل الدفتيريا ومصل الجدرى ومصل الحمى التيفودية على هذه النظرية وقد اكتشف حديثا مصل (٩١٤) لابادة الميكروبات الزهرية وما يدرينا ماذا تولده القرائح من أنواع المصل لمثل التدرن والسرطان وغيرهما من آفات النوع البشرى (انظر تاريخ اكتشاف الميكروبات فى الفصل التالى)

﴿ الميكروبيولوجيا ﴾ هو علم الميكروبات يبحث عن حياة الميكروبات وأطوارها وعوامل وجودها وابادتها وخصوصا فيما يتعلق بصحة النوع الانسانى وصحة الحيوانات والنباتات . وهذا الاسم مرادف لكلمة بكتريولوجيا (انظر هذه الكلمة فى حرف الباء) ولكنه أعم منها لانه يشمل من أنواع هذه الكائنات مالا تشمله البكتريولوجيا

اكتشفت الميكروبات عقب صنع الميكروسكوب أى النظارة المعظمة للمرئيات فان العالم (لوينبيك) اكتشف بميكروسكوبه الناقص الذى صنعه من سنة (١٦٧١) الى (١٦٩٥) عددا عظيما من هذه الاحياء الدقيقة ونبه ان هذه الميكروبات اكثر ماتوجد فى الاسهال .

وبعد هذا التاريخ بقرن أى فى سنة (١٧٧٣) تكمل الميكروسكوب وصار جديرا باسمه فاكتشف مولر أنواعا كثيرة من هذه الحيوانات ونشر فيها كتابا . ولما أصدر العلامة اهرنبرغ سنة (١٨٣٢) كتابه على الميكروبات حدث انقلاب عظيم فى هذا العلم ارتقى به الى درجته الحالية لأنه وصف هذه الكائنات وصفا دقيقا وأتى على اكثر حالاتها وأطوارها. وعقبه كوهن سنة (١٨٥٣) وتوجلى سنة (١٨٦٠) فأتيا بمعلومات ثمينة على هذه الكائنات زاد بها علم الميكروبيولوجيا زيادة تذكر

الى هذا الحين لم يتقدم أحد لدرس هذه الكائنات من وجهة التاريخ الطبيعى ولم يتعرض للوجهة الطبية أحد . فلما جاء العلامة (باستور) سنة (١٨٦٢) والاستاذ كوخ سنة (١٨٧٦) بحثا فى هذه الحيوانات من وجهة إحداث التخمر ووجهة انتشارها فى الهواء الجوى وقررا بذلك ان لهذه

الحيوانات علاقة عظيمة بالامراض الانسانية

فى هذا الحين كان فى فرنسا العالم (بوشيه) زعيما للقائلين بتولد الاحياء تولدا ذاتيا فناقضه باستور قائلا لا يتولد الحى الا من حى مثله وان مايشاهد من تولدها بذاتها خطأ سببه الغفلة عن هذه الميكروبات المنتشرة فى الهواء فاحتدم الجدال بين هذين العالمين عدة سنين وقف العالم كله بأزائهما وقفة المنتظر ثم انتهى الامر بفوز باستور على خصمه وكان ذلك فى مصلحة العلم من كل وجه

وقد سلك باستور لاثبات قضيته طريق التجارب العملية فأخذ مقدارا من مرق اللحم وهو السائل الذى تتسارع اليه الميكروبات ويتعفن بسرعة فملأ به قنينة وسدها سدا محكما بحيث لا يصيبها الهواء وترك مقدارا آخر معرضا للهواء وبعد ايام فتح القنينة وبحث مافيها من المرق فلم يجد به أثرا لتلك الكائنات وبحث المرق المعرض للهواء فوجده مشحونا بها فثبت له أن الهواء هو سبب ذلك التعفن بما فيه من تلك الاحياء ، وان الحى لا يتولد الا من حى مثله

ثم أخذ عدة قنانى من المرق مقفلة باحكام وانتقل بها الى أمكنة متباعدة فتح فى كل منها قنينة ثم عادبها وفحصها فوجد فى كل قنينة نوعا من الميكروبات من جنس النوع المنتشر فى الجو الذى فتحت فيه فثبت له بدليل لا يقبل النقض ان الحى لا يتولد بذاته وان هذه الميكروبات التى كان يظنها بوشيه متولدة بذاتها فى الجسم أو فى المواد المتعفنة بواسطة التعفن انما تولدت من الميكروبات المنتشرة فى الهواء بدليل أن المرق وهو أسرع السوائل تعفنا وشمولا للميكروبات لو عزل عن الهواء لم تتولد فيه تلك الاحياء

وفى هذا الوقت نفسه بين (دافين) سنة (١٨٦٤) ان المرض الفحمى يتولد من بكتريا تتولد فى جسم الانسان والحيوان فدخل هذا العلم بهذه الاكتشافات فى دور جديد وأخذ العلماء يبحثون فيه من الوجهة العلاجية فجاءت أبحاث (ابيرث) على ميكروبات الحمى التيفودية سنة (١٨٧٠ — ١٨٨٠) ، و (كوخ) على ميكروبات التدرن والكوليرا سنة (١٨٧٨ — ١٨٨٢) و (ليسر) على ميكروبات البلينوراجيا سنة (١٨٧٩)

و (فريدلاند) سنة (١٨٨٢) و (تلامون) و(فرانكل) سنة (١٨٨٦) على العوامل المولدة لابنومونيا و (لوفر) على الميكروبات المولدة للدفتيريا سنة (١٨٨٤) ونيكولاييف على ميكروبات التيتانوس سنة (١٨٨٤) جاءت كل هذه الابحاث دالة على الاندفاع العظيم الذى ظهر به العلماء لادراك فعل الميكروبات فى البنية الانسانية ووسائل التوقى منها

لما ظهرت هذه المباحث مؤيدة لنظرية تأثير الميكروبات فى احداث الامراض انبرى لدحضها كثيرون من علية العلماء الطبيين فاحتدم القتال بين الفريقين عشرين سنة ثم انتهى بفوز القائلين بنظرية الميكروبات فوزا حاسما نهائيا وثبت بكل دليل محسوس ان الميكروبات سبب أكبر العاهات الانسانية

ونحن هنا لايجوز لنا ان ننتقل من هذا البحث حتى نبين الدور الاخير الذى وصلت اليه نظرية تأثير الميكروبات فى البنية الانسانية فنقول :

لما اكتشف العالم (دافين) ميكروب المرض الفحمى فى دم الحيوانات كان العلماء يظنون ان الضرر الذى يحيق بالبنية من تأثير هذه الميكروبات ينحصر فى امتصاصها للمصل الدم فيقع المصاب فى ضعف يعرضه لكل أنواع العاهات . ولكن اذا صدقت هذه النظرية من وجه فلا تصدق من وجوه أخرى خصوصا وان الميكروبات قد تميت ولا تكون فى الدم ، وتميت ولا تنتشر انتشارا كبيرا ، وقد تتسلط فى بعض أجزاء الجسم بعيدة عن مراكز الحياة فتقتل المصاب فى سويعات كميكروبات الكوليرا وغيرها وهذا أمر لا يعلل بانها تنتشر فى الدم فتمتص المصل الذى فيه . ولكنه يعلل بانها تفرز سما زعافا تمتصه الاوعية فيتسرب الى الدم فيقتل المصاب أو يصيبه بأنواع الآفات. فالانسان قد منح وقايات كثيرة تقيه شر هذه الميكروبات ولكنه لم يمنح الوقايات من هذه السوائل فتراها تتسرب الى دمه بسهولة فتعمل فيه الافاعيل المزعجة

ثم ان البحاثين وقفوا على نحو ٢٥ نوعا من أنواع الميكروبات المرضية فزعموا ان كلا منها يحدث مرضا خاصا فأكبوا على درس المظهرات التى تبديها ولكنهم رأوا بعد ذلك ان الميكروب الواحد قد

يكون مولدا لأعراض متعددة على حسب الامكنة التى اختارها لاقامته من الجسم الانسانى فانتهى بهم الامر الى اعتبار نوعين اثنين من الميكروبات وهما ميكروب الزهرى وميكروب البلينوراجيا ولا يخفى ان هذا يعود بأحسن الفوائد على البحث فى المطهرات من هذه الحيوانات . وهو البحث الذى سيؤدى الى اكتشاف أنواع المصل التى تحقن لكل مرض من الامراض وأول من طبق نظرية المصل على الامراض هو باستور فانه اكتشف مصلا لعضة الكلب الكَلِب ثم تلاه غيره فى مصل الدفتريا والحمى التيفودية والزهرى وغيرها

﴿ الميكروسكوب ﴾ هو المنظار المعظم للدقائق فيرى به ما لا يرى بالبصر من الاجسام البالغة حد الصغر وهذه الآلة مركبة من عدستين زجاجيتين كعدستى النظارة العادية فالعدسة الاولى ترسم المرئى مكبرا والعدسة الثانية ترسم ذلك الرسم المكبر مكبرا فيكبر عن أصله مئات من المرات فتراه العين فى دقائقه الصغرى

﴿ مال ﴾ الى المكان يميل مَيلا عدل اليه و (مال الى فلان) أحبه . و (مَيِل الشىء) يَمْيَل مَيَلا . كان مائلا خلقة فهو أمْيل و (مَيَّل الشىء) جعله مائلا و (تَمَيَّل فى مشيه) تبختر ومثله تمايل و (استماله) استعطفه و (المِيل) المِرْود

﴿ الميل ﴾ البرى يساوى ٢٧٣ ر ٢٥٥٤ ذراعا بلديا والميل البحرى يساوى ٣١٩٢،٧٧٦ ذراعا بلديا . وأما الميل الانجليزى فيساوى «١٧٦٠» ياردة

﴿ ميليا ﴾ هو اسم نبات فارسى ويقال له بمصر زنزلخت وبالشام الجرود واسمه بالافرنجية أزاودراك وهو مأخوذ من الاسم العربى أو الفارسى ومعناه بالفارسية حنيق الشجر ويسمى بطبرستان طاقك أو يقال طاوك ويسمى باللسان النباتى ميليا ازادراخ فجنسه ميليا أخذ منه اسم فصيلته ميلياسية ونحن نقول ازادرختية وهذا الجنس عشرى الذكور أحادى الاناث وأخذ اسمه من مشابهة أوراقه المجنحة لأوراق الدردار أى شجر لسان العصفور المسمى بالافرنجية فرين وباليونانية ميليا وهو يحتوى على أشجار ريشية الورق أو ثنائية التريش

والصفات النباتية للنوع المذكور هنا هي أنه شجر جميل كبير يعلو من ٢٠ الى ٣٠ قدما وينبت بالهند وفارس الذي هو مأواه ومصر وغير ذلك حتى اعتاد بلاد المشرق وأمريكا بل والاقاليم الجنوبية من أوروبا وأوراقه كبيرة متعاقبة ثنائية التريش فكل وريقة يتكون منها ورقة ريشية منتهية بفرد وتتركب من ٥ أزواج وغالبا من سبع وريقات متقابلة سهمية حادة جدا مسننة الحافات كالمنشار وكلها خالية من الزغب والازهار بنفسجية وتنتشر منها رائحة ذكية تشبه رائحة الزنبق (ليلاس) ويتكون منها عنقود محمول على حامل أو نوع باقة قائمة من آباط الاوراق العليا وهذه الباقات أكثر من الاوراق والكاس صغير جدا ذو ٥ قطع منفرجة الزاوية وزغبية قليلا والاهداب الخمسة أطول من الكاس ومنفرشة بل قد تنخفض مدة النوم وتلتوى على نفسها وتقرب من الشكل البيضاوى وهى مستطيلة منفرجة الزاوية وأنبوبة الذكور منتصبة أقصر بقليل من أهداب التويج ومنتفخة من قاعدتها ولونها بنفسجى داكن جدا ويوجد فى قتها ٢٠ سنا و ١٠ حشفات ثنائية المسكن مثبتة فى قاعدة هذه الاسنان من الباطن والمبيض كرى يعلوه مهبل ثخين يرتفع كارتفاع أنبوبة الذكور وينتهى بفرج صغير جدا ذى ٥ فصوص قائمة متقاربة لبعضها والثمر لحمى بيضاوى فى غلظ الكرز يحتوى على نواة مستطيلة لها ٥ أضلاع و ٥ مخازن . وثمار هذا النبات تفهة الطعم مقيئة وجذره مر الطعم مقئ أيضا وأوراقه فيها بعض قبض وحرافة وهى ملساء مائلة للسواد وعضيمة المرار ويوجد هذا الشجر فى بعض بساتين اوربا مع أنه شديد الحساسية للبرد وأزهاره تنفتح فى جزء من الفصل الجميل وقد علمت أنه انما يألف بالاكثر من البلاد الحارة بلادنا وبلاد الهند والجاوة نعم استنبت ببساتين الهواة فى بعض جنوب أوربا بسبب جمال عناقيد أزهارها المتلونة بالبياض والبنفسجية ورائحتها المقبولة ولذلك تسمى بزنبق الصين وكان القدماء يقولون أنها سامة لان الاوربيين نقلوا عن ابن سينا أن خشبها وأوراقها تقتل الحيوانات ويخرج من نوى صمغ شبيه بالصمغ العربى ويعمل من نوى ثمرها سبح فى كثير من البلاد ولذا يسمى

الشجر هناك شجر التسبيح وشجر السبحة قال ميره ويظهر أن هذه الثمار سامة ولكن لا يحصل التسمم الا باستعمال مقدار كبير فقد اتفق ان بنتاً صغيرة عمرها ٣ سنين أكلت من ذلك الثمر اثنتين أو ٣ فحصل لها تشنجات قوية بعد ٤ ساعات مع كزاز فى الاسنان وعرق بارد واستفراغات عديدة من الاعلى ومن الاسفل فأعطى لها بعض نقط من الاتير وزيت الزيتون فسكنت هذه الاعراض حتى ذهبت بعد ذلك بالكلية وكذا ذكر أيضا أطباؤنا كالرازى أن ثمرته رديئة للمعدة مكربة وربما قتلت وقال أحمد بن خالد الاكثار من ثمرته يعرض منه غشى وقئ وعسر تنفس وغشاوة فى البصر ودوار فى الرأس وكرب وصغر فى النبض وعلاجه كعلاج من استعمل الفربيون والبلادر والدفلى أى فيعالج آكلها بالقىء وشرب اللبن وأكل التفاح والرمان انتهى . وقال ميره ان الطيور تأكل لب هذه الثمار بدون خطر عليها بل بعضها يفتش عليها بشراهة ولا سيما السمان والدجاج والحمام البرى وشوهد من البقر ما أكل أربعة أرطال منه بل خمسة ولم يحتج لاسعاف الصناعة منها الا بقرة واحدة فقط وأعطى من ذلك الثمر للكلاب مقدار كبير فلم يحصل منه نتيجة رديئة ولكن ضرره للآدميين مشهور ورأى بورى أن ثمار الازادرخت الذى هو طبيعى بالاندلس كما قال يصير المياه الكثيرة السمة هناك رديئة الصحة وانما تقتل الاسماك كسم الحوت ومما يقوى ذلك نادرة صحيحة حاصلها أنه يوجد فى سنتا ماريا من بلاد النمسا ينبوع ماء معين يتجمع ماؤه فى أحواض مصنوعة من الحجارة ينتبه دائما لامتلائها فعساكر فرنسا مدة اقامتهم بالاندلس فى حرب سنة ١٨٠٨ و ١٨١٣ عيسوية حسنوا تلك الاماكن وزينوها بزراعتهم الازادرخت حول هذا الينبوع بمقدار كثير لأجل أن تظللها بظلها ولتعطير ما حولها فتغيرت صحة هؤلاء العساكر تغيرا رديئا وكان فى تلك الاماكن صيدلانى نباتى ماهر يسمى جوتييرز فنسب رداءة الماء لثمار الازادرخت التى تسقط من الاشجار فى الاحواض بمقدار كبير فأمر بازالة تلك الاشجار فلما أزيلت صار الماء كامل النقاوة وزيادة على ذلك

أنهم نصبوا الطلمبات على تلك المياه لاجل تنظيف تلك الاحواض ويستخرج من الجزء اللحمى لهذه الثماررريت ويستعمل فى اليابونيا وفارس وغير ذلك ويقال ان فقاحه اى زهره المتفتح صالح للمشايخ والمبرودين اذا استعمل بمقدار درهم وشمه يفتح السدد الدماغية وجذر هذه الشجيرة الذى هو مر الطعم مغث وسيما الجزء الباطن للقشر فيه خاصة مضادة الديدان بمقدار درهمين مطبوخا وكذلك يستعمل فى بلاد الجاوة وجزيرة فرنسا وأمريكا الشمالية بل اعتبره برطون احسن مايعرف من مضادة الديدان وكان استعماله المذكور يكون عاما بين الناس فى بلاد الجرج وسيما اذا أعطى القشر رطبا مجنيا فى شهر مارس وابريل حيث يكون زمن تكون العصارة النباتية وذكر أن المقدار الكبير منه ينتج سباتا واتساعا فى الحدقة وتعبا فى التنفس واهتزازا فى الاوتار ونحو ذلك ولكن تلك الاعراض تذهب حالا. وكما يعطى للديدان المبرمة يعطى أيضا لدودة القرع وللامراض الديدانية وسيما الحميات المنسوبة للديدان وأوصى هذا الطبيب بأن يغلى ٣ أواق من الجذر الرطب فى قنينة ماء حتى تكتسب الماء لون القهوة القوى فيعطى منه حينئذ نصف أوقية أو أوقية فى كل ساعتين أو ٣ حتى يؤثر الدواء وأحيانا يوجد قىء عند ما يحصل الاسهال اذا أثر الدواء تأثيرا قويا. والثمر الجاف يستعمل أيضا مضادا للديدان وكانوا يمرهمون لب الثمر مع الشحم الحلو علاجا للسعفة مع النجاح ولأجل موت القمل ولم يزل هذا الاستعمال موجوداً فى بلاد الفرس. واعتبروا أوراق هذا النبات قابضة ومقوية للمعدة ونجح ذلك أيضا فى الاستيريا ، وهو مرض يستعمل فيه ذلك عموما فى كلكوتة فتغلى أوقية من أوراقه فى ٣ أرطال من الماء وتشرب المريضة من ذلك أوقيتين تقريبا ثم بعد ساعة تشرب مثل ذلك فينتج تخفيف واضح ثم يجدد ذلك المقدار فى كل ساعتين فلا ترجع النوبة لتلك المريضة الشابة أصلا وذكر أطباء العرب أن ورقه تستعمله النساء لتطويل الشعر فيدق ويغلف به الشعر واذا شرب منه عصير الورق وأطراف الاغصان الرطبة الى أوقية بالعسل نفع من السموم الباردة وعرق النسا وأدر البول

والطمث وحلل الدم الجامد فى المثانة وقالوا أن كلا من ورقه وثمره ينقى قروح الرأس المتقيحة اذا جعل عليه مدقوقا واذا سحق بعصارة ورقه وثمره شيء من المرداسنج وأضيف اليهما دهن ورد ولطخ به الرأس مدة أيام ويجدد ذلك مدة أيام ويترك بعضه على الرأس أى تعلى الطلية فوق الطلية ولا تقلع وفى كل ٣ أيام يدخل الحمام فاذا خرج منه طلاه أيضا بالدواء المذكور وذره بشيء خفيف فان ذلك ينبت شعره ويذهب بقروحه واذا غسل الشعر بماء أطرافه قواه وطوله وحسنه . ومن أنواع ميليا ما يسمى ميليا ازادركتا ينبت بالهند حيث يسمى نيم ونمبو بكسر النون في الاصمين يستعمل مضادا للديدان كالنوع السابق وقشره مر يستعمله أطباء الهند مقويا جيدا مع بعض عطريات فيعطونه مسحوقا أو مطبوخا فى الحميات وفى الامراض الروماتيزمية المزمنة ويستخرج من لب ثماره التى فى حجم الزيتون زيت شحمى فيه خاصة مضادة الديدان وقدم طبيب يسمى بيدتجتون لمجلس العلماء بكلكوتة ملحا سماه كبريتات الازادرين وقال ان قاعدته مرة مضادة للحمى مستخرجة من هذا النبات ولونها مبيض وتكون بهيئة بلورات صغيرة لامعة وذكروا ان أوراق النبات ملحمة للجروح وعصاراتها مخرجة للديدان (المادة الطبية)

حرف النون

﴿النون﴾ المفردة تلحق آخر فعل الامر والفعل المضارع للتأكيد نحو (افعلنّه وليقومنّ) وهى اما خفيفة ساكنة أو ثقيلة مشددة

والنون المفردة أيضا تلحق الفعل مطلقا وتسمى بنون الاناث نحو (افعلن يا نساء . والزينبات يقرأن)

وهناك نون تسمى نون الوقاية تلحق الفعل قبل ياء المتكلم نحو (كلمنى) لتقى الفعل من الكسر

﴿نابلس﴾ بلدة من بلاد الشام يعمل فيها الصابون الجيد

﴿النابلسى﴾ هو عبد الغنى النابلسى الاديب الصوفى له ديوان شعر فى كلام القوم وله كتاب (أيضاح الدلالات فى الآلات) توفى سنة (١١٤٣) ه

للنابلسى ديوان شعر صرح فيه بمذهب الصوفية فى وحدة الوجود وأكثر فى ذلك حتى بلغ ديوانه نحوا من ثلاثة عشر الف بيت من الشعر استوعب فيها كل مذهب الصوفية فى الخالق والخلق، والوجود والفناء، والانسان والكائنات فنرى أن نأتى بشىء من هذا الشعر ليتبين للقارئين مذهب الرجل بل مذهب صوفية المسلمين فى كل زمان . وانا اذا أكثرنا من هذا الشعر فلأن هذا المذهب قد صار مذهب الفلسفة العصرية كما يرى القارئ فى كلمة وحدة الوجود فى مادة (وحد) فنحيل القارئ اليها

من شعره قوله :

وجه تعدد فى المرائى
وبه تحير كل رائى
والكائنات بأمره
موج على صفحات ماء
والامر أمر واحد
فيه التقارب والتنائى
ان العوالم كلها
بظهورها والاختفاء
فى سرعة وتقلب
مثل الكتابة فى الهواء
قد خطها القلم الذى
هو باب ديوان للعطاء
بمداد أنوار الوجود
الحق من بدئى الملاء
قلم له عدد الورى
اسنان رقم والانتشاء
صبغ الارادة طبق ما
فى الارض يظهر والسماء
يا باطنا هو ظاهر
فى كل ختم وابتداء
انى وانك واحد
واثنان عند الانتهاء
من لى بمجهول المدا
عرفته كل الاولياء
ان غاب عن أغيارنا
هو عندنا ملء الاناء
يشقى ويسعد من يشاء
بالداء جاء وبالدواء
هو بالتكبر فى الشعار
وبالعاظم فى الرداء
وهو الجليس بذكره
للعارفين وبالثناء
غنى بمن غنى وقد
طبنا به لا بالغناء

وبدا بـكل مهفهف
زاكى الملاحة والبهاء
وبه القلوب تهيمت
لابالموشح فى القباء
قمر محا ظلماتنا
بطلوعه وقت اللقـاء
حتى رأينـاه به
فى كل أنواع الضياء
شمس وكل الخلق فى
أنوارها مثل الهبـاء
طلعت فأعدمت السوى
والكون آل الى الفناء
حتى تجلى فى عمـا
ثم باطـل غيب السماء
فاختص قوما بالضلا
ل وعمهـا بالاهتداء
والكشف جاء بعسكر
والكون خفاق اللواء
والطبل أجسام الملا
والزمر أرواح الفضاء
وبموكب الاملاك حـ
ـف الغيب سلطان الوفاء
هذا فكيف عقولنا
لاتضمحل من الهناء

وقال أيضا :

أنا عندى ان الشهود حجاب
والتدانى سيان والاقتراب
فادخلوا دار صبوتى يا ندامى
واحذروا ان يريبكم مرتاب
هذه ملة المفضل طه
فافهموا ان لم تكن لكم ألباب
ما عليكم من لفظها العذب فيها
للذى ينكر المعانى عذاب
فهلموا الى الحى وارفعوا عن
بابه الستر فهو نعم الباب
واشربوا فضل خمرتى من اناْئى
وسط حانى يا أيها الاحباب
انما عندى الشراب وغيرى
عنده موضع الشراب سراب
أنا خمار ديرها وكفوفى
هذه عند أهلها أكواب
ورها بينها رهبة حكمى
كل داع بى عندهم مستجاب
قرب الفجر فاشربوا بكر دَنّ
ما على وجهها سوا كم نقاب
وارفعوا الى نفوسكم عن كؤوس
هى فيها لـكم يروق الشراب

هى بحر وما سواها فموج
وهى خمر والعالمون حباب
قام شماس ديرها يتمشى
وعليه من نورها أثواب
وجلتها القسوس بين أناس
عندهم فى جمالها أوصاب
فاحتسوها بين جنك وعود
حيث راق الصبا ورق رباب
ثم راحوا مجردين سكارى
وتثنوا معربدين فغابوا
خرجوا عن نفوسهم وعن الكو
ن وعن كل مالهم يستطاب
ثم عن ذلك الخروج فكانوا
صورا للوجود فيها انقلاب
وهم الحان والدنان وكاسا
ت الطلا والدياز والابواب
وهم الفوز فى جنان نعيم
وسواه جهنم وعذاب
طفح الكأس ياسقاة الحيا
دار من فرط رقصنا الدولاب
وبأشواقنا الحائم هاجت
فغناء على الربا وانتحاب
والبرايا عن الحبيب سؤال
كلهم حائر ونحن جواب

وقال أيضا :

قلبى لعلم الاله باب
وماله دونه حجاب
وكل أحوالنا تناج
وكل أدراكنا خطاب
وكل ارواحنا رعمار
وكل أجسامنا خراب
وكل معقولنا كؤس
وكل محسوسنا شراب
وكل أعدائنا سؤال
وكل أحبابنا جواب
وكل وقت لنا دنو
وكل حين لنا اقتراب
وكل شىء له البتا
من حيث معروفنا انتساب
وكل لفظ لنا رسول
وكل معنى لنا كتاب
وروحنا للسوى حسام
يخفيه من جسمنا قراب
ورؤية الحق جل فينا
وليس فيها لنا ارتياب
والشمس فى الافق ذات نور
وان بدا دونها السحاب

ونحن من ربنا كلام
لنا وألفاظه العذاب
ونحن قوم اذا أردنا
أرشدنا الدف والرباب
ونحن روح الجميع صرنا
وذهب الماء والتراب
ونحن حق ونحن خلق
ونحن قوس ونحن قاب
وكشفت وجهها سليمى
وانهتك الستر والنقاب
وراق خمر الوجود منها
ونحن من فوقه حباب
وحاصل الامر كل شيء
غير اله الورى سراب

وقال أيضا :

انت قيد الوجود ان غبت غابا
واذا ما حضرت كنت حجابا
وكذا الكائنات علوا وسفلا
هو منهن لابس أثوابا
كل ذا باعتبار نفسك أما
هو فى ذاته فجل مهابا
واحد مطلق عن القيد بل عن
قيد اطلاقه يلوح اقترابا
وهو فى بيت عزة وجلال
لست تلقى اليه غيرك بابا
قف على بابه به وتأدب
بخشوع وقبل الاعتابا
كن بلا أنت تكشف الحجب عنه
ويريك الذى أرى الأنجابا
وجهه النور ظاهر بك لكن
عنه أبدى عليك منه نقابا
يا نديمى خذ المدامة منى
انني قد أردت هذا الشرابا
وبسطت البساط فى دار قربى
وملأت الكؤوس والاكوابا
وكنست الكنائس السود مما
كان فيها حتى البياض أجابا
واستحالت الى الاصول فروع
أحكمتها يد الفناء انقلابا
فوجودى هو الوجود الحقيقى
والتصاوير فيه كانت خضابا
ان علمى علم اليقين بأنى
كنت سعدى وزينبا والربابا
كنت ليلى انا ومجنون ليلى
والمحبين قبل والاحبابا
وأنا الآن كل ما هو باد
وسأبدو حيائبا وصحابا

مثل فعل الحرباء يصبغ منها
كل لون به تلوح الاهابا
وهى فى أى صبغة هى فيها
ذاتها لا تزال والالقابا
كل شئ نطق الوجود حروف
عاليات تحير الالبابا
قلم أن بحثت عنه ولوح
باعتبار ولقبوه الكتابا
وهى عين ترى وتدرك اندت
ماسواها الجفون والاهدابا
شمس ذات لها الاشعة اسما
وعليها الجميع كان سحابا
تنجلى بنا فتظهر عنها
مثل مايظهر البقاع السرابا
لكن الغر بالحقائق لايعـ
ـرف شيأ فيحسب الشهد صابا
ويظن الوجود قسمين هذا
خطأ منه لا يكون صوابا
ويزيد الشرك الخفى عليه
كلما فاير الشراب الحبابا
والكلام المجاز عين الحقيق
وترى فى معناها استغرابا
لكن المنكر الجهول غبى
وبحب السوى له يتنابى

والذى يفهم الامور تراه
جامعا فارقا عصيا مجابا
هذه ملة بها الله أدنى
منه اهل الكمال والاقطابا
لم يوفق لها الاله سوى من
خرنجيا على الجهول شهابا
حافظا لم يزل عهود التصابى
فى شهود الوجود والآدابا
فعليه السلام ماحن قلب
نحو أحبابه وزاد التهابا
وبسعدى رأى العذاب نعيما
حين وافته والنعيم عذابا

وقال ايضا :

أطوف على ذاتى بكاسات جامتى
وأستمع الالحان فى حان حضرتى
وأنفخ مزمارى وأصغى لصوته
وأضرب دفى حين ترقص قينتى
وأنشق من روضى نسيم حقائق
ويسرح طرفى فى حدائق نشأتى
وعندى الى رؤيا جمالى تشوق
كثير وما عشقى لغير حقيقتى
ويالهف أحشائى على حسنى الذى
فؤادى به صب ويافرط لوعتى

أحن الى ذاتى صباحا وفى المسا
وغاية قصدى فى العوالم رؤيتى
وقدوعدتنى اليوم نفسى بوصلها
غدا ففى منى تقوم قيامتى
وأرفع عن وجهى خمارى مجردا
ثيابى من ذاتى وأهتك سترتى
أبى الحب الا أن أكون مولها
بقلب على طول النوى منفتت
وشوق كثير واصطبار ممتع
وسقم وأشجان على شديدة
وانى لارجو من حقيقتى اللقا
وأطلب منها أن أفوز بنظرة
فلاعجب أن بحت بالسر للورى
وعربدت فى هذا الوجود بسكرتى
وتهت بمحبوبى على كل ناسك
وغبت على الاكوان بل عن هويتى
وعندى انتظار كل يوم وليلة
الى رؤيتى بل كل وقت وساعة
وما أنا الا من أحب وان من
أحب أنا من غير شك وشبهة
أردت ظهور آلى وما كنت خافيا
فطورت فى الارض من كل صورة
وقد كنت قدما فى عماليس فوقه
ولا تحته ايضا هواء بوحدة
وللقلم الأعلى تنزلت من يدى
وللوح حتى للذوات الكثيرة
وقد كنت عرشى واستويت عليه من
قديم زمانى فى الوجود برحمتى
ومنه الى الكرسى تنزلت بل الى
سمواتى السبع الطباق العلية
وطورت أملاكى فلى كنت عابدا
وطورت أفلاكى فسارت بقدرتى
وعدت نجوما مشرقات على الورى
أزيد ضياء فى ظلام الدجنة
وطورت شمسا فى طلوع نهاركم
وما الليل الا من نتائج غيبتى
وصرت هلالا تحسبون الشهور بى
وأجلو عليكم ضوء شمس الظهيرة
وقد صرت أياما لكم ولياليا
ودهرا وساعات وكل دقيقة
وطورت شكل الجان فى الارض قبلكم
وجئت لهم رسلا لابلاغ حجتى
وقد كنت تكذيبا لرسلى منهم
فصرت لهم أو فى هلاك ونقمة
وفى كل أطوار الشياطين بينكم
ظهرت بوسواس لاصحاب شقوة
وطورت فى شكل العناصر ثم فى
مواليدها فى الارض تلك الثلاثة

ففى معدن طورا وطورا اظهرت فى
نبات وحيوان لتتميم حكمتى
وكنت رياحا من شمال ومن صبا
أهب فأروى عن حديث الاحبة
وكنت بحارا زاخرات على المدى
تفيض فتبدى موجة بعد موجة
وطورت أرضا ثم صرت جبالها
لارسائها فوق البحار المحيطة
وانى على ما كنت فيه ولم أزل
ولى رتبة التنزيه أرفع رتبة
وما كثرة الاطوار منى غيرت
صفاتى ولا ذاتى ولا قدر ذرة
وهل انت فى تخييل ذاتك باطنا
تغيرت عما كنت فى كل مرة
فيحلو عليك الفكر ما قد أردت من
زخارف أشباح هنا مستحيلة
وذاك كهذا غير أن الخيال مع
تخيله فى الغير لا فى الهوية
وما هى الا انت لا شىء ههنا
سواك فحقق سر تلك الحقيقة
واياك والتشبيه فى كل موضع
توهمت فيه الغير وافطن للبسة
وخذ كل ما ألقى عليك منزها
ولا تخش طورا ان فهمت اشارتى
وهـذا الذى قد قلته كله انا
ظهرت به لى قاصدا لنصيحتى
ولما اقتضت أطوار ذاتى بمقتضى
صفاتى وأسمائى العظام الجليلة
وتم التباسى بالذى انا مظهر
له من شخوص فصلتها ارادتى
وسويت جسم الكل بى فهو قابل
لروحى وتفصيلى استعد لخلقى
جمعت من الاشياء طينة آدم
ومنها الى الكل الرقائق مدت
وخمرتها حتى تناسق نشؤها
وسويتها حتى لنفخى استعدت
ولما استتم الامر واستكمل الذى
أردت من الاجمال فى البشرية
ففى تلك من روحى نفخت وقد سرت
نسائم أمرى فى رياض الطبيعة
فقمت سميعا باصرا متكلما
مريدا عليما ذا حياة وقدرة
فلم يبـد منى غير ما هو كائن
لدى وبى منى على حكومتى
فكنت كماء لونه من أنائه
وكالشمس تبدى خضرة بالزجاجة
واسجدت أملاكى بأمرى لمظهرى
فكان سجودى لى وآدم قبلتى

ولما أبى ابليس عنى تكبرا
ولم يأت لى من بعد أمرى بسجدة
من الملأ الأعلى له كنت مخرجا
وآب بخسران وطرد ولعنة
وأسكنته فى الارض أظهر كامنا
به من شقا أصحاب قبضة يسرتى
وأظهرت فى ذاك الملا فضل آدم
وأنزلته أعلى مقام بجنتى
وأخرجت حوا منه فهى له كما
هو الآن من حيث وصفى وصورتى
وعن بعض أشجار هناك نهيته
ولى كان منى النهى عنى لحكمتى
ولما اقتضى فعلى لما كنت عنه قد
نهيت كمال الصورة الآدمية
أتيت بأقسام الى موسوسا
وأوقعت نفسى فى غرور وغفلة
وذقت كما ذاق العدو تباعدى
وما الاكل الا الفرق والجمع توبتى
وقد لاح عصيانى على وقد بدت
طفقت بأوراق أخصف سوآتى
ومن بعد ذا أهبطت للارض هيكلى
وكنت بها فى العالمين خليفتى
وسخرت لى كل الوجود تفضلا
على صورتى منى وأتممت منتى

وعرفت ما بينى وبينى كلاهما
على عرفات بعد طول التشتت
فكان نكاح الامر فى الخلق ظاهرا
يناقى كلا الشخصين قبل النتيجة
وأظهرت من صلبى جميع مظاهرى
بصورة ذر العهود الوثيقة
وأشهدتهم عنى ألست بربكم
فقالوا بلى طرا بنفس مطيعة
وأوهمتهم غيرا فأنكر بعضهم
وأوفوا بعهدى بعضهم مع لبسة
وأول أطوارى الكوامن أننى
لآدم شيثا كنت وهو عطيتى
وطورت نوحا جاء ينذر قومه
وكنت له التكذيب منهم بمشتق
وألفا سوى خمسين عاما لبثت فى
جماعتهم أبغى لهم نشر دعوتى
وهم يعبدون الغير بل يعبدوننى
ولا غير لكن وهمهم هو سترتى
ولما أبوا واستكبروا كافرين بى
دعوت عليهم واستجبت لدعوتى
وأرسلت طوفانا عليهم فأغرقوا
ولم ينج الامن معى فى سفينتى
وطورت ادريسا ولى كنت رافعا
مكانا عليا لى أجل مكانة

وطورت ابراهيم يدعو الى بى
على قومه آتيته أى حجة
وقد قال ذا ربى له كنت كوكبا
كذا قمرا ايضا وشمسا بوجهة
رلا فرق الا بالافول ألم تكن
اذا لم أحب الآفلين مقالتى
كما قات سموهم لقوم تعلقوا
بما قيد الامكان من مطلقيتى
وجئت الى النمروذ أدعوه للهدى
فلم يمتثل حتى ثوى بالبعوضة
وأضرم لى نار وأرسلنى بها
فسادت بأمرى لى على كجنة
وقد كنت منى طالبا اننى أرى
لحق يقينى كيف احياء ميتة
فجاء جوابى لى بأربعة فخذ
من الطير واجعل فى العلا كل قطعة
ونادهم يأتين سعيا وبعد ذا
فكن عالما لاشىء الا بقدرتى
وطورت اسماعيل لما بلغت مع
أبى السعى ذبحى قد رأيت بنومتى
وناديت لما أسلما حين تله
أصدقت حتى كان بالكبش فديتى
وطورت اسحق الغيور ولم تكن
على غير تحريم الفواحش غيرتى

وطورت يعقوب بليت بيوسف
وأسلمنى حبى له كل محنة
وفرقت مابينى زمانا وبينه
وواأسفى ناديت من طول فرقتى
وعيناى من حزنى قد ابيضتا وقد
مننت بجمع الشمل بعد التشتت
ويوسف قد طورت زاد ملاحة
بوجه سبى كل الوجوه المليحة
وبالثمن البخس اشترانى مشتر
وفى الجب القتنى من الكيد اخوتى
وقد عشقت حسنى زليخاء والهوى
أضر بها حتى هممت وهمت
وطورت هودا كان يشهد قومه
على انه من شركهم ذو براءة
ولوطا لقد طورت ايضا وصالحا
اتيت الى قومى لابلاغ دعوتى
فزاغوا وعن امرى عتوا وتكبروا
وقد عقروا لما عصونى ناقتى
وطورت موسى ضارب البحر بالعصا
وقد شق حتى قومه فيه مرت
وآنس نارا من جوانب طوره
فرام ليأتى الاهل منها بجذوة
فنال الهدى فى شكل مقصده وقد
تجلى له من مظهر الاحدية

وقد حاز منه رؤية بسؤاله
ولكنها الاطواد بالصعق دكت
وعيسى لقد طورت يبرىء أكمها
وابرص والاموات يحيي بدعوة
وارسلت روحي طبق ماهو عادتي
الى الام حتى كان مظهر نفختي
واظهرت ما قد كان في الاب مضمرا
وبينت للاقوام سر الامومة
فضلوا وزاغوا عن مثال ضربته
لفهم علوم في الوجود دقيقة
وقالوا بأني قد غدوت له أبا
وقد خص من دون الورى ببنوتي
واين الوجودان اللذان تباينا
وما عز خلاق كفل خليقة
ومن بعد هذا جئت في طور كل ما
مضى من رسول أو نبي لامة
واصبحت في شكل النبي محمد
الى الله أدعو الناس في أرض مكة
فآذتني الاقوام بغيا وحاولوا
بأفواههم اطفاء نور النبوة
وأظهرت دين الحق بعد خفائه
فأصبحت الكفار في سوء حالة
ونكست اصنام الضلالة في الورى
أزلت ظلام الظلم من فرط سطوتي

وطورت اصحابا ومن هو تابع
لهم بالهدى مثل الكرام الأئمة
ومن بعد ذا ما زلت أظهر دائما
على أمد الازمان في كل هيئة
وطورت أهوال القيامة والذي
يكون غدا في يوم عرض الخليقة
واياك من قولي بأن تفهم الذي
تدين به الكفار بين البرية
فاني بريء من حلول رمت به
عقول تفنت بالظنون الخبيثة
وما بالحلال واتحاد ادين في
حياتي وإن دانتهما شر أمة
وكل الذي أبديته بك ناطقا
فمن فوق أطوار العقول السليمة
فان كنت من أهل المعارف لم تلم
لانك تلقاه بنفس تزكت
وإن كنت مطموس البصيرة جامدا
على ما ترى من صورة بعد صورة
فانك معذور بقلة فهم ما
أقول لضعف في قواك الكليلة
فواظب على التنزيه وادأب عليه لا
تكن من اناس بالتشبيه ضلت
ودع عنك تجسيما ولا تك جاهلا
بأوصاف من أبداك في كل حالة

وقال أيضا :

شهرت ذاتى لذاتى
فى صفات عن صفاتى
وبدت فى النفس نفسى
سكنت فى حركات
كنت كالقشر عليها
وهى كاللب المواتى
والذى أبديه عنى
هو نعتى وسماتى
عينها غابت ولكن
حضرت باللحظات
وغدت تكشف عنى
لى بها عن ظلماتى
وتبدت شمسها من
فوق سبع طبقات
فأنارت أرض قلبى
وبها ضاءت جهاتى
وأنا الحادث ماض
وأنا الدائم آت
وهو أمر واحد وا
نان بعد الالتفات
فتنحوا عن طريقى
يانفوسا جاهلات
واحذروا أن تدخلوا فى
طرقاتى الضيقات
وابحثوا عنكم وخلوا ال
بحث عن أوصاف ذاتى
انا الا روح أمر
فوق كل الكائنات
انا الا محض نور
فائض باللمحات
أنا الامر عرش
وانا ماء الحياة
وانا المعروف فى السبـ
ـع الطباق العاليات
وانا فوق اشارا
تى وكل الشطحات
ومعانى الكون دونى
وهى من أدنى هباتى
كيف لا والنفس منى
ذهبت فى الذاهبات
وبدا الحق مكانى
يتجلى بصفاتى
والذى يعرف ربى
عارف بى وبذاتى
والذى يجهله يجـ
ـهلنى بالغفلات

ياأخلائى رويدا
كم بتعويج قناتى
ظنكم أعدم نورى
عندكم ذا للممات
كلما لمتم شربنا
كم كئوساصافيات
وعلمنا كم دنان الـ
باقيات الصالحات
وجهلتم ما لديكم
كحمير سارحات
عندكم ماء وأنتم
قد عطشتم للمات
هيئوا الاكباد منكم
فى غد للحسرات
واستعدوا لسؤال
عن جميع السيئات
ليت منكم لوشربتم
ماحويتم ياسقاتى
مخرج الافلاك اضحى
بحروف الجسم يأتى
عن لسان الملأ الملاءه
لى وهاتيك الذوات
ومعانى الروح تتلى
فى المسا والغدوات

وكلام الله يرق
خصنا بالرمضات
وسمعنا وتر الوتـ
ـر بأيدى الغانيات
ودفوف الحق من نقر
تها زالت سناتى
ومزامير المعانى
أطربت بالـنغمات
وحلى رقصى مع الار
واح تلك الراقصات
ثم يا آتى جميعا
دخلت فى ألفاتى
وانقضى صحوى وقدعمـ
ـت ببحر السكرات
غرست فى أرضه يالا
طف منه شجراتى
وهو بزرى وهو أيضا
ظاهرا من ثمراتى
وانثنت أغصاننا من
أمره بالنسمات
فى ربا أوج التجلى
ورفيع الحضرات
ياشذا عرف غراسى
فاح ياطيب نباتى

والسوى فى كل حزن
وأنا فى النزعات
والذى عندى منه
غير ماعند عداتى
هم يرونى فى شتات
مثل ماهم فى شتات
وانطوى عنهم خصوصى
وانتفى عنهم ثباتى
وانجلت شمس وهم بالا
جسم خلف المضبات
فاح مسكى وزكام
عندهم عن نفحاتى
وأنا فى محض ايقا
ن وهم فى الشبهات
وعلى الجملة فيهم
قد أجيبت دعواتى
وأصيبوا برزايا
هى احدى السطوات

وقال أيضا :

قف جانب الدير سل عنها القساقيسا
مدامة قدستها القوم تقديسا
بكر إذا ما انجلت فى الكأس تحسبها
من فوق عرش من الياقوت بلقيسا
رقت فراقت وطابت فهى مطربة
كأنها بيننا دقت نواقيسا
مالت بها القوم صرعى عندما برزت
بها البطارق تسقيها الشماميسا
كأنها وهى الكاسات دائرة
صافى الزلال حوى فيه طواويسا
صرف صفت وصفت دار النعيم لنا
وآدم والذى يحكى وابليسا
عجنا على ديرها والليل معتكر
حتى زجرنا لدى حاناتها العيسا
مستخبرين سألنا عن مكامنها
توما ويوشا ويوحنا وجرجيسا
نأتى الكنائس والرهبان قد عكفوا
لدى الصوامع يدعون النواميسا
طفنا بها واستلمنا دنها شغفا
فلم نخف عندها عيبا وتدنيسا
حيث القساقس قد قاموا برانسهم
يومون بالرأس نحو الشرق عن عيسى
والكل فى بحر نور اليثربى حكى
موجا أرته رياح القرب تأنيسا

وقال أيضا :

فريدة حسن وجهها البدر طالع
أشاهد معنى حسنها وأطالع

تجلت وكل الحادثات مغارب
فجلت وكل الحادثات مطالع
ولاحت لعيني وهي نور فأعدمت
ظلام سواها واستنارت مرابع
وكانت ولا شيء كما هي لم تزل
كذلك والاشياء منها وقائع
تفتنى بأنوار التجلي وأثبتت
فكلى لها منها اليها ودائع
وعندى لها أنواع عشق تفصلت
على قدر ماتبديه منها البرائع
تثنت فقالوا لاح ثان وثالث
على الزور والبهتان منهم ورابع
ولو وجدوها طبق ملزعموا لما
رأوا غيرها فى كل ماهو واقع
فهل من فتى ياغافلون أدله
عليها فيحظى بالذى هو طامع
وتنفتح الابواب بعد انغلاقها
ويدخل بيت العز من هو قارع
نعم هو هذا لو لبثتم على التقى
كما أنا أدرى واستقلت مطامع
وسلمتم الاحوال لله كلها
وفيه استقمتم ماثناكم منازع
تريدون لكن بالامانى وصالها
فيدفعكم وهم السوى وينازع
ولاصدق الا فى مراد نفوسكم
لكم وأعاقكم دعاوٍ ر قواطع
وأين اقتحام الحرب من ذاكرلها
ولا يشبه الشبعان من هو جائع
ومن يخطب الحسناء يسخ بمهرها
وطالب شهد لم تخفه اللواسع
رويدك مهلا أن للحق عصبة
وما منهمو الا وبالحق صادع
أقاموا على محض اليقين بناءهم
وجامدهم من هيبة الامر مائع
وداموا على صدق الارادة والرجا
وهم كل قرم للخطوب يقارع
وقد عمروا أوقاتهم بحضوره
وعندهم الدنيا ديار بلاقع
وأعلى العلى من دون دون مقامهم
يعز بهم متبوعهم والمتابع
هى الشمس أبدت ماسواها أشعة
إذا غربت عن النجوم الطوالع
أشارت بجفن العين فافتتن الورى
ولاقلب إلا وهو حيران والع
وأبصرها طرفى وذلك طرفها
فكان لها منها بصير وسامع
وأحببتها بل تلك كانت هى التى
قديما أحبتنى فزال التقاطع

وقد ملأت عيني بأنوار قدسها
ومنها لغزلان الجمال مراتع
وما الكل الا صورة مستحيلة
كماء له موج وفيه فواقع
وما الماء الا الروح والموج أنفس
فواقعها الاجسام وهي الجوامع
وتلك تقادير بها الامر ظاهر
ومن خلف هذا كله الذات واسع
صدقتك جاء الحق والباطل انتفى
وزالت تماثيل الخيال الخوادع
ومخطوبة الارواح ألقت لثامها
عن الوجه منها وهو بالنور ساطع
فأفنت جميع الكائنات وهيمت
رجالا وحت منهم عليها الاضالع
وكم فتنت من عشقها من متيم
اذا ذكرت منها تفيض المدامع
صلت بالمصلى مهجتي بفراقها
ونلت مُنى إذ لي مُنى هو جامع
وجادت على كل الذوات بذاتها
فلا ذات الا ذاتها يا مدافع
وكل صفات الكون فهي صفاتها
وتنزيهها في الكون بالكون شائع
ولا قائم الا بها في وجوده
ولا صانع الا بها هو صانع

ألفت قديما حبها وهو حب ما
احب فكانت ما أنا فيه والع
وقرت بها عيني غداة عرفتها
فمن عينها تجري لعيني منابع
وبانت وما بانت فلاشيء غيرها
سوى أننا عنها بروق لوامع
اذا أسفرت عن وجهها برقع السوى
عدت كل ضال في الورى وهو ضائع
وان سترت بالغير وجه جمالها
أضلت عقولا تعتلي فتقارع
ولولا دفاع الناس بعضا ببعضهم
لهدّت كما قال الإله صوامع
ونحن أولاء المؤمنين بحسنها
عداوتنا سمّ حذارك ناقع
ومن رامنا بالسوء فالله دائما
كما جاء في القرآن عنا يدافع
ألمت بنا والكون كالليل مظلم
فلم تشعر الواشون اذ هم هواجع
وزارت على رغم الاعادي فأنكروا
زيارتها قالوا خيال يراقع
وما ذاك الا أنني كنت فارسا
ببيدائها والغير في السير ظالع
محجبة الا على كل محرم
لها قربته فهو للوتر شافع

ومقبلة لكن على كل تارك
سواها بها عنها اليها يسارع
أعارت معانى الكون ثوب صفاتها
وكل معار للمعيرة راجع
وأودعت الاشياء سر وجودها
ولابد يوما ان ترد الودائع
ظهرنا بها لابل بنا ظهرت وقد
تساوت دوان ههنا وسواشع
ولا دين الا حبها عند أهلها
فكم نحوها من ساجد وهو راكع
اليها صلاة القوم اين توجهوا
وقبلتهم وجه لها يتلامع
وبالماء ماء الروح عن أمرها لهم
وضوء وغسل دائم متتابع
وان خالطوا الاغيار كانت جناية
لهم رفعها فرض على القوم قاطع
وان لم يكن ماء هناك تيمموا
صعيدا له طيب من الجسم ضائع
هو الحق لاقوا من سواه نجاسة
فمنها قد استنجوا وزالت فظائع
وعن غيره لم ينطقوا فتمضمضوا
وشموه باستنشاقهم فهو ذائع
وعما سواه كان غسل وجوههم
لكي يقبلوا عنهم له ويسارعوا
وغسل يديهم من جميع امورهم
بتفويضهم فيه تنال المطامع
وتثليث هذا الغسل شكل مثلث
به ظهرت ممن يراه صنائع
وقد مسحوا فيه رؤوس رياسة
فما الفل الا وصفهم والتواضع
وقد غسلوا أقدامهم فى قيامهم
بخدمته عن كل ما هو مانع
وقد كبروه عن مدى وصفهم له
برفع يديهم ظاهرا وهو رافع
وأثنوا عليه بالذى هو أهله
ومنه استعادوا فهو ضار ونافع
وهم باسمه قاموا ليتلو كلامه
فما منهم الا به وهو خاشع
وان ركعوا مالوا اليه بكلهم
وصاروا لديه والقلوب خواضع
وان سجدوا يفنوا ويبقوا به له
إذا سجدوا الاخرى وتبدو بدائع
وفيهم سكون من قعود تشهد
له وانقضى تحريكهم والتنازع
وقد سلموا طوعا اليه وأسلموا
ومنهم له التسليم للسوء دافع
ولا مال عند القوم الا نفوسهم
تجارتهم فيها غلت والبضائع

وقد أنفقوها حين آتوا زكاتهم
على الحق لم يقطع بهم عنه قاطع
وأدوا اليه فطرة فطروا بها
وما غيروها والقلوب طوائع
وصاموا عن الاغيار فيه وأفطروا
على وجهه مذغاب للكون طالع
وفي الحج كانوا بيت عزته فهم
بنشأتهم طافوا فست وسابع
وقد رملوا في ذا الطواف تدللا
عليه وفخر عندهم فيه بارع
ولما بدا من قبلهم حجر الهدى
له استلموا اذ منه بانت أصابع
وفي عرفات الوصل حازوا تقربا
بوقفتهم فيها فزالت موانع
وقالوا منام في منى وبها رموا
جمار هموم كلهن مصارع
وقد ودعوا البيت العتيق وأقبلوا
على أصلهم في العلو هو مواضع
وفي عيد نحر الهجر فازوا بذبحهم
ضحايا طباع هن فيها لواسع
ذبيحة نفس قطع عرق فسادها
الى ان بقي منها خؤون مخادع
وأخذ لقيط القلب في مسجد الحجى
ومنهم له تسعى الكرام المصاقع
ومن يلتقط سرا بتعريفه له
يرد على الروح الالهى ضائع
وغيبة مفقود عن الكون حكمها
كموت له في كل أمر يضارع
وحب بيما في الحق اخراج عشرها
خراج لارباب الجهالة قاطع
وجزية كفار النفوس تكون عن
يد وصغار حيث قرر واضع
ومن نال صيد الغيب كلب هواه او
أصيدت بباري القلب طير سواجع
فقد فاز بالقصد الذي هو راكب
اليه على خيل وهن الطبائع
وواهب ذات انخال ظلمة كونه
تعوضه نورا به هو لامع
وقد آجر الاقوام امكانهم له
فأجرتهم انعامه المتسارع
وباعوا نفوسا في هواه نفيسة
له فاشتراها حين أوجب بائع
فقال لهم فاستبشروا اذ ببيعكم
توليتكم فالكل عندي مطاوع
وان جهاد القلب للنفس واجب
عليهم لفتح الروح فهو المصارع
وقد دخلوا بالملك في قلعة الانا
فليس لهم عما يرومون دافع

وقادوا أساری کل خلق منعم
وفاز شجاع بالغنائم دارع
وقد شارکوه فی الوجود فثامن
لفسخ اشتراك كان منهم وتاسع
وقد كفل الرحمن ارزاقهم لهم
وطالب بالاعمال وهی منافع
فان الدعاوی ألزمتهم كفالة
بأعمالهم والكل منه نوابع
وتوكيلهم للحق انتج قربهم
اليه وهذا للكمال ذرائع
أحال بهم يوما عليهم فأفلسوا
وقد أصبحوا بعض لبعض يتابع
ولما اليه بالحوالة ردهم
لهم بالفنا كانت لديه مواقع
ونحن له وقف لاجل صفاته
وقد عرت منا لهن المزارع
وقاض قضى بالحق والروح شاهد
فكان لحق النفس معها مقامع
ودعوى الغنى تعطى الخصومة فى الهوى
وقد جمعت للعاشقين مجامع
وجاءت بانواع الشهادات أمة
على الحق زكتها صفات بوازع
وهذا نكاح الامر عقد محقق
ومن كل شيء خلق زوجين بادع
شهدنا على ايجابنا وقبولنا
وكانت لنا بالحضرتين وقائع

الى ان قال :

وانزاله القرآن قد حلت به
فروج قلوب بالعلوم تدافع
وبت طلاق الصبر زوج فتى الهوى
ثلاثا على سلمى فكيف يراجع
ولو دفعت كل الذى هو ملكها
على طلقة ماكان قلبى يخالع
وبرت يمين واليمين ثلاثة
غموس بحكم الغير للغير رائع
ولغو على اهل المجاهدة احتوى
ولا اثم فيه لكن القلب جازع
ومنعقد وهو الذى بين قومنا
تلذ به عند اللقاء المسامع
كلام على حكم البيان مفصل
به الغيث من سحب الحقائق هامع
وتكفيره فى حنثه ستر كل ما
بدا فثار الحفظ منه أيانع
ومن يأخذ الدنيا بشفعة داره
من الحق لما باعها فهو بائع
ومن رد عبدا آبقا كان اجره
عظيما على مولاه فهو الموادع

وإحياموات النفس بالذكر واجب
ليسعد فيها بالحراثة زارع
وقتلك معنى الروح بالروح يقتضى
قصاصا بسيف الحق إذ هو شارع
وان أخذت من وضعها دية له
فذلك حكم للقصاص يضارع
وهيأت الاقوام أرض نفوسهم
فكان المساقى شيخهم والمزارع
واقرارهم بالحق حجتهم على
سواه وكل لابس الامر خالع
وأعطاه رأس المال وهو وجودهم
اليه اقتضى ربحا وضل المخادع
مضاربة منه قديما مع الذى
له كل مافى الكائنات توابع
وأن غضبوا أوصافهم من ذواتها
أغارت عليهم منه خيل طلائع
وفى الصلح عن دعوى المغايرة اختفوا
فهم منه فى الدنيا غيوث هوامع
وقد رهنوه بالديون قلوبهم
وماض وحال لابقى ومضارع
حدود الهوى قامت عليهم بربهم
فلم يعتدوها والحدود روادع
ومن يدعى ملكا فذلك سارق
يديه فالحق اليد قاطع
وعينيك فاصم لاتمدن قال فى
امام فكيف المقتدى وهو تابع
وخمر السوى منه إذا شرب امرؤ
عليه بأنواع الخطوب مقارع
وزانية لم تحصن الفرج عن سوى
لها الرجم بالحرمان حد يمانع
وقذف أولى التشبيه يوجب حدهم
سياط بعاد عن حماه قوارع
وقد كان بالتقوى وصيه لنا
غداة بدت سبل ولاحت مشارع
به منه تقوانا فلا ندعى لنا
وجودا ونرضى حكمه ونطاوع
وميراثه منا بميراثنا له
فرائض كانت منه فينا بواضع
فثمن وثلث أرث ام كتابنا
على حكمها فى قسمتى لاأنازع
ولا يرث المحجوب منهم بحاجب
على العين حكم قررته الشرائع
وبالعول ان زادت سهام أولى الحجى
خيالا تراءته العيون الهواجع
أعد نظرا مازاد شىء على الذى
علمت ولكن لجة وزعازع
وقام وصى الحق يحفظ بالهدى الا
يتيم الالهى والجميع مراضع

وفقه الهوى فرض على القوم درسه
وكم ناله شيخ وكهل ويافع
ومن كان مقداما يلج كل لجة
اليه وان ضجت عليه الضفادع
وأهل طريق الله قد القوا السرى
وطالى بطاح دونهم وأجارع
وغابوا عن الاكوان فى الغيب حيث لم
يكن ههنا الا الشخوص الخوادع
ومدت لهم منه يد أقدسية
تبايعهم فيما رأوا فتبايعوا
هم القوم لا يشقى الجليس بهم إذا
لهم كان فى سر وجهر يطاوع
وقد زهدوا فى الزهد عما سواه إذ
رأوا الزهد معنى للعقول يخادع
وعن توبة تابوا وهذا مقامهم
لهم هو من فوق المقامات رافع
وتقواهم التقوى على كل حالة
لديهم عن التقوى وتلك بدائع
وما ورع الا عن الورع اقتفوا
وما منهمو الا عن القنع قانع
وفاتوا مقامات السلوك لانها
على أوجه الاسرار منهم مقامع
وقاموا بوصف الذات فى غيب غيبته
له فيه ختم مثل ما كان طابع
وتمت معانيهم على كلماته
وماء الهدى من عينهم هو نابع
وزال الذى كانوا يظنون أنه
سواهم له عز عن الكل شاسع
وقد كان وهما ذاك عند عقولهم
كمثل رقوم أظهرتها المدارع
وقد بدلت أرض لهم غير أرضها
كذاك سموات وزالت طوالع
وقد برزوا للواحد الاحد الذى
بهم هو فيه عالم ثم صانع
وكانوا كما كانوا على الحالة التى
بها أزلا كانوا كلم يك واضع
كما أنه باق بما هو فيه من
قديم وهذا الامر للوهم قامع
بدايتهم كانت نهايتهم به
ومبدؤهم آلت اليه المهايع
وفى العلم كل هكذا مترتب
حضور له ما قد مضى والمضارع
فمن يعلم العلم القديم يرى الذى
أقول وترمى عن حمير براذع
وتخفى علوم العقول حوادث
عنا كبها تبنى البيوت خوادع
ولم يك ذا الا بتعليمه ولا
يعلم الا من لديه بوادع

وماكان فيه فهو يبدو له به
وما لم يكن فيه فما هو واقع
هيولى شهدنا انها نور نوره
لها صور شتى به تتدافع
وألوانها ذات الفنون فأزرق
سماوى لون ثم ابيض ناصع
واسود غربيب واخضر ناضر
واحمر قان ثم أصفر فاقع
ظواهر منه فيه عنه له به
بواطن افناها من الذات لامع
وبالحق أنزلنا وبالحق نازل
لقد حققته العارفون المصاقع
وما الحق الا واحد فهو عالم
وعلم ومعلوم ثلاث قوارع
ومن ههنا ألهى التكاثر امة
محققها من كوثر هو جارع
وذلك نهر الجنة العذب ماؤه
وفى الحوض أنبوبان منه شوارع
هو الحوض منه كل من نال شربة
فلا ظمأ يلقى ولا هو جازع
ويطرد عنه كل من تبع الهوى
وتمزيقه دنيا بدنياه راقع
أباريقه قوم به امتلأوا وهم
نجوم بآفاق العلوم سواطع
يضىء بهم ليل السراة الى الحمى
ومنهم رجوم للطغاة قوامع
حنانيك عش ان فزت منهم بواحد
سعيدا قرير العين غصنك يانع
وكن عبده لاحظ عبد وشهوة
فما أنت ناويه على القلب طابع
وهذا مقام حق بالبؤس والاسى
وما قاله الا الشجاع المقارع
ودم طالبا منه التحقق فيه لا
سواه تجده عنك فيك يسارع
وان زدت صدقا فى محبته له
به زدت قربا واهتدى منك ضائع
وزالت مغانى الغير فى العين وانطوت
مسافة نفس بالمحال تخادع
وكنت كما قد كنت من قبل لم تكن
وكان كما قد كان وهو الموادع
عليم بذات منه تجلى عليه فى
معانى صفات كلهن بوادع
وفيه زمان والمكان تداخلا
وكيف وكم وهو للكل جامع
له الكل وهو الكل وهو منزه
عن الكل فاعرف واعتبر يا منازع
تصاويره فيه تماثيله له
تقاديره منه فروض بوارع

من العدم امتدت الى العدم انتهت
خيالات عقل واحد يتلامع
وما هو الا النور نور محمد
تبدى من النور الذى هو طالع
فنور على نور كذا قال ربنا
وذلك مسموع لديه وشافع
وأعلام النور الالهى شأنه الا
كبر والادنى هو المتواضع
وذلك لايفنى وذا كل لمحة
بأيدى الفنا ثم البقا يتتابع
تجليه يبقيه به واستتاره
فناء له فى الفكر والحس قالع
هو العقل عقل الكل مفرد جوهر
يلوح ويخفى عن ضيا وهو شارع
هو الروح روح الكل والقلم الذى
به الكل مكتوب له اللوح واضع
وعرش وكرسى تجسم فيهما
له صورة تحويهما وأضالع
وفى كل شيء سر أمر ملبس
بخلق جديد للخفاء مسارع
كبرق عن الذات النزيهة لامع
فيالك برق من حمى الحب لامع
سرت نسمات الروح من روضة الحمى
فعطرنى طيب من الحب ضائع
وعطرت الانفاس منى بنفحها
جميع الورى حتى استطيبت مصانع
وقامت دعاة الحق بالحق عن يدى
تعاهد ارباب التقى وتبايع
فحيهلا ياقوم نحو حقيقتى
فان طيورى بالجمال سواجع
وحوضى ملآن ومائى مروق
وروضى بأنواع المحاسن يانع
وباعى طويل والزمان مساعد
لنا وعيون الدهر عنا هواجع
وكاسات افراحى براحى وراحتى
دهاق وأيامى المواضى رواجع
علىّ سلام فى الورى يوم مولدى
وموتى ويبقى ماهمى الدهر هامع

وقال أيضا :

انى انا لست انا
فليت شعرى من انا
صورة لاهوت بدت
فى شكل ناسوت دنا
كلاهما مستحدث
من عدم ومن فنا
وذاك لا ذاك له
ومن هنا ليس هنا

والقصد منى لم يقع
على سؤالى والمنى
فافهم كلامى وانتفع
به ودع عنك العنا
اياك اياك بأن
يوقعك الجهل بنا
ولا تكن معتديا
ولاتكن مفتتنا
ودع كلام عصبة
بنا أساؤوا الظننا
من شرهم ما أحد
بين البرايا أمنا
قد شبهوا خالقهم
وجسموه علنا
ونسبوا اليه ما
كان بهم مكتمنا
وهم على ذا درجوا
وفيه عاشوا بالمنا
وعبدوه مثل قو
م يعبدون الوثنا
قد نشأوا فى بدع
لايعرفون السننا
وهذه حالتهم
قد جعلوها ديدنا

فاحذرتكن مستمعا
لهم بهم ممتحنا
وخذ بنا لاح ودع
عنك التباسا لحنا
بالله يامن هجروا
وعظمونى شجنا
وقد أطالوا سهرى
وأجرمونى الوسنا
وملء قلبى شغف
ودمع عينى هتنا
ولى اليهم أبدا
فرط غرام وعنا
رفقا بصب دنف
بكم غدا مرتهنا
أيان ولى منكمو
أبصر وجها حسنا
بشعب وادى سلم
جآذر لحن لنا
لما رنوا وانعطفوا
خلت سيوفا وقنا
أواه من جفونهم
وليس لى عنهم غنى
ياليتهم لو سمحوا
ولى أتموا المنا

عهدى بهم قد نزلوا
بالسفح من وادى منى
من كل روح جعلوا
للامر منهم بدنا
وشرفوا منازلا
حلوا بها ودمنا
وكل حى جعلوا
بالوصف فيه وطنا
وشغلوا الكون بهم
وهيجوه شجنا
فهام فى بهجتهم
ولم ينل منهم منى
يخفق قلبى بهم
وكم يقاسى محنا
وجوده تحريكه
وفقده ان سكنا

وقال أيضا :

لمائه كلنا أوانى
ونحن فى نفسه معانى
والكل عن أمره ظلال
وذاته الشمس فى البيان
مراتب بالوجود صارت
حقائق الغيب والعيان
عن كل أوصافه ابانت
عند الورى مثل ترجمان
وجوده لا يزال منها
يطلى بنيل وزعفران
وبظلام وبضياء
وبضراب وبطعان
وبجماد وبنبات
وبأناس وحيوان
وبرجال وبنساء
وأهل شيب وعنفوان
وكل عقل وكل حس
والمتمنين والامانى
وكل فهم وكل وهم
وكل وقت وكل آن
وملكوت وجبروت
وكل انس وكل جان
وكل ساق وكل كاس
وكل خمر وكل حان
وبحسان وبقباح
وبهموم وبتهانى
وكل شىء صرفت عنه
ولم يصرح به لسانى
توهمات الجميع فيه
من فرط عز ورفع شان

تجل عنها وعن مقالى
يجل فيها به سباقى
والعلم بالجهل قد تساوى
عجزهما عنه فى قران
وكل عبد بما لديه
فى محنة منه وافتتان
وقد تجلى بكل شىء
والشىء من عالم الكيان
فضاء منه فضاء كل
كالنور فى صبغة القنانى
وفيه كانت فصار فيها
والقلب ينبيك عن بيان
وليس غير الوجود فيها
بقائم والجميع فانى
وهو على ماعليه قدما
بلا انتقال ولا اختزان
ولا اتصال ولا انفصال
ولا افتراق ولا اقتران
ولا التفات ولا جهات
ولا زمان ولا مكان
ولا حلول ولا اتحاد
ولا تناء ولا تدانى
فان تكن فاهما والا
فدع كلامى لمن يدانى

ولا تعب ماجهلت منه
بقلبك القاصر الجبان
وخل ما قلته لقوم
يطرب اسماعهم اذانى
فان داعى الكمال منى
يسمع من شاء بافتتان
وكل شىء للحق شان
والحق باد فى كل شان
مسك له الكل طيب عرف
معنى له الكل كالمبانى
نحن التقادير منه فيه
كالكيف والكم والمكان
وهو الوجود القديم صرفا
وماله فى الوجود ثانى
رآه موسى الكليم نارا
عنه بدا الكل كالدخان
ورام منه بأن يراه
فجاء عنه لن ترانى
لكونه رائيا فلو لم
يرى رآه اليه دانى
لكن علا شوقه عليه
منه غدا مالك العنان
وزاد حتى أزال عنه
تثبتا كان فى الجنان

ومنه قد صار فى ذهول
وفى اندهاش لما يعانى
والشوق يوهى العقول جدا
فى رؤية الاوجه الحسان
حتى اذا حلّ منه طور
وعادق الصحق فى اكتتام
أفاق مستغفرا منيبا
مسبحا طالب الامان
ما قال انى رأيت أو ما
رأيت اذ كان فى عيان
كان محبا له فأضحى
محبوبه الرائق الدنان
وما عليه اختفى تبدى
لما جهارا بلا توانى
وصار بيديه كل شىء
قد كان أخفاه باجتنان
وللمثانى آيات حق
تظهر فى نغمة المثانى
يذوقها كل ذى فؤاد
ينيل قرب الاله هانى
سماه بالغرام شقت
ورده صار كالدهان
يموت بالفكر ثم يحيى
بالذكر فى القلب واللسان

ويستريب الجهول منه
والله يلقيه فى امتحان
ولا تراه يعيش الا
فى فرط ذل وفى هوان
وان يمت فالجزاء نار
لانه للضلال جانى
وبافتراء وباعتداء
أنكر حقا وبامتحان
ولا يضيع الا له شيأ
فكيف ايذاء ذى العيان

وقال أيضا :

أنا النور المبين ولا أكنى
أنا التنزيل يعرفنى ابن فنى
يضل الله بى خلقا كثيرآ
ويهدى بى كثيرا فاستبنى
ولكن لا يضل سوى نفوس
بانكار بحت وبسوء ظن
وانى الملك والملكوت فضلا
وانى صخرة الوادى وانى
ولما كنت منه بغير فصل
ولا وصل شهدت الكل منى
أحقق من أريد بعلم حق
وأسكر من أشاء بخمر دنى

وأسعد باللقا يوما وأشقى
بهجرى آخرين وبالتجنى
مقامى ليس يحصل بالترجى
وحالى ليس يدرك بالتمنى
ومابابِ الهبات ولا العطايا
بمسدود على أهل التهنى
ولكن القلوب لها عليها
من الاغيار ينشأ كل كن
وبالتوحيد يعرف كل شىء
ويجهل كل شىء بالتثنى
هى الابواب قدسدت جميعا
سوى بابى فدع عنك التمنى
وأما أنا شاعر وجميع نظمى
بعيد عن مدى شعر المغنى
وميز بين الهمام وشعر
وصرح بالمقام ولا تكنى
ولا تكفر بجهلك فى كلامى
ودعه لمن يوحد بامثنى
ولاتعجل على مالست تدرى
فانك سوف تدرى بالتأنى
نصحتك فاستطع صبرا امى ان
سلكت عن الروافض نهج منى
تعالى أصلنا عن كل فرع
وجل عن التزوج والتبنى
وكل فتى على مقدار مافد
سقاه بكفه الساقى يغنى
وحين رويت عنه روت بصدق
جميع رجال هذا العصر عنى

﴿النارجيل﴾ هو جنس من هذه الفصيلة يقال له قوقوس أى نارجيل ويسمى النوع المقصود لنا بالترجمة بهذا الاسم أى نارجيل وبالجوز الهندى وجوز الهند وباللسان النباتى قوقوس نيسيفيزا وهو نبات مسكنه بين المدارين وهو من أجل أشجار الكون لنفع جميع أجزائه فى احتياجات الناس اذ بدونه لا تسكن جزائر الاوقيانوس الكبير الهادى ولا يوجد مساكن فى المتسع الكبير الاستوائى ولو لم يكن لماتوا جوعا وعريا فلذلك سمى النبات بملك النبات اذ يخرج نبيذ وكؤول وخل وزيت وسكر ولوز ولبن وقشدة وحبال وأوانى وثياب وزنابيل وخشب. وهو شجر كالنخل من غير فرق الا أن وجه الجريدة فيه الى الاسفل ويقال انه اذا قطع لم يمت ويزرع ثمره قضبا وزمن غرسه نزول الشمس فى الجوزاء ويثمر بعد سبع سنين وتبقى شجرته نحو ١٠٠ عام ويدرك ثمره اذا

نزلت الشمس الميزان وجذور هذا النبات قليلة التعمق فى الارض متقاربة الفروع الكثيرة وطعمها أولا حريف ثم تصير قابضة تستعمل فى الهند فى الدسنطاريا المزمنة والاسهال مسحوقة مع مسحوق الانيسون مدة ٨ أيام . وذكروا أن الجذع يعلو ١٦٠ قدما اذا كان قرب البحر وينقص علوه كلما بعد عنه وتتكون منه غابات جميلة المنظر فى جزائر بوليتسيا والاقيانوس تأوى اليها السياحون بعد التعب وفقد الزاد وتنفع جذوعها فى العمارات والاثاث وغير ذلك وتحتوى أغصانها الصغيرة فى باطنها على نخاع مأكول سكرى مقبول الذوق واذا كمل تكون السوق كأن خشبها الذى من الخارج قليل الثخن ولكن شديد الصلابة مكونا من ألياف مستطيلة بطول الجذع ويصنع من تلك الاشجار حبال السفن لكنها أقل متانة من التيل وانما تبقى فى الماء أحسن منها . وأوراق النارجيل تطول من ١٥ قدما الى ١٨ وهى مركبة من وريقات متينة خضراء سهلة الانثناء يصنع منها مايصنع من خوص النخل وكل ورقة محاطة من أول منشئها بنوع شبكة خيطية هى الليف يستعمل مرشحا ومنخلا وتصنع منها ملبوسات وتسقط كل سنة مع الورق ويبقى منها أثر على الجذع ويستعمل فى بلاد الهند منسوجها القطنى لايقاف دم لدغ العلق . والزر الذى ينتهى به الجذع طرف لطيف المأكل يسمى أيضا بالجمار وهو ألطف من جمار النخل ولكنه مثله فيما اذا قطع ماتت الشجرة ويظهر أنه لايستخرج من الجذع الا قليل من نبيذ وينال من ثمرة لبن أحسن من ذلك ويقال إن عصارته النباتية تركز فى بعض الاماكن فتنال منها مادة سكرية مسودة تربى مربيات . وأزهار النارجيل كثيرة بيض أو صفر قد تؤخذ وتدق فينال منها سائل مائى يكون مشروبا لذيذا يتحول الى خل قوى واذا تفتحت كانت صدرية وقليل منها يتحول ثمارا والا لكانت الثمار عديمة الحصر . والجزء المهم من النبات هو الثمر وهو النارجيل الحقيقى وحجمه كبير ولونه مسود وشكله قريب للتثليث والشجرة يوجد فيها جملة أقناء كل قنو فيه نحو ٣٠ نارجيلة ويخرج النارجيل فى غلف ليفية خارجة تسمى بالافرنجية كبير بفتح الكاف أو بستان بفتح الباء

يجهز منه بعد الدق والهرس نوع مشاق لقلفطة السفن وقد تعمل منه أقمشة غليظة وملبوسات وغير ذلك ثم فى داخل هذا الغلاف غلاف خشبى صلب وهو قشرة الجوز تستعمل بمنزلة الاوانى وتعمل منها أكواب وأصحن تطلى بالأطلية وتزخرف ويقطر هذا الغلاف الخشبى فينال منه دهن شياطى يستعمل فى الهند لوجع الاسنان وفحم خلى قطيفى يستعمل فى صناعة التصوير ثم فى داخل ذلك الجوزة وهى اذا كانت طرية كانت مملوءة بمادة مائية دهنية بيضاء سكرة وكذا اذا ارتقى الى الشجرة وقد طلع الطلع قبل أن ينشق فيقطع طرف طلعة من طلعها ويلقم كوزا ويعلق العرجون فيقطر فيه من الطلعة الى آخر النهار الرطلان والثلاثة والخمسة بحيث يسمع حس القطر من هو فى أسفل الشجرة فيخرج فى الكوز لبن ثخين حلو عذب يسكر سكرا مفرحا قويا فان ضرب الهواء شاربه طرحه بالارض وان شرب من لم يعتده أو ضعيف المزاج أذهب عقله فان بات ذلك السائل ليلة صار خلا قاطعا أشد من الخل الاعتيادى مهريا اللحوم الغليظة كلحوم الجواميس

كذا قال أطباؤنا . وقال ميره لايجنى الا الثمر الذى ليس من نضجه أقل من ستة اذا الثمار والازهار موجودة على الاشجار دائما فتختار والثمار الصغيرة الخضر الغير المتلففة اذا أريد أخذها بوصف كونها شديدة القبض ويستعمل مبشورها فى فيضان الدم وتدخل فى مراهم تعالج بها الاوزيما فاذا اكتسب الثمر حجمه الطبيعى كان مملوءا بعصارة أى سائل أبيض يسمى لبن النارجيل بحيث تحمل الثمرة الواحدة منه رطلين ويمكن اخراجه منها بثقب الخروق الثلاثة التى فى قاعدتها وذلك اللبن عذب سكرى فيه قليل حموضة فيكون مشروبا لذيذا مرطبا فى البلاد الحارة التى ينبت فيها ويمكن أن يشرب منه مقدار كبير بدون سآمة بل وذكروا أنه نافع لآفات الصدر وذكر بعض الاوروبيين أنه شرب منه ٢٠ زجاجة فى اليوم بدون أن يحصل له أدنى كدر وهو المشروب الاعتيادى لمعظم قبائل بحر الجنوب ويقال أيضا أنه مدر للبول واما ميسون فاتهمه بانه أحدث أكلانا شديدا فى الجنوريا وحرض سيلانا لوث الخرق بالسواد . ونساء جزائر أنتيلة يغسلن

وجوههن بهذا اللبن . وهو قابل لان يتخمر تخمرا كؤوليا بحيث يستخرج منه الكؤول أو الخل . ووجد فيه بالتحليل الكيماوى ماء وسكر وصمغ وكربونات ومربات ملحية وغير ذلك وكلما نضج الثمر اكتسب اللبن قواما وتيبس تيبسا لوزيا من الدائرة الى المركز فيتكوّن فى الوسط بين أجزاء المتيبس والجزء الباقى على لبنيته نوع قشدة يلذ أكلها بالسكر وماء زهر البرتقال ويبقى فى المركز دائما بعض لبن وفى بعض الاحيان لكن مع الندوة يتكوّن فيه جسم بيضاوى متجمد هو نوع بادزهر نباتى ابيض مزرق كالصينى تنسب الاهالى له خواص طبية جليلة ويسمى ببلاد الهند كلابيت أو يقال كلابا ويسميه الاوربيون حجر النارجيل وتباع تلك التجمدات فى الصين ويحملونها كالتمائم ويظنون انها تحفظ من الوقوع فى كثير من الامراض واللوزة النضيجة تؤكل فتكون غذاء اعتياديا لاهالى الجزائر للنابت فيها الشجر وهى شديدة البياض معتمة يابسة تشبه البندق فى الطعم وتؤكل وحدها أو مبتلة بالفلفل والخل وتدخل فى الفطاير وغير ذلك ويدخلها أهالى بلادنا فى معاجين يستعملونها فى العادة للتقوية ويعدونها فى البلاد التى ينبت الشجر فيها عسرة الهضم ومع ذلك هى عندهم أقبل من غيرها ويعمل فى جزائر أنتيلة مستحلبات ولعوقات وغير ذلك وتقوم هناك مقام اللوز الحلو ويستخرج من لوزة النارجيل دهن اذا كان جديدا جيد الاستحضار دخل فى الاغذية فان عتق او كان ردى التحضير استعمل للاستصباح وسكان تلك البلاد يدهنون به فتصير رائحتهم كريهة ولو استعملوا الاستحمام كل يوم وكذا يدهنون به خيولهم ويستعمل فى بلاد الهند لتحضير اللصوقات وغيرها وهو مركب تركيبا كيماويا كما ذكر بعض الكيماويين من دهن زيتى سابح فى العصارة اللبنية يستخرج بالعصر يتجمد بسهولة ومن ماء وسكر سائل وزلال .ومن الكيماويين من استخرج منه زيتا يتجمد فى ١٥ درجة من مقياس ريومور فيكون ذلك زبدة نباتية وذكر مرسال صنفا من النارجيل يسمى ثماره بالنارجيل الملوكى ويحتوى على لبن تنسب له خواص مرتبة أعلى من خواص النارجيل الاعتيادى ومن أنواع النارجيل نوع يقال

له نارجيل البريزيل وباللسان النباتى قوقوس بوطراسيا ينبت بالبريزيل وامريكا الجنوبية مع أنه يوجد أصلا فى الهند الذى هو بحسب الظاهر موطن النوع السابق وربما كان موطن هذا أيضا ثم نقل الى أمريكا وزرع فيها وثمره اكبر من بيض الدجاج بيسير ولونه من الظاهر اخضر و يحتوى على لوزة اى نواة تؤكل ويستخرج منها دهن أوزبدأ بيض رائحته مقبولة يستعمل لتتبيل الاطعمة واذا عتق استعمل للاستصباح ويصح استعماله دواء مرخيا وملطفا . وذكر فوكس أنه يمكن تقليده بالصناعة بأن يصنع من الشحم الحلو الملون بالكركم والمعطر بايرسافلورنسة ويوجد تحت الغلاف الليفى الظاهر لهذا الثمر لحم اصفر زعفرانى رقيق عديم الطعم تأكله السودان وتحته قشرة يابسة محتوية على اللوزة التى ليس فيها خروق كخروق النارجيل الاعتيادى وهذا يدل على أنه نوع آخر غيره . وذكر برون انه يسيل من قمة هذه الشجرة صمغ شفاف رائحته مقبولة يمكن استعماله فى محل الصمغ العربى ونخاع الشجرة يؤكل بالملح كما قال برون ولم يذكر هذا المؤلف أنه يستخرج منه عصارة نبيذية اذ ثمره أصغر حجما من أن يجهز لبنا (من المادة الطبية)

﴿النارنج﴾ هو نوع من أنواع البرتقال وقد استوفينا الكلام على زراعة البرتقال فى مادته فلا يحسن بنا ان نعود اليها هنا ولكن يهم قراء دائرة المعارف أن يعرفوا أمورا كثيرة عن فوائد النارنج الصحية والدوائية لان ذلك يفيدهم افادات ذاتية خصوصا وهذه الاصناف تكثر فى بلادهم وتباع بثمن رخيص ويهملها الناس غفلة عن منافعها الجليلة أو يأكلونها أحيانا على سبيل التنقل ليس الا مع أن فيها من الخواص ما يجب الالتفات اليه . فنريد الافاضة فى الكلام عليها وليس أمامنا مصدر أوسع مما كتبه العلامة الرشيدى فى مادته الطبية فانه ترجم كل ما يمكن ترجمته مما يتعلق بهذا الموضوع فنعتمد عليه أيضا فى ايراد هذا الفصل

(الفصيلة النارنجية) تسمى بالافرنجية أورنطياسية نسبة لجنس منها يسمى أورنطيون وقد تسمى ايضا اسبيرديه وانموذج هذه الفصيلة هو النارنج والليمون وتقوم من اشجار وشجيرات جميلة المنظر

تحفظ أوراقها فى جميع السنة دائما خضرا ونبت فى الاقسام الحارة من العالم القديم والجديد وتلك النباتات تنتشر فيها غدد كثيرة صغيرة حوصلية مملوءة بدهن طيار رائحته ذكية نفاذة وتوجد فى سمك الاوراق والكأس وفى النسيج الخاص التويج وفى الغلاف السميك المصفر المغطى للثمر من الباطن وتلك القاعدة المريحة هى التى صيرت تلك الاشجار رائحية منبهة بحيث أن أجزاءها المختلفة تؤثر تأثيرا منبها فى البنية الحيوانية وهذا الفعل واحد فى جميع نباتات هذه الفصيلة فكما يكون أيضا فى أوراقها التى لها طعم مر عطرى يكون أيضا فى أزهارها الذكية الرائحة وفى القشور المرة الخارجية لثمارها حيث يكون فيها قليل حرافة وعطرية وكما توجد تلك الاوصاف فى أجزاء النارنج والبرتقال توجد أيضا فى غيرهما من نباتات الفصيلة ولب ثمار تلك الفصيلة متشابه فى جميع نباتاتها حيث يكون دائما حمضيا تختلف حمضيته بالقلة والكثرة ومبردا مرطبا ففى البرتقال تكون تلك الحمضية مستورة بطعم سكرى وبمادة لعابية والعصارة المأخوذة بالعصر من هذا اللب قابلة للتخمر فيخرج منها سائل كؤولى أى نوع نبيذ يستعمل فى بعض جهات الهند للشرب عند أهالى تلك البلاد

(نارنج) النارنج قال أطباؤنا هو اسم فارسى . انتهى . ويسمى بالافرنجية أورنجير وباللسان النباتى ستروس أورنطيوم أى الليمون النارنجى واشتهر عند العرب تسميته بشجر النارنج وشجر البرتقال فاسم الجنس ستروس من الفصيلة النارنجية كثيرة الاخوة عشرى الذكور واسمه آت من بلد اليهود يسمى سترون فأخذ الرومانيون النوع الذى عرف أولا بأوروبا وسموه بذلك وهو يحتوى على عدد يسير من الانواع كثرت اصنافها وزادت بالزراعة والفلاحة حتى صارت زينة البساتين فى البلاد الحارة لجمال اوراقها البسيطة البيضاوية المتتالية البذور فيها نقط شفافة ناشئة من وجود حوصلات مملوءة بدهن طيار وخصوصا للمعانها حتى كأنها مدهونة بطلاء زاه وخضرتها الدائمة وذكاوة ازهارها ومنفعة ثمارها اللطيفة وأصلها من الصين وجزائر الهند والجزائر المتفرقة فى وسط الاوقيانوس الهادى واستنبت بكثرة فى جميع الاقاليم حتى فى الاماكن الباردة

باحداث حرارة صناعية حولها وأنواع هذا الجنس اشجار وشجيرات مريحة ودائما خضر ومنظرها جيل وأوراقها متعاقبة بسيطة كاملة أو مسننة أو عديمة الزغب ومتصلبة فى قمة ذنيب بسيط أو متسع على شكل أجنحة فى جوانبها وكثيرا مايوجد فى قاعدة اوراق الانواع البرية وبعض الانواع المستنبتة شوكة مستطيلة تختلف خشونتها وكأنها أذينة وحيدة الجانب والازهار فى الغالب بيض أو ورديه متوسطة العظم ويتصاعد منها رائحة شديدة الذكاوة وتنضم غالبا جملة منها مع بعضها فى طرف الاغصان الصغيرة والثمار فيها جميع مايمكن من التنوعات أى من مقدار الكرز الى رأس الطفل وأما شكلها فيختلف ايضا بحيث يتعسر شرحه بالضبط ولكن تلك الثمار اذا وصلت لتمام نضجها كان لونها من الظاهر اصفر زاهيا والتنوع الذى يستدعى وضع أسماء مخصوصة لها يؤخذ أصله من الالوان الاولية الاصلية التى يتشكل بها الطيف الشمسى وطعم المنسوج اللبى يختلف كثيرا باختلاف الانواع والاصناف ولكن الغالب كونه حمضيا كثيرا أو قليلا بسبب وجود حمض مخصوص فيها ويسمى لاجل ذلك بالحمض الليمونى وقد يكون الطعم السكرى متسلطا كما فى البرتقال الحقيق وقد يتسلطن الطعم الحمضى وفى بعض الاحيان يكون تفها وفى بعضها يكون مرا وغير ذلك وقد ذكرنا ان أنواع هذا الجنس قليلة ولكن يعسر تعين صفاتها بالضبط نظراً لكثرة الاصناف التى حصلت لكل نوع منها بالزراعة فى الازمنة السالفة الى الآن وقد اشتغل المؤلفون بتحديد ذلك وسيما العالم النباتى المسمى ريصو بكسر الراء فاختار أولا فى رسالة ألفها خمسة أنواع: أولا سماه ستروس ميدكا واليه تنسب النباتات التى تسمى سدرات أو سدروت وأصله من آسيا واستنبت قديما فى جنوب أوربا الشمالية والثانى ستروس ليمطا بكسر اللام وفتح الميم واليه تنسب نباتات البرجموت والتيير أى الليمون الحلو وأصله من آسيا وأستنبت بايطاليا والثالث ستروس ليمونيوم وأصله من آسيا واستنبت بأوربا الجنوبية وينسب اليه اصناف الليمون او النترون والرابع ستروس أوزنطيوم وينسب له جميع أصناف البرتقان الحلو وأصله من الهند الخامس

ستروس وجادرس وهو المسمى بيجرد أى الكباد وينسب اليه أصناف البرتقان الذى ثمره مر واختار تلك الأنواع الخمسة دوقندول. ثم ألف ريصو كتابا آخر ترك فيه هذا التقسيم واختار ثمانية أصول رئيسية وتبعه ريشار فى القاموس الطبيعى فذكر أصناف النارنجيات الكثيرة الوجود فى البساتين فأولا أورنجير ذو الثمر العذب وثانيا بيجرديير أو أورنجير ذو الثمر المر وثالثا برجوتيير ورابعا لمتيير وخامسا بمبلموس وسادسا لومى وسابعا ليمونيير وثامنا سدرتيير. ولنخص كل واحد منها بفصل مخصوص وقبل أن نشرع فى ذلك نذكر تقسيم ميره

قال هذا الماهر : هناك نوعان رئيسيان أحدهما أورنجير المسمى عند لينوس سـتروس أورنطيوم أزهاره بيض من الظاهر والباطن والأوراق لها ذنيب مجنح والذكور ٢٠ تقريبا والثمار كرية ولحمها عذب وقشرها رقيق محمر غير ملتصق وثانيهما سترونيير أى ليمون ويسميه لينوس ستروس ميدكا وازهاره بيض من الباطن وحمر من الخارج وأوراقه عديمة الذنيب والذكور من ٣٠ الى ٤٠ والثمار مستطيلة ولحمها حمضى وجلدها يختلف ثخنه وهى صفر زاهية ملتصقة فالنباتات اليمونية تنقسم الى اقسام ثانوية الاول ليمون وبالافرنجية سترون وهو عندهم ريصو ستروس ليمونيوم وثمره مستطيل وقشره أملس رقيق ولبه شديد الحمضية. والثانى سدرات وهو داخل فيما سماه ريصو ستروس ميدكا وثمره مستطيل وغير مستو وقشره ثخين جدا ولبه حمضى. والثالث برجموت وسماه ريصو ستروس ليمتا وثمره كرى صغير وقشره متين ولبه عذب . وأما النباتات البرتقالية فلا يعرف لها ألا أصلان رئيسان أحدهما البرتقال الحقيقى الذى سماه ريصو ستروس أورنطيوم وثمره كرى وقشره رقيق أملس ولحمه عذب وثانيهما الكباد المسمى بالافرنجية بيجرد ويسمى عند ريصو ستروس وجادرس وثمره كرى وقشره رقيق خشن ولحمه حريف مر. ويوجد لهذه الاصول أصناف كثيرة سموها بأسماء مختلفة لكن اهتمام الاطباء بها قليل ثم مع الاشتغال الكثير للنباتيين لم يزل هناك اشتباه واختلاف في تلك الانواع والاصناف

(الفصل الاول فى النارنج والبرتقال)

النارنج ومعه البرتقال بل الشرح المذكور هنا شرح شجرة تسمى بالافرنجية أورنجيير وثمارها أورنج واسم النبات باللسان النباتى ستروس أورنطيون

(صفاته النباتية) هو شجر جميل يكون دائما اخضر وجذعه املس اسطوانى متفرع حتى من قاعدته احيانا وأوراقه متعاقبة وحيدة بيضاوية تكاد تنتهى بطرف دقيق وهى كاملة خالية من الزغب لامعة من وجهيها واذا وضعت بين العين والضوء شوهد فيها نقط صغيرة شفافة فهى حوصلات مملوءة بدهن طيار مقبول الرائحة وتلك الاوراق مفصلية مع الذنيب الذى طوله تقريبا قيراط مجنح من حافتيه والازهار بيض كبيرة على هيئة باقات لكن بعدد يسير فى أطراف الاغصان ويتصاعد منها رائحة ذكية معروفة لكل أحد والكاس قصير جدا مسطح ذو ٥ أسنان عريضة حادة والتويج ذو ٥ أهداب تقرب لأن تكون ناقوسية والاهداب اقلبسية مستطيلة منفرجة الزاوية عديمة الحامل فيها سموكة ولحمية قليلا وفيها جملة غدد حوصلية شفافة والذكور نحو ٢٠ نصفها أقصر من التويج وهى قائمة متقاربة لبعضها بجوانبها ويقوم منها أنبوبة واسعة من قمتها وهى مندغمة كالذكور حول قرص سفلى الاندغام على شكل حوية تحت المبيض والاعصاب بيض منضغطة قليلا ومنضمة ملتصقة اثنين أو ٣ معا والحشفات مخفية فى باطن الزهرة قلبية الشكل حادة وعضو الاناث مركزى طوله نحو طول الذكور والمبيض بيضاوى يقرب للكرية ذو ٨ أو ٩ أو ١٠ مساكن يحتوى كل منها على بزرات عددها من ٤ الى ٦ مرتبطة بالمحور والمهبل غليظ جدا اسطوانى منته بفرج ثخين مستدير كرى مصفر القمة قليلا والثمر هو المسمى برتقال أو نارنج مستدير فيه بعض انضغاط ولبه عذب سكرى فيه بعض حمضية . فالمسمى نارنج اماحلو واما مالح والحلو كثير السكرية قليل الحمضية جدا والمالح كثير الحمضية قليل السكرية وهذا النبات أصله من الهند والصين و نقل من هناك الى بلاد العرب ومصر والشام ثم أتى الى إيطاليا وبروونسة والى امريكا. قال ميره ويظهر أنه كان غير معروف للرومانيين وانما كان عندهم الليمون واستنبت بفرنسا فى القرن الحادى عشر الميسوى وما زالت

زراعته تمتد شيأ فشيأ حتى صار كما هو الآن لكن ذكر ريشار فى القاموس الطبيعى أن النارنج كان معروفا فى الخرافات القديمة حيث نمت تلك الاشجار كما قيل فى بستان اسبيريد التى كل مدينة قديمة يوجد من آثارها برقة ويقال ان اكثر الشعراء خرجوا منها ولذا سميت الفصيلة اسبيريدية أيضا . وذكر فى التاريخ القديم الخرافى ان من اعمال هركول انه أخذ من بستان اسبيريد واختلف العلماء فى محل هذا البستان الشهير فبعضهم جعله فى الجزء الغربى من افريقية بقرب جبل الاطلس وبعضهم جعله فى مورتانى والغالب كونه فى جزء افريقية المبتل بمياه البحر المتوسط وعلى رأى سلسيوس أن النارنج انتقل من جبال مورتانى الى ميديا ومن هناك الى بلاد اليونان وايطاليا واستبعد بورى مجيئه من آسيا الى أقاليم البحر المتوسط وانما كان مجيئه من اسبيريد ونظر فى قناريا وماديرفعلم أن النارنج تطبع هناك اذا لم يكن أصله من هناك وأما البرتقال ذو الثمر العذب فاتفق المؤلفون على ان أصله من الاقاليم الجنوبية [الصين] [و]جزائر بحر الهند و[جزائر] من جزائر متفرقة فى الاوقيانوس الهادى وأغلب المتأخرين يقولون ان البرتغاليين هم الذين أدخلوه اوروبا ولعل هذا هو السبب فى تسميته برتقال لأن هذا الاسم غير عربى وغير موجود فى كتب اللغات وهم يقينا انتشروا فى الجزائر المذكورة ورسوا عليها ولذا توجد الى الآن أشجار برية من الليمونيات فى موريس ومسقرنيو وغيرها وزعم بعضهم أن العرب هم الذين أدخلوه بلاد اليونان وجزائر بحر الروم وايطاليا ومهما كان فقد استنبت الآن جيدا وتطبع فى الاقسام الجنوبية من اوروبا بل تطبع أيضا بجزائر انتيلة وامريكا الجنوبية وافريقا الشمالية واستنبت بفرنسا وايطاليا واسبانيا أى الاندلس وبلاد اليونان ولكن هو كثير جداً ببلاد الاندلس وما حاذاها حيث تتكون منه هناك أشجار كبار تحصل منها غابات حقيقة وبساتين جليلة كبيرة نشأت منها ثروة أصحابها ولم يزل بقرطبة أشجار منها فى أراض كانت بساتين ملوك العرب الذين ملكوا تلك البلاد حتى ان منها ما عمره من ٦ أجيال الى ٧ ولما أخذ جذعها فى الاضمحلال اضطر لاسناده ببعض

فروع من الاشجار . كذا ذكره بورى وذكر أيضا أن شجر البرتقال لايكون مناسبا لشىء من أنواع الحزاز فقشره لايتحمل نوعا منه وأجود البرتقال ذو الثمر الحلو يكون عندنا رقيق القشر أملس لامعا عظيم الحجم وكذا يكون فى مالطة وبلاد البرتغال . وأما برتقال أسور فهو صغير ولكن مع الجودة وأما مايكون ثخين القشر خشنه فيندر كونه جيدا . ولحم البرتقال قد يكون أحيانا ملونا بلون أحمر نبيذى وما يكون كذلك يكون أكثر حلاوة وهذا موجود ببلادنا والكلام على ثمار البرتقال حقه أن يذكر فى المعدلات ولكن حيث أردنا استقصاء أجزاء النارنج والبرتقال وغيره من هذه الفصيلة هنا فلا لوم ، وكلما دخلت فى رتبة من رتب الادوية يناسبها شىء من تلك الاجزاء نحيل على هذا الموضع فاذن نقول البرتقال ثمر جليل طعمه سكرى ممزوج بطعم حمضى مقبول جدا مرطب ومن خصائصه حفظه زمنا ما بحيث يسهل نقله لمحال بعيدة فلذا يمكن وجدانه فى جميع البلاد ولكن الذى يراد نقله لمحال بعيدة يلزم اجتناؤه قبل تمام نضجه حتى قالوا ان ماينقل من بروونسة الى باريس فى شهر ديسمبر ليباع فى الايام من السنة يكون اخضر بالكلية حينما توضع فى الصحارات

(قشر ثمر النارنج والبرتقال) نعنى بذلك القشرة الظاهرة للثمر أى جزء الثمر الاصفر المتعرى حسب الامكان من المادة البيضاء العديمة الفعل الموجودة تحته وتلك القشرة غير مستوية أى خشنة فيها غدد مملوءة بدهن طيار ويكفى هرسها بين الاصابع ليقذف منها هذا السائل القابل للالتهاب بعيدا عنها وينال هذا الدهن من تلك القشور بتمزيق الخلايا المحتوية عليه ويجنى مايسيل منها وقد يستخرج منها أيضا بالتقطير فى الماء ويسمى الدهن الطيار النارنجى أو البرتقانى

(صفاته الطبيعية) هذا القشر يكون على شكل قطع مسطحة صفر قاتمة خشنة مقطبة من وجه وذلك ناشىء من وجود العدد الكثير من الغدد المحتوية فى الرطوبة على مقدار كبير من الدهن الطيار وطعمها مر عطرى حار لذاع ورائحتها مقبولة جدا

(خواصها الكيماوية) يحتوى هذا

القشر كما علمت على دهن طيار كثير محوى فى حوصلات كثيرة تصيره شفافا كالمنخل وذلك الدهن قريب الشبه من دهن الازهار ولكنه أنقى منه واذا ضغط على القشرة تجاه شعلة ضوئية احترق الدهن الخارج منه ناشرا رائحة مقبولة وكذا يحتوى القشر على مادة شديدة المرار والماء والكؤول يأخذان قواعده الفعالة يستخرج الدهن الطيار من قشر ثمار أنواع النارنجيات باحدى طريقتين فتارة بالتقطير وتارة بالعصر وتقوم هذه الاخيرة من تحويل الجزء الاصغر من القشر الى لب بالحك الناعم بمحكة ثم تعريض ذلك للضغط فى منسوج من الشعر فينال سائل ينفصل الى طبقتين احداهما سفلى مكونة من ماء وبعض بقايا وثانيتهما عليا هى الدهن الطيار الذى يكون ملونا دائما وذكى الرائحة جدا أكثر من الدهن المستخرج بالتقطير وهو قليل النقاوة لان فى محلوله بعض أجزاء ثابتة وبذلك لايكون أهلا لازالة النكت من الثياب لان الدهن وحده يتصاعد وتبقى المادة الملونة ثابتة على المنسوج (انظر مبحث الليمون)

(تحضير القشر) يجفف قشر البرتقال أو النارنج بعد تعريته حسب الامكان من الجوهر الابيض المغطى لسطحه الباطن

(الجواهر التى لاتتوافق معه) كبريتات الحديد ومنقوع الكينا الصفراء وماء الكلس

(الاستعمال) هذا القشر الكثير العطرية الحار الطعم يدخل فى كثير من المستحضرات الاقرباذينية ويعمل منه منقوع بأن يؤخذ منه جافا درهم أو ٢ لاجل رطلين من حامل مغلى وقد يركب من هذا المغلى شراب يقال له شراب البرتقان وهناك فرق عظيم بين تأثير هذا الشراب وشراب ماء زهر البرتقال . قال بربيير شاهدت استعمال الشراب الاول جملة مرات غلطا عن الشراب الثانى فحرض احتراقا مؤلما فى القسم المعدى بل وفى الصدر وقلقا وضجرا وأحدث قيأ مع أن شراب ماء الزهر لم ينتج شيأ من هذه العوارض والدهن الطيار المحوى فى هذه القشور يفيدها خاصة التنبيه فأجزاء هذا الدهن تؤثر فى المنسوجات الحية فتثير الحركات العضوية ولاتنس

فعل هذه القوة المؤثرة اذا دخلت تلك القشور فى تركيب أقرباذينى ولو على سبيل التعطير وكلما كان القشر أرق كان أعظم اعتبارا وكلما كان شحم البرتقال المغطى به أجود ويجفف القشر ليوضع فى العطريات وفى مشروبات الموائد المشهورة بأنها مقوية للمعدة وهاضمة وطاردة للريح واشتهر كونه مضادا للديدان وغير ذلك ويدخل فى الشراب المضاد للحفر وفى الروح الطارد للرياح السلفيوس وفى الصبغة المقوية للمعدة وغير ذلك ويربى وتعمل منه عجائن وغير ذلك وذكر أطباؤنا أن قشر الثمر الخارج اذا جفف وشرب منه وزن درهم ونصف بماء حار أزال مغص الفؤاد حالا وسكن القىء والغثيان وإذا شرب مع زيت وماء حار اخرج الدود الطوال واذا نقعت القشرة وهى رطبة فى دهن وسيما السيرج وشمست ٣ أسابيع نفعت فى كل ماينفع فيه دهن الناردين واذا شرب منه مثقال نفع من لدغة العقرب وسائر نهش الهوام الباردة السموم وكذا حبه نافع من سموم الهوام كما أن الجذور الدقاق للشجرة اذا جففت وسحقت وشربت بشراب كانت من أنفع الادوية النافعة من السموم الباردة القاتلة والاوربيون يسمون باسم أورنجيت أى النارنج الصغير أو البرتقال الصغير ثمار النارنج أو البرتقال التى تجنى بعد تكونها بزمن يسير وقبل ان تبلغ مقدار حجم الكرز وأكثر مايجنى من الثمار الساقطة بعد تزهرها بزمن يسير وطعم تلك الثمار مر عطرى وفيها خاصة التقوية والتنبيه واضحة وتقوم مقام الحمص فى التغيير على جرح الحمصة ولا تستعمل فى فرنسا الا فى ذلك . اما فى انكلترة فتستعمل كقشر النارنج وتدخل فى تركيب كثير من الادوية ويستخرج منها بالتقطير دهن طيار يسمى بدهن النارنج الصغير وخشب النارنجيات صلب مندمج معرق معروف وقابل للصقل الجيد ويعمل منه شبه حمص صغير للحمصة يستعمل كاستعمال الثمار الصغيرة

(المقدار وكيفية الاستعمال للقشر)

مقدار مسحوقه من نصف درهم الى درهمين ومنقوعه من درهمين الى ٣ لاجل رطلين من الماء المغلى ومنقوعة المركب يصنع بأربعة غرامات من ذلك القشر وغرامين من مطبوخ قشر الليمون الرطب وغرام

من القرنفل و ١٢٨ من الماء المقطر والمقدار للاستعمال من درهم الى ٤ دراهم يكون ذلك مرتين أو ٣ فى اليوم والصبغة النارنجية تعمل بأخذ ٣ من القشر و ٣٢ من الكؤول والاستعمال من درهم الى درهمين والماء الليمونى النارنجى من أوقية الى ٤ والشراب النارنجى من أوقية الى أوقيتين والمعجون النارنجى يصنع بأخذ غرام من قشر النارنج الرطب و ٣ من السكر والاستعمال من درهمين الى ٤ والدهن الطيار للقشر من نقطتين الى ٣ نقط والدهن السكرى النارنجى مثله ثم أن أوراق النارنج والبرتقان وأزهارها يلزم ذكر مايتعلق بها من مباحث العلاج فى مضادات التشنج ولكن أردنا استيفاء جميع أجزاء النارنج هنا واذا وصلنا لمضادات التشنج نحيل الكلام فى تلك الاوراق والازهار على ماهنا

(أوراق النارنج والبرتقان) قد علمت أن رائحة هذه الاوراق عطرية تتصاعد منها وتزيد اذا دلكت بين الاصابع وطعمها حار مر وهى مملوءة بغدد حوصلية تشاهد اذ وضعت بين العين والضوء ويدخل فى تركيبها ايضا مادة خلاصية ومادة تنينية ويلزم ان تجنى وهى فى أعظم خضرتها ويطرح منها ماكان متغيرا وما كان عتيقا على الشجر وما يسقط بنفسه ويلزم أن تجفف منعزلة عن بعضها في محل يضطرب فيه الهواء فى الظل وصناعة العلاج تجد فى هذه الاوراق خاصة مزدوجة فيوجد فيها أولا قوة منبهة من دهنها الطيار وثانيها قوة مشددة أى مقوية عامة يظهر أنها ناشئة من المواد الاخر ويلزم أن ينسب لفعل هاتين القوتين المنافع التى تنال من استعمال تلك الاوراق فى ضعف المعدة وبطء الهضم وعدم انتظامه ونحو ذلك ويكتفى عادة فى تلك الاحوال باستعمال منقوعها وحده قبل الاكل أو مع نبيذ عند الاكل فهذا الدواء يقوى وينبه عضو الهضم فيزيد فى فاعليته وشدته فى آن واحد وتستعمل تلك الاوراق كثيرا فى الامراض العصبية فبعض أكواب من منقوعها كثيرا ماتنجح لازالة ثقل الرأس المصاحب لضعف القوى العقلية والادبية والكسل وغير ذلك ومن المعلوم يقينا أن تجربة منافعها صيرتها دواء عاميا مستعملا عند العامة من غير استشارة الطبيب فى

كثير من الآفات الخيرية والتقلصات الاستيرية اى الاختناقية والتضايقات الوقتية والخفقانات القلبية والهبوط العصبى والآلام والتضايقات المعدية ونحو ذلك مع أنه يظهر من حال الاعضاء التى تظهر فيها تلك العوارض أنها سليمة وانما التأثير الغير المنتظم للنخاع المستطيل للامتدادات الفقرية وخصوصا للاعصاب العقدية هو الذى كدر الحركات الاعتيادية لتلك الاعضاء وحرض الافعال الغير المنتظمة الحاصلة منها فاذا كان هذا التغير فى التأثير العصبى ناشئا من سبب خفيف بحيث يكفى لاذهاب هذا السبب تنبه يغير الاستعداد الحاضر للجهاز المخي الشوكى كانت تلك الاوراق دواء قوى الفعل لكن أليس لتلك الاوراق فى تلك الحالة فعل خاص على المراكز العصبية؟ أفلا ينسب لها هذا الفعل الذى أرجع هذه المراكز لحالتها الاعتيادية وصار حينئذ هو الخاصة المضادة للتشنج؟ فاذا كانت هذه العوارض ناشئة من عمل التهابى فى بعض محال من أغشية المخ أو النخاع الشوكى أو الجوهر النخاعى للنصفين المخيين أو الامتدادات الفقرية فان تلك الاوراق

لا تناسب حينئذ بل تولد ظاهرات جديدة عصبية بعد أن تسكن الامراض الموجودة فالتهيج البسيط فى الجوهر النخاعى للمخ والنخاع الشوكى يغير النتائج التى تنتجها فى العادة أوراق البرتقان قال بربيير شاهدت ان هذه الاوراق بتأثيرها فى الرأس سببت هيئة سكر واعراضا غريبة فى النساء المختنقات اللاتى يستشعرن بعمل التهابى فى المخ وحصل لهم على طول السلسلة الفقرية آلام سمت للقسم المعدى وتضايق يظهر أنه حاصل من الحجاب الحاجز ووخزات منتشرة مبهمة فى الصدر وفى البطن ونحو ذلك وشاهدت أن كونه من منقوع هذه الاوراق القوى المتحمل حصل منه اضطراب وحالة سبات وهيئة اندفاع توجه للقلب والرأس وكانت مصاحبة لحرارة قوية لكن هذه النتائج لا تحصل الا للاشخاص الموجود فى مراكز جهازهم العصبى حساسية متزايدة وحالة مرضية لا تشاهد فى الاشخاص الذين جهازهم المخي الشوكى فى حالة اعتيادية ولو استعملوها بمقدار كبير كما تيسر لى تأكيد ذلك فى البحث عن دواء مضاد للحمي فى تلك

الاوراق حيث اعطيت مسحوقها بمقدار درهمين فى مرة واحدة. وقال بربيير أيضا استعملوا تلك الاوراق علاجا للصرع وظنوا أنهم وجدوا منها دواء مضادا لهذا الداء . وأقول قد اتضح نجاح أحوال تأكد فيها الوثوق بتلك الاوراق فى هذا الداء عند بعض الاطباء ففى جميع المصروعين الذين باشرت أحوالهم انتهى الحال معى بكشف آفة دائمة فيهم وتلك الآفة هى التى حرضت الآفات النوبيـة التى ينسب لها النوب الواصفة للصرع ويمكن أن تكون تلك الآفة التهابا مخيا جزئيا أو ورما فى أحد عظام الجمجمة أو ورما ناميا فى الأغشية المخية ضاغـطا على الجوهر المخى أو درنا أو خراجا فى ذلك الجوهر أو نحو ذلك ويمكن أن يكون مجلس تلك الآفة فى القلب اذ كثيرا ماشاهد فى المصروعين ضخامة البطين الايسر أو اتساعه واتساع الفتحة الاورطية ولكن فى وقت النوبة تظهر آفات أخر فتحصل فى الضفائر العصبية العظيم الاشتراكى تراكزات حيوية تثير فيها نوع حركة تذهب فى القسم الحجابى الحاجز الى الصدور فاذ نفذت فى الجمجمة حصل فى القسمين المخيين احتقان دموى وغير ذلك فى الآفة التى تعالج بتلك الاوراق من تلك الآفات . فنقول هى لا فعل لها فى معظم الآفات المستدامة التى توجد فى المصروعين لكن يمكن بتلك الاوراق التحرس من ظهور الآفات النوبية فتمنع حصول النوب . والاعتبار فى هذا هو المقـدار المستعمل من تلك الاوراق الموجهة قوتها المؤثرة لمعالجة الصرع والتشنجات فاذا اختير مسحوقها استعمل منه كل يوم من درهـمين الى أوقية بلوعا أو معجونا فاذا اختير مغليهـا وضع مقـدار من ٣٠ الى ٣٦ ورقة بل أكثر وتغلى فى لتر ونصف من الماء حتى ترجع الى لتر واحـد ويشربه المريض فى مدة النهار واستعمل بعض الاطباء ١٢٠ ورقة فى ٢٠ أوقية من الماء واضاف لهذا المغلى شيئا من نبيـذ أحمر وسـكر ومن المعلوم جيدا ان تلك الاوراق اذا استعملت بمقـادير كبيرة فان الفعل أى التأثير الحاصل منها يكون عاما فقواعدها تصير المخ والامتداد الفقرى فى حالة جديدة وتقاوم فى كثير من الاحوال الاندفاعات التى تخرجها عن الانتظـام

وتمنع تولد الآفات النوبية . وقبل أن يعرض المصروع للعلاج بأوراق البرتقان كثيراً مايضطر لتهيء جسمه وللتحرس من الاخطار التى يمكن ان تصدر من تنبه فجائى شديد فى جميع المنسوجات العضوية فاذا كان ممتلئا عولج بالفصد المناسب وكثيرا مايضطر للاستحمامات ونحو ذلك ولاتنس أنه يلزم غاية الاحتراس فى علاج الآفات العصبية والتشنجية ونحو ذلك اذا انحط الرأى على ايقاف سير العوارض المرضية أو ازالة شدتها بدواء من الادوية اذ هذه الامراض تكابد بطبيعتها ترددا وتقطعا بدون معرفة سبب ذلك فيلزم خصوصا فى الصرع والتشنجات والتقلصات ونحوها ان لاتنسب التحسينات التى تعرض مدة استعمال الدواء الطبى لذلك الدواء وانما تنسب للطبيعة وحدها ومعناه أن نسبتها للدواء المستعمل مشكوك فيها . قال بريير ايضا قد استعملت مسحوق هذا الدواء كدواء مضاد للحمى فرأيت أن مقدار درهمين فى نصف كوب من نبيذ أو من ماء سكرى سبب اولا ثقلا فى الجسم المعدى وضيق نفس وقطع الشهية وأثار القلس والقرف من الاغذية مدة ساعات وما شاهدت منه الغثيان والعطش الا نادرا ثم عرضت قولنجات وحركة فى البطن بدون استفراغ ثقل وحصل لبعض المرضى فى اليوم التالى اسهالا ولما أعطيت هذه الاوراق بهذا المقدار لم يتعرض منها ظاهرة خفيفة ولا تكدر فى ممارسة الحواس ولا فى الادراكات ولا فى القوى العقلية وأوراق البرتقان أو النارنج واسطة ضعيفة فى علاج الحميات المتقطعة فاستعمالها يكاد لايحدث تنوعا فى النوب وزيادة على ذلك أن المقدار اللازم اعطاؤه فى ذلك كبير جدا بحيث يعسر تناوله فتقذفه المرضى ويكرهون استعماله انتهى

(الاجسام التى لاتتوافق مع تلك الأدوية) كبريتات الحديد ومنقوع الكينا الصفراء وماء الكلس

(المقدار وكيفية الاستعمال) قد علمت مما سبق أن أوراق البرتقان والنارنج تستعمل مسحوقة بمقدار من ١٢ قمحة الى غرام بل أكثر فى مرة واحدة واذا أريد منها نتيجة عامة استعملت بمقدار درهمين الى نصف أوقية ومنقوعها يصنع بمقدار درهمين لاجل رطلين من الماء

وكذا مغليه أى مطبوخها الأأن المطبوخ لايحتوى الا على يسير من جزئها العطرى وانما يوجد فيه بالاكثر قواعدها المرة وأما المنقوع فيحتوى على جميع الجزء العطرى ولذا كان أعظم. وكثيرا ماتجمع مع الزيزفون والمياه المقطرة للاوراق مثل المياه المقطرة للازهار كما ان معظم مستحضرات الاوراق كالازهار سنذكرها فى مبحثها الآتى على الاثر

(أزهار النارنج والبرتقال) هى أزهار النبات المسمى ...روس أورنطيوم كماسبق وهذه الاهداب الزهرية المتعرية عن الكاس أو غيره من أجزاء الزهرة شديدة الرائحة وفيها مرار يسير والعطر المتصاعد منها معدود من أجل الاعطار المعروفة لكن لاينبغى استنشاقه فى بيت صغير مغلق وسيما فى الليل خوفا من الاختناق ويجنى ذلك الزهر طريا لاجل استعماله لانه اذا جف فقد جزءا عظيما من عطريته بحيث لايعرف حينئذ وفى البلاد الحارة لايكون لاجتناء الازهار وقت معلوم فقد تجنى فى معظم السنة لكون الشجرة تحمل منها دائما كما تحمل من الثمار كذلك فلذا لا يجنى الا جزء من تلك ويترك الباقى على الشجرة ليصير ثمرا كاملا أما فى أوربا فلا ينضج من تلك الثمار الا يسير. كذا قال أطباء الاوربيين مع ان اجتناء الازهار له فى بلادنا وقت معلوم وهو أوائل الربيع ويجمع من تلك الازهار الساقطة تحت الشجر مقدار كبير يجمعه الزراعون ويبيعونه للتعطير ولا يأخذون مما على الشجر الا اليسير بل لايأخذون شيأ وذكروا أن الشجرة فى نيس من أعمال فرنسا قد يؤخذ منها من ٢٠ الى ٣٠ رطلا من الزهر ويؤخذ منها من نضيج البرتقان الف وربما ارتفعت الشجرة هناك من ٤٠ الى ٥٠ قدما فرنساويا ويقال ان فى نيبال من أعمال ايطاليا أيضا قد يؤخذ من الشجرة الواحدة من ٥ آلاف الى ٦ آلاف ثمرة فى السنة

(الخواص الكيماوية) يستخرج من زهر البرتقال أو النارنج بالتقطير ماء مقطر تختلف صفاته باختلاف البلاد الآتى منها فمنها مايكون فيه دهن ومنه مالا يكون فيكون صافيا شفافا واذا سد بخشب الخناف حمض وفسد وصار شديد المرار وأكد هنرى أن الماء المقطر

بالبخار لا يحمض ولا يرسب منه ندف ولا ينفصل منه دهنه بل يبقى محفوظا جيدا وذكر رويبل أنه يمكن تحضير هذا الماء فى كل وقت ويكفى لذلك تحويل الزهر الى عجينة فى ربع وزنه من الملح عند اجتنائه ويجعل ذلك المخلوط فى قنينة يؤخذ منها عند الحاجة فيمكن تقطير هذه الازهار بعد جملة سنين فيكون الماء ذكى الرائحة كما يحضر من الازهار الرطبة وأكد ذلك سلفير أيضا

(الاستعمال) الفعل المنبه للازهار قليل الشدة ولكن يؤثر تأثيرا واضحا على المجموع العصبى كتأثير مضادات التشنج فيستعمل منقوعها ومغلوها لمقاومة الآفات العصبية والاكثر استعمال مائها المقطر فيستعمل هذا الماء المر الطعم وحده كثيرا بالملاعق الصغيرة أو يضاف على مشروبات المرضى وقد يكون هو الحامل فى كثير من الجرعات ويخدم أيضا لتعطير المربيات والسكريات والمياه السكرية التى تستعملها الناس بعد الاكل لتقوية الهضم أو لدفع التكدرات الوقتية فتصير بذلك تلك المشروبات نافعة مقبولة وقد يحول ذلك الماء الى شراب ويركب أيضا من هذه الازهار عنبرى مقبول وكؤولات وتلك الازهار تحتوى على دهن طيار لطيف ثمين أشقر اللون حريف قوى الرائحة ينال بالتقطير ويسمى فى بيوت الادوية بدهن زهر النارنج والبرتقان (دهن نيرولى) ويحتوى هذا الدهن على رأى بليصون على مادة قابلة للتبلور يمكن أن تعد فى الاجسام الدسمة ولها خواص تميزها عن الاجسام الشبيهة بها مثل امبريتين وقولسترين وغير ذلك . كذا قال ميره .
وقال سوبيران النيرولى أى دهن الزهر يحتوى على دهن صلب قابل للتبلور كشفه بليصون وسماه أورادو وفصله بوضع النيرولى فى الكؤول الذى فى ٨٥ من مقياس الكثافة لجيلوساك وتركه ساكنا مدة أيام . انتهى ووجد بولييه فى تلك الازهار غير الدهن الطيار قاعدة صفراء مرة تذوب فى الماء والكؤول ولا تذوب فى الاتير ومادة صمغية وزلالا وخلات الكلس وحمضا خليا زائد المقدار . ويحقق بلنس انه يوجد فيه كبريت كما وجد بولييه أيضا فى هذا الدهن المادة المذكورة التى تتجمد وتصير دسمة كبياض القيطس أى من السمك وليس لها رائحة

ولا طعم وهى المادة التى ذكرها بليصون وهذا الدهن الطيار يخدم لتعطير مستحضرات دوائيـة مختلفة مثل بلسم أبو دلدوك وغيره والماء المقطر يؤثر على الاعضاء الحية تأثيراً منبها خفيفا فاذا استعمل بالملاعق الصغيرة سكن أو أضعف العوارض التشنجية الناشـئة من تغيـير تأثير الاعصاب على الاعضاء الرئيسة وأذهب التضايق والقىء والتجمعات الهوائية فى الامعاء والقولنجات والخفقانات القلبية وجميع أنواع الحركات التشنجية ونحو ذلك مع أن الادوية المنبهـة الاخر قد لا تنجح فى هذه العوارض أفلا ينسب احداث النتائج العلاجية المنالة فى تلك الحالة للتأثـير المنبه الذى فى الماء المقطر المذكور؟ أليس هـذا الماء المر محتويا على قاعـدة يكون تأثيرها على المخ والنخاع وأعصاب المجموع العقدى هو سبب نجاح علاج تلك الآفات العصبية؟ والغالب استعمال هذا الماء فى الحميات الغير المنتظمة قبل استعمال الوسايط القوية التى فيها قوة على اذهاب التقلصات والتضـايق والتوتر المؤلم فى الحجاب الحاجز فان هذه أمراض تضاعف الداء وتزيد فى الاخطار

وهذا الماء يدخل فى أغلب الجرعات المضادة للتشنج فى كثير من المستحضرات الوقتية التى تقاوم بها الآفات العصبيـة ككثـير من المركبات الطبيـة المدخرة أيضا كالماء الالهى والملكى والاكسير المقوى للمعدة والمطبوخ الابيض وغير ذلك ويؤخذ ذلك الماء سواء من أزهار النارنج أو البرتقال العذب أو النارنج المربل بفضل المستخرج من أزهار النارنج المر لأن رائحتها أذكى وقال أطباؤنا ثم الزهر يقوى الدماغ ويطرد الرياح ويحلل الزكام الخفيف واذا احتمل أدر الطمث وشربه ينفع من لسعة العقرب ويعمل منه دهن يقوم مقام دهن الناردين فى جميع خصاله وهذا ألطف منه واذا شرب نقيعه سهل الولادة مجرب وقال انه يستقطر منه ماء طيب الرائحة ذكى مفرح واذا جعل الزهر فى الشيرج ٣ أسابيع ناب ذلك الدهن عن دهن الناردين وغيره . انتهى

(المقدار وكيفية الاستعمال للازهار)

تستعمل أهداب الزهر منقوعة أيضا بمقدار من غرامسين الى ٥ غرامات للتر من الماء فيكون هذا المشروب مقويا ومضاداً للتشنج فى آن واحد وقد يكون

نافعا لمقاومة ضعف المعدة والآفات العصبية مع كون هذا المنقوع مقبولا فى الشرب جدا . نعم المستعمل منه عموما ماؤه المقطر فى الآفات العصبية والتشنجية وكيفية تحضيره ان يؤخذ من الازهار الجنية جديدا خمسة كيلوغرامات ومن الماء العام المقدار الكافى وتوضع الازهار بدون تراكم على حجاب حاجز مثقب ومهيأ فى الجزء العلوى من القرعة التى يصب فيها قبل ذلك المقدار اللازم من الماء ويتمم جهاز التقطير ويقطر بالبخار ويبقى السائل المتكاثف مرسب لاجل عزل الدهن الطيار منه ويداوم على التقطير حتى ينال من الماء المقطر ٢٠ كيلو غراما وهذا الماء هو ماء زهر النارنج المزدوج على حسب الدستور اذا استخرج ٥٠٠ غرام ماء من ٥٠٠ غراما من الزهر فاذا استخرج من الماء بقدر الزهر ٤ مرات حصل ماء زهر النارنج المربع واذا وضعت الازهار مع الماء البارد كما كان يفعل سابقا وأغلى الكل كان الناتج متكدرا . اما اذا وضع الزهر بعد اغلاء الماء فان النارنج يكون صافيا ويوصل لذلك اذا قطرت الازهار بالبخار كما ذكرنا . ثم ان الحمض الخلى الذى يحتوى عليه ماء زهر النارنج يمر بالتقطير وسيما فى آخر العملية ولاجل منع وجود هذا الحمض فى الماء حيث يكون خطرا اذا مر هذا الماء فى أوانى من نحاس ذكر يوليه ان يخلط كل ٥٠٠ غرام من الزهر بثمان غرامات من المغنيسيا والمقدار للاستعمال من الماء المقطر من ٣٠ غراما الى ٥٠ غراما فى جرعة ويحضر شراب زهر النارنج بجزء من الماء المقطر وجزء من السكر الشديد البياض والمقدار منه للاستعمال من ٣٠ الى ٥٠ غراما . واما عطر ازهار النارنج المسمى نيرولى فينفصل على سطح الماء اذا قطر زهر النارنج ويحتوى ذلك العطر كما قلنا على نوعين من الدهن الطيار أحدهما سائل والثانى صلب سماه بليصون باسم أوراد وينفصل اذا صب الكؤول الذى فى ٣٦ درجة من الكثافة فى الدهن الطيار الخام ويستعمل هذا الدهن المسمى نيرولى على السكر بمقدار من ٢ الى ٦ نقط كدواء مضاد للتشنج ومنقوع زهر النارنج يصنع كمنقوع الاوراق بمقدار من ٥ غرامات الى ١٥ لاجل كيلو غرام من الماء والكؤولات أى الصبغة للازهار

أو الاوراق أو قشور الثمار يصنع بأخذ غرام منها و ٤ غرامات من الكئول الذى فى ٢٤ درجةمن الكثافة و المقدار للاستعمال من غرامين الى ١٠ غرامات فى جرعة

(الفصل الثانى فى الليمون وقشره)

الليمون وقد تحذف نونه سماه لينوس ستروس مسيدكا وسماه ريصو ستروس ليمو نيوم وبعضهم يرى أن هذا اسم لنوع غير الاول وانه المسمى ليمونيير بالافرنجية وأما الاول فهو المسمى بالافرنجية سترونيير وقد يسمى بما معناه الليمون الاعتيادى ولكن الا كثر على أن مدلول الاسمين واحد. وهو ينبت طبيعة بالهند ثم حمل الى آسيا واوربا الجنوبية ووصل الى جبال البرينيا ويعلو اكثر من شجر النارنج وساقه معتدلة متفرعة تفرعا كثيرا وهى غالبا بنفسجية وتحمل شو كا سيا فى الحالة الوحشية واوراقه بيضاوية مستطيلة منتهية بحرف دقيق مسننة لونها اخضر مصفر ومحمولة على ذنيبات منفصلة بدون تجنح فى جوانبها والازهار عديدة متوسطة المظم ومهيئة غالبا بهيئة عناقيد ملونة من الخارج بلون احمر بنفسجى وكأسها قصير يقرب لان يكون مسطحة ذا خمسة أسنان والاهداب ٥ عديمة الحامل والذكور سائبة فى الغالب غير ملتصقة بأعسابها على هيئة حزم والثمار بيضاوية صفر زاهية وجلدها رقيق تختلف رقته باختلاف الاصناف وهو املس وأحيانا يكون ثخينا خشنا و تنتهى الثمار من الاعلى بحلمة مخروطية واللب الحوى فيها مملوء بعصارة حمضية مقبولة ومن تلك الثمار ما يبلغ رأس الطفل التام الاشهر وحويصلات الدهن الطيار الذى فى القشر مقعرة والمستعمل من النبات ثمره المسمى ستروس وبزوره وقشر ثمره المسمى زيست واصناف هذا النوع كثيرة واستنبت بالاكثر في حوض البحر المتوسط ويندر وجودها فى بساتين البرتقانيات بباريس والفضل فى انتشارها لخلفاء العرب الذين امتدت سلطتهم لعمق آسيا الجنوبية والى جبال البرينيا وتركوا فى جميع الاماكن التى كانت تحت أيديهم آثارا مهمة من قوتهم ومعارفهم فى الطب والزراعة فشجر الليمون من جملتها انتشر فى الجهات التى استولوا عليها فلذا يوجد فى بلاد الشام وفلسطين أشجار منها

من أواخر القرن الحادى عشر العيسوى بل يظهر أنه فى ذلك الزمن نفسه تضاعف بافريقية وبلاد الاندلس ويظهر أن المحاربين الذين تصدوا لقتال المسلمين فى الحروب المشهورة هم الذين أدخلوا شجر الليمون ايطاليا وسيسليا وقشر الليمون له رائحة جميلة مخصوصة وهو أحد العطريات التى يرغب فيها بسبب مافيه من الدهن الطيار ويحضر من هذا القشر سوائل وعطريات ومربيات وغير ذلك ويصنع منه شراب ويدخل فى المياه الترياقية والمياه المليسية المركبه والماء الملكى وغير ذلك ولبه يدخل فى الاقراص المعدنية والاقراص الليمونية والقشر المذكور مقو وطارد للرياح والدهن الطيار المستخرج منه سائل ليمونى شفاف رائحته زكية جدا واذا نيل على البارد ونقى كان عديم اللون وينفع للتعطير ويدخل فى صناعة عمل الارواح وفى أعمال بيوت الادوية وفى بعض الترياقات وغير ذلك . ويستعمل ضد الدود والقرع . والدهن المستخرج بالتقطير يكون أقل ذكاوة ويخدم لازالة الشحم من الخرق والثياب والدهن الليمونى يتحد بالحمض المريانى ويتكون من ذلك شبه

ملح يصح ان يسمى مريات ليمونى وبزر الليمون حريف مر يقال أنه مضاد للديدان والسموم ونحوها وهو من الادوية المقوية والطاردة الرياح ويدخل فى معجون الياقوت ومعجون سليمان والمغلى المر والمسحوق المضاد للديدان . ويحضر من قشور جذور الليمون فى جوادلوب خلاصة تستعمل كمسحوق فى الحميات على رأى بعضهم وذكر أطباؤنا لليمون منافع جليلة وحصروا منافعه أيضا فى القشر والحامض والبزر وقالوا أما القشر فيظهر من مرارته وحرافته اليسيرة وقبضه الخفى وعطريته الظاهرة أن طبيعته التسخين القريب من الاعتدال والتجفيف البين ولذا كان مزاجه حارا يابسا والماء فيه من المرارة والقبض والعطرية كان مقويا للمعدة خاصة ومنبها لشهوة الغذاء ومعينا على جودة الاستمراء ومطيبا للنكهة محركا مطيبا للجشاء مقويا للقلب مصلحا لكيفية الاخلاط الرديئة وفيه مع ذلك مواد زهرية تقاوم بها مضار السموم المشروبة والمصحوبة ويخلص منها . هذا حكمه اذا أخذ على جهة الدواء فأما على جهة الغذاء فهو عسر الانهضام بطىء الانحدار قليل الغذاء

ويدل على ذلك صلابة جرمه وعسر مضغه وبقاء طعمه ورائحته فى الجشاء مدة طويلة وأما حاضه فحقه ان يذكر فى المعدلات وأما بزره ففيه باد زهرية يقاوم بها سم ذوات السموم كبزر الاترج الحامض الا أنه أضعف منه قليلا والشربة منه من مثقال الى درهمين مقشورا إما بشراب وإما بماء حار ومضغه يذهب ضرس حمض الليمون قالوا والليمون المملوح إدام حسن يطيب النكهة والجشاء ويقوى المعدة ويذهب بلتها ويعينها على جودة الاستمراء وهضم الاغذية الغليظة ويزيل وخامتها ويقوى القلب والكبد ويفتح سدد الكلى ويدر البول وينفع من كثير من العلل الباردة كالفالج والاسترخاء ويقاوم سم ذوات السموم وقالوا: ومن الليمون صنف مركب على أترج يسمى بالليمون الصينى وهو الاستيوب المعروف فى مصر بالحامض الشعيرى أو الليمون الشعيرى ويسمى أحيانا بليمون أضاليا انتهى . وأما الدهن الطيار فهو واحد فى جميع النباتات النارنجية التى منها الليمون واستخراجه من الليمون كاستخراجه من غيره فاذا قطر الزهر انفصل مقدار من الدهن يسبح على سطح الماء ويسمى نيرولى كما ذكرنا ورائحته عطرية ذكية تختلف عن رائحة الازهار قال سوبيران ويظهر أن النيرولى ناتج من تغير الدهن الطيار الطبيعى فان هذا الطبيعى أكثر ذوبانا من النيرولى ويبقى محلولا فى الماء ويمكن اثبات وجوده فيه بتحريك الماء المقطر مع الاتير الخالى من الكؤول فالاتير بتصاعده من نفسه يترك مقدارا يسيرا من دهن طيار رائحته مثل رائحة الازهار ويذوب بسهولة فى الماء وقد ذكرنا أن النيرولى يحتوى على دهن صلب قابل للتبلور سماه بليصون أوراد وفصله بالكؤول كما سبق وقد علمت أن قشر الثمر تنبذر فى جزئه الخارج حوصلات أو خلايا مملوءة بدهن طيار منه بخلاف جزئه الابيض فانه يحتوى على مادة مرة تكون على شكل خلاصة مرة لاتذوب فى الاتير وتذوب فى الكؤول وكشف فى قشر الليمون أيضا جوهر قابل للتبلور سموه سابقا اسبيردين ويظهر كما قال سوبيران أنه ينسب للراتينجيات القابلة للتبلور وهو لايذوب فى الكؤول البارد أو يذوب فيه قليلا وليس للاطباء فى هذا الجوهر اهتمام طبى وينبغى أن

تعلم أولا أن بزور النارنجيات لاتحتوى على دهن وانما تحتوى على مادة مرة قابلة للتبلور سماها برنيه باسم ليمونين وهى غير قابلة للذوبان فى الماء ولاقى الاتيروتذوب جيدا فى الكؤول وفى الحوامض الممدودة وثانيا أن الادهان الطيارة المستخرجة من الليمون أو غيره من النارنجيات تستخرج كما ذكرناسابقابالعصر أوبالتقطير فقشور الليمون أو النارنج أو البرتقان أو الاترج أو البرجوت أو الليميت أو الاستيوب تجهز مقدارا من الدهن يكون على حسب مافى هذا الجدول

				بالعصر	بالتقطير
برجوت	١٠ بالعدد فيهامن اللب ٣ كيلوغرامات و٥٠٠ غراما			١٠	٠٠
أترج مثله		٣	٠٠٠	٥٠	٢٧
ليمون مثله		٣	٥٠٠	٦٠	٤٤
استيوب مثله		٣	٥٠٠	٣٠	٣٤
برتقان مثله		٣	٦٠٠	٨٠	٨٨

والدهن الطيار لليمون مركب من ١٠ من كربون و٨ من أدروجين فيكون تركيبه مثل تركيب الدهن الطيار للتربنتينا ولكن سعته للشبع مزدوجة ويحصل منه مع الحمض كلوراديك كافوران أحدهما صلب والآخر سائل ودهن الليمون سوى رائحته يتميز أيضا عن دهن التربنتينا بكونه فيه قوة الدوران الى اليمين لاالى اليسار ومثل ذلك الدهن الطيار للاترج والاستيوت والبرجوت فان تركيب هذه الادهان واحدودورانها لجهة واحده . قال سوبيران ومع ذلك يظهر أن دهن البرجوت يحتوى على دهن أوكسيجينى ليس هو الا الادرات الذى شاهدته مع الكيماوى المسمى قبطان ويوجد أيضا مقدار يسير جدا من دهن أوكسيجينى فى الادهان الاخر للنباتات النارنجية والمستحضر المسمى بالدهن السكرى يصنع بنقطة من الدهن الطيار و ٤ غرامات من السكر يمزجان بالتهوين وتلك المستحضرات هى المستعملة فى العادة كعطر من الاعطار وهى ذكية الرائحة اذا نيلت بحك السكر على القشر الرطب للثمر ثم تهوين ذلك لاجل اناله

مسحوق متحمل أيضا للدهن فى جميع أجزائه فيؤخذ لذلك ليمونة أو نارنجة أو برتقانة واحدة و ٨ غرامات من السكر وتحضر كئولات الليمونات بأخذ غرام من قشر ثمر الليمونيات و٦ من الكئول وبعد ٣ أيام أو ٤ من النقع يقطر الى الجفاف على حمام مارية ويحضر بمثل ذلك كئولات البرتقانيات والنارنجيات والاترج والبرجموت . وذكر سوبيران هنا ماء قلونيا وجهزه بأخذ ١٦ غرامات من كل من الدهن الطيار لكل من الليمون والبرجموت والاستيوب والنارنج والحبوب الصغيرة للنارنج و ٨ من كل من الدهن الطيار للاترج واكليل الجبل والخزامى وأزهار النارنج والبرتقان و ٤ من الدهن الطيار للقرفة و ١٥٠ من الكئول الذى كثافته فى مقياس كرتيير ٣٤ فتحل الادهان فى الكئول وبعد بضعة أيام يقطر على حمام مارية حتى يقرب من الجفاف ويضاف على النارنج ٢٠٠ غرام من كئولات المليسيا المراكب و٣٠ من كئولات الرومران أى اكليل الجبل. انتهى وقال بوشردة فى تحضير ماء قلونيا يؤخذ من الدهن الطيار لكل من البرجموت والليمون والاترج ٩٦ غراما ولكل من اكليل الجبل وزهر النارنج والخزامى ٤٨ غراما ومن دهن القرفة ٢٤ ومن الكئول الذى فى ٣٤ من مقياس كرتيير ١٢٠٠ ومن كئول المليسا المركب ١٥٠٠ غرام ومن كئولات اكليل الجبل ١٠٠٠ غرام تذاب الادهان فى الكئول ويضاف لها النوعان من الكئولات وتترك ملامسة لبعضها مدة ٨ أيام ثم تقطر على حمام مارية الى أن لايبقى فى القرعة الا خمس المخلوط فى السائل فالمقطر هو ماء القلونيا. كذا فى الدستور . وهذا الماء أكثر مايستعمل للزينة والتعطير ويقل استعماله للتداوى فيصح استعماله مروخا خفيفة منبهة وصبغة قشور الليمون تحضر كتحضير صبغات غيرها من النارنجيات فيؤخذ غرام من القشور و ٥ غرامات من الكئول الذى فى ٢١ من مقياس كرتيير فينقع ذلك مدة ١٥ يوما ثم يصفى مع العصر ويرشح وهذه الصبغة دوائية وتحتوى فى آن واحد على الجزء العطرى والجزء المر الذى فى القشر فاذا استخدمت للتعطير حضرت بأن يوضع فى قنينة مع الكئول النقى الجزء الاصفر الخارج العطرى

الذى أخذ على هيئة خيوط رقيقة بواسطة سكين ويوجد فى تلك الصيغة جميع ذكاوة الثمر الرطب وهى أهل لتعطير الاطعمة والتحاضير الدوائية ويحضر بتلك الكيفية شراب القشر من النارنجيات المرة فيؤخذ عرام من القشر و٧ من الماء المغلى ومقدار كاف من السكر الابيض أى بقرب الى ١٠ غرامات فيصب الماء المغلى على القشور وبعد نقعه ١٢ ساعة أو ٢٤ يرشح السائل ويذوب فى اناء مسدود ١٨٠ غراما من السكر لكل ١٠٠ غرام من السائل فعشرة غرامات من الشراب تعادل نصف غرام من قشر النارنج المر أو غيره وشراب القشر الرطب لليمونيات كشراب قشر البرتقان أو النارنج العذب يحضر بجزء من القشر الرطب الرقيق للنارنج أو غيره و٥ غرامات من الماء المغلى فيعمل شراب بذوبان بسيط لمائة جزء من المنقوع و١٨٠ من السكر

﴿نارنشك﴾ قال داود الانطاكى فارسى معناه رمان برى قيل هو الجلنار أو بريه أو أقماع المتدى منه أو هو رمان صغار لا ينفتح عن بزر بل عن شىء احمر يوجد بخراسان وهذا هو الصحيح وهو حلو يابس فى الثانية أو هو بارد فى الاولى أجل منافعه قطع البخار عن الرأس وازالته الوسواس والماليخوليا ويحبس النزف والاسهال ويشد الاعضاء ويهضم بالعصر ويزيل اللزوجات شربا والعرق وسيلان القروح طلاء وذرورا وهو يضر المثانة ويصفر اللون ويصلحه دهن اللوز والمرارة خصوصا ان كان حره فى الثالثة كما قيل وتصلحه الهندبا وشربته درهم وبدله نصفه قشر فستق وربعه زنجبيل وسدسه سنبل أو بدله مثله كمون

﴿ناركيسا﴾ هو فلفل الماء لا الخشخاش الاسود وهو فوق ثلاثة أذرع ورقه كورق الزيتون أسود شديد الملاسة له حب كالبندق الى السواد قوى اللذع والحرافة حار يابس فى الثانية يحلل الرياح شربا ويزيل الاورام والآثار طلاء (ومن خواصه) ان الكرسنة والبازلة وما قاربهما اذا سلق فى مائه وجفف وغش به الفلفل لم يعرف واذا مسح به الوجه عند القيام من النوم نفخه وحمر لونه جدا وبه تدلس المواشط

﴿نار قيصر﴾ نبت دقيق أحمر الى

صفرة خفيفة يجلب من الروم ويسمى بعصر ساق الحمام وهو عطرى طيب الرائحة حار يابس فى الثانية يحلل الرياح والمغص ويفتح السدد ويقال انه يفرح ويدر البول والدم شربا ويحلل الصلابات وضربان المفاصل طلاء وشربته الى مثقال

﴿ناصور﴾ النواصير هى قنوات ضيقة مستطيلة غالبا يخرج منها صديد واذا كانت مستطرقة الى قنوات طبيعية فيخرج منها متحصلات افراز أو مواد تمر فى تلك القنوات

وتحصل النواصير من عدم التصاق جدران الجرح الخارجة بعضها ببعض لان جلد الخارجة يكون على الغالب رقيقا ومنفصلا عما تحته فلا توجد فيه العروق الدموية الكافية لافراز الليمفا المكونة التى يتم بها الالتصاق فتتخلف عنها النواصير. وقد علمنا ان تباعد الحوافى يمنع الالتحام وقلنا بوجوب تقريبها ووضع العضو الوضع اللائق لذلك فاذا لم يراع هذا الشرط تولد الناصور ومن الاسباب أيضا استمرار مرور القيح فى مجرى طويل يمتنع به الالتحام ويشاهد ذلك بنوع خاص عند وجود جسم غريب أو عظم متسوس

العلاج -- يختلف باختلاف نوع الناصور فالنواصير الجلدية تعالج بالضغط بلازوق وبالحقن المنبهة والقابضة فان لم ينجع ذلك يستدعى الطبيب لشق الجلد المنفصل وكشف قعر الجرح ومعالجته اذ ذاك كجرح بسيط

أما النواصير المستطرقة الى التجاويف الطبيعية أو المسببة عن نخر ونسوس فى العظام فعلاجها منوط بالطبيب دون سواه

﴿ابن ناقيا﴾ هو أبو القاسم عبد الله وقيل عبد الباقى بن محمد بن الحسين ابن داود بن ناقيا الاديب الشاعر اللغوى المترسل

قال ابن خلكان هو من أهل الحريم الظاهرى وهى محلة ببغداد وكان فاضلا بارعا وله مصنفات حسنة مفيدة منها مجموع سماه ملح المالحة ومنها كتاب الجمان فى تشبيهات القرآن وله مقامات أدبية مشهورة واختصر الاغانى فى مجلد واحد وشرح كتاب الفصيح وله ديوان شعر كبير وديوان رسائل وذكره العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة وأثنى عليه وذكر طرفا من أحواله وأورد له هذين

البيتين فى بعض الرؤساء واقتصد فكتبهما اليه :

جعل الله ذو المواهب عقبا
لك من الفصد صحة وسلامة
قل لبمناك كيف شئت استهلى
لاعدمت الندى فأنت غمامة

ولقد أجاد فيهما ومن شعره أيضا :

اخلاصى ماصاحبت فى العيش لذة
ولا زال عن قلبى حنين التذكر
ولا طاب لى طعم الرقاد ولا اجتنت
لحاظى مذ فارقتكم حسن منظر
ولا عبثت كفى بكاس مدامة
يطوف بها ساق ولا جس مزهر

وكان ينسب الى التعطيل ومذهب الاوائل وصنف فى ذلك مقالة وكان كثير المجون . وحكى الذى تولى غسله بعد موته انه وجد يده اليسرى مضمومة فاجتهد حتى فتحها فوجد فيها كتابة بعضها على بعض فتسهل حتى قرأها فاذا بها مكتوب:

نزلت بجار لا يخيب ضيفه
أرجى نجاتى من عذاب جهنم
وانى على خوف من الله واثق
بأنعامه فالله أكرم منعم

ومولده فى منتصف ذى القعدة سنة عشر واربعمائة . وتوفى ليلة الاحد رابع المحرم سنة خمس وثمانين واربعمائة ودفن بباب الشام ببغداد رحمه الله تعالى

ونافيا بفتح النون وبعد الالف قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها الف وقد تقدمت له أبيات مرتبة فى ترجمة الشيخ ابى اسحق الشيرازى

﴿نانخواه﴾ هذا الاسم معرب عن نانخواه الفارسى ومعناه طالب الخبز كأنه يشهى الطعام اذا ألقى على الارغفة قبل خبزها أو فى عجينة الخبز واهل مصر تسميه نخوة هندية وأهل الاندلس يسمونه نانخة وهو أيضا الكمون الملوكى ويسمى بالافرنجية أمى بفتح الهمزة وتشديد الميم المكسورة وقد جعل الآن عند النباتيين اسما لجنس من الفصيلة الخيمية خماسى الذكور أحادى الاناث ولهذا الجنس مشابهة كبيرة واضحة ولجنس دوقوس حيث لا يختلف عنه الا بثماره الغير المرصعة بنقط شوكية اذ يوجد له كأس كامل وتويج ذو ه أهداب متساوية قلبية الشكل وه ذكور ومهبلان متباعدان عن بعضهما

محيط ورقه عام ثنائى التشقق ومحيطات وريقية زهرية خاصة مركبة من وريقات ريشية أو بسيطة وثماره صغيرة بيضاوية رفيعا على كل وجه ٥ أضلاع بارزة ويدخل فى هذا الجنس ٥ أنواع أو ٦ تقرب فى الشكل من نباتات الجزر وأكثرها استعمالا هو المقصود لنا هنا المسمى عند لينوس باللسان النباتى امى ماجوس

(صفاته النباتية) الساق تعلو من قدم الى قدمين محززة تقرب لأن تكون زووية وهى عديمة الزغب والاوراق السفلى ثنائية الترييش ووريقاتها بيضاوية سهمية بسيطة أو فصية فى القاعدة مسننة تسنينا منشاريا عديمة الزغب والعليا وريقاتها ضيقة مستطيلة والمحيط الوريقى الزهرى العام وريقاته ثلاثية التشقق وأضيق ومستطيلة والمحيط الوريقى الخاص وريقاته نحو ١٢ وتقرب لأن تكون دقيقة خشنة والاهداب ذوات فصين منحرفين والازهار بيض وتزهر فى يوليه ويوجد هذا النبات فى المحال المزروعة بأماكن كثيرة من اوروبا وبلاد العجم والمستعمل من النبات بزره

(صفاتها الطبيعية) هذه البزور صغيرة مخضرة محززة مستطيلة عديمة الزغب منتهية بطرفين دقيقين ورائحتها ضعيفة . وقال أطباء العرب هى حب معروف اصغر من الكمون ويشبه حب الخردل قوى الرائحة والحدة والحرافة يجلب من الهند وبلاد فارس ويغش فى مصر ببزر الخلال أى الوخشيزك والفرق ضعف المرار وأجوده الصغار الرزين المائل الى حمرة وبياض . انتهى . لكن قول شبهه لحب الخردل بعيد جدا واما شبهه للوخشيزك فقريب وأما النبات المسمى أمى ويروم أى الحقيقى المسمى عند الصيدلانيين لانين أمى والجارس أى العام الذى فضل عليه النبات المسمى أمى كندية المنسوب لجزيرة كريد وهو عند بعضهم أمى ويتيروم فهو عند لينوس سيزون امى اى فجنسه عند لينوس غير جنس النوع السابق وان كان الجنسان من فصيلة واحدة وينبت فى جنوب فرنسا وفى جزائر الروم فبزوره المحمولة على خيم جانبية تكون صغيرة كرية مضلعة سنجابية مخضرة عطرية خالية من الزغب ويندر الآن وجود هذا البزر فى المتجر الاوربى واذا وجدت كان الغالب كونها من أمى

ماجرس وقد يوجد النوعان معـا مختلطين ومسميين باسم اى أى نانخواه وتلك البزور كلها فيها مرار قليل

(الاستعمال) اشتهرت تقوية هـذه البزور للمعدة وطردها للريح وأمر بها متيول وغيره علاجا لعقم النســاء وأكد بعضهم فاعليتها فى ذلك وفى علاج الازهار البيض وتدخل النانخواه فى الترياق ولاطباء العرب كلام كثير فى النانخواه فنقلوا عن جالينوس انه قال انما يستعمل من النبات بزوره وقوته مجففة مسخنة لطيفة وفى طعمه مرار يسير وحرافة واذا كان كذلك كان مدرا للبول محللا ولذا يوضع من الاسخان والتجفيف فى الدرجة الثالثة . وعن ديسقوريدس يصلح اذا شرب بالشراب للمغص وعسر البول ونهش الهـوام وقد يدر الطمث ويخلط بالادوية المدرة التى يقع فى اخلاطها الزراوند ليضـاد عسر البول واذا خلط بالعسل وتضمد به قلع الـكمنة من العين وما جد فى العين من نحو مدة واذا شرب أو تلطخ به أحال لون البدن الى الصفرة واذا تدخن به مع الزفت والزراوند نقى الرحم . وقال أبو جريج طبيخه يحل النفخ البتة وحبه يذهب البلة والحميـات العتيقة وطبيخه يصب على لسع العقرب فيسكن وجعه . وقال الفارسى انه يقطع القيح الذى فى الصدر والمعدة ويسكن الرياح ويهضم الطعام وهو جيد لوجع الفؤاد والغثيان وتقلب النفس ويذهب بالحالة التى لايجد الانسان فيها طعم الطعام فى فيه طيبا أو طعم الماء كذلك . وقال فولس انه يسخن المعـدة والكبد أى الباردتين ويضر الحارتين الا اذا قلل منه منقوعا فى الخل أو أخذ عليه سكنجبين ساذج . وقال ابن ماسويه انه ينقى الكلى والمثـانة . وقال الطبرى انه يذيب الحصاة وقد يخرج الدود ودود القرع وقال اذا أكل بالعسـل فعل ذلك أيضا . ويقال اذا سحقت تلك البزور وعجنت بعسل وطلى به الوجع فى أى موضع كان من البدن حللت ورمه وأزالت وجعـه واذا أضيف اليها الطفل أى طين قيموليا كانت فى ذلك ابلغ واذا حقن بها الرحم نقتها وجففت رطوبتها العفنة وحسنت رائحتها واذا جعلت مع الادوية المسهلة نفعت من يعتريهم منها مغص . وقال اسحق ابن سليمان اذا خلطت بالادوية النافعة

من البرص والبهق قوت فعلها وزادت فى تأثيرها . وقالوا انماءها المقطر يحل عسر النفس فى الوقت وينفع من الفالج والرعشة وفيه مع فاطر الدار صينى ولسان الثور تفريح يعدل الخمر واذا أغلى ٣ مثاقيل منها فى رطل حليب وأوقية من السكر حتى يعود الى النصف وشرب فوق الحم ممن بافراط وقالوا ان بدلها فى غير التسمين مثلاها شونيز . انتهى من أنواع جنس اى مايذكر على الاثر (المادة الطبية)

﴿الناوسية﴾ أتباع رجل يقال له ناوس وقيل نسبوا إلى قرية ناوسا قالت ان الامام الصادق حي بعد ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره وهو القائم المهدى ورووا عنه أنه قال لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلاتصدقوا فانى صاحبكم صاحب السيف . وحكى أبو حامد الزوزنى أن الناوسية زعمت ان عليا مات وستنشق الارض عنه يوم القيامة فيملأ العالم عدلا وأما الافطحية فقد قالوا بانتقال الامامة من الصادق الى ابنه عبدالله الافطح وهو أخو اسماعيل من أبيه وأمه وأمها فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن على وكان أسن أولاد الصادق زعموا أنه قال الامامة فى أكبر أولاد الامام وقال الامام من يجلس مجلسى وهو الذى جلس مجلسه والامام لايغسله ولايصلى عليه ولا يأخذ خاتمه ولايواريه الا الامام وهو الذى تولى ذلك كله ودفع الصادق وديعة الى بعض أصحابه وأمره أن يدفعها الى من يطلبها منه وأن يتخذه أماما وما طلبها منه أحد الا عبد الله ومع ذلك ماعاش بعد أبيه الا سبعين يوما ومات ولم يعقب ولداً ذكراً من الامامية الشمطية أتباع يحيى بن أبى شميط قالوا أن جعفرا قال ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم وقد قال له والده ان يولد لك ولد فسميته باسمى فهو امام فالامام بعده ابنه محمد

﴿نانأ﴾ عجز و (نانأ فى الرأى) ضعف

﴿نأى﴾ عنه ينأى نأيا بعد . و (أنآه) بعده

﴿نبا﴾ عنه سمعه ينبو أى تجافى و(تنبأه الخبرَ) أخبره به ومثله (أنبأه) و (تنبّأ) ادعى النبوة وتكلم بالنبوة . و (النَّبَأ) الخبر . و (النُّبُوءة) اسم من النبي وهى الاخبار عن الله. و(النبى) المخبر عن الله بوحى

النبوة والانبياء — الكلام فى النبوة والانبياء من أهم أركان الفلسفة الدينية والكلام فيها يطول لما يقتضيه من ايراد آراء علمائنا المتقدمين وشبهات الماديين المعاصرين والخوض فى اقوالهم واستخلاص نتيجة حاسمة من مجموع نظرياتهم لذلك عولنا أن نبدأ هذا البحث بايراد أقوال علمائنا الاقدمين ثم نردفه بشبهات الماديين المعاصرين ثم ندلى برأينا فى هذا الباب والله الموفق للصواب

قال العلامة ابن حزم فى كتاب (الفصل):

« ذهبت البراهمة وهى قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند ويقولون انهم من ولد برهمى ملك من ملوكهم قديم ولهم علامة ينفردون بها وهى خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا الا انهم انكروا النبوات . وعمدة احتجاجهم فى دفعها أن قالوا لما صح ان الله عز وجل حكيم وكان من بعث رسولا الى من يدرى انه لا يصدقه فلا شك فى أنه متمنت عابث فوجب نفى بعث الرسل عن الله عز وجل لنفى العبث والعنت عنه وقالوا أيضا ان الله تعالى انما بعث الرسل الى الناس ليخرجهم بهم من الضلال الى الايمان فقد كان أولى به فى حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول الى الايمان به . قالوا فبطل ارسال الرسل على هذا الوجه أيضا ومجىء الرسل عندهم من باب الممتنع . وأما نحن فنقول ان مجىء الرسل قبل أن يبعثهم الله تعالى واقع فى باب الامكان وأما بعد أن بعثهم الله عز وجل ففى حد الوجوب . ثم أخبر الصادق عليه السلام عنه تعالى انه لا نبى بعده فقد جد الامتناع ولسنا نحتاج الى تكلف ذكر قول من قال من المسلمين ان مجىء الرسل من باب الواجب واعتلالهم فى ذلك بوجوب الانذار فى الحكمة إذ ليس هذا القول صحيحا وانما قلنا الذى بيناه فى غير موضع أنه تعالى لا يفعل شيأ لعلة وانه تعالى يفعل مايشاء . وان كل مافعله فهو عدل وحكمة أى شئ كان . فيقال وبالله التوفيق لمن احتج بالحجة الاولى من أن الحكمة تضاد بعثة الرسل وان الحكيم لا يبعث الرسل الى من يدرى أن يعصيه . انكم اضطركم هذا الاصل الفاسد الحاكم

بذلك الى موافقة الثانية على اصولها فى ان الحكيم لا يخلق من يعصيه ولا من يكفر به ويقتل أولياءه وهم يقولون ان الله تعالى خلق الخلق ليدلهم بهم على نفسه ويقال لهم قد علمنا وعلمتم ان فى الناس كثيرا يجحدون الربوبية والوحدانيـة فقالوا انه ليس حكيا من خلق دلائل لمن يدرى انه لا يستدل بها . فان قالوا انه قد اسـتدل بها كثير. قيل لهم وقد صدق الرسول أيضا كثير. فان قالوا انه خلق الخلق كما شاء . قيل لهم . وكذلك بعث الرسل أيضا كما شاء . فبعثته تعالى الرسائل هى بعض دلائله التى خلقها تعالى ليدل بها على المعرفة به تعالى وعلى توحيـده . ويقال انه احتج بالحجة الثانية من ان الاولى به انه كان يضطر العقول الى الايمان به ان هذا قول مرذول مردود عليـكم فى قولكم ان الله عز وجل خلق الخلق ليدلهم بهم على نفسه ووحدانيته فيلزمكم على ذلك الاصل الفاسد انه كان الاولى اذ خلقهـم ان لا يدعهم والاسـتدلال وقد علـم ان فيهم من لا يسـتدل وان فيهم من يغمض عليـه الاستدلال فـكان الاولى فى الحـكمة ان يضطر عقولهم الى الايمـان به ولا يكلفهم مؤنة الاستدلال وان يلطف بهم الطافا يختار جميعهم معها الايمـان كما فعل بالملائـكة

(قال ابو محمد) يعنى نفسه . وملاك هذا كله ما قد قلناه فى غير موضع من أن الخلق لما كانوا لا يقع منهم فعل الا لعلة ووجب بالبراهين الضرورية ان البارىء تعالى بخلاف جميع خلقه من جميع الجهات وجب أن يكون فعله لا لعلة بخلاف أفعال جميع الخلق وانه لا يقال فى شيء من أفعاله تعالى انه فعل كذا لعلة ولا اذا جاء الانسان بالنطق وحرمـه سائر الحيوان وخلق بعض الحيوان صائدا وبعضه مصيدا وباين بين جميع مفعولاته كما شاء فليس لاحد ان يقول لم خلق الانسان ناطقا وحرم الحمار النطق وجعل الحجر جامدا لا حياة له ولا نطق؟ وهذا أصل قد اوقفتنا البراهمة عليه وسائر من خالفنا من تفريع هـذا المعنى ممن يقول بالتوحيد. وهكذا اذا بعث تعالى الانبياء ليس لأحد أن يقول لم بعثهم أو لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ولا لم بعثهم فى هذا الزمان دون غيره من الازمان ولا لم بعثهم فى هذا المـكان

دون غيره من الامكنة كما لا يقال لم حباه بالسعد فى الدنيا دون غيره وهكذا كل ما فى العالم اذ نظر فيه تعالى الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

(قال ابو محمد) وإذ قد نقضنا شغبهم بحول الله تعالى وتأييده فلننقل الآن بعون الله تعالى وتأييده فى اثبات النبوة اذا وجدت قولا بينا وبالله تعالى التوفيق: قد قدمنا فيما خلا اثبات حدوث الأشياء وان لها محدثا لم يزل واحدا لا مبدأ له ولا كان معه غيره ولا مدبر سواه ولا خالق غيره فاذ قد ثبت هذا كله وصح انه تعالى اخرج العالم كله الى الوجود بعد ان لم يكن بلا كلفة ولا معاناة ولا طبيعة ولا استعانة ولا مثال سلف ولا علة موجبة ولا حكم سابق قبل الخلق يكون ذلك الحكم لغيره تعالى فقد ثبت انه لم يفعل إذ لم يشأ وفعل إذا شاء كما شاء فيزيد ما شاء وينقص ما شاء فكل منطوق به مما يتشكك فى النفس والا يتشكك فهو داخل له تعالى فى باب الامكان على ما بينا فى غير هذا المكان الا أننا نذكر ههنا طرفا ان شاء الله عز وجل فنقول وبالله تعالى نتأيد

أن الممكن ليس واقعا فى العالم وقوعا واحدا ألا ترى ان نبات اللحية للرجال ما بين الثمانى عشرة الى عشرين سنة ممكن وهو فى حدود الاثنى عشرة سنة الى العامين ممتنع . وان حل الاشكالات العويصة واستخراج المعانى الغامضة وقول الشعر البديع وصناعة البلاغة الرائقة ممكن لذى الذهن اللطيف والذكاء النافذ وغير ممكن من ذوى البلادة الشديدة والنباوة المفرطة . فعلى هذا ما كان ممتنعا بيننا اذ ليس فى بنيتنا ولا فى طبيعتنا ولا من عادتنا فهو غير ممتنع على الذى لا بنية له ولا طبيعة له ولا عادة عنده ولا رتبة لازمة لفعله. فاذ قد صح هذا فقد صح أنه لا نهاية لما يقوى عليه تعالى فصح ان النبوة فى الامكان وهى بعثة قوم قد خصهم الله تعالى بالفضيلة لا لعلة الا انه شاء ذلك فعلمهم الله تعالى العلم بدون تعلم ولا تنقل فى مراتبه ولا طلب له ومن هذا الباب مايراه احدنا فى الرؤيا فيخرج صحيحا وما هو من باب تقدم المعرفة فاذا قد أثبتنا ان النبوة قبل مجيء الأنبياء عليهم السلام واقعة فى حد الامكان فلننقل الآن بحول الله تعالى وقوته على

وجوبها اذا وقعت ولا بد فنقول اذا قد صح ان الله تعالى ابتدأ العالم ولم يكن موجوداً حتى خلقه الله تعالى فبيقين ندرى ان العلوم والصناعات لايمكن البتة ان يهتدى أحد اليها بطبعه فيا بيننا دون تعليم كالطب ومعرفة الطبائع والامراض وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التى لاسبيل الى تجربيها كلها أبدا وكيف يجرب كل عقار فى كل علة ومتى يتهيأ هذا ولاسبيل له الا فى عشرة آلاف من السنين ومشاهدة كل مريض فى العالم وهذا يقطع دونه قواطع ثلاث الشغل بما لابد منه من أمر المعاش وذهاب الدول وسائر العوائق وكعلم النجوم ومعرفة دورانها وقطعها وعودها الى افلاكها مما لايتم الا فى عشرة آلاف من السنين ولا بد من أن يقطع دون ضبط ذلك العوائق التى فيها وكاللغة التى لايصح تربية ولا عيش ولا تصرف الا بها ولا سبيل الى الاتفاق عليها الا بلغة أخرى ولا بد، فصح انه لابد من مبدأ للغتما . وكالحرث والحصاد والدراس والطحن وآلاته والعجن والطبخ والحلب وحراسة المواشى واتخاذ الانسان منها والغرس واستخراج الادهان ودق الكتان والقنب وغزله والقطن وحياكته وقطعه وخياطته ولبسه وآلات كل ذلك وآلات الحرث والارحاء والسفن وتدبيرها فى القطع بها للبحار والدواليب وحفر الآبار وتربية النخل ودود الخز واستخراج المعادن وعمل الابنية منها ومن الخشب والفخار وكل هذا لاسبيل الى الاهتداء اليه دون تعليم فوجب بالضرورة ولابد انه لابد من انسان واحد فأكثر علمهم الله تعالى ابتداء كل هذا دون معلم لكن بوحى حققه عنده . هذه صفة النبوة فاذا لابد من نبى أو أنبياء ضرورة فقد صح وجود النبوة والنبى فى العالم بلا شك

ومن البرهان على ماذكرنا اننا نجد كل من لم يشاهد هذه الامور لا سبيل له الى اختراعها البتة كالذى يولد وهو أصم فانه لايمكن له البتة الاهتداء الى الكلام ولا الى مخارج الحروف وكالبلاد التى ليست فيها بعض الصناعات وهذه العلوم المذكورة كبلاد السودان والصقالبة وأكثر الامم وسكان البوادى . نعم والحواضر لايمكن البتة منذ أول العالم الى وقتنا هذا ولا الى انقضائه اهتداء

أحـد منهم الى علم يعرفه ولا الى صناعة لم يعرف بها فلا سبيل الى تهديهم اليها البتة حتى يعلموها ولو كان ممكنا فى الطبيعة التهدى اليها دون تعليم لوجـد من ذلك فى العالم على سعتـه وعلى مرور الازمان من يهتـدى اليها ولو واحـداً وهذا أمر يقطع على أنه لا يوجد ولم يوجـد وهكذا القول فى العلوم ولا فرق ولسنا نعنى بهذا ابتداء جمعها فى الكتب لان هذا أمر لا مؤنة فيه انما هو كتاب ماجمعه الكاتب وأحصاه فقط كالكتب المؤلفـة فى المنطق وفى الطب وفى الهنـدسة وفى النجوم وفى الهيئـة والنحو واللغة والشعر والعروض انما نعنى ابتـداء مؤنة اللغـة والكلام بها وابتداء معرفة الهيئة وتعلمها فابتداء أشخاص الامراض وأنواعها وقوى العقاقير والمعاناة بها وابتداء معرفة الصناعات فصح بذلك انه لابد من وحى من الله تعالى فى ذلك

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا أيضا برهان ضرورى على حدوث العالم وان له محدثا مختارا ولا بد (اذ لا بقاء للعالم البتة الا بنشأة ومعاش ولا نشأة ولا معاش الا بهـذه الاعمال والصناعات والآلات ولا يمكن وجود شىء من هـذه كلها الا بتعليم البارى تعالى فصح ان العالم لم يكن موجودا اذ لا سبيل الى بقائه الا بما ذكرنا ثم وجد معلما مدبرا مبتدئا بتعليمه على ماذكرنا وبالله تعالى التوفيق

(قال أبى محمد رضى الله عنه) واذ قد تكلمنا على أنه لابد من نبوة وصح ذلك ضرورة فلنتكلم على براهينها التى يصح بها علم صدق مدعيها اذا وقعت فنقول انه قد صح أن البارى تعالى هو فاعل كل شىء ظهر وانه قادر على اظهار كل متوهم لم يظهر وعلمنا بكل ماقـدمنا انه تعالى مرتب هذه الرتب التى فى العالم ومجريها على طبائعها المعلومة منا الموجودة عندنا وانه لا فاعل على الحقيقة غيره تعالى (ثم) رأينا خلافا لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت ووجدت طبائع قد أحيلت وأشياء فى حد الممتنع قد وجبت ووجدت كصخرة انفلقت عن ناقة ، وعصى انقلبت حية ، وميت أحياه انسان ، ومئتين من الناس رووا وتوضأوا كلهم من ماء يسير فى قدح صغير يضيق عن بسطة اليد فيـه لا مادة له (فعلموا) أن محل هذه الطبائع وفاعل

هذه المعجزات هو الاول الذى أحدث كل شيء ووجدنا هذه القوى قد أصحبها الله تعالى رجالا يدعون اليه ويذكرون أنه تعالى أرسلهم الى الناس ويستشهدون به تعالى فيشهد لهم بهذه المعجزات المحدثة منه تعالى فى عين رغبة هؤلاء القوم اليه فيها وضراعتهم اليه فى تصديقهم بها فعلمنا علما ضروريا لامجال للشك فيه انهم مبعوثون من قبله عزوجل وانهم صادقون فيما أخبروا به عنه تعالى اذ لاسبيل فى طبيعة مخلوق فى العالم الى التحكم على البارىء ولا على طبائع خلقه بمثل هذا ووجوب النبوة اذ ظهر على مدعيها معجزة من احالة الطبائع المخالفة لما بنى عليه العالم وقد تكلمنا فى غير هذا المكان على أن هذه الاشياء لها طرق توصل الى صحة اليقين بها عند من لم يشاهدها كصحتها عند من شاهدها ولا فرق وهى نقل الكافة التى قد استشعرت العقول بداياتها والنفوس بأول معارفها انه لاسبيل الى جواز الكذب ولا الوهم عليها وأن ذلك ممتنع فيها فمن تجاهل وأجاز ذلك عليها خرج عن كل معقول ولزمه ان لايصدق ان من غاب عن بصره من الانس أنهم أحياء ناطقون كمن شاهد وأن صورهم على حسب الصورة التى عاين ولزم أن يكون عنده ممكنا فى بعض من غاب عن بصره من الناس أن يكونوا بخلاف ما عهد من الصورة اذ لا يعرف أحد أن كل من غاب عن حسه فانه فى مثل كيفية ما شاهد من نوعه الا بنقل الكواف ذلك كما نقلت أن بعضهم بخلاف ذلك فى بعض الكيفيات فوجب تصديق ذلك ضرورة كبلاد السودان وما أشبه ذلك . ويلزم من يصدق خبر الكافة ويجيز فيه الكذب والوهم أن لايصدق ضرورة بأن أحدا كان قبله فى الدنيا ولا أن فى الدنيا أحدا الا من شاهد بحسه . فان جوز هذا عرف بقلبه أنه كاذب وخرج عن حدود من يتكلم معه لأن هذا الشيء لا يعرف البتة الا من طريق الخبر لا غير فان نفر من هذا وأقر بأنه قد كان قبله ملوك وعلماء ووقائع وأمم وأيقن بذلك ولم يكن فى كثير منها شك بل هى عنده فى الصحة كما شاهد ولافرق ، سئل من أين عرفت ذلك وكيف صح عندك فلا سبيل له أصلا الى أن يصحح ذلك عنده الا بخبر منقول نقل

ـكافة وبالله تعالى التوفيق ، فنقول له حينئذ فرق بين ما نقل اليك من كل ذلك وبين كل ما نقل اليك من علامات الانبياء ولا سبيل له الى الفرق بين شيء من ذلك أصلا فان قال الفرق بينها وبينها انه لا ينكر أحد هذه الامور وكثير من الناس ينكرون أعلام الانبياء قيل له وبالله تعالى التوفيق ان كثيرا من الناس لايعرفون كثيرا مما صح عندك من الاخبار العارضة لمن كان فى بلادك قبلها فليس جهلهم بها ودفعهم لها لو حدثوا بها مخرجا لها عن الصحة وكذلك جحد من جحد أعلام الانبياء ليس مخرجا لها عن الوجوب والصحة فان قال انه ليس يجد الناس على الكذب فيما كان قبلنا من الاخبار ما نجدهم على الكذب فى أعلام النبوة قيل له وبالله التوفيق هذا كذب بل الامر انهما سواء لافرق بينهما ومن الملوك من يشتد عليهم وصف اسلافهم بالجور والظلم والقبائح ويحمى هذا الباب بالسيف فما دونه فما انتفعوا بذلك فى كتمان الحق . قد نقل ذلك كله وعرف كما نقلت فسائل من يغضب من ملوك الزمان من مدحه كفضائل على رضى الله عنه ما قدر قط ملوك بنى مروان على سترها وعليها وقد رام المأمون والمعتصم والواثق على سعة ملكهم لاقطار الارض قطع القول بأن القرآن غير مخلوق فما قدروا على ذلك وكل نبى فله عدو من الملوك والأمم يكذبونهم فما قدروا قط على طى اعلامهم ولا على تحقيق ما زادوا على ذلك لن يغضب له من لادين له فصح ان الامرين سواء وان الحق حق . فان قال قائل فلعل هذا الذى ظهرت منه المعجزات قد ظفر بطبيعة وخاصية قدر بها على اظهار ما ظهر قيل له وبالله التوفيق ان الخواص قد علمت ووجوه الحيل قد أحكمت وليس فى شيء منها عمل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ما ظهر من اختراع الماء الذى لم يكن ولا فى شيء منه احالة نوع الى نوع آخر دفعة على الحقيقة ولا جنس الى جنس آخر دفعة على الحقيقة وهذا كله قد ظهر على أيدى الانبياء عليهم السلام فصح أنه من عند الله تعالى لا مدخل لعلم انسان ولا حيلة فيه ونحن نبين ان شاء الله الفرق الواضح بين معجزات الانبياء عليهم السلام وبين ما يقدر عليه بالسحر وبين حيل العجائبيين

فنقول وبالله تعالى التوفيق

ان العالم كله جوهر وعرض لاسبيل الى وجود قسم ثالث فى العالم دون الله تعالى . فأما الجواهر فاختزعها من ليس الى أنس وهو من العدم الى الوجود فممتنع غير ممكن البتة لاحد دون الله تعالى مبتدىء العالم ومخترعه فمن ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة الجيش فهى معجزة شاهد ان الله تعالى له بصحة نبوته لا يمكن غير ذلك أصلا ولذلك احالة الاعراض التى هى جوهريات ذاتيات وهى الفصول التى تؤخذ من الاجناس وذلك كقلب العصا حية وحنين الجذع واحياء الموتى الذين رموا وصاروا عظاما والبقاء فى النار ساعات لا تؤذيه وما أشبه ذلك وكذلك الاعراض التى لا تزول الا بفساد حاملها كالفطس والزرق ونحو ذلك فهذا لا يقدر عليه أحد دون الله تعالى بوجه من الوجوه . وأما احالة الاعراض من التغيرات التى تزول بغير فساد حاملها فقد تكون بالسحر ومنه طلسمات كتنفير بعض الحيوانات من مكان ما فلا يقربه أصلا وكإبعاد البرد ببعض الصناعات وما أشبه هذا وقد يزيد الامر ويفشو العلم ببعض هذا النوع حتى يحسبه أكثر الناس كالطير والاصباغ وما أشبه هذا وأما التخييل نوع من الخديعة كسكين مثقوبة النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآها انها دخلت فى جسد المضروب بها فى حيل غير هذه من حيل أرباب العجائب والحلاج وأشباهه فأمر يقدر عليه من تعلمه وتعلمه ممكن لكل من أراده فالذى يأتى به الانبياء عليهم السلام هو احالة الذاتيات ومن ذلك صرف الحواس عن طبائعها كمن أراك ما لا يراه غيرك أو مسح يده على مريض فأفاق أو سقاه ما يضرعلته فبرىء أو أخبر عن الغيوب فى الجزئيات من غير تعديل ولا فكرة فهذه كلها احالة الذاتيات وما ثبت اذ ثباتها لا يكون الا لنبى فاذ قد تكلمنا على مكان النبوة قبل مجيئها ووجوبها حين وجودها فلنتكلم الآن بحول الله وقوته على امتناعها بعد ذلك فنقول وبالله تعالى التوفيق . اذ قد صح كل ما ذكرنا من المعجزات الظاهرة من الانبياء عليهم السلام شهادة من الله تعالى لهم يصدق بها أقوالهم فقد وجب

علينا الانقياد لما أتوا به ولزمنا تيقن كل ماقالوا وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الكواف التى نقلت نبوته وأعلامه وكتابه أنه أخبر أنه لانبى بعده الاماجاءت الاخبار الصحاح بنزول عيسى عليه السلام الذى بعث الى بنى اسرائيل وادعى اليهود قتله وصلبه فوجب الاقرار بهذه الجملة وصح أن وجود النبوة بعده عليه السلام باطل لايكون البتة وبهذا يبطل أيضا قول من قال بتواتر الرسل ووجوب ذلك أبدا ولكل ماقدمناه مما أبطلنا به من قال بامتناعهما البتة اذ عمدة حجة هؤلاء هى قولهم ان الله حكيم والحكم لايجوز فى حكمه أن يترك عباده هملا دون انذار

(قال أبو محمد) وقد أحكمنا بحول الله تعالى وقوته قبل هذا أن الله تعالى لاشرط عليه ولاعلة .وجبة عليه أن يفعل شيئا ولا ان لايفعله وانه تعالى لو أهمل الناس لكان حقا وحسنا لو خلقهم كما خلق سائر الحيوان الذى لم يلزمه شريعة ولا حظر عليه شىء وانه تعالى لو واتر الرسل والنذارة أبدا لكان حقا وحسنا لما فعل بالملائكة الذين هم حملة وحيه ورسله أبدا وانه تعالى لوخلق الخلق كفارا كلهم لكان ذلك منه حقا وحسنا أو لو خلقهم مؤمنين كلهم لكان حقا وحسنا كما أن الذى فعل تعالى من كل ذلك حق وحسن وانه لايقبح شىء الامن مأمور منهى فقدمت الاوامر وجوده وسبقت الحدود المرتبة للاشياء كونه ، وأما من سبق كل ذلك فله أن يفعل مايشاء ويترك مايشاء لامعقب لحكمه . وأما الملائكة فكل من له معرفة ببنية العالم والافلاك والعناصر فانه يعلم أن الارض وعمقها أقرب الى الفساد من سائر العناصر ومن سائر الاجرام العلوية وانها مواتية كلها وان الحياة انما هى النفوس المنزلة قسرا إلى مجاورة الاجساد الترابية المواتية من جميع الحيوان فقد ثبت يقينا بضرورة المشاهدة أن محل الحياه وعنصرها ومعدنها ومواضعها انما هوهنالك من حيث جاءت النفوس الحية الناقصة بما فى طبعها من مجاورة هذه الاجساد والتثبت بها عن كمال ماخص بالحياة الدائمة ولم يشن ولا نقص فضله وصفاؤه بمجاورة الاجساد الكدرة المملوءة آفات ودرنا وعيوبا فصح أن العلو الصافى هو محل الاحياء

الفاضلين السالمين من كل رذيلة ومن كل نقص ومن كل مزاج فاسد المحوين بكل فضيلة فى الخلق وهذه صفة الملائكة عليهم السلام وصح بهذا أن على قدر سعة ذلك المكان يكون كثرة من فيه من أهله وعماره وانه لانسبة لهذا المحل الضيق والنقطة الكدراء وما هنالك كما لانسبة لمقدار هذا المكان من ذلك وبهذا صحت الرواية وهكذا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كثرة الملائكة فى الاخبار المسندة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم وبهذا وجب أن يكونوا هم الرسل والوسائط بين الاول تعالى الذى خصهم بالنبوة والرسالة وتعليم العلوم وبين انقاذ النفوس من الهلكة

(الرد على من زعم أن الانبياء عليهم السلام ليسو أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم رسلا)

(قال أبو محمد) حديث فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم ليس هو الآن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قول ذهب اليه الاشعرية

وأخبرنى سليمان بن خلف الباجى وهو من مقدميهم اليوم أن محمد بن الحسن بن فورك الاصبهانى على هذه المسئلة قتله بالسم محمود ابن سبكتكين صاحب مادون وراء النهر من خراسان رحمه الله

(قال أبو محمد) وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولما أجمع عليه جميع أهل الاسلام مذ كان الاسلام الى يوم القيامة وانما حملهم على هذا قولهم الفاسد أن الروح عرض والعرض يفنى أبدا ويحدث ولا يبقى وقتين فروح النبى صلى الله عليه وسلم عندهم قد فنيت وبطلت ولا روح له الآن عند الله تعالى وأما جسده فى قبره موات فبطلت نبوته بذلك ورسالته

(قال أبو محمد) ونعوذ بالله من هذا القول انه كفر صراح لاتردد فيه ويكفى من بطلان هذا القول الفاحش الفظيع انه مخالف لما أمر الله عز وجل به ورسوله صلى الله عليه وسلم واتفق عليه جميع أهل الاسلام من كل فرقة وكل نحلة من الاذان فى الصوامع كل يوم خمس مرات فى كل قرية من شرق الارض الى غربها بأعلى أصواتهم قد

قرنه الله تعالى بذكره أشهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله فعلى قول هؤلاء الموكاين الى أنفسهم يكون الاذان كذبا ويكون من أمر به كاذبا وانما كان يجب أن يكون الاذان على قولهم أشهد أن محمدا كان رسول الله والا فمن أخبر عن شيء كان وبطل انه كائن الآن فهو كاذب فالأذان كذب على قولهم وهذا كفر مجرد . وكذلك ما اتفق عليه جميع أهل الاسلام بلا خلاف من أحد منهم من تلقين موتاهم لا إله الا الله محمد رسول الله فانه باطل على قول هؤلاء وكذلك ماعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته الامة وأمره عن الله عز وجل بأن يعمل به بعده أبدا وأجمع على القول به والعمل به جميع أهل الاسلام من أول الاسلام الى آخره ومن شرق الارض الى غربها انسهم وجنهم. يقين مقطوع به دون مخالف فيما تخرج به الدماء من التحليل الى التحريم أو الى الحقنة بالجذبة من أن يعرض على أهل الكفر أن يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله فيجب على قول هؤلاء المحرومين آن هذا باطل وكذب وانما كان يجب ان يكلفوا ان يقولوا ان محمد كان رسول الله وكذلك قوله تعالى (ورسلا قدقصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) وكذلك قوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) وقوله تعالى (وجيء بالنبيين والشهداء) فسماهم الله رسلا وقد ماتوا وسماهم نبيين ورسلا وهم فى القيامة وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النص من قول كل مصل فرضا أو نافلة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فلو لم يكن روحه عليه السلام موجودا قائما لكان السلام على العدم هدرا . فان قالوا كيف يكون ميتا رسول الله وانما الرسول هو الذى يخاطب عن الله بالرسالة ؟ قيل لهم نعم يكون من أرسله الله تعالى مرة واحدة فقط رسولا لله تعالى أبدا لأنه حاصل على مرتبة جلالة لا يحطه عنها شيء أبدا ولا يسقط عنه هذا الاسم أبداً ولو كان ما قلتم لوجب أن لا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا الى أهل اليمن فى حياته لانه لم يكلمهم ولا شافههم ويلزم أيضا ان لايكون رسول الله الا مادام يكلم الناس فاذا سكت أو أكل أو نام أو جامع لم يكن رسول الله

وهذا حمق مشوب بكفر وخلاف للاجماع المتيقن ونعوذ بالله من الخذلان . وأيضا فان خبر الاسراء الذى ذكره الله عز وجل فى القرآن وهو منقول نقل التواتر وأحد أعلام النبوة ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى الانبياء عليهم السلام فى سماء سماء فهل رأى الأرواحهم التى هى انفسهم ومن كذب بهذا أو بعضه فقد انسلخ عن الاسلام بلا شك ونعوذ بالله من الخذلان وهذه براهين لا محيد عنها وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر أن لله ملائكة يبلغونه منا السلام وأنه من رآه فى النوم فقد رآه حقا ولقد بلغنى عن بعضهم أنهم يقولون أن أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم لسن الآن أمهات المؤمنين لكنهن كن أمهات المؤمنين

(قال ابو محمد) وهذا ضلال بحت وحماقة محضة ولو كان هذا لوجب أن لا تكون أم المرء التى ولدته وأبوه الذى يلده أباه ولا أمه الا فى حين الولادة والحمل من الام فقط وفى حين الانزال من الأب فقط لا بعد ذلك وهذا من السخف الذى لا يرضى به لنفسه ذو مسكة فان قالوا أتقولون أن عمر أمير المؤمنين اليوم أو عثمان ايضا كذلك؟ قلنا لهم لا وهذا اجماع لانه لا يكون أميرا الا من الائتمار لامره واجب وليس هذا لاحد بعد موته الا للنبى صلى الله عليه وسلم وانما هو الخليفة بعد خليفة طول حياته فبطل أن يكون لهم فيهما متعلق . انتهى

نقول هذا ما قاله العلامة ابن حزم فى كتابه الفصل ونرى أن نأتى بقول عالم كبير من علمائنا المحدثين وهو الشيخ محمد عبده فى كتابه رسالة التوحيد ثم نبدى رأينا على هذه الاقوال وننظر الى أى حد تقاوم الشبهات المادية العصرية ثم نلقى على مجموع هذه المذاهب المتخالفة نظرة عامة ونحاول حلها على حسب أسلوبنا وبالله التوفيق

قال العلامة الشيخ محمد عبده فى كتابه المذكور تحت عنوان حاجة البشر الى الرسالة قال رحمه الله :

﴿ حاجة البشر الى الرسالة ﴾

« سبق لك فى الفصل السابق ما يهم الكلام عليه من الوجه الاول وهو وجه ما يجب على المؤمن اعتقاده فى الرسل والكلام فى هذا الفصل موجه ان شاء الله

الى بيان الحاجة اليهم وهو معترك الافهام ومزلة الاقدام ومزدحم الكثير من الافكار والاوهام ولسنا بصدد الاتيان بما قال الاولون ولا عرض ماذهب اليه الآخرون ولكنا نلزم ماالتزمنا فى هذه الوريقات من بيان المعتقد والذهاب اليه من أقرب الطرق من غير نظر الى ما مال اليه المخالف أو استقام عليه الموافق اللهم الا اشارة من طرف خفى أو الماعا لا يستغنى عنه القول الجلى

«وللكلام فى بيان الحاجة الى الرسل مسلكان (الاول) وقد سبق الاشارة اليه يبتدىء من الاعتقاد ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وأن لها حياة أخرى بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقى فيها بعذاب أليم وأن السعادة والشقاء فى تلك الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء فى حياته الفانية سواء كانت تلك الاعمال قلبية كالاعتقادات والمقاصد والارادات أو بدنية كأنواع العبادات والمعاملات

«اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين مليين وفلاسفة الا قليلا لا يقام لهم وزن على أن لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن وانها لا تموت موت فناء وانما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء وان اختلفت منازعهم فى تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت ومشاربهم في طرق الاستدلال عليه فمن قائل بالتناسخ فى أجساد البشر أو الحيوان على الدوام ومن ذاهب الى أن التناسخ ينتهى عند ماتبلغ النفس أعلى مراتب الكمال . ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذاتها أو مابه شقوتها . ومنهم من رأى أنها تتعلق بأجساد اثيرية ألطف من هذه الاجسام المرئية وكان اختلاف المذاهب فى كنه السعادة والشقاء الأخرويين وفيما هو متاع الحياة الآخرة وفى الوسائل التى تسعد النعيم او تبعد عن النكال الدائم وتضارب آراء الامم فيه قديما وحديثا مما لا تكاد تحصى وجوهه

«هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث فى جميع الانفس عالمها وجاهلها وحشيها ومستأنسها وباديها وحاضرها قديمها وحديثها لا يمكن أن يعد ضلة عقلية أو نزغة وهمية وانما هو بالالهامات التى اختص بها هذا النوع

فكما ألهم الانسان ان عقله وفكره هما عماد بقائه فى هذه الحياة الدنيا وارشد افرادمنه ذهبوا الى ان العقل والفكر ليسا بكافيين للارشاد فى عمل ما أو الى أنه لا يمكن للعقل أن يوقن باعتقاد ولا للفكر أن يصل الى مجهول بل قالوا أن لاوجود للعالم الا فى اختراع الخيال وانهم شاكون حتى فى انهم شاكون ولم يطعن شذوذ هؤلاء فى صحة الالهام العام المشعر لسائر أفراد النوع أن الفكر والعقل هما ركن الحياة ورأس البقاء الى الاجل المحدود كذلك قد ألهمت العقول واشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان فى الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حيا باقيا فى طور آخر وان لم يدرك كنهه. ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة فى الجلاء يشعر كل نفس انها خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية مهيأة لدرجة من الكمال لا تحددها اطراف المراتب والغايات ، معرضة لآلام من الشهوات ، ونزغات الاهواء ونزوات الامراض على الاجساد ومصارعة الاجواء والحاجات وضروب من مثل ذلك لا تدخل تحت عد ولا تنتهى عند حد. الهام يستلفتها بعد هذا الشعور الى أن واهب الوجود للانواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة فى البقاء ولم يعهد فى تصرفه العبث والكيل الجزاف فما كان استعداده لقبول مالا يتناهى من معلومات وآلام ولذائذ وكمالات لا يصح أن يكون بقاؤه قاصراً على أيام أو سنين معدودات

شعور يهيج بالارواح الى تحسس هذا البقاء الأبدى وما عسى أن تكون عليه متى وصلت اليه وكيف الاهتداء وأين السبيل وقد غاب المطلوب وأعوز الدليل. شعور بالحاجة الى استعمال عقولنا فى تقديم هذه المعيشة القصيرة الأمد لم يكفنا فى الاستقامة على المنهج الأقوم بل لزمتنا الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الازمنة والأعصار فى تقويم الانظار وتعديل الافكار واصلاح الوجدان وتثقيف الاذهان ولا نزال الى الآن من هم هذه الحياة الدنيا فى اضطراب لا ندرى متى نخلص منه وفى شوق الى

طائينة لا نعلم متى ننتهى اليها

«هذا شأننا فى فهم عالم الشهادة فاذا نؤمل من عقولنا وأفكارنا فى العلم بما فى عالم الغيب؟ هل فيما بين أيدينا من الشاهد معالم نهتدى بها الى الغائب وهل فى طرق الفكر مايوصل كل أحد الى معرفة ماقدر له فى حياة يشعر بها وبان لامندوحة عن القدوم عليها ، ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها والشؤون التى لا بد أن يكون عليها بعد مفارقة ماهو فيه أو الى معرفة بيد من يكون تصريف تلك الشؤون . هل فى أساليب النظر ما يأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاعتقادات والاعمال وذلك الكون مجهول لديك وتلك الحياة فى غاية الغموض بالنسبة اليك ؟ كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة فى نظر العقل ومرامى المشاعر ولا اشترك بينهما الا فيك أنت فالنظر فى المعلومات الحاضرة لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوامل المستقبلة

« أفليس من حكمة الصانع الحكيم الذى أقام أمر الانسان على قاعدة الارشاد والتعليم الذى خلق الانسان وعلمه البيان علمه الكلام للتفاهم والكتاب للتراسل أن يجعل فى مراتب الانفس البشرية مرتبة يعد لها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه ، وهو اعلم حيث يجعل رسالته ، يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بارواحهم من الكمال مايليقون معه للاستشراق بأنوار علمه والامانة على مكنون سره مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت نفسه أو ذهبت بعقله جلالته وعظمه فيشرفون على الغيب باذنه ويعلمون ماسيكون من شأن الناس فيه ويكونون فى مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين نهاية الشاهد وبداية الغائب فهم فى الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها وهم وفد الآخرة فى لباس من ليس من سكانها ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله وما خفى على العقول من شؤون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه وما قدر أن يكون له مدخل فى سعادتهم الاخروية وان يبينوا للناس من أحوال الآخرة مالا بدلهم من علمه معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ولا يبعد عن متناول افهامهم يبلغون عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم فى تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم

وتعلمهم من الاعمال ماهو مناط سعادتهم وشقائهم فى ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله اللائق علمه بأعماق ضائرهم فى اجماله ويدخل فى ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة وباطنة ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة ويتم الاقناع بصدق الرسالة فيكونون بذلك رسلا من لدنه الى خلقه مبشرين ومنذرين

ولا ريب ان الذى أحسن كل شىء خلقه وأبدع فى كل كائن صنعه وجاد على كل حى بما اليه حاجته ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلا من خلقه يكون من رأفته بالنوع الذى أجاد صنعه وأقام له من قبول العلم مايقوم مقام المواهب التى اختص بها غيره ان ينقذه من حيرته ويخلصه من التخبط فى أهم حياتيه والضلال فى أفضل حاليه

« يقول قائل ولم لم يودع فى الغرائز مانحتاج اليه من العلم ولم يضع فيها الانقياد الى العمل وسلوك الطريقة المؤدية الى الغاية فى الحياة الآخرة ؟ وما هذا النحو من عجائب الرحمة فى الهداية والتعليم؟ وهو قول يصدر عن شطط العقل والغفلة عن موضوع البحث وهو النوع الانسانى ذلك النوع على مابه ومادخل فى تقويم جوهره من الروح المفكر وما اقتضاه ذلك من الاختلاف فى مراتب الاستعداد باختلاف افراده وان لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه وان يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال فلو ألهم حاجاته كما تلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان إما حيوانا آخر كالنحل والنمل أو ملكا من الملائكة ليس من سكان هذه الارض

(المسلك الثانى) فى بيان الحاجة الى الرسالة يؤخذ من طبيعة الانسان نفسه. أرتنا الايام غابرها وحاضرها أن من الناس من يختزل نفسه من جماعة البشر وينقطع الى بعض الغابات أو الى رؤوس الجبال ويستأنس الى الوحش ويعيش عيش الاوابد من الحيوان يتغذى بالاعشاب وجذور النبات ويأوى الى الكهوف والمغاور ويتقى بعض العوادى عليه بالصخور والاشجار ويكتفى من الثياب بما يخصف من ورق الشجر أو جلود الهالك من حيوان البر ولا يزال كذلك حتى يفارق الدنيا ولكن مثل

هذا مثل النحلة تنفرد عن الدبر وتعيش عيشة لا تتفق مع ما قدر لنوعها وانما الانسان نوع من تلك الانواع التي غرز في طبعها أن تعيش مجتمعة وان تعددت فيها الجماعات على أن يكون لكل واحد من الجماعة عمل يعود على المجموع في بقائه وللمجموع من العمل ما لا غنى للواحد عنه في نمائه وبقائه ، وأودع في كل شخص من أشخاصها شعورا ما بحاجته الى سائر أفراد الجماعات التي يشملها اسم واحد وتاريخ وجود الانسان شاهد بذلك فلا حاجة الى الاطالة في كيانه وكفاك من الدليل على ان الانسان لا يعيش الا في جملة ما وهبه من قوة النطق فلم يخلق لسانه مستعداً لتصوير المعاني في الالفاظ وتأليف العبارات الا لاشتداد الحاجة به الى التفاهم وليس الاضطرار الى التفاهم بين اثنين او أكثر الا الشهادة بأن لا غنى لأحدهم عن الآخر

« حاجة كل فرد من الجماعة الى سائرها مما لا يشتبه فيه وكلما كثرت مطالب الشخص في معيشته ازدادت به الحاجة الى الايدي العاملة فتمتد الحاجة وعلى أثرها الصلة من الأهل الى العشيرة ثم الى الامة والى النوع بأسره . وأيامنا هذه شاهدة على أن الصلة التابعة للحاجة قد تعم النوع كما لا يخفى. هذه الحاجة خصوصا في الامة التي حققت عنوانها لها صلات وعلائق ميزتها عن سواها حاجة في البقاء حاجة في التمتع بمزايا الحياة حاجة في جلب الرغائب ودفع المكاره من كل نوع

« لو جرى أمر الانسان على أساليب الخلقة في غيره لكانت هذه الحاجة من أفضل عوامل المحبة بين أفراده عامل يشعر كل نفس ان بقاءها مرتبط ببقاء الكل . فالكل منها بمنزلة بعض قواها المسخرة لمنافعها ودرء مضارها والمحبة عماد السلم ورسول السكينة الى القلوب هي الدافع لكل من المتحابين على العمل لمصلحة الآخر الناهض بكل منهما للمدافعة عنه في حالة الخطر فكان من شأن المحبة أن تكون حافظا لنظام الامم وروحا لبقائها وكان من حالها أن تكون ملازمة للحاجة على مقتضى سنة الكون فان المحبة حاجة لنفسك الى من تحب أوما تحب فان اشتدت كانت ولها وعشقا

« لكن من قوانين المحبة أن تنشأ وتدوم بين متحابين اذا كانت الحاجة الى ذات المحبوب أو ما هو فيها لا يفارقها ولا يكون هذا النوع منها فى الانسان الا اذا كان منشؤه أمراً فى روح المحبوب وشمائله التى لا تفارق ذاته حتى تكون لذة الوصول فى نفس الاتصال لا فى عارض يتبعه فاذا عرض التبادل والتعاوض ولوحظ فى العلاقة بينهما تحولت المحبة الى رغبة فى الانتفاع بالعوض وتعلقت بالمنتفع به لا بمصدر الانتفاع وقام بين الشخصين مقام المحبة إما سلطان القوة أو ذلة المخافة أو الدهان والخديعة من الجانبين

« يحب الكلب سيده ويخلص له ويدافع عنه دفاع المستميت لما يرى انه مصدر الاحسان اليه فى سداد عوزه فصورة شبعه وريه وحمايته مقرونة فى شعوره بصورة من يكملها له فهو يتوقع فقدها بفقده فيحرص عليه حرصه على حياته ولو انه انتقل من حوزته الى حوزة آخر وغاب عنه السنين ثم رآه معرضا لخطر ما عادت اليه تلك الصور يصل بعضها بعضا واندفع الى خلاصه بما تمكنه القوة

« ذلك لان الالهام الذى هدى به شعور الكلب ليس مما تتسع به المذاهب فوجد انه يتردد بين الاحسان ومصدره وليس له وراءهما مذهب فحاجته فى سد عوزه هى حاجته الى القائم بأمره فيحبه محبته لنفسه ولا يبخس منها شوب التعاوض فى الخدمة

« وأما الانسان وما أدراك ما هو فليس أمره على شيء من ذلك ليس مما يلهم ولا يتعلم ولا ممن يشعر ولا يتفكر بل كان كماله النوعي فى اطلاق مداركه عن القيد ومطالبه عن النهايات وتسليمه على صغره الى العالم الأكبر على جلالته وعظمه يصارعه بعوامله وهى غير محصورة حتى يعتصر منه منافعه وهى غير محدودة وايداعه من قوى الادراك والعمل ما يعينه على المغالبة ويمكنه من المطالبة بسعيه ورأيه ويتبع ذلك أن يكون له فى كل كائن مما يصل اليه لذة وبجوار كل لذة ألم ومخافة فلا تنتهى رغائبه الى غاية ولا تقف مخاوفه عند نهاية (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) تفاوتت أفراده فى مواهب الفهم وفى قوى العمل وفى الهمة

والعزم فنهم المقصر ضعفا أو كسلا المتطاول في الرغبة شهوة وطمعا يرى في أخيه أنه العون له على مايريد من شؤون وجوده لكنه يذهب من ذلك الى تخيل اللذة في الاستئثار بجميع مافي يده ولا يقنع بمعاوضته في ثمرة من ثمار عمله وقد يجد اللذة في أن يتمتع ولا يعمل ويرى الخير في أن يقيم مقام العمل اعمال الفكر في استنباط ضروب الحيل ليتمتع وان لم ينفع ويغلب عليه ذلك حتى يخيل له أن لاضير عليه لو انفرد بالوجود عمن يطلب مغالبته ولا يبالي بارساله الى عالم العدم بعد سلبه فكلما حثه الذكر والخيال الى دفع مخافة أو الوصول الى لذيذ فتح له الفكر بابا من الحيلة أو هيأ له وسيلة لاستعمال القوة فقام التناهب مقام التواهب وحل الشقاق محل الوفاق وصار الضابط لسيرة الانسان إما الحيلة وإما القهر

« هل وقف الهوى بالانسان عند التنافس في اللذائذ الجسدانية وتجالد أفراده طمعا في وصول كل الى مايظنه غاية مطلبه وان لم تكن له غاية . كلا ولكن قدر له أن تكون له لذائذ روحانية وكان من أعظم همه أن يشعر بالكرامة له في نفس غيره ممن تجمعه معهم جامعة ما حسيا يمتد اليه نظره وقد بلغت هذه الشهوة حداً من الانفس كادت تتغلب على جميع الشهوات وأخذت لذة الوصول اليها من الارواح مكانا كاد لاتصعد اليه سائر اللذات وهي من أفضل العوامل في احراز الفضائل وتمكين الصلات بين الافراد والامم لو صرفت فيما سيقت لاجله ولكن انحرف بها السبيل كما انحرف بغيرها للاسباب التي أشرنا اليها من التفاوت في مراتب الادراك والهمة والعزيمة حتى خيل لكثير من العقلاء أن يسعى الى اعلاء منزلته في القلوب باخافة الآمن وازعاج الساكن واشعار القلوب رهبة المخافة لاتهيب الحرمة

« وهل يمكن مع هذا أن يستقيم أمر جماعة بنى نظامهم وعلق بقاؤهم في الحياة على تعاونهم ورفد بعضهم بعضا في الأعمال أو لاتكون في هذه الافاعيل السابق ذكرها سببا في تفانيهم؟ لاريب ان البقاء على تلك الاحوال من ضروب المحال فلا بد للنوع الانساني في حفظ بقائه من المحبة أو ماينوب منابها

« لجأ بعض أهل البصيره فى أزمنة مختلفة الى العدل وظنوا كما ظن بعض العارفين ونطق به فى كلمة جليلة أن العدل نائب المحبة . نعم لايخلو القول من حكمة ولكن من الذى يضع قواعد العدل ويحمل الكافة على رعايتها ؟ قيل ذلك هو العقل فكما كان الفكر والذكر والخيال ينابيع الشقاء كذلك تكون وسائل السعادة وفيها مستقر السكينة. وقد رأينا ان اعتدال الفكر وسعة العلم وقوة العقل واصالة الحكم تذهب بكثير من الناس الى ماوراء حجب الشهوات وتعلو بهم فوق ماتخيله المخاوف فيعرفون لكل حق حرمته ويميزون بين لذة مايفنى ومنفعة مايبقى وقد جاء منهم أفراد فى كل أمة وضعوا أصول الفضيلة وكشفوا وجوه الرذيلة وقسموا أعمال الانسان الى ماتحضر لذته وتسوء عاقبته وهو مايجب اجتنابه ، والى ما قد يشق احتماله ولكن تسر مغباته وهو مايجب الاخذ به . ومنهم من انفق فى الدعوة الى رأيه نفسه وماله وقضى شهيد إخلاصه فى دعوة قومه الي مايحفظ نظامهم فهؤلاء العقلاء هم الذين يضعون قواعد العدل وعلى أهل السلطة أن يحملوا الكافة على رعايتها وبذلك يستقيم أمر الناس

« هذا قول لايجافى الحق ظاهره ولكن هل سمع فى سيرة الانسان وهل ينطبق على سنته أن يخضع كافة أفراده أو الغالب منهم لرأى العاقل لمجرد أنه الصواب ، وهل كفى فى اقناع جماعة منه كشعب أو أمة قول عاقلهم انهم مخطئون وأن الصواب فيما يدعون اليه ، وان أقام على ذلك من الادلة ماهو أوضح من الضياء ، وأجلى من ضرورة المحبة للبقاء ؟ كلا لم يعرف ذلك فى تاريخ الانسان ولا هو مما ينطبق على سنته فقد تقدم لنا أن مهب الشقاء هو تفاوت الناس فى الادراك وهم مع ذلك يدعون المساواة فى العقول والتقارب فى الاصول ولا يعرف جمهورهم من حال الفاضل الا كما يعرف من أمر الجاهل ومن لم يكن فى مرتبتك من العقل لم يذق مذاقك من الفضل فمجرد البيان العقلى لايدفع نزاعا ولا يرد طمأنينة وقد يكون القائم على ماوضع من شريعة العقل ممن يزعم أنه أرفع من واضعها فذهب بالناس مذهب شهواته فتذهب حرمتها وينهد بناؤها ويفقد ما قصد بوضعها

«أضف الى ماسبق من لوازم نزعات الفكر ونزعات الاهواء شعورا هو الصق بالغريزة البشرية وأشد لزوما لها . كل انسان مهما علا فكره وقوى عقله او ضعفت فطنته وانحطت فطرته ، يجد من نفسه أنه مغلوب لقوة ارفع من قوته وقوة ما آنس منه الغلبة عليه مما حوله وانه محكوم بإرادة تصرفه وتصرف ماهو فيه من العوالم في وجوه قد لا تعرفها معرفة العارفين ولا تتطرف اليها ارادة المختارين تشعر كل نفس أنها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمى فتطلبها من حسها تارة ومن عقلها اخرى لاسبيل لها الا الطريق الى حددت لنوعها وهى طريق النظر فذهب كل فى طلبها وراء رائد الفكر فنهم من تأولها ببعض الحيوانات لكثرة نفعها او شدة ضررها ، ومنهم من تمثلت له فى بعض الكواكب لظهور اثرها . ومنهم من حجبته الاشجار والاحجار لاعتبارات له فيها ، ومنهم من تبدت له آثار قوى مختلفة فى انواع متفرقة تماثل فى افراد كل نوع وتتخالف بتخالف الانواع فجعل لكل نوع إلها .ولكن كلما رق الوجدان ولطفت الاذهان ونفذت البصائر ارتفع الفكر وجلت النتائج فوصل من بلغ به علمه بعض المنازل من ذلك الى معرفة هذه القدرة الباهرة واهتدى الى انها قدرة واجب الوجود غير ان من اسرار الجبروت ما غمض عليه فلم يسلم من الخبط فيه ثم لم يكن له من الميزة الفائقة فى قومه ما يحملهم على الاهتداء بهديه فبقى الخلاف ذائعا والرشد ضائعا اتفق الناس فى الاذعان لما فاق قدرهم وعلا متناول استطاعتهم لكنهم اختلفوا فى فهم ماتلجئهم الفطرة الى الاذعان له اختلافا كان اشد اثرا فى التقاطع بينهم واثارة اعاصير الشقاق فيهم من اختلافهم فى فهم النافع والضار لغلبة الشهوات عليهم

«ان كان الانسان قد فطر على أن يعيش فى جملة ولم يمنح مع تلك الفطرة ما منحه النحل وبعض أفراد النمل مثلا من الالهام الهادى الى ما يلزم لذلك وانما ترك الى فكره يتصرف به على نحو ماسبق كما فطر على الشعور بقاهر تنساق نفسه بالرغم عنها الى معرفته ولم يفض عليه مع ذلك الشعور عرفانه بذات ذلك القاهر ولا صفاته وانما ألقى به فى مطارح

النظر تحمله الافكار فى مجاريها وترمى به الى حيث يدرى ولا يدرى وفى كل ذلك الويل على حاصته والخطر على وجوده فهل من هذا النوع بالنقص ورزىء بالقصور عن مثل مانلته اضعف الحيوانات واحطها فى منازل الوجود ؟ نعم هو كذلك لولا ما أتاه الصانع الحكيم من ناحية ضعفه

«الانسان عجيب فى شأنه يصعد بقوة عقله الى اعلى مراتب الملكوت ويطاول بفكره ارفع معالم الجبروت ويسامى بقوته ما يعظم عن ان يسامى من قوى الكون الاعظم ثم يصغر ويتصاءل وينحط الى ادنى دراك من الاستكانة والخضوع متى عرض له امر مالم يعرف سببه ولم يدرك منشأه ذلك لسر عرفه المستبصرون واستشعرته نفوس الناس اجمعين

«من ذلك الضعف قيد الى هداه ومن تلك الضعة اخذ بيده الى شرف سعادته . اكمل الواهب الجواد لحلته ما اقتضت حكمته فى تخصيص نوعه بما يميزه عن غيره ان ينقص من افراده وكما جاد على كل شخص بالعقل المصرف للحواس لينظر فى طلب اللقمة وستر العورة

والتوقى من الحر والبرد جاد على الجملة بما هو أمس بالحاجه فى البقاء وآثر فى الوقاية من غوائل الشقاء وأحفظ لنظام الاجتماع الذى هو عماد كونه بالاجماع . من عليه بالنائب الحقيقى عن المحبة بل الراجع بها الى النفوس التى اقفرت منها لم تخالف سنته فيه من بناء كونه على قاعدة التعليم والارشاد غير انه اتاه مع ذلك من اضعف الجهات فيه وهى جهة الخضوع والاستكانه فأقام له من بين افراده مرشدين هادين وميزهم من بينهم بخصائص فى انفسهم لا يشركهم فيها سواهم وأيد ذلك زيادة فى الاقناع بآيات باهرات تملك النفوس وتأخذ الطريق على سوابق العقول فيستخذى الطامح ويذل الجامح ويصطدم بها عقل العاقل فيرجع الى رشده وينبهر لها بصر الجاهل فيرتد عن غيه يطرقون القلوب بقوارع من امر الله ويدهشون المدارك ببواهر من آياته فيحيطون العقول بما لا مندوحة عن الاذعان له ويستوى فى الركون لما يجيئون به المالك والمملوك والسلطان والصعلوك والعاقل والجاهل والمفضول والفاضل فيكون الاذعان لهم أشبه

بالاضطراري منه بالاختياري النظري يعلمونهم ماشاء الله أن يصلح به معاشهم ومعادهم وما أرادوا أن يعلموه من شئون ذاته وكمال صفاته وأولئك هم الانبياء والمرسلون. فبعثه الانبياء صلوات الله عليهم من متممات كون الانسان ومن أهم حاجاته فى بقائه ومنزلتها من النوع منزلة العقل من الشخص نعمة أتمها الله لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وسنتكلم عن وظيفتهم بنوع من التفصيل فيما بعد. ثم قال الاستاذ:

(امكان الوحى)

«الكلام فى امكان الوحى يأتى بعد تعريفه لتصوير المعنى الذى يراد منه ولنعرف المعنى الحاصل بالمصدر فيفهم معنى المصدر نفسه ولا يعنينا ماتثيره الالفاظ فى الاذهان ولنذكر من اللغة ماينا سبه. يقال وحيت اليه واوحيت اذا كلمته بما تخفيه عن غيره. والوحى مصدر من ذلك والمكتوب والرسالة وكل ماالقيته الى غيرك ليعلمه. ثم غلب فيما يلقى الى الانبياء من قبل الله. وقيل الوحى اعلام فى خفاء. ويطلق ويراد به الموحى. وقد عرفوه شرعا انه كلام الله تعالى المنزل على نبى من انبيائه. وأما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والاول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت ويفرق بينه وبين الالهام بان الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى مايطلب على غير شعور منها من اين اتى وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور. أما امكان حصول هذا النوع من العرفان (الوحى) وانكشاف ماغاب من مصالح البشر عن عامتهم لمن يختصه الله بذلك وسهولة فهمه عند العقل فلانراه مما يصعب ادراكه الاعلى من يريد أن لايدرك ويحب ان يرغم نفسه الفهامة على أن لايفهم. نعم انه يوجد فى كل أمة وفى كل زمان أناس يقذف بهم الطيش والنقص فى العلم الى ماوراء سواحل اليقين فيسقطون فى غمرات من الشك فى كل مالم يقع تحت حواسهم الخمس. بل قد يدركهم الريب فيما هو من متناولها كما سبقت الاشارة اليه فكأنهم بسقطتهم هذه انحطوا الى ماهو ادنى من مراتب انواع اخرى من الحيوان فينسون انقل

وشؤونه وسره ومكنونه ويجدون فى ذلك لذة الاطلاق عن قيود الاوامر والنواهى بل عن محابس الحشمة التى تضمهم الى التزام مايليق وتحجزهم عن مفارقة مالا يليق كما هو حال غير الانسان من الحيوان فاذا عرض عليهم شىء من الكلام فى النبوات والاديان وهم من أنفسهم هام بالاصغاء دافعوه بما أوتوا من الاختيار فى النظر وانصرفوا عنه وجعلوا أصابعهم فى آذانهم حذر أن يخالط الدليل أذهانهم فتلزمهم العقيدة وتتبعها الشريعة فيحرموا اللذة ماذاقوا وما يحبون أن يتذوقوا وهو مرض فى الانفس والقلوب يستشفى منه بالعلم أن شاء الله

« قلت أى استحالة فى الوحى وان ينكشف لفلان مالا يتكشف لغيره من غير فكر ولا ترتيب مقدمات مع العلم ان ذلك من قبل واهب الفكر ومانح النظر متى حفت العناية من ميزته هذه النعمة

«مما شهدت به البديهة أن درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها بعضا وان الادنى منها لايدرك ماعليه الاعلى الا على وجه من الاجمال وان ذلك ليس لتفاوت المراتب فى التعليم فقط بل ولايد معه من التفاوت في الفطر الذى لامدخل فيها لاختيار الانسان وكسبه ولاشبهة فى أن من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهى عند من هو أرقى منه ولاتزال المراتب ترتقى فى ذلك الى مالا يحصره العدد وان من أرباب الهمم وكبار النفوس مايرى البعيد عن صغارها قريبا فيسعى اليه ثم يدركه والناس دونه ينكرون بدايته ويعجبون لنهايته ثم يألفون ماصار اليه كأنه من المعروف الذى لاينازع والظاهر الذى لايجاحد فاذا انكره منكر ثاروا عليه ثورتهم فى بادىء الامر على من دعاهم اليه ولا يزال هذا الصنف من الناس على قلته ظاهراً فى كل أمة الى اليوم

« فاذا سلم ولا محيص عن التسليم بما أسلفنا من المتقدمات فمن ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصول اليها أن لايسلم بأن من النفوس البشرية مايكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ماتستعد به من محض الفيض الالهى أن تتصل بالافق الاعلى وتنتهى من الانسانية الى الذروة العليا وتشهد من أمر الله شهود العيان مالم

يصل غيرها الى تعقله أو تحسه بمعنى الدليل والبرهان وتتلقى عن العالم الحكيم مايصلو وضوحا على مايتلقاه أحدنا عن أساتذة التعليم ثم تصدر عن ذلك العلم الى تعليم ماعلمت ودعوة الناس الى ماحملت على ابلاغه اليهم وان يكون ذلك سنة الله فى كل أمة وفى كل زمان على حسب الحاجة يظهر برحمته من يختصه بعنايته لبق للاجتماع مما يضطر اليه من مصلحته الى ان يبلغ النوع الانسانى أشده وتكون الاعلام التى نصبها لهدايته الى سعادته كافية فى ارشاده فتختم الرسالة ويغلق باب النبوة كما سنأتى عليه فى رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم

« أما وجود بعض الارواح العالية وظهورها لاهل تلك المرتبة الساميه فلا استحالة فيه بعد ماعرفنا من أنفسنا وأرشدنا اليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود على ماهو الطف من المادة وان غيب عنا فأى مانع من أن يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقا لشىء من العلم الالهى وان يكون لنفوس الانبياء أشراف عليه فاذا جاء به الخبر الصادق حملنا على الاذعان بصحته

« أما تمثل الصوت وأشباح لتلك الارواح فى حس من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عند أعداء الانبياء مالا يبعد عنه فى بعض المصابين بأمراض خاصة على زعمهم فقد سلموا أن بعض معقولاتهم يتمثل فى خيالهم ويصل الى درجة المحسوس فيصدق المريض فى قوله انه يرى ويسمع بل يجالد ويصارع ولاشىء من ذلك فى الحقيقة بواقع ، فان جاز التمثل فى الصور المعقولة ولا منشأ لها إلا فى النفس وان ذلك يكون عند عروض عارض على المخ فلم لايجوز تمثل الحقائق المعقولة فى النفوس العالية وان يكون ذلك لها عندما تنزع عن عالم الحس وتتصل بحظائر القدس وتكون تلك الحال من لواحق صلة العقل فى أهل تلك الدرجة لاختصاص مزاجهم بما لا يوجد فى مزاج غيرهم وغاية مايلزم عنه أن يكون لعلاقة أرواحهم بأبدانهم شأن غير معروف فى تلك العلاقة من سواهم وهو مما يسهل قبوله بل يتحتم لان شأنهم فى الناس أيضا غير الشؤون المألوفة وهذه المغايرة من أهم ماامتازوا به وقام منها الدليل على رسالتهم والدليل على سلامة شهودهم وصحة مايحدثون عنه

ان أمراض القلوب تشفى بدوائهم وان ضعف العزائم والعقول يتبدل بالقوة فى أممهم التى تأخذ بمقالهم . ومن المنكر فى البديهة أن يصدر الصحيح من معتل ويستقيم النظام بمختل

« اما ارباب النفوس العالية والعقول السامية من العرفاء ممن لم تدن مراتبهم من مراتب الانبياء ولكنهم رضوا أن يكونوا لهم أولياء على شرعهم ودعوتهم امناء فكثير منهم نال حظه من الانس بما يقارب تلك الحال فى النوع أو الجنس لهم مشارفة فى بعض أحوالهم على شىء من عالم الغيب ولهم مشاهد صحيحة فى عالم المثال لا تنكر عليهم لتحقق حقائقها فى الواقع فهم لذلك لا يستبعدون شيئا مما يحدث به عن الانبياء صلوات الله عليهم ومن ذاق عرف ومن حرم انحرف ودليل صحة ما يتحدثون به وعنه ظهور الاثر الصالح منهم وسلامة أعمالهم مما يخالف شرائع أنبيائهم وطهارة أفكارهم مما ينكره العقل الصحيح أو يمجه الذوق السليم واندفاعهم بباعث من الحق الناطق فى سرائرهم المتلألىء فى بصائرهم الى دعوة من يحف بهم الى ما فيه خير العامة وترويح قلوب الخاصة ولا يخلو العالم من متشبهين بهم ولكن أسرع ما ينكشف حالهم ويسوء مآلهم ومآل من غرروا به ولا يكون لهم الا سوء الاثر فى تضليل العقول وفساد الاخلاق وانحطاط شأن القوم الذين رزؤا بهم الا أن يتداركهم الله بلطفه فتكون كلمتهم الخبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار فلم يبق بين المنكرين لاحوال الانبياء ومشاهدهم وبين الاقرار بامكان ما أنبأوا به بل ووقوعه الاحجاب من العادة وكثيراً ما حجبت العقول حتى عن ادراك أمور معتادة . ثم قال الاستاذ :

﴿ وقوع الوحى والرسالة ﴾

« والدليل على رسالة نبى وصدقه فيما يحكى عن ربه ظاهر للشاهد الذى يرى حاله ويبصر ما آتاه الله من الآيات البينات ويحقق بالعيان ما يغنيه عن البيان كما سلف فى الوجه الاول من الكلام على الرسالة أما الغائب عن زمن البعثة فدليلها التواتر وهو كما تبين فى علم آخر رواية خبر عن مشهود من جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وآيته قهر النفس على اليقين بما جاء فيه كالاخبار بوجود مكة أو بأن

للصين عاصمة تسمى بكين وسبب استحالة التواطؤ على الكذب استيفاء الخبر لشرائط معلومة وخلوه من عوارض تضعف الثقة به ومرجع كل ذلك الى العدد وبعد الراوى عن التشيع لمضمون الخبر

« لا نزاع بين العقلاء فى أن هذا النوع من الاخبار يحصل اليقين بالخبر به وانما النزاع فى اعتبارات تتعلق به ومن الانبياء ما استوفى الخبر عنهم شرائط التواتر كابراهيم وموسى وعيسى ومما جاء به الخبر انهم لم يكونوا فيمن بعثوا بينهم بالاقوى سلطانا ولا بالاكثر مالا ولم يختصهم أحد بالعناية بهم لتعليمهم علم مادعوا اليه وغاية الامر انهم لم يكونوا من الادنين الذين تعافهم النفوس وتنبو عنهم الانظار ومع ذلك واستحكام السلطان لغيرهم ووفرة المال لديه واستعلائه عليهم بما كسب من العلم قاموا بدعوة الى الله على رغم الملوك واجنادهم وصاحوا بهم صيحة زلزلتهم فى عروشهم وادعوا انهم يبلغون عن خالق السموات والارض ماأراد شرعه للناس واقاموا من الدليل ماتصاغرت دونه قوة المعارضة ثم ثبتت فى الكون شرائعهم ثبات الغريزة فى الفطر

« وكان الخير لاممهم فى اتباع ماجاؤا به حالفتهم القوة واحتضنتهم السعادة وكانوا قائمين عليها وزرأهم الضعف وغالبهم الشقاء ماانحرفوا عنها وخلطوا فيها فهذا وما أقاموه من الادلة عند التحدى لا يصح معه فى العقل أن يكونوا كاذبين فى حديثهم عن الله ولا فى دعواهم أنه كان يوحى اليهم ماشرعوا للناس على أن من لا يعتقد مايقول لا يبقى لمقاله أثر فى العقول والباطل لا بقاء له الا الافى الغفلة عنه. كالنبات الخبيث فى الارض الطيبة ينبت باهمالها وينمو باغفالها فاذا امستها عناية الزارع غلبه الخصب وذهب به الزكاء ولكن تلك الديانات التى جاء بها أولئك الانبياء قامت فى العالم الانسانى ماشاء الله مماقدر لها مقام ماثرقوا مع كثرة المعارضين وقوة سلطان المغالبين فلا يمكن أن يكون اسها الكذب ودعامتها الحيلة وكلامنا هذا فى جوهرها الذى يلوح دائما فى خلال ماألحق بها المبتدعون . أما بقية الرسل مما يجب علينا الايمان بهم فيكفى فى اثبات نبوتهم اثبات رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أخبرنا برسالتهم وهو الصادق فيما بلغ به وسنأتى على الكلام

فى رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى باب على حدته ان شاء الله

﴿وظيفة الرسل عليهم السلام﴾

« تبين مما تقدم فى حاجة العالم الى الرسل انهم من الامم بمنزلة العقول من الاشخاص وان بعثهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الانسان عن بقية الكائنات من جنسه ولكنها حاجة روحية وكل مالامس الحس منها فالقصد فيه الى الروح وتطهيرها من دنس الاهواء الضالة أو تقويم ملكاتها أو إيداعها مافيه سعادتها فى الحياتين أما تفصيل طريق المعيشة والحذق فى وجوه الكسب وتطاول شهوات العقل الى درك ما أعد للوصول اليه من أسرار العلم فذلك مما لادخل للرسالات فيه الا من وجه العظة العامة والارشاد الى الاعتدال فيه وتقرير أن شرط ذلك كله أن لايحدث ريبا فى الاعتقاد بأن للكون إلها واحدا قادرا عالما حكيما متصفا بما أوجب الدليل أن يتصف به وباستهواء نسبة الكائنات اليه فى أنها مخلوقة له وصنع قدرته وان تفوتها فيما اختص به بعضها من الكمال وشرطه أن لا ينال شيء من تلك الاعمال السابقة احدا من الناس بشر فى نفسه أو عرضه أو ماله بغير حق يقتضيه نظام عامة الامة على ماحد فى شريعتها

« يرشدون الخلق الى معرفة الله وما يجب أن يعرف من صفاته ويبينون الحد الذى يجب أن يقف عنده فى طلب ذلك العرفان على وجه لايشق عليه الاطمئنان اليه ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة . يجمعون كلمة الخلق على اله واحد لافرقة معه ويخلون السبيل بينهم وبينه وحده ينهضون نفوسهم الى التعلق به فى جميع الاعمال والمعاملات ويذكرونهم بعظمته بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الاوقات تذكرة لمن ينسى وتزكية مستمرة لمن يخشى تقوى ماضعف منهم وتزيد المستيقن يقينا

« يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم وتنازعته مصالحهم ولذاتهم فيفصلون فى تلك الخاصمات بأمر الله الصادع مايؤيدون بما يبلغون عنه ماتقوم به المصالح العامة ولا تفوت به المنافع الخاصة . يعودون بالناس الى الالفة

ويكشفون لهم سر المحبة ويلفتونهم الى أن فيها انتظام شمل الجماعة ويفرضون عليهم مجاهدة أنفسهم ليستوطنوها قلوبهم ويشعروها أفئدتهم . يعلمونهم لذلك أن يرعى كل حق الآخر وان كان لا يغفل حقه وأن لا يتجاوز في الطلب حده وأن يعين قويهم ضعيفهم ويمد غنيهم فقيرهم ويهدي راشدهم ضالهم ويعلم عالمهم جاهلهم

« يضعون لهم بأمر الله حدوداً عامة يسهل عليهم أن يردوا اليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية الا بحق مع بيان الحق الذى تهدر له وحظر تناول شيء مما كسبه الغير الا بحق مع بيان الحق الذى يبيح تناوله واحترام الاعراض مع بيان ما يباح وما يحرم من الابضاع ويشرعون لهم مع ذلك ان يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والامانة والوفاء بالعقود والمحافظة على العهود والرحمة بالضعفاء والاقدام على نصيحة الاقوياء والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء . يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية الى طلب الرغائب السامية آخذين فى ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب والانذار والتبشير حسبما أمرهم الله جل شأنه

« يفصلون في جميع ذلك الناس ما يؤهلهم لرضاء الله عنهم وما يعرضهم لسخطه عليهم ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبى لمن وقف عند حدوده وأخذ بأوامره وتجنب الوقوع فى محاظيره يعلمونهم من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده فى العلم به مما لو صعب على العقل اكتناهه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده

« بهذا تطمئن النفوس وتثلج الصدور ويعتصم المرزوء بالصبر انتظاراً لجزيل الاجر أو ارضاء لمن بيده الامر وبهذا ينحل أعظم مشكل فى الاجتماع الانسانى لا يزال العقلاء يجهدون أنفسهم فى حله الى اليوم

« ليس من وظائف الرسل ما هو من عمل المدرسين ومعلمي الصناعات فليس مما جاؤا له تعليم التاريخ ولا تفصيل ما يحويه عالم الكواكب ولا بيان ما اختلف من حركاتها ولا ما استكن فى طبقات الارض ولا مقادير الطول فيها والعرض ولا ما تحتاج اليه النباتات فى نموها ولا

ما تفتقر اليه الحيوانات فى بقاء أشخاصها وأنواعها وغير ذلك مما وضعت له العلوم وتسابقت في الوصول الى دقائقه الفهوم فان ذلك كله من وسائل الكسب وتحصيل طرق الراحة ، هدى الله اليه البشر بما أودع فيهم من الادراك يزيد فى سعادة المحصلين ويقضى فيه بالنكد على المقصرين ولكن كانت سنة الله في ذلك أن يتبع طريقة التدرج فى الكمال وقد جاءت شرائع الانبياء بما يحمل على الاجمال بالسعى فيه وما يكفل التزامه بالوصول الى ما أعد الله له الفطر الانسانية من مراتب الارتقاء

« أما ما ورد فى كلام الانبياء من الاشارة الى شيء مما ذكرنا فى أحوال الافلاك او هيئة الارض فانما يقصد منه النظر الى ما فيه الدلالة على حكمة مبدعة او توجيه الفكر الى الغوص لادراك أسراره وبدائعه ولغتهم عليهم الصلاة والسلام فى مخاطبة أممهم لا يجوز أن تكون فوق ما يفهمون والاضاعت الحكمة فى ارسالهم ولهذا قد يأتى التعبير الذى سبق الى العامة بما يحتاج الى التأويل والتفسير عند الخاصة وكذا ما وجه الى الخاصة يحتاج الى الزمان الطويل حتى يفهمه العامة وهذا القسم أقل ما ورد فى كلامهم

« على كل حال لا يجوز ان يقام الدين حاجزاً بين الارواح وبين ما ميزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممكنة بقدر الامكان بل يجب أن يكون الدين باعثا لها على طلب العرفان مطالبا لها باحترام البرهان فارضا عليها أن تبذل ما تستطيع من الجهد فى معرفة ما بين يديها من العوالم ولكن مع التزام القصد والوقوف فى سلامة الاعتقاد عند الحد ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين وجنى عليه جناية لا يغفرها له رب العالمين

﴿ اعتراض مشهور ﴾

« قال قائل ان كانت بعثة الرسل حاجة من حاجات البشر وكمالا لنظام اجتماعهم وطريقا لسعادتهم الدنيوية والاخروية فما بالهم لم يزالوا أشقياء ، عن السعادة بعداء ، يتخالفون ولا يتفقون يتقاتلون ولا يتناصرون ، يتناهبون ولا يتناصفون ، كل يستعد للوثبة ولا ينتظر الا مجيء النوبة ، حشو جلودهم الظلم وملء قلوبهم الطمع ، عد أهل كل ذى دين دينهم حجة لمقارعة من خلفهم واتخذوا منه

سببا جديدا للعداوة والعدوان فوق ما كان من اختلاف المصالح والمنافع . بل أهل الدين الواحد قد تنشق عصاهم وتختلف مذاهبهم فى فهمه وتتفارق عقولهم فى عقائدهم ويثور بينهم غبار الشر وتتشبث أهواؤهم بالفتن فيسفكون دماءهم ويخربون ديارهم الى أن يغلب قويهم ضعيفهم فيستقر الامر للقوة لا للحق والدين . فها هو الدين الذى تقول انه جامع الكلمة ورسول المحبة كان سببا فى الشقاق ومضرما للضغينة فما هذه الدعوى وما هذا الاثر ؟ نقول فى جوابه نعم كل ذلك قد كان ولكن بعد زمن الانبياء وانقضاء عهدهم ووقوع الدين أيدى من لا يفهمه أو يفهمه ويغلو فيه أو لا يغلو فيه ولكن لم يمتزج حبه بقلبه أو امتزج بقلبه حب الدين ولكن ضاقت سعة عقله عن تصريفه تصريف الانبياء أنفسهم أو الخيرة من تبعتهم والا فقل لنا أى نبى لم يأت أمته بالخير الجم والفيض الاعم ولم يكن دينه وافيا بجميع ما كانت تمس اليه حاجتها فى افرادها وجملتها ؟

«أظن انك لا تخالفنا فى ان الجمهور الاعظم من الناس بل الكل الا قليلا لا يفهمون فلسفة افلاطون ولا يقيسون أفكارهم وآراءهم لمنطق ارسطو بل لو عرض أقرب المعقولات الى المعقول عليهم بأوضح عبارة يمكن أن يأتى بها معبر لما أدركوا منها الا خيالا لا أثر له فى تقويم النفس ولا فى اصلاح العمل فاعتبر هذه الطبقات فى حالها التى لا تفارقها من تلاعب الشهوات بها ثم انصب نفسك واعظا بينها فى تخفيف بلاء ساقه النزاع اليها فأى الطرق أقرب اليك فى مهاجمة شهواتهم وردها الى الاعتدال فى رغائبها ؟

«من البديهى انك لا تجد الطريق الأقرب فى بيان مضار الاسراف فى الرغب وفوائد القصد فى الطلب وما ينحو نحو ذلك مما لا يصل اليه أرباب العقول السامية الا بطويل النظر وانما تجد أقصد الطرق وأقومها أن يأتى اليه من نافذة الوجدان المطلة على سر القهر لمحيط به من كل جانب فتذكره بقدرة الله الذى وهبه ما وهب الغالب عليه فى ادنى شؤونه اليه المحيط بما فى نفسه الآخذ بأزمة همه وتسوق اليه من الامثال فى ذلك ما يقرب الى فهمه ثم تروى له ما جاء فى الدين المتعقد به من مواعظ وعبر ومن سير

السلف فى ذلك الدين مافيه أسوة حسنة وتنمش روحه بذكر رضاء الله اذا استقام وسخطه عليه اذا تقحم . عند ذلك يخشع منه القلب وتدمع العين ويستخذى الغضب وتخمد الشهوة والسامع لم يفهم من ذلك كله الا أنه يرضى الله وأولياءه اذا أطاع ويسخطهم اذا عصى . ذلك هو المشهود من حال البشر غابرهم وحاضرهم ومنكره يسم نفسه انه ليس منهم . كم سمعنا ان عيونا بكت وزفرات صعدت وقلوبا خشعت لواعظ الدين . لكن هل سمعت بمثل ذلك بين يدى نصاح الادب وزعماء السياسة ؟ متى سمعنا أن طبقة من طبقات الناس يغلب الخير على اعمالهم لما فيه من المنفعة لعامتهم أو خاصتهم وينفى البشر من بينهم لما يجلبه عليهم من مضار ومهالك ؟ هذا أمر لم يعهد فى سير البشر ولا ينطبق على فطرهم وانما قوام الملكات هو العقائد والتقاليد ولا قيام للامرين الا بالدين فعامل الدين هو أقوى العوامل فى اخلاق العامة بل والخاصة وسلطانه على نفوسهم أعلى من سلطان العقل الذى هو خاصة نوعهم

«قلنا ان منزلة النبوات من الاجتماع هى منزلة العقل من الشخص أو منزلة العلم المنصوب على الطريق المسلوك بل تصعد الى مافوق ذلك ونقول منزلة السمع والبصر . أليس من وظيفة الباصرة التمييز بين الحسن والقبيح من المناظر وبين الطريق السهلة السلوك والمعابر الوعرة ومع ذلك قد يسىء البصير استعمال بصره فيتردى فى هاوية يهلك فيها وعيناه سليمتان تلمعان فى وجهه . يقع ذلك لطيش أو إهمال أو غفلة أو لجاج وعناد . وقد يقوم من العقل والحس الف دليل على مضرة شىء ويعلم ذلك الباغى فى رأيه من اهل الشر أهل يخالف تلك الدلائل الظاهرة ويقتحم المكروه لقضاء شهوة اللجاج أو نحوها ولكن وقوع هذه الامثال لا ينقص من قدر الحس او العقل فيما خلق لاجله . كذلك الرسل عليهم السلام اعلام هداية نصبها الله على سبيل النجاة فمن اهتدى بها انتهى الى غايات السعادة ومنهم من غلط فى فهمها أو انحرف عن هديها فانكب فى مهاوى الشقاء . فالدين هادو النقص يعرض لمن دعوا الى الاهتداء به ولا يطمن نقصهم فى كماله واشتداد حاجتهم اليه « يضل به كثيرا

ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين. ألا إن الدين مستقر السكينة وملجأ الطمأنينة به يرضى كل بما قسم له وبه يدأب عامل حتى يبلغ الغاية من عمله وبه تخضع النفوس الى أحكام السنن العامة فى الكون وبه ينظر الانسان الى من فوقه فى العلم والفضيلة والى من دونه فى المال والجاه اتباعا لما وردت به الاوامر الالهية . الدين أشبه بالبواعث الفطرية الالهامية منه بالدواعى الاختيارية. الدين قوة من اعظم قوى البشر وانما قد يعرض عليها من العلل ما يعرض لغيرها من القوى وكل ماوجه الى الدين من مثل الاعتراض الذى نحن بصدده فتبعته فى اعناق القائمين عليه الناصبين انفسهم منصب الدعوة اليه أو المعروفين بأنهم حفظته ورعاة احكامه وما عليهم فى ابلاغ القلوب بغيتها منه الا أن يهتدوا به ويرجعوا الى اصوله الطاهرة الاولى ويضعوا عنه اوزار البدع فترجع اليه قوته وتظهر للاعمى حكمته

« ربما يقول قائل ان هذه المقابلة بين العقل والدين تميل الى رأى القائلين باهمال العقل وبالمرة فى قضايا الدين وبأن اساسه هو التسليم المحض وقطع الطريق على أشعة البصيرة ان تنفذ الى فهم ماأودعه من معارف وأحكام . فنقول لو كان الامر كما عساه أن يقال لما كان الدين علما يهتدى به وانما الذى سبق تقريره هو أن العقل وحده لا يستقل بالوصول الى مافيه سعادة الامم بدون مرشد الهى كالا يستقل الحيوان فى درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لابد معها من السمع لادراك المسموعات مثلا كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتبه على العقل من وسائل السعادات والعقل هو صاحب السلطان فى معرفة تلك الحاسة وتصريفها فيما منحت لأجله والأذعان لما تكشف له من معتقدات وحدود اعمال . كيف ينكر على العقل حقه فى ذلك وهو الذى ينظر فى اداتها ليصل منها الى معرفتها وأنها آتية من قبل الله وانما على العقل بعد التصديق برسالة نبى أن يصدق بجميع ماجاء به وان لم يستطيع الوصول الى كنه بعضه والنفوذ الى حقيقته ولا يقضى عليه ذلك بقبول ماهو من باب المحال المؤدى الى مثل الجمع بين النقيضين أو بين الضدين فى موضوع واحد

فى آن واحد فان ذلك مما تتنزه النبوات من ان تأتى به فان جاء ما يوهم ظاهره ذلك فى شىء من الوارد فيها وجب على العقل أن يعتقد أن الظاهر غير مراد وله الخيار بعد ذلك فى التأويل مسترشدا ببقية ما جاء على لسان من ورد المتشابه فى كلامه وفى التفويض الى الله فى علمه وفى سلفنا من الناجين من اخذ بالاول ومنهم من أخذ بالثانى» انتهى كلام الشيخ

(رأينا نحن في مسألة النبوة والانبياء)

هذه المسئلة أصعب مسائل الفلسفة الدينية وعلى حلها يتوقف ثبوت الاديان السماوية . فقد يسهل على الانسان في هذا العصر أن يستدل على وجود الخالق من النظر الى الكون ، وعلى وجود الروح من عرض المباحث والتجارب النفسية التى قام بها اقطاب العلم الاوروبى فى هذا العصر ، ولكن لا يسهل عليه وجدان الادلة الكافية على مسئلة النبوة ، ولا يهتدى الى الطريق المؤدية الى الاعتقاد بصحة الاديان التى توزعت النوع الانسانى منذ ازمان بعيدة

ان كلامنا فى هذه المسئلة يجب ان يكون حالا لشبهات الملحدين المعاصرين ، ومزيلا لشكوك المترددين من الاعتقاديين ، فلا يؤاخذنى رجال الدين ان آنستوا منى خلافا لمقرراتهم فى بعض هذه المرامى فان شبهات الملحدين فى هذه المسئلة لم تدع وجها من وجوه توهينها الا أتت عليه ، فأصبح ايمان المؤمنين مهددا بالانحلال ، وفى هذا ما فيه من الضرر العظيم ، لا بالمؤمنين وحدهم ، بل وبالعلم نفسه . وانى أرى انه مادام الاعتقاديون حريصين على ما ورد فى كتبهم الرسمية من أقوال اسلافهم وان لم يؤيده نص صريح من الوحى فان موقفهم بأزاء الملحدين لا يحتمل المقاومة ، وينتهى امرهم كما انتهى فى هذا العصر الى ضعف يعدو على كيانهم ، ويضيع من وجودهم . ونحن اعتمادا على هذا سنسلك فى هذا البحث مسلك النقد العلمى حتى يكون ما نكتبه حالا للشبهات الرائجة فى هذا العصر

يقرأ الناقد العصرى ما كتبه العلامة ابن حزم فى حاجة العالم الى الانبياء ، وما كتبه الاستاذ الشيخ محمد عبده وهو أحسن ما يستطيع ان يقوله الاعتقاديون فى هذا الباب ، فلا يقنعه ولا يحل له بعض ما لديه من الشبهات

اما شبهاته على قول ابن حزم فكثيرة فقد ذهبت الى أن الانسان لم يهتـد الى أصغر صناعة من صناعاته ، بل احقر لهجة من لهجاته ، الا بوحى إلهى فحط بالانسان الى مادون دركة الحيوان الأعجم ، وغمط قواه العاقلة حقها فى هدايته وارشاده ، ومثل هذا الـكلام لا يقوى على النقد ، ولا يحتمل المناقشة

واما شبهاته على قول الأستاذ الشيخ محمد عبده ، وهو أكمل وأبلغ ما يستطيع الاعتقاديون أن يحتجوا به ، فلا تزال قوية فى نظره ، ولم تنفك غير محلولة ، فاذا لم يجد من القائمين على العقائد من يؤتيه بنظرية فى موضوع النبوة والوحى تتماشى مع العقل والعلم اضطر الى ترك الدين والانضمام الى صفوف الملحدين مضطراً بحكم الدافع العلمى

ونحن فى هذا المقام سنخول هـذا الناقد العلمى الحق فى الادلاء بجميع شبهاته مصغين الى مايقول بسعة صدر ، وشدة اهتمام حتى لا يدع فى جعبة شكوكه سهما من تلك السهام التى تصيبه فى اعماق ضميره الا كشف عنه الغطاء وأرانا مكان وجوده ومبلغ تأثيره ، علما منا بأن تلك الشبهات لو بقيت كامنة فى صدور الناس ساقتهم إلى الألحاد بقوتها الذاتية ، وبقيت عاملة فى الخفاء عندم عمل النار فى الهشيم ، وذهب وعظ الواعظين ، وتنبيه المنبهين سدى كما هو حاصل اليوم ، وأخذ الدين فى التضاؤل أمام العلم حتى ينتهى أمره الى التلاشى كما تدل عليه الدلائل اليوم

يمكن تلخيص ماقاله الأستاذ الشيخ محمد عبده فى هذه الكلمات :

الانسان فى حاجة الى النبوة بدافعين طبيعيين فيه :

(أولهما) اعتقاده ببقاء الروح بعد الموت فى عالم وراء هذا العالم وحاجته لمعرفة ماعليه ذلك العالم من الشؤون وما أعد له فيه من الحالات ، فرحمه الخالق بأن أرسل اليه من يكشف له من أمور ذلك العالم ماتطمئن نفسه اليه ، ومن الحالات التى تنتظره فيه مايجب التعويل عليه

(ثانيهما) قيام أمر الانسان على الاجتماع والتضامن بين أفراده فى الحياة ولم يفطر الانسان على مافطر عليه النحل أو النمل مثلا من الاجتماع والتضامن بل ترك لتأثير عقله وفكره ، واستدلاله ونظره ، وليس

فى صفاته هذه مايحمله على احكام روابط الاجتماع على بنى جنسه لغلبة الشهوات عليه فكان لا بد للناس من أنبياء يرسلهم الله بالاوامر الصادعة ، والعظات الرادعة والمعجزات الباهرة ليحملهم كل ذلك على الاجتماع عليه ، وعلى ماجاء به من أمر الله فيتحابون بواسطته فى الله ، ويجتمعون على هديه وهداه

يقول الناقد العلمى : ليس فى هذين العاملين مايكفى لتعليل نظرية حاجة الانسان الى الانبيا لجريان السنن الاجتماعية على خلافها ، ولتظاهر الاحوال الانسانية فى مناقضتها ، ولمخالفة بعض المسلمات التى استند عليها الاستاذ لمقررات العلم وكلامنا فى نقدها ينحصر فى الوجوه التالية :

(أولا) ليست الامم كلها تعتقد بخلود الروح فعلى الارض أمم منها من هى على الحالة الوحشية ومنها من هى من ارسخ الامم قدما فى المدنية لاتقول بهذه العقيدة أو تقول بها على نقص فيها ، ولم يمنع هذا من ظهور النبوات أومايشابهها فيها فالامة البوذية وهى تعد بمئات الملايين لاتقول بخلود الشخصية (على رأى العلماء الاوربيين وان كان بعض الباحثين فى دينهم ينقضه) فترمى عقيدتها على ماقبل الخلاص من آلام الحياة وسنغصات هذا التكوين بالفناء وضياع كل حس بالوجود الذاتى . وقد دعا الى هذه العقيدة فى المتقبل نحو اكثر من سنة رجل منهم يقال له بوذا فلباه الناس سراعا والتفوا حوله وتحمسوا لدعوته تحمسا لاغاية بعده حتى كان أحدهم يعذب بالحديد والنار ليصبأ عن دينه فيحتقر أنواع هذه الآلام فى سبيل تمسكه بمذهبه . وانتشر هذا الدين فى سنين معدودة بين الهنود والصينيين انتشاراً زعزع أركان الدين البرهمى القديم

بل هذه أمامنا الديانة الموسوية لم يذكر كتابها (التوراة) الخلود بكلمة واحدة بل اقتصر فى حث اليهود الى الطاعات على مكافأتهم بالوصول الى أرض الميعاد وهى فلسطين . ولم تنشأ هذه العقيدة فيهم الا بعد موت موسى عليه السلام كما يدل عليه ماسطر فى كتاب التلمود . فلم يكن علة ظهور نبيهم هدايتهم الى مايلتمسونه من العلم بحال الحياة الآخرة ولا ارشادهم الى اتقان الاعمال التى توصلهم اليه

والامة المصرية القديمة وان كانت تعتقد بخلود الروح الا انها كانت تعتبر من حظ الذين تسعدهم العناية بتصيير أجسادهم بعد موتهم ، وما كان يحصل منهم على هذه الميزة الا الملوك وأفراد من سراة الامة ، وهذا كله لم يمنع تمسكهم بأنواع من الاعتقادات ، وضروب من العبادات بعثتهم لاقامة الهياكل وتعظيم الكهان

وفى الارض أمم تعتقد بالخلود ولكنها تقصره على ملوكها وكبرائها ومحاربيها ولم يمنعها ذلك من تمسكها ببعض العقائد وتحمسها لها تحمسا تسترخص معه فى سبيل نصرتها حياتها النفيسة

فيتبين من هذه النظرة الاجتماعية لكل متأمل ان العقيدة بالخلود لا تصح ان تكون علة فى بعث الانبياء ولاسببا موجبا لثوراتهم . فان الامم كما رأيت لا تستوى فى الجرى وراء هذه العقيدة بل منها ما جعلت الخلاص من الآلام والنجاة من مقتضيات الوجود مرتبطا بالفناء البحت فجعلت عقيدة الفناء غايتها الدنيا كبعض الفرق . فقول الاستاذ اتفقت كلمة البشر الا قليلا لا يقام لهم وزن على ان النفس الانسانية بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن الخ لا ينطبق على مقررات العلم الاجتماعى ولا يصح ان يكون اساسا لارسال الانبياء الى الامم

(ثانيا) قد تقرر فى علم الاجتماع البشرى ان السائق الوحيد لاجتماع الانسان على بنى جنسه هو حاجة افراده الى التضامن فى الحياة وان هذا الاجتماع والتضامن ليسا فى حاجة الى عامل من الاعتقاد بالنبوات لظهور أثرهما فى الامم التى لا تدين للانبياء اكثر من ظهوره فى الامم التى تدين لهم . ونحن لا نذهب بالقارىء الى العهود البعيدة من تاريخ الامم غابرها وحاضرها وهذه أمامنا الامم المتمدنة قد أقامت وحداتها على الوطنية المجردة عن كل صبغة دينية حتى ان منها ما حرم تدريس الدين فى مدارسه الرسمية وانت ترى ان هذه النزعة فضلا عن انها لم توه روابطها ولم تحل حوافظها قد زادتها قوة على قوة وكل منها اليوم تناضل عن وحدتها مناضلة الحى عن وجوده لا تبالى فى سبيلها بما تريق من مهجاتها ، وما تبذل من أموالها . وقد قام فيها التضامن والتكافل والترافد والعدل

على قواعد المصلحة المجردة عن كل غرض دينى ، ولم يظهر على بنائها تضعضع ، ولا على أركانها تزعزع رغما عن جريها شوطا بعيدا فى مناقضة الأنبياء والقائمين على تعاليمهم ، فلو كان لاقوام للعدل والحياة الاجتماعية والتضامن فى الوجود الا بالنبوات لكانت انحلت روابط هذه الأمم ، وساورتها المحالات من حيث تدرى ولا تدرى ولسنا نشذ عن مقررات العلم لو قلنا ان هذه الامم مااتجهت هذه الوجهة الصالحة فى الحياة ، ولا وصلت الى هذه الغايات البعيدة من العلم والعمران إلا بتركها تعاليمها الدينية ، والانفكاك من تقاليدها القديمة

(ثالثا) لو كانت النبوة كما يقول الاستاذ ضرورية لحياة النوع البشرى ، ولاقوام لها الا بها فلم كثرت الانبياء فى أمم وحرمتهم أمم أخرى ، كثروا فى الامة الاسرائيلية مثلا وحرمتهم الامم الافريقية وكثير من الامم الاسيوية والاوربية ؟ ولم كان يمضى بين رسول ورسول مئات من السنين مع اقتضاء حالة الامم وخصوصا فى أول عهدها بالحياة لمن يواليها النصيحة ، ويتابع لها الموعظة ولِمَ انقطعت النبوة بعد خاتم النبيين مع أن أكثر الامم لاتزال على ماكانت عليه قبل آلاف من السنين ؟ ولم لم ترسل لمثل أمم الهوتانتوت والنيام نيام فى افريقيا وأمثالهم فى الاوقيانوسية وامريكا وآسيا أنبياء ونحن نرى هذه الملايين من المخلوقات فى حاجة إلى من يقوم اعوجاجهم ويهديهم الى سواء السبيل ؟ هل يعقل أن يحابى الخالق الحكيم بعض الأمم فيرسل لها مئات الانبياء كالأمة الاسرائيلية ويحرم من هذه النعمة بقية البشر ، أو يكتفى بأن يرسل اليهم واحدا أو اثنين فى الرف من السنين؟

يقول الأستاذ قد كان ارسال الانبياء لهدايه الخلق الى الحق وان النبوة كانت حاجة من حاجات الاجتماع التى لامحيص عنها ونحن نقول قد نص القرآن على عكس هذا فذكر فى آيات لاتحصى ان الله كان يرسل المرسلين للامم فتنفر منهم وتنكر عليهم تعاليمهم وتناصبهم الحرب فتارة تقتلهم ، وطورا ينتصر الله لأنبيائه فيبيد تلك الأمم ، حتى صرح بأن الأمم كافة قد اتحدت كلمتها على مناقضة الأنبياء والنفور منهم والتألب عليهم ، فكيف

فرق بين هذه التصريحات وبين قول الاستاذ أن النبوة حاجة من حاجات الامم وعماداً لا يمكن أن يقوم مقامه غيره فى بناء هيئتها ؟

لو كانت النبوة حاجة من حاجات الحياه الانسانية لقبلت الامم دعوتها وعملت بما أتت به طائفة مختارة ويظهر آثرها عليها فى أدوار وجودها ولكن الذى نص عليه الكتاب أن الامم والنبوات كانا على طرفي نقيض ولم يكن من أثر تلك النبوات الا هلاك تلك الامم التى وجدت فيها . فان اقوام نوح وابراهيم وصالح وهود وسوام ممن لا يحصى لهم عدد قد كذبوا رسلهم فأبيدوا ودام الحال على هذا المنوال حتى جاء موسى فلقى من قومه ما لقى ووجد قومه من جراء عصيانهم له ما وجدوا حتى مات فانشقت عصاهم وتفرقوا فى الارض ، وتمسكوا بقشور من تعاليمهم الاولى . وجاء عيسى فدعا الناس فلم يجتمع عليه الا ضعفاؤهم ممن لا يغنى عن نفسه شيئا ودام امرهم على هذه الحال حتى جاء الامبراطور كونستانتان بعد عيسى بثلاث مئة سنة واتفق انه كان مسيحيا فحمل الناس على التنصر بالقوة فحملوا الى عقيدتهم الجديدة عقائد اسلافهم فى تفصيل ليس هنا موضعه ، وجاء خاتم النبيين فكان أوفر الانبياء حظا فدانت له أمته بعد مجالدات عنيفة ، ومصادمات شديدة ، ولكنه لم ينتقل الى جوار ربه حتى ارتد العرب الى وثنيتهم ولولا ابو بكر انتدب لمحاربتهم واجبارهم على الاسلام لكان هذا الدين قاصراً على افراد من سكان مكة والمدينة ، ومع هذا كله عادت للجزيرة جاهليتها ولكن على شكل آخر ، فرجعت العصبية القبيلية ، والمفاخرة بالانساب ، والفرقة والشقاق ، وما هى الا حياة الخلفاء الاربعة حتى انقلبت الخلافة الى ملك عضوض وطمت البدع ، ولم يبق من الاسلام الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه ، وخضع الملك الاسلامى للناموس الاجتماعي العام الذى تخضع له فى كل أمة فلم يكن تحولها على مقتضى دينها وشريعتها بل على مقتضى القوانين الاجتماعية التى تخضع لها كل هيئة انسانية . فانقسمت الى طوائف ، وجعلت تلك الطوائف همها مقاتلة بعضها بعضا . على نحو ما عليه سائر الطوائف فأين أثر الدين فى كل هذا ؟ وماهى حكمة

ارسال الانبياء بعد ان اريناك ما رأيت؟

هذه أقوال يستطيع أن يقولها ناقد على وهى التى تحيك فى صدور النشء وتعمل فى الخفاء على سلبهم العقيدة واخراجهم الى متاته الالحادوانلم يجرأوا على الادلاء بها ، وقد رأينا أن نبرزها للناس من مكامنها حتى يقف عليها كل قائم على الدين ويجتهد فى مكافحتها بالأسلحة التى تناسبها . واننا لو كنارأينا ان ما كتبه الاستاذ الشيخ محمد عبده يحل هذه الشبه لاكتفينا بنقله كما هى عادتنا . ولكنه كما ترى لا يقوى على النقد الجدى . ولا يزيل من النفوس بعض ما علق بها من شبهات الماديين فى هذا العصر

وبما ان مسألة النبوة من أهم اركان الفلسفة الدينية وعليها يقوم بناء الدين الاسلامى وكل دين سبقه فقد رأينا ان نبذل الوسع فى رد هذه الشبهات ببيان الحقيقة الناصعة فى هذه المسألة بذات الاسلحة العلمية وفى المجال الذى يقف فيه الناقد العلمى . ولا يؤاخذنى احد فيما اخالف فيه من سبقنى فى الكلام فى هذا الصدد فالامر جلل والحقيقة أعلى من أن تضاع تعصبا لمذهب من مذاهب المتقدمين ، أو فى سبيل نظرية من نظرياتهم . ان الشبه فى عصور آبائنا لم تبلغ الى مثل ما بلغته فى هذا العصر ولم يكن العلم بأحوال الاجتماع شائعا بين الناس على ماهو عليه اليوم فكان قليل من العلم يكفى لرد شبهات الشاكين ولكننا اليوم حيال مشاهدات علمية مقررة وامور واقعية ثابتة ، وازاء ملحدة قد حذقوا فنون الجدل، ومرنوا على التلاعب بالآلة الحسية، فاذا أردنا أن ننصر العقيدة نصراً صحيحا وجب علينا أن نقابل هؤلاء المناضلين بمثل علومهم وبذات أسلحتهم . ولو ادانا هذا النضال الى التسامح فى بعض مقرراتنا الرسمية والا ضاعت العقيدة بالجمود على تلك المقررات التى لا يقوم عليها دليل . بل التى قد قام الدليل العلمى على بطلانها . واذا كان الله هو الحق ، وليس لنا من حياتنا ومجهوداتنا الا ما نقوله ونعمله من حق ، فلايجوزأن يقف فى سبيل وصولنا الى الحق حائل من التعصب القديم ولامانع من الجمود على موروث

(رأينا فى حلول هذه الشبه) هل النبوة حق ويمكن اثباتها علميا ؟ هل هى حاجة من حاجات الانسان الاجتماعية والروحية ؟ هل أمرها ينطبق على نواميس الاجتماع البشرى ؟ وهل يمكن وجدان الناموس الاجتماعى الذى تسير بموجبه ، وقد ثبت لنا من النظر فى أحوال البشر أن شؤونهم مقودة بنواميس ثابتة لاتتغير تشبه النواميس العامة فى المواد الطبيعية ؟ وهل النبوة أن ثبتت ، لاتزال حاجة من حاجات البشر أم انقطعت بانقضاء دورها ؟ وهل هى شرط من شروط صحة الاعتقاد بحيث يدان فى العالم الاخروى من لايسلم بها

لامناص لنا فى هـذا البحث من استقصاء الكلام فى كل هذه المسائل فان الروح العصرية تتطلبها وأصبح الناس من أمرها شيعا متفرقين . وينتظر منا اعطاؤها القسط الواجب لهـا من الكلام فى هذا الكتاب . فنقول والله المستعان :

﴿هل النبوة حق﴾
(ويمكن اثباتها علميا؟)

نعم النبوة حق وقد تناهضت الادلة العلمية اليوم على اثباتها بعد شيوع المباحث النفسية فى أوروبا حتى صار فى مكنة من يريد تمحيص مسائلها أن يقف على أدلتها بالبراهين المحسوسة . هذه جرأة منا فى التعبير . ولكنها جرأة يسوغها مالدينا من المعلومات وان كان الشرقيون لايزالون فى ناحية عنها . لقد أكب علماء الغرب وأقطاب فلسفته على دراسة الروح ومظاهرها على الاسلوب العلمى فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر واهتموا بها اهتماما لم يسبق له مثيل فى مسئلة أخرى من المسائل العلمية وبلغ من عنايتهم بها أن انتدب لبحثها ألوف من رجال العلم فى كل أمة من الأمم المتمدنة ودونوا أبحاثهم فى كتب لاتحصى كثرة وأسسوا لها المجلات الخاصة وأقاموا لها المجتمعات والنوادى حتى اجتمعوا لها فى شكل مؤتمرات عديدة . هذا كله حصل ولايزال يحصل فى العالم المتمدن والشرقيون بمـا عهـد فيهم من الاعراض عن دراسة المسائل العلمية لا يزالون فى ناحية عنه وقد انقسموا فيما بينهم إلى فئتين فئة تؤيد المذاهب القديمـة فى الروح وأحوالها والنبوة وشؤنها ، وفئة ضربت الصفح عن كل ذلك ووقر فى

روحها أن المدنيـة لاتمنى غـير الخروج عن كل عقيدة ؛ والانسلاخ من كل رابطة روحية ، فأدام ذلك إلى أشنع حالات الاباحـة ، ولم يرزقوا رجالا من ذوى الغيرة العلمية ينبهونهم إلى ماهو حاصل فى العالم الغربى ، وما فتح الله به على الناس فى آخريات القرن التاسع عشر ومقـدمة القرن العشرين . وقد كنا أول من نبـه على خطورة هذه المسائل منذ استطعنا أن نمسك القلم أى منـذ نحو عشرين سنـة بعد أن هدينا الى هذه المباحث فى أثناء اشتغالنا بدراسة المسئلة الدينية ونحن فى سن الدراسة التجهيزية فتجـلى لنا منها ماتجلى وأخذنا منذ ذلك الحـين نشيعها وندعو الناس الى تأملها منفردين لم ينصرنا فى لفتهم اليها كاتب بل كانت بعض المجلات تسأل عنها فتجيب بأن هذه حركة قام بها الغفل من الناس ، وجرى وراءها من يسهل عليه الانخداع للمشعوذين والدجاجلة . والله يعلم أن أصحاب تلك المجلات كانوا أجهل بما يفتون فيـه من سائليهم ، بل كان من الكتاب من كتب فى الحط من شأنها ماكتب فجنى بذلك على الناس والعلم أكـبر الجنايات وكان من أثر ذلك أن وقفت هذه المسئلة عند حد محدود من أذهان الشرقيين . ونحن قبل أن نخطو خطوة فى الاعتماد على هذه المباحث ننقل للقراء بعض أقوال أقطاب العلم فيها

قال الفيلسوف جان فينو صاحب مجلة المجلات الفرنسية فى مجلته:

« أن عـدد أشياع المذهب الروحى قـد بلغ الآن نحو عشرين مليونا . وهم أما علماء أو أساتذة فى الفنون أو أطباء أو مهندسون ، ولايصح أن نتوهم أن هؤلاء الرجال يستخدمون التدليس لانجاح الخرافات ، ويصعب علينا أن نتهم هؤلاء العلماء بالسذاجة فان دقتهم الشديدة فى التجارب العلمية أشهر من أن تذكر » انتهى

وقال الأستاذ العلامة روسل ولاس الانجليزى وهو مكتشف مذهب النشوء والارتقاء أى مذهب دارون مع دارون فى وقت واحد ولكن ثبت أن دارون كان أطلع بعد اصدقائه على مـذهبه قبـل أن ينشر روسل ولاس مذهبه بردح من الزمن فرأى العلماء من العدل أن ينسب المذهب الى دارون ، يكفيك هذا ادلالا على

فضل الرجل وسعة اطلاعه ودقته فى البحث. قال فى كتابه المسمى المعجزات والمذهب الروحى فى العصر الحاضر:

« لقد كنت ماديا صرفا مقتنعا بمذهبى تمام الاقتناع ولم يكن فى ذهنى ادنى محل للتصديق بحياة روحية ولا بوجود عامل فى هذا الكون غير المادة وقوتها ولكنى رأيت أن المشاهدات الحسية لاتنفالب فانها قهرتنى وأجبرتنى على اعتبارها أشياء مثبتة قبل أن اعتقد نسبتها الى أرواح الموتى بمدة طويلة . ثم أخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلى شيأ فشيأ ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ولكن بتأثير المشاهدات التى كان يتلو بعضها بعضا بطريقة لايمكن التخلص منها بوسيلة اخرى، أى بغير نسبتها الى العالم الروحانى » انتهى

ونحن نستطيع أن نأتى على آراء لايحصى لها عدد فى هذا الصدد وكلها منسوبة للعلماء الاعلام امثال الاساتذة ولیم كروكس واوليفرلودج وجارنى وميارس ومورجان وشارل ريشيه وكاميل فلامريون وزولنر ولومبروزو ومابس وهير وهيزلوب وهودسون من كل امة من الامم الاوروبية والامريكية فراجع ماكتبناه فى كلمة (الله وروح) لتقف على بعض هذا . وما ترددنا لمثل هذه الاسانيد فى هذه المناسبات الا ليذكر القارىء اننا لانعتمد فى ابحاثنا على الأوهام، ولا نستند على الاحلام . فان قال قائل بعد هذا إن جميع هؤلاء مخرفون أو واهمون، وهم أقطاب العلم الطبيعى وأساتذة اساتذة أكبر رأس فى هذا الشرق الفقير من العلم والعلماء ، فعلى العقل والعقلاء السلام

لنرجع الى ما كنا فيه. قلنا أن النبوة حق فقد ثبت علميا وبالتجارب الحسية ان الانسان مكون من جوهرين متميزين المادة والروح، فهو بجسده مرتبط بهذا العالم المادى المحسوس المحدود ، وبروحه متعلق بعالم روحانى ليس له حد ينتهى اليه، ولا غاية يقف عندها ، فهو اذا كان بجثمانه لايفترق عن الحيوان الأعجم فى حاجته الى الغذاء والتزاوج لحفظ نفسه ونوعه الا أنه بروحه يلحق بعالم عال لايدرك كنه رفعته وهم، ولا يحوم حول جماله وجلاله خيال ، عالم متسلط على المادة بوجدها وبلاشيها ،

بتصرف فيها يميتها ويحييها. هو العالم الالهى الحق الذى يعتبر مصدر ومرجع كل وجود غيره. وماهذه المادة الا مظهرا من مظاهره ومجلى من مجاليه، نسبتها اليه كنسبة الزبد الى البحر أو الاشعة الى النور

وقد ثبت بما لا يحصى من الأدلة العلمية أن الانسان لو أنيم نوما مغناطيسيا فانقطعت عنه خواطر الحس ظهر تعلق روحه بذلك العالم ظهوراً لا يحتاج معه لدليل. فتراه يرى بغير عينيه ويسمع بغير أذنيه ويحس بغير مشاعره يرى البعيدين عنه والقريبين منه على السواء ويسمع مايقال بجانبه ومايتكلم به على ابعاد شاسعة فى أقطار متنائية. يقرأ الخواطر التى تجيش بنفس المحيطين به ويطلع على هواجسهم فيصورها كأنه يشاهد جيشانها فى صميم النفوس وأعماق الصدور. فا هذه الحال اذا كان الانسان مادة محضا وجسدا صرفا؟ اذا كان الانسان لا يشعر الا بحواسه، ولا يدرك الا بمشاعره، فا هذا الاحساس بما هو بعيد عنه، والاخبار عما ليس بينه وبينه اتصال؟

من هنا اقتنع العلماء بالحس على ان للانسان روحا من غير جنس المادة وان هذه الروح لاحد لسلطانها، ولا غاية لارتقائها، وانها تتصل بأرواح متجردة عن المادة فتخبر عنها عن شهود وعيان، لا عن وهم وخيال. قال العلامة (بيو) الفرنسى فى كتابه (المذكرات على المغناطيس الحيوى):

« النوم المغناطيسى يثبت وجود الروح وخلودها ويبرهن على امكان اختلاط أرواح متجردة عن المادة بأخرى لم تزل مكسوة بها »

وكتب الكاتب الكبير (جول بوا) فى جريدة الطان الشهيرة فى ٢١ يونيو سنة ١٩٠٥ يقول:

(ان ماحدث من أنواع الشفاء بواسطة التنويم المغناطيسى مما يكاد يعد معجزة، وماحصل من الفوائد بواسطة التلقين والاستهواء، ومايشاهد من مزايا الاعتقاد وثبات الارادة، والمحاورات المدهشة بواسطة التلباتيا (وهى التأثير به على الغير والتأثر به من بعد)، ومسائل الاحساس بالمستقبل وقراءة الافكار وظهور شبح الانسان فى مكان بينما يكون هو فى محله لم يتحرك. واستخراج القوة الحيوية من الجسد (وقد توصلوا الى

رسمها وقياسها) وما يراه الانسان من الغيوب في النوم والانباء بالامور المستقبلة والخوارق التي تتم على الوسطاء ودراويش الهنود وهي في أكثر الاحوال صحيحة صادقة كل هذا يتكون منه مجموع عظيم من حوادث ومشاهدات يستحيل على الانسان أن يزدريها وأن لا يعبأ بها » انتهى

وهذا العالم الروحاني الذي تجلى بجلاله وأبهته لعلماء العالم المتمدن أصبح نكرانه ضلة من أكبر الضلالات وزلة لا تغتفر لفاعلها

هذا العالم الروحاني مصدر الخلق والايجاد، ومنشأ الحس والادراك لا يحدث في عالمنا المادى حادث صغر أو كبر ، ولا يتحول فيه أمر جل أو حقر ، الا كان متنزلا منه ، وصادرا عنه

فاذا ثبت أن المنوم نوما مغناطيسيا يتصل به فيروى عنه معلومات تفوق معلومات البشر ، وان الوسيط الذي يستخدم لتحضير الارواح يتصل منه بالارواح المجردة فتظهر للحاضرين بعد أن تكتسى بالمادة فيلمسونها أو يزنونها ويفحصونها وتأتيهم من الخوارق بما يشبه معجزات الانبياء وكرامات الأولياء ، إذا ثبت هذا كله ، وقد ثبت ثبوت المشاهدات العلمية على أيدى أقطاب العلم العصرى ، فهل يسوغ أن ينكر على أفراد من النوع البشرى أدعوا انهم أنبياء أن يتصلوا بذلك العالم على قدر مراتبهم فيأتوا منه الناس بعلم ما لا يعلمون ، وتفسير ما كانوا يجهلون ، ويوحى اليه منه ما يرفع نفوسهم ويزيل شكوكهم ، ويفيدهم في دنياهم وأخراهم ؟

من الظلم البين ، بل من الجهل الفاضح أن ينكر الرجل العصرى هذا الأمر بعد ما ثبت بالمشاهدة في المجامع العلمية . وقد آب العلماء الماديون الى التصديق بالنبوات بعد أن كانوا ينكرونها ويحشرون الانبياء إلى مصاف المصابين بالهستريا أو الخادعين المرائين ، وأصبحوا يعتقدون بأن الأنبياء كانوا صادقين في ادعائهم الاتصال بالعالم الروحاني واستقاء معلوماتهم منه

بقى علينا أن نعرف ماهية الوحى ومراتب الاتصال بالعالم الروحاني وشؤون ذلك العالم إلى غير ذلك من المعارف الضرورية لهذا البحث فنوجه نظر القارىء

إلى ما كتبناه فى كلمة وحي فى حرف الواو فقد أسهبنا الكلام عليه وأتينا على آراء العلماء العصريين فيه

﴿هل النبوة حاجة من حاجات﴾
(الانسان الاجتماعية والروحية ؟)

أن دراسة الاحوال الانسانية ، والنظر الى شؤون الاجتماع البشرى يرينا أن النبوة ليست حاجة من حاجات الاجتماع ولكنها حاجة روحية بمعنى أن الاجتماع لايتوقف عليها ولكن يتوقف عليها استقامة النفوس على جادة الصواب فى مراميها المعنوية

فالاجتماع تدعو اليه الضرورات الحيوية المادية ، وكفى بهذه الضرورات سائقا لتضام الافراد وتضامنهم فى سبيل الحياة وقد نص القرآن الكريم على أن الله كان يرسل رسلا الى أمم كانت قائمة على أقوى الدعائم الاجتماعية وعلى جانب عظيم من المدنية المادية فكانت تكذبهم وتستهزىء بهم فيحل بها النكال بسبب ذلك التكذيب . وفى الارض اليوم أمم رفضت تعاليم الانبياء وهى على أحسن مايكون من التضامن الاجتماعى . فالنبوة اذن حاجة روحية بحت لم تحرم منها أمة من امم الارض مهما كانت درجتها من سلم الارتقاء

قد دلنا تاريخ البشرية على أنه لم توجد أمة على سطح الأرض مهما سفلت منزلتها فى درجات العقل محرومة من أساطير دينية ولو على أحط الاشكال ، اللهم الاأفرادا من النوع البشرى يهيمون على وجوههم كالانعام لايفترقون عن القردة الا فى تجرد أجسادهم من الشعر يصادفهم السائحون فى بعض الغابات على حال من الانحطاط العقلى ليس وراءها غاية ، ويظنهم من يراهم انهم من بعض القردة . ومثل هؤلاء لايصح أن يعتمد على حالهم فى نقض الحقيقة الاجتماعية التى قررناها من شيوع التدين بين جميع طوائف البشر بغير استثناء وفى كل درجات الاجتماع . فان هؤلاء الهمل أفرادا لم يرقوا لدرجة الاجتماع ، ولم يصلوا من الحياة الانسانية لادراك شأن من شؤونها الجامعة

فالتدين عام فى جميع الطوائف غابرها ومعاصرها ، باديها وحاضرها ، وهذا التدين فيها يتمشى للناظر فى عقائد رسمية ، وأصول ايمانية ، وتقاليد محترمة

وان كان منها ما ينبذه العقل ، وينفر منه الطبع ، الا انه على أى الاحوال كان دين قائم على أسس راسخة فى عقول تلك الطوائف ، ومتسلط على أهوائها بحيث تسترخص فى الدفاع عنه أرواحها وتستلين فى حياطته كل المراكب الخشنة ، فمن أين أتت هذه الامم تلك المقررات الدينية وكيف اجتمعت كلتها عليها وبأية وسيلة رسخت أصولها فيها ؟

ان قلنا ان التدين فطرة فى النفس البشرية وانها ساقت الأمم الى تأليه قوى الطبيعة أو بعض مظاهرها ، فكيف ندرك اتفاق كل طائفة على رسوم مقررة منها ، وأصول معينة ، وكيف توحدت وجوه العبادة فيها واجتمعت اهواؤها على أشكال خاصة من شؤونها ؟

لا يمكن تعليل هذه الوحدة فى الوجهة الا بأحد أمرين وهما اما قيام نبى فيهم دعاهم الى دين يناسب عقولهم وأحوالهم الاجتماعية فحرف القوم تعاليمه حتى أحالوها الى الوثنية ، وإما نبغ فرد من أفرادهم لا من طريق النبوة بل من طريق النظر والاستدلال ، والتحمس الدينى على شكل من الاشكال ، فانفتق له حجاب الحس عن عالم الروح فنال منه طرفا اختلط عليه فيه شيء من الوهم فأتام منه بعلم يناسب أهواءهم ومداركهم فاتبعوه ، وتوحدت وجهتهم على يديه وتلاهم على قيادتهم الروحية خلفاؤه من بعده الى اليوم

لا مناص من التسليم بأمر من هذين ، وكلاهما يدل على أن النبوة بمعناها العام حاجة من الحاجات الروحية للأمم

قلنا النبوة بمعناها العام ونريد بذلك أن نشمل كلمة النبوة ما يشتبه بها من الكهانة والعرافة فان كلا من هذه الوظائف تستند فى اظهار وجودها على العالم الروحانى والفرق بينهما أن النبوة حالة سامية تتوارد بواسطتها المعارف على صاحبها من مصدر علوى ، وأن الكهانة والعرافة وغيرها حالات لم تبلغ مبلغ النبوة فتختلط فيها المعارف العلوية على أصحابها بكثير من الخرافات والاضاليل الشائعة

فالامم فى درجات من أدوار تكونها لا تستطيع أن تتدين الاعلى الشكل الوثنى كما يدل عليه شيوع الوثنية بين جميع الطوائف المنحطة فاذا اتفق أن ارسل الى مثل تلك الامم رسول يدعوها الى

التوحيد عارضت دعوته بكل قوتها ونفرت منه أشد النفور ، وبالغت فى مناصبته العداء حتى قتلته أو استوجبت قارعة من القوارع التى تصيب الامم عند نشوء الشغب الدينى فيها . وهذا فيما يظهر لنا السبب فى عدم موالاة الله ارسال الانبياء للامم المنحطة فهو يدعها حتى تنضج عقولها لقبول الدين الخالص ، أو تستدعى حالتها ان تبتلى بدعوة من تلك الدعوات فتبيد فى سبيل معاصاتها كما حدث فى أمم كثيرة

فبطلت من هذا البيان شبه كثيرة من شبه الناقد العلمى فيما يختص بارسال أنبياء كثيرين الى أمم وعدم ارسال نبى واحد الى غيرها ، أو فى اطالة الفترة بين رسول ورسول ، أو فى قصرهم على اقطار دون اقطار فى أزمنة محدودة

وقد ثبت بهذا التحليل العلمى ان النبوة أو ما يشاكلها حاجة من الحاجات الروحية للامم لتساوى الامم قاطبة إما فى الخضوع الى نبى من الانبياء أو لكاهن من الكهان . فلو لم تكن النبوة أو ما يشبهها حاجة روحية فلم كان هذا الاجماع من الأمم على التدين ، ولم كان إطباقها على الالتفاف حول نبى معلوم أو كاهن معين أو هيئة ثابتة تدعى الوساطة بين العالمين

فهل تسمح لنا المعلومات الحاضرة بوجدان الناموس الذى تسير على موجبه النبوات أو ما يشبهها على نحو كل الاحوال الاجتماعية ذات النواميس المقررة ؟

لا مشاحة أن اجماع جميع الطوائف البشرية على التدين وعلى الخضوع لزعيم دينى يدل على وجود ارتباط تام بين ميول الانسان النفسية ، والمعلومات الروحية ، فهو بهذا الارتباط قد دل على انه لا يقنعه من الحياة مجرد اشباع حاجاته الجسدية ، بل يميل لأن يفتق الغلف المادية للوصول الى ما يشعر بالانجذاب اليه من العوالم الغيبية

قد كان يصح أن يقال ان سبب هذا الانجذاب هو الجهل بأسرار الطبيعة ، والعماية عن نواميس الخليقة ، لولا أن الانسان قد أمعن فى طريقه هذا حتى بعد بلوغ علم الطبيعة هذه الغاية البعيدة التى نحن عليها الآن ، بل لا نبالغ أن قلنا أن ميل الانسان لفتق حجب المادة والنفوذ الى ما وراء الطبيعة لم يكن فى عصر من العصور مثل ما هو عليه فى هذا

العصر من القوة وشدة الاندفاع ، فقد تصدى لهذا البحث الوف من العلماء كما ترى فى كلمتى الله وروح وغيرها من هذا الكتاب وقد تكللت هذه الجهود بالنجاح فصار لدينا من علم ماوراء المادة معارف مقررة ثابتة دون انكارها انكار الشمس فى رائعة النهار

هذا الارتباط التام بين ميول الانسان وبين المعارف الروحية ، يقتضى وجود الموصل بينهما والقائم على كسر الحجب التى تفصلها ، ولا يكون هذا الا على يد نبى او مايشبهه من الوسطاء بين هذين العالمين

والذى يشاهد بالحس انه لم يقطع المدد الالهى عن الناس من هذه الوجهة فى زمن من الازمان فانه ان لم يكن فى الامة نبى قام مقامه فيها تابع له على قدمه أو كاهن أو مايشبهه من الذين يجدون وراء اختراق الحجب للوصول الى عالم الروح حتى وصل الامر الى عصرنا هذا وهو عصر العلم فتولى أمر فتح الطريق الى العالم الروحانى علماء الطبيعة أنفسهم كما قال الاستاذ (كارل دوبرل) « كانت العلوم الطبيعية أول من تجارأ على انكار الروح فعاقبها الله بأن كلفها هى أن تقيم على وجودها الادلة الطبيعية»

فالناس لم يحرموا فى دور من أدوار وجودهم ولا فى درجة من درجات مداركهم ممن يمدهم بحاجتهم من هذه الوجهة

اننا لانستطيع ادراك الناموس الذى أرسلت الانبياء على موجبه كما لانستطيع ادراك الناموس الذى تولى توليد القادة والفاتحين أمثال قامبيز وبختنصر والاسكندر وجنكيزخان وغيرهم ولا الفلاسفة الاولين كفيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطو ، ولكن هذ الجهل منا بناموسهم لايمنع اعتقادنا بضرورة رسالتهم لاحداث الانقلابات الاجتماعية التى لامناص منها لترقية النوع البشرى . وقد تأثرت البشرية برسالات الانبياء اكثر مما تأثرت بفتوحات الفاتحين . فقد أثارت تلك الفتوحات ثائرة الشعوب وأحدثت فى أحوالها الاجتماعية انقلابات كان لها أثر فى دفعها الى الامام فى دوائر معنية ، ولكن تلك الرسالات مع احداثها مثل هذه الانقلابات الاجتماعية من الوجهة المادية أحدثت انقلابات نفسية لاتقل عنها خطورة فلطفت

من خشونة تلك الشعوب وهذبت من أخلاقها وبعثتها الى باحات جديدة من الحياة الروحية ولا سبيل الى انكار هذه الآثار الخالدة الى اليوم

يقول الناقد العلمى فى نقده ما الحكمة فى ارسال الرسل ولم يلبث الناس على تعاليمهم الا سنين معدودة ثم ارتكسوا الى أسوأ مما كانوا عليه وصاروا شيئاً آخر؟ ويضرب الامثال بالاسرائيليين والمسيحيين والمسلمين فى تنكبهم مناهج رسلهم وعدم تمسكهم بأصولهم الا بالاسم

نقول ان فى هذا الاعتراض شططا عظيما فيجب رده الى حده المعقول ثم الاجابة عليه

نعم ان أتباع الانبياء لم يسيروا على مادعوا اليه الا مدة وجود أنبيائهم بين ظهرانيهم ثم نزعوا الى التبديل والتحريف من بعدهم . وجروا فى هذا الدور الى مدى بعيد ، ولكنهم لايزالون متمسكين منه بما يرفعهم عن حالتهم السابقه درجات كثيرة تصلح لان تأخذ بيدهم الى أدوار من الانقلابات جديدة ، ولا أحيلك الا الى ما يشبه الحس من مقررات التاريخ

جاء موسى الى بنى اسرائيل وهم فى أسر فراعنة مصر على حال من الضعف والذل ليس بعدهما مرمى فأنقذهم من هذا النير الثقيل وأنشأ لهم دولة ذات بأس شديد صلحت لان تبقى ثابتة قوية مدة حياته وقرونا بعد وفاته ولا يزال اليهود شخصية بارزة الى اليوم

نعم ان أتباع موسى انحرفوا من صراطه بعد موته ولكنهم حافظوا من تعاليمه على ما يجعل الفرق بينهم فى حالتهم بعده وحالتهم قبله كبيرا جدا وهذا كل ما يطلب من حوادث الانقلابات الاجتماعية فان الطفرة محال والقرون فى أعمال الجماعات كالسنين فى عمر الانسان

وجاء عيسى الى قومه فأخذ بأصوله منهم من أخذ ، وجد على ما كان عليه من جد ، فلم يمض الانحو ثلاثة قرون بعده حتى ظهر مذهبه يتلألأ فى جو اوربا تلألؤا يأخذ بالابصار فحل الاعتراف بالروح وسلطان الروح ، والتخلق بالرحمة والحنان والعطف والزهد ، محل الالحاد والقسوة والفظاظة والانغماس فى الترف وغيرها من الاخلاق التى كانت سائدة فى آخريات عهد الدولة الرومانية فانقلبت

الحال فى هذا المدى القصير واخذت الاصول الجديدة تعمل عملها فى تهيئة الاوروبيين الى الباحات الجديدة حتى تأدوا بعوامل الترقى الى ماوصلوا اليوم اليه لا باسم الدين بل باسم العلم

نم ان اتباع عيسى انحرفوا عن طريقته فى تمسكهم بمذهبه فى كثير من الشئون ولكنهم ابقوا من أصوله على مايميزهم عما كانوا عليه ويكفى لادخالهم فى الادوار التى تؤدى اليها تلك الاصول. ولا ينكر هذا الا متعنت

يقول قائل ان أقطاب النهضة الاوروبية يزعمون انهم مانهضوا بالعلم إلا بمنابذة الدين وما أسسوا ماأسسوه من أصول المدنية الا بقهر زعماء الدين ومن لف لفهم من أفراد الأمة

نقول كل ذلك كان ولكنه لايقدح فى قولنا أن الدين المسيحي أوجد لأوروبا مزاجا جديدا لم يكن لها فى عهد الرومان ولم يكن فى أصول المدنية الرومانية مايؤدى اليه وقد انتهى أمرها الى اخلاق تستحيل معها الحياة من البذخ والترف والاباحة فلولا ان اسعفها الله بالدين المسيحى فى ذلك العهد بما فيه من ملطفات للحياة البهيمة لارتكست تلك المدنية الرومانية إلى وحشية ليس لها مثيل

نعم إن المسيحية بما كان فى أصولها من الزهد وترك الدنيا وبما جد زعماؤها على درجة معينة من العلم الكنسى قد وقفت باوروبا نحو الف سنة فلم تمد نحو الترقى قدما ولكنها كانت وقفة لابد منها لازالة ماتركته وثنية الرومانيين من صفات الوحشية ولازهاق عوامل الفناء التى كانت ولدتها تلك المدنية المبادية ، فلما تهيأت النفوس هنالك النهضة وجد العاملون عليها من القائمين على الدين مالم يجده من سبقهم من العاملين فى أمة من أنواع الاضطهاد، ولكنه كان اضطهادا أشبه بالوثنى منه بالمسيحى لأن الدين المسيحى ينهى عن الاكراه ولو في مصلحة الدين ويحرم استعمال القوة ولو الدفاع عن النفس. فلما نشأ العلم بشكوكه وعدائه للدين لم يأنف الاوربيون أن ينتسبوا للمسيحية مع ما أثاره العلم من الشبهات فيها إجلالا لاصول من التحاب والتعاطف والتراحم فيها لم تأت بأرفع منها فلسفة الى اليوم

ولما جاء محمد الى قومه كانوا على حال من الانحطاط والوثنية ليس وراءها

مدى قدعام الى دين لانقول انه يصلح لمباراة غيره من الاديان بل لمباراة العلم العصرى فى جلالة قدره : أصول راقية للاخلاق ، ومبادىء قويمة للشريعة ، وحدود حكيمة للمعاملات ، ووجهة كريمة للحياة ، وغاية معقولة للعبادة ، وميدان مفتوح للترقى الصورى والمعنوى ، فقابله العرب بالنفور والمصادمة ، ثم انتهى امره بالغلبة . فخرج العرب به من حضيض انحطاطهم الى باحات من الحياة جديدة تؤديهم الى درجات من المدنية عالية ، فتم لهم فى عشرات من السنين مالم يتم لسواهم فى مئات منها فصارت لهم دولة نشرت سلطانها على أكثر المعروف من الاقطار على عهدها . ثم لما ضعف أمر العرب قام مقامهم باسم الاسلام غيرهم من امم الفرس والديلم والكرد وسواهما، وكان من أثر هذا كله أن تم فى العالم الانسانى انقلاب كبير باسم الاسلام ولايزال هذا الدين عاملا كبيرا من عوامل الامم التى تدين به وان بعدت به عن أصوله ، وجردته من أكثر مزاياه

فلا يسوغ بعدهذا لناقد مهما استند على مقررات العلم أن يزعم بان الانبياء لم يفيدوا المجموعة الانسانية بكثير شيء وهو يرى بعينيه ان العالم قد توزعته عدة أديان وصبته فى قالبها ، وقادته الى وجهاتها ، والفت الحالة التى عليها الناس اليوم

وربما قال الناقد هنا : أليس من شر المصائب على الناس أن توزعتهم هذه الاديان فجعلتهم أعداء الداء ، يتوارثون العداوة والبغضاء ؟ أليس كان الاولى بهم أن لايكون لهم دين من أن يكونوا على هذه الحال ؟

نقول لم تكن الاديان سببا أوليا لهذا الخلاف فليس فى اليهودية نص يأمر ببغض غير اليهود والحقد عليهم ، وطبيعة الديانة المسيحية تنافى التعصب الذميم ، وناهيك بدين يأمر الآخذ به أن يعطى قميصه لمن يسلبه رداءه ، وجوهر الاسلام يجافى التقاطع لاجل الدين ، وتاريخ نبيه وخلفائه ومن تبعهم باحسان مفعم بآيات فى باب التسامح، فالاديان لم تنشىء هذا التحاقد المشاهد بين الأمم وانما هى الطبيعة البشرية حولت الأديان إلى هواها فتحاقدت باسمها كما هو شأنها فى جميع اهوائها ، ولو كانت هذه الأمة غير متدينة لكان هذا التحاقد على أشد مما هو عليه

الآن ألا ترى بعينيك الأمم ذات الدين الواحد بل المذهب الواحد تتصارع وتتناحر من أجل مصالحها المادية لا غير

يستخلص من كلامنا الذى مر ان النبوة آتت الامم التى حدثت فيها خيرا عظيما ، واحدثت بها فى العالم انقلابات كانت ضرورية لبعثها الى باحات جديدة من الترقى ، وان هذه الاديان لا تزال من أكبر العوامل المؤثرة فى تلك الامم وان بعدت بأهواء أهلها عن حقائقها الاولى، وخرجت بأوهامهم عن حدودها النافعة

(هل النبوة لا تزال حاجة)
(من حاجات البشر؟)

الانسان مسوق الى التدين بفطرته، والتدين اذا حللناه الى معناه الحقيقى وجدنا انه هو شعوره بأن وراء هذا العالم المادى المحسوس عالما أرقى منه يصرفه ويتولى تدبيره ، وانه هو مخلوق لتلك القوة ومسخر لها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً الا بها ، وان سعادته وشقاءه فى يد تلك القوة التى لا يدركها عقله

هذا الشعور الفطرى من الانسان دفعه لتلمس تلك القوة العالية فى ذلك العالم الأقدس فاحتاج لمن يحدثه عنها ويدله على ما يرضيها وما لا يرضيها من الاعمال لتدر عليه اخلاف الرزق ، وتهبه من القوة ما يتغلب بها على أعدائه ومزاحميه

فكان الانسان فى جهله هذا مستعداً لقبول كل ما يقال له عن تلك القوة ، ومتطلعا لخبير من بنى جنسه يستطيع أن يعاونه على كشف حقيقتها ومعرفة شؤنها لا لأنه يتوق للخلود فى حياة بعد هذه الحياة ، ولا لأنه يعشق جمال العالم الروحانى ، ولكن لأنه كان يتخيل من تغير أحوال الطبيعة حوله ان تلك القوة ترضى وتغضب ، وتهب وتمنع ، فاذا رضيت أشرقت الشمس، وهبت النسمات اللطيفة ، وأخصبت الارض ، وبعدت الحيوانات المفترسة ، وان غضبت غامت السماء ، وزمجر الرعد، وسقطت الصواعق، وجرفت السيول أكواخ الناس، وأجدبت الارض، وانتشرت الامراض، وأغارت الحيوانات الضارية . فكان يرى ان هذه القوة الخفية يجب أن يَخضع لها ويُتقرب اليها بالطاعات والأضحيات لترضى عنه وتحبوه مواهبها

هذا هو الذى كان يدفع الانسان فى دوره الاول لطلب الدين وهو دافع شديد كان يضطره لتلقف كل ما يقال له من الخرافات حتى قبل فى سبيله أن يضحى فلذة كبده لارضاء ذلك الاله المنتقم الجبار . ولا أدرى أكان الخالق يرسل الى امثال هذه الشعوب أنبياء مزودين بالعقائد الضرورية لهم ، أم كان يقوم فيهم مقام الانبياء كهنة يعلمونهم من خيالاتهم وأوهامهم ما كانوا يرون انه حق يجب الجرى عليه ؟ لا أستطيع أن أبت فى هذه المسألة فان تاريخ الامم الاولية غامض ولم تقص علينا الكتب السماوية من أسماء الانبياء الا عدداً محصوراً ارسلوا لامم معدودة

فلما ارتقى علم الانسان بعد الوف من السنين ، وتلطف شعوره بعض التلطف ارتقت عقائده ، وتلطفت تبعا لذلك وظهرت فيه ميول جديدة تقتضيها درجة الرغد الذى وصل اليه من حياته العملية ، فأخذ يتخيل الموت وآلامه ، والفناء وقبحه ، فتنبهت فيه عاطفة الخلود فى عالم وراء هذا العالم ، فاندفع يتطلبه فراجت لديه الاساطير التى تمثل الحياة فى العالم الآخر ووقف فريق أنفسهم لاختراق الحجب التى تفصل بين العالمين بأفكارهم فتوصلوا الى درجات مختلفة من الفلسفة النفسية حتى أداهم هذا الميل الى الاهتداء الى التنويم المغناطيسى واستحضار أرواح الموتى كما دل على ذلك تاريخ المصريين القدماء والهنود والصينيين

ولكن مثل هذا الاندفاع الاعتقادى وراء سلسلة من المسائل الغيبية يؤدى عادة الى الخلط بين الحق والباطل فيها ، والباطل يجر وراءه جيشا من الاضاليل والاوهام فتسوء حالة الامم وتفسد نفوسها وقلوبها ، فكان الخالق يرسل اليها رسلا لاقامتها على الطريق القويم ولا عطائها من علم ما وراء المادة القدر الذى ينفعها ولا يصح أن تتجاوزه فكان يقف عند حدود ما جاؤا به أفراد ويصمم الباقون الى أن استعد النوع الانسانى لقبول الرسالات الكبرى كرسالة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم فجاؤا يحملون للناس علما جما من عالم ما وراء المادة بل كانوا هم انفسهم فى وقوفهم بين العالمين ، وتوسطهم بين عالم الشهادة وعالم الروح آيات للناظرين ، فكان موسى يضرب البحر

بعصاه فتظهر اليابسة ويكون كل فرق من الماء كالطود العظيم ، ويضرب الصخر بها فيفجر منهـا العيون الثرارة ، وتمكن بذلك من انقاذ قومه من فرعون مصر الطاغية على حال لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الشعوب المهضومة الحقوق . وكان عيسى يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى. وكان محمد فى اتيانه بهـذا القرآن المعجز واتصاله بجبريل واسترشاده بالوحى فى كل صغيرة وكبيرة اكبر آية للمؤمنين

استقرت هذه الاديان الثلاثة الكبرى فى اقطارها المقدرة لهـا وثبتت أديان أخرى فى أقطار أخرى لدى امم وصلت من الرقى الى درجات صالحة ورضى أهل كل دين عن دينهم وان كان أكثرهم قد خرجوا عن مناهجها بما زادوا إلى أصولها وما نقصوا منها على مايوافق أهواءهم الا أن أولئك المرسلين قد عرف تاريخهم ودونت آثارهم واعتبروا بحق مؤسسين لمجموعات كبيرة من الأسرة البشرية العامة ودام الحال بين تلك المجموعات على مايكون بين الامم من التدافع حتى وصلوا الى القرن السادس عشر الميلادى الذى فيه ولد العلم، ذلك العلم الذى يطلق اليوم ويراد به مجموع الثمرات العقلية التى حصلها الانسان بجهاده المتكرر للطبيعة وخلصتها العقول النقادة مما أضيف اليهـا من الاوهام . ذلك العلم الذى أوجـد جميع المخترعات والمكتشفات الصناعية التى هى اليوم روح هذه المدنية الفتانة وقوامها ، فمال بعض المفكرين الى الزعم بان عصر النبوات قد انقضى وجاء العصر الذى ينظر الانسان لنفسه بنفسه فيتخذ لها العقائد التى يهواها غير متقيد بتعـاليم نبى ولا رسول . وتطرف بعضهم فزعم أن أولئك الأنبياء كانوا مدلسين ظهروا بما ظهروا به لامتلاك نواصى الأمم فى طفولة العقل البشرى . فان قلت لهم أن أولئـك الرسـل كانوا يأتون الخوارق المحيرة للعقول هزوا اليك أكتافهم وقالوا أساطير الأولين....

بهـؤلاء القوم جاء دور المـاديين فنشروا فى العالم تعاليمهم الالحادية مستهزئين بكتب الوحى وزارين على رجالها فوجدت هذه الأقوال هوى من الأفئـدة وكان العلم الطبيعي فى أثناء ذلك يؤتيهم بالملهيات

ويفتح لهم من الرقى الباحات بعد الباحات فطم الالحاد وانزوى الدينيون والقائلون بعالم الروح الى زاوية لاتسمع لهم فيها ركزاً فان تجاراً واحد منهم وصاح بالناس قائلا: أيها الاخوان لقد اهملتم عالم الروح اصاحوا به من جميع الجهات أرأيت ذلك العالم بعينيك ؟ أطفت ارجاءه برجليك ؟ ألمست أمله بيديك ؟

فان قال لهم ان ذلك العالم لايدرك الا بالبصائر وليس هو من اختصاص المشاعر . صاحوا به لانصدق الا مانرى لان البصائر التي تذكرها قد تهم فتضل أصحابها كما اضلت أهل القرون الاولى .

خذ ماتراه ودع شيأ سمعت به
في طلعة الشمس مايغنيك عن زحل

ولكن عالم الروح ذلك العالم العلوى الحق الموجد لهذه المادة والمتصرف فيها لم يطل صبره على هذا التحدى الا ريثما يدرك الناس الشبهة فانبثق لهم من خلال المادة العمياء عارضا نفسه للتجارب الحسية وكان أول ظهوره فى أوروبا على يد الدكتور (مسمر) باسم المغناطيس الحيوانى ثم فى أمريكا باسم (الاتصال بالارواح) فثارت ثائرة الماديين واستنجدوا بالعلم المادى، ذلك الغول الكبير، لتبديد هذه الاوهام. وماهى الاجولات حتى سجد العلم أمام ذلك المظهر الالهى الحق، وأقر لنفسه بالنقص ، وشاع الامر فى امريكا ومنها تعدى الى أوروبا . وانتشر فيها انتشار النور فى الظلام . فابتدأت اليوم دولة الروح ، تلك الدولة الخالدة والتى لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، لقيامها على دعائم العلم العملى ، والفلسفة الحسية . فاخذت العقول المتعطشة للنور الحق تستهدى باعلام الروح سالكة فى طريق عروجها . راقية فى درجات صعودها، سابحة فى أنوار قدسها، مهتدية بتقررات العلم الطبيعى فى أمور دنياها، وباصول الفلسفة الروحانية فى شؤون أخراها. فهل انقضى دور الانبياء ولم يعد للناس بهم حاجة ؟

لا ! إن هؤلاء الانبياء كانوا فى أزمانهم أعلاما لعالم الروح، ونجوما مشرقة يهتدى بهم السالك فيه وهم لايزالون على ذلك الطريق يمر السالك بهم وهو يقطع من مراحله، ويعرج عليهم وهو يتنقل فى منازله، حتى ان بعانى أوروبا لم يكادوا يسيرون فى هذه الطريق الروحانية حتى

صادفوا هذه النبوات فيه قائمة ، فآمنوا بها عن بينة ، وتم قول ربك : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز » فانظر كيف بدأ القرن التاسع عشر ملحدا مكذبا بالروح والخلود والانبياء والنبوات ، وكيف ختم مؤمنا بكل ذلك ايمانا مؤيدا بكل الوسائل العلمية

لا أريد أن يفهم القارىء من هذا أن أقطاب العلم الاوروبي آمنوا بالانبياء ايمان الآخذين بأديانهم فأخذوا يعمرون البيع والكنائس والمساجد مشتغلين بتلاوة الكتب المقدسة تعبداً بالفاظها ، وتبركا بحروفها . لا . وانما أريد أنهم اهتدوا في بحثهم الى فهم حقيقة الانبياء فاعترفوا بأنهم لم يكونوا مشعوذين ولا مدلسين وانما كانوا وسطاء بين العالم الروحاني والعالم المادي ، فرأوا (أي الأنبياء) تلك المشاهد الروحانية ، واجتمعوا بأرواح مجردة ندبتهم الى ارشاد أممهم الى طريق الحياة الصحيحة ، فصدعوا بأمرهم يدعون الى عقائدهم ، معززين دعاواهم بخوارق تحير الألباب ، وتدهش المشاعر على نحو الخوارق التي تحدث على أيدي الوسطاء اليوم

هذه هي عقيدة رجال العلم اليوم في الأنبياء والنبوة ، ولا يدري الا الله إلى أي درجة يصل بهم البحث في سبيل الايمان بهم ، فلندعهم في بحثهم دائبين ، فسيتأدون بحول الله الى معارف علوية لا يدركها خيال أحدنا الآن ، ومن جد وجد ، وكل من سار على الدرب وصل

﴿المتنبي﴾ هو أبو الطيب المتنبي الشاعر الأشهر . اسمه أحمد بن الحسين ابن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي وانما سمي المتنبي لأنه على ما قيل أدعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الأخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه وكان قد قرأ على البوادي كلاما ذكر أنه قرآن أنزل عليه (فمنه) والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، أن الكافر لفي اخطار ، امض على سنتك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من ألحد في الدين وضل عن السبيل . (وكان) إذا جلس في مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام أنكره وجحده . ولما

اطلق من السجن التحق بالامير سيف الدولة بن حمدان ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ومدح كافور الاخشيدى وأنوجور بن الأخشيد وكان يقف بين يدى كافور وفى رجليه خفان وفى وسطه سيف ومنطقة يركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة فوجه كافور خلفه عدة رواحل فلم تلحقه وقصد بلادفارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمى فأجزل صلته ولما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبى جهل الأسدى فى عدة من أصحابه فقاتله فقتل المتنبى وابنه محمد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية من الجانب الغربى من سواد بغداد . ويقال أنه قال شيئا فى عضد الدولة فدس عليه من قتله لانه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة وثياب فاخرة . ثم دس عليه من سأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال هذا أجزل الا أنه عطاء متكلف ، وسيف الدولة كان يعطي طبعا . فغضب عضد الدولة فلما انصرف جهز عليه قوماً من بنى ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا شديداً ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قتلتنى قتلك الله ، ثم قاتل فقتل . ويقال أن الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه فمنعه الشح والكبر فتقدموه فوقع له ماوقع . وكان قتله يوم الأربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة ومولده كان فى سنة ثلاث مئة بالكوفة فى محلة تسمى كنده وليس هو من كندة التى هى قبيلة بل هو جعفى . وقيل أن أباه كان سقاء بالكوفة وكان يلقب بعبدان ثم انتقل الى الشام بولده والى هذا أشار بعض الشعراء فى هجوه فقال :

أى فضل لشاعر يطلب الفضـ
ل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع فى الكوفة الما
ء وحينا يبيع ماء المحيا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه حسداً له على فضله وتمكنه من

الملوك ومراعاة لتيهه وتكبره. وممن أفحش في ذلك ابن حجاج

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل أن الشيخ أبا على الفارسي قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال المتنبي في الحال حجلى وظربى قال الشيخ أبو على فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجد. وحسبك من يقول أبو على في حقه هذه المقالة. وقال أبو الفتح بن جنى قرأت ديوان المتنبي عليه فلما بلغت إلى قوله في كافور الاخشيدى:

ألا ليت شعرى هل أقول قصيدة
فلا أشتكى فيها ولا أتعتب

وبى مايذود الشعر عنى أقله
ولكن قلبى ياابنة القوم قلب

قلت له يعز على كون هذا الشعر في غير سيف الدولة. فقال حذرناه وانذرناه فما نفع، ألست القائل فيه:

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك
ولا تعطين الناس ما أنا قائله

فهو الذى أعطانى بسوء تدبيره وقلة تمييزه. والناس في شعره على طبقات فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح أبا تمام عليه. ورزق في شعره السعادة واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه حتى قيل أنه وجد له مايزيد على الأربعين شرحا ومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندى بسند صحيح متصل به بيتان وهما:

ابعين مفتقر اليك نظرتنى
فأهنتنى وقذفتنى من حالق

لست الملوم أنا الملوم لأننى
أنزلت آمالى بغير الخالق

ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن على الطبسى بقوله:

لارعى الله سرب هذا الزمان
إذ دهانا في مثل ذاك اللسان

مارأى الناس ثانى المتنبي
أى ثان يرى لبكر الزمان

كان من نفسه الكبيرة في جيـ
ـش وفى كبرياء ذى سلطان

هو في شعره نبي ولكن
ظهرت معجزاته في المعانى

(ويحكى) أن المعتمد بن عباد اللخمى

صاحب قرطبة واشبيلية أنشد يوما في مجلسه بيت المتنبي الذي هو من جملة قصيدته المشهورة وهو :

إذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثاب بها معيي المطي ورازمه

وجعل يردده استحسانا له وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأندلسي فأنشد ارتجالا :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا واللها تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى
بأنك تروى شعره لتألها

وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار في جعفر بن يحيى:

لابن يحيى مآثر بلغت بي إلى السما
جاد شعري بجوده واللها تفتح اللها

واللها بالضم العطايا وبالفتح جمع لهاة الحلق ، ورثاه أيضا محمد بن عبد الله الكاتب النصيبي بقصيدة يستجيش فيها عضد الدولة على مدحضي قدمه ومريقي دمه

للمتنبي قصائد مطولة تعد الى اليوم من معجزات الشعر فترى أن نلم بطرف منها لأن الرجل في نظرنا أشعر شعراء العربية جاهلية واسلاما وانه قد انتهى اليه الابداع الشعري فصار آيته الكبرى وسيكونها ما دامت لغة القرآن ، فمن محاسن شعره قوله :

كم قتيل كما قتلت شهيد
ببياض الطلى وورد الخدود
وعيون المها ولا كعيون
فتكت بالمتيم المعمود
درّ درُّ الصباء أيام تجري
ر ذيولي بدار أثلة عودي
عمرك الله هل رأيت بدورا
طلعت في براقع وعقود
راميات بأسهم ريشها الهد
ب تشق القلوب قبل الجلود
يترشفن من فمي رشفات
هن فيه حلاوة التوحيد
كل خمصانة أرق من الخمـ
ر بقلب أقسى من الجلمود
ذات فرع كأنما ضرب العنـ
بر فيه بماء ورد وعود
حالك كالغداف جثل دجو
جيّ اثيث جعد بلا تجعيد
تحمل المسك عن غدائرها الريـ
ح وتفتر عن شنيب برود

جمعت بين جسم أحمد والسقـ
م وبين الجفون والتسهيد
هذه مهجتى لديك لحينى
فانقصى من عذابها أو فزيدى
أهل ما بى من الضنى بطل صيـ
د بتصفيف طرة وبجيد
كل شىء من الدماء حرام
شربه ماخلا ابنة العنقود
فاسقنيها فدى لعينيك نفسى
من غزال وطارفى وتليدى
شيب رأسى وذلتى ونحولى
ودموعى على هواك شهودى
أى يوم سررتنى بوصال
لم ترعنى ثلاثة بصدود
مامقامى بأرض نخلة الا
كمقام المسيح بين اليهود
مفرشى صهوة الحصان ولكـ
ن قميصى مسرودة من حديد
لأمة فاضة أضاة دلاص
أحكمت نسجها يدا داود
أين فضلى اذا قنعت من الدهـ
ر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدرى وطال فى طلب الرز
ق قيامى وقل عنه قعودى
أبداً أقطع البلاد ونجمى
فى نحوس وهمتى فى سعود
ولعلى مؤمل بعض ما أبلـ
غ باللطف من عزيز حميد
لسرى لباسه خشن القطـ
ن ومروىّ مروَ لبس القرود
عش عزيزاً أومت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح اذهب للغيـ
ظ وأشفى لغل صدر الحقود
لا كما قد حييت غير حميد
واذا مت مت غير فقيد
فاطلب العز فى لظى ودع الذ
ل ولو كان فى جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقد يعـ
جز عن قطع بخنق المولود
ويوقى الفتى المخش وقد خو
ض فى ماء لبة الصنديد
لا بقومى شرفت بل شرفوا بى
وبنفسى فخرت لا بجدودى
وبهم فخر كل من نطق الضا
د وعوذ الجانى وغوث الطريد
ان أكن معجباً فعجب عجيب
لم يجد فوق نفسه من مزيد

انا ترب الندى ورب القوافي
وسمام العدى وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود

وقال أيضا في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن اوس بن معن بن الرضى الازدي :

أرق على أرق ومثلي يأرق
وجوى يزيد وعبرة تترقرق
جهد الصبابة ان تكون كما أرى
عين مسهدة وقلب يخفق
مالاح برق أو ترنم طائر
الا انثنيت ولي فؤاد شيق
جربت من نار الهوى ما تنطفي
نار الغضى وتكل عما يحرق
وعذلت أهل العشق حتى ذقته
فعجبت كيف يموت من لا يعشق
وعذرتهم وعرفت ذنبي انني
عيّرتهم فلقيت منه مالقوا
ابني ابينا نحن أهل منازل
ابدا غراب البين فيها ينعق
نبكي على الدنيا وما من معشر
جمعتهم الدنيا ولم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألى
كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس اذا نودوا كأن لم يعلموا
ان الكلام لهم حلال مطلق
فالموت آت والنفوس نفائس
والمستعز بما لديه الاحمق
والمرء يأمل والحياة شهية
والشيب أوقر والشبيبة أنزق
ولقد بكيت على الشباب ولمتي
مسودة ولماء وجهي رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه
حتى لكدت بماء جفني أشرق
أما بنو أوس بن معن بن الرضى
فأعز من تحدى اليه الاينق
كبرت حول ديارهم لما بدت
منها الشموس وليس فيها المشرق
وعجبت من أرض سحاب أكفهم
من فوقها وصخورها لا تورق
وتفوح من طيب الثناء روائح
لهم بكل مكانة تستنشق
مسكية النفحات الا انها
وحشية بسواهم لا تعبق

امو يد مثل محمد فى عصرنا
لاتبلنا بطلاب مالا يلحق
لم يخلق الرحمن مثل محمد
أحـدا وظنى أنه لايخلق
ياذا الذى يهب الكثير وعنده
أنى عليـه بأخذه أتصدق
أمطر على سحاب جودك ثرة
وانظر الى برحمة لا أغرق
كذب ابن فاعلة يقول بجهله
مات الكرام وانت حى يرزق
وقال يمدح شجاع بن محمـد الطائى المنبجى :
عزيز اسا من داؤه الحدق النجل
عياء به مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر الى فمنظرى
نذير الى من ظن أن الهوى سهل
وماهى الا لحظة بعـد لحظة
اذا نزلت فى قلبه رحل العقل
جرى حبها مجرى دمى فى مفاصلى
فأصبح لى عن كل شغل بها شغل
سبتنى بدل ذات حسن يزينها
تكحل عينيها وليس لها كحل
كأن لحاظ العين فى فتكه بنا
رقيب تعدى او عدو له دخل
ومن جسدى لم يترك السقم شعرة
فما فوقها الا وفيها له فعـل
اذا عذلوا فيهـا أجبت بأنه
حبيبتى قلبى فؤادى هيـاجمل
كأن رقيبا منك سد مسامعى
عن العذل حتى ليس يدخلها العذل
كأن سهاد الليل يعشق مقلتى
فبينهما فى كل هجر لنا وصل
أحب التى فى البدر منها مشابه
وأشكو الى من لايصاب له شكل
الى واحد الدنيا الى ابن محمد
شجاع الذى لله ثم له الفضـل
الى الثمـر الحلو الذى طيىء له
فروع وقحطان بن هود لها أصل
الى سيد لو بشر الله أمة
بغير نبى بشرتنا به الرسل
الى القابض الارواح والضيغم الذى
تحدث عن وقفاته الخيل والرجل
الى رب مال كلما شت شمـله
تجمع فى تشتيته للعلى شمل
همام اذا مافارق الغمـد سيفـه
وعاينته لم تدر أيهمـا النصل
رأيت ابن أم الموت لو أن بأسه
فشا بين أهل الارض لانقطع النسل

على سابح موج المنايا بنحره
غداة كأن النبل في صدره وبل
وكم عين قرن حدقت لنزاله
فلم تغض الا والسنان لها كحل
اذا قيل رفقا قال للحلم موضع
وحلم الفتى في غير موضعه جهل
ولولا تولى نفسه حمل حلمه
عن الارض لانهدت وناء بها الحمل
تباعدت الآمال عن كل مقصد
وضاقت بها الا الى بابه السبل
ونادى الندى بالنائمين عن السرى
فأسمعهم هبوا فقد هلك البخل
وحالت عطايا كفه دون وعده
فليس له انجاز وعد ولا مطل
فأقرب من تحديدها ردفائت
وأيسر من احصائها القطر والرمل
وما تنقم الايام ممن وجوهها
لاخمصه في كل نائبة نعل
وما عزه فيها مراد أراده
وان عز الا أن يكون له مثل
كفى ثعلا فخرا بأنك منهم
ودهر لان امسيت من أهله أهل
وويل لنفس حاولت منك غرة
وطوبى لعين ساعة منك لا تخلو
فما بفقير شام برقك فاقة
ولا في بلاد أنت صيبها محل

وقال يمدح عبد الله بن يحيى البحترى:

بكيت يا ربع حتى كدت ابكيكا
وجدت بي وبدمعي في مغانيكا
فعم صباحا لقد هيجت لي طربا
واردد تحيتنا انا محيوكا
بأى حكم زمان صرت متخذا
رئم الفلا بدلا من رئم اهليكا
أيام فيك شموس ما انبعثن لنا
الا ابتعثن دما باللحظ مسفوكا
والعيش اخضر والاطلال مشرقة
كأن نور عبيد الله يعلوكا
نجا امرؤ يا ابن يحيى كنت بغيته
وخاب ركب ركاب لم يؤموكا
أحييت للشعراء الشعر فامتدحوا
جميع من مدحوه بالذى فيكا
وعلموا الناس منك المجد واقتدروا
على دقيق المعانى من معانيكا
فكن كما شئت يامن لا شبيه له
وكيف شئت فما خلق يدانيكا
شكر العفاة لما أوليت اوجد لى
الى نداك طريق العرف مسلوكا

وعظم قدرك فى الآفاق أوهمنى
انى بقلة ما اثنيت أهجوكا
كفى بأنك من قحطان فى شرف
وان فخرت فكل من مواليكا
ولو نقصت كما قد زدت من كرم
على الورى لرأونى مثل شانيكا
لبى نداك لقد نادى فأسمعنى
يفديك من رجل صحبى وأفديكا
ما زلت تتبع ما تولى يدا بيد
حتى ظننت حياتى من أياديكا
فان تقل ها فعادات عرفت بها
او لا فانك لا يسخو بلا فوكا

وقال يمدحه أيضا :

مُلث القطر أعطشها ربوعا
والا فاسقها السم النقيعا
أسائلها عن المتديريها
فلا تدرى ولا تذرى دموعا
لحاها الله الا ماضييها
زمان اللهو والخود الشموعا
منعّمة ممنعة رداح
يكلف لفظها الطير الوقوعا
كأن نقابها غيم رقيق
يضىء بمنعه البدر الطلوعا
اقول لها اكشفى ضرى وقولى
بأكثر من تدللها خضوعا
أخفت الله فى احياء نفس
متى عصى الله بأن أطيعا
غدا بك كل خلو مستهاما
وأصبح كل مستور خليعا
أحبك او يقولوا جر نمل
ثبير أو ابن ابراهيم ريعا
بعيد الصوت منبث السرايا
يشيب ذكره الطفل الرضيعا
يغض الطرف من مكر ودهى
كأن به وليس به خشوعا
اذا استعطيته ما فى يديه
فقدك سألت عن سر مذيعا
قبولك منّه مَنّ عليه
وان لا يبتدىء يره فظيعا
لهون المال افرشه اديما
وللتفريق يكره أن يضيعا
اذا ضرب الامير رقاب قوم
فما لكرامة مد النطوعا
فليس بواهب الا كثيرا
وليس بقاتل الا قريعا
وليس مؤدبا الا بنصل
كفى الصمصامة التعب الفظيعا

على ليس يمتنع من مجيء
مبارزه ويمنعه الرجوعا
على قاتل البطل المفدى
ومبدله من الزرد النجيعا
اذا اعوج القنا فى حامليه
وجاز الى ضلوعهم الضلوعا
ونالت ثأرها الاكباد منه
فأولته اندقاقا أوصدوعا
فحد فى ملتق الخيلين عنه
وان كنت الخبعثنة الشجيعا
ان استجرأت ترمقه بعيدا
فانت استطعت شيأما استطيعا
وان ماريتنى فاركب حصانا
ومثله تخر له صريعا
غمام ربما مطر انتقاما
فأقحط ودقه البلد المريعا
رآنى بعد ما قطع المطايا
تيممه وقطعت القطوعا
فصير سيله بلدى غديرا
وصير خيره سنتى ربيعا
وجاودنى بأن يعطى وأحوى
فأغرق نيله أخذى سريعا
امنسى السكون وحضرموتا
ووالدتى وكندة والسبيعا
قد استقصيت فى سلب الاعادى
فردلهم من السلب الهجوعا
اذا ما لم تسر جيشا اليهم
أسرت الى قلوبهم الهلوعا
رضوا بك كالرضى بالشيب قسرا
وقد وخط النواصى والفروعا
فلا غزل وأنت بلا اصلاح
لحاظك ما تكون به منيعا
لو استبدلت ذهنا من حسام
قددت به المنافر والدروعا
لو استفرغت جهدك فى قتال
أتيت به على الدنيا جميعا
سموت بهمة تسمو فتسمو
فما تلقى بمرتبة قنوعا
وهبك سمحت حتى لا جواد
فكيف علوت حتى لا رفيعا

وقال يمدح على بن منصور الحاجب:

بابى الشموس الجانحات غواربا
اللابسات من الحرير جلابيا
المنهبات عقولنا وقلوبنا
وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا
ت المبديات من الدلال غرائبا

حاولن تفديتي وخفن مراقبا
فوضعن أيديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه
من حر أنفاسي فكنت الذائبا
يا حبذا المتكلفون وحبذا
واد لبثت به الغزالة كاعبا
كيف الرجا من الخطوب تخلصا
من بعد ما أنشبن فيّ مخالبا
اوحدنني ووجدن حزنا واحدا
متناهيا فجعلته لي صاحبا
ونصبنني غرض الرماة تصيبني
محن أحد من السيوف مضاربا
اظمتني الدنيا فلما جئتها
مستسقيا مطرت على مصائبا
وحبيت من خوص الركاب بأسود
من دارش فغدوت أمشي راكبا
حال متى علم ابن منصور بها
جاء الزمان الى منها تائبا
ملك سنان قناته وبنانه
يتباريان دما وعرفا ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لوفده
ويظن دجلة ليس تكفي شاربا
كرما فلو حدثته عن نفسه
بعظيم ما صنعت لظنك كاذبا

سل عن شجاعته وزره مسالما
وحذار ثم حذار منه محاربا
فالموت تعرف بالصفات طباعه
لم تلق خلقا ذاق موتا آئبا
أن تلقه لا تلق إلا جحفلا
أو قسطلا أو طاعنا أو ضاربا
أو هاربا أو طالبا أو راغبا
أو راهبا أو هالكا أو نادبا
واذا نظرت الى الجبال رأيتها
فوق السهول عواسلا وقواضبا
واذا نظرت الى السهول رأيتها
تحت الجبال فوارسا وجنائبا
وعجاجة ترك الحديد سوادها
زنجا تبسم او قذالا شائبا
فكأنما كسي النهار بها دجى
ليل واطلعت الرماح كواكبا
قد عسكرت معها الرزايا عسكرا
وتكتبت فيها الرجال كتائبا
أسد فرائسها الاسود يقودها
اسد تصير له الاسود ثعالبا
في رتبة حجب الورى عن نيلها
وعلا فسموه على الحاجبا
ودعوه من فرط السخاء مبذرا
ودعوه من غصب النفوس الغاصبا

هذا الذى افنى النضار مواهبا
وعداه قتلا والزمان تجاربا
وبخيّب العذال مما أملوا
منه وليس يرد كفا خائبا
هذا الذى ابصرت منه حاضرا
مثل الذى ابصرت منه غائبا
كالبدر من حيث التفت رأيته
يهدى الى عينيك نورا ثاقبا
كالبحر يقذف للقريب جواهرا
جوداً ويبعث للبعيد سحائبا
كالشمس فى كبد السماء وضوءها
يغشى البلاد مشارقا ومغاربا
امهجّن الكرماء والمزرى بهم
وتروك كل كريم قوم عاتبا
شادوا مناقبهم وشدت مناقبا
وجدت مناقبهم بهن مثالبا
لبيك غيظ الحاسدين الراتبا
انا لنخبر من يديك عجائبا
تدبير ذى حنك يفكر فى غد
وهجوم غر لايخاف عواقبا
وعطاء مال لو عداه طالب
انفقته فى ان تلاقى طالبا
خذ من ثناى عليك ما اسطيعه
لا تلزمنى فى الثناء الواجبا
فلقد شهدت لما قلت ودونه
مايدهش الملك الحفيظ الكاتبا

وخرج بدر بن عمار الى أسد فهرب الاسد منه وكان قد خرج قبله لى أسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل فوثب الى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش فقال ابو الطيب :

فى الخد ان عزم الخليط رحيلا
مطر تزيد به الخدود محولا
يانظرة نفت الرقاد وغادرت
فى حد قلبى ما حييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلى انما
املى تمثل فى فؤادى سولا
اجد الجفاء على سواك مروءة
والصبر الا فى نواك جميلا
وأرى تدللك الكثير محببا
وأرى قليل تدلل مملولا
حدق الحسان من الغوانى هجن لى
يوم الفراق صبابة وغليلا
حدق يذم من القواتل غيرها
بدر بن عمار بن اسماعيلا
الفارج الكرب العظام بمثلها
والتارك الملك العزيز ذليلا

محك اذا مطل الغريم بدينه
جعل الحسام بما أراد كفيلا
نطق اذا حط الكلام لثامه
أعطى بمنطقه القلوب عقولا
اعدى الزمان سخاؤه فسخا به
ولقد يكون به الزمان بخيلا
وكأن برقا فى متون غمامة
هندية فى كفه مسلولا
ومحل قائمة يسيل مواهبا
لو كن سيلا ماوجدن مسيلا
رقت مضاربه فهن كأنما
يبدين من عشق الرجال نحولا
أمعفر الليث الهزبر بسوطه
لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الاردن منه بلية
نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شاربا
ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس
فى غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا
تحت الدجى نار الفريق حلولا
فى وحدة الرهبان الا أنه
لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقا من تيهه
فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه
حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما يزمجر نفسه
عنها لشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما
ركب الكمى جواده مشكولا
ألقى فريسته وبربر دونها
وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان فى أقدامه
وتخالفا فى ذلك المأكولا
أسديه عضويه فيك كليهما
متنا أزل وساعدا مفتولا
فى سرج ظامئة الفصوص طمرة
يأبى تفردها لها التمثيلا
نيالة الطلبات لولا أنها
تعطى مكان لجامها ماتيلا
تندى سوالفها اذا استحضرتها
ويظن عقد عنانها محلولا
ما زال يجمع نفسه فى زوره
حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه
يبغى الى مافى الحضيض سبيلا

رمحكأنه غرته عين قادنى
لا يبصر الخطب الجليل جليلا
انف الكريم من الدنيئة تارك
فى عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس بخائف
من حتفه من خاف مما قيلا
سبق التقاءكه بوثبة هاجم
لو لم تصادمه لجازك ميلا
خذلته قوته وقد كافحته
فاستنصر التسليم والتجديلا
قبضت منيته يديه وعنقه
فكأنما صادفته مغلولا
سمع ابن عمته به وبحاله
فنجا يهرول امس منك مهولا
وأمر مما فر منه فراره
وكقتله ان لا يموت قتيلا
تلف الذى اتخذ الجراءة خلة
وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا
لو كان علمك بالاله مقسما
فى الناس مابعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهما انزل الا
فرقان والتوراة والانجيلا
لو كان ما تعطيهم من قبل ان
تعطيهم لم يعرفوا التأميلا
فلقد عرفت وما عرفت حقيقة
ولقد جهلت وماجهلت خمولا
نطقت بسؤددك الحمام تغنيا
وبما تجشمها الجياد صهيلا
ما كل من طلب المعالى نافذا
فيها ولا كل الرجال فحولا

وسار بدر الى الساحل ولم يسر أبو الطيب معه ثم بلغه انابن كروس الاعور كتب الى بدر يقول له ان ابا الطيب انما تخلف عنك رغبة بنفسه عن المسير معك، ولما عاد بدر الى طبرية ضربت له قباب عليها امثلة من تصاوير فقال ابو الطيب :

الحب ما منع الكلام الالسنا
وألذ شكوى عاشق ما أعلنا
ليت الحبيب الهاجرى هجر الكرى
من غير جرم واصلى صلة الضنى
بنتا ولو حليتنا لم تدر ما
الواننا مما استفمن تلونا
وتوقدت انفاسنا حتى لقد
اشفقت تحترق العواذل بيننا
افدى المودعة التى اتبعتها
نظرا فرادى بين زفرات ثنا
انكرت طارقة الحوادث مرة
ثم اعترفت بها فصارت ديدنا

وقطعت في الدنيا الفلا وركائبي
فيها ووقتي الضحى والموهنا
فوقفت منها حيث أوقفني الندى
وبلغت من بدر بن عمار المنى
لأبي الحسين جدا يضيق وعاؤه
عنه ولو كان الوعاء الازمنا
وشجاعة أغناه عنها ذكرها
ونهى الجبان حديثها ان يجبنا
نيطت حمائله بعاتق محرب
ما كرقط وهل يكروما انثنى
فكأنه والطعن من قدامه
متخوف من خلفه ان يطعنا
نفت التوهم عنه حدة ذهنه
فقضى على غيب الامور تيقنا
يتفزع الجبار من بغتاته
فيظل في خلواته متكفنا
أمضى ارادته فسوف له قد
واستقرب الاقصى فثم له هنا
يجد الحديد على بضاضة جلده
ثوبا أخف من الحرير وألينا
وأمر من فقد الاحبة عنده
فقد السيوف الفاقدات الاجفنا
لا يستكن الرعب بين ضلوعه
يوما ولا الاحسان ان لا يحسنا
مستنبط من علمه ما في غد
فكأن ماسيكون فيه دونا
تتقاصر الأفهام عن ادراكه
مثل الذي الأفلاك فيه والدنى
من ليس من قتلاه من طلقائه
من ليس ممن دان ممن حينا
لما قفلت من السواحل نحونا
قفلت اليها وحشة من عندنا
أرج الطريق فما مررت بموضع
الا أقام به الشذا مستوطنا
لو تعقل الشجر التي قابلتها
مدت محيية اليك الاغصنا
سلكت تماثيل القباب الجن من
شوق بها فأدرن فيك الاعينا
طربت مراكبنا فخلنا أنها
لولا حياء عاقها رقصت بنا
اقبلت تبسم والجياد عوابس
يخببن بالحلق المضاعف والقنا
عقدت سنابكها عليه عثيرا
لو تبتغي عنقا عليه لامكنا
والامر أمرك والقلوب خوافق
في موقف بين المنية والمنى
فعجبت حتى ماعجبت من الظبي
ورأيت حتى ما رأيت من السنى

أنى اراك من المكارم عسكرا
في عسكر ومن المعالى معدنا
فطن الفؤاد لما أتيت على النوى
ولما تركت مخافة ان تفطنا
أضحى فراقك لى عليه عقوبة
ليس الذى قاسيت منه هينا
فاغفر فدى لك واحبنى من بعدها
لتخصنى بعطيه منها أنا
وانه المشير عليك فى بصلة
فالحر ممتحن بأولاد الزنى
واذا الفتى طرح الكلام معرضا
فى مجلس أخذ الكلام اللذعنى
ومكايد السفهاء واقعة بهم
وعداوة الشعراء بئس المقتنى
لعنت مقارنة اللئيم فانها
ضيف يجر من الندامة ضيفنا
غضب الحسود اذا لقيتك راضيا
رزء أخف على من أن يوزنا
امسى الذى أمسى بربك كافرا
من غيرنا معنا بفضلك مؤمنا
خلت البلاد من الغزالة ليلها
فأعاضناك الله كى لا تحزنا
وقال يمدح أبا عبد الله محمد
ان عبد الله بن محمد الخطيب
الخصيبى وهو يومئذ يتقلد القضاء
بانطاكية :
أفاضل الناس أغراض لدى الزمن
يخلو من الهم اخلاهم من الفطن
وانما نحن فى جيل سواسية
شر على الحر من سقم على بدن
حولى بكل مكان منهم خلق
تخطى اذا جئت فى استفهامها بمن
لا اقترى بلدا الا على غرر
ولا أمر بخلق غير مضطغن
ولا أعاشر من أملاكهم ملكا
الا أحق بضرب الرأس من وثن
انى لأعذرهم مما أعنفهم
حتى اعنف نفسى فيهم وأنى
فقر الجهول بلا قلب الى ادب
فقر الحمار بلا رأس الى رسن
ومدقعين بسبروت صحبتهم
عارين من حلل كاسين من درن
خراب بادية غرثى بطونهم
مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا اعطيهم خبرى
ومايطيش لهم سهم من الظنن
وخلة فى جليس ألتقيه بها
كيما يرى اننا مثلان فى الوهن

وكلمة فى طريق خفت اعربها
فيهتدى لى فلم أقدر على اللحن
قد هون الصبر عندى كل نازلة
ولين العزم حد المركب الخشن
كم مخلص وعُلى فى خوض مهلكة
وقتلة قرنت بالذم فى الجبن
لا يعجبن مضيا حسن بزته
وهل تروق دفينا جودة الكفن
لله حال أرجيها وتخلفنى
وأقتضى كونها دهرى ويمطلنى
مدحت قوما وأن عشنا نظمت لهم
قصائدا من اناث الخيل والحصن
تحت العجاج قوافيها مضمرة
إذا تنوشدن لم يدخلن فى اذن
فلا أحارب مدفوعا الى جدر
ولا أصالح مغرورا على دخن
مخيم الجمع بالبيداء يصهره
حر الهواجر فى صم من الفتن
ألقى الكرام الالى بادوا مكارمهم
على الخصيبى عند الفرض والسنن
فهن فى الحجر منه كلما عرضت
له اليتامى بدا بالجد والمنن
قاض إذا التبس الأمران عن له
رأى يخلص بين الماء واللبن
غض الشباب بعيد فجر ليلته
مجانب العين للفحشاء والوسن
شرابه النشج لا للرى يطلبه
وطُعمه لقوام الجسم لا السمن
ألقائل الصدق فيه ما يضر به
والواحد الحالتين السر والعلن
الفاصل الحكم عى الأولون به
والمظهر الحق للساعى على الذهن
أفعاله نسب لو لم يقل معها
جدى الخصيب عرفنا العرق بالغصن
العارض الهتن ابن العارض الهتن ا بـ
ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن
قد صيرت أول الدنيا وآخرها
آباؤه من مغار العلم فى قرن
كأنهم ولدوا من قبل أن ولدوا
أو كان فهمهم أيام لم يكن
الخاطرين على أعدائهم أبداً
من المحامد فى أرقى من الجنن
الناظرين الى اقباله فرح
يزيل ما بجباه القوم من غضن
كأن مال ابن عبد الله مغترف
من راحتيه بارض الروم واليمن
لم نفتقد بك من مزن سوى لثق
ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من الليث الا قبح منظره
ومن سواه سوى ماليس بالحسن
منذ احتبيت بانطاكية اعتدلت
حتى كأن ذوى الاوتار فى هدن
ومذ مررت على أطوادها قرعت
من السجود فلا نبت على القنن
أخلت مواهبك الأسواق من صنع
أغنى نداك عن الاعمال والمهن
ذا جود من ليس من دهر على ثقة
وزهد من ليس من دنياه فى وطن
وهذه همة لم يؤتها بشر
وذا اقتدار لسان ليس فى المنن
فمروأومىء تطع قدست من جبل
تبارك الله مجرى الروح فى حضن

وقال يمدح على بن أحمد بن عامر الانطاكى :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيدا وما قولى كذا ومعى الصبر
وأشجع منى كل يوم سلامتى
وماثبت إلا وفى نفسها أمر
تمرست بالآفات حتى تركتها
تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
وأقدمت أقدام الأتى كأن لى
سوى مهجتى أو كان لى عندها وتر
ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها
فمفترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

ومنها :

وتركك فى الدنيا دويا كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشر
إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص
على هبة فالفضل فيمن له الشكر
ومن ينفق الساعات فى جمع ماله
مخافة فقر فالذى فعل الفقر
علىّ لاهل الجور كل طمرة
عليها غلام ملء حيزومه غمر
يدير بأطراف الرماح عليهم
كؤوس المنايا حيث لا تشتهى الخمر
وكم من جبال جبت تشهد إننى ال
جبال وبحر شاهد اننى البحر
وخرق مكان العيس منه مكاننا
من العيس فيه واسط الكور والظهر
يخدن بنا فى جوزه وكأننا
على كرة أو أرضه معنا سفر
ويوم وصلناه بليل كأنما
على أفقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما
على متنه من دجنه حلل خضر
وغيث ظننا تحته ان عامرا
علا لم يمت اوفى السحاب له قبر
او ابن ابنه الباقى علىّ بن احمد
يجود به لو لم أجز ويدى صفر
وان سحابا جوده مثل جوده
سحاب على كل السحاب له فجر
فتى لا يضم القلب همات قلبه
ولو ضمها قلب لما ضمه صدر
ولا ينفع الامكان الا سخاؤه
وهل نافع لولا الاكف القنا السمر
قران تلاقى الصلت فيه وعامر
كما يتلاقى الهندوانى والنصر
فجاء به صلت الجبين معظما
ترى الناس قلا حوله وهم كثر
مفدى بآباء الرجال سميذعا
هو الكرم المد الذى ماله جزر
ومازلت حتى قادنى الشوق نحوه
يسايرنى فى كل ركب له ذكر
وأستكبر الأخبار قبل لقائه
فلما التقينا صغر الخبر الخبر
اليك طعنا فى مدى كل صفصف
بكل وآة كل مالقيت نحر
اذا وردت من لسعة مرحت لها
كأن نوالا صر فى جلده النبر
فجئناك دون الشمس والبدر فى النوى
ودونك فى احوالك الشمس والبدر
كأنك برد الماء لاعيش دونه
ولو كنت برد الماء لم يكن العشر
دعانى اليك العلم والحلم والحجى
وهذا الكلام النظم والنائل النثر
وما قلت من شعر تكاد بيوته
اذا كتبت يبيض من نورها الحبر
كأن المعانى فى فصاحة لفظها
نجوم الثريا او خلائقك الزهر

ومنها :

وانى رأيت الضر أحسن منظرا
واهون من مرأى صغير به كبر
لسانى وعينى والفؤاد وهمتى
اود اللواتى ذا اسمها منك والشطر
وما انا وحدى قلت ذا الشعر كله
ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر
وماذا الذى فيه من الحسن رونقا
ولكن بدا فى وجهه نحوك البشر
وانى ولو نلت السماء لعالم
بأنى ما نلت الذى يوجب القدر

أزالت بك الايام عتبي كأنما
بنوها لها ذنب وأنت لها عذر

وقال يمدح سيف الدولة ايضا :

لعينيك مايلقى الفؤاد وما لقى
وللحب مالم يبق منى وما بقى
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق
وبين الرضى والسخط والقرب والنوى
مجال لدمع المقلة المترقرق
وأحلى الهوى ماشك فى الوصل ربه
وفى الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى
وغضبى من الادلال سكرى من الصبى
شفعت اليها من شبابى بريّق
وأشنب معسول الثنيات واضح
سترت فمى عنه فقبل مفرقى
واجياد غزلان كجيدك زرننى
فلم أتبين عاطلا من مطوق
وما كل من يهوى يعف اذا خلا
عفافى ويرضى الحب والخيل تلتقى
سقى الله ايام الصبى مايسرها
ويفعل فعل البابلى المعتق
اذا ما لبست الدهر مستمتعا به
تخرقت والملبوس لم يتخرق
ولم أر كالالحاظ يوم رحيلهم
بعثن بكل القتل من كل مشفق
ادرن عيونا حائرات كأنها
مركبة احداقها فوق زئبق
عشية يعدونا عن النظر البكا
وعن لذة التوديع خوف التفرق
نودعهم والبين فينا كأنه
قنا ابن أبى الهيجاء فى قلب فيلق
قواض مواض نسج داود عندها
اذا وقعت فيه كنسج الخدرنق
هواد لأملاك الجيوش كأنها
تخير ارواح الكماة وتنتقى
تقد عليهم كل درع وجوشن
وتفرى اليهم كل سور وخندق
يغير بها بين اللقان وواسط
ويركزها بين الفرات وجلّق
ويرجعها حمراً كأن صحيحها
يبكى دما من رحمة المتدقق

الى هنا انتهى المجلد التاسع ويليه المجلد العاشر
ان شاء الله وأوله مادة (نبت)

DA'IRAT MA'ARIF

AL-Karn Al-'Ishrin

by

Muhammad Farid Wajdi

VOL. 9